

من أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح

الزيارة الجامعة الكبيرة

عبد الحليم الغزي

منشورات موقع زهرايئون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضه قناة المودة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءً من تاريخ: 2010 / 06 / 10

القسم الأول: من الحلقة الاولى الى الحلقة العاشرة

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ أَلِ اللَّهِ

وَاللَّعْنُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ شِيَعَتِهِمْ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ لِقَاءِ اللَّهِ

الحلقة الأولى

مقدمة أولى لبيان معاني الزيارة الجامعة

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، الحلقة الأولى من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، الحلقة الأولى من برنامجنا هذا هي مقدمة أولى لبيان معاني هذه الزيارة الشريفة التي جاءتنا مرويةً عن إمامنا العاشر أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، هناك عدّة مَطَالِبٍ أوْدُ الإشارة إليها بِمَثَابَةِ مُقَدِّمَةِ أُولَى لِلشروع في بيان مضامين هذه الزيارة الشريفة، هناك عدّة نقاط أريد الإشارة إليها:

النقطة الأولى:

أتحدث فيها عن الباعث لهذا البرنامج وعن السبب في الحديث عن بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، لا أريد أن أدبج العبارات وأن أُطيل في الكلام لكنّها الحقيقة، هذا البرنامج هو اقتناصٌ وقتٍ وسرقةٌ من هذا الزمان الذي يضيع ضياعاً، تمرُّ السنون وتمرُّ الشهور وتمرُّ الأيام والليالي ووقتنا يضيع هدرًا ما بين تفاهات النفس ومشاكل الحياة اليومية التي لا تعودُ بكثير فائدةٍ على عاقبة الإنسان في هذه الحياة، ما بين الغفلة وما بين المشاغل والشواغل التي يضيع فيها الإنسان ويضيع فيها العمر، هذا البرنامج اقتناصٌ شيءٍ من الوقت، وكما قلتُ قبل قليل سرقةٌ من هذا الوقت الذي يضيع هدرًا، لا أبتغي منها شيئاً إنها قطعةٌ من الوقت يدور فيها الحديث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ كي تتطهر هذه القلوب وكي تتطهر هذه الألسن والحديث عن نفسي أولاً قبل غيري، ساعةٌ اقتنصتها للحديث عن آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كي أُطهر قلبي أُطهر لساني فَهُم الطهور الأعظم، هُم الطهور الأعظم في هذه الحياة، وهُم الطهور الأعظم في الحياة الأخرى، شيءٌ من وقت نُزِينُهُ بذكر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا أجد أجمل من هذا النص الشريف من الزيارة الجامعة الكبيرة لذا كان هذا البرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، هذه النقطة الأولى التي أحببت أن أشير إليها.

وهناك نقاطٌ أخرى سأتناولها في طوايا هذه الحلقة، قبل أن أبدأ بقراءة النص، بقراءة الرواية التي وردت عن إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه أشير إلى مصادر هذه الزيارة الشريفة، الزيارة التي سنقرؤها من مفاتيح الجنان لشيخنا المحدّث القمي رضوان الله تعالى عليه، لكنّ الشيخ القمي من أين ينقلها؟

إنَّما أقرأها من مفاتيح الجنان باعتبار أن هذا الكتاب متوفَّر في أكثر بيوت مُحَيِّ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة جاءت مرويةً في أهم مصادرنا الحديثية، قبل أن أشير إلى مصادر الزيارة الجامعة الكبيرة بنحوٍ خاصٍ أشير إلى هذه القضية:

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حَدَّثونا وَعَلَّمونا وأخبرونا وكشفوا لنا عن كثيرٍ من الحقائق، حديثهم الشريف رواه أصحابهم الأجلاء، وقد جَمَعَ أصحابُ الأئمة من حديث أهل البيت أربعمئة كتاب عُرفت بين علمائنا وبين فقهاءنا وبين محدثينا بالأصول الأربعمئة، هناك أربعمئة كتاب نقل فيها أصحاب الأئمة أحاديث الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكانت هذه الكتب تُكتب وتُجمع وتُنقح بإشرافٍ من الأئمة والروايات عندنا على سبيل المثال مثلاً: إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أمر أصحابه بأن يجمعوا له جميع ما كتبوا، فجاءوا بكتبهم، وأشرف عليها وتَفَحَّها ورفع ما فيها من اشتباهات أو من أحاديث حَاوَلَ البعض أن يدسها من أصحاب المُغيرة بن سعيد وغير المُغيرة بن سعيد من الذين أرادوا أن يضعوا أحاديث الغلو والزندقة في كتب أصحاب إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه أمر أصحابه بأن يجمعوا له هذه الكتب وأعاد تنقيحها والنظر فيها، وكذلك في زمان إمامنا الجواد، وهكذا كان أئمتنا يتابعون هذه الكتب التي عُرفت بالأصول الأربعمئة.

لذلك هنالك رواية جميلة في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف في باب العلم وفي باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب، الحديث الخامس عشر: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: - يعني إمامنا الجواد صلوات الله وسلامه عليه، حين يُقال أبو جعفر الثاني يعني جواد الأئمة فأبو جعفر الأول هو باقر العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليه، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ يَقُولُ لِإِمَامِنَا الْجَوَادِ: - جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ مَشَايخَنَا رَوَوْا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ - يعني عن أبي جعفر الأول باقر العترة - وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَكَانَتْ التَّقِيَّةُ شَدِيدَةً - أشد في زمانهما - فَكَتَمُوا كُتُبَهُمْ وَلَمْ تُرَوَى عَنْهُمْ فَلَمَّا مَاتُوا صَارَتْ الْكُتُبُ إِلَيْنَا - ولم تروى عنهم أي أنه لم ينقل أحدٌ بشكل مباشر عنهم عن هؤلاء الذين جمعوا هذه الكتب - إِنَّ مَشَايخَنَا رَوَوْا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَكَانَتْ التَّقِيَّةُ شَدِيدَةً فَكَتَمُوا كُتُبَهُمْ وَلَمْ تُرَوَى عَنْهُمْ فَلَمَّا مَاتُوا صَارَتْ الْكُتُبُ إِلَيْنَا - فماذا قال إمامنا الجواد؟ - فَقَالَ: حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّهَا حَقٌّ - كلام الإمام صلوات الله وسلامه عليه هنا حين يقول حدثوا بها فإنها حق أولاً في هذا الكلام دلالة واضحة على أن هذه الكتب هذه الأصول الأربعمئة كلها بتمامها منقولة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإن حَدَثَ خللٌ فيها فإن الأئمة قد رَفَعُوهُ، إن حدث خلل بسببٍ دس بعض المُعرضين أو بسبب

الاشتباه من نفس الرواة، الراوي الثقة قد يشتهه في النقل وقد يخلط بين الأحاديث في بعض الأحيان، لذلك الأئمة كما قلت قبل قليل هم أشرفوا على تنقيح هذه الكتب، وكلمة الإمام الجواد هذه: **حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّهَا حَقٌّ**. تُشير إلى أن هذه الكتب هذه الأصول الأربعمئة منقولة بتمامها عن الأئمة ومُنَقَّحة كما قلت قبل قليل، وأيضاً هذه الرواية فيها دلالة على الإجازة في الحديث من هذه الكتب لكل شيعة أهل البيت، هذه إجازة في الحديث وإجازة من أين صادرة؟

صادرة من الإمام المعصوم، من الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه - **حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّهَا حَقٌّ** - دلالة على حقانية وأحقية وحقيقة الأصول الأربعمئة ودلالة على إجازة الحديث الصادرة عن الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه، هذه الأصول الأربعمئة بقيت تتناقل بيد أصحابنا، بيد أصحاب الأئمة، بيد رواة الحديث حتى وصلت إلى زمان الغيبة الصغرى، في زمان الغيبة الصغرى بدأ علمائنا الأجلاء يجمعونها في جوامع حديثية، وكان الجامع الحديثي الأول هو: (الكافي) لشيخنا الكليني فقد نقل الكثير من أحاديث الأصول الأربعمئة، ربما نقل أكثر من ثلاثمئة أصل من الأصول الأربعمئة في كتاب الكافي، نقل أكثر أحاديثها، وللمعلوم فإن الشيخ الكليني توفي قبل وفاة النائب الرابع قبل وفاة علي بن محمد السمرى، المعروف أن الشيخ الكليني توفي سنة: 328 للهجرة الشريفة والنائب الرابع علي بن محمد السمرى رضوان الله تعالى عليه توفي سنة: 329 للهجرة، ثم جاء شيخنا الصدوق فَجَمَعَ أيضاً من هذه الأصول الأربعمئة كتبه الشريفة المعروفة وأعلها رتبة بين العلماء كتاب (فقيه من لا يحضره الفقيه) وكذلك بقية كتبه فإنها لا تقل درجةً وفضلاً وعلماً ووثاقاً عن كتاب الفقيه، الشيخ الصدوق له اليد الطولى في حفظ حديث أهل البيت وفي حفظ الأصول الأربعمئة، فقد نقلها في كتبه، في عيون أخبار الرضا، في توحيد الشيخ الصدوق، في كمال الدين وتمام النعمة، في علل الشرائع، في معاني الأخبار، وغير ذلك من الكتب المهمة التي جمعها الشيخ الصدوق من الأصول الأربعمئة، وجاء بعده كذلك شيخنا الطوسي شيخ الطائفة فكان كتاب: (الاستبصار) وكان كتاب (التهذيب) وهذه هي الأصول الأربعة.

لماذا سميت بالأصول الأربعة؟ الكافي للكليني والفقيه للصدوق والتهذيب والاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي؟! سميت هذه الكتب بالأصول الأربعة لأنها أساساً نُقلت عن الأصول الأربعمئة، هذه الكتب سُميت بالأصول الأربعة ويُضاف إليها ما جمعه الشيخ الصدوق، والد الشيخ الصدوق، الشيخ المفيد وغير هؤلاء الأعلام من أجلة علماء الطائفة، فكانت هذه الأصول الأربعة وسُميت بالأصول الأربعة لأنها نُقلت عن الأصول الأربعمئة.

إلى أين أريد أن أصل؟ الزيارة الجامعة الكبيرة أين رويت؟ رويت في كتاب (فقيه من لا يحضره الفقيه) أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمئة التي جُمعت فيها أحاديث الأئمة ونُقلت هذه الكتب

بإشراف الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأمرنا الإمام الجواد قبل قليل كما في رواية الكافي الشريف قال حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّمَا حَقَّ، الزيارة الجامعة الموجودة في مفاتيح الجنان رواها شيخنا الصدوق في كتابه الفقيه وهذا هو الجزء الثاني من كتاب الشيخ الصدوق رواها في صفحة: 609 تحت عنوان زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام، والمُحَدَّثُ الثُّمِّي رضوان الله تعالى عليه ينقل الزيارة الجامعة من كتاب الفقيه لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، ورواها أيضاً شيخنا الصدوق في كتاب آخر من كتبه المُهَمَّة وهو كتاب (عيون أخبار الرضا)، هذا هو الجزء الأول من كتاب عيون أخبار الرضا، أيضاً رواها شيخنا الصدوق في صفحة: 305 تحت عنوان زيارة أخرى جامعة للرضا علي بن موسى عليه السلام، يعني يُزار بها الإمام الرضا ولجميع الأئمة عليهم السلام ورواها بسنده وبكل تفاصيلها التي جاءت مذكورة في مفاتيح الجنان، فهذا مصدر ثانٍ من مصادر الشيخ الصدوق، رواها في الفقيه وهو أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمئة، ورواها في عيون أخبار الرضا وكل رواياته منقولة عن الأصول الأربعمئة.

ورواها شيخنا الطوسي في (تهذيب الأحكام) أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمئة التي قال عنها جواد الأئمة حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّمَا حَقَّ، أيضاً هذا هو الجزء السادس من تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة الطوسي في صفحة: 107 تحت عنوان: زيارة جامعة لجميع المشاهد، يعني مشاهد الأئمة على أصحابها السلام، وذكر الزيارة الشريفة كما رواها شيخنا الصدوق بالتمام والكمال، ثم بعد ذلك المُحَدَّثُونَ وعلماء الحديث والذين جَمَعُوا الزيارات والأدعية ذكروا هذه الزيارة الجامعة الكبيرة في الجوامع الحديثية المعروفة وفي كتب المزارات وعلى سبيل المثال مثلاً: (بحار الأنوار) في الجزء التاسع والتسعين، بحار الأنوار بحسب الطبعة المعروفة هو يشتمل على 110 جزء، هذا هو الجزء التاسع والتسعون من بحار الأنوار، الشيخ المجلسي رضوان الله تعالى عليه، باب الزيارات الجامعة، ذكر في هذا الباب مجموعة من الزيارات الجامعة لأئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في صفحة: 127، الحديث الرابع، ذكر فيه الزيارة الجامعة الكبيرة التي نَحْنُ بصدددها، وإنما جئتُ ببحار الأنوار كمثال عن الجوامع الحديثية المتأخرة وإلا الجوامع الحديثية الأصلية أشرتُ إليها مثل الفقيه ومثل تهذيب الأحكام وما رواه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا، أنا هنا لا أريد أن استقصي المصادر الروائية والمصادر الحديثية التي نَقَلت الزيارة الجامعة الكبيرة، يكفي أن أقول أن الشيخ الصدوق رواها وذكر هذه الرواية في كتابه الفقيه.

ولا غرابة أن نجد من علماء السُنَّة من ينقل هذه الزيارة الجامعة بكل تفاصيلها، وهذا هو الجزء الثاني من كتاب فرائد السمطين لِلْمُحَدَّثِ إبراهيم الجويني الخراساني والذي توفي في سنة: 722 للهجرة، كان في خراسان وتوفي في خراسان وقصة إسلام السلطان المَغُولِي غازان معروفة كانت على يديه، أسلم السلطان المَغُولِي غازان على يدي هذا المُحَدَّثِ السُّنِّي الكبير المُحَدَّثِ إبراهيم الجويني، هذا هو كتاب فرائد

السمطين، في الجزء الثاني هذه الطبعة طبعة دار الحبيب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بتحقيق العلامة الشيخ مُحَمَّد باقر المحمودي، صفحة: 179 في العنوان: زيارة الجامعة الكبيرة التي يُزارُ بها كلُّ واحدٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وينقل هذه الزيارة من طريق الحاكم، المراد من الحاكم الحاكم النيشابوري كما يبدو، قال الحاكم، يعني الحاكم النيشابوري، ويُشير إلى السند وهو نفسُ السند الذي جاء مذكوراً في كتاب الفقيه لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، والزيارة موجودة بتمامها وبكل ألفاظها في فرائد السمطين وهو من كتب أهل السنة.

أنا هنا لا أريد الحديث عن توثيق الزيارة الجامعة الكبيرة، الزيارة الجامعة الكبيرة توثقني لا أوثقها، الزيارة الجامعة الكبيرة من النصوص المعروفة الواضحة والتي وُضِعَ فيها إمامنا الهادي جُلَّ المعاني وأكمل المعاني وأمثلة المعاني وهذا ما سيتضح لنا من خلال شرحها وبيانها.

أنا قلت بأنني أوقفت الحديث في كتاب الكافي الشريف، في يوم الخميس كان من المعتاد أن يكون لي برنامج في فناء الكافي الشريف وكانت الحلقات التي مرت من هذا البرنامج تدورُ حول أحاديث الحُجَّة، حول الروايات التي جاءت مرويةً في كتاب الحُجَّة من كتاب الكافي الشريف، لكنني أوقفتُ الحديث في شرح هذه الروايات وقلت في مستقبل الأيام سأتناول باباً آخر إن شاء الله تعالى من أبواب الكافي الشريف، أوقفتُ ذلك لأنني أردتُ الشروع في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة وجميع المضامين الموجودة في الكافي الشريف هي موجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة، لذلك لا نحتاجُ للبحث في سندٍ أو للكلام عن توثيق هذه الزيارة، مضامين هذه الزيارة الشريفة موجودة في الكافي وسترون من خلال شرح هذه الزيارة أن مضامينها موجودة في الكافي الشريف وفي أمهات كتبنا الحديثية المنقولة عن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هناك مسألة أوْدُ الإشارة إليها قبل أن أنتقل إلى نقطةٍ أخرى، بخصوص إمامنا الهادي الذي جاءت عنه هذه الزيارة، إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه وردت عنه زيارتان مهمتان: الزيارة التي بين أيدينا الزيارة الجامعة الكبيرة هكذا عُرفت، وهناك زيارة ثانية، الزيارة الجامعة الكبيرة يُزارُ بها كل الأئمة يمكن أن نزورهم جميعاً في زيارةٍ واحدة ويمكن أن نزورهم واحداً واحداً، يمكن أن نزور أئمتنا بهذه الزيارة جميعاً نخطبهم جميعاً ويمكن أن نزور بها أئمتنا واحداً واحداً، لكن الزيارة الجامعة الكبيرة بالدرجة الأولى هي في مخاطبة سيد الأوصياء، وبالدرجة الثانية هي في مخاطبة أبنائه المعصومين، لذلك في الزيارة هناك مخاطبة لسيد الأوصياء: **وَإِلَى أَخِيكَ**. ثم هناك مخاطبة ثانية: **وَإِلَى جَدِّكُمْ**. وسنصل في الكلام إلى هذه العبائر إذا تسلسلنا في نص الزيارة الشريفة، الزيارة الجامعة الكبيرة في أصلها لعليّ صلوات الله وسلامه عليه ومن بعد عليّ لأبنائه المعصومين وفي يومنا هذا لإمام زماننا الحُجَّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، هذه الزيارة الأولى زيارة

من عليّ لعليّ، من عليّ الهادي لعليّ المرتضى ولولد عليّ المرتضى.

الزيارة الثانية التي جاءت مرويةً عن هادي العترة هي زيارةً لعليّ بنحو الخصوص وهي من أهم الزيارات العلوية، هذه الزيارة موجودة في مفاتيح الجنان وهي زيارة الأمير يوم الغدير هذه هي أهم زيارات سيد الأوصياء، وهذه الزيارة تتعاقب في كثيرٍ من تفاصيل جهاتها مع الزيارة الجامعة الكبيرة، فإمامنا الهادي أوصل إلينا زيارة سيد الأوصياء في يوم الغدير وأوصل إلينا الزيارة الجامعة الكبيرة فأحببت أن ألفت نظر إخواني وأخواتي المؤمنين والمؤمنات إلى هذه القضية أن زيارة الأمير في يوم الغدير المذكورة في مفاتيح الجنان وهي زيارةً طويلةً مبسوطه تتحدث عن الجانب العقائدي التاريخي، أمّا الزيارة الجامعة الكبيرة تتحدث عن الجانب العقائدي المعرفي وكلاهما لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأننا إذا أردنا أن نُطبّق الجانب العقائدي المعرفي فإننا سنحتاج إلى التأريخ، لذلك هاتان الزيارتان إحداهما تُكَمِّلُ الأخرى وكلاهما مرويتان عن هادي العترة الطاهرة، وقلْتُ بأن الزيارة الجامعة الكبيرة بالدرجة الأولى لسيد الأوصياء وبعد ذلك للأئمة من بعده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهناك حديثٌ عن الجانب المعرفي العقائدي وهنا في زيارة يوم الغدير حديثٌ عن الجانب التاريخي العقائدي، وأتمنى أن يأتي يومٌ فنتناول هذه الزيارة أيضاً بالشرح والبيان فهي من أهم الزيارات العلوية لسيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، هذه المسألة التي أحببت الإشارة إليها وأحببت توضيحها لإخواني وأخواتي من مُحبّي أهل البيت ولأبنائي وبناتي من مُحبّي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أبدأ بقراءة السطور الأولى من رواية الزيارة الجامعة الكبيرة كما هي في مفاتيح الجنان والتي نقلها عن المصادر التي أشرت إليها قبل قليل.

موسى بن عبد الله النخعي يقول للإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه: **عَلَّمَنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقُولُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ - السائل وهو النخعي يسأل إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه - عَلَّمَنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ -** قطعاً الأولوية لسيد الأوصياء، سيد الأوصياء له الأولوية ثم للأئمة من بعده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والخصوصية في هذا الزمان لإمام زماننا، الروايات تقول: **إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدٌ فِي عُنُقِ شِيعَتِهِ - لكل إمام عهدٌ في عنق شيعته، فإمامنا له عهدٌ في أعناقنا، نحن شيعته ونحن عبده ونحن عبده، ورضوان الله تعالى على الشيخ الحر العاملي:**

وَإِنِّي لَهُ عَبْدٌ وَعَبْدٌ لِعَبْدِهِ وَحَاشَاهُ أَنْ يَنْسِيَ غَدًا عَبْدَهُ الْحُرَّ

إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدٌ فِي عُنُقِ شِيعَتِهِ - هكذا تقول الرواية الشريفة - **وَمِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ زيارته -** إن لكل إمام هناك عهد في أعناق شيعته ومن تمام الوفاء بالعهد زيارته، الزيارة الجامعة الكبيرة زيارةً لعليّ العلّاء

بالدرجة الأولى وبالدرجة الثانية لأبنائه المعصومين وبالدرجة الخاصة والخصيصة والمخصوصة في هذا الوقت هي لإمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين، ونحن أساساً إنما دخلنا من هذا الباب من أي باب؟

اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ - نحن هنا في هذا البرنامج إنما جئنا وفتحنا هذا الباب وطرقنا هذا الباب - اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي، اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّئْ جَاهِلِيَةَ - لماذا؟ فإن من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية - اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي، اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّئْ جَاهِلِيَةَ وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي - والهدى على أعتاب فناء رحمة وجود وفضل إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الهدى والإسلام والإيمان والحقيقة هناك في ذلك الفناء الطاهر في فناء ابن نرجس الطاهرة في فناء الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه - عَلَّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ - وإن لم أتعلم منك يا ابن رسول الله فممن أتعلم؟ - عَلَّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقُولُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ - إذا نَحْنُ أمام قولٍ بليغٍ كامل، لأن الإمام أجابه مباشرة، السائل يسأل - عَلَّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقُولُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ - مباشرة من دون أي رد، من دون أي نقاش، مباشرة - فقال: إِذَا صِرْتَ إِلَى الْبَابِ فَقِفْ - وتستمر الزيارة، يعني هذا القول هو القول البليغ الكامل، نقوله إذا زرنا واحداً منهم.

لماذا نزرهم؟ فهو شيء من الوفاء بعهد الإمامة والولاية، وستحدث عن الزيارة وعن مضامينها فيما يأتي إن شاء الله من حلقات هذا البرنامج، أتحدث عن معنى الزيارة بشكل خاص عن معنى الزيارة ما المراد من الزيارة وما هو الهدف من الزيارة؟ وأتحدث عن مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، القول إذاً قولٌ بليغ كامل، أما كون هذا القول قولاً كاملاً فذلك يعني إن تمام أصول العقيدة التي يجب علينا أن نعتقد بها وأن نصل إلى معرفتها كل ذلك موجود في هذا النص وإلا كيف يكون قولاً كاملاً!! القول هو الكلام الذي له دلالة، له معنى، حينما يأتي الإنسان بعدة ألفاظ مختلفة لا دلالة لها لا معنى لها لا يقال لهذه الألفاظ قول، القول يعني المراد مجموعة الكلمات، مجموعة الجمل، مجموعة العبارات، مجموعة المقاطع الحديثية والكلامية التي تدل على معنى واضح وجلي يُقال له قول، يعني هناك معنى يُستفاد من القول وإلا إذا أتينا بمجموعة من الألفاظ مجموعة من الكلمات مبعثرة لا يُقال لهذه الكلمات المبعثرة قول، يعني الآن لو أتلفظ بكلمات مبعثرة لا يوجد رابط معنوي بين هذه الألفاظ لا يُقال لهذه الألفاظ قول، القول هو الكلام المفيد، الكلام الذي يعطينا معنى مفيداً، فكلمة القول هي بنفسها دالة على المعنى المفيد، حينما توصف بالكمال، قولٌ كامل يعني أن تمام المعنى موجود في هذا القول.

نحن حينما نزور الأئمة ونخاطبهم فقطعاً في الزيارة سوف نخاطبهم بما يليقُ مع مقاماتهم الشريفة، فحينما يكون هذا القول قولٌ كامل يعني أنَّ تمام أصول العقيدة وتمام أصول المعرفة التي يجبُ علينا أن نعتقد بها وأن ندركها وأن نصل إليها وأن نتدبر فيها وأن يكون مدارُ فكرنا حولها كلُّ ذلك موجودٌ في هذا النص، وإلا كيف يكون قولاً كاملاً؟! القول الكامل القول المشتمل على هذه المعاني، وكما يقول المَنَاطِقَةُ القول الكامل يمكن أن أصفه بقول المَنَاطِقَةُ هو القول الجامع المانع، القول الكامل يمكن أن أصفه بما يقول المَنَاطِقَةُ والفلاسفة بأنه قولٌ جامعٌ مانع، فهو جامعٌ لكل مقامات وأوصاف وحالات الأئمة، ومانعٌ لأن يدخل معهم صلوات الله عليهم أن يدخل غيرهم معهم في هذه الأوصاف، فهذا القول قولٌ جامعٌ لهم ومانعٌ لأغيارهم، قولٌ كامل، قولٌ جامعٌ ومحيطٌ ومُلم بأوصافهم وحالاتهم ومقاماتهم العُلوية.

ثم هو قولٌ بليغ، هو قولٌ بليغٌ وكامل، كاملٌ وبليغ، والقول البليغ القول الذي يشتملُ على أدق المعاني، يعني الكلامُ البليغ هو الكلام الذي لا زيادات فيه ولا نواقص فيه، يعني كل عبارة من هذه العبارات دالة على نفس المعنى المراد منها من دون زيادات ومن دون نواقص هذا هو القول البليغ، فما بالك إذا كانت هذه البلاغة من عليِّ بن مُحَمَّدٍ الهادي.

البليغ، البلاغة في كلام العرب، الإنسان حينما يكون بليغاً فسيكون كلامه محسوباً في ألفاظه وفي معانيه هو هذا البليغ، البليغ الذي لا يلفظ الكلام إلا أن يكون قد أَعَدَّ واستعدَّ لألفاظه ولمعانيه، فألفاظه محسوبة ومعانيه محسوبة، لا يطلق الكلام هكذا على عواهنه من دون تدبر من دون تفكر ومن دون حساب، البليغ هو الذي إذا تَلَفَظ تَلَفَظ على أساس حسابٍ وكتاب، هذا البليغ من عامة الناس أنا وأنت إذا كنا من البلغاء، فإذا كانت البلاغة من عليِّ وأبن عليِّ!! هذا قولٌ بليغٌ كاملٌ من عليِّ بن عليِّ، من عليِّ الهادي بن عليِّ المرتضى صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين، فهذا القول البليغ هو القول الذي لا زيادات فيه ولا نواقص فيه، لا توجد زيادات ولا نواقص لأنه قولٌ بليغ، القول البليغ القول الذي تكون ألفاظه كلماته محسوبة وكذلك دلالاته ومضامينه ومعانيه وفحوايه محسوبة ومدروسة، ويكون الكلامُ فيه مُرتَّباً على أساس منهج، لا هكذا يُطلق الكلام من دون منهج، من دون طريق، من دون أساس، ومن هنا جاءت هذه الزيارة الشريفة، جاءت مُحْكَمَةً، مُحْكَمَةً في بنيتها الأدبية ومُحْكَمَةً في بنيتها المعرفية، الزيارة الجامعة الكبيرة فيها ميزتان وستتضح هاتان الميزتان من خلال الحلقات القادمة كيف أنَّ هذه الزيارة الجامعة مُحْكَمَةٌ أدبياً ومُحْكَمَةٌ فكرياً، هناك إحكام أدبي في هذه الزيارة في التعبير، إحكام أدبي بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وهناك إحكامٌ معرفي، إحكامٌ عقائدي بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وستتضح لنا الصورة إن شاء الله من خلال حلقات هذا البرنامج.

لن أستمِر في قراءة عبارات الزيارة الشريفة ولكنني أقف هنا لأشير إلى قضيةٍ مهمة لا بد أن يُلتفت إليها،

القضية المهمة التي أريد الإشارة إليها المضامين الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة تعتمد على ركني العقيدة وعلى أسس المعرفة وهما التوحيد والولاية، حين أقول الولاية، الولاية أعمّ فهي تعمّ النبوة والإمامة، الزيارة الجامعة الكبيرة تبني على هذين الأساسين، تبني على أساس التوحيد وعلى أساس الولاية، وكما قلتُ قبل قليل المراد من الولاية بمعناها العام بمعناها الأعمّ النبوة والإمامة وما يتفرع عليهما من موالاة المؤمنين ومن البراءة من أعدائهم، فالولاية للنبي ولآله ولأشياعهم، والبراءة من أعدائهم جميعاً، حين أقول البراءة من أعداء المؤمنين المراد من العداة ليس العداة الشخصي وإنما العداة لأجل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، لأن المؤمن قد يواجه في حياته أعداء النبي وأعداء أهل البيت عموماً، لأن النبي معصوم ولأن الإمام معصوم فلا توجد هناك عداوات تؤخذ بهذا المنظار أنها عداوات شخصية، العداة مع النبي ومع الإمام المعصوم عداة مع الله مباشرة - وَمَنْ سَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ سَبَّنِي وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ - العداة مع النبي مع الإمام المعصوم هو عداة مع الله مباشرة، فاطمة صلوات الله وسلامه عليها رضاءها رضا الله سبحانه وتعالى وسخطها سخط الله سبحانه وتعالى، إذا رضيت رضي الله وإذا غضبت غضب الله سبحانه وتعالى.

فالعداء والمودة مع المعصوم تكون مباشرة مع الله، أمّا مع أوليائهم فإن أوليائهم يواجهون في الحياة نوعين من العداة: هناك قد يكون عداة شخصي لمسائل شخصية لأمر عائلي هذا لا يدخل في البحث هنا وإنما البحث في هذه المسألة إذا كان العداة مع أشياع النبي وأشياع أهل البيت لأنهم أشياع النبي لأنهم أشياع أهل البيت العداة يأتي من هذه الجهة، إذا كان العداة من هذه الجهة فإننا نبرأ من أعدائهم، ويدخل هنا العداة والولاية والبراءة في بعدها العقائدي، على أي حال، كما قلتُ قبل قليل الزيارة الجامعة الكبيرة مبنية على هذين الأساسين: التوحيد والولاية، ومن خلال شرح الزيارة سيتضح لنا مضمون التوحيد وسيتضح لنا مضمون الولاية بمعناها الأعمّ، وهنا أشير إلى هذه القضية، إلى أي قضية؟ إلى أننا لا بد أن نجعل أساساً وميزاناً لحديثنا في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا الميزان يشتمل على نقطتين، يشتمل على فرعين، يشتمل على أصليين، قل ما شئت.

الأصل الأول كلُّ كلامٍ، كلُّ حديثٍ، كلُّ فكرةٍ تمسُّ بالتوحيد فهي باطلة، لأن أساس الوجود التوحيد، ولأن أساس الدين التوحيد، ولأن أساس العقيدة التوحيد، فكلُّ كلامٍ يمسُّ هذه العقيدة، ينتقص من هذه العقيدة فهو كلامٌ باطل، من أي جهة صدر، من أي أحد صدر، لأن الأساس الأول في عقيدتنا هو التوحيد، وما غيرُ التوحيد من العقائد فهو يندرج تحت التوحيد، أيُّ عقيدة كانت، وأيُّ معرفة كانت فإنها تندرج تحت التوحيد، هذا الأساس الأول الذي يجب أن يكون سياجاً وحصناً حامياً ومانعاً كما في الحديث، هناك عندنا حديثان رضويان:

كلمة لا آله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. وحديث رضوي آخر أيضاً:

ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، أولاً: التوحيد. وثانياً: ولاية أهل البيت ولاية النبي وأهل بيته.

معرفة النبي وأهل بيته، معرفة الولاية، معرفة الولاية لا حدود لها، مقامات أهل البيت لا حدود لها، لكنها دون التوحيد - نزهونا أرباباً تُعبد وقولوا في فضلنا ما شئتم - هكذا قال سيد الأوصياء، هكذا قال أئمتنا نزهونا أرباباً تُعبد، أبعدوننا عن هذه المنزلة وقولوا في فضلنا ما شئتم فإن الباب مفتوح لكم، وإنما صار الباب مفتوحاً لنا لأننا مهما تعمقنا فإننا لن ندرك معشار العشر من فضلهم، ولذلك أصبح الباب مفتوحاً لنا لأننا مهما ذهبنا بعيداً في الفكر فإننا لن نصل إلى شيء من حقيقة مراتبهم ومقاماتهم العلية.

ومن هنا سيكون الضابط، سيكون الأساس، سيكون الميزان، سيكون السياج، سيكون الحصن الذي نتحرك في داخله هما هذان الأساسان: الأصل الأول التوحيد وهو العقيدة الأولى والأخيرة، وغير التوحيد من العقائد وإنما هو يندرج تحت التوحيد، معرفة أهل بيت العصمة، معرفة النبي وآل النبي، معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ما دامت دون التوحيد فإن الباب مفتوح فيها، نزهونا أرباباً تُعبد وقولوا في فضلنا ما شئتم، لكن ذلك لا يعني أن نقول قولاً كيفياً، أن نأتي بالكلام من جيوبنا الخاصة ومن حساباتنا الشخصية وأن نُنشئ الكلام هكذا أن نبتدعه ابتداءً من دون أساس، مَرَدُّنا الأول والأخير إلى حديث أهل البيت، إلى الأصول الأربعمائة، أين نجد حديث أهل البيت؟ نجدُه في الأصول الأربعمائة، وهذه الزيارة الجامعة جاءتنا من هناك، جاءتنا من ذلك المنهل العاطر ومن ذلك الغدير المُطَهَّر من غدير حديث أهل البيت، من غدير علي وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحن ننهل من ذلك الغدير وَرَدُّ إلى ذلك الغدير ونشرب من ذلك الغدير ونتطهر بذلك الغدير، وضوء عقيدتنا ووضوء ديننا من ذلك الغدير، وضوءنا الحقيقي وضوء الولاية، وضوء الولاية الحقيقي في حياتنا من أين نأتي بمائه؟

نأتي به من ذلك الذي جاء موصوفاً بالطهور الأعظم، والطهور الأعظم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ هم الطهور الأعظم، هم الماء الأعظم، هم السر الأعظم، هم الاسم الأعظم، هم الحقيقة الأعظم، هم الكلمة الأعظم، هم الصفة الأعظم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ، هم السبيل الأعظم، هم الصراط الأقوم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلى هذه العين نَرِد، إلى هذا الغدير نَرِد، وعن هذا الغدير نصدر، وهنا نشرب من هذا الغدير كي نُطفئ هذه العُلَّة، عُلَّةُ هذا العطش، وعُلَّةُ هذا الأوام، وهنا نتطهر، هنا نُسبغ وضوء الحقيقة، كيف نُسبغ وضوء الحقيقة؟ ومن أين؟ من غدير علي وآل علي، وهنا نتعطر من هذا الغدير، ألم يكن عطر رسول الله الماء؟ هكذا تقول الروايات كان عطره الماء، وفي ذلك إشارة من بعيدٍ إلى هذه المضامين التي أشير إليها، ولا أريد الدخول في مثل هذه التلويحات والتلميحات، عطرنا من هذا الغدير من غدير علي وآل

عليّ، وماء شرابنا من هذا الغدير، وديننا من هذا الغدير، وما الزيارة الجامعة الكبيرة إلا قَدْخُ مُعَلَى، إلا قَدْخُ مُعَلَى قد ملاءهُ لنا عليُّ بن مُحَمَّد الهادي من ذلك الغدير، من تلکم الروضة الطاهرة، من تلکم العيون النقية، هذه الزيارة الجامعة الكبيرة قَدْخُ نشربُ منه نَمِرَ حَبَّةِ عَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ وسلسبيل ولاية عليٍّ وآل عليٍّ، هذه الزيارة الجامعة الكبيرة من عمق حديث مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، نبقي نطوفُ حولها، منها بدايتنا وإليها نهايتنا، فإن البداية والنهاية مَنوطةٌ بمعرفة إمام زماننا، وما الزيارة الجامعة الكبيرة إلا لوحَةٌ مزدانَةٌ قد وشَّتها الألوان وقد عَبَّقَتْها المعارف والحقائق، فاضت بها شفاهُ ابن الزهراء، شفاهُ الهادي صلوات الله وسلامه عليه، هذه الكلمات فاضت بها وجادت بها شفاهُ عليٍّ الهادي صلوات الله وسلامه عليه، وكلامي كما قلت سيكون في هذا الحصن في حصن لا آله إلا الله وفي حصن ولاية عليٍّ بن أبي طالب فإنهما الأمان الذي من دخل فيه نجأ، كلمة لا آله إلا الله حصني، قال الله تعالى:

كلمة لا آله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، ولاية عليٍّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

كلامنا سيكون محكوماً على هذا الأساس، وكلامنا سيكون محكوماً بحديث أهل البيت فإننا نأخذ منهم وإننا نرجع إليهم في كل شيء وتلكم هي النجاة الحقيقية، أنا قلت في أول هذه الحلقة بأن هذا البرنامج وحقُّ الحسين لا ابتغي منه شيئاً إنما هي ساعةٌ اقتنصها من هذا العمر الذي راح هدراً في التفاهات وفي الشواغل التي لا قيمة لها، ساعةٌ أسرقها من هذا الوقت المُر ومن هذا الزمان الذي أثقلنا بكلِّكليه وكلاكله، هذه الساعة اقتنصها اغتالها أسرقها كي أعيشَ في جو مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كي أتطهَّرَ أولاً وأدفعها هديةً لإخوتي من عُشاق أهل البيت للذين يُطربهم هذا الحديث، هذا الحديث هناك الكثير الذين لا يعجبهم هذا الكلام، وأنا لا أحاطبهم، أنا أحاطب أولئك الذين يُطربهم هذا الكلام، يُطربهم، يطربهم سماعُ حديث مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، أمَّا الذين لا يرغبون بهذا والذين لا تميل قلوبهم ولا تهشُّ أرواحهم ولا تُسعد نفوسهم بمثل هذا الحديث لا علاقة لنا بهم، هذه هديةٌ متواضعةٌ أمُدُّ يدي بها إلى إخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي من عُشاق أهل البيت من مُحِبِّي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا حديثٌ سَمَرٌ، حديثٌ أنقله عن عليٍّ بن مُحَمَّدٍ الهادي وأتقلَّبُ في أفنائه ما بين الكافي وأخواته من كتب الحديث، أسْتَلُّ فيها جُملاً وكلمات وأحاديث تَعَبَّقَ بها هذا الوجود، فاض بها جعفر بن مُحَمَّد في يومٍ من الأيام، وجاد بها علينا عليٌّ بن موسى الرضا في ساعةٍ من الساعات، واستهلَّ بها علينا الحسن العسكري، كلماتٌ عطَّرت حياتنا وأقول حياتنا حياة الذين أحبُّوا مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ لا أعني غيرهم كلماتٌ عطَّرت حياتنا، كلماتٌ أنارت الظلمات في دروب هذا العالم الذي تضغطُ عليه الجهالات وتضغطُ عليه الغفلة وتضغطُ عليه الترهات والتفاهات من كل مكان، هذه الكلمات هي التي أدفعها هديةً فإن أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قالوا:

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى زيارَتِنَا فَلْيَزِرْ صالِحِي موالينا يُكْتَبْ لَهُ بِذَلِكَ ثوابُ زيارَتِنَا - هذه زيارةٌ لكم أحباب أهل البيت، إمامنا الكاظم يقول: من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا يُكْتَبْ لَهُ بِذَلِكَ ثوابُ صلَّتِنَا - فما نحن بقادرين أن نزرع إمام زماننا وما نحن بقادرين أن نصِلَ إمام زماننا، هذه زيارةٌ لأحبابه وصلته لأحبابه وهذا حديثٌ أقتطفه من ثمار رياض وجنان مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ اليانعة لِمَا أَقْفَ هُنَا وَقْفَةً مَوْجِزَةً أَبْيَنُ فِيهَا حَقِيقَةٌ جَاءَتْ فِي رِوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَفِي قَرَأَتِهِمْ وَنَحْنُ لَا نَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْعَمُودِينَ، نَحْنُ إِنْ خَرَجْنَا مِنَ الْقُرْآنِ دَخَلْنَا فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِنْ خَرَجْنَا مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ دَخَلْنَا فِي قَرَأَتِهِمْ، مَلَاذِنَ الْأَمْنِ هُوَ هَذَا، إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَمَانَ لِدِينِكُمْ وَإِذَا أَرَدْتُمْ الْأَمَانَ لِأَخْرَجْتُمْ هُمَا بَابَانِ: بَابٌ كُتِبَ عَلَيْهِ قُرْآنُ آلِ مُحَمَّدٍ وَبَابٌ كُتِبَ عَلَيْهِ حَدِيثُ آلِ مُحَمَّدٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ هَذَا الْبَابِ دَخَلْنَا فِي الْبَابِ الثَّانِي، وَإِذَا خَرَجْنَا مِنَ الْبَابِ الثَّانِي دَخَلْنَا فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ، مِنْ هُنَا الْبَدَايَةُ وَأَيْضاً هُنَا النِّهَايَةُ، فَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ فِي نَقْطَةٍ وَاحِدَةٍ، فِي كِتَابٍ وَفِي عَتْرَةٍ، وَكَمَا قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ حَدِيثَنَا مُسَيِّجٌ بِسِيَّاحِ التَّوْحِيدِ أَوَّلًا وَبَسِيَّاحِ الْوَلَايَةِ ثَانِيًا.

فِي بَرْنَامِجِ قُرْآنِنَا وَفِي أَوَائِلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ الْمُبَارَكَةِ مَرَّتَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْآيَةُ وَهِيَ الْآيَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ وَلَقَدْ تَحَدَّثْتُ فِي بَيَانِ جَانِبٍ مِنْ مَضْمُونِهَا، الْيَوْمَ أَيْضاً أَشِيرُ إِلَى جَانِبٍ آخَرَ، وَهَنَّاكَ جَوَانِبَ أُخْرَى أَتَنَاوَلُهَا فِي وَقْتٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، الْآيَةُ هِيَ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُ مَّا فَوْقَهَا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، أَنَا هُنَا أُرِيدُ أَنْ أَقْرَأَ نَصًّا جَاءَ مَرْوِيًّا عَنْ إِمَامِنَا الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِمَخْصُوصِ هَذِهِ الْآيَةِ، أَقْرَأَ هَذَا النَّصَّ عَلَى مَسَامِعِكُمْ، النَّصُّ طَوِيلٌ، وَأَنَا أَقْتَضِفُ مِنْهُ مَوْطِنَ الْحَاجَةِ - فَقِيلَ لِلْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ - يَنْتَحِلُ يَعْنِي يَعْتَقِدُ - فَقِيلَ لِلْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعْوَضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - طَبَعاً هُنَّاكَ رِوَايَاتٌ وَأَنَا لَا أُرِيدُ الدِّخُولَ فِي كُلِّ التَّفَاصِيلِ، قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ فِي بَرْنَامِجِ قُرْآنِنَا بَيْنْتُ جَانِباً مِنْ مَعْنَى الْآيَةِ وَالْيَوْمَ أَشِيرُ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى وَهَنَّاكَ جِهَاتٍ أُخْرَى نَأْتِي عَلَى بَيَانِهَا فِي وَقْتٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أَخَذَ مَوْطِنَ الْحَاجَةِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِالْبَرْنَامِجِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ الْآنَ - فَقِيلَ لِلْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعْوَضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْبَعْوَضَةُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُ مَّا فَوْقَهَا﴾ - يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعْوَضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ مَّا فَوْقَهَا - الْفَوْقَ مِنَ الْبَعْوَضَةِ يَعْنِي أَكْبَرَ مِنْهَا - وَهُوَ الذُّبَابُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَقْرَأَ الْكَلَامَ مَرَّةً أُخْرَى حَتَّى يَكُونَ الْمَعْنَى وَاضِحاً:

فَقِيلَ لِلْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعْوَضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ مَّا

فَوْقَهَا وَهُوَ الدُّبَابُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَمِعَ هَؤُلَاءِ شَيْئاً لَمْ يَضَعُوهُ عَلَى وَجْهِهِ - يعني هناك كلام مذكور في هذا الاتجاه لكن هؤلاء ما وضعوا الكلام كما هو، الآن يبين إمامنا الباقر عليه السلام هذا المضمون - فقال الباقر عليه السلام: سَمِعَ هَؤُلَاءِ شَيْئاً لَمْ يَضَعُوهُ عَلَى وَجْهِهِ إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَاعِداً ذَاتَ يَوْمٍ هُوَ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ سَمِعَ قَائِلاً يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ عَلِيٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَا تَقْرَنُوا مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ، مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ عَلِيٌّ، إِنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ هِيَ الْقَاهِرَةُ الَّتِي لَا تُسَاوَى وَلَا تُكَافَى وَلَا تُدَانِي - ولا زال الكلام لرسول الله مستمراً - وما مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَذِبَابَةٌ تَطِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِكِ - رسول الله يتكلم عن نفسه بهذا الكلام حين يُقَاسِمُ نَفْسَهُ بِاللَّهِ - وما مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَذِبَابَةٌ تَطِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِكِ الْوَاسِعَةِ، وَمَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَبَعُوضَةٍ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ مَعَ أَنْ فَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَفِي بِهِ فَضْلُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ - قولوا فينا ما شئتم - مع أن فضل الله تعالى على مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَفِي بِهِ فَضْلُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ هَذَا مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذِكْرِ الذَّبَابَةِ وَالْبَعُوضَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ - هذا كلام إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه.

نبينا هكذا يقول: وما مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَذِبَابَةٌ تَطِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِكِ الْوَاسِعَةِ، وَمَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَبَعُوضَةٍ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ مَعَ أَنْ فَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَفِي بِهِ فَضْلُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ - وأظن أن المعنى واضح وأن الدلالة بيّنة، هذا حدُّ يبدأ منه الكلام وينتهي عنده الكلام أيضاً.

وحدُّ آخر بيّنه القرآن الكريم جاء في سورة النور المباركة في الآية الخامسة والثلاثين من سور النور المباركة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الآية المعروفة بآية النور - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿ - الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور الشريفة، وهذه الآية يمكن أن يُقال عنها بأنها أعلى مقامٍ تَحَدَّثَ فيه القرآن من مقامات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فهناك حَدٌّ أشار إليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ حَقِيقَةَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ إِذَا قِيسَتْ بِحَقِيقَةِ اللَّهِ فَهِيَ لَا شَيْءَ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِذَا قِيسَ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ لَا شَيْءَ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ وكلما تكامل المخلوق صار أكثر فقراً وازداد فقره أكثر، لماذا؟ لأن حاجته تكون أكثر، فلما كان فضل الله الأكمل على رسوله وعلى آل رسول الله كانوا هم الأشد فقراً إلى الله وهذا هو معنى العبودية، لماذا لا تُطلق العبودية بالمعنى الحقيقي الأكمل الأتم إلا على رسول الله؟ وإذا أطلقت على غيره فذلك من باب التجوز والتسامح، العبودية الحقيقية هي عبودية مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لماذا؟ لأن الله قد أفاض عليهم تمام الفيض، وقد بلغوا أعلى المراتب التي ليس بعدها مرتبة لأي مخلوقٍ من المخلوقات، هم الحقيقة الأولى، هم النور الأول، هم الكلمة الأولى، هم الاسم الأول، هم العقل الأول، هم الصادر الأول، هم الفيض الأول، عَبَّرَ ما شئت من هذه العبارات وانتقي ما أردت أن تنتقي من هذه المصطلحات.

عبارتنا شتى سيدي يا رسول الله، سيدي يا أمير المؤمنين، سيدي يا زهراء، سيدي يا بقية الله، عبارتنا شتى وحُسنك واحد، وحسنكم واحد

عبارتنا شتى وحُسنك واحدٌ وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يَشِيرُ

عبارتنا شتى وحسنكم واحد وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يَشِيرُ

فكلما تكامل المخلوق كلما ازداد فقراً وأهل البيت هم المخلوق الأكمل فهم الأكثر فقراً والأكثر حاجةً لأنهم هم الأكثر عطاءً، لأن الله قد أعطاهم أكثر مما أعطى سائر المخلوقات فكانوا هم الأكثر فقراً إلى الله، هذه الآية تتحدث عن أدق المعاني وعن أعمق المعاني في منزلة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، في البداية سابين المعاني اللغوية للآية الشريفة، أولاً هذه الآية جاءت في سياق الأمثال القرآنية وأتممتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمرونا أن نتدبر في أمثال القرآن لأن أمثال القرآن توصلنا إلى الحقائق وهذا مثلٌ من الأمثال القرآنية بودي لو أطلت الوقوف عند هذه الآية كثيراً، أنا سَابِئٌ جانباً من مضمونها في هذه الحلقة وأتحدث عن جوانب أخرى في مناسباتٍ أخرى إن شاء الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هنا الحديث ليس عن نورٍ حسي، الحديث عن نورٍ حقيقي، هناك فارقٌ بين نور

الحس وبين نور الحقيقة، النور الحسي هو الذي يساعدنا على رؤية الأشياء، حين يأتي الظلام ولا ضوء فإننا

لا نرى الأشياء من حولنا، أما حينما يأتي ضوء النهار فإننا نرى الأشياء من حولنا بواسطة هذا الضوء الحسي والذي يُعرِّفه الفلاسفة بأنَّه كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره، نحن لا نملك تعريفاً للضوء أو للنور الحسي إلا هذا التعريف، ربما يكون هناك تعريفٌ فيزيائي أنه مجموعة الفوتونات الصادرة من الانشطارات الذرية من الهيدروجين والهليوم في الشمس أو غير ذلك، لكن الحديث عن التعريف الفلسفي، التعريف الفلسفي للضوء وللنور هو الكاشف عن نفسه والكاشف عن غيره، وبقدر ما يكشف عن نفسه يكشف عن غيره هذا هو النور الحسي.

أما النور الحقيقي وهو نور الوجود يمكن أن أُقرب معنى النور الحقيقي بمثال: كلكم يعرف قصة ملكة اليمن بلقيس، وكلكم قرأ في القرآن قصة مجلس سليمان وحين أراد أن يكون عرشها الملكي بين يديه والقصة معروفة، آصف بن برخيا قال له: أنا أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك وجاء بالعرش ولا أريد الحوض في هذه القصة لكن فقط أردت أن أخذ منها لقطة ومضة، هناك من المفسرين من قالوا وتحدثوا في كيفية انتقال العرش من اليمن إلى فلسطين، فقالوا إن آصف بن برخيا كانت عنده ولاية على الفيض فقطع الفيض في اليمن فانعدم العرش في اليمن ونقل الفيض إلى فلسطين فأوجد العرش في فلسطين، فكأنه قطع الفيض، مثل ما مثلاً هناك أنبوب وفي هذا الأنبوب يأتي الماء جارياً ينزل في مكان معين فُقطع هذا الماء فُقطع الفيض، فلما قُطع الفيض هذا الفيض هو هذا النور الحقيقي، أنا كيف تتحقق وجودي؟! أو كيف يتحقق وجودي الآن ووجود كل شيء من حولي؟! كيف يتحقق وجودكم أنتم؟ هناك فيضٌ ينزل في كل آن وهذا الآن لا يُقاس بمقياس الزمان، آتات الفيض ما يُعبَّر عنها بالتجليات لا تُقاس بالوحدات الزمنية، هي أدق وأبعد مما وراء الزمان ولا أريد الدخول في هذه التفاصيل، لكن يتحقق وجودي بنزول الفيض، مثل ما هذا الضوء حينما مثلاً الآن نحن في غرفة مظلمة، نحن في غرفة مظلمة وبيدي مصباح، مصباح يدوي كلما وجهته إلى جهة فإنني أرى تلكم الجهة، هذي مجموعة من الكتب وبيدي مصباح صغير وأردت أن أعرف هذا الكتاب فوجهت ضوء المصباح فقرأت أصول الكافي، لَمَّا أزحت الضوء إلى كتابٍ آخر ووضعتُه عليه فقرأت بحار الأنوار، فكأن هذا الضوء هو الذي أوجد الكتاب، الفيض هو الذي أوجدنا، هناك فيض، وهذا الفيض ما دام متصلاً فإننا موجودون، متى انقطع الفيض فإننا نُعدم، ومن هنا هؤلاء الذين قالوا بهذا القول أخذوا هذه الفكرة من هنا بأن آصف بن برخيا كانت له ولاية على الفيض فقطع الفيض في اليمن وأوجدته.

طبعاً في فكر أهل البيت هذا الكلام ليس صحيحاً، فإن آصف جاء بنفس العرش، ولكنني جئت بهذا توضيح لأجل مثال ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور الحقيقي وليس النور الحسي، النور الحقيقي الذي

أوجدنا، النور الحسي يكشف عن الأشياء، النور الحقيقي يوجد الأشياء هو هذا الفارق بين النورين، أيضاً النور الحقيقي كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره لكن الكاشفية هنا إيجاد وليس الكاشفية إراءة كما في النور الحسي، النور الحسي كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره، لكن الكاشفية هنا فقط في الإراءة بواسطة النور الحسي نرى الأشياء، النور الحقيقي كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره لكن كاشفية النور الحقيقي هو الإيجاد ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني هذا الوجود إنما هو متحقق بأي شيء؟ متحقق بالنور الحقيقي الصادر من الله سبحانه وتعالى، ليس النور الحسي، النور الحسي إنما هو متحقق بالنور الحقيقي، النور الحسي إنما هو كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره بسبب أنه هو موجودٌ بالنور الحقيقي، إذاً أصلاً لا مقارنة بين النور الحقيقي والنور الحسي وإنما جئتُ بالنور الحسي مثلاً كي تتضح صورة ومعنى النور الحقيقي، لأن النور الحسي إنما هو متحققٌ بسبب النور الحقيقي.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إنما تحققت هذه الأشياء وتحقق النور الحسي وتحققت هذه القدرة على الإراءة والكاشفية في النور الحسي بسبب ماذا؟ بسبب النور الحقيقي هذا النور الصادر من الله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهذه الكلمة بحاجة إلى شرحٍ كثيرٍ لكنني أكتفي بهذا لأنني لست بصدد شرح هذه الآية وإنما أردتُ فقط أن أستفيد منها فائدة تتعلق بما بين يدي من موضوع الزيارة الجامعة الكبيرة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ القرآن هنا يأتينا بمثالٍ لنور الله لهذا النور الساطع في السماوات والأرض ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ المشكاة هي يقولون الكوة غير النافذة، يعني كأن تكون فتحة في الجدار وهذه الفتحة في الجدار فقط كأنها مثل رف يوضع فيها المصباح، يعني هذه الكوة ليس مفتوحة إلى الخارج بحيث يدخل منها الضوء أو تكون مثل النافذة، الكوة مكان يُفتح في الحائط مثل الرفوف، رف، الرف الخاص بوضع المصباح يمكن أن نقول هكذا، ويمكن أن تكون المشكاة أيضاً مثلاً الإطار الذي يُوَطَّر به المصباح مثلاً في زماننا هذا كأن يكون عندنا ضوء وحول هذا الضوء إطار هذا الإطار يحفظ فيه المصباح وكأن يكون في داخل هذا الإطار شيء من مرايا لزيادة نور المصباح أو للزينة أو لتجميل المصباح، بالنتيجة المشكاة هو المكان أو الحاوية التي تحوي المصباح قد تكون كوة في جدار.

قد تكون مكان على منضدة، قد يكون إطار أو شيء يوضع على المصباح هي هذه المشكاة، المشكاة شيءٌ يحيطُ بالمصباح، المصباح هو نفسه النور، النور المتوهج، قديماً كانوا يصنعون المصابيح من أي شيءٍ؟ من دُبَالَةٍ وهذه الدُبَالَة تكون منقوعة في الزيت، في زيت الزيتون مثلاً أو في زيتٍ آخر ﴿المصباحُ في

زُجَاجَةٌ ﴿﴾ وإنما توضع الزجاجاة لأي شيء؟ لتجميل المصباح، للحفاظ على ضوء المصباح، ولزيادة نور المصباح بسبب شفافية هذه الزجاجاة ﴿﴾ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مُصْبِحُ الْمُصْبَاحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ الكوكب واضح معناه ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ طبعاً في لغة العرب الكوكب تُطلق على ما يُرى نجماً كبيراً في السماء، أمّا في المصطلحات العلمية الفلكية هناك نجوم وكواكب، النجوم التي تكون مشعة بنفسها مثل الشمس، والكواكب التي لا تكون مشعة بنفسها وإنما هي عاكسة لأضواء غيرها لإشعاعات غيرها مثل القمر مثل الأرض وغير ذلك من الكواكب، الأرض لا يُقال لها نجم لأنها كوكب لأنها تعكس أنوار الشمس، أما الشمس لا يُقال لها كوكب بحسب المصطلحات الفلكية، أما في لغة العرب الكوكب يُقال للنجوم الكبيرة الواضحة ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ الدرّي أخذ من الدرّ والدر هو هذا الحجر الذي يكون ساطعاً واضحاً منيراً مشرقاً ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ تُشَبَّه الكواكب المشعة والمشرقة والكبيرة الواضحة في السماء في وقت الليل يُقال هذا كوكبٌ درّي فكأنه ذرة ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴿﴾ الشجرة المباركة، المباركة هي التي يكون عطائها وفيراً هذا أولاً، وفي غاية الكمال، يُقال شجرة مباركة، شجرة لا عيب فيها، يعني الآن إذا كان عندنا مثلاً شجرة وهذه الشجرة مريضة فواكهها ثمارها تكون مُسوسة هل يُقال لهذه الشجرة شجرة مباركة؟!

أو تكون مثلاً ثمارها ذات طعم سيئ طعمها غير طيب، أو مثلاً الثمار الاعتيادية كبيرة وهذه ثمارها صغيرة لا يُقال لها شجرة مباركة، الشجرة المباركة هي الشجرة التي لا عيب فيها، لا نقص فيها، جذع الشجرة، ساق الشجرة، أغصان الشجرة، أوراق الشجرة في غاية الجمال، ثمار الشجرة، الشجرة المباركة هي الشجرة التي لا عيب فيها، لا عيب في جذورها، جذورها تمتص الأملاح والمعادن والمياه بشكل على أحسن وجه، أغصانها وأوراقها، خضرة أوراقها على أكمل وجه، شجرة مباركة شجرة لا عيب فيها لا نقص فيها، لا في ساقها، لا في جذورها، لا في أغصانها، لا في أوراقها، لا في ثمارها ﴿﴾ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴿﴾ الشجرة المباركة زيتونة لأن هذا الزيت هو الذي يستعمل في الإضاءة، كانت الناس بأي شيء تُضيء مصابيحها؟ بالزيت ﴿﴾ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴿﴾ ما المراد لا شرقية ولا غربية؟

وصفٌ للشجرة، شجرة الزيتون كلما طال إشراق الشمس عليها كلما كُملت ثمرتها والزيت المستخرج من ثمارها يزداد صفاءً وإشراقاً ﴿﴾ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴿﴾ يعني لا تغيب الشمس عنها صباحاً ولا عصرًا، يعني هي

واقعة في الوسط، لا هي في شرق المكان ولا في غربها، لا هي في شرق المكان فحينما تبدأ الشمس تتجه إلى المغرب تتعد عنها، ولا هي في غرب المكان فحينما تشرق الشمس تكون بعيدة عنها وإنما هي في الوسط في المركز بحيث أن الشمس من أول ظهورها إلى آخر اليوم هي مشرقة على هذه الشجرة وذلك يؤدي إلى تكامل ثمرتها وإلى جمال أوراقها وبعد ذلك ذلك يؤدي إلى أن الزيت المستخرج من ثمارها سيكون في غاية الصفاء وفي غاية النقاء وفي غاية الإشراق وهذا هو أحد معاني الشجرة المباركة، إنما كانت مباركة لأنها لا شرقية ولا غربية غذائها يصل إليها كاملاً متكاملًا فهي لا عيب فيها وثمارها كاملة، لا شرقية ولا غربية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من شدة صفائه ومن شدة نقائه قبل أن يُسَجَّرَ بالنار، يعني كأننا لسنا بحاجة إلى نار كي نُسَجَّرَ النار في هذا الزيت ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ يكاد من أفعال المقاربة، والذين يعرفون قواعد العربية ولغة العرب يفهمون هذا المضمون أن هناك مجموعة من الأفعال تسمى بأفعال المقاربة، يعني من أفعال المقاربة أوشكت أن تكون، كادت أن تكون، كأنها قريبة من أن تتحقق ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ هو لم يُضِئْ لكن لشدة صفائه، لشدة نقائه كأنه يضيء من دون الحاجة إلى النار، لا يعني أنه هو أضاء من دون النار، هو يحتاج إلى نار كي يضيء ولكن لشدة صفائه، لشدة نقائه، لكماله، كأنه لا يحتاج إلى النار، كأنه، كأنه للتشبيه هذي أفعال مقاربة ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لكنه بعد أن تمسه النار سيتحول ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نورٌ متأني من النار ونورٌ متأني من الزيت من صفاء هذا الزيت.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ هذا النور الله سبحانه وتعالى يهدي إليه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا مثل ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذاً هناك صورة أدبية عندنا، صورة جميلة جداً، صورة في غاية البلاغة، في غاية التعبير الأدبي المنمق المدبج الجميل الرصين، صورة لا أستطيع أن أصف جمالها بعباراتي هذه القاصرة وبكلماتي هذه المحدودة وبهذه الألفاظ الضيقة، لكنني أحاول وأحاول أن أقرب المعنى بقدر ما أتمكن، بحدود قدرتي القاصرة، الحديث ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نور الحقيقة في هذا العالم، نور الإيجاد والوجود، لولا هذا النور لَمَا كُنْتُ أنا ولَمَا كُنْتَ أنت، الله سبحانه وتعالى يبين لنا مثلاً لهذا النور ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ يعطينا صورةً، مشكاةً وهذه المشكاة ماذا فيها؟

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هناك مصباح، المصباح في زجاجة ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾

تتوهج، تتوهج، من أين جاء هذا التوهج؟ جاء التوهج بسبب الزيت، هذا الزيت من أين جاء؟ جاء من شجرة مباركة، شجرة كاملة لا نقص لا عيب فيها، عندنا شجرة، المثال من هنا يبدأ، عندنا شجرة مباركة، البداية من هنا، لأن النور من الزيت والزيت من أين جاء؟ جاء من الشجرة، إذأ الصورة هنا، عندنا شجرة هذه الشجرة هكذا وصفتها الآية: شجرة مباركة، جذورها لا نقص فيها، كل الغذاء الموجود في الأرض هذه الجذور ممتدة في باطن الأرض وتقتنص جميع المعادن جميع الأملاح جميع المركبات التي تحتاجها الشجرة في نموها ونمائها وفي ثمارها الذي يُعَصَّرُ منها الزيت، شجرة زيتونة، شجرة الزيتون المباركة والتي هي في مكانٍ تُشرقُ عليها الشمس من أول شروقها حتى تغيب، فتأتي الثمار كاملة ناضجة، يستخرج منها زيت صافٍ، هذا الزيت هو الذي سيكون سبباً في إعطاء هذا الضوء في هذا المصباح، وهناك زجاجة تُجَمَّلُ المصباح، وهناك مشكاة تحصرُ نور المصباح، وهناك نورٌ على نور، هذا النور من أين تأتي؟

تأتي من نور النار التي توهج بها المصباح ومن نور الزيت الذي لشدة صفائه وشدة نقائه كأنه يريد أن يشتعل من دون أن تمسه النار ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ زيتها يضيء يضيء يضيء ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يضيء من دون أن تمسه النار، أي زيتٍ هذا؟! زيت فاطمة، الروايات فسرت هذه الشجرة بفاطمة، هذه الشجرة المباركة فاطمة، وفاطمة من أسمائها المباركة، فاطمة لها أسماء كثيرة، أحد أسمائها المباركة، فاطمة الزهراء، فاطمة الراضية، فاطمة المرضية، فاطمة الزاكية، فاطمة البتول، فاطمة الزهرة، البعض يتصور أن تسمية الزهرة باللهجة الدارجة أبدأ الزهراء من أسمائها فاطمة الزهراء وفاطمة الزهرة، زهرة الوجود، وفاطمة الزهرة زهرة السماء، ففاطمة من أسمائها الزهراء ومن أسمائها الزاهرة ومن أسمائها الزهرة ومن أسمائها الزهرة وأسمائها كثيرة، وإن شاء الله في يوم من الأيام نتحدث عن أسمائها، ومن أسمائها المباركة، هذه الشجرة المباركة هي فاطمة، هذه الشجرة النقية التي امتدت جذورها أين امتدت؟ امتدت جذورها في أرض الوجود في حقيقة الوجود، هذه الشجرة المباركة فاطمة وتلكم الأغصان الطاهرة ذريتها الطاهرة، وتلكم الثمار الطاهرة.

أليس في الروايات عندنا أن هذه الشجرة هي فاطمة وأن هذه الشجرة في أصلها في جذورها في عمقها - أنا وعليّ من شجرة واحدة وسائر الناس من شجرٍ شتى - هذه الشجرة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، أليس الروايات تقول بأن الثمار أولادها وأن الورق شيعتها هذا الورق الملتف بهذه الشجرة شيعتها، أوراقها شيعتها، وثمارها أولادها، والشجرة فاطمة وأصلها مُحَمَّدٌ وعليّ، الروايات هكذا بينت لنا مضامين وصور أخرى مرسومة لوحات أخرى لهذه الشجرة، وإن شاء الله نتحدث عن هذه الشجرة المُطَهَّرَة، هذه الشجرة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وهذا النور هو نور الولاية، نحن قلنا توحيداً

وولاية، هذا الزيت هو زيت الولاية، فكأن الآية تريد أن تقول إن هذا الزيت لكماله ولفضله كاد أن يكون من دون أن تمسه نار القدرة وهو تعبيرٌ مجازي، كاد أن يكون من دون أن تمسه نار الجبروت، يكاد فعل مقارنة يعني لم يكن كذلك، وإنما التعبير هنا التعبير القرآني تعبير الباري سبحانه وتعالى في كتابه الكريم يريد أن يبين فضل مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، أن هذا الزيت يكاد أن يضيء ولو لم تمسه نار، كأنه يحمل في ذاته قدرة ذاتية، ولكن هذه القدرة الذاتية من أين متأتية؟ هي عطاء الله سبحانه وتعالى لأنهم وجه الله، وجه الله الذي لا يفنى، ووجه الله الذي لا يهلك، فحدود معرفة أهل البيت بين هذين المعنيين بين هذا المعنى الذي أشرت إليه قبل قليل في رواية الإمام الباقر وبين هذا المعنى الذي أشارت إليه هذه الآية المباركة، وبودي أن أتحدث ولا أقف ولكن ماذا نصنع للوقت، ماذا أصنع للوقت؟ بودي أن أتحدث وأتحدث وأتحدث ولا أنهي الحديث حتى تنتهي الحياة ولكن ماذا نصنع لمشاغل الحياة، وماذا نصنع لطبيعة الحياة، فهذه حياتنا وكما قلت قبل قليل إنها فرصة، قطعة من زمنٍ أقتنصه من هذا العمر الذي هدرناه يميناً وشمالاً.

سادتي آل مُحَمَّدٍ منكم أبتدي وإليكم أعود أنتم ملاذي وأملي ورجائي في الدنيا والآخرة وأقول لأحبتني أولياء مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ إن كان في هذا الحديث شيءٌ من حُسن فهو وحقٌّ عليّ من حُسنهم، وإن كان فيه شيءٌ من قُبْحٍ وشيءٌ من نقصٍ وشيءٌ من سوءٍ تعبير فهو مني، فما كان من حُسنٍ ومن جمالٍ فهو منهم وما كان من سوءٍ ومن نقصٍ فهو مني، أقول آخر كلمة في هذه الحلقة الكلمات التي تلفظ بها الكميت ومات بعدها وانطفأت حياته، آخر كلمات قالها الكميت بن زيد الأسدي، آخر كلمات ما هي؟ قال:

اللَّهُمَّ آلِ مُحَمَّدٍ آلِ مُحَمَّدٍ آلِ مُحَمَّدٍ

أسألکم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الثانية

مقدمة ثانية لبيان معاني الزيارة الجامعة

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الثانية من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة. مرّ في الحلقة السابقة شيءٌ من كلامٍ كان بمثابة مقدمةٍ أولى قبل الشروع في بيان معاني وفحوى نص الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن إمامنا المهادي صلوات الله وسلامه عليه والذي نعيشُ في هذه الأيام أيام ولادته وأيام شهادته أيضاً على ما أخبرت به جملة من الروايات والأخبار، بشكلٍ موجزٍ أشيرُ إلى أهم نقطةٍ تقدّم الحديث عنها في الحلقة الماضية، النقطة المهمة التي تحدّثتُ عنها والتي لا بد أن نأخذها بنظر الاعتبار على طول حلقات هذا البرنامج حين بيان معاني ومضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، قلتُ إنّ كلامنا لا بد أن يكون محصوراً ولا بد أن يكون محاطاً بسياجٍ تحدّثتُ فيه عن أساسين مهمين:

الأساس الأول: التوحيد.

والأساس الثاني: الولاية بمعناها الأعم ولاية النبي ثم ولاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وأن جملة عقائدنا إنما هي تندرج تحت عقيدة التوحيد فكل عقيدة وكل فكرة وكل قولٍ يتعارض مع عقيدة التوحيد لا قيمة له ومرفوضٌ أساساً بالجملة وبالتفصيل، أشرتُ إلى أمرين مهمين بشكلٍ سريعٍ أتناولهما في هذه الحلقة:

الأمر الأول: ما جاء في الرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه والرواية مروية عن إمامنا الزاكي العسكري - فقيل للباقر عليه السلام: **فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مُوَالَاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبِعُوضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ** - المراد من البعوضة الإشارة إلى الآية الكريمة التي أشرتُ إليها وهي الآية السادسة والعشرون من سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضَةَ فَمَا فَوْقَهَا﴾ الكلام عن هذه الآية الشريفة - فقيل للباقر عليه السلام: **فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مُوَالَاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبِعُوضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ مَا فَوْقَهَا وَهُوَ الدُّبَابُ** - يعني أكبر منها - **وَأَنَّ مَا فَوْقَهَا وَهُوَ الدُّبَابُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**، فقال الباقر عليه السلام: **سَمِعَ هَؤُلَاءِ شَيْئًا لَمْ يَضَعُوهُ عَلَيَّ وَجْهَهُ إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَاعِدًا ذَاتَ يَوْمٍ هُوَ وَعَلَيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَسَمِعَ**

آخر يقول: ما شاء الله وشاء علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقرنوا مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ، مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ عَلِيٌّ إِنْ مَشِئَ اللَّهُ هِيَ الْقَاهِرَةُ الَّتِي لَا تُسَاوَى وَلَا تُكَافَى وَلَا تُدَانَى، وَمَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَذِبَابَةٌ تَطِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِكِ الْوَاسِعَةِ وَمَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَبَعُوضَةٍ فِي جَمَلَةٍ هَذِهِ الْمَسَالِكِ مَعَ أَنْ فَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَفِي بِهِ فَضْلُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ، هَذَا مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي ذِكْرِ الذَّبَابِ وَالْبَعُوضَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ - الرِّوَايَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ وَإِنَّمَا أوردتها مرةً ثانية ذَكَرَها فِي الْحَلْقَةِ السَّابِقَةِ وَهِيَ أَنِّي أَتَلُوها عَلَى مَسَامِعِكُمْ فِي الْحَلْقَةِ الثَّانِيَةِ لِتَوْكِيدِ هَذَا الْمَعْنَى وَلِتَأْكِيدِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ أَنْ كُلَّ وَجُودٍ إِذَا مَا قِيسَ بِوُجُودِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَمَا هُوَ إِلَّا ظِلَالٌ، الْوُجُودُ الْأَصْلُ هُوَ الْوُجُودُ الْإِلَهِيُّ الْأَوَّلُ، هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا أَوْلِيَةَ لِأَوْلِيَتِهِ وَهُوَ الْآخِرُ الَّذِي لَا آخِرِيَةَ لِآخِرِيَتِهِ، هُوَ الْأَوَّلُ عَلَى أَمِّ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ الْآخِرُ عَلَى أَمِّ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ عَلَى أَمِّ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ عَلَى أَمِّ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ الْوَاسِعُ الْحَيْطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى أَمِّ الْحَقِيقَةِ أَيْضًا، الرِّوَايَةُ هُنَا وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ صَرِيحَةٌ فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِذَا مَا قِيسَتْ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَشْرْتُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى.

وأشرتُ أيضاً إلى ما جاء في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور المباركة، الآية المعروفة بآية النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وبينت جوانب من معنى هذه الآية لا أعيد ما بينته في الحلقة الماضية لكنني أشير فقط إلى نقطتين:

النقطة الأولى: بأن هذه الآية هي أعظم آية أشارت إلى أعظم منازل أهل البيت، إلى أعظم منازل النبي وأهل بيته، هذه الآية تحدثت عن الحقائق الأولى، عن الحقيقة المُحَمَّدِيَّة، عن الحقيقة العلوية، عن الأنوار الأولى، عن الأشباح الأولى، عن الحقائق الأولى، عن حقائق مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وهذه الآية يمكن أن أقول عنها بأنها أعظم آية في كتاب الله تحدثت عن أعظم منازل النبي وأهل بيته صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وجوهر الآية ولُبَّها الحقيقة الزهرائية، هذه الشجرة المباركة هي فاطمة حقيقة فاطمة صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهَا، هذه الشجرة المباركة الزيتونة التي لا هي شرقية ولا هي غربية، هي منزهة عن العوالم العلوية ومنزهة عن العوالم السفلية، هذه حقائق أُسْمِي من كل هذه العوالم،

العوالم الشرقية هي العوالم العلوية التي أشرق فيها النور، والعوالم الغربية هي العوالم السفلية والتي أشرقت فيها ظلمات الطبيعة، أشرقت فيها ولم تُشرق فيها الأنوار القادسة، قيل لها غربية لأن الأنوار ما أشرقت فيها وإنما الذي أشرق فيها أي شيء؟ أشرق فيها ظلام الطبيعة وحينما أقول أشرق فيها ظلام الطبيعة فهذا معنى مجازي، العوالم الغربية هي العوالم الطبيعية، عالمنا الأرضي وما يشبهه من العوالم الأخرى، في السماء الدنيا أو ما دون ذلك، ما تسمى بالعوالم السفلية، ما تسمى بالعوالم المظلمة، ما تسمى بالعوالم الترابية، ما تسمى بالعوالم الطبيعية سمي ما شئت، هذه الحقائق لا هي شرقية ولا هي غربية لأن ما في العوالم الشرقية وما في العوالم الغربية إنما هو مشتق من أنوار هذه الشجرة، أول ما خلق الله خلق الله هذه الشجرة، هذه الشجرة الزيتون التي جعلها لا شرقية ولا غربية وإنما من نورها أشرقت العوالم الشرقية وأشرقت العوالم الغربية، وكما قلت قبل قليل فالعوالم الشرقية هي العوالم العلوية ما تسمى بعالم الملاء الأعلى أما العوالم الغربية فهي العوالم السفلية وهي عوالم الطبيعة وهي عوالم الغواسق والظلمات المادية، فهذه الحقيقة هي الشجرة المباركة هي الحقيقة التي قُدّست ونزّهت عن أي شيء؟ عن العوالم الشرقية وعن العوالم الغربية، ومن هنا تتضح حقيقة هذه الشجرة ومنزلة هذه الشجرة.

الكلام في الزيارة الجامعة الكبيرة إنما يكون بين هذا الأمر الذي بينه إمامنا الباقر في الرواية التي تلوّتها على مسامعكم مرة ثانية قبل قليل، وبين هذا المضمون العالي الكبير الذي أشارت إليه آية النور الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور المباركة، هذه المسألة الأولى وهذا الأمر الأول الذي أحببت الإشارة إليه وأحببت تأكيده لأجل التذكير لأجل أن تكون هذه المعاني حاضرة دائماً حينما نشرع في بيان مضامين الزيارة الشريفة.

الحلقة هذه أيضاً هي بمثابة مقدمة ثانية قبل أن نشرع في بيان معاني الزيارة الشريفة.

المسألة الثانية أيضاً التي أريد الإشارة إليها، لقد قلت في طوايا حديثي كلاماً حين تحدثت عن عظمة هذه الزيارة الكريمة، أعني الزيارة الجامعة الكبيرة، قلتُ بأنني هنا لا أريد أن أوثق الزيارة الجامعة الكبيرة وإنما هي التي توثقني، وهنا يسأل بعض الإخوان عن هذا المضمون عن هذا المعنى: ما هو مقصودي إنني لا أريد أن أوثق الزيارة الجامعة وإنما هي التي توثقني؟! مرادي من هذا الكلام إن الزيارة الجامعة الكبيرة:

أولاً: وردت في أوثق المصادر وقد أشرت إلى مصادرها وإلى الكتب التي نقلت هذه الزيارة الشريفة، ولا أريد أن أعيد الكلام، الكلام مرّ في الحلقة الماضية، الزيارة وردت في أوثق المصادر وفي أهم المصادر الحديثية، هذا أولاً.

وثانياً: متّ الزيارة من أقوى المتون التي وردت عن أهل بيت العصمة في البناء الأدبي وفي البناء اللغوي أو في البناء المعرفي، يعني نحن في مواجهة نص يتكامل أدبياً ولغوياً ويتكامل معرفياً، أما تكامل هذا النص أدبياً

ولغويًا فذلك راجع إلى البنية البلاغية وإلى البنية البيانية وإلى البنية المعنوية التي نُظمت ورُصفت فيها عبارات وألفاظ هذه الزيارة، وأما البناء المعرفي للزيارة فذلك سيتضح من خلال ما سأتمكن من بيان مضامينه ومعانيه وستتجلى هذه الحقيقة من أن هذه الزيارة تشتمل على بناءٍ عقائديٍّ معرفيٍّ يندر أن نجدُهُ في نصوصٍ أخرى، ربما نمتلك نصوص قليلة إن كان في نصوص الأخبار والأحاديث أو في نصوص الزيارات نمتلك نصوصاً قليلة مماثلة لهذا النص الجامع المانع - علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً - هناك قولٌ بليغٌ كامل كما مرَّ الكلامُ في بيان هذا الكلام.

ومن جهةٍ ثالثة: قوة المصادر، وثيقة المصادر، وقوة المتن، قوة هذا النص، هناك أمرٌ ثالث وهو إن جميع المضامين التي وردت في هذه الزيارة الشريفة هذه المضامين وردت بخصوصها وفي بيان مضامينها ومعانيها رواياتٌ كثيرةٌ جداً، يعني نَحْنُ إذا أردنا أن نأخذَ كل عبارة وكل فقرة من فقرات هذه الزيارة فنضعها في مكان ثم نجعل هذه الفقرة عنوان وعلى أساسه مثلاً نذهب إلى الجوامع الحديثية التي جُمعت فيها أحاديثُ أهل البيت لوجدنا العشرات بل المئات من النصوص تتطابق وتتفرع على هذه العناوين المُجملة التي جاءت مذكورةً في الزيارة الجامعة الكبيرة، يعني يمكن أن أقول بأن العناوين والمصطلحات التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة هي بمثابة فهرست، فهرس للعناوين الموضوعية التي تحدثت عنها كلمات أهل البيت لا في مجموعة محدودة من الروايات، لا في مئة رواية أو في مئتين، هناك أعداد هائلة من النصوص، هناك آلاف من النصوص، الحديث ليس عن عشرات أو عن مئات، الحديث عن آلاف من النصوص وردت عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كتبنا الحديثية التي جَمَعَت كلمات وأحاديث أهل البيت، وطبعاً لا تستغربوا أبداً بأن أقول وحتى في كتب المخالفين لأهل البيت، هناك الكثير من النصوص التي تأتي منسجمةً مع مضامين الزيارة الجامعة ودالة على نفس معانيها وفحوايها.

أنا أشرت في الحلقة الماضية إلى مصدرٍ من مصادر المخالفين لأهل البيت وهو كتاب فرائد السمطين، وإنما أشرت إلى هذا المصدر لا اهتماماً مني بما يأتي في كتب المخالفين لأهل البيت، نحن لا نعتمدُ على حديثٍ لا يأتي من طريق أهل البيت، حديثنا نأخذُهُ من طريق أهل البيت ومن طريق أشياخ أهل البيت من طريق أوليائهم، لكن لأن هناك الكثيرين ممن يتابعون هذا البرنامج من غير أتباع أهل البيت ولا يملكون مصدرًا شيعياً يجدون فيه هذا النص لذلك أنا نبهت إلى هذه القضية قلت بأن هذا النص قد جاء مروياً في كتابٍ من كتب السنة وهو فرائد السمطين للمحدث الجويني الشافعي، فمن هنا قلت بأنني لا أريدُ توثيق الزيارة الجامعة، الزيارة الجامعة هي التي توثقني، إذا كانت هذه الزيارة وردت في أهم المصادر وحتى أن من السنة من رواها، وإذا كانت هذه الزيارة تمتازُ بقوة متنها من جهة اللغة والأدب ومن جهة القيمة المعرفية فضلاً عن أن الآلاف من النصوص في أحاديث أهل البيت تأتي متناسقةً ومستوسقةً ومتوافقةً لِمَا في مضامين هذه الزيارة

الشريفة، فكيف لا توثقني هذه الزيارة؟!!

الزيارة هي التي توثقني إذاً، لأنني حين لا اعتقد بمضامينها فذلك القدر لا في الزيارة سيكون القدر في وفي غيري إذا كان أيضاً لا يعتقد بمضامين هذه الزيارة، وإن الاعتقاد بمضامين هذه الزيارة هو مدح لمن يعتقد بها وبذلك ستكون سبباً هي للتوثيق ولا تحتاج إلى توثيق، أما أولئك الذين يريدون البحث في سندٍ رجالي وهو قرينة ضعيفة جداً بالقياس إلى هذه القرائن فذلك ما لا قيمة له أبداً، لأن الأمور إنما تثبت لا من جهة واحدة، نحن كيف تثبت عندنا النصوص؟ تثبت عندنا النصوص من خلال القرائن ومن خلال الأدلة ومن خلال البيئات ومن خلال الشواهد التي تحفُّ النص، وهذه القرائن والبيئات التي تحفُّ النص قد تكون في السند، قد تكون في المصدر، قد تكون في الشهرة في شهرة هذا الحديث، قد تكون في قوة المتن، قد تكون في موافقة هذا المتن للمتون الصحيحة الأخرى، وقد تكون وقد تكون، هناك الكثير من القرائن التي من خلالها نستطيع أن نعرف مدى وثاقة هذا النص.

ومع كل ذلك مع كل هذه الأمور التي أشرتُ إليها وأنا هنا لستُ بصدد توثيقها لو كنتُ بصدد توثيقها لاحتجتُ في هذا المطلب إلى ساعاتٍ وساعاتٍ لأنني سأضطر إلى تطبيق هذا النص مع النصوص الأخرى ومع المصادر الأخرى وهذا يحتاج إلى وقتٍ طويل، ولكن لو أردنا أن نلقي نظرة تاريخية على الأجيال التي مرت من علمائنا، كل علمائنا كانوا قد تلقوا هذه الزيارة بالقبول والاعتقاد وقد شُرحت شروحات كثيرة هذه الزيارة الشريفة، تلقاها العلماء بالقبول وبالاعتقاد بها وبالعامل على أساسها وبزيارة الأئمة بها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا أريد الإطالة أكثر من ذلك وإنما أتناول مسألة أخرى تتعلق بالمقدمة الثانية. قلتُ قبل قليل بأن الحلقة الماضية إنما هي عبارة عن مقدمة أولى تسبق الحديث في بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، والحلقة هذه أيضاً هي بمثابة مقدمة ثانية.

سيكون كلامي في المقدمة الثانية بعد أن بينتُ التوضيحات التي أشرتُ إليها قبل قليل سيتناول كلامي أولاً معنى الزيارة، قبل أن أدخل في نص الزيارة، ما هو المراد من الزيارة؟ لماذا نور الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ لماذا نور الأئمة؟ هناك جوانب كثيرة، أنا سأشير إليها، لكنني سأركز النظر إلى نقطة من هذه النقاط، هناك عدة أبعاد في زيارة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

البعد الأول من أبعاد زيارة الأئمة هو البعد العقائدي، ومُرادي من البعد العقائدي إنما حين نور الأئمة صلوات الله عليهم إنما نجد العهد معهم، وهذا من واجباتنا، هناك عهود ومواثيق، عهود الإمامة ومواثيق الإمامة التي أعطيناها لأئمتنا، هذي عهود ومواثيق أُخذت في أصل الحلقة، في أصل الحلقة أُخذت، في أصل الوجود، وهناك عهود ومواثيق أُخذت في عالم الذر، وهناك عهود ومواثيق أُخذت في عالم الأضلاب، وهناك عهود ومواثيق أُخذت علينا بعد أن قامت علينا الحجج، بعد أن خرجنا إلى الدنيا، وبعد أن بلغنا

سن التكليف، هناك عهد الإمامة وعقدُ الولاية في أعناقنا، ومن الوفاء لهذا العقد ولهذا الميثاق هو زيارة الأئمة التي تعطي هذا المعنى هو تجديد العهد مع الأئمة، وهذا بُعد عقائدي، قلت بأن الزيارة فيها عدة أبعاد، البعد الأول البعد العقائدي، البعد العقائدي يشتمل على هذا المعنى على معنى تجديد العهد، على معنى توكيد الميثاق، نحن حين نزور الأئمة إن كانت هذه الزيارة من قريبٍ أو من بعيدٍ على حدٍ سواء، أئمتنا يسمعوننا إن كنا نزورهم من قريبٍ أو من بعيدٍ، حين نخاطب الإمام عليه السلام: **أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ سَلَامِي** - حين نخاطبه هكذا بأنك أشهد وهذه شهادة عقائدية - **أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي وَتَرُدُّ سَلَامِي** - هذا النوع من التعامل وهذا النوع من الترابط لا يحول فيما بينه وبين الإمام وبين المأموم التضاريس الأرضية، الإمام يسمع كلامنا في أي مكانٍ كنا - **أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي وَتَرُدُّ سَلَامِي** - يا ابن رسول الله، البعد العقائدي فيه هذا المعنى الأول وهو معنى تجديد العهد معنى توكيد الميثاق.

وهناك بُعد آخر البعد الآخر هو صلة الإمام، يجب علينا أن نصلي الإمام، لماذا؟ لأن صلة الإمام هي صلة رسول الله، وإن الرحم الذي يجب أن نصله هو رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الرحم الذي يجب علينا أن نصله هو رحم رسول الله، الروايات التي تقول: **إن الرحم مُعلقةٌ بالعرش فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعها الله - أي رحم هذا؟! هل هو رحم عوائلنا؟! هذا رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - إن الرحم مُعلقةٌ بالعرش فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعها الله** - هذه المعاني التي نقرأها في زيارات أهل البيت وخصوصاً مثلاً في زيارة الصديقة الطاهرة ونحن نخاطبها نخاطب بنت رسول الله: **وَأَنْ مِنْ وَصَلِكَ فَقَدْ وَصَلَ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنْ مِنْ قَطَعِكَ فَقَدْ قَطَعَ رَسُولَ اللَّهِ** - من وصلها وصل رسول الله ومن قطعها قطع رسول الله وهذا المعنى يجري فيها وفي ولدها إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

فالبعد العقائدي في الزيارة لأئمتنا أولاً فيه تجديد عهد الولاية وتوكيد ميثاق الإمامة مع عليٍّ وآل عليٍّ، وفيه أيضاً صلة عليٍّ وآل عليٍّ، صلة رسول الله وآل رسول الله، الرحم المعلقة بالعرش هي رحم مُحَمَّدٍ والصلة التي نصل بها هذا الرحم هي صلة الله فمن وصل مُحَمَّدًا فقد وصل الله لأنه من أطاع مُحَمَّدًا أطاع الله، من أحبَّ مُحَمَّدًا أحبَّ الله، من عصا مُحَمَّدًا عصا الله، من أبغض مُحَمَّدًا أبغض الله، هذه صلة الله، نحن حين نزور أئمتنا فكأنما نزور الله سبحانه وتعالى، الذي يزور الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو زائر الله، الروايات تبين هذا المعنى، مثل ما أن الذي يذهب إلى الحج، يذهب إلى العمرة، والذاهب إلى الحج والذاهب إلى العمرة هو زور الله، زور الله يعني هو زائر الله، زيارتنا لأئمتنا هي زيارة الله، هي صلة الله سبحانه وتعالى، هذا هو البعد الأول البعد العقائدي في زيارة الأئمة، البعد العقائدي في معناه الأول في تجديد العهد وتوكيد

الميثاق، وفي معناه الثاني في صلة الرحم، هناك عندنا روايات، روايات تحدثت عن صلة الرحم بأي معنى؟ صلة الرحم بالمعنى الاجتماعي، صلة الرحم بالمعنى النَّسَبِي، طبعاً هذا من المعاني الأكيدة والمهمة والتي حثت عليها الروايات، وعندنا في الروايات الشريفة التأكيد الشديد على صلة الرحم النسبي، صلة الرحم الاجتماعي، صلة الرحم الإنساني، لكن صلة الرحم بالمعنى الأصلي بالمعنى الأصيل وبالمعنى الأول هي صلة الرحم الإلهي صلة رحم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإنَّ من قطع رحم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد لن يدخل إلى الجنة، وهذه الروايات التي تقول بأن قاطع الرحم لن يشم رائحة الجنة أيُّ رحمٍ؟ رحم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، أما قاطع الرحم الإنساني، قاطع الرحم الاجتماعي يمكن أن يدخل الجنة إذا ما رضي عنه أرحامه في يوم القيامة، لكن الذي يقطع رحم آل مُحَمَّد لا يمكن أن يدخل الجنة لأن الروايات صريحة واضحة في أن الجنة لن يدخل فيها مَبغضٌ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

الروايات واضحة صريحة لَمَّا يتحدث إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن أبواب الجنان فيقول: بأن للجنة ثمانية أبواب، قال بابٌ للأنبياء والصدّيقين، وبابٌ للشهداء والصالحين، وخمسة أبوابٍ لشيعةنا، والباب الثامن لمن قال: لا آله إلا الله وليس في قلبه ذرة من بغضنا أهل البيت - إذاً هناك شيء يمنع من الدخول إلى الجنان وهو بغض مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والباب الثامن لمن قال لا آله إلا الله وليس في قلبه ذرة من بغضنا أهل البيت، إذاً المانع الذي يحول فيما بين الناس وبين الجنان يوم القيامة هو بغض أهل البيت، ومن هنا قلتُ قبل قليل بأن قاطع رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والمراد من قاطع رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد الذي أعرضَ عن العترة، وليس المراد هنا من قطيعة الرحم قطيعة الرحم النسبية، الحديث عن رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ليس كل من ينتسب بنسبة الرحم إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وإن كان هذا الأمر أيضاً صلة أرحام النبي النسبيين أيضاً من الأمور التي أكدت عليها الروايات، ولا أريد الحديث عن هذه القضية، لكن الحديث عن رحم مُحَمَّدٍ المعلقة بالعرش الحديث عن الكتاب والعترة، حينما نريد أن نصل رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أن نصل الكتاب والعترة، رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هو دين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ودين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هو الكتاب والعترة، والحديث عن صلة رحم مُحَمَّدٍ الحديث عن صلة الكتاب والعترة، على أي حال لا أريد التفريع كثيراً في هذه القضية لكنني قلت بأن للزيارة مجموعة من الأبعاد منها البعد العقائدي وتحدثت عنه.

ومنها أيضاً البعد العبادي فالزيارة عبادة من العبادات وقربة من القربات يُتَقَرَّب بها إلى الله، الزيارة عبادة يترتب عليها الثواب العظيم والأجر الجزيل وليس المقام هنا للحديث عن الثواب العظيم وعن الأجر الجزيل الذي يترتب على الزيارات، فذلك بابٌ واسعٌ لا أريدُ الدخول إليه في هذه الحلقة، البعد العبادي، الزيارة عبادة والعبادة أمرٌ يترتب عليه الثواب والأجر والزيارة من العبادات ومن الأعمال التي يترتب عليها ثوابٌ عظيمٌ وأجرٌ جزيلٌ لا يترتب على الكثير من العبادات، ولربما، نص واحد فقط أشير إليه، نص واحد جاء في

كامل الزيارات هذا النص يتحدث عن زيارة الحسين في يوم عرفة، ماذا يقول هذا النص؟ روايات أهل البيت ماذا تقول؟ ألا تقول بأن الله سبحانه وتعالى ينظرُ إلى زوار الحسين في يوم عرفات قبل أن ينظر إلى الواقفين في الموقف في عرفات، قبل أن ينظر إلى حجاج بيته، وهذا الكلام عن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإن الله ينظرُ إلى زوار الحسين في يوم عرفات قبل أن ينظر إلى الواقفين في الموقف في موقف عرفات، وأنا قلت لا أريد الدخول في هذا الباب في باب الأحاديث التي تخبرنا عن عظمة الثواب وعن عظمة الأجر الجزيل الذي يترتب على الزيارة بعنوان أنها عبادة من العبادات، هذا أولاً.

والأمر الثاني أيضاً الذي يدخل في البُعد العبادي للزيارة، الأمر الثاني الذي يدخل في البُعد العبادي أن الزيارة محطةٌ للتفكير وللاعتبار، والتفكير والاعتبار من أجلّ العبادات، أصلاً الروايات تقول ليس العبادة بكثرة الصلاة والصيام وإنما العبادة بكثرة التفكير في أمر الله، وهل هناك توجد محطة وساحة حقيقية أفضل من ساحة الزيارة للتفكير والاعتبار؟! وهذا الجانب المهم في الجانب العبادي للزيارة، فالجانب العبادي يشتمل على هذين الأمرين: الأمر الأول الزيارة هي بنفسها عبادة من العبادات يترتب عليها الثواب والأجر وهي محطةٌ من محطات حياة الإنسان، محطةٌ للتفكير وللاعتبار، محطة لتجديد التوبة، محطة لشيءٍ من المحاسبة، الإنسان حينما يكون في محضر أهل البيت فهذه فرصة، هذه فرصة أن يقرأ القرآن، ربما في بيته لا يجد فرصةً لقراءة القرآن، هذه فرصة يقرأ فيها الدعاء، هذه فرصة يؤدي فيها الصلوات المستحبة، هذه فرصة يقرأ فيها نصوص الزيارات ويتأمل المعاني والمضامين الموجودة فيها، هذه فرصة يمكن بسببها أن تقع عينه على كتاب في مكتبةٍ من المكتبات التي تحوُّط الحضرات الشريفة، هذه فرصة يمكن أن يستمع إلى موعظة أو أن يلتقي بإنسانٍ يكون سبباً إلى أن يفتح له أبواباً كبيرة وأبواباً واسعة عريضة في القرب وفي التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، الزيارة فيها بُعدٌ عباديٌّ واسع من جهة أنها عبادة ومن جهة أنها محطةٌ للتفكير والاعتبار والاتعاظ.

وهناك بُعدٌ ثالث في الزيارة أيضاً البُعد السياسي، هناك بُعدٌ سياسي والمراد من البُعد السياسي في حده العقائدي ليس البُعد السياسي السياسة التي هي بمعنى المكر والخداع والصراع على المناصب وجمع الأموال وقهر الناس وغلبة البشر ليس المراد المعنى السياسي هو هذا، وإنما المراد من البُعد السياسي هو نُصرة الحق والوقوف بوجه الباطل ونُصرة العدل والوقوف بوجه الظلم، البُعد السياسي إنَّ الزيارة تمثل موقفاً سياسياً وهذا الأمر واضح عبر التاريخ، زيارة الأئمة تعكسُ الموقف السياسي لأتباع أهل البيت إن كان بنحوٍ فردي أو إن كان بنحوٍ عام للمجتمع الشيعي، فالزيارة فيها البُعد السياسي وهو البُعد الجهادي، وهو قول الحق، وهو عمل الحق، في بعض الأحيان الإنسان ينصر الحق بقوله، وفي بعض الأحيان ينصر الحق بعمله من دون أن يقول، الذهابُ إلى زيارة الأئمة هو نُصرةٌ عمليةٌ للأئمة ونُصرة الأئمة هي نُصرة الحق، هي نُصرة الخلافة

الربانية، هي نصرته السياسة الإلهية التي يريد الله سبحانه وتعالى لهذه السياسة أن تُطبَّق على وجه الأرض، فهناك الموقف السياسي للمؤمنين بشكلٍ خاص لأفراد المؤمنين، وكذلك لعامة شيعة أهل البيت للأُمَّة الشيعية، وأيضاً يدخلُ في الموقف السياسي أمرٌ آخر وهو إحياءُ أمر أهل البيت وهذا أيضاً يمكن أن نَعُدَّهُ من فروع الأمر السياسي فهو مرتبطٌ في عقيدة الجهاد في طريق أهل البيت، إحياءُ أمر أهل البيت، وإحياءُ أمر أهل البيت يمكن أن يقوم به الفرد لوحده لكن حينما تكون الزيارات جماهيرية فهذا البُعد الجماهيري يُعطي معنى إحياء الأمر معنىً آخر ويعطيه عمقاً وبعداً آخر، في الزيارات المليونية مثلاً لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هناك إحياءٌ لأمرهم بشكلٍ جماهيري، بشكلٍ واسع، وهذا يؤكد معنى البُعد السياسي والبُعد الجهادي في زيارة أهل البيت.

وهناك بُعدٌ رابع وهو البُعد الاجتماعي، التلاقي بين المؤمنين، أن يتعارف المؤمنون فيما بينهم، أن يعرف المؤمنون مشاكل بعضهم البعض الآخر، أيضاً ما يترتب على ذلك من المنافع التي ينتفع منها المؤمنون ينتفع منها شيعة أهل البيت إن كان على مستوى السياحة، إن كان على مستوى الإعلام، إن كان على المستوى التجاري والاقتصادي، إن كان على مستوياتٍ مختلفة ترتبط بالحياة الاجتماعية للناس، فهناك بُعدٌ اجتماعي واضح في زيارات أهل البيت، هناك البُعد العقائدي، وهناك البُعد العبادي، وهناك البُعد السياسي، وهناك البُعد الاجتماعي، وهذه الأبعاد كلها إنما هي في سطح الزيارة الشريفة، الزيارة فيها معنى أعمق من كل هذه المعاني، هذه المعاني التي أشرتُ إليها إن كان في البُعد العقائدي أو كان في البُعد العبادي أو إن كان في البُعد السياسي أو إن كان في البُعد الاجتماعي وربما هناك أيضاً أبعاد أخرى يمكن الإشارة إليها كل هذه المضامين وكل هذه المعاني إنما هي في أفق واحد في سطح واحد، هناك ما هو أعمق من هذه المعاني وما هو أبعد أبعدُ غوراً من كل هذه المعاني.

زيارة أهل البيت إنما هي صورةٌ ومثالٌ لحقيقة أعمق من كل هذه المعاني، هذه الحقيقة الأعمق، هذا المثال الأعمق، وهذا التجلي الواضح إنما هو العودةُ إلى الوطن، ما جاء في الروايات الشريفة - حُبُّ الوطن من الإيمان - حُبُّ الوطن من الإيمان لا أريد الحديث عن المعنى الدنيوي الظاهري وهذا المعنى صحيحٌ أيضاً، لكن في كلمات أهل البيت هناك ما هو في أفق العبارة وهناك ما هو في أفق الإشارة وهناك ما هو في أفق اللطائف وهناك ما هو في أفق الحقائق، كلام أهل البيت فيه معنىٌ في أفق العبارات وهذا الذي أشرتُ إليه قبل قليل، ما بينتهُ في الأبعاد المذكورة قبل قليل، العقائدي، العبادي، السياسي، الاجتماعي، هذه المعاني في أفق العبارة، أما هناك أفق وراء أفق العبارة وهو أفق الإشارة، حُبُّ الوطن من الإيمان هناك إشارة وهناك تلويحٌ إلى هذه الحقيقة، إنَّ الوطن الحقيقي هو الحقيقة التي صدرت منها الكائنات، الحقيقة التي صدرت منها الكائنات هي الحقيقة المُحمَّدية، هكذا أخبرنا نبينا وأهل البيت بأن الله خلق نوراً أول ما خلق وهو

نور نبينا صلى الله عليه وآله ومن هذا النور اشتقَّ جميع الأنوار واشتقَّ جميع الكائنات، فكل الكائنات مردها إلى النور الأول إلى النور المُحمَّدي وذلك هو الوطن، الوطن الجهة التي تتوطن فيها الحقائق والجهة التي تولدت منها الحقائق، ألا يُقال الآن في اللغة وفي العُرف وحتى في الأحكام الشرعية بأن الوطن هو المكان الذي يكون مسقط رأس الإنسان، المكان الذي يكون مسقط رأس الإنسان حيث ولد وحيث عاش وحيث نشأ وترعرع هو هذا الوطن، وذلك في اللغة وفي العُرف وحتى في الشريعة، الوطنُ في المعنى الحقيقي هو الجهة التي تولد منها الوجود، حقيقتنا لا في أبداننا ولا في أرواحنا، حقيقتنا في وجودنا، الإنسان جسدٌ وروح، بدنٌ وروح، ولكن هذا البدن من دون الوجود هل يتحقق؟ وهذه الروح من دون الوجود هل تتحقق؟

حقيقة الإنسان في حقيقة وجوده، إنما كانت الروح لأن فيض الوجود تجلَّى فيها، وإنما كان البدن لأن فيض الوجود قد تجلَّى فيها، وفيض الوجود إنما تأتي من النور الأول، الوطن الحقيقي هو الحقيقة التي ولدنا منها وجئنا منها، الحقيقة التي ولد منها وجودنا وتلك هي حقيقة النور المُحمَّدي، المخلوق الأول، الصادر الأول، عبَّر ما شئت، العقل الأول، العرش الأول، قل ما شئت من العبارات والكلمات، كلها تشير إلى هذا المعنى إلى معنى الكلمة الأولى التي تكلم الله بها وبعد هذه الكلمة صدرت كل الكلمات - **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَلِمَاتِكَ بِأَتَمِّهَا وَكُلُّ كَلِمَاتِكَ تَامَةٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكَلِمَاتِكَ كُلِّهَا** - الكلمة الأتم النور الأصلي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله في الأفق الأعلى لا في الأفق الأرضي، مُحَمَّدٌ بن عبد الله في الأفق الأرضي إنما هو تجلِّي لتلك الحقيقة، نحن حين نتحدث عن أن نور نبينا هو مصدر الكائنات، الله سبحانه وتعالى جعل فيه القدرة على إيجاد الكائنات نحن لا نتحدث عن مُحَمَّدٌ بن عبد الله الذي ولد في عام كذا من أمٍّ أسمها كذا ومن والد أسمه كذا، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله الذي كان في المدينة والذي دُفن في المدينة إنما هو تجلِّي هو التجلي الأعظم لتلك الحقيقة المُحمَّدية، الكائنات الموجودات حينما أشرقت أشرقت من تلكم الحقيقة الأولى التي تجلَّى اسمها الأعظم في العالم الأرضي وهو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما تشهد به الروايات الكثيرة الكثيرة وسنأتي على بيانها إن شاء الله تعالى في حلقاتنا القادمة.

الزيارة هي عودة لمن؟ عودة للوطن، عودة للوطن الذي حال فيما بيننا وبينه غواسق عالم الطبيعة، نحن هنا في هذا العالم الطبيعي أليس هذا الحديث تحفظونه - **بأن الدنيا سجنُ المؤمن** - من جملة الإشارات في هذا الحديث له مضامين ومعاني كثيرة، لكن من جملة الإشارات بأن الدنيا سجنُ المؤمن هي السجن الذي يحول فيما بينه وبين العودة إلى وطنه، فيما بينه وبين العودة إلى بيته الأصلي، ولذلك الرحم الأصلي كما بينتُ قبل قليل هو رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، الوطن الأصلي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ هذه الملاقاة أين تكون؟ الملاقاة بالعودة إلى الحقيقة الأولى إلى الحقيقة المُحمَّدية، الله

سبحانه وتعالى خلق النور الأول ومن هذا النور شعت أنوار الوجود شعت الكائنات ونحن جئنا من ذلك النور، هذه حقيقة الخلق تحدثت عنها كلمات النبي الأعظم وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما زيارتنا إلا مثالاً إلا صورة، صورة للعودة إلى الوطن، كي نخرج من الغربية، نحن في عالم غربية، قبل قليل تحدثت عن الشجرة الزيتونة التي هي لا شرقية ولا غربية، هذه العوالم الغربية عوالم الغربية عن العالم الأصلي عن الوطن الأصلي، وحبُّ الوطن من الإيمان، حبُّ الوطن من الإيمان حب الرجوع إلى ذلك الأصل من الإيمان، بل هو الإيمان بكل معناه، نحن حين نزور أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلاً من جملة آداب الزيارة الاستئذان، في نفس مفاتيح الجنان في باب الزيارات قبل أن نشرع في زيارة النبي هناك آداب الزيارة من جملة آداب الزيارة الاستئذان، أورد المُحدِّث الثُمِّي استئذان في غاية العمق، أنا لا أريد أن أطيل الوقوف عنده كثيراً لكنني أشير إلى بعض مما ورد فيه يتناسب مع ما ذكرته، مما جاء في هذا الاستئذان حين نقف على أبواب الحضرات القدسية لنبيناً ولأئمتنا كيف نستأذن؟

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ بَقْعَةٌ طَهَّرْتَهَا وَعَقَوْتُ شَرَفْتَهَا وَمَعَالِمُ زَكَّيْتَهَا حَيْثُ أَظْهَرْتَ فِيهَا أَدْلَةَ التَّوْحِيدِ وَأَشْبَاحَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ. هُم أَدْلَةُ التَّوْحِيدِ وَهُمْ أَشْبَاحُ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ فِي وَجُودِهِمُ الْأَرْضِيِّ أَمَا فِي وَجُودِهِمُ الْعُلُويِّ فَإِنَّ الْعَرْشَ خُلِقَ مِنْ نُورِهِمْ وَسَتَّائِنَا أَحَادِيثَ النَّبِيِّ الْكَثِيرَةَ جَدًّا، وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ مِنْهَا مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي كِتَابِ الْمُخَالَفِينَ لَيْسَ فِي كِتَابِنَا فَقَطْ، هُنَاكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ أَيْضًا مَوْجُودَةٌ فِي كِتَابِ الْمُخَالَفِينَ تَشْهَدُ بِهَذِهِ الْحَقَائِقِ، بِأَنَّ الْعَرْشَ وَمَا دُونَ الْعَرْشِ خُلِقَ مِنْ نُورِهِمْ، فَهَمَّ فِي مَنْزِلَةٍ وَفِي مَرْتَبَةٍ فَوْقَ الْفَوْقِ، وَمَا الْعَرْشُ وَمَا الْكُرْسِيُّ وَمَا الْحُجُبُ إِلَّا مِنْ مَشَارِقِ أَنْوَارِ تَلَكُمُ الْحَقِيقَةُ الْقَادِسَةُ الْأُولَى، الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ - اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ بَقْعَةٌ طَهَّرْتَهَا وَعَقَوْتُ شَرَفْتَهَا وَمَعَالِمُ زَكَّيْتَهَا حَيْثُ أَظْهَرْتَ فِيهَا أَدْلَةَ التَّوْحِيدِ وَأَشْبَاحَ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ مَلُوكًا لِحِفْظِ النَّظَامِ - لَيْسَ لِحِفْظِ النَّظَامِ الدِّينِيِّ لِتَنْظِيمِ أُمُورِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ الْعَادِيَّةِ وَإِنَّمَا لِنِظَامِ الْخَلْقِ - الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ مَلُوكًا لِحِفْظِ النَّظَامِ وَاخْتَرْتَهُمْ رُؤَسَاءَ لِجَمِيعِ الْأَنَامِ وَبِعَثْتَهُمْ لِقِيَامِ الْقِسْطِ فِي ابْتِدَاءِ الْوُجُودِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِاسْتِنَابَةِ أَنْبِيََاءِكَ لِحِفْظِ شَرَائِعِكَ وَأَحْكَامِكَ فَأَكْمَلْتَ بِاسْتِخْلَافِهِمْ رِسَالَةَ الْمُنْذِرِينَ كَمَا أُوجِبْتَ رِيَاسَتَهُمْ فِي فِطْرِ الْمُكَلَّفِينَ - هَذَا النَّصُّ يَحْتَاجُ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ كَثِيرًا لَكِنِّي لَا أَحَدُّ وَقْتًا لِيُبَيِّنَ هَذَا الْمَضْمُونُ فَقَطْ أَشِيرُ إِلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي التَّبَصُّرُ بِهَذَا الْمَضْمُونِ، عَلَى أَبْنَائِي وَبَنَاتِي مِنْ مَحَبِّي أَهْلَ الْبَيْتِ أَنْ يَتَبَصَّرُوا بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ: كَمَا أُوجِبْتَ رِيَاسَتَهُمْ فِي فِطْرِ الْمُكَلَّفِينَ - هَذِهِ الرِّيَاسَةُ مَوْدَعَةٌ، هَذِهِ الرِّيَاسَةُ هِيَ الْإِمَامَةُ، هَذِهِ هِيَ الْإِمَامَةُ الْكُونِيَّةُ وَالْإِمَامَةُ الْوُجُودِيَّةُ أَمَا الْإِمَامَةُ الشَّرْعِيَّةُ هَذِهِ إِمَامَةٌ مَتَفَرِّعَةٌ عَنِ تَلَكُمُ الْإِمَامَةِ الْعَظْمَى، هَذِهِ الْإِمَامَةُ الْوُجُودِيَّةُ الَّتِي وَضَعْتَ فِي فِطْرِ الْمُكَلَّفِينَ - كَمَا أُوجِبْتَ رِيَاسَتَهُمْ فِي فِطْرِ الْمُكَلَّفِينَ - إِلَى أَنْ تَقُولَ وَأَنْتَ تَسْتَأْذِنُ الْأُئِمَّةَ، الْاسْتِئْذَانُ

طويل ولا أجدُ مجالاً لقراءته كاملاً، إلى أن تقول:

الحمدُ لله الذي منَّ علينا بِحُكَّامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان - هذي أيضاً العبارة تحتاج إلى شرح - الحمدُ لله الذي منَّ علينا بِحُكَّامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان - إلى أن نقول ونحن ندعو الله سبحانه وتعالى: وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين - لندعو بهذا الدعاء من كل قلوبنا، لندعو بهذا الدعاء ونحن نتوسلُ إلى إمام زماننا أن يُطَهِّر قلوبنا بنظرةٍ منه لحظة ما ندعو بهذا الدعاء - وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تحنُّ إلى موطنِ أقدامهم - إلهي بدماء نحر الحسين - وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تحنُّ إلى موطنِ أقدامهم ونفوسنا تهوي النظر إلى مجالسهم وعرضاتهم حتى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم - إلى أن يقول الدعاء: اللَّهُمَّ فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة حتى نقر بما يجب لهم من الأوصاف - إلى آخر الدعاء الشريف، هؤلاء هم أئمتنا، إلهي بحقِّ الحسين فاجعل أرواحنا تحنُّ إلى موطنِ أقدامهم واكتبنا في زوارهم وسجلنا في ديوان زوار الحسين من قريبٍ ومن بعيدٍ بحقِّ الحسين.

هذه مقاطع من الاستئذان الذي أورده الشيخ القمي يمكنكم أن تراجعوه وتبصروا في عبائره وفي جملته وفي كلماته الجميلة، وفي ذلك إشاراتٌ إلى هذا المضمون الذي تحدثتُ عنه وهو أن الزيارة حنينٌ إلى وطن، عودةٌ إلى وطن، الوطن الحقيقي، الزيارة إنما هي مثالٌ إنما هي رمزٌ للعودة إلى الوطن الحقيقي، الوطن الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ، الدين الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ، الروايات هكذا تقول: الوالد الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ، الأم الحقيقية مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ، الأخ الشقيق، الأنيس الرفيق، الصديق الصدوق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ الروايات هكذا أخبرتنا، القرآن الناطق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ، الحقُّ بكل معانيه هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ ولذلك يتجلى هذا المعنى في زيارتنا لأهل البيت هي العودة إلى الوطن، وكلما كان الشوقُ إلى الوطن أكثر كان معنى الزيارة أعمق، ولذلك المنافع التي ينتفعها الزائرون إن كان في أفق الثواب والأجر وإن كان في أفق المنافع المعنوية والمنافع الروحانية والمنافع الملكوتية التي ينالها الزائرون تكون مختلفة باختلاف النوايا، باختلاف المعارف، باختلاف العقول، باختلاف الحنين إلى الوطن، كم هو الحنين إلى الوطن الحقيقي؟ حينئذٍ تكون المنفعة ويكون الثواب ويكون الأجر، لأننا حينما نذهبُ إلى أوطاننا حين يعود المرء إلى وطنه بعد الغربة ماذا سيجد؟

سيجدُ أهلاً وأحباباً، سيجد احتراماً، سيجد شوقاً، وسيجد دموع لقاء، كلُّ ذلك يجعله يعيش في حالة هذه

الحالة تسمو فيها روحه، هذا في الوطن المادي في الوطن العادي للحياة البشرية، أما الوطن الحقيقي فهذا ما تذكره لنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ماذا تقول الزيارة الجامعة الكبيرة وهي تحدثنا عن بعض الجوانب التي سنجدها حين نعود إلى وطننا الحقيقي - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ - نحن حين نزورهم عنوان الزيارة هو الصلاة عليهم والسلام عليهم - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طيباً لِخَلْقِنَا - عملية تكوينية هناك تغييرٌ تكويني - طيباً لِخَلْقِنَا - للخلق - وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا، وَتَرْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا - يعني الكفارة للدنوب هي آخر مرتبة، المرتبة الأعلى طيباً لخلقنا، طيباً لأصل وجودنا - طيباً لِخَلْقِنَا، وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا، وَتَرْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا - هذا ما سنجدُه حين نعودُ إلى الوطن، إلى الوطن الحقيقي، إلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وربما أيضاً ستتضح لنا معاني أخرى من معاني الزيارة في طوايا شرحنا لما سنقرأه من نص الزيارة الجامعة الكبيرة.

لا زلتُ في المقدمة الثانية لكنني سأبدأ بقراءة النص لأن للنص مقدمة فالسائل سأل الإمام: علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرتُ واحداً منكم، فقال عليه السلام: إذا صرت إلى الباب - إلى باب الحضرة الشريفة - فقف وأشهد الشهادتين - وسأتي على شرح الشهادتين - فقف وأشهد الشهادتين - فلا أقف هنا عند شرح الشهادتين لأن الشهادتين بل الشهادات الثلاث سيأتي ذكرها في ضمن نص الزيارة - فاشهد الشهادتين - أي قل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله - وأنت على غسل فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امشي قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خُطاك - قارب بين خُطاك أن تكون خطواتك ليست عريضة هذا المراد قارب بين خُطاك - فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امشي قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خُطاك، ثم قف وكبر الله عز وجل ثلاثين مرة، ثم أدنو من القبر وكبر الله أربعين مرة تمام مئة تكبيرة، ثم قل: أَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ ... - إلى آخر الزيارة.

هذا الكلام سيكون في ضمن حديثي في المقدمة الثانية، لا زال الحديث في المقدمة الثانية، لأنني حين أقصدُ الزيارة الجامعة أو حين أتحدث عن نص الزيارة الجامعة فإنما أعني ابتداءً من قوله عليه السلام: أَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ ... - إلى آخر النص، أما هذه المُقدمات ذكرُ الشهادتين والغسل وهذه التكبيرات المئة وكيفية الدخول هذه مقدمة للزيارة، قلتُ بأن الحديث عن الشهادتين سيأتي في ضمن نص الزيارة وكذلك لا أريد أن أقف على الإشارات أو المعاني التي يمكن أن نذكرها عند ذكرنا للطهارة للوضوء وللغسل، وهذه معاني يمكن أن تأخذ منا وقتاً لا أجد مجالاً الآن للحديث عنها، أنا أريد أن أختصر الكلام

حتى نشرع قريباً في النص الأصلي للزيارة الجامعة الكبيرة، لكن هذه المسألة بحاجة إلى بيان وهو أنك تقف فتكبر ثلاثين مرة، ثم تخطو بخطوات وتكبر ثلاثين مرة، ثم تدنو من القبر وتكبر أربعين مرة فهذه مئة كاملة، أقف هنا لبيان معنى التكبير ولبیان الحكمة من هذه العبادة أو من هذا الذكر أو من هذا الطقس أو من هذا المنسك، تكبر ثلاثين ثم تكبر ثلاثين ثم تكبر أربعين وأنت في خلال مشيتك من الباب إلى القبر الشريف إلى قبر المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أولاً ما المراد من التكبير؟ حينما نقول الله أكبر ما المراد من قولنا الله أكبر؟ لا أريد أن أطيل في الكلام ولا أريد أن أدخل في التفاصيل اللغوية وما قاله شراح هذه الألفاظ.

بنحو مستقيم أذهب إلى كتاب الكافي، وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال رجلٌ عندهُ اللهُ أكبر - رجل كان جالساً عند الإمام الصادق الرواية يرويها الشيخ الكليني بسنده عن ابن محبوب، على أي حال، كان هناك رجل جالس عند الإمام الصادق فهذا الرجل قال: اللهُ أكبر، الإمام سأله - فقال: اللهُ أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء - الرجل قال اللهُ أكبر، الإمام سأله: اللهُ أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، ماذا قال له الإمام؟ - فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددته!! - يعني جعلت لله حداً، هناك رواية ثانية الإمام ماذا قال له؟ - وكان ثمَّ شيءٌ فيكون أكبر منه؟ - هل هناك شيء حتى تقول بأن اللهُ أكبر من كل شيء؟! كان اللهُ ولم يكن معه شيء، إذاً ماذا نقول؟ - فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قل اللهُ أكبر من أن يوصف.

ولا اعتقد بأنني وكذلك المشاهدون يجدون بياناً في معنى اللهُ أكبر أجمل من هذا البيان، هل كان مع اللهُ شيء حتى نقول اللهُ أكبر من كل شيء؟! كيف نقيس اللهُ مع الأشياء!! الأشياء لا حقيقة لها، الحقيقة لله، وكل شيء ما خلا اللهُ باطل، الحقُّ والحقيقة اللهُ سبحانه وتعالى، وكل شيءٍ ظلاله، وكل شيءٍ آياته، وكل شيءٍ أسمائه، وكل شيءٍ كلماته، وكل شيءٍ عبيده، كل شيءٍ راجعٌ إليه - إنا لله وإنا إليه راجعون - إنا لله هذه اللام، هذه اللام لام الملك، إنا لله نحن ملكٌ له فلا يُقاسُ اللهُ سبحانه وتعالى بخلقه، هذه العبارة الدقيقة التي قالها إمامنا الصادق - اللهُ أكبر من أن يوصف - فنحن حين نُكَبِّرُ اللهُ سبحانه وتعالى هنا اللهُ أكبر ثلاثين مرة، ثلاثين ثم بعد ذلك نكبر اللهُ أربعين مرة قبل أن ندنو من القبر الشريف ونقرأ الزيارة:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ التُّبُوَّةِ - إذا المراد اللهُ أكبر: اللهُ أكبر من أن يوصف، حين أقول اللهُ أكبر من أن يوصف يعني أي قد فَعَلْتُ عقلي وفَعَلْتُ قلبي وفَعَلْتُ وجداني وفَعَلْتُ كل قدرةٍ من قدراتي على التفكير وعلى المعرفة وعلى العلم من أن أدركه، وإنما غاية المعرفة هو عجزنا عن معرفته، لذلك النصوص الشريفة ماذا تقول؟ أنكم لا تفكروا في ذاته!! أين تُفكر؟ فكروا في صفاته في أفعاله، التفكير لا يكون في ذات اللهُ،

كُلِّمَّا ازددتم تفكراً كُلمَّا ازددتم تحيراً، هكذا قال أئمتنا: كُلمَّا ازددتم تفكراً كُلمَّا ازددتم تحيراً، لا يمكن لهذه العقول القاصرة أن تحيط بالله سبحانه وتعالى، نعم هذه العقول تستدل عليه، نعم هذه العقول تستشرف نوره، نعم هذه العقول تستشرف كماله، أما أنها هل يمكن أن تحيط به!! لا يمكن ذلك - كُلمَّا ازددتم تفكراً كُلمَّا ازددتم تحيراً - الله أكبر من أن يوصف وليس الله أكبر من كل شيء، متى كان مع الله شيء حتى نقول بأن الله أكبر منه، وإنما الله أكبر من أن يوصف، هذا المعنى الإجمالي حين نقول الله أكبر، فحين نكبر الباري ونحن داخلون نستحضر هذا المعنى: الله أكبر من أن يوصف، يَجِلُّ أن تُحيط به العقول، تقف عنده العقول عاجزة، وتقف عنده القلوب عاجزة، وتقف عنده كل القدرات وكل الإدراكات عاجزة، كل القابليات على العلم وعلى المعرفة وعلى الخيال وعلى التصور إنها تقف عاجزة، يستحيل على هذه العقول أن تتقدم خطوة بهذا الاتجاه، ليكن هذا النص دائماً أمامنا الله أكبر من أن يوصف، عقولنا أصغر، أرواحنا أصغر من أن تدرك وصف الله الحقيقي، الله أكبر من أن يوصف، هذا معنى التكبير، لماذا التكبير؟ لماذا نكبر ونحن داخلون؟ نكبر ونحن داخلون لأشيء شيء؟

نكبر ونحن داخلون أولاً، أولاً لرفع الحُجْب، وثانياً إذا ما ارتفعت الحُجْب فإن ذلك يقربنا إلى أهل البيت، هناك الكثير من الحُجْب أمامنا، وهذا التكبير إنما فيه إشارة إلى معنى عميق، هذا المعنى العميق جاء في روايات أهل بيت العصمة وهذا كتاب وسائل الشيعة بين يدي: هذه الرواية يرويها هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم عليه السلام، وهذا هو الجزء الرابع من وسائل الشيعة، ماذا تقول هذه الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر؟

أن النبي صلى الله عليه وآله لَمَّا أُسْرِيَ به إلى السماء قطع سبع حُجْب فكَبَّرَ عند كل حجابٍ تكبيرة فأوصله الله عزَّ وجلَّ بذلك إلى منتهى الكرامة - هذه التكبيرات السبع التي كبرها النبي عند كل حجاب إلى أن تقول الرواية: فأوصله الله عزَّ وجلَّ، بعد أن عبر الحُجْب السبعة - فأوصله الله عزَّ وجلَّ بذلك إلى منتهى الكرامة - منتهى الكرامة التي لا نعرف معناها، منتهى الكرامة لا يعرفها إلا الله ورسوله وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنها منزلة خاصة بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

هناك رواية ثانية عن إمامنا الكاظم أيضاً يرويها هشام بن الحكم، هشام يسأل الإمام قلتُ له: لأي علة صار التكبير في الافتتاح سبع تكبيراتٍ أفضل؟ - الافتتاح يعني تكبيرة الإحرام، التكبيرة الواجبة هي واحدة ولكن يُستحب للإنسان إذا أراد أن يعمل بالتكبيرات المتعددة أن يأتي بسبع تكبيرات ثم يدخل في الصلاة، يعني هذه تكبيرات الإحرام، مقصود من تكبيرات الافتتاح هي تكبيرات الإحرام السبعة، وهي مستحبة، التكبير الواجب مرة واحدة - قلتُ له - هشام يقول يسأل الإمام الكاظم - لأي علة صار

التكبير في الافتتاح سبع تكبيرات أفضل؟ الإمام صلوات الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: يا هشام إن الله خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والحُجُبَ سبعاً - الحُجُبَ هذه بعد السماوات، الحُجُبَ هذه بعد العرش - يا هشام إن الله خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والحُجُبَ سبعاً فلَمَّا أُسْرِيَ بالنبي صلى الله عليه وآله، أو فلَمَّا أُسْرِيَ بالنبي صلى الله عليه وآله فكان من ربه كقَاب قوسين أو أدنى رُفِعَ لَهُ حجاب، أو رَفَعَ لَهُ حجاب، رَفَعَ لَهُ حجاباً من حُجُبِهِ فَكَبَّرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يقول الكلمات التي تُقال في الافتتاح - يعني الدعاء المستحب ذكره أثناء افتتاح الصلاة - فلما رفع له الثاني كَبَّرَ فلم يزل كذلك حتى بلغ سبع حُجُبَ فَكَبَّرَ سبع تكبيرات فلذلك العلة يُكَبَّرُ للافتتاح في الصلاة سبع تكبيرات - فيستحبُّ في الصلوات أن يفتتح المُصلي بسبع تكبيرات، السرُّ ما هو؟

كما يقول إمامنا الكاظم، طبعاً هناك دلالات ومعانٍ أخرى لكننا لا نستطيع أن نتطرق إلى كل المضامين وإنما بحسب ما يسنح به المقام، الرواية هنا تتحدث أن السبب في تشريع التكبيرات السبع في افتتاح الصلاة يعني التكبيرات المستحبة عند الإحرام عندما تُحرم للصلاة عندما نفتح الصلاة بتكبير الإحرام إنما كان مثلاً وكان صورةً لما كان في عالم الحُجُبَ حينما أُسْرِيَ به وحينما عُرِجَ به وحينما وصل إلى مقامات الحُجُبَ فكان يُكَبَّرُ فيرتفع الحجاب إلى أن كَبَّرَ سبعاً فارتفعت الحُجُبَ بتمامها وكما لها فوصل إلى منتهى الكرامة، ووصل إلى المكان الذي لا يمكن أن يصل إليه مخلوقٌ غيره صلى الله عليه وآله وسلم، وصل إلى المكان الذي لا يمكن أن يصل إليه ممكنٌ من الممكنات موجودٌ من عالم الإمكان غيره صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت هذه التكبيرات صورة لتلك الحقيقة أو لذلك المشهد الإلهي، فالتكبيرات إنما جيء بها لرفع الحُجُبَ والتكبيرات ليست فقط هي هذه التكبيرات السبع هي المستحبة وإنما إذا أردنا أن نحسب التكبيرات الموجودة في الصلوات اليومية تصل إلى خمسة وتسعين تكبيرة، وهناك باب كامل موجود في وسائل الشيعة وفي غير وسائل الشيعة، الحديث فيها عن استحباب خمسة وتسعين تكبيرة في الصلوات الخمس ابتداءً من تكبيرات الإحرام وانتهاءً بالتسليم انتهاءً بالصلاة المفروضة المعروفة.

على أي حال فهنا نحن نقفُ فنكَبِّرُ ثلاثين ثم نكبر ثلاثين ثم نكبر أربعين، هذه التكبيرات إنما هي لرفع الحُجُبَ، أيَّة حُجُبَ؟ نحن الآن هنا عندنا مئة تكبيرة، لماذا هذا العدد؟ لماذا نكبر ثلاثين ثم ثلاثين ثم نكبر أربعين، لماذا هذه الأعداد؟ قطعاً هناك دلالات، قطعاً هناك إشارات، هناك رموز في هذه الأعداد وإلا لَمَّا دُكِّرَتْ ولَمَّا رُسِمَتْ بهذا الشكل، نحن هنا حينما نكبر ثلاثين هذا التكبير بهذا المعنى الذي أشرتُ إليه وهو أن الله أكبر من أن يوصف وأن التكبير فيه رمزيةٌ لرفع الحُجُبَ، أنا لا أريد أن أدخل فيما يذكره علماء

السير والسلوك وعلماء تهذيب النفس وعلماء الأخلاق من أن المراتب للنفس البشرية تبلغ إلى مئة مرتبة وأمام كل مرتبة حجاب، ويمكن أن يكون هذا المعنى صحيحاً لكنني لا أريد التوغل في هذه المطالب، علماء السير والسلوك يقولون بأن النفس البشرية لها مئة مرتبة وأمام كل مرتبة إذا أرادت أن تترقى وأن تصل إلى كمالها عليها أن تترقى إلى مئة مرقة، إلى مئة مرتبة، وذكروها هذه المراتب والمراقي وتحدثوا عن كيفية الوصول إليها وأنا لا أريد الخوض في هذا المطلب، وأمام كل مرتبة هناك حجاب فقد يُقال بأن الإشارة إلى هذه المعاني أو إلى هذه المضامين ويمكن أن يكون ذلك، يمكن أن يكون ذلك ولكن تبقى هذه الكلمات إنما هي في طور الاحتمال وفي طور الظن، ولا أريد أيضاً أن أشير إلى مضامين أخرى أو معاني أخرى تحدثت عن أصل خلقة الإنسان وكيف خُلق وأنه مرَّ بمراحل لو جُمعت هذه المراحل بحسب الروايات لبلغت هذه الأعداد التي أشار إليها نص الزيارة، ثلاثين، ثلاثين ثم بعد ذلك أربعين.

ولكن من خلال الروايات الشريفة ولا أقول بأننا نملك نصوصاً تتحدث عن هذه الأسرار بشكلٍ خاص وإنما من خلال المعاني المُجملة التي يمكن أن نستفيد منها من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الكلام هنا في التوحيد الأفعالي وفي التوحيد الصفاتي وفي التوحيد الذاتي، يعني هنا حينما نحن نكبر الثلاثين، حينما نصل إلى الحضرة الشريفة ونقف على الباب وبعد ذلك نبدأ بهذا الذكر هذه الثلاثين الأولى هذا المقطع، هذا المقطع من منسك الزيارة إنما هو يريد الإشارة إلى التوحيد الأفعالي، والمقطع الثاني إلى التوحيد الصفاتي، والأفعال إنما هي مظاهر الصفات، ثم نصل إلى الأربعين وهو الرقم الأكمل، وهناك الحديث عن التوحيد الذاتي، فهنا توحيد أفعالي وتوحيد صفاتي وتوحيد ذاتي وبعد التوحيد الذاتي سيكون الكلام في زيارة الأئمة هو التوحيد العبادي، نحن لا نستطيع أن نوحده الله سبحانه وتعالى إلا بتوحيده بهذه المراتب، التوحيد الأفعالي، التوحيد الصفاتي، التوحيد الذاتي، وبعد ذلك يأتي التوحيد العبادي، لا أريد الآن الدخول في تفاصيل هذه المضامين لأننا سنتحدث عن التوحيد ونتحدث عن هذه المضامين عن مضمون التوحيد الأفعالي وعن مضمون التوحيد الصفاتي وعن مضمون التوحيد الذاتي والتوحيد العبادي، لأننا في هذه الزيارة سنتناول معاني التوحيد وسنتناول معاني الولاية، وحينما نصل إلى التوحيد سيكون الكلام مفصلاً إن شاء الله تعالى بهذا الخصوص بحسب ما جاء في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبهذا تتم المقدمة الثانية من مقدمات الزيارة الجامعة الكبيرة وتتمة الحديث إن شاء الله تعالى تأتينا بحول الله تعالى وقوته في الحلقة القادمة، أسألکم الدعاء جميعاً وأتمنى لكم أوقاتاً صالحةً وأوقاتاً هانئةً بولاية عليٍّ وآل عليٍّ خصوصاً ونحن في أيام شهر رجب شهر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، في أمان الله.

الحلقة الثالثة

معنى السَّلَامِ عَلَيْكُمْ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وأوقاتكم ولياليكم في هذا الشهر المبارك الشريف في شهر عليّ صلوات الله وسلامه عليه، وهذه الحلقة الثالثة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة. تقدّم الكلام في الحلقتين الماضيتين في مقدمتين للشروع والابتداء ببيان وتوضيح معاني الزيارة الجامعة، وآخر شيءٍ تَحَدَّثْتُ عنه حين وصل الكلام في ما قاله إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه في مقدمة الزيارة حين قال: فقِفْ وقل: اللهُ أكبر ثلاثين مرة، ثم أمشي قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خُطَاكَ ثُمَّ قف وكبّر الله عزّ وجل ثلاثين مرة، ثم أدنو من القبر وكبّر الله أربعين مرة تمام مئة تكبيرة - وتحدّثت عن معنى التكبير وما جاءت فيه الروايات الشريفة من أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في معراجِهِ حين وصل إلى الحُجُب فكان يُكَبِّرُ عند كل حجابٍ فينكشفُ ذلك الحجاب إلى أن وصل إلى المقام الذي لم يصل إليه مخلوق، تحدّثت عن هذا المعنى وأن التكبير سببٌ وبابٌ لرفع الحجاب، وأشرت إلى أن هذه التكبيرات ثلاثون، ثلاثون، أربعون فيها إشارةٌ وفيها رمزٌ لمعاني التوحيد، التوحيد الأفعالي ثم التوحيد الصفاقي ثم التوحيد الذاتي، وبعد الأربعين تأتي الزيارة حيث تتجلى فيها معاني التوحيد العبادي وهذه مراتب التوحيد التي لا يتحقّق الإيمان بالتوحيد إلا بها، وقلتُ بأنني فيما يأتي من حلقاتٍ في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة سأتناول هذه المطالب حين الحديث عن التوحيد، وكررتُ هذا الكلام وأكرره بأن هذا الشرح وهذا البيان وهذه المضامين تعتمد على ركنين على أساسين:

الأساس الأول: التوحيد.

والأساس الثاني: الولاية بمعناها الأعم ولاية النبي والأئمة، ولاية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تقريباً هذه هي آخرُ ما ذكرته في الحلقة الماضية، ثم تقول الرواية يعني بعد أن تُكَبِّرُ مئة تكبيرة الإمام يقول: ثم قُل: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ ... إلى آخر الزيارة الشريفة.

أتناول في هذه الحلقة معنى السَّلَامِ عَلَيْكُمْ، وتتردّد هذه العبارة في كلّ زيارات أهل بيت العصمة صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين لذا أقفُ في هذه الحلقة لبيان جانبٍ من معنى قولنا ونحن نَخَاطِبُ نبينا وأئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فنقول السلام عليكم، أكان ذلك من قريبٍ بين أيديهم وفي حضراتهم المقدسة أو كان ذلك من بعيد، ما معنى قولنا السلام عليكم؟

كلامُ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يَحمِلُ خصائص القرآن، كلامُ أهل البيت يَحمِلُ نفحات القرآن، إمامنا الصادق صلوات الله عليه يقول: **إن القرآن نزلَ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء** - وهذا المعنى كما ينطبق على آيات الكتاب الكريم ينطبق على كلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحن نقرأ في الزيارة الجامعة مخاطبين الأئمة: **كَلَامُكُمْ نُورٌ وَالْقُرْآنُ جَاءَ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ نُورٌ، النورية واحدة والنورية من مصدرٍ واحد ومن منبعٍ واحد، ولذا كلام أهل البيت أيضاً فيه ما هو في أفق العبارة وفيه ما هو في أفق الإشارة وفيه ما هو في أفق اللطائف وفيه ما هو في أفق الحقائق، ونحن نقفُ عند حد العبارة فالإمام قال: **فالعبارة للعوام**. و**نتَلَمَّسُ شيئاً من معنى الإشارة من خلال كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أما اللطائف والحقائق فذلك شيءٌ بالنسبة لنا بعيدُ المنال، ذلك شيءٌ لا نستطيع أن نصطاده بشباكنا ولا نستطيع العقول أن تتوجه إلى ساحته أو إلى فناءه، فاللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء وذلك لسانٌ آخر وحديثٌ آخر وكلامٌ ورموزٌ وأشياء لا نستطيع أن نحيط بها علماً، نحن ندور مدار العبارة وقد نتلمَّس شيئاً من معاني الإشارة الإمام قال: **العبارة للعوام والإشارة للخواص**.****

فنحن ندور مدار العبارة إذ نحن عوامٌ أمام حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وحين أقول هذا فإني أعني المتكلم والسامع على حدٍ سواء، قد نتلمَّس شيئاً من الإشارة من خلال حديث أهل البيت أما اللطائف والحقائق فذلك شيءٌ بعيدُ المنأى وذلك شيءٌ لا نستطيع أن نصل إليه، لذا أقفُ هنا عند بيان الزيارة الجامعة الكبيرة عند هذا الحد عند حد العبارة وعند تلَمَّس شيءٍ من الإشارة، في هذه الحلقة كما قلت قبل قليل أحاول أن أبين جوانب من معنى: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ**.

حين نقول السَّلَامُ عليكم، السلام في لغة العرب هو الخِلاص، حين نقول السلام في مقابل الحرب يعني المراد من ذلك الخِلاص من شرور الحرب ومن أضرار الحرب ومن أخطار الحرب، وحين نقول السلام في مقابل المرض والسلامة في مقابل المرض فإن السلام هنا هو الخِلاص من العاهات ومن الآلام ومن الأوجاع ومن كل ما يترتب على الإنسان وما يعاينه الإنسان حين يُصابُ بالأمراض، وهكذا في كل شيءٍ، وحين يوصف القلب بأنه قلبٌ سليم فإنه ذلك القلب الذي يكون قد خلص من الشكوك ومن الشبهات ومن كل ما فيه عيبٌ ومن كل ما فيه ظلْمَةٌ ومن كل ما فيه حجابٌ بينه وبين الله، فإذاً السلام هو

الخلاص، السلام هو النقاء، حين نقول هذا شيءٌ سالم أي نقي لا عيب فيه، السلام إذاً الخلاص، السلام إذاً النقاء، السلام إذاً الكمال، ولذا من أسمائه سبحانه وتعالى السلام، وأنا هنا لا أريد أن أقف عند بيان معنى اسمه سبحانه وتعالى، قد يتضح معنى هذا الاسم الشريف من خلال كلامي على طول الحلقة، ولكن لو سنحت لنا فرصة في بيان معاني أسماء الله الحسنى وبودي أن تكون لنا فرصة لبيان معاني هذه الأسماء بحسب ما يقتضيه المقام أن يكون ذلك في ليالي شهر رمضان المبارك إن وفقت لذلك، السلام إذاً هو الخلاص والسلام هو الكمال والسلام هو عدم العيب والسلام هو النقاء، هذا في لغة العرب المعنى اللغوي للسلام، أما ما المراد من السلام حين يُسَلَّم بعضنا على البعض؟ حين أسلم فأقول السلام عليكم، وحين تُسَلَّم عليّ فتقول السلام عليكم، السلام هنا هو قد يكون بياناً، قد يكون إقراراً، قد يكون عهداً، قد يكون شرحاً، قُلْ ما شئت، حين أقول لك السلام عليكم معنى ذلك أنك تسلم مني، أنه لا يصلُّ إليك مني إلا السلام، المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، من أي جهةٍ يسلمون؟ يسلمون على دمائهم، أنفسهم، ويسلمون على أموالهم، ويسلمون على متعلقاتهم، ويسلمون على كل شئوئهم، ويسلمون على أعراضهم، المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، فكأني حين أقول لك السلام عليكم أو حين تقول لي السلام عليكم إنما هو بيانٌ أو شرحٌ أو رسالةٌ أو عهدٌ أو عقدٌ بين الاثنين بأن يسلم كل واحدٍ منهما من الطرف الآخر، سلامٌ يعني أماناً، يعني إني أعطيك الأمان فلا يصل الضررُ إليك مني هذا المعنى الإجمالي لكلمة السلام عليكم حين تتردد بيننا.

هناك روايةٌ منقولةٌ في كتاب مصباح الشريعة هذه الرواية تُنقلُ عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، الإمام يتحدث فيها عن معنى السلام، ماذا تقول الرواية الشريفة؟

والسلام اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتقي الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنسها بظلمة المعاصي ولتسلم حَفَظْتِكَ لا تُبرمهم ولا تُمِلَّهُمْ وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثم صديقك، ثم عدوك، فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام موضعه هذه فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق - الحديث هنا عن معنى السلام الذي يتردد بين الناس ولذلك الإمام يقول: - وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق - باعتبار أنه من الروايات ومن الأحاديث المعروفة التي

وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي توصينا بالأسباب التي تفتح الطريق إلى الجنان، ما هي؟ النبي يقول: من أطمع الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام. إفشائ السلام من الأسباب ومن السبل

التي تفتح الطريق إلى الجنان، من الأسباب والسبل التي تكون سبباً لنزول الرحمة على الإنسان، إفشاء السلام من الخلق الذي أوصى به رسول الله والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإفشاء السلام يعني إشاعة السلام، يعني نشر السلام، يعني السلام على الصغير والكبير، وهذا هو عنوان التواضع، وهذا هو عنوان الخلق الحسن، كيف نستدل على الخلق الحسن للإنسان؟ عنوان الخلق الحسن وعنوان التواضع في مسيرة الإنسان العملية هو إفشاء السلام، هو بشاشة الوجه، قطعاً إفشاء السلام لا يكون من عند الوجوه المُقْتَبَّة لا يكون من عند الوجوه الكالحة، إفشاء السلام تصاحبه البشاشة، تصاحبه الطلاقة في الوجه، إفشاء السلام هو عنوان الخلق الحسن وهو عنوان التواضع، الإمام صلوات الله وسلامه عليه في هذه الرواية يشرح لنا معنى السلام، أمر على الرواية بشكلٍ سريع وإلا فهي بحاجة إلى وقفةٍ طويلة، الإمام هكذا قال:

قال: والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعه خلقه.

السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، ما هي تجليات هذا الاسم؟ تجليات هذا الاسم الرحمة، الرحمة من السلام، تجليات هذا الاسم المحبَّة، المحبَّة من السلام، تجليات هذا الاسم الأخلاق العالية الفاضلة - والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعه خلقه - يعني أن هذا الاسم الشريف، تجليات هذا الاسم، قدرة هذا الاسم أودعت في خلق الله سبحانه وتعالى، فكلُّ ما عندنا من الأوصاف وكل ما عندنا من الطاقات وكل ما عندنا من القابليات والقدرات في الإنسان وفي غير الإنسان في كل المخلوقات إنما هي مجالي إنما هي صور، هذه الصور من أين تنبع؟ من أين يأتي المدد؟ يأتي المدد من أسماء الله سبحانه وتعالى، أسماء الله هي التي تدفق فينا الحياة، أسماء الله هي التي تُجَلِّي فينا كلَّ معاني الطاقة وكل معاني النشاط وكل معاني الكمال وكل ما يملكه المخلوق إنما هو متأتٍ من أسمائه سبحانه وتعالى - والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعه خلقه - لأي شيء؟ - ليستعملوا معناه - حتى يتجلى هذا المعنى في الإنسان، الله سبحانه وتعالى لم يخلق إنساناً سيئ الخلق، ولم يخلق إنساناً حَسَن الخلق، الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان القدرة على أن يكون حسن الخلق وعلى أن يكون سيئ الخلق، هناك قدرة في الإنسان وهذه القدرة قدرة أن يكون الإنسان حَسَن الخلق هو حين يكون هذا الإنسان منسجماً منساقاً مع فطرته التي يتجلى فيها معنى السلام من أسمائه سبحانه وتعالى، وحينما يكون الإنسان سيئ الخلق فإنه ينساق باتجاهٍ معاكسٍ لما قد تجلَّى في فطرته من معنى السلام، الله سبحانه وتعالى أودع في فطرة الإنسان هذا المعنى، لذلك الإمام يقول:

والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعه خلقه - جَعَلَهُ في فطرتهم لأي شيء؟ - ليستعملوا معناه - حتى تتجلى هذه المعاني في حياتهم اليومية - ليستعملوا معناه - أين؟ - في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصابحتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم - هذه الأمور التي يحتاجها الإنسان في

حياته اليومية، ماذا يحتاج؟ يحتاج هذه الأمور: معاملات، أمانات، إضافات، إضافات يعني كل ما يتعلق ويرتبط بشؤون الحياة اليومية - **وتصديق مصاحبهم فيما بينهم** - الصداقات والعلاقات إن كان من طريق الأرحام أو من غير طريق الأرحام - **وصحة معاشرتهم** - يعني إن السلام إنما يحتاجه الناس لهذه المعاني، حين يكون الإنسان حسن الخلق، وحين يكون الإنسان طيب المعشر، جميل الملاقاة قطعاً ستكون معاملاته وأماناته وإضافاته وصداقاته وعلاقاته وعشرته تكون جميلة، الله سبحانه وتعالى أودع هذه المعاني في فطرة الإنسان والإنسان هو الذي يتمكن من إخراج هذه المعاني للواقع العملي في حياته اليومية - **والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه** - أين يستعملوا معناه؟ - **في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم** - يعني أن الإنسان يكون خالياً من العيوب في هذه المعاني، تكون معاملاته سليمة، أماناته وفيه وكاملة، إضافاته لا نقص فيها، صداقاته كلها وفاء وكلها صدق، معاشرته جميلة وهذا هو معنى السلام.

فحينما يأتي السلام ويحل في قلب الإنسان تتجلى هذه المعاني، وحينما يُسلم الإنسان بلسانه إنما يريد أن يؤكد هذا المعنى، يؤكد هذا المعنى لمن يسلم عليه فيقول: إن معاملاتي معك تكون سليمة وإن أماناتك محفوظة وإن الصداقة صادقة وإن المعاشرة جميلة فإنك لن تلقى مني أذى وإنك لن تلقى مني ضرراً والمسلم من سلم الناس من لسانه ومن يده، فإنك ستسلم من لساني ومن يدي، ثم تستمر الرواية - **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه** - يعني إذا أردت أن تجعل السلام كما يريد الله سبحانه وتعالى، أن تضعه في موضعه الحقيقي - **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه** - فماذا عليك؟ - **فاتقي الله** - إذاً معنى السلام هو تقوى الله، وما مرَّ من بيان خلاصته هي هذه الكلمة، السلام هو تقوى الله، إذاً حين أسلّم عليك فما المراد من السلام؟ أقول السلام عليكم يعني يا أيها الذي أسلم عليه إني سأتعامل معك بتقوى الله ولذلك سيسلم مالك ونفسك مني، ستسلم شؤوناتك مني لأني حينئذٍ أتعامل معك بتقوى الله، ولكن هل هذا الأمر هو واقع في الحقيقة!! أنا هنا لا أتحدث عن الجانب العملي، أنا هنا بصدد شرح رواية وشرح كلمات جاءت عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه - **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه** - تؤدي معنى السلام - **فاتقي الله** - إذاً معنى السلام هو تقوى الله، تقوى الله في التعامل فيما بين العباد - **وليسلم منك** - أول شيء ماذا يسلم؟ إذا كان السلام هو التقوى فأول شيء يسلم منك ما هو؟ - **وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك** - ليسلم دينك وقلبك وعقلك.

الإمام ذكر هذه المعاني الثلاثة، قال وليسلم دينك وسلامة الدين إنما هي سلامة أصوله وسلامة فروعها وإلا كيف يسلم دينك، سلامة الدين بينها لنا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **تركت فيكم كتاب**

الله وعترتي أهل بيتي - من أراد أن يبحث عن سلامة الدين فسلامة الدين لا توجد إلا في هذا الطريق -
 إني مُخَلَّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إني تاركٌ فيكم الثقلين، إني تاركٌ فيكم ما إن
 تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي - لن تضلوا ولن هنا ماذا تفيد؟ تفيد النفي التأييدي، يعني لن تضلوا
 بعدي أبداً، أبداً، أبداً، سلامة الدين هي في التمسك بالكتاب والعترة - وليسلم منك دينك - ثم -
 وقلبك وعقلك - والإنسان أين يكون؟ حقيقة الإنسان في قلبه وفي عقله، حقيقة الإنسان لا في ثيابه التي
 يرتديها ولا حتى في بدنه ولا حتى في طعامه وشرابه الذي يسعى إليه ليل نهار، حقيقة الإنسان أين تكون؟
 إنما هي في قلبه وعقله، فإذا كان السلام هو تقوى الله - وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي
 معناه فاتقي الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تُدنِّسها بِظُلْمَةِ المعاصي - إذاً أول سلام وأول
 سلامة مطلوبة هي سلامة الدين وسلامة القلب والعقل، وهذا موضوعٌ طويلٌ عريض، سلامة القلب والعقل
 هذا كلُّ ما ورد من تعاليم أهل البيت يمكن أن تكون شرحاً لهذه الكلمة، السلام هو تقوى الله وأول شيءٍ
 يسلم منك دينك وقلبك وعقلك، والإمام يقول: **ولا تُدنِّسها**. يعني لا تُدنِّس قلبك ولا تدنس عقلك ولا
 تدنس دينك أيضاً - **ولا تُدنِّسها** - يعني لا تدنس هذه الثلاثة لا تدنس دينك بأي شيءٍ؟

بالانحراف عن الكتاب والعترة، إنك إن انخرت عن الكتاب والعترة فقد دنست دينك وما بقي لك من دين
 - **وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تُدنِّسها بِظُلْمَةِ المعاصي ولتسلم حَفَظْتُكَ** - المراد من
 حَفَظْتُكَ يعني الملائكة الموكلين بك، ملائكة الحسنات وملائكة السيئات، الملائكة الحَفَظَةُ - **ولتسلم
 حَفَظْتُكَ** - كيف تكون السلامة والسلام مع الحَفَظَةُ؟ - **لا تبرمهم** - الإبرام هو الإيذاء النفسي، أبرمني
 يعني آذاني نفسياً، الإبرام هو الإيذاء النفسي - **لا تبرمهم ولا تُملِّهم** - لا يصيبهم الملل منك - **ولا
 توحشهم، لا تبرمهم ولا تُملِّهم وتوحشهم** - بأي شيءٍ؟ بالمعاصي أو بالغفلات، يصيبهم الإبرام
 ويصيبهم الملل وتصيبهم الوحشة منك من أي شيءٍ؟ من النوايا السيئة، من الغفلات، من تضييع الوقت،
 ومن المعاصي - **لا تبرمهم ولا تُملِّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم** - سوء المعاملة هو ما يصدر
 منك من فعلٍ سيء.

طبعاً في الروايات عندنا حين يسألون الأئمة كيف يعلم ملائكة الحسنات والسيئات بنوايا الإنسان؟ الإمام
 يقول: إذا نوى الإنسان نية حسنة خرجت منه رائحة طيبة تشمها الملائكة، تشمها ملائكة الحسنات، وإذا
 نوى نية سيئة خرجت منه رائحة سيئة رائحة قبيحة وهذه يعرفها ملائكة السيئات فيسجلون في سجلاتهم
 هذه النوايا إذا ما ترتب عليها الأثر العملي، فيعرفون النوايا الحسنة والنوايا السيئة يعني هم إذا شموا الرائحة
 يضعونها تحت المراقبة ليلاحظوا هل يأتي بهذه النية أو لا، فإن أعرض عنها كُتِبَ له ذلك حسنة، إن أعرض

عن هذه النية السيئة، وإن عمل كُتبت له سيئة وإلا الملائكة لا يسجلون النوايا، هذه النوايا نعم النوايا الحسنة من رحمة الله وجوده تكتب للإنسان حسنة، لكن النوايا السيئة لا تُكتب للإنسان بل إذا أعرض عنها الإنسان تُكتب له حسنة في سجل الحسنات، ولكن حينما يُقدِّمُ عملياً على ارتكاب هذه النية حينئذٍ تُكتب له هذه السيئة، وحتى هذه السيئة في الروايات عندنا يبقى الملك لعدة ساعات، لساعات عديدة ينتظر لعله يتوب فلا يكتب هذه السيئة، إذا مرت عدة ساعات على الإنسان ولم يتب من هذا العمل القبيح الذي ارتكبه حينئذٍ يكتب ذلك في سجل سيئاته، هذه رحمته سبحانه وتعالى، وهذا عطائه وفضله وجوده - ولتسلم حَفَظْتِك لا تبرمهم ولا تُمِلَّهُمْ وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم - ثم من يسلم منك؟ - ثم صديقك ثم عدوك - حتى عدوك أنت لا تبادره بالأذى، عدوك إذا بادرك فادفع أذاه لكن لا تبادر عدوك بالأذى، وهذه سيرة أهل البيت، حتى في يوم عاشوراء، في ذلك اليوم الذي أهدر له عرش الله، الحسين عليه السلام ما بدأ القوم بقتال، قال: إني أكره أن أبدأهم بقتال، حتى في تلك اللحظة، أهل البيت هم رمز السلام وهم رمز المحبة وهم عنوان المودة ولذا كان الوفاء لهم بأي شيء؟ الوفاء بالمودة، لذا كان أجر الرسالة ما هو؟ المودة، المودة هي تحية أهل البيت من عندنا، نحن بماذا نُحَيِّي أهل البيت؟ نُحَيِّي أهل البيت بالمودة، هذا القتل والعنف والإرهاب هذه ميزة أعداء أهل البيت، ميزة الذين هجموا على بيت فاطمة وإلى يومنا هذا.

السلام هو عنوان أهل البيت، السلام هو عقيدة أهل البيت - ثم صديقك ثم عدوك - والإمام بعد ذلك يقول: فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى - يعني حاول أن توصل السلام إلى من هو الأقرب فإن لم يكن الأقرب على الأقل أن توصله إلى الأبعد - ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم - يعني إذا لم يكن السلام بهذه المعاني، الإمام هكذا يقول: ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق - إذاً هذا هو المعنى الحقيقي للسلام الذي يُسَلَّم به بعضنا على البعض الآخر وهذه كلمات إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وإن كانت الرواية بحاجة إلى شرح أكثر من ذلك لكنني لا أستطيع أن أطيل الموقف وأن أطيل المقام، فهناك جملة كثيرة من الأمور لا بد أن أتناولها، الآن ماذا فهمنا من هذه الرواية؟ هذه الرواية فهمنا منها معنى السلام، والرواية كما لاحظتم تتحدث عن السلام الذي يكون فيما بيننا، والإمام يقول: ومن لا يضع السلام مواضعه هذه - المواضع التي مرت علينا، نتحدث الإمام عن المعاملات، عن الأمانات، عن الإضافات، عن الصداقات وعن المعاشرات، وتحدث الإمام عن أن السلام ما هو معناه؟ فاتقي الله - قال: - وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتقي الله - ثم قال: - ليسلم منك دينك وقلبك

وعقلك - وقال: - ولا تدنسها بظلمة المعاصي - وقال: - ولتسلم حَفَظْتُكَ لا تبرمهم ولا تُمَلِّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم يسلم صديقك ثم عدوك.

هذه المعاني كلها موجودة في هذه الكلمة، في الكلمة التي بيني وبينك، الله أعلم كم نعطي لهذه الكلمة من هذه المعاني، يعني هل هناك لهذه المعاني وجود في حياتنا؟! الله أعلم، الواقع العملي يقول لا وجود لكل هذه المعاني في السلام الذي نحاول أن نفشيه، أن نفشيه بين الناس، على أي حال، نحن نتمنى أن يكون سلامنا هكذا، ونحن نتوسل إلى إمام زماننا أن يكون سلامنا فيما بيننا هكذا وإن كان الواقع العملي يقول إن السلام بين الناس بيننا، حين أقول بيننا بين محبي أهل البيت إنما هو مجاملات، هل أن السلام فيما بيننا وأنا أتحدث عن نفسي قبل أن أتحدث عن غيري، هل أن السلام الذي أقوله يشتمل على هذه المعاني؟ الواقع العملي يقول بأن السلام الذي نشيعه أو نحاول أن ننشره بين الناس أو نحاول أن نردده فيما بيننا لا يشتمل على هذه المعاني، الواقع العملي هكذا يقول، إمامنا ماذا يقول؟ - ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم - هذا لا يُقال له سلام، هذه لقلقة - وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق - أنا هنا لا أريد أن أتناول مسألة أخلاقية، ولا أريد أن أكون واعظاً في شرح هذه الرواية، السبب الذي دعاني لإيراد هذه الرواية وللوقوف عندها بعض الشيء ليتضح لنا معنى السلام فيما بيننا فهو بهذا العمق، فإذا كان السلام فيما بيننا بهذا العمق فما بالكم بالسلام على أهل البيت ما هو عمقه إذا؟!!!

هذا السبب الذي دعاني لإيراد هذه الرواية، أنا شرحت هذه الرواية ووقفت عندها أريد أن أصل إلى هذه النقطة: إذا كان السلام فيما بيننا، فيما بيني وبينك، أنا عبدٌ وأنت عبد، نحن عبيد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذا كان السلام فيما بيني وبينك بهذا العمق وبهذا المعنى وحين لا يتحقق هذا المعنى الإمام يقول: **فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق** - الحديث عن الخلق عن عامة الناس، إذاً كم هو عمق معنى السلام حين أقرأ في الزيارة: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ؟** حتى لو أردتُ أن أبقى في مستوى العبارة، لا أتجاوز مستوى العبارة، لو أردتُ أن أقف عند مستوى العبارة فذلك يعني أن هذه المعاني التي ذكرت في هذه الرواية لا بد أن تأخذ عمقاً آخر مع الأئمة صلوات الله عليهم، إذاً حين أسلم عليك وتسلم عليّ لا بد أن تسلم المعاملات والأمانات والإضافات والصدقات والمعاشرات، لا بد أن أتعامل معك بتقوى الله، لا بد أن يسلم ديني وقلبي وعقلي، لا بد أن يسلم الحَفَظَةَ مني، لا بد أن يسلم صديقي وعدوي، إذاً كيف يكون الكلام مع أهل البيت؟!!!

لا بد أن تكون هذه القلوب سليمة مع أهل البيت، لا بد أن تكون هذه العقول سليمة مع أهل البيت، إذاً لا بد أن تكون الحياة سليمة مع أهل البيت، هذا الذي سأل الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه من

أصحابه - قال: يا ابن رسول الله ما هي منزلتي عندك؟ قال: أنظر إلى قلبك كم لي من المنزلة عندك فلك من المنزلة عندي - أنظر إلى قلبك، هذه المضامين، هذا المضمون ربما يلخص المعنى الذي أريد الإشارة إليه، مثل ما السلام فيما بيننا حينما أكون وفيأ لك، حينما أقول السلام عليك يا أخي وأكون وفيأ فإنك ستقابلني بالوفاء، وحين لا أكون وفيأ فإنك لن تكون وفيأ معي، حين نسلم على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس المعنى الوارد في الروايات حين يقول المُلي إن كان في حَجِّهِ إن كان في عمرته لبيك اللهم لبيك أليس في الروايات إن الله يقول للكثير من هؤلاء لا لبيك ولا سعديك، لبيك اللهم لبيك ويأتي الجواب لا لبيك ولا سعديك. كم لي من المنزلة عندك يا ابن رسول الله؟ قال: أنظر إلى قلبك كم لي من المنزلة عندك فإن لك في قلبي من المنزلة بقدر ما لي من المنزلة في قلبك.

حين نسلم على الأئمة - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - كم لهم من المنزلة سيأتي الجواب منهم - **أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ سَلَامِي** - كم للأئمة من المنازل في قلوبنا السلام يأتي بمستوى هذه المنزلة، إذا كانت هذه القلوب غير وفية للأئمة الجواب أيضاً يأتي بحسب السلام، ما هو نوع التحية؟ وإذا حُيِّت بتحية فماذا يترتب عليها؟ أن التحية إذا ما صدرت إما أن تكون التحية مماثلة أو بأحسن منها، قطعاً أهل البيت يردون بما هو أحسن وبما هو أحسن الأحسن، لكن إذا كانت التحية حسنة، إذا كانت التحية حسنة فماذا يرُدُّ أهل البيت؟ هذه الجارية التي حَيَّت الإمام السجاد بطاقة ريجان يعني قدمت له وردة، في يوم من الأيام في بعض الروايات في يوم عيد حيته بوردة قدمت له وردة، قطعت لها وردة زهرة وقدمتها، حَيَّت الإمام بها، كيف كان رُدُّ هذه التحية أن اعتقها لوجه الله، حياها بما هو أحسن من هذه التحية، أهل البيت يردون على تحياتنا بما هو أحسن وبما هو أحسن الأحسن، لكن لا بد أن تكون التحية صادرة من عندنا حسنة، فحين نقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - هذه التحية هل مشتملة على هذه المعاني؟! يعني أن معاملتنا مع أهل البيت حسنة، أن حبنا مع أهل البيت في غاية الصدق، ما هي معاملتنا مع أهل البيت؟ معاملتنا مع أهل البيت أساسها المعرفة، ما هي معرفتنا؟ هل أن معرفتنا بأهل البيت معرفة كما يريد أهل البيت مستندة إلى كلام أهل البيت أو مستندة إلى أحاديث ينقلها فلان وفلان من كتب المخالفين أو مستندة إلى كلامٍ يدبجُه فلان وفلان الذي حشا مخه بكلام الصحف والجرائد والمجلات، من أين نأخذ معرفة أهل البيت؟

نحن حين نُسلم على أهل البيت: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - هذا السلام لا بد أن تتوفر فيه الشروط التي مرت وهذا كله في مستوى العبارة لأن هذه الرواية التي بين أيدينا رواية في مستوى العبارة تشرح معنى كلمة السلام، وتشتترط في السلام الذي بيني وبينك يا أخي، بيني وبينك يا أختي أن يكون هذا السلام

فيما بيننا على أي أساس؟ على أساس من صدق المعاملة ومن حُسن الخلق ومن الوفاء ومن التقوى وكل هذه المعاني التي هي بعيدة عن حياتنا العملية، بعيدة بتمام معانيها، لا توجد لها في حياتنا إلا رسوم وأشباح، وهذه الحقيقة، حتى نحن الذين ألسنتنا طويلة في الحديث عن الدين وفي الكلام عن المعارف الربانية لا نملك من هذه المعاني إلا أشباح إلا ظلال باهتة وصور خافتة، الحقائق غير موجودة وهذه طامتنا الكبرى التي نعيش فيها، وهذه هي الحقيقة، هذه هي الحقيقة التي نعيشها ليل نهار، وما عجب في ذلك إمامنا الصادق يقول: **تمرُّ على قلب المؤمن ساعات كالحسن البالي خالٍ من الإيمان وخالٍ من الكفر** - الرواية تتحدث عن مؤمن من أصحاب الدرجات العالية، ساعات تمر على قلبه فما بالك وقلوبنا تمر السنون والسنون وليس ساعات وهي خالية من الإيمان وخالية من الكفر، إلا لقلقة اللسان، وإلا ظلال خافتة وباهتة من أعمال نضعها تحت عنوان التقوى والورع وغير ذلك من العناوين الحقيقية التي لا نملك منها إلا الصور الباهتة في حياتنا، على أي حال، أنا لا أريد أن أتوسع كثيراً في هذا الموضوع ولكن الكلام عند الزيارة الجامعة، حين نسلم على الأئمة: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ** - لا بد أن يكون هذا السلام صادقاً، صادقاً في المعرفة، صادقاً في الوفاء، صادقاً في التسليم، أن نجعل حياتنا، أن نجعل عقولنا، أن نجعل قلوبنا، أن نجعل أعمارنا، أموالنا، أن نجعل كل شيء، أوقاتنا، صحتنا في سبيل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ** - لا بد أن تكون معرفتنا كما هم يريدون، المعرفة المستندة إلى ما قالوه لا إلى ما قاله المخالفون لأهل البيت، لا إلى ما يأتي مذكوراً في الصحف والمجلات والكتب المتنوعة التي لا صلة لها بأهل بيت العصمة ولا علاقة لها بالكتاب والعترة أو الكلام الذي يستند إلى المقاييس الباطلة التي منشأها الذوق البشري والاستحسانات والقياسات الخرقاء، ومثل هذا كثير، يُقال على المنابر، يُقال في الفضائيات، يُذكر في الكتب وفي كل مكان، أين هي معرفة أهل البيت؟

معرفة أهل البيت في الكتاب والعترة، معرفة أهل البيت تأتينا من أهل البيت، لا بد أن نُحقق المعرفة حتى يكون على الأقل السلام فيه شيء من الصدق، حين أقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - على الأقل أن يكون عندنا شيء من المعرفة الصادرة منهم من أهل البيت ليس صادرة من أشخاص يدعون أنهم في خط أهل البيت وهم يفترون من كل مكان إلا من أهل البيت، من كل مكان يفترون، لكن حين يأتي الكلام من أهل البيت تُثار حوله الشكوك والشبهات، وكلام أهل البيت واضحٌ وصریحٌ وبيِّنٌ، وما نص الزيارة الجامعة إلا من هذه النصوص الواضحة لهذا السبب أنا اخترت هذا النص الشريف، فحين نقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ** - لا بد من تحقيق أول شرطٍ وهو المعرفة، على الأقل المعرفة بحدود، على الأقل أن تكون هذه المعرفة في الحد الأدنى ولكن من أي عينٍ تنبع هذه المعرفة؟! من العين الصافية من الكتاب والعترة ما

إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، من هنا يتضح لنا معنى السلام عليكم ونحن نخاطب أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إن كان ذلك في الزيارة الجامعة الكبيرة أو كان ذلك في أي زيارةٍ أخرى، في زيارة عاشوراء المقدسة أو في أي زيارةٍ أخرى، أو كان ذلك في سلامٍ نحن ننشئه نسلم على الأئمة من بعيدٍ أو من قريب أو كان ذلك هو السلام الذي نقرأه في آخر الصلاة ونحن نسلم على النبي الأعظم السلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم، السلام عليكم هذا السلام موجهٌ لرسول الله ولآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الصلاة بكل معانيها من أولها إلى آخرها إنما هي من تجليات أسماء الله الظاهرة والواضحة في حقائق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإن شاء الله نجد وقتاً لبيان معاني الصلاة التي نصليها بحسب ما جاء في كلمات أهل بيت العصمة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - هذا السلام لا بد أن يكون نابعاً من معرفة، على الأقل الحد الأدنى، وهذه المعرفة صادرة من نفس العين الصافية من عين الكتاب والعترة، هذا المعنى وهذا الأفق هذا هو أفق العبارة، نحن إلى الآن ما خرجنا من هذا الأفق، وهناك معانيٍ أخرى لكن الوقت لا يرحم، الوقت لا يكفي والمطالب كثيرة والزيارة الجامعة الكبيرة هي الأخرى طويلة، وأنا أحاول أن أشرح ما أتمكن من شرحه فلا يضمن الإنسان أجلاً ولا يضمن الإنسان أمراً لا من عمره ولا من حياته، بودي أن أبين هذه المعاني لإخواني وأخواتي ولأبنائي وبناتي من محبي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عُلِّي أنتفع وعَلَّهم ينتفعون، علَّنا نعيشُ شيئاً من الوقت، نقتطع شيئاً من الوقت نتذكر فيه حديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - هذا السلام لا بد أن ينشأ من معرفة، هذه المعرفة تعني الوفاء بالعهد لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا الكلام وغيره كثير إنما هو في أفق العبارة، أنا لا أستطيع أن أتناول هذه الرواية وأطبق لها مصاديق في التعامل مع الأئمة إن كان في المعاملات أو في الأمانات والإضافات والصدقات والمعاشرات وتقوى الله وسائر المعاني الأخرى، لكل معنى من هذه المعاني معنى يقابله في تعاملنا مع أهل البيت، ولو أردنا أن نشرح كل هذه المعاني لطلال بنا الوقت، لكنني استعملت هذه الطريقة أن أخذت هذه الرواية وبينت معنى السلام فيما بين العباد، فيما بين الخلق، فيما بيني وبينك واتضح لنا عمق المعنى مع أي ما شرحتُ الرواية بتمام معناها حتى من هذه الجهة لكن أتضح لنا عمق المعنى وعلى هذا قسْتُ هذا القياس، وعلى هذا أشرتُ إلى هذه الإشارة إذاً كيف يكون عمق معنى السلام مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقلت بأن كل ذلك إنما هو في أفق العبارة، ولو خرجت بعض الشيء عن أفق العبارة إلى أفق الإشارة، والإشارة إشارة، فالإشارة لا تحتاجُ إلى شرحٍ ولكن مع ذلك فإننا لا نأخذ من الإشارة إلا أطراف الإشارة،

نحن في مستوىّ وحين أتحدثُ إنما أتحدثُ عن نفسي، فأنا وأمثالي في مستوىّ لا نأخذ من الإشارة إلا أطرافها ومن خلال حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أما عميق الإشارات فذلك شيءٌ بالنسبة لي وبالنسبة لأمثالي بعيدُ المنال، لن أتمكن من الوصول إليه، أنا سأتمسك بشرائشِ أفق الإشارة، مُراد من الشرائش هي هذه الخيوط التي تكون في أطراف الأغطية في أطراف السجاد، الخيوط التي تكون في نهاية السجادة أو في نهاية الغطاء الذي يتغطى به الإنسان هي هذه التي تسمى بالشرائش، أتمسك بشرائشِ أفق الإشارة، وأشير مثلاً ما جاء في الكافي الشريف، وأنا قلت في الحلقتين الماضيتين بأن الزيارة الجامعة مضامينها موجودةٌ في الكافي الشريف، في الكافي الشريف:

الرواية هي التاسعة والثلاثون في باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، الرواية يرويها شيخنا أبو جعفر الكليني بسنده: **عن داوود بن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى السلام على رسول الله؟ - نحن حين نسلم على رسول الله، حين نسلم على أهل البيت، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، سلموا تسليماً طبعاً لها دالتان: الدلالة الأولى السلام، والدلالة الثانية التسليم لأمره، الكلام هنا عن السلام، داوود بن كثير الرقي يسأل الإمام الصادق ما معنى السلام على رسول الله؟ أو ما معنى السلام على رسول الله؟ ممكن أن يكون ذلك ما معنى السلام على نحو الإضافة، ويمكن أن يكون ما معنى السلام على رسول الله إذا كان ذلك على نحو الحكاية يجوز في بعض الحالات إذا كان السلام على رسول الله عنوان، هي محرّكة بالرفع هنا. داوود بن كثير الرقي يسأل الإمام ما معنى السلام على رسول الله؟ وهذا سؤال نحن الآن نسأله، نحن نسلم على الأئمة، نسلم على رسول الله في الزيارة الجامعة: **السلام عليكم يا أهل بيت النبوة - ما معنى هذا السلام؟ إمامنا الصادق يشرح لنا - فقال: إن الله تبارك وتعالى لمّا خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه - ابنه يعني الحسن والحسين فهما ابنا رسول الله حقاً وحقيقةً - إن الله تبارك وتعالى لمّا خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة - إلى إمام زماننا عليه السلام - وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويؤربطوا - أخذ عليهم الميثاق كلٌّ بحسبه، الميثاق الذي يؤخذ على رسول الله هل هو كالميثاق الذي يؤخذ عليّ وعليك؟****

هناك ميثاق أُخذ على رسول الله وأهل بيته وهناك ميثاق أُخذ على الشيعة، قطعاً الميثاق المأخوذ على خاتم الأنبياء على سيد الكائنات ميثاق يؤخذ عليه نحن لا نعرف ما هو هذا المضمون ما هو هذا الميثاق، على أي حال، الرواية فيها إشارة وأنا قلت الإشارات يصعب شرحها، وإن قلتُ قبل قليل بأنني إنما أتمسكُ بشرائشِ أفق الإشارة من خلال هذه الروايات - إن الله تبارك وتعالى لمّا خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويؤربطوا وأن يتقوا الله

ووعدهم - وقبل قليل تحدّثنا عن معنى السلام، فيه معنى تقوى الله، وهذا المضمون يعاضد ذلك المضمون - وأن يتقوا الله ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهِر لهم السقف المرفوع ويُريحهم من عدوهم والأرض التي يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لاشية فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم، وأن يكون لهم فيها ما يحبون، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك - يعني هذا ميثاق آخر من رسول الله - وإنما السلام عليه - السلام على رسول الله - تذكراً نفس الميثاق وتجديداً له على الله لعله أن يُعَجِّلَهُ جَلَّ وَعَزَّ وَيُعَجِّلَ السلام لكم بجميع ما فيه - إشارة واضحة وصريحة في معنى السلام.

هذا هو الكافي الشريف زينته كتب الحديث، وهذا هو كلام إمامنا الصادق زينة الكلام وزينة الحديث، داوود بن كثير الرقي يسأل الإمام عن معنى السلام على رسول الله، ونحن هنا أيضاً نريد أن نعرف معنى السلام في الزيارة الجامعة - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - ما هو هذا السلام الذي نقوله؟ الرواية ماذا تقول؟ تقول: أُخِذَ عَلَيْنَا مِيثَاقَانِ: الميثاق الأول أخذهُ اللهُ، هكذا قالت الرواية - إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويُربطوا وأن يتقوا الله ووعدهم - هذا ميثاق الله، ماذا وعدهم؟ - أن يُسلم لهم الأرض المباركة - متى؟ بعد أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويتقوا الله، والإمام هنا يشير إلى آخر آية من سورة آل عمران، الآية الأخيرة من سورة آل عمران المباركة، الآية التي رقمها مئتان من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فهناك صبرٌ ومصابرة ومرابطة وهناك تقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الميثاق ماذا أُخِذَ عليهم؟

وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله - وهذه معاني تحتاج إلى شرح ولا أريد أن أقف عليها لشرحها ولكن أبين بقية الرواية - ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهِر لهم السقف المرفوع - متى يكون ذلك؟ إنما يكون ذلك في أيام دولة الحق، بدايات ذلك في زمان إمامنا الحجة بعد ظهوره الشريف وهذه المعاني تتحقق حينما تكون الرجعة، رجعة النبي والأئمة، لأن الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه برنامجه هو أن يفتح الأبواب فيما بين عالم الشهادة وعالم الغيب، أن يكون الإنسان على الأرض متواصلاً مع عالم الغيب، كيف يكون فتح هذا الباب؟ هناك ترابط تكويني، هناك الكثير من التغييرات الكونية ستتغير، وستكون وستحدث ولذلك سيحدث تغيير، هذه الأرض ستتحول إلى أرضٍ أخرى إلى أرضٍ مباركة إلى أرضٍ فيها خصائص تختلف عن

خصائص الأرض التي نعيش عليها اليوم، تُبدّل هذه الأرض بأرضٍ أخرى، تتغير طباعها، تتغير خصائصها، لذلك الحيوانات تتغير طباعها، لا جذب، ولا يوجد هناك قلة ماء، ولا يوجد هناك تلوث بيئي، تتغير الأرض، أرض مباركة، ولا توجد زلازل، ولا توجد براكين، وتخرج الأرض أفلاذ أكبادها - ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهر لهم السقف المرفوع - الحرم الآمن، الحرم الآمن الممتد، هذا الحرم الآمن هو الحرم الممتد، من أين ممتد؟ يمتد من مكة إلى المدينة إلى عليّ صلوات الله وسلامه عليه إلى النجف إلى كربلاء إلى طوس هذا هو الحرم الآمن - ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور - وينزل لهم البيت المعمور هذا التغير الذي سيحدث في الأرض وهذا الترابط بين عوالم الغيب والشهادة.

البيت المعمور إنما هو في السماء الرابعة لكن الحواجب والحواجز والنظام الكوني سيتغير سيكون هناك تواصل بين هذا العالم وبين تلكم العوالم - وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهر لهم السقف المرفوع - السقف المرفوع العوالم العلوية التي رُفعت عنا، مقصود رُفعت هناك حواجب وحواجز حالت فيما بيننا وبينها، وإنما رُفعت عنا للطبيعة العلوية لتلكم العوالم وللطبيعة السفلية التي نعيشها في هذا العالم، فعند ظهور الإمام وعندما تبدأ دولة الحق وتبدأ التغيرات الكونية هذا العالم سيرتقي هذا العالم السفلي سيرتقي وستزال الكثير من الحُجُب فيما بين هذا العالم الطبيعي والعالم اللاهوتي، قضية الظهور ليست مسألة سياسية، قضية حكم، وقضية إصلاح اجتماعي، هذا جانب جزئي من القضية، القضية أكبر من ذلك، الله سبحانه وتعالى يحقق معنى الاستخلاف، الاستخلاف على الأرض، خليفة الله سبحانه وتعالى حينما يكون على الأرض هذا الخليفة لا بد أن يكون متواصلًا في جميع الاتجاهات إن كان في العالم الطبيعي المادي وإن كان في العالم العلوي، أليس لا بد في هذا الخليفة أن يحمل شيئاً من صفات الذي استخلفه - ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهر لهم السقف المرفوع ويُريحهم من عدوهم - إلى آخر الرواية ثم ماذا تقول الرواية - وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك - فهناك ميثاقان:

ميثاق من الله، وهناك ميثاق من رسول الله، الإمام يقول - وإنما السلام عليه - السلام على رسول الله - والسلام على الأئمة تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله - هذا السلام، السلام على الأئمة هو تجديدٌ لذلك الميثاق، هو تذكرٌ لذلك الميثاق - لعلّه أن يُعجّله جلّ وعزّ ويُعجّل السلام لكم بجميع ما فيه - إذاً السلام هو هذا، إذاً رمزية السلام هي هذه، إذاً معنى السلام هو تجديد عهدٍ مع رسول الله وتجديد العهد مع رسول الله في معناه الواقعي والعملي هو تجديد العهد مع إمام زماننا، نحن إذا أردنا أن

نجدد العهد مع الله ومع رسوله، نجدد العهد مع من؟ نجدد العهد مع صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه - **اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرَّفْنِي نَفْسِكَ لَمْ أَعْرِفِ رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفِ نَبِيَّكَ، وَعَرَّفَنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرَّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفِ حُجَّتَكَ، وَعَرَّفَنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرَّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي** - هناك معرفة الحجّة هي التي تقودنا إلى أي باب؟ إلى باب رسول الله إلى باب الله، فهذا السلام - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - هو تجديد لذلك الميثاق للميثاق الإلهي ولميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله، أي ميثاق؟ ميثاق الإمامة والولاية، الإمامة والولاية متى يتحقق معناها العملي الحقيقي؟ عند ظهور إمام زماننا وعند رجعة نبينا والأئمة، هناك يتحقق معنى الخلافة والولاية والإمامة وإنما نحن الآن في أي طور؟ اصبروا وصابروا وربطوا وربطوا في طور الانتظار، نحن الآن والذين سبقونا وحتى في زمان رسول الله وحتى في زمان سيد الأوصياء وفي زمان الأئمة السابقين من أئمتنا صلوات الله عليهم جميعاً، الكل في انتظار.

الرواية قالت إن العهد أُخِذَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى الْأئِمَّةِ وَعَلَى شَيْعَتِهِمْ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابَطُوا، وَرَابَطُوا كَمَا فِي الرِّوَايَاتِ قَالَ: رَابَطُوا صَاحِبَ الْأَمْرِ، انْتَظَرُوا الْإِمَامَ الْحُجَّةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، إِذَا - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - هو تجديد للعهد الإلهي وتجديد للميثاق المُحَمَّدِي فِي أَي شَيْءٍ؟ فِي الصَّبْرِ وَالْمَصَابِرَةِ وَالْمِرَابِطَةِ وَالْإِنْتِظَارِ وَتَأْكِيدِ الْعُهُودِ وَالْمَعْرِفَةِ التَّمَسُّكِ بِعُرْوَةِ إِمَامِ زَمَانِنَا، بِانْتِظَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يُفْتَحُ فِيهِ عَالَمُ الشَّهَادَةِ عَلَى عَالَمِ الْغَيْبِ، بِانْتِظَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَكُونُ هُنَاكَ الْأَرْضُ الْمُبَارَكَةَ وَيَكُونُ هُنَاكَ الْحَرَمُ الْأَمِنُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى النَجْفِ إِلَى كَرْبَلَاءَ إِلَى طُوسَ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ فِيهَا عِبَقَاتُ وَعِطْرٌ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، الْحَرَمُ الْأَمِنُ هُوَ حَرَمُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، إِلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي يَنْتَزِلُ فِيهِ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَيُنْكَشِفُ فِيهِ السَّقْفَ الْمَرْفُوعَ، هَذَا السَّلَامُ تَذَكِيرٌ بِتَلَكُمُ الْمَوَاقِيقِ فَحِينَئِذٍ حِينَئِذٍ نُسَلِّمُ عَلَى أئِمَّتِنَا وَنَقُولُ - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - هَذَا تَجْدِيدٌ لِلْمَوَاقِيقِ مَعَهُمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَهَذَا شَيْءٌ مِنْ إِشَارَةٍ، الْمَضْمُونُ عَمِيقٌ جَدًّا وَلَا أَجْدَ وَقْتًا لِشَرْحِهِ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ وَلَكِنْ شَيْءٌ مِنْ إِشَارَةٍ، وَالْحَرَمُ تَكْفِيهِ إِشَارَةٌ وَمَنْ أَظْلَمَتْ دَرُوبُهُ فَوَاللَّهِ لَا تَغْنِيهِ أَلْفُ أَلْفِ عِبَارَةٍ، هَذِهِ إِشَارَةٌ وَإِشَارَةٌ مِنْ بَعِيدٍ، وَقَلْتُ بِأَنِّي لَا أَتَمَكَّنُ إِلَّا أَنْ أَتَمَسَّكَ بِأَطْرَافِ شِرَاشِرِ أَفْقِ عَالَمِ الْإِشَارَةِ، أَلَمْ يَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا كَمِيلُ إِنْ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، مَا عِنْدِي مِنْ وَعَاءٍ لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ أَتَمَسَّكَ بِأَطْرَافِ شِرَاشِرِ عَالَمِ الْإِشَارَةِ، وَمِنْ خِلَالِ رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وإشارة أخرى، لمحة أخرى من أفق الإشارة، الرواية في علل الشرائع لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، في الجزء الثاني وفي الباب الأول في باب علل الوضوء والأذان والصلاة، والرواية طويلة، الرواية مروية عن

إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يحدثنا عن رسول الله عن معراج رسول الله، والرواية عميقة جداً أنا فقط أشير إلى موطن الحاجة منها، الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه - فقال لي - إمامنا الصادق يحدثنا عن جده رسول الله، النبي يقول - فقال لي: يا مُحَمَّدَ سَلِّمْ، فقلت: السلام عليكم - هذا السلام الذي هو في آخر الصلاة والذي هو نفسه في الزيارات والذي هو نفسه في سائر المواطن الأخرى - فقال لي: يا مُحَمَّدَ سَلِّمْ، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال الله - ماذا قال؟ - يا مُحَمَّدَ إني أنا السلام - وذكرتُ في أول الحلقة بأن السلام من أسمائه سبحانه وتعالى - فقال: يا مُحَمَّدَ إني أنا السلام، والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك، ثم أمرني ربي العزيز الجبار أن لا ألتفت يساراً - أنا السلام قول الله سبحانه وتعالى والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك يا مُحَمَّدَ، الحديث عن الذرية عن المعصومين، الحديث عن أهل بيت العصمة - يا مُحَمَّدَ إني أنا السلام، والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك، ثم أمرني ربي العزيز الجبار أن لا ألتفت يساراً - هنا إشارة واضحة أن لا ألتفت يساراً لأن اليسار فيه رمزية، رمزية إلى أي عوالم؟

إلى العوالم السفلية، اليسار فيه إشارة إلى عوالم الحُجُب، أن لا ألتفت يساراً، الالتفات يكون إلى أي جهة؟ الالتفات يكون إلى جهة اليمين، لذلك في سورة الواقعة وسورة الواقعة بحاجه أن نقف عليها طويلاً ولكن الوقت لا يكفي لأن نقف طويلاً عند هذه السورة، السورة تتحدث في أولها عن مجموعات ثلاثة ﴿وَكُتُبُكُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿ ثم يأتي الحديث عن هذه المجموعات أصحاب المشأمة هم أنفسهم يأتي ذكرهم في الآية الحادية والأربعين ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ الآيات بعد ذلك تتحدث عن المقربين، تتحدث عن أصحاب اليمين، ثم تتحدث عن أصحاب الشمال ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿ إلى آخر الآيات، في آخر سورة الواقعة أيضاً يأتي الكلام ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ وهم السابقون ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ ﴿ يعني من أصحاب المشأمة من أصحاب الشمال ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ، ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ واليمين علي صلوات الله وسلامه عليه، وأصحاب اليمين أصحاب علي شيعه علي - ثم أمرني ربي العزيز الجبار أن لا ألتفت

يساراً - وإنما الإلتفات إلى جهة اليمين، إلى أي جهة؟ إلى جهة عليّ وهنا إشاراتٌ دقيقة جداً لا يسع المقام لبيانها، إن شاء الله في طوايا الحلقات القادمة أشير إلى بعضٍ منها ولكن يمكن أن أشير إلى هذه النكتة، إلى هذه النقطة، ما جاء في الروايات من أن الله سبحانه وتعالى كلمه على بساط النور بصوت عليّ صلوات الله وسلامه عليه، وأنه صلى الله عليه وآله حينما صعد إلى الذرى العالية إلى المقامات العالية وجد عليّاً صلوات الله وسلامه عليه، وجد مثلاً لعليّ، وأن الملائكة كانت تطوفُ وتزور هذا المثال وإن الملائكة هي التي طلبت من الله أن يجعل لها مثلاً شوقاً لعليّ، هكذا في الروايات وفي كل ذلك رموز، القضية لا تؤخذ بهذا الإطار الظاهري، في كل ذلك رموز وإشارات تأتي على بيانها في وقتها المناسب إن شاء الله تعالى.

يا مُحَمَّدَ إِنِّي أَنَا السَّلَامُ، وَالتَّحِيَّةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْبَرَكَاتُ أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ - الكلام هنا عن النبي وعن أهل بيت العصمة فهم التحية وهم الرحمة وهم البركات ولذلك القرآن الكريم أشار إلى هذه الرمزية بنحو واضح، القرآن الكريم في الآية الثامنة بعد العاشرة من سورة المائدة، في الآية الخامسة والعشرين من سورة يونس ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ودار السلام هي الجنان، والسلام في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، السلام في روايات أهل البيت المراد منه ولاية عليّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ السلام هو اسمُ لجنة الباري سبحانه وتعالى والتي أشار إليها في الآية الخامسة والعشرين من سورة يونس ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ والكلام هو الكلام الذي جاء في هذه الرواية - يا مُحَمَّدَ إِنِّي أَنَا السَّلَامُ، وَالتَّحِيَّةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْبَرَكَاتُ أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ - هذه إشارة وهذا مضمونٌ آخر من مضامين معنى السلام.

وهناك إشارةٌ أخرى أيضاً جاءت في كتاب الله العزيز في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ: إذا أردنا أن نركب الجملة تركيباً نحوياً - سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ - تكون هي سلام حتى مطلع الفجر، فهي ضمير الشأن مبتدأ، وسَلَامٌ خبر وهي تعود على ليلة القدر، السورة سورة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾

هي ضمير الشأن يعود على ليلة القدر مبتدأ وسلام خبر، الإخبار هنا عن أن ليلة القدر إنما هي سلام، طبعاً هناك إشارات دقيقة جداً في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تتحدث عن هذا المعنى، مثلاً ما جاء في سورة الدخان، الآيات الأولى من سورة الدخان ماذا تقول؟

﴿حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمَبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ الرواية في الكافي الشريف وفي غير الكافي الشريف عن إمامنا باب الحوائج موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، قال: حم: مُحَمَّد، وَالْكِتَابِ الْمَبِينِ: عَلِيٌّ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ: قال الليلة المباركة فاطمة - حم مُحَمَّد، الكتاب المبين عليٌّ صلوات الله عليه - إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ - الليلة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وهو نفس المضمون الذي ورد في عدة رواياتٍ عن أهل بيت العصمة في معنى ليلة القدر، في معنى الآية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي

لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ في رواياتٍ عديدة أن ليلة القدر التي جاءت مذكورة في سورة القدر هي فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وهي نفسها الليلة المباركة التي جاءت في سورة الدخان ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ في روايات وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سبيل المثال ما جاء في تأويل الآيات الظاهرة في العترة الطاهرة وهو من أهم مصادر تفسير البرهان، وهذا هو الجزء الثاني من هذا الكتاب، ينقل الرواية عن الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه - الرواية عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيتُ علي وفاطمة حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسقف بيتهم - الحديث هنا ليس عن بيتٍ بهذا المعنى المبني من الطابوق والآجر، الحديث عن البيت بالمعنى الغيبي بالمعنى الأبعد الأعمق، قلت نحن نتحدث في أفق الإشارة وليس في أفق العبارة - بيتُ علي وفاطمة حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسقف بيتهم عرش ربِّ العالمين وفي قعر بيوتهم فرجةٌ مكشوفة - فتحة - إلى العرش - معراج الوحي - والملائكة تنزلُ عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وفي كل ساعة وطرفة عين والملائكة لا ينقطع فوجهم فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد وإن الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمةَ والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش فبيوتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن ومعراج الملائكة والروح فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيتٍ من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة لقول الله عزَّ وجل: تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم بكل أمر سلام، قال: قلت: من كل أمر؟! قال: بكل أمر، قلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم - هذا التنزيل ليس

الحديث هنا عن تنزيل الوحي الحديث عن معنى أعمق من ذلك، حديث الوحي الذي يُتحدث عنه في كتب الكلام وفي كتب التفسير الحديث عن نزول القرآن بألفاظه نزول القرآن على رسول الله وهذا معنى من معاني الاتصال بين النبي وبين الله سبحانه وتعالى، القضية أعمق من ذلك وأبعد من ذلك، والرواية تتحدث عن التنزيل في أفقٍ آخر في أفق أعمق، الإمام صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟

ولا يجدون لبيوتهم سُقْفاً غير العرش فبيوتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن - الحديث هنا ليس عن بيوت طينية، الحديث عن حقائق الأئمة، الحديث عن قلوب الأئمة، الحديث عن قلب النبي عن قلب عليٍّ عن حقيقة مُحَمَّدٍ عن حقيقة عليٍّ، الحديث عن جانب من منازل ومقامات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وهم في العالم الأرضي، هم في العالم الأرضي متواصلون مع العوالم العلوية لذلك - ولا يجدون لبيوتهم سُقْفاً غير العرش فبيوتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح - والروح خلقٌ أعظم من الملائكة.

الرواية في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من أجزاء الكافي الشريف من أصول الكافي الرواية عن إمامنا الصادق في باب مواليد الأئمة الرواية الأولى، الرواية طويلة أخذ منها موطن الحاجة، يرويها أبو بصير عن إمامنا الصادق - قلتُ: جُعِلَتْ فداك الروح ليس هو جبرئيل؟! - الروح الذي في سورة القدر، لأنه قبل هذا الكلام الإمام يقول - واستحقَّ زيارة الروح في ليلة القدر - يتحدث عن مقام الإمام المعصوم وأن الإمام المعصوم يزوره الروح في ليلة القدر - واستحقَّ زيارة الروح في ليلة القدر - أبو بصير يقول - قلتُ: جُعِلَتْ فداك الروح ليس هو جبرئيل؟! قال عليه السلام: الروح هو أعظم من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة وإن الروح هو خلقٌ أعظم من الملائكة - الروح خلقٌ آخر، الروح شيءٌ آخر - أليس يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ - فجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والملائكة الكروبيون والملائكة المقربون وكل أصناف الملائكة يدخلون في هذا العنوان - تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ - أما الروح كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه - الروح هو أعظم من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة وإن الروح هو خلقٌ أعظم من الملائكة - ما هو هذا الروح؟! -

هذا الروح الذي جاء ذكره في سورة القدر ﴿ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ كما قال الإمام صلوات الله وسلامه عليه وهو يسأله - قال: من كل أمر؟! قال: بكل أمر - الآية الخامسة والثمانون من سورة الإسراء ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الروح الذي جاء مذكوراً في سورة القدر هو هذا الروح الذي تتحدث عنه هذه الآية وليس الكلام عن الروح البشرية، نعم الروح البشرية أيضاً هي من أمر الله سبحانه وتعالى لكن الروح بمعناه الأكمل والأتم هو ذلك الروح الذي

جاء مذكوراً في سورة القدر والذي قال عنه الإمام بأنه خلق أعظم من الملائكة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية الخامسة والثمانون من سورة الإسراء ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا هو الروح الذي تتحدث عنه سورة القدر والذي جاء مذكوراً في هذه الروايات تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكل أمر، بكل أمرٍ من الله سبحانه وتعالى والروح، نقفُ نتبصر في سورة القدر، سورة القدر ماذا تقول ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وفي الروايات إن ليلة القدر المذكورة في هذه السورة هي فاطمة، روايات موجودة عندنا هذه رواية الآن بين يدي، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يعني فاطمة، روايات عديدة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ليلة القدر التي جاءت مذكورة في سورة القدر هي فاطمة وأشارت إلى الرواية التي جاءت مروية عن الإمام الكاظم في تفسير الآيات الأولى من سورة الدخان، الليلة المباركة التي جاءت مذكورة ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ حم قال: مُحَمَّد، الكتاب المبين: عليّ، والليلة المباركة: هي فاطمة، ليلة القدر فاطمة، ثم تبدأ السورة تتحدث عن خصائص وعن مجريات تجري في ليلة القدر، في ليلة القدر التي هي رمزية زمانية في العالم الأرضي، أما في العالم العلوي فهي الحقيقة الفاطمية، صورتها الزمانية الفلكية في العالم الأرضي هي ليلة القدر التي نزل فيها القرآن بجملة على قلب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا﴾ هذا الروح خلق أعظم من الملائكة، خلق آخر، هذا الروح هو مظهر من مظاهر الحقيقة الفاطمية.

هذه الليلة ليلة القدر وليلة القدر فاطمة كما في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذه الليلة تنزل فيها الملائكة كل الملائكة ومع الملائكة يتنزل الروح، الروح الحقيقة الفاطمية، الحقيقة الفاطمية هي تشير إلى الجوهر الجامع بين حقيقة النبوة والولاية، الحقيقة الفاطمية هي الجوهر الجامع بين حقيقة النبوة والولاية، ولذلك كانت حُجَّة على الأئمة - نحن حُجج الله على الخلق وفاطمة أمنا حجة علينا، حُجَّة الله علينا - لأنها هي الحقيقة الجامعة بين النبوة والولاية، لأنها الحقيقة الجامعة بين المعنى المُحَمَّدِي والمعنى العلوي، بين المعنى النبوي وبين المعنى الولوي، بين معنى مُحَمَّدٍ وعليّ كانت حقيقة فاطمة، وهذا هو الروح الذي يتجلى في ليلة القدر، وهذه الليلة ما هو وصفها؟ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ هي سلامٌ، هذه الليلة هي سلامٌ، هذه صورة أخرى كصورة الميثاق، كصورة المناجاة التي كانت بين الله وبين رسوله لَمَّا قال: يا مُحَمَّدُ إني أنا السلام، والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك. كما مرَّ علينا في حديث علل الشرائع قبل قليل، الحديث الذي يرويه الشيخ الصدوق عن إمامنا الصادق عن رسول الله

صلى الله عليه وآله كما مرَّ الكلامُ في حديث الكافي في معنى السلام على رسول الله وأنه تجديدٌ لذلك الميثاق، الميثاق الإلهي والميثاق المُحمَّدي في أن الله سبحانه وتعالى يعطيهم بعد ذلك متى؟ حينما يتم الاستخلاف في زمان إمامنا عليه السلام وفي الرجعة يعطيهم الأرض المباركة والحرم الآمن والبيت المعمور والسقف المرفوع ومرَّ الكلام، وكذلك حينما صعد في معراجِهِ، فقال له: سَلِّمْ وَسَلِّمْ، فقال: إني أنا السلام والتحية والرحمة والبركات أنت يا مُحَمَّد، أنت وذريتك يا مُحَمَّد، هذه صورةٌ أخرى، وصورةٌ ثالثة هذه التي بين يدي، صورة ليلة القدر هذا هو السلام، تنزل الملائكة والروح فيها على الإمام المعصوم هذا هو تحية الله للإمام المعصوم، تنزل الملائكة والروح فيها.

حين نسلم على الأئمة - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - هذا السلام إقرارٌ بهذه المنزلة، نحن هنا نُقرُّ للأئمة بما لهم من المنازل والمقامات وهذا فيه شيءٌ من إشارة، طبعاً المطالب بحاجة إلى شرح أوفى وأوسع وأكثر وهناك مطالب أخرى كان بودي أن أشير إليها لكن وقت البرنامج انتهى وأخذت وقتاً إضافياً على وقت البرنامج، كان المقرر أن يكون وقت البرنامج أقل من هذا الوقت لكنني أحببت أن أوضح هذا المعنى معنى السلام عليكم حتى أتناول معنىً ومضموناً جديداً في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

فالذي نخلصُ إليه أننا حين نقول السلام عليكم، السلام عليكم هو تجديد عهدٍ وميثاق وبيانٌ لعقيدةٍ بأهل البيت، أهل البيت هذه منازلهم، ليلة القدر ليلتهم وحقيقتها أمهم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، والروح الذي هو خلقٌ أعظم من الملائكة الروح إنما هو من تجليات الحقيقة الفاطمية التي تتجلى في هذه الليلة في ليلة القدر وتلكم الحقيقة هي السلام هي سلام الله هي سلام الملائكة الأعلى للإمام المعصوم على الأرض، هذا التنزل هو معنى السلام، وحين نسلم على الأئمة إنما نستعرض هذه العقيدة ونتذكر هذه العقيدة ونتذكر هذه المعاني ونعاهد الأئمة على الاعتقاد بها وهذه هي فاتحة الكلام، الكلام لم ينتهي بعد والحديث عن السلام يحتاج إلى شرحٍ أو إلى بسطٍ في القول أكثر من ذلك لكننا ماذا نصنع لسيف الوقت وسيفه قاطع، ولو سنحت لي فرصة أخرى ربما أضيف إضافات أخرى على معنى السلام. أختتم كلامي وحديثي أن أقول:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،
والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا شِيعةَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.
أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الرابعة

معنى أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الرابعة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، كما اتفقنا في الحلقات الماضية أننا نقرأ الزيارة الجامعة الكبيرة من مفاتيح الجنان لتوفر هذا الكتاب بين يدي المؤمنين والمؤمنات من محبي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

في الحلقة السابقة شرعنا في قراءة أول عبارةٍ مِنْ عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة حين يبدأ الزائر فيقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ**. تَقَدَّمَ الكلامُ في الحلقة الماضية في معنى السلام وتناولتُ جُمْلَةً من الأحاديث والروايات الشريفة التي رُوِيَتْ عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا زلنا نتناول عبارات هذه الزيارة الشريفة - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - في هذه الحلقة أتناول هذه العبارة: **يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ**. بَيَّنْتُ معنى السَّلَام في الحلقة الماضية، أتناول في هذه الحلقة معنى: **يا أهل بيت النبوة**، أول شيءٍ أتناوله ما جاء في الروايات الشريفة والتي سأبقى دائماً أعود إليها وأتناولها بالشرح والبيان من دون أن أذهب في تفاريع وجوانب من هنا ومن هناك.

الروايةُ يرويهها شيخنا الصدوق، عن أبي بصيرٍ قال: **قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟** - نحن هنا نُسَلِّمُ عليهم صلوات الله وسلامه عليهم، نُسَلِّمُ عليهم فنقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** فمن هم أهل بيت النبوة؟ - عن أبي بصيرٍ قال: **قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟** قال: **ذريتهُ، آلُ مُحَمَّدٍ ذريتهُ - وذريتهُ مُنَحْصِرَةٌ في فاطمة، وذريتهُ وُلْدُ فاطمة، والكلمات النبوية واضحة صريحة: كُلُّ نَبِيٍّ ذريتهُ من صُلْبِهِ وذريتي من صُلْبِ عَلِيٍّ وفاطمة - قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام - أبو بصيرٍ يقول - مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟ قال: ذريتهُ، فقلتُ: مَنْ أهل بيته؟ قال: الأئمة الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحاب العباء - الرواية واضحة وصريحة وجليّة في بيان معاني هذه المُصطلحات، عندنا عنوان آل مُحَمَّد، وعندنا عنوان أهل بيته، وعندنا عنوان العترة الطاهرة - مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟ قال: ذريتهُ - ذريتهُ ذريةُ فاطم - فقلتُ: مَنْ أهل بيته؟ قال: الأئمة الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ - العترة هي الشجرة، أصل الشجرة، في لغة العرب كلمة العترة هو أصل الشجرة - فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحاب**

العباء - أصحاب العباء أنت تعرفهم، أصحاب العباء مع رسول الله عليّ وفاطمة والحسنان صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فقلتُ: مَنْ أُمَّتُهُ؟ قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْثَقَلَيْنِ الَّذِينَ أَمَرُوا بِالْتَّمَسْكِ بِهَمَا كِتَابِ اللَّهِ وَعِتْرَتِهِ أَهْلَ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً وَهُمَا الْخَلِيفَتَانِ عَلَى الْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - السلام على العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليه، الرواية جميلة جداً، هذه الرواية أقرأها الآن من الجزء الخامس والعشرين من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي وهو ينقلها عن كتاب معاني الأخبار لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، رواية واضحة جداً وصريحة وجميلة في نفس الوقت ولا تحتاج إلى شرح كثير، أعيد قراءتها لأهميتها ولأجل أن يتركز ما جاء فيها من معنى في أذهان من يستمع إلي - قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟ قال: ذُرِّيَّتِهِ، فقلتُ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ قال: الْأَئِمَّةُ الْأَوْصِيَاءُ، فقلتُ: مَنْ عِتْرَتُهُ؟ قال: أَصْحَابُ الْعِبَاءِ، فقلتُ: مَنْ أُمَّتُهُ؟ قال: الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَقُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْثَقَلَيْنِ الَّذِينَ أَمَرُوا بِالْتَّمَسْكِ بِهَمَا كِتَابِ اللَّهِ وَعِتْرَتِهِ أَهْلَ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً وَهُمَا الْخَلِيفَتَانِ عَلَى الْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - الخليفتان الكتاب والعترة، ما يتعلق بما في الزيارة الجامعة الكبيرة التي بين أيدينا نحن نخاطب الأئمة - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - وسؤال أبي بصير - فقلتُ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ قال: الْأَئِمَّةُ الْأَوْصِيَاءُ - الحديث هنا عن الأئمة الأوصياء، الخطاب هنا خطاب مع الأئمة الأوصياء.

رواية ثانية من الروايات الجميلة جداً والواضحة، واضحة الدلالة، بيّنة جداً، الرواية، عن غياث بن إبراهيم عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: سئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنِّي مَخْلَفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابِ اللَّهِ وَعِتْرَتِي، مِنْ الْعِتْرَةِ؟ - سؤال وجه إلى أمير المؤمنين، من العترة التي أشار إليها رسول الله في الحديث إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟ ماذا أجاب الأمير عليه السلام - فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من وُلْدِ الْحُسَيْنِ تَاسِعَهُمْ مَهْدِيهِمْ وَقَائِمُهُمْ لَا يَفَارِقُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَوْضَهُ - رواية صريحة وجميلة في بيان معنى العترة ولا احتاج أن أذهب إلى أقوال الكلاميين، ولا احتاج إلى أن أذهب إلى معنى كلمة الأهل والآل في اللغة، الروايات صريحة وواضحة، الزيارة الجامعة كلام مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وهذه الروايات رواياتهم، وهذه الكلمات كلماتهم جلية صريحة واضحة، الرواية قاطعة جداً، لَمَّا سئِلَ الأمير من العترة التي جاء ذكرها في حديث الثقلين، بشكل واضح ويبيّن ماذا قال؟ - أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله

ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه.

رواية ثالثة مروية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، هذه الروايات كلها جمعتها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار، عن محمّد بن سليمان الديلمي عن أبيه - يعني عن سليمان الديلمي - قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من الآل؟ قال: ذرية محمّد صلى الله عليه وآله، قال: قلت: فمن الأهل؟ قال: الأئمة عليهم السلام، فقلت: قوله عز وجل ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ - ما المراد من كلمة آل في هذه الآية، السائل يسأل الإمام في البداية سأل الإمام، من الآل؟ قال: ذريته، من الأهل؟ قال: الأئمة ثم سأل عن هذه الآية: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ من المراد من آل فرعون هنا؟ - قال الإمام الصادق: والله ما عنى إلا ابنته - آل فرعون الذين جاء ذكرهم في هذه الآية الإمام يقول: - والله ما عنى إلا ابنته إنها ابنة فرعون ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ - فالآل الذرية والأهل والعترة هم المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قال سيد الأوصياء العترة أنا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، هؤلاء هم الذين نحاطبهم في هذه الزيارة الكريمة وفي أيّ زيارة أخرى، نحن حين نقول - أَسْلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - إنما نقصد هؤلاء، نقصد عليّاً والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم إمام زماننا الحجّة بن الحسن.

لذلك نحن إذا أردنا أن نستمر في قراءة الزيارة الجامعة سنصل إلى موطن من المواطن حينما نصل إلى هذه العبارة - وَبِكُمْ يَنْفَسُ الْهَمُّ وَيَكْشِفُ الضَّرُّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ - هنا حينما نصل إذا كان الخطاب في الزيارة إلى أمير المؤمنين نقول - وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ - إذا كان الخطاب مع سيد الأوصياء - وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ - إلى آخر الزيارة وإذا كان الخطاب مع الأئمة المعصومين من غير أمير المؤمنين إن كانوا جميعاً أو كان الخطاب مع واحد منهم - وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ - وإذا كنا نسلم في هذه الزيارة على سيد الأوصياء وعلى الأئمة فنقول: وَإِلَى أَخِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلَى جَدِّكُمْ سَادَتِي الْأَطْهَارِ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ. فالزيارة زيارة لسيد الأوصياء وللمعصومين من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هذا المعنى بشكل مجمل - أَسْلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - أهل بيته إذاً المعنى واضح، قطعاً الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، الزهراء داخلة في العترة، وداخلة في آله، وداخلة في أهل بيته، بل إن الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لها الحجية على الأئمة من ولد سيد الأوصياء، ألم يقل إمامنا الزاكي العسكري:

نَحْنُ حُجَّجُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ عَلَى الْعِبَادِ وَفَاطِمَةُ أَمْنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْنَا، لَكِنَّ الْكَلَامَ هُنَا فِي هَذَا النَّصِّ الشَّرِيفِ نَحْنُ نَخَاطِبُ فِيهِ سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ الْمُعْصُومِينَ مِنْ وَلَدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، إِذَا حِينَ نَقُولُ: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - فاطمة من جملة هذا العنوان فهي سيدهُ بيت النبوة لكن بحسب الخطاب تارةً نوجه الخطاب إلى سيد الأوصياء وتارةً نوجه الخطاب إلى الأئمة المعصومين من ولده وربما نوجه الخطاب إلى كل أهل بيت النبي ففاطمة سيدهُ أهل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليها - **يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - هؤلاء الآل وهؤلاء الأهل وهؤلاء العترة إلى أي جهة تُسبوا؟ تُسبوا إلى بيت النبوة - **يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - فلا يتضح المعنى جلياً إلا أن نوضح معنى النبوة، ما المراد من النبوة؟

ولا أريد أن أذهب إلى التفاصيل اللغوية، ولا أريد أن أذهب إلى أقوال الكلاميين أو أقوال المفسرين في معنى النبوة، وإنما أتناول هذا المعنى من روايات النبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى تتضح الصورة دون الدخول في تفرعات، لا أريد أن أتناول مثلاً الفارق بين النبي والرسول، لا أريد أن أتناول مثلاً أن من الأنبياء من تأتبه نبوته في المنامات، ومن الأنبياء من تأتبه نبوته عن طريق الملائكة يسمع الصوت ولا يرى الملك وأمثال هذه المعاني، هذه المعاني تنطبق على سائر الأنبياء من دون نبينا صلى الله عليه وآله، نبينا صلى الله عليه وآله نبوته هي فوق الأنبياء، ونبوته فوق النبوات، لذا لا أدخل في هذه التفاصيل التي يتناولها الكلاميون والمفسرون، أذهب مباشرةً إلى روايات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لبيان معنى النبوة، نبوة نبينا صلى الله عليه وآله، في اللغة النبوة تعني العلو، نبا يعني علا، والنبوة المكان العالي في لغة العرب، فحينما تُشَدَّدُ، النبوة هو المكان العالي، وطبعاً يأتي معنى النبوة بمعنى العلم، النبوة العلو أو المكان العالي وكذلك النبا يأتي بمعنى العلم، النبوة هو المكان العالي ولا يكون المكان عالياً من دون علم لأن العلو إنما هو في العلم وفي حقيقة العلم، النبوة، ما المراد من النبوة؟ النبوة في روايات أهل البيت معنىً واسعاً، أوسع من قضية تبليغ رسالة، أو تبليغ أحكامٍ شرعية، بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وآله، هناك المقام الأعظم للنبوة والمقام الأعظم للنبوة هو مقام الخلافة الإلهية المطلقة، الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمة هذه الكلمة أنه سبحانه وتعالى جعلها أساس الوجود، والروايات في هذا الكلام طويلةٌ وسنأتي على ذكر بعضها بحسب ما يستحق بها المقام، هذه الكلمة هي عنوان الخلافة الإلهية المطلقة، لأن الله سبحانه وتعالى أستخلف هذه الكلمة على الوجود، وهذه الكلمة في حقيقتها هي الحقيقة المحمّدية، هي النور المحمّدي الأول هكذا تحدثت روايات أهل البيت.

إذاً الخلافة الإلهية المطلقة إنما هي في الحقيقة المحمّدية وأعلى مراتب وأعلى تجليات هذه الخلافة هي درجة النبوة، النبوة المطلقة، ليس النبوة المحصورة في العالم الأرضي، النبوة في العالم الأرضي وإن كانت بهذه

المرتبة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ رحمة للعالمين لكل العوالم، هذه رحمة مطلقة لأنها تنشأ من الخلافة الإلهية المطلقة، هناك الخلافة الإلهية أو قل بعبارة أخرى الولاية الإلهية المطلقة، أعلى مراتب هذه الولاية هي النبوة الختمية، هي النبوة الفاتحة الخاتمة، وحين أتحدث عن النبوة هنا بالمعنى المطلق لا بالمعنى الأرضي، كما قلت النبوة هو العلو، النبوة في المعنى الأرضي تتناسب مع العالم الأرضي، أما الحقيقة المُحَمَّدِيَّة فهي الحقيقة التي لها مقام الخلافة المطلقة، مقام الولاية المطلقة، مقام النبوة المطلقة، وهذا معنى أوسع من أن يبحث في ضمن أطر علم الكلام وفي ضمن أطر أن النبي يوحى إليه عن طريق المنام أو أن يكلمه الملك ولا يرى الملك وأمثال هذه المعاني، الكلام هنا عن شيءٍ وسيعٍ وعميقٍ جداً، لذلك سأتناول بعضاً من الأحاديث أو من الروايات التي تتناول هذا المعنى.

هذه رواية، وهذه الرواية رواها شيخنا الكليني في الكافي، وهذا هو الجزء الخامس عشر من بحار الأنوار، الشيخ المجلسي ينقل الرواية عن الكافي الشريف، الرواية: **عن مُحَمَّد بن سنان قال: كنتُ عند أبي جعفر الثاني - يعني جواد الأئمة صلوات الله عليه - كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريتُ اختلاف الشيعة - ذكرتُ أن هناك اختلافاً بين الشيعة في بعض المطالب في بعض الأمور، وقطعاً من أهم أسباب هذا الاختلاف هو عامل التقية وعدم استطاعتهم أن يتواصلوا مع الأئمة بسبب خوفهم من الظالمين - كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا مُحَمَّد - يخاطب مُحَمَّد بن سنان - يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل مُتفرداً بوحدانيته - كان ولم يكن معه شيء - ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة - طبعاً هذه الروايات قد يترأى أنها تختلف، في بعض الروايات تذكر الأسماء بتمامها، في بعض الروايات تذكر اسم النبي فقط، في بعض الروايات تذكر هذه الأسماء الثلاثة، هذه الروايات كل واحدة ناظرة إلى جانب أو إلى جهة أو إلى حيثية، وكما يقول الحكماء لولا الحيثيات لبطلت الحكمة - ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر - والأرقام والتقسيمات الزمانية والتقسيمات الوقتية في مثل هذه الروايات لا علاقة لها بالزمان الدنيوي، هذا الكلام قبل خلق الخلق، قبل أن توجد الأفلاك والنجوم والشموس والأرض وقبل كل شيء، فلا يوجد هناك زمان كهذا الزمان الذي نحن نعيش فيه - إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم - هذه هي النبوة، هذه النبوة بالمعنى المطلق، هذه هي الخلافة الإلهية المطلقة، هذه هي الولاية الكلية للنبي وآله، ليس الحديث عن أن الإمام صلوات الله عليه سلبه فلان وفلان ممن لا قيمة لهم خلافةً أو منصباً أو حكومةً على الناس.**

خلافة النبي وأهل بيته خلافه إلهية أوسع من كل المعاني التي يتحدث عنها علماء الكلام مثلاً - يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّدًا وعلياً وفاطمة فمكتوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء - خلق جميع الأشياء يعني بعد ذلك خلق الزمان وخلقت الأفلاك، فألف دهر هذه المذكورة لا علاقة لها بالزمان الدنيوي - ثم خلق مُحَمَّدًا وعلياً وفاطمة فمكتوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها - أشهدهم كان لهم الإشراف - وأجرى طاعتهم عليها - أجرى طاعتهم على جميع الخلق - وفوض أمورها إليهم - هذه الرواية في الكافي الشريف - فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون - وهذا التحليل والتحرير ليس في الدائرة الشرعية، هذا التحليل والتحرير الجانب الشرعي جزء منه، هذا التحليل والتحرير في الجانب التكويني والجانب التشريعي يتفرع بعد ذلك على الجانب التكويني، الرواية تتحدث عن البعد التكويني في الوجود: أشهدهم خلقها، أجرى طاعتهم عليها، على كل الأشياء لا يوجد هناك تحليل وتحرير للجملات، الحديث هنا عن تكوين - فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها - أمورها التكوينية - وفوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون ولن يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى - مشيئتهم مشيئة الله - ثم قال: يا مُحَمَّد - الخطاب مع مُحَمَّد بن سنان - هذه الديانة - هذه العقيدة، الديانة العقيدة - هذه الديانة التي من تقدمها مرق - خرج من الدين من تقدم على هذه العقيدة يعني من لم يقبل بهذه العقيدة - من تقدمها مرق - مرق كمروق السهم حينما يخرج السهم من القوس يقال للسهم مرق، فلذلك هذا التعبير يرد في الروايات.

هنا تعبير مجازي كأن الذي يخرج من هذه الديانة كيف يخرج؟ يعني قلبه وعقله لا يقبلان هذه العقيدة فإنما هو مارق مرق، مرق من العقيدة ومن الدين - يا مُحَمَّد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها مُحِق - مُحِق يعني بطل لا وجود له - ومن لزمها لحق - الذي يلزم هذه الديانة لحق - خذها إليك يا مُحَمَّد - يا مُحَمَّد يا ابن سنان، خذها إليك واضحة صريحة جلية وكل الصيد في جوف الفري، كل العقيدة أجمالها الإمام في هذه الرواية، الرواية جميلة جداً وعميقة في معناها ومختصره، الرواية مختصرة ومروية في الكافي الشريف عن إمامنا الجواد صلوات الله وسلامه عليه، أعيد قراءة الرواية، أنا أعيد وأكرر هذه الروايات لأجل أن تتركز معانيها - يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّدًا وعلياً وفاطمة فمكتوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها - الطاعة التكوينية - وفوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون - تكويناً قبل التشريع - ويحرمون ما يشاءون - تكويناً قبل التشريع - ولن يشاءوا - المشيئة التكوينية - إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثم قال: يا مُحَمَّد هذه الديانة - هذه العقيدة - التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها مُحِق ومن لزمها لحق

خذها إليك يا مُحَمَّد - هذه منزلة النبوة المطلقة، الولاية المطلقة، الولاية الكلية، الحديث في هذه الرواية عن الولاية الكلية، أعلى مرتبة في الولاية الكلية، أعلى مرتبة هي مرتبة النبوة، إذاً حينما نخطب المعصومين - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْوَلَايَةِ، بيت النبوة هو بيت الولاية، بيت النبوة هو مركز الولاية، بيت النبوة يعني الخلافة الكلية، أعلى مرتبة في الخلافة الكلية هي مرتبة النبوة، النبوة الفاتحة الخاتمة، الصادرُ الأولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُحَمَّدٌ فِي وَجُودِهِ الْأَوَّلِ فِي وَجُودِهِ الْأَعْلَى الَّذِي مِنْ نُورِهِ أَشْتَقَّتْ الْأَنْوَارُ.

رواية ثانية تتناول هذا الموضوع من جهة أخرى بنحوٍ فيه ملاحظة إلى حيثية ثانية، وإلا المضمون واحد، المضمون في النهاية واحد، وهذا التَكَثُّرُ وهذا التفصيل إنما هو لمراعاة الفهم الإنساني كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه كان العلم نقطةً واحده فكثيرها الجاهلون، العلم في أصله حقيقة واحده ولكن جهلُ الإنسان يدفع الإنسان إلى صناعة المفاهيم الاعتبارية، وهذا بحث خارج عن موطن حديثنا الآن، لكن في الفلسفة هناك هذا الموضوع واضح ومعروف موضوع المفاهيم الاعتبارية التي يصنعها الإنسان بالقدرة العقلية المودعة فيه، مفاهيم اعتبارية لأجل أن يسهل عليه التعلم ولأجل أن يسهل عليه التفكير ولأجل أن يسهل عليه إدراك المعاني المحيطة به، وإلا المفاهيم العقلية لا حقيقة لها في الواقع الخارجي وإنما هي في طبقة وفي أفق الاعتبار لذلك تسمى مفاهيم اعتبارية لا أريد الخوض في هذه القضية.

أشير إلى رواية ثانية أقرأ على مسامعكم نصاً آخر عن النبي وأهل بيته تتناول جهة أخرى ولكن كل الحديث عن الولاية الكلية وعن أعلى رتبة فيها وهي رتبة النبوة الكلية، الرواية الثانية ينقلها شيخنا المجلسي عن كنز الفوائد للمحدث الجليل الكراجكي رحمة الله عليه، الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، ماذا يقول خاتم الأنبياء؟ - إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمةً والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام - هذه الرواية ذكرت الأسماء الخمسة، أنا قلتُ قبل قليل ليس هذا اختلافاً في الروايات وإنما كل رواية ناظرة إلى جهة من الجهات، يعني كل رواية تبين جانباً من الحقيقة - إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمةً والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام - متى؟ - حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار - قبل كل الخلق، نفس المضمون السابق خلقهم ثم خلق الأشياء بعد ذلك - إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمةً والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار - هذه المرتبة، هذا الأفق هو أفق الولاية الكلية، وأعلى رتبة في الولاية الكلية النبوة الكلية، هذا الأفق خارج عن أفق الأرض، خارج عن أفق السماء، خارج عن أفق العالم الطبيعي، خارج عن أفق العوالم السفلية

والعلوية، هذه هي الشجرة الزيتون التي هي لا شرقية ولا غربية، هذه هي الشجرة الزيتون التي هي أصل كل شيء ومن زيتها كان الوجود ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من زيت هذا الشجرة اشتعلت شمعة الوجود.

هذا الأفق هو الأفق اللاتركي ولا غربي، حيث لا سماء، لا أرض، لا ظلمة، لا نور، لا شمس، لا قمر، وهنا حينما تُذكر الأرض وتُذكر الشمس والقمر باعتبار هذه الأشياء الإنسان غالباً يابرها بجواسه وهو يعيش على الأرض، وبطبيعة الإنسان مشدوداً إلى الحسيات، يستأنس بالمحسوسات، لذلك تُذكر هذه الأشياء وإلا هو حينما تقول الرواية لا سماء مبنية ينتهي الأمر لأن الأرض والشمس والقمر وسائر الأشياء إنما هي تحت إطار السماء، إنما هي في جو السماء، حينما أقول في جو السماء لا بمعنى الجو وإنما مقصودي أن هذه الأفلاك إنما هي واقعة تحت دائرة السماء الدائرة الأوسع لا بالمعنى الفلكي وإنما بالمعنى الوجودي - فكانوا حين لا شيء فقال العباس: - العباس عم النبي يسمع - فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ - كيف كانت البداية؟ - فقال: يا عم لَمَّا أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة - هذه الكلمة التي أشرت إليها في البداية - تكلم بكلمة خلق منها نوراً - هذي الكلمة الأولى، الحقيقة الأولى، ولها مجال، من مجال هذه الكلمة النور الأول، وإلا الكلمة الأولى هي الحقيقة المُحمَّدية في التحلي الأول لها، وهذه الكلمة تجليات - يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين فكانوا نسبه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس - طبعاً لا النور الحديث هنا عن النور كنور الأشياء من حولنا، ولا الروح هنا كروح الأشياء من حولنا، هذا هو الروح الأعلى الذي من تجلياته الروح النازل في ليلة القدر.

الروح النازل في ليلة القدر هو الذي جاء في الكتاب الكريم ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الروح الذي هو من أمر ربي النازل في ليلة القدر هذا من تجليات ومن التجليات البعيدة عن الروح الأول الروح الأكبر الذي إليه الإشارة في هذه الرواية - ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً - فلا النور المذكور هنا هو النور الذي نعرفه ولا الروح الذي نعرفه في اللغة أو في هذه العلوم التي نتحدث بها ونتكلم عنها وفيها وحولها، هذا كلام خارج هذا الأفق الذي نحن فيه، هذه رموز وإشارات لا يعرفها إلا الله وهم، وإلى هذه المنازل إلى هذه المقامات إشاراته - يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا، يا علي لا يعرفني إلا الله وأنت، يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت - إلى هذه المنازل وإلى هذه المقامات إشارات خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، نحن نجول من بعيد لعلنا نشم عطرًا من بعيد، إذا كان هناك مثلاً قصر من قصور الملوك وفيه احتفال كبير ولا يستطيع كل الناس أن يدخلوا فحينما تهب العطور من بعيد الناس تشمها،

تشتمُّ روائح الطعام، تشتمُّ روائح الفرح والأعراس من بعيد، نحن نشتمُّ عطرًا وهذا أيضاً لا يكون إلا بتوفيقٍ من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الوصول إلى مثل هذه المعاني تحتاج رعاية من إمام زمان كل زمان، إمامٌ كُلُّ شيعَةٍ في كلِّ عصر بتوفيقه يصلون إلى هذه المعارف، وإلا هذه المعاني وهذه المعارف تحتاج إلى توفيق، تحتاج إلى قلوب تتقبلها وتهش إليها مُفعمة بعطرِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، مشرقة بنور مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

إمامنا الباقر كما في رواية الكافي الشريف وهو يخاطب أبا خالد الكابلي: **والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور - أضوء - من هذه الشمس المضيئة وسط النهار - أنور منها، هذه القلوب هي التي تستطيع أن تقترب نوعاً ما، شيئاً ما، كي تشتمَّ عطرًا ومن بعيد فهذه أسرارٌ في أسرار، هم قالوا: إن أمرنا سرٌّ مستسر وسرٌّ مقنعٌ بالسر وسرٌّ لا يفيدُ إلا سر.** هم هكذا قالوا، ولا عجب، ففي بعض كلماتهم الشريفة ويأتينا الحديث عنها: **إن أمرنا إن حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌّ مرسل، قلتُ بأن الحديث الذي يذكره الكلاميون عن منازل الأنبياء لا علاقة له بهذا المعنى من النبوة، الحديث هنا يشير إلى هذه الحقيقة: إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌّ مرسل ولا ملكٌ مقرب، من يحتمله يا بن رسول الله؟ قال: من شئنا.** وهذا هو التوفيق الذي أشرت إليه، وهذا المطلب يأتي على بيانه إن شاء الله تعالى في قادم الأيام ونحن نشرح عبائر هذه الزيارة الشريفة.

استمر في قراءة الرواية - **ثم تكلم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبحه حين لا تسبيح - لا تسبيح لا وجود لأنه ما من موجودٍ إلا وهو يسبح، خلُقوا قبل الوجود، قبل التسبيح وهم علموا الكائنات التسبيح هكذا في الروايات - فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس - ما المراد من هذا التسبيح؟ ما المراد من هذا التقديس؟ شيءٌ لا أعلمه أنا ولا يعلمه غيري، ومن يتصور أنه يعرف هذه المعاني فهو جاهلٌ مئة في المئة، لأن هذه المعاني لا تستطيع العقول أن تصل إليها، ما عندنا من إمكانات للإدراك إمكانات محدودة، وإنما نحن نطوف علناً نشتمُّ عطرًا من بعيد - فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري - النبي يقول: - **لما أراد الله أن ينشئ خلقه فتق نوري - كيف هو هذا الفتق؟ شيءٌ لا ندرك معناه - فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش - والعرش هو أوسع مخلوق في عالم الخلق، أوسع مخلوق في عالم الخلق بعد الكلمة الأولى لذلك اشتق من أعلى رتبة من رتب الخلافة الإلهية الكلية المطلقة، اشتق العرش من نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله - فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة****

فالملائكة من نور علي ونور علي من نور الله وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي - فاطمة - ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين فالجنة والحدور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الله وولدي الحسين أفضل من الجنة والحدور العين - طبعاً الرواية هنا ليس في مقام التفصيل وإنما الرواية في مقام الإجمال وتحدثت عن نماذج مما فتق من أنوارهم، الوجود بقضه وقضيضه كما هو مبين في روايات كثيرة في أحاديث كثيرة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين كل شيء إنما هو مشتق من أنوارهم.

الرواية هنا تتحدث عن نماذج مما فتق من أنوارهم ومما أشتق من أنوارهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم في تلك المرتبة أيضاً لا يُصلى عليهم، هذه الصلوات نحن نذكرها تأديباً لأنها من آدابنا في هذا العالم الأرضي معهم صلوات الله عليهم، هم في تلك المرتبة مرتبة منزهة حتى عن هذه المعاني عن معاني هذه القيود، وهذا مطلب عميق جداً أنا لا أريد الحديث عنه الآن ربما أتناوله في القادم من حلقات هذا البرنامج، مطالب كثيرة والموضوعات عميقة جداً ولا أستطيع أن أتناولها جميعاً إلا أنني أشير إلى بعض منها إلى أطراف منها لعل الصورة تكتمل، إذاً المراد من النبوة، النبوة بهذا المعنى حين نسلم على أئمتنا - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - هذا هو بيتهم وهذه هي نبوتهم التي ينتمون إليها، نبوة جدهم، هذه هي ولايتهم، هذه هي خلافتهم الإلهية، من هنا تتضح لنا ولو بشكل إجمالي المعاني التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة، السائل طلب من الإمام قولاً بليغاً كاملاً، القول البليغ الكامل لا يتناول جانباً من الجوانب لا بد أن يتناول جميع الجوانب ولو بنحو إجمالي وأنا هنا أبين المعاني بنحو إجمالي، إذا أردت أن أبسط القول في كل هذه التفاصيل فإذا سنقف عند النبوة ولا نستطيع أن نستمر في شرح عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة وستبقى الحلقات متواصلة في بيان معنى النبوة لكثرة النصوص الواردة عن النبي والأئمة في بيان هذه المراتب وبيان هذه الحقائق.

فقط أشير إلى رواية أخرى، الرواية عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الرواية تتحدث في جهة أخرى في تجلٍ آخر من تجليات النبوة، نحن هنا نريد أن نفهم ما المراد من قولنا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ؟ النبوة هي العلو الأعلى والعلو الأعلى هو في المرتبة وفي ذلك الأفق الذي كان قبل هذا الخلق وقبل هذا الوجود، الرواية عن إمامنا الصادق عن آبائه وأجداده الطاهرين عن سيد الأوصياء ماذا يقول سيد

الأوصياء؟

إن الله تبارك وتعالى خَلَقَ نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوحي والقلم والجنة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام وكل من قال الله عز وجل في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ - إلى قوله - وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ - يعني جميع الأنبياء - وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربع مئة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة - هذه الأرقام لا علاقة لها بالزمان الدنيوي، هذه مراتب في عالم الفعلية والانفعال، هذه في عالم الفعلية والانفعال من مراتب الوجود، هذه مراتب تتحدث عن التجليات، مراتب التجليات، وسيأتينا الكلام عن التجليات في هذا الخلق والتجليات في الخلق الأول لأجل أن تتضح الصورة وأن يكون الكلام متسلسلاً فلنجعل للخلق مرتبتين الخلق الأول هم الأنوار القادسة الأولى، والخلق الثاني كُلُّ الموجودات التي اشتقت أنوارها من الأنوار القادسة الأولى.

فحين استعمل هذا الاصطلاح مرادي من الخلق الأول هم قبل الخلق، ومرادي من الخلق الثاني الوجود الذي اشتق من أنوارهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم، أعود إلى الرواية، الإمام هنا فَصَّلَ الجهات أخرى، أنا قلت الروايات روايات المعارف كل رواية تتناول جهة من الجهات، لا يوجد تعارض بين هذه الروايات لذلك هناك عناوين تُدَكَّرُ بنحو الإجمال في رواية، وفي رواية ثانية بنحو التفصيل، مثل هذه الرواية فيها شيء من التفصيل - إن الله تبارك وتعالى خلق نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوحي والقلم والجنة والنار وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام وكل من قال الله عز

وجل في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ - إلى قوله - وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربع مئة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة وخلق عز وجل معه - مع مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، مع نوره الأعلى - وخلق عز وجل معه اثني عشر حجاباً - هذه الحُجُب التي تقدم الكلام عنها بعض الشيء في الحديث عن الحُجُب في معنى التكبير - وخلق عز وجل معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المِنَّة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب الهداية وحجاب النبوة وحجاب الرفعة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة ثم حبس نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول سبحان ربي الأعلى - القول هنا ليس القول اللفظي والدلالات ليس هذه الدلالات اللغوية التي نعرفها، هذه كلها

إشارات إلى حقائق أعظم مما نتصور - ثم حبس نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول سبحان ربي الأعلى وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة وهو يقول سبحان عالم السر وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول سبحان من هو قائم لا يلهو وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول سبحان الرفيع الأعلى وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول سبحان من هو دائم لا يسهو وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول سبحان من هو غني لا يفتقر وفي حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول سبحان العليم الكريم وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول سبحان ذي العرش العظيم وفي حجاب النبوة أربعة آلاف سنة وهو يقول سبحان رب العزة عما يصفون وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول سبحان ذي الملك والملكوت وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول سبحان الله وبحمده وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول سبحان ربي العظيم وبحمده - هذه الحُجُب التي مرَّ فيها صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الحُجُب إنما هي التجليات الربانية، التجليات الأحادية في هذه الذات المقدسة، هذه التجليات الأحادية، هذه التجليات الواحدية في هذه الذات المقدسة، هذه تجليات الأسماء في هذه الحقيقة النورية الأولى.

وهذه الآلاف المؤلفة من السنين هذه مراتب التجليات وهذه معاني لا ندركها وإنما نطوف حولها من بعيد نُشعرنا بأن هناك حقائق عَظْمَى وأعظم من العَظْمَى وأعظم من أعظم من العَظْمَى نحن لا نستطيع أن نتصورها، إنما ندرك شيئاً بالجملة من الألفاظ والكلمات - وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول سبحان ربي العظيم وبحمده ثم أظهر اسمه على اللوح فكان على اللوح مُنَوَّرًا أربعة آلاف سنة ثم أظهره على العرش فكان على ساق العرش مُثَبَّتًا سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عزَّ وجل في صُلب آدم - الرواية هنا تتحدث عن التجليات النزولية للحقيقة المحمَّدية في جانب منها، وهنا الرواية لم تذكر كل التجليات النزولية، هذه مجرد أمثلة ونماذج كما مرَّ في الروايات السابقة.

هذه روايات المعارف تتحدث عن جانب من الحقيقة، عن شيء يقرب لنا المعاني بعض الشيء، وقد يبعده في بعض الأحيان لكثافة أذهاننا، هذه الأذهان الكثيفة التي لا تتمكن أن تُدرك المعاني الشفافة، المعاني النورية في تلحم العوالم، هناك كثافة في هذه العقول، هذه العقول حبيسة في هذا العالم الأرضي، هذا العالم الذي تحيط به الحُجُب والغواسق الظلمانية، وهذه العقول حبيسة في هذا العالم أنى لها أن تدرك هذه الحقائق، ولكن كما يقول سيد الأوصياء: ما لا يُدرك كُله لا يُترك كله.

ثم أظهر اسمه على اللوح فكان على اللوح مُنَوَّرًا أربعة آلاف سنة ثم أظهره على العرش فكان على

ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عز وجل في صلب آدم ثم نقله من صلب آدم عليه السلام إلى صلب نوح عليه السلام ثم من صلب إلى صلب - والصلب هو الظهر - حتى أخرجه الله عز وجل من صلب عبد الله بن عبد المطلب فأكرمه بست كرامات - هناك كرامات ست أُكْرِمَ بها النبي صلى الله عليه وآله - فأكرمه بست كرامات، ألبسه قميص الرضا - هذا الحديث ليس في جانب مادي، الحديث عن الحقيقة النبوية المتجلية في العالم الأرضي، بدأ الكلام عن النبوة في أصلها، في المرتبة العليا، ثم تنزلت هذه النبوة في تجليات إلى أن تجلت في النبوة الأرضية - فأكرمه بست كرامات ألبسه قميص الرضا ورداه برداء الهيبة وتوجه بتاج الهداية وألبسه سراويل المعرفة وجعل تكتة تكة المحبة - التكة الحزام الذي تُشد به السراويل - وجعل تكتة تكة المحبة يشد بها سراويله وجعل نعله نعل الخوف وناوله عصا المنزلة ثم قال: يا مُحَمَّد اذهب للناس فقل لهم قولوا لا آله إلا الله مُحَمَّد رسول الله - أكرمه بست كرامات ماذا نفهم من هذه العبارات؟

يمكنني أن أشرح العبارات شرحاً لغوياً ويمكنني أن أتخيل وأتصور لهذه العبارات معانٍ وقد استنبط البعض منها من الروايات لكنها ليست هي الحقائق، هذه حقائق ذكرت بنحوٍ يحمل الغرض منها أن نستشعر الأسرار العظيمة التي هي في دائرة النبوة في كل مراتبها، النبوة في الدائرة العالية قبل الخلق، والنبوة في الدائرة الأرضية - ألبسه قميص الرضا ورداه برداء الهيبة وتوجه بتاج الهداية وألبسه سراويل المعرفة وجعل تكتة تكة المحبة يشد بها سراويله وجعل نعله نعل الخوف وناوله عصا المنزلة ثم قال: يا مُحَمَّد اذهب إلى الناس فقل لهم: قولوا لا آله إلا الله مُحَمَّد رسول الله وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء - القميص ألبسه قميص الرضا، قميص الرضا هذا القميص باعتبار المُغطي للسراويل وهو اللباس الأوسع والأكبر - وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء قامتة من الياقوت - قامتة يعني القماش الأكثر الذي صُنِعَ منه القميص، يعني مثلاً حينما يلبس الإنسان ثوباً الجانب الأمامي والجانب الخلفي هو هذا يقال له قامة الثوب قامة القميص والقميص ثوب - قامتة من الياقوت وكُمَاهُ من اللؤلؤ - الكم هي الرदन كُمَاهُ هذا كُم - وكُمَاهُ من اللؤلؤ ودخريصُهُ من البلور الأصفر - الدخريص دخريص القميص هو الإضافات الجانبية التي تُضاف على القماش القصات لأجل توسعة القميص، هذه الكلمة ليست عربية كلمة أعجمية وعُزِّيت بعض الشيء، فالمراد من الدخريص، الدُخريص هو القماش القصات الجانبية التي تُضاف لتوسعة القميص، وهنا الرواية تريد أن تذكر كل التفاصيل، يعني أن هذه الحقيقة النبوية في كل تفاصيلها في كل أجزاءها لها خصوصيات غير موجودة في هذا الخلق - ودخريصُهُ من البلور الأصفر وإبطاهُ من الزبرجد - يعني جانب الإبطين من القميص - وإبطاهُ من الزبرجد وجُربانهُ من المرجان

الأحمر - الجربان هو القماش الذي يبطن به فتحة القميص أو يحاط به فتحة القميص، الجربان هو هذا القماش الذي يوضع على جوانب فتحة القميص وهي كلمة غير عربية كلمة فارسية، في الأصل هذه الكلمة هي كلمة في اللغة الفارسية القديمة كلمة **كربان** - **وجربانه من المرجان الأحمر وجيبه من نور الرب جل جلاله** - الجيب يعني فتحة القميص، الجربان هو البطانة أو الزينة، القماش الذي يُضاف على الفتحة، الجيب هو فتحة القميص - **وجيبه من نور الرب جل جلاله** - هذا الحديث هنا ليس عن ثوبٍ أو عن قميص، الحديث هنا عن ذات النبي، هذه الأوصاف أو صاف على نحو الكناية عن ذات النبي، أن حقيقة النبي بكل تفاصيلها بكل مراتبها هي هذه الأوصاف الموجودة فيها، وأنا أتناولها هذه الرواية إن شاء الله في مقامٍ آخر بالشرح لأنني إذا دخلت الآن في شرحها أحتاج إلى وقت طويل، أتناولها إن شاء الله تعالى بالشرح.

لكن بالجملة هذه الرواية تريد أن تبين لنا أن الحقيقة النبوية في العالم الأرضي حقيقةً سر لا تُدرك وأبعادها أبعادٌ إلهية ربانية، لذلك **وجيبه جيبٌ هذا القميص، وجيبه الجيب هو الفتحة التي يلبس منها القميص، الفتحة التي يظهر منها الإنسان، رأس الإنسان وجه الإنسان من خلال الجيب، يعني أن الحقيقة المشرقة من حقيقة النبي من أين تأتي؟ وجيبه من نور الرب، أن ما يصدر من حقيقة النبي هو مشرقٌ من نور الرب - وجيبه من نور الرب جل جلاله - ثم يستمر الأمير يقول - فقبل الله عز وجل توبة آدم عليه السلام بذلك القميص - بذلك القميص حين توسل بتلك الحقيقة التي عرفها آدم - وردّ خاتم سليمان عليه السلام به - بذلك القميص يعني بتلك العقيدة، القميص هنا ليس قميص من قماش - وردّ يوسف عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام به - بذلك القميص - ونجى يونس عليه السلام من بطن الحوت به وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام أنجاهم من المحن به - بذلك القميص بالحقيقة المُحمّدية العلوية - ولم يكن ذلك القميص إلا قميصٌ مُحمّد - قميصٌ مُحمّد المراد من القميص هنا الولاية النبوة، المراد منها مرتبة مُحمّد صلى الله عليه وآله - ولم يكن ذلك القميص إلا قميصٌ مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم - الرواية عميقة في محتواها والرواية مشحونة بالإشارات وبالرموز وأنا قلت، قلت في كلامي بأن حديث أهل البيت عليهم السلام كالقرآن، حديث أهل البيت أيضاً على أربعة أفاق على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، كما قال إمامنا الصادق وهو يتحدث عن القرآن فقال العبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء، وهذا حديثنا كله هو في عالم العبارة، إننا لم نخرج إلى عالم الإشارة لأن الإشارة بالنسبة إلينا أيضاً بعيدة المنال، نحن يمكن أن نتمسك بشرائش عالم الإشارة، وأنا بينت معنى الشراشر، الشراشر هذي الخيوط التي تكون موجودة في آخر السجادة في آخر البساط ألا توجد هناك**

خيوط، هذه الخيوط تُسمى شرارشر، نحن نتمسك بأذيال عالم الإشارة، إذا أدركنا عميق المعاني بالنسبة لنا وإلا فعالم الإشارة بالنسبة لنا هو بعيد المنال أيضاً، نحن أبناء عالم العبارة وحديثنا كله في طور عالم العبارة، نعم في هذه الروايات ثمة إشارات لكننا لا نُدرك حقائقها، لو أردنا أن نتمسك بشيءٍ منها فإننا نتمسك بأطراف أذيالها، بأطراف شرارشرها.

هذه هي النبوة التي تتحدث عنها الزيارة الجامعة بحسب ما نفهمه في أفق العبارة من الروايات، علماً أنني لو بقيت أقرأ على مسامعكم ما جاء من الروايات في بيان معنى النبوة فإننا نحتاج إلى حلقات كثيرة جداً، وهذا الكلام لا على سبيل المبالغة، والله نحتاج إلى حلقات كثيرة جداً جداً حتى نتناول هذه القضية، لذا أنني سأكتفي بهذا وإن شاء الله في طوايا الحلقات الآتية وفي بيان مضامين ومعاني فقرات الزيارة الأخرى سأبين بقدر ما أتمكن وبقدر ما يسنح به الوقت من هذه المعاني، لكن ما هي الخلاصة التي نصل إليها بعد أن تلوت على مسامعكم هذه الروايات؟

هذه الروايات بالجملة هي تتحدث عن جانبٍ من معنى النبوة الكلية الخلافة الإلهية المطلقة قبل هذا الخلق، وإن كان هذي الرواية الثالثة تحدثت أيضاً عن بعضٍ من صفات وخصائص النبوة الأرضية، وهذه النبوة الأرضية أيضاً نحن لا ندرك معناها، هذه النبوة الأرضية لها تجليات في عالم صعودها في عالمها الأرضي وفي عالم صعودها لها تجليات لا نستطيع الإحاطة بها، لربما من أفضل النصوص التي يمكنني أن أوردتها للحديث عن تجليات النبوة الأرضية والتي هي من مجالي النبوة الكلية، النبوة الكلية أوسع، النبوة الأرضية هي من تجليات النبوة الكلية المطلقة قبل الخلق، من صور قريبة وبعيدة في نفس الوقت نملكها ما جاء في الكتاب الكريم في سورة النجم المباركة وهي ترسم لنا صورةً عن نبينا صلى الله عليه وآله وهو يصعد في عالم صعوده ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ - إلى أن تقول الآيات - ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْمُورَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ هل يستطيع أحدٌ أن يشرح لنا هذه الآيات؟!

هذه الآيات لا تُشرح باللغة، يمكنني أن أشرحها باللغة، يمكنني أن أشرحها بقواعد البلاغة، يمكنني أن أشرحها وأشرحها بأكثر من طريقة، لكن هذه الآيات تتحدث عن معانٍ وعن منازل وعن مراتب خارجة عن هذه الأفاق خارجة عن أفاق اللغة خارجة عن أفاق البلاغة، هذه قضية أخرى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾

ربما البعض لا يعرف معنى المِرَّة، المِرَّة هي الطبيعة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ المِرَّة الطبيعة قد تكون الطبيعة المتوازنة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ والآية تبين أن هذه المِرَّة مستوية متكاملة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ * وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿ذُو طَبِيعَةٍ مُسْتَوِيَةٍ، ذُو طَبِيعَةٍ مُتَكَامِلَةٍ﴾ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿الْأَفْقُ الْأَعْلَى الَّذِي هُوَ يَخْرُجُ عَنِ الْعَوَالِمِ الشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ﴾ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿دَنَا فَتَدَلَّى، التَدَلَّى لَهُ مَعَانِي، وَهَنَا أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنِ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي وَقْتٍ آخَرَ أَتَنَاوَلُ جَانِبًا مِنْ مَعَانِيهَا الَّتِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبَيِّنَهَا﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿إِلَى أَنْ تَقُولَ الْآيَةَ﴾ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿أَيْنَ؟﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، جَنَّةُ الْمَأْوَى هَذِهِ لَيْسَتْ الْجَنَانُ الَّتِي سَيَدْخُلُهَا النَّاسُ بَعْدَ حِسَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، هَذِهِ جَنَّةٌ أُخْرَى، هَذَا عِنْوَانٌ مَعْنَى آخَرَ، جَنَّةُ الْمَأْوَى، الْمَأْوَى الْوَطَنُ وَتَحَدَّثْنَا أَنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ مَرَّةً الْكَلَامُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ وَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ مَعَانِي الزِّيَارَةِ، لَكِنْ هُنَا الْحَدِيثُ عَنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى جَنَّةُ مَأْوَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذِ يَغُشَى السِّدْرَةَ مَا يَغُشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿إِذِ يَغُشَى السِّدْرَةَ مَا يَغُشَى، أَي شَيْءٍ يَغُشَى هَذِهِ السِّدْرَةَ؟

معانٍ لا نستطيع أن نتصورها، ما هي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى؟ لماذا استعملت هذه العبارة؟ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، الْمُنْتَهَى وَاضِحٌ لَا شَيْءَ وَرَاءَهَا، السِّدْرَةُ لِمَاذَا اسْتَعْمَلْتَ هُنَا؟ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، السِّدْرَةُ أُخِذَتْ مِنْ مَعْنَى السِّدْرِ وَالسِّدْرُ تَأْتِي بِمَعَانٍ، السِّدْرُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ تَأْتِي بِمَعْنَى الْإِخْتِفَاءِ، بِمَعْنَى التَّغْطِيَةِ، يُقَالُ أَنَّ الْمَرْأَةَ سَدَرَتْ شَعْرَهَا يَعْنِي أَي غَطَّتْ بَدَنَهَا بِشَعْرِهَا، يُقَالُ إِنَّ الرَّجُلَ سَدَرَ نَفْسَهُ بِثَوْبِهِ سَتَرَ نَفْسَهُ بِثَوْبِهِ، وَمِنْ هُنَا يُقَالُ لِهَذَا الْغَطَاءِ الَّذِي يَلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ يُقَالُ لَهُ السِّدْرَةُ، السِّدْرَةُ أُخِذَتْ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ مِنَ السِّدْرِ، السِّدْرُ هُوَ السِّتْرُ التَّغْطِيَةُ، لِذَلِكَ يُقَالُ الْقَلَنْسُوتُ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا أَطْرَافٌ تَسْمَى سِيدْرَةً، السِّدْرَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ غَطَاءُ الرَّأْسِ، وَسَدَرَ الرَّجُلُ بَدَنَهُ بِثَوْبِهِ أَي غَطَّى بَدَنَهُ بِثَوْبِهِ، السِّدْرُ إِذَا مَعْنَاهُ هُوَ التَّغْطِيَةُ وَالسِّدْرُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَيْضًا تَأْتِي بِمَعْنَى تَحْيِيرِ الْبَصَرِ، يُقَالُ سَدَرَ بَصْرَهُ تَحْيَرُ بَصْرَهُ، إِذَا نَحْنُ فِي مَرْتَبَةٍ أَيُّ مَرْتَبَةٍ؟

مَرْتَبَةُ الْخِفَاءِ وَالتَّحْيِيرِ، وَلَكِنَّ الْبَصَرَ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هَذَا الْبَصَرُ بَصَرُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الْحَدِيثُ هُنَا عَنْ مَعَانٍ وَعَنْ حَقَائِقٍ وَعَنْ أَوْصَافٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُتَّصَرَ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ عِنْدَ الْمَقَامِ الَّذِي هُوَ مَقَامُ خِفَاءِ الْحَقَائِقِ، لِمَاذَا تَخْفَى الْحَقَائِقُ؟ لِأَنَّ الْأَنْوَارَ تَتَجَلَّى وَإِذَا تَجَلَّتِ الْأَنْوَارُ طُمِسَتْ كُلُّ الْحَقَائِقِ، هَذَا النُّورُ السَّاطِعُ حِينَمَا يَتَجَلَّى حَتَّى فِي النُّورِ الْحَسِيِّ حِينَمَا يَكُونُ النُّورُ شَدِيدًا جَدًّا لَا يَسْتَطِيعُ

الإنسان أن يرى لأن النور حينئذٍ يحول، قوة النور تحول فيما بين الإنسان وبين الرؤية، كما أن الإنسان حينما ينظر إلى قرص الشمس لا يستطيع أن يدقق النظر إليها لا يستطيع أن يملأ عينيه من الشمس، حينما يكون النور الحسي شديداً تنتهي الرؤية، عند سدرة المنتهى يختفي كل شيء لذلك في الروايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما رأيت شيئاً من الخلق هناك وكأن الخلق ماتوا، عند سدرة المنتهى، لكن عند هذه السدرة، عند هذا النور الساطع حيث يتحير البصر هل تحير بصر مُحَمَّد؟! الآية تقول ﴿مَا زَاغَ

الْبَصْرُ وَمَا طَغَى﴾ ما انحرف البصر، لم ينحرف بصر مُحَمَّد، لله أنت يا مُحَمَّد، هل هناك منزلة كمنزلة مُحَمَّد

صلى الله عليه وآله؟ ﴿مَا زَاغَ الْبَصْرُ وَمَا طَغَى﴾ هذه المنزلة ﴿إِذِغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ هنا حين تجلى

النور، ماذا أقول؟ بأقصى ما يمكن! بأجلى ما يمكن! بأقوى ما يمكن! ما هي عبارتي ومن أنا؟!!!

تقف الكلمات تقف العبارات حينما سطع النور، لذلك في الروايات إن بين الله وبين الخلق سبعون ألف حجاب من نور وسبعون ألف حجاب من ظلمة، لو زُفعت هذه الحُجُب تنتهي الموجودات، لا يبقى لها وجود، سُبحات وجهه تحرق هذه الموجودات إحراق يعني لا بمعنى الإحراق المادي، لأن هذه الموجودات ستفنى عشقاً ينتهي وجودها، ثبات وجودها بهذه الحُجُب، ستفنى عشقاً، ستندك لذلك كانت هذه الحُجُب بين الله وبين الخلق، وكلامي هذا كلامٌ قاصر لأنني لا أدري كيف أصوغ الكلام حقيقةً، الكلام قاصر، العبارات قاصرة ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ هناك جنة المأوى عند سدرة المنتهى،

هو أنا ماذا عرفت من سدرة المنتهى حتى أعرف جنة المأوى؟

قُلْ لي بربك نحن ماذا عرفنا من سدرة المنتهى حتى نعرف جنة المأوى؟! جنة المأوى منزلة مرتبة عند سدرة المنتهى يأوي إليها، يأوي إليها تكتنفه تحويه، يعني هذه الحقيقة النبوية الصاعدة من العالم الأرضي، هذا التحلي الصعودي لهذه الحقيقة النبوية أين تُكتنف؟ تُكتنف في جنة المأوى، حب الوطن من الإيمان، الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي: الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، طبعاً في التفسير معاد من أسماء مكة لكن القضية أعمق وأبعد، المعاد هو جنة المأوى هذه، لرادك إلى معاد، وهذا الرد ليس هو بالموت هذا الرد في كل آنٍ من آتات رسول الله هو عند جنة المأوى، هذه المعاني ليست محصورة في وقتٍ معين في معراج معين، النبي صلى الله عليه وآله في كل لحظة هو في عروج، في كل آن، معراج النبي لا يقاس بالزمان، هذا المعراج الذي تمّ الحديث عنه، هذا المعراج الذي أُخذ بلحاظ الزمان وإلا عندنا في الروايات كان له مئة وعشرون معراج للنبي، مئة وعشرون معراج، في كل ليلة جمعة في الروايات يُعرج به، في الروايات في كل يوم يُعرج به، وهذه المعارج مأخوذة باللحاظ الدنيوي، أما هو متى لم يعرج

ومتى ابتعد عن جنة المأوى حتى يحتاج للعروج إليها؟! هو منها وإليها ﴿إِذِ يُغَشَى السِّدْرَةَ مَا يُغَشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هناك حيث تندك الأنوار كل الأنوار تحت النور الأعظم لكن بصر مُحَمَّد لا زاغ ولا طغى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ في الروايات الآية هنا تشير إلى الحقيقة الفاطمية ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وأنا لا أريد الحديث عن هذه التفاصيل فقط أشرت إليها للفائدة، أتمنى أن تحين لي فرصة أخرى وأتناول هذه الآيات بالشرح والبيان لكنني سأذهب إلى الروايات، سأذهب إلى الروايات لأتم الحديث من حيث انتهيت حتى تتجلى لنا صورة النبوة في مرتبتها في هذا العالم الأرضي.

عندنا رواية في تفسير علي بن إبراهيم القمي، الرواية عن إمامنا الصادق عليه السلام وهو يتحدث عن النبي أنه أقرب الخلق إلى الله تعالى، النبي صلى الله عليه وآله أقرب الخلق إلى الله تعالى - وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّد فَقَدَ وَطَأَتْ مَوْطِئًا لَمْ يَطَأَهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ - قبل قليل أنا قلت أن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله لا نبي مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ - تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّد فَقَدَ وَطَأَتْ مَوْطِئًا لَمْ يَطَأَهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ - والإمام يقول - ولولا أن روحه - أن روح النبي - ونفسه كان من ذلك المكان - من جنة المأوى أوى إليها، حب الوطن من الإيمان رجع إلى وطنه - ولولا أن روحه ونفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه وكان من الله عز وجل كما قال الله عز وجل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي بل أدنى أدنى من ذلك - طبعاً الروايات أيضاً لا ننسى أنها حين تتحدث فهي تتحدث ضمن أفق المداراة، والله ما كلم أهل البيت كما يقولون الناس إلا على قدر عقول الناس لا على قدر عقول أهل البيت أنفسهم، من منا يستطيع أن يفهم الكلام على قدر عقل علي بن أبي طالب؟! من منا يستطيع أن يفهم الكلام على قدر جعفر بن مُحَمَّد!!

أبداً، إنما نحن نستطيع أن ندرك شيئاً من الكلام الذي يُقال لي أنا فلان بن فلان وابن فلانة، أنا هذا الذي أقف بين يدي الحسين عليه السلام وأنا أقول له: سيدي أبا عبد الله عبدك وابن عبد وابن أمّتك المقر بالرق، أئمتنا يحدثونا بهذا الأفق بأفق الذي أحاط به الحسين - عبدك وابن عبد وابن أمّتك المقر بالرق - الخطاب معنا بهذا الأفق، وإلا أين التراب وأين رب الأرباب كما يقول الحكماء، أين التراب وأين رب الأرباب، القضية أوسع وأعمق من كل هذا، وأنا أعذر من يرفض هذه المعاني، إنما يرفض هذه المعاني لعلتين: لحسة ذوق وطبع فيه ولقلة علم، وإلا هذه المعاني تنساب مع الفطرة تنساب مع الوجدان، الجهل وقلة الذوق وحينما أتحدث عن قلة الذوق عن قلة الذوق التألهي لا عن قلة الذوق في المطعم والمشرب

والملبس وإن كان هذا الذوق يتفرع عن ذلك الذوق، لكنني أتحدث عن الذوق التألهي، عن الذوق العقائدي، الذين يرفضون هذه المعاني هؤلاء مرضى يعانون من قلة علمٍ ومن قلة ذوق، كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سبيل المثال:

الرواية هذا هو تفسير البرهان، وهذا هو الجزء السابع من تفسير البرهان - الرواية عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ - تستمر الرواية إلى أن يقول جبرائيل عليه السلام: هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها - يتحدث مع النبي في إسرائه ومعراجه المأخوذ بللحاظ الدينوي - هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها - وإلا النبي صلى الله عليه وآله ومعراجه المُحَمَّدِي لا يحتاج فيه إلى جبرائيل ولا إلى غير جبرائيل، جبرائيل خادم - إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيُّ مُرْسَلٌ - هناك حالات لهم، هذه الحالات هي معراجهم - إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا نبيُّ مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ - هذا هو معراجهم الحقيقي، أما هذا المعراج الذي مأخوذ بلحاظ الدنيا، هذا المعراج الذي كان من بوابة الدنيا، هذا المعراج الذي كان بواسطة البراق، أما معراجهم الحقيقي فمن دون واسطة، من دون وسيلة، وهذا معنى جداً نأتي إلى بيانه في وقته إن شاء الله تعالى، لكن كل هذه تجليات لكل مرتبة من مراتب الحقيقة تجلي من التجليات، وهذا المعراج المأخوذ بلحاظ الزمن الدينوي والمأخوذ بلحاظ الوسيلة والآلة بواسطة البراق هو أيضاً تجلي من تجليات العروج النبوي، تجلي من تجليات العروج المُحَمَّدِي جبرائيل قال - هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها ثم لا يتجاوزونها وأنت تجوزها - الأنبياء لا يتجاوزونها، أين الأنبياء من مُحَمَّدٍ؟! - هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها ثم لا يتجاوزونها وأنت تجوزها - ولقد جازها وجازها وجازها أبو الزهراء صلى الله عليه وآله وسلم.

الرواية فيها تفاصيل فقط أشير إلى موطن الحاجة، إلى أن يقول صلى الله عليه وآله: ووقع عَلَيَّ السرور والاستبشار وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه - ولا أعتقد أن دلالة أعظم على منزلته صلى الله عليه وآله أكثر من هذه الإشارة - وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا - الموت هنا العدم أليس الموت، الموت بمعنى هذا الموت الذي يعني انفصال الأرواح عن الأبدان فهو لم يرى شيئاً يعني انعدمت الأشياء - وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه - لم أرى غيري ليس الموت هو الموت بخروج الأرواح من الأجساد فإن الأجساد تبقى موجودة والأرواح تبقى موجودة والنبي قادرٌ على رؤيتها، الحديث هنا عن عدم - وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه فتركني ما شاء الله - إلى أن يقول - فناداني ربي فقال تبارك وتعالى: يا مُحَمَّدُ

- متى ناداه؟ يقول: وإنما كنتُ أبصِرُ مثل مخيط الإبرة - تشبيه هذا، مخيط الإبرة يعني ثقب الإبرة - نوراً بيني وبين ربي لا تطيقه الأبصار - لكن بصر مُحَمَّد ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ - وإنما كنتُ أبصِرُ مثل مخيط الإبرة نوراً بيني وبين ربي لا تطيقه الأبصار فنناداني ربي فقال تبارك وتعالى: يا مُحَمَّد، قلت: لبيك ربي وسيدي وإلهي لبيك، قال: هل عرفت قدرك عندي؟ - أين تجلى قدره؟ حين لم يرى غير نفسه معه، ولم أرى غيري أحداً من خلقه فتركتني ما شاء الله - هل عرفت قدرك عندي وموضعك ومنزلتك؟ قلت: نعم يا سيدي، قال: يا مُحَمَّد هل عرفت موقعك مني وموقع ذريتك؟ قلت: نعم يا سيدي - موقعه وموقع ذريته، موقعه وموقع أوصيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

رواية أخرى عن حمران بن أعين - قال: سألت أبا جعفر إمامنا الباقر عن قول الله عزَّ وجل في كتابه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فقال: أدنى الله مُحَمَّداً منه فلم يكن بينه وبينه إلا قفص لؤلؤ - قفص لؤلؤ يعني شبك، إلا قفص لؤلؤ، يعني شبك مقفص - إلا قفص لؤلؤ فيه فراش من ذهب يتلألأ - هناك فراش من ذهب يتلألأ - فأري صورة، فقليل له: يا مُحَمَّد أتعرف هذه الصورة؟ فقال: نعم هذه صورة علي بن أبي طالب - هذه الحقائق وهذه المعاني نحن لا نستطيع أن نتصورها بالتصور الحسي بحيث نتمكن أن نتخيل لها حدوداً، إنما نتصورها بمعناها العام بمعناها المحمل - أدنى الله مُحَمَّداً منه فلم يكن بينه وبينه إلا قفص لؤلؤ فيه فراش من ذهب يتلألأ فأري صورة، فقليل له: يا مُحَمَّد أتعرف هذه الصورة؟ - هذه الصورة أين رآها؟ رآها هناك حينما دنا فتدلى - أتعرف هذه الصورة؟ فقال: نعم، هذه صورة علي بن أبي طالب، فأوحى الله تعالى إليه أن زوجه فاطمة واتخذة وصياً - هذه الرواية فيها إشارات ودلالات عميقة جداً وإن شاء الله في طوايا الحلقات الآتية سأتناول مثل هذه المعاني بالتدرج شيئاً فشيئاً بالشرح والبيان وشيئاً فشيئاً تتضح الصورة.

رواية يرويها شيخنا الطوسي سيد هاشم البحراني ينقلها عن الشيخ الطوسي - عن النبي صلى الله عليه وآله: لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَنَوْتُ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مِنْ تُحِبُّ مِنَ الْخَلْقِ؟ قُلْتُ: يَا رَبِّي عَلِيًّا - في ذلك الموقف هناك حيث أشرقت الأنوار وانظمت كل الحقائق ألم يقل صلى الله عليه وآله بأنه لم يرى أحداً غيره، الله يخاطبه ويناجيه - من تُحب؟ قال: علياً، قال: ألتفت يا مُحَمَّد، فالتفت عن يساري هناك فإذا علي بن أبي طالب، من تحب يا مُحَمَّد؟ قال: علياً، قال: التفت يا مُحَمَّد، فالتفت عن يساري فإذا علي بن أبي طالب - ومن هنا جاء التعبير في آية المباهلة بأنفسنا، مُحَمَّدٌ هُوَ عَلِيٌّ وَعَلِيٌّ هُوَ مُحَمَّدٌ، هذا شيءٌ ونزَّرَ قَلِيلٌ مِنْ مَثَلَاتِ

من النصوص تتحدث عن خصائص مرتبة النبوة، عن خصائص مرتبة الولاية الكلية التي هي ولايتهم، والنبوة هي أعلى رتبة في الولاية الكلية، هذه الروايات اقتطفتها من هنا ومن هناك، بعض هذه الروايات تتحدث عن النبوة الكلية التي هي قبل الخلق عن الكلمة الأولى، وروايات تتحدث عن النبوة الأرضية التي تجلت في مُحَمَّد بن عبد الله الذي هو أتم المجالي للاسم الأعظم على وجه الأرض، وروايات تحدثت عن مظاهر الصعود لهذه الحقيقة في العوالم العلوية العالية ﴿الذي فرض عليك القرآن لَآدُكَ إِلَىٰ مَعَاد﴾ الحديث عن جنة المأوى التي هي مأوى النبوة.

بعد هذا البيان يمكنني أن أقول بأنه قد اتضح لنا شيئاً من معنى النبوة حين نخطب نبينا ونخطب أئمتنا فنقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ** - أختم حديثي بالسلام على أهل بيت النبوة فأقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ**، يا أهل بيت النبوة أعينوني وأعينوا من يُحِبُّ أن يعرف شيئاً عنكم ولو من بعيد، أعينوني، أعينوني أن أعرف شيئاً عنكم، أعينوني أن أتقرب إليكم يا أهل بيت النبوة إني فقيرٌ في فنائكم سادتي آل مُحَمَّد، أنا عبدكم وابن عبدكم وابن أُمَّتِكُمُ الْمُقَرَّبُ بالرق التارك للخلاف عليكم صلوات الله عليكم صلوات الله عليكم صلوات الله عليكم، وأقول لإخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي ممن يتابعني في هذا البرنامج وأنتم أيضاً السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا شيعَةَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، السلام عليكم يا أحباب أهل بيت النبوة، السلام عليكم وأنتم تسعون إلى معرفة أهل بيت النبوة.

أسألكم الدعاء جميعاً وإلى لقاءٍ على محبة ومعرفة أهل بيت النبوة في الحلقة القادمة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة وفي أمان الله.

الحلقة الخامسة

معنى وموضع الرسالة

السَّلَامُ عَلَى الْمُعَدَّبِ فِي قَعْرِ السَّجُونِ وَظُلْمِ المَطَامِيرِ، ذُو السَّاقِ المَرضُوضِ بِحَلْقِ القِيُودِ، وَالجَنَازَةِ المُنَادَى عَلَيْهَا بِذُلِّ الاسْتِخْفَافِ، وَالوَاردِ عَلَى جَدِّهِ المِصْطَفَى وَأَبِيهِ المَرْتَضَى وَأُمِّهِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ بِإِرْثِ مَغْصُوبٍ وَوَلَاءِ مَسْلُوبٍ وَدَمٍ مَطْلُوبٍ وَسَمِّ مَشْرُوبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِمَامِي بَابِ الحَوَائِجِ يَا صَاحِبَ المَقَامَاتِ وَالمَعَارِجِ وَرَحْمَةِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ.

أشياء موسى بن جعفر وأحباب باب الحوائج السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، عَظَّمَ اللهُ أجورنا وأجوركم، وهذه الحلقة الخامسة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، في الحلقة الماضية تقدم الكلام في بيان معنى أهل بيت النبوة، نحن نقرأ الزيارة من كتاب مفاتيح الجنان لشيخنا المُحَدَّثِ القُمي رضوان الله تعالى عليه - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ - هذا السلام نوجهه لهم جميعاً وإمامنا باب الحوائج بنحو خاص، فهذا اليوم باسمه الشريف - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ - اليوم أقفُ بعض الشيء على هذا العنوان الثاني من عناوين الزيارة الجامعة: وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ.

أيضاً كما مرَّ في الحلقة الماضية لا أشغلكم بما قال المُتكلِّمون وما فرَّعوا وما أصَّلوا وإنما ملاذنا الأول والأخير كلماتهم، نحن نبدأ من الكتاب والعترة ونعود إلى الكتاب والعترة، هذا لا يعني أننا نرفض ما يقوله علمائنا الكلاميون وإنما ما يتحدث عنه علمائنا الكلاميون يتحدثون في جهةٍ سطحية لا يعني أنها ليست صحيحة وليست صائبة أبداً، لكن الزيارة التي بين أيدينا الزيارة الجامعة الكبيرة تحتاج إلى شيءٍ من العمق في فهم معانيها ومداليلها - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ - تقدم الكلام في بيان معنى النبوة وسأشرع الآن في بيان معنى الرسالة، مُقدمة لغوية صغيرة ثم أشرع فيما جاء في بيانات الكتاب والعترة. كلمة الرسول وكلمة الرسالة، الرسول والرسالة في لغة العرب تأتي كل كلمةٍ من هاتين الكلمتين بمعنى وفي بعض الأحيان تتحد كلمة الرسول مع كلمة الرسالة، الرسالة هي ما يحملها الرسول، كلمة الرسول في لغة العرب تأتي بمعنى الرسالة أيضاً، وتأتي بمعنى التأنيث وبمعنى التذكير وهو دلالة على أن هذه الكلمة جامعة

شاملة، في لغة العرب حينما يُرسل مثلاً أحد الرجال امرأةً إلى شخصٍ مذكرٍ كان أو مؤنث فيقول هي رسولي إليه، فلانة هي رسولي إليه، فتستعمل كلمة الرسول في التأنيث وفي التذكير، أقول فلان رسولي إليك وأقول فلانة رسولي إليك، لفظة رسول تستعمل في التأنيث وفي التذكير، وأقول فلان رسولي إليك وأقول الأمر الكذائي رسولي إليك إي رسالتي إليك، الرسالة قد تكون إخباراً عن شيء، قد تكون وعداً بالخير، قد تكون وعيداً بالشر، قد تكون عنوان محبة، قد تكون سلاماً وتحيّة، قد تكون طلباً، قد تكون شرحاً لمسألة ما، وقد تكون وقد تكون، الرسالة لا تحديد لها في اللغة، الرسالة شيءٌ يحمل قد يكون مادياً وقد يكون معنوياً، والرسول هو حامل الرسالة ولكن في لغة العرب قد تُستعمل كلمة الرسول بمعنى الرسالة وفي ذلك إشارة جميلة إلى أن الرسالة متحدة بالرسول وأن الرسول متحد بالرسالة، أما في أصل بناء هذه الكلمة من أين جاءت؟

في أصل بنائها جاءت من الاسترسال ومن الإرسال، الاسترسال هو التواصل، حينما يكون الشيء مسترسلاً يعني متواصلًا يعني متتابعًا، ويقال جاءت الإبل أرسالاً أو جاءت الخيول أرسالاً يعني أفواجاً بعد أفواج متواصلة، ونقول جاءت الجيوش أرسالاً أي جاءت متواصلة مسترسلة يتصل بعضها ببعض، فيقال الرسول لأي شيء؟ لأن الأخبار تصل إليه متتابعة متواصلة، فالأخبار تصل إليه متتابعة من مُرسله وهو يوصل الأخبار متتابعةً إلى من أُرسِلَ إليه، هناك تواصل، هناك تواصلٌ بين المرسل والرسول والمُرسل إليه، والرسالة شيءٌ يحمله الرسول، فإذا كانت كلمة الرسول تعني الرسالة أيضاً في لغة العرب فكلما تعلق الرسول بالرسالة صار الرسول رسالةً وصارت الرسالة رسولاً حيثُ تفتى الرسالة في الرسول ويفنى الرسول في الرسالة، الرسول إذاً هو حامل رسالة، وإنما قيل له رسول لأن الرسائل لأن الأخبار لأن الحقائق تصل إليه من مُرسله متتابعة أرسالاً وهو يوصلها إلى الذي أُرسِلت إليه أيضاً يوصلها أرسالاً متتابعةً، والرسالة حقيقةٌ يحملها الرسول قد تكون ماديةً قد تكون معنويةً وقد تكون ماديةً ومعنويةً في نفس الوقت، وقد تكون وقد تكون، هذا المعنى الإجمالي لكلمة الرسول ولكلمة الرسالة في لغة العرب، وهي تنطبق بشيءٍ وبوجهٍ من الوجوه بل بعدة وجوه على المعنى الذي بين أيدينا.

هناك مسألة مهمة أريد أن أشير إليها، المسألة المهمة هل أننا نأخذ الحقائق من اللغة في فهمنا لمثل هذه المعاني لمثل معاني الزيارة الجامعة وأمثالها!! هل أننا نأخذ المعاني من اللغة فتكون اللغة مصدراً لنا، وهذه المشكلة وقع فيها كثيرون أن جعلوا اللغة مصدراً للعلم، اللغة ليست مصدراً للعلم، اللغة وسيلة للعلم، فارقٌ بين أن نجعل اللغة مصدراً نستقي منها المعارف وبين أن نجعل اللغة وسيلة، قد يقول قائلٌ بأن اللغة وسيلة لكننا حينما نأتي فتعامل مع الواقع مثلاً حينما نذهب إلى كتب التفسير عند مخالفي أهل البيت أو غير كتب التفسير نجد بأنهم يجعلون من اللغة مصدراً للعلم وليست وسيلة، حتى وإن قالوا بالألسنة بأن اللغة

هي وسيلة لكن في الواقع العملي نجد أن اللغة تكون مصدراً للعلم، وهذه القضية أيضاً تأثر بها كثيرٌ من الشيعة من علمائنا من كتابنا من مفكرينا أن جعلوا اللغة مصدراً للعلم وللفكر، مصدرنا العلمي ومصدرنا الفكري الكتاب والعترة واللغة تعيننا في ذلك وسيلة من الوسائل، لذلك نحن إذا أردنا أن نرجع إلى روايات أهل البيت التي فسرت القرآن أو فسرت الحديث حينما يفسر الحديثُ بعضُهُ بعضاً فإن هذا التفسير وإن هذا البيان الذي تذكرهُ الروايات في بعض الأحيان يكون خارجاً على حدود اللغة، وهناك ضوابط في الروايات تخصُّ هذا المطلب، وأنا لا أريد التوسع كثيراً في هذه القضية لأن هذه قضية قضية مبنائية وقضية أساسية، هل أننا نجعل اللغة مصدراً من مصادر العلم بحيث حينما نتعامل مع النص القرآني ومع النص المعصومي مع النص المعصوم بشكل عام، النص المعصوم ينقسم إلى نحوين:

إلى النص القرآني وإلى نص العترة، القرآن نصٌ معصوم ونص العترة نصٌ معصوم أيضاً، فنحن نتعامل مع النص المعصوم، مع النص القرآني أو مع نص العترة، حينما نتعامل مع النص المعصوم هل تكون اللغة مصدرنا في التوصل إلى المعارف والعلوم والحقائق؟! هذا شيءٌ يخالف منهج أهل البيت، صحيح نحن نؤمن بحجية الظهور العرفي ونؤمن بحجية المحاورات العرفية ونؤمن باللسانية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ

قَوْمِهِ﴾ نؤمن باللسانية بلسانية النبي المستندة إلى قواعد البيان وقواعد البلاغة والأساليب الأدبية التي يستعملها العرب في كلامهم، هذه المسائل واضحة ومن البديهيات لكنها ليست هي الحاكمة في جميع الأحوال، حينما يواجهنا هذا النص فيقول الإمام المعصوم: إني أتكلم الكلمة على سبعين وجه ولي من جميعها المخرج. وهذا هو ما يسمى بالمعارض - وإنكم لا تكونوا فقهاء حتى تعرفوا معارض كلامنا - فهذه قضية مهمة سترافقنا على طول الخط، نحن نستعين باللغة ونعتمد اللغة لكن على أساس أنها وسيلة لا على أساس أنها مصدر فتحددنا اللغة بحدود نطاق ألفاظها، الذي يحددنا الكتاب والعترة لا تحددنا اللغة، وحينما نريد أن نفهم الكتاب والعترة إنما نفهم الكتاب والعترة بالكتاب والعترة، قد تقول بأن الكتاب عربيٌّ وبأن العترة عربية صحيح هذا، ولكن في الكتاب قواعد للفهم وعند العترة قواعد للفهم، نحن نستعين باللغة ولكن يبقى الحاكم والفيصل هو بيان القرآن وبيان العترة، أما أننا نجعل من اللغة مصدراً للعلم فهذا اشتباهٌ كبير وقع فيه المخالفون لأنهم لا يملكون العترة لا يرجعون إلى العترة، لأنهم قالوا كما قال كبيرهم حسبنا كتاب الله فافتقروا بكتاب الله، حينما واجهوا الكتاب فكيف يفهمون الكتاب؟! فاضطروا إلى أن يجعلوا من اللغة مصدراً للعلم ومصدراً للفهم فقط، وحددوا الفهم والعلم بحدود اللغة، ومن هنا جاءت السطحية في فهمهم للقرآن وجاءت السطحية في فهمهم لكثيرٍ من الحديث الذي يروونه.

أما نحن فقد سرنا في الطريق الذي خطَّهُ رسول الله، طريق الكتاب والعترة، وطريق الكتاب والعترة باب

المعرفة فيه مخزونة في الكتاب والعترة، واللغة عامل مساعد وسيلة من الوسائل آلة من الآليات نستعين بها على الفهم وفي بعض الأحيان تقف اللغة عاجزة، بل في أحيان كثيرة حينما نحوض في دائرة المعارف الإلهية تقف اللغة عاجزة في كثير من الأحيان وكأنها قد قُيدت بقيود ورُبِّطت بأرططة وكأن الأغلال قد أحاطت بها من كل مكان فلا تستطيع أن تنفلت الألفاظ كي تسبح في بحر المعاني العميقة، تبقى هذه الألفاظ مقيدة بأغلالها، ومن هنا لا بد أن نتوجه بأنظارنا إلى المصباح الذي ينير الحقائق، المصباح الذي ينير الحقائق هو مصباح العترة الطاهرة.

حينما يتكلم إمامنا الصادق صلوات الله عليه فيقول بأن القرآن على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، أين تكون اللغة في عالم اللطائف والحقائق؟! ستندحر اللغة في هذا العالم، بل حتى في عالم الإشارة تقف اللغة عاجزة، اللغة تتحرك في دائرة عالم العبارة، وأنا قلت قبل قليل أنا لا أريد التوسع في هذا المطلب لأن هذا المطلب مطلبٌ مبناي، لأن هذا المطلب مطلبٌ أصلي وقاعدي في الفهم وفي التعامل مع النصوص المعصومة، أعني بالنصوص المعصومة النصوص القرآنية ونصوص العترة صلوات الله وسلامه عليهم، لذلك حينما بينتُ قبل قليل معنى الرسالة ومعنى الرسول قلت فإنها تنطبق على ما بأيدينا من الكلام وموضع الرسالة في وجوده من المعاني وإلا بقية المعاني وحقائق المعاني إنما نأخذها من الكتاب والعترة - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ** - الرسالة قد تكون هي النبوة ولكن بوجه من الوجوه، الرسالة هي مظهر من مظاهر النبوة الكلية، تحدثنا في الحلقة الماضية عن النبوة الأرضية وعن النبوة الكلية، النبوة الكلية وهي الولاية الكلية، الخلافة الكلية، والنبوة أعلى مراتبها، وأشرتُ وذكرت بعضاً من النصوص ومن الروايات التي عشنا في ظلالها الوارفة وعشنا في أجوائها كي نتنسم شيئاً من عبق النبوة من عبق معنى النبوة، الرسالة هي وجه من وجوه النبوة، النبوة الكلية وجه من وجوهها وتجلي من تجلياتها هي الرسالة، والرسالة قد يتبادر إلى الأذهان حينما أقول أرسلتُ إليك رسالة قد تكون هذه الرسالة مقداراً من المال، وقد تكون ثوباً، وقد تكون وروداً وأزاهير، وقد تكون وقد تكون، لكن المعنى المتبادر الأول للرسالة شيءٌ مكتوب، ولذلك القرآن يأخذ هذا المعنى، يأخذ هذه الحقيقة فيتحدث عنها، القرآن يخبرنا عن الرسالة، الرسالة بمعناها الكلي، الرسالة الكلية التي هي مجلى من مجالي النبوة الكلية، النبوة والرسالة هي مجالي من مجالي الولاية العظمى الولاية الكلية، النبوة المرتبة الأعلى والرسالة هي وجه من وجوه النبوة الكلية.

وإلى هذا يتحدث القرآن فيخبرنا عن هذه الحقيقة في سورة القلم وفي الآية الأولى بعد البسملة ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ هذه هي الرسالة، هذه الرسالة بمعناها الكلي و (ن) في لغة العرب تعني الدوات، يعني هي مصدر المداد بالنسبة للقلم، فالقلم يأخذ مداده من الدوات ويبدأ بالكتابة، حينما أكتب كتاباً هذه

الكلمات المكتوبة أين كانت؟ في البدء كانت في ذهني في عقلي ثم تصورت بصورةٍ وأخرى فكانت موجودةً في المداد وفي القلم كل الكلمات التي كُتبت في الكتاب حبرها أين كان موجوداً؟ كان موجوداً في القلم وحبر القلم كان موجوداً في الدوات، فهناك ن والقلم وما يسطرون هذا وجهٌ من وجوه الرسالة، معنىً من معاني الولاية الكلية، تكلم بكلمة ثم خلق نوراً ثم خلق روحاً ومزج النور والروح ثم خلق الكائنات مرَّ علينا هذا في الحديث عن معاني النبوة الكلية، وإنما غاية ما في الأمر القضية قضية تجليات، حينما يكون الحديث عن نورٍ وعن روح فهذا نحو تجلي، وحينما يكون الكلام عن ن والقلم فهذا نحو تجلٍ آخر، ما المراد من التجلي؟ أنا قلت هذه المعاني لا أريد بيانها دفعةً واحدة وإنما من خلال حلقات هذا البرنامج أبين شيئاً فشيئاً بحسب ما يناسب المقام، ما المراد من التجليات؟! التجليات هي الظهورات، هي المظاهر، ولكن كيف نتصورها؟! هناك معنىً عميق، المعنى العميق كيف أقربه لكم؟!!

يمكنني أن أقرب المعنى، الآن حينما نأخذ صورة فوتوغرافية بالكاميرا الفوتوغرافية، لنفترض أمامنا حديقة، هذه الحديقة مليئة بالورود والأزهار فنأخذ لهذه الحديقة صورةً فوتوغرافية، الكاميرا الفوتوغرافية تأخذ صورة واحدة جامدة صامتة وينقطع الخطاب، فقط تأخذ صورة واحدة منقطعة، لكن حينما تكون عندنا كاميرا فيديو ويكون البث كما هو الحال في برنامجنا هذا، يكون البث بثاً مباشراً، هناك تواصل، وصورتي هي صورتي في كل ثانيةٍ من الثواني أنت ترى لي صورة، لو كنا نبث بثاً مباشراً مثلاً لهذه الحديقة، يعني نجعل الكاميرات كاميرات التصوير موجهة للحديقة وهناك بث مباشر، ما يصل في أجهزة التلفاز عند المشاهدين هو صورة متواصلة متصلة يعني لو أردنا أن نقسم هذه الصورة بحسب الثواني ففي كل دقيقة هناك ستون صورة وهي لنفس الحالة، حديقة موجودة، الأوراد هي الأوراد، التجلي هو هذا، التجلي أن الوجود ليست له حالة ثابتة واحدة، الوجود في كل آنٍ من آناته هو مظهر جديد، إذا أردنا أن ننظر إلى الأشياء بهذا المنظار فلا توجد صورة واحدة لنا مكررة، لذلك ماذا يقولون الحكماء والعرفاء؟ لا تكرر في التجلي، الآن الوجود بهذه المرتبة غير الوجود بعد ثانية، وحينما أقول ثانية لتقريب المعنى وإلا القضية أعمق من هذا، لأن الوجود لا يُقاس بالثواني ولا يُقاس بالأزمنة، الثواني والأزمنة عوارض لكن يمكن أن أقرب المثال، كيف أقرب المثال؟ الآن تُقسم الدقيقة، وهذا تقسيم قديم منذ أزمنة بعيدة، تُقسم الدقيقة إلى ستين ثانية والثانية تقسم إلى ستين ثالثة، ربما البعض لم يكن قد سمع بهذا، هذا تقسيم موجود ومنذ أزمنة قديمة، تقسم الثانية إلى ثالثة إلى ستين ثالثة، نقول الساعة تساوي ستون دقيقة، الدقيقة تساوي ستون ثانية، الثانية تساوي ستون ثالثة، الثالثة تساوي ستون رابعة، الرابعة تساوي ستون خامسة وهكذا إلى التاسعة تساوي ستون عاشرة وهو أصغر جزءٍ من أجزاء الثانية بحسب التقسيمات القديمة، كانوا يقسمون الوقت بهذه الطريقة وبقيت إلى وقتٍ قريب تقسيم الدقائق والثواني بهذه الطريقة، هذه سميت ثانية لماذا؟

باعتبار أن الساعة قُسمت إلى ستين دقيقة الدقيقة هي الأولى يعني التقسيم الأول للساعة، لماذا سميت ثانية؟ الساعة قسمت إلى ستين دقيقة الدقيقة يعني هي الأولى يمكن أن تقول الدقيقة ويمكن أن تقول الأولى لكن اشتهر التعبير بالدقيقة، الدقيقة أو الأولى تقسم إلى ستين ثانية والثانية إلى ثلاثة إلى رابعة وهكذا إلى العاشرة، العاشرة هي تمثل واحد من ستين جزء من التاسعة، والتاسعة تمثل واحد من ستين جزء من الثامنة وهكذا عوداً إلى الدقيقة في الساعة، نحن حتى لو أردنا أن نقسم الوجود، يعني صورة الوجود بهذا التقسيم فلا يصح، أنت تتصور كم سيكون مقدار العاشرة؟! الثانية نقسمها إلى ستين ثلاثة ورابعة وهكذا إلى العاشرة، بل حتى لو أردنا أن نقسمها بالتقسيم الليزري الآن الموجود، الآن حالياً هناك تقسيم للوقت يسمى بتقسيم القمتوثانية، القمتوثانية ما هو؟

القمتوثانية يعني تقسم الثانية إلى ألف تريليون وهذا هو أصغر جزء لحد الآن وصل إليه الإنسان، تقسم الثانية بسرعة وقوة الليزر أشعة الليزر تقسم إلى أن القمتوثانية يساوي ألف تريليون من أجزاء الثانية يعني حينما نريد أن نكتب قمتو ثانية يساوي 10^{-15} ، إذا أردنا أن نكتبها بالرموز الرياضية، يعني إذا أردنا أن نقول أن القمتوثانية كم تساوي من الثانية؟ القمتوثانية تساوي من الثانية 10^{-15} يعني عندنا رقم واحد أمامه 15 صفر، 15 صفر يعني ألف تريليون، لأن المليار أو البليون هو تسعة أصفار، بعد المليار أو بعد البليون يأتي تريليون، التريليون 12 صفر، والآن الرقم عندنا 15 صفر، القمتوثانية حتى لو قسمنا الثانية وهو هذا التقسيم لأجل الفائدة أقول استطراداً هذا التقسيم تقسيم الثانية إلى ألف تريليون قسم وكل قسم يسمى بالقمتوثانية هذا التقسيم هو الذي توصل إليه العالم المصري أحمد زويل، وعلى هذا الأساس حاز جائزة نوبل، لأنه استطاع أن يوجد تقنية لتصوير التحولات الموجودة في الذرات داخل الجزئيات في هذه المسافة من الثانية في هذا المقطع من الثانية، على أي حال، وهذا هو يعني أدق تقسيم الآن وصلت إليه التكنولوجيا المعاصرة، حتى لو قسمنا الزمان إلى هذا التقسيم، لو قسمنا الثانية إلى القمتوثانية، يعني إلى أن الثانية تساوي ألف تريليون قمتوثانية، حتى لو أردنا أن نتصور هذا التصور فهذا التصور قاصر، الوجود له آفات وهذه الآفات لا تُقاسُ بالزمن لأن الزمن إنما هو عارض من عوارض بعض الموجودات، الزمن من أين يتأتى؟ من حركة الأفلاك، وهو عارض، وحركة الأفلاك حركة عارضة، الزمن يتأتى من حركة الأفلاك، والحركة في الأفلاك شيء عارض، والأفلاك هذه الكواكب والنجوم الموجودة إنما هي زينةٌ للسماء الدنيا يعني هي دون العالم السمائي الأول، بحسب التعبير القرآني زُينت هذه السماء الدنيا بهذه الكواكب يعني هي دون العالم السمائي الأول، فهي متخلفة في مراتبها الوجودية، فما بالك بالمعنى الأوسع لمعنى الوجود، الحقيقة الأعم، الحقيقة الأعم التحلي الأعظم في الوجود هو هذا الذي لا تكرر في تجلياته ففي كل آنٍ من آفات الوجود إنما يكون الوجود بفيضٍ جديد وهذا هو معنى أجود الأجودين فيضُهُ لا انقطاع له ولا تكرر

فيه، هذه عظمة الفيض، ما المراد من عظمة الفيض الإلهي؟ وما المراد من معنى الجود الإلهي؟! الفيض الإلهي والجود الإلهي يعني هذا المعنى: أن فيضه متواصل لا تكرر فيه، لو كان هناك تكرر فإن ذلك يخل بعظمة الفيض، عظمة الفيض أنه لا تكرر في تجلياته، الوجود في كل آن من آناته هو تجلٍ جديد، هذا الثبات المادي في الأشياء هو هذا أيضاً نحواً من أنحاء التجلي، التجلي الأول إذا أردنا أن نسميه التجلي الأول وإلا لا يصح أن نسميه هذه التسمية لأن التجلي الأول هو التجلي الذي لا أولية لأوليته ولا آخريته لآخريته وهو تجلي الذات الإلهية للذات الإلهية، وهذا هو التجلي الذي لا تصل إلى ساحته العقول، هذا التجلي الذي تكون العقول في مقام التحير وأيُّ عقول؟! أنا أتحدث عن العقول الأولى التي أشارت إليها الأحاديث أول ما خلق الله العقل، أنا أتحدث عن تلكم العقول لا أتحدث عن العقل الذي أحمله أنا ويحمله أمثالي في هذا العالم السفلي، أتحدث عن العقول الأولى عن العقول الكاملة، التجلي الذي لا أولية لأوليته ولا آخريته لآخريته، هو تجلي الذات للذات، وهو معرفة الله بكنهه، معرفة الله بنفسه، يتجلي الله الله، هذا كلامٌ في الألفاظ والحقيقة غريبةٌ وأجنبيةٌ عن عقولنا.

هناك شعراً باللغة الفارسية جميلٌ جداً مضمونه مضمون هذا الشعر أنه:

أجمع شباكك أيها الصائد فإنك لن تصيد العنقاء

العنقاء طائرٌ خرافي لا وجود له، أجمع شباكك أيها الصائد أنت أيها الصياد الذي تريد أن تصيد العنقاء أجمع شباكك فإنك لن تصيد العنقاء، وأنت أيها الإنسان، أنت أيها الإنسان الفقير ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتُّمُّ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أجمعوا شباككم، أجمعوا شباك عقولكم، كلما ازددتم تفكراً، هكذا قال لنا أئمتنا، كلما ازددتم تفكراً كلما ازددتم تحيراً، أنا لا أريد أن أذهب بعيداً في معاني التوحيد فحينما يصل الكلام إلى التوحيد في العبارات الخاصة بالتوحيد في الزيارة الجامعة الكبيرة سأسهب شيئاً ما في معاني التوحيد ولكن هذا التجلي الأول، فلنجمع شباك عقولنا فإن العنقاء لا وجود لها، لنجمع شباك العقول فإن هذه العقول لن تصطاد شيئاً، هذه المعرفة بالنسبة لنا لا وجود لها، أن نعرف التجلي الذي لا أول لأوليته حين يتجلي الله لنفسه، حين يتجلي الله لذاته، هذا التجلي والعبارات قاصرة وعقلي قاصرٌ وألفاظي قاصرة فما أصنع!! المعاني عميقة جداً ولكنني أتية في هذا العالم أتية في هذه المضامين ولست أنا وحدي كل من يريد أن يبحر في هذه المعاني فإنه يتيه، فأين التراب وأين ربُّ الأرباب، وحتى هذه العبارات عبارات قاصرة لكن ماذا نصنع لا بد أن نتكلم ولا بد أن نتحدث ولا بد أن نصيغ المعاني وهذه المعاني قاصرة أيضاً، نصيغ المعاني القاصرة من عقولنا القاصرة في قوالب قاصرة، بعد هذا التجلي الأول الذي لا أولية لأوليته، ولكن لأجل أن تتضح المعاني أقول التجلي الأول، وإلا التجلي الأول هو التجلي الذي يكون بعد صدور الكلمة هذا

التجلي الأول، تجلي الذات للذات ذلك لا يقال له تجلي أول، فإنه لا أولية لأوليته ولا آخريته لآخريته، وحتى حينما نقول الأول قبل كل شيء فهذه العبارات قاصرة أيضاً فهنا الكلام عن ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قد يجد المراجع في الروايات أن القلم هو من التجليات التي حدثت بعد العرش، هذا موجوداً في الروايات، وهنا قضية لا بد أن أشير إليها، هذه القضية أولاً نحن حين نتعامل مع الروايات لا بد أن نضع في اعتبارنا هناك روايات وردت بلسان التقية، وهناك روايات وردت بلسان المُداراة، وهناك روايات وردت بلسان الإشارة والرمز، وهناك روايات وردت بلسان الحثيات ولولا الحثيات لبطلت الحكمة، الحثيات موجودة بكثرة في الماديات فما بالك في المعنويات والحقائق العالية لأن الحقائق العالية والحقائق القادسة هي مجالي الأسماء الحسنى والأسماء الحسنى لا نهاية لها، ومجالي الأسماء الحسنى لا نهاية لها، فالحثيات لا نهاية لها ولذلك من يراجع الروايات يجد مثلاً أن هذا العنوان القلم يستعمل في أكثر من معنى فلا ذلك من التضارب بين الروايات ولا ذلك من الاشتباه أو من الخطأ في نقل الناقلين وإنما اللفظ واحد واستعمل في أكثر من دلالة وفي أكثر من مضمون وهذا نفسه ينتقل إلى كتب العرفاء، لذلك في كتب العرفاء حينما يكتبون تجد أن المصطلح الواحد يستعمل في أكثر من جهة وفي أكثر من معنى وهذا إنما أخذ بسبب ما جاء في النصوص التي تتحدث في باب المعارف الإلهية، لا أريد الإطالة أكثر، لكن فقط أشرت إلى هذه القضية وأنا إن شاء الله في الحلقات القادمة أقف على هذه المسألة وربما أشرحها بشكل أكثر توضيحاً، لكن أشرت إليها حتى لا يحدث الاشتباه عند البعض حينما يراجع الروايات أو يكون قد حفظ بعضاً من هذه الروايات فيتصور أن هناك تعارضاً بين هذه الروايات.

هذه الروايات كما قلت حينما نتعامل معها لا بد أن نأخذ بنظر الاعتبار، في بعض الروايات نأخذ لسان التقية، في بعض الروايات لسان المداراة، وفي بعض الروايات لسان الإشارة والرمز، وفي بعض الروايات لسان الحثيات، على أي حال أعود إلى الآية التي هي عنوان معنى الرسالة ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ن من هو؟ والقلم من هو؟ الرواية جلية جداً وهي تخبرنا عن ن والقلم، هذا الكتاب الذي بين يدي هو تفسير البرهان للمحدث السيد هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، الرواية عن مُحَمَّد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى ونحن في هذا اليوم نعيش يوم شهادته صلوات الله وسلامه عليه - عن أبي الحسن موسى قال: سألته - مُحَمَّد بن الفضيل يسأل إمامنا باب الحوائج - قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ - ماذا قال؟ - قال إمامنا الكاظم: فالنون اسمٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله، والقلم

اسمٌ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - ن هو عنوان الحقيقة المُحَمَّدِيَّة والقلم هو عنوان الحقيقة العلوية، خلق نوراً وخلق روحاً فمزج بين النور والروح ثم كانت الكلمات، كانت الكلمات الأتم، وكانت الكلمات التامة، وكانت الكلمات في مختلف تجلياتها ومراتبها، أفاض بها القلم والمدد من نون، ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ولا ينفك القلم عن نون، فمداد القلم من هذه النون، ونون عنوان الحقيقة المُحَمَّدِيَّة، حتى في الكتابة والإشارة فيها شيءٌ من اللطف، حتى في الكتابة فإن نون تُكتب وفي وسطها النقطة وهي النقطة التي قال عنها عليٌّ وأنا النقطة، النقطة التي هي تحت الباء ومنها بدأ القرآن والقرآن صورة عالم التكوين، القرآن عالم التدوين وهو صورة عالم التكوين، النقطة تحت الباء هي النقطة الموجودة في وسط النون، والنقطة هذه التي تسمى بالنقطة السائلة يعني النقطة المتحركة والتي تكونت منها الحروف، كل حرفٍ من الحروف إنما هو عبارة عن مجموعة من النقاط المتصلة، كانت في أصلها نقطة متحركة سائلة، حينما نكتب الألف فإنما نبدأ بنقطة سائلة متحركة فتتجلى هذه النقطة السائلة المتحركة بمجموعة نقاطٍ وتخرج ثم تنتقل إلى حرف الباء فنكتب الباء بنقطةٍ سائلة وتبقى النقطة أين؟

هذه النقطة تبقى موجودةً في القلم، النقطة السائلة ليست في الكلمات، الكلمات مجالي النقطة السائلة وتلك رموز إشارات إلى ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ النقطة تحت الباء هي التي تحركت، ابتداءً القرآن ببسم الله من هنا كانت البداية، فمن أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس كيف كُتبت الكلمات؟! كُتبت بالنقطة السائلة تحركت فكانت الحروف عبارة عن مجموعةٍ من النقاط المتصلة، ولذلك في نصٍ عن أمير المؤمنين يقول - أنا النقطة أنا الخط أنا الخط أنا النقطة - فإن الخط هو مجلي من مجالي النقطة، والخط عبارة عن مجموعة نقاطٍ والحروف إنما تألفت من خطوط، الحروف والأرقام إنما هي خطوط تتشكل بأشكالٍ مختلفة، حين نكتب السين فالسين في أصلها خطٌ مستقيم يتعرج ويتعرج فيكتب سين، والباء خطٌ مستقيم فيعقف جانبا، والحديث هنا بنحو الرمزية ليس الحديث عن الحروف بما هي حروف وإنما هذه الحروف فيها دلالات قلت قبل قليل هناك تطابقٌ بين عالم التكوين عالم الوجود وبين عالم التدوين وعالم التدوين إنما هو جزءٌ من الوجود ومظهرٌ من مظاهر الوجود لكن بصورةٍ تدوينية، الوجود بكله تصور في التدوين ولذلك كان القرآن تبياناً لكل شيءٍ لماذا؟ لأن القرآن في خزائنه لا في خزائنه اللفظية وإنما في خزائنه الحقيقية، والخزانة الحقيقية هي هذه التي تكون مودعةً في قلب المعصوم ولذا لا يمكن الانفكاك بين القرآن والمعصوم، إذا انفك القرآن عن المعصوم صار شيئاً آخر، لأن روح القرآن في المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وعلى أي حال، فالرسالة هنا يسطرها من؟ ن والقلم - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ

الرِّسَالَةِ - هذه الرسالة في معناها الأسمى والتي نجد في الكافي الشريف ما يسعفنا هذا المعنى والرواية عن إمامنا الصادق وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه مُحَمَّدًا وعلياً فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كَوَّنَ قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام - الرواية هنا تتحدث عن هذه الرسالة ولكن بصورةٍ أخرى بتجلى آخر ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فماذا سطر القلم بعد أن أخذ المدد من نون؟ سطر كل الكلمات، كل الكلمات سطرها القلم بمددٍ متصلٍ يأخذه من نون ولا يوجد هناك انفصال بين نون والقلم، فما سطره القلم إنما سطره نون سطرته نون ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الآية ما قالت ن وما يسطر القلم تلاحظون الدقة في التعبير ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن نون لا تنفك عن القلم وإن القلم لا ينفك عن نون وإنهما في نفس الآن في نفس المرتبة يسطرون ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن نون والقلم في آنٍ واحد يسطرون، خلق نوراً، خلق روحاً مازج بينهما ثم شق الأنوار من ذلك النور.

الرواية في الكافي - إن الله كان إذ لا كان - كان إذ لا كان وكان هنا إنما هو مصطلح عنوان - إن الله كان إذ لا كان - هنا كان تتحدث عن التجلي، التجلي الأول، مرادي بالتجلي الأول والذي سأستعمله دائماً هو تجلي الكلمة الأولى لأنني كما قلت قبل قليل قد يوجد في بعض الكتب حينما يقولون التجلي الأول فيعونون به تجلي الذات للذات فإن ذلك التجلي في الحقيقة لا يقال له الأول لأنه لا أولية قبل أوليته ولا أولية لأوليته ولا آخريته بعد آخريته ولا آخريته لآخريته، فالتجلي الأول هو تجلي الكلمة، تجلي الكلمة الأولى، تجلي النور الأول - إن الله كان إذ لا كان - وكان هنا عنوان للتجلي الأول لتجلي الكلمة الأولى كان ولم يكن معه شيء، حتى التجلي الأول لم يكن، فكل شيء من دون الله إنما هو عدم في عدم، وإنما هو ظلال في ظلال حتى بعد أن يوجد، الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى، وما في الدار إلاه ديار، وكل الوجودات وجودها إذا قيست بوجود الله فإنما هو وجودٌ ظلي، مهما علت مراتب الوجودات وإن كانت الكلمة الأولى - إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان - الكان والمكان ليس الحديث هنا عن زمانٍ محسوبٍ بحساب الساعات والدقائق ولا المكان هنا الحديث عن هذا المكان الذي تنتقل فيه ومنتقل منه وإليه، هذه مراتب للموجودات متأخرة جداً، وإنما هذا عنوان، عنوان للتجلي - خلق الكان والمكان - كما قال خلق النور والروح، هذه مصطلحات وعناوين وأنا قلت إن الروايات، تتحدث كل رواية أو كل

مجموعة من الروايات تتحدث عن تجلٍ من التجليات والتجليات لا انتهاء لها فالفيض دائم ولا تكرر في الفيض - فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار - هذا التجلي الذي صدر من الكان والمكان - إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان - هناك تجلٍ وهو نور الأنوار، نور الأنوار هو تجلٍ عن الكان والمكان - وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ السماوات والأرض عنوان للموجودات والسماوات والأرض أيضاً تستعمل في أكثر من معنى، فإن الكرسي أوسع من السماوات والأرض، وإن العرش أوسع من الكرسي، سنأتي على هذا المطلب - إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا النور الذي نورت منه الأشياء - وأجرى فيه - يعني أجرى في نور الأنوار - من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه مُحَمَّدًا وعلياً - حين الحديث عن خلق مُحَمَّد وعلي الحديث عن العالم الأرضي، عن الصورة الأرضية لمُحَمَّد وعلي، وإلا فإن الكان والمكان وهما الحقيقة المحمّدية والحقيقة العلوية، وما نور الأنوار الذي خلقت منه الأنوار إلا هو تجلٍ من تجليات الحقيقة المحمّدية - إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار - وهو هذا تجلٍ من تجليات الكان والمكان الذي نورت منه الأنوار - وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه مُحَمَّدًا وعلياً فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كَوْنٌ قبلهما - هذا الحديث فيه إشارات إلى نوريتهما الأولى في الكان والمكان وفيه إشارات إلى نوريتهما المتجلية في كل طبقات الوجود.

ففي كل طبقة من طبقات الوجود هناك تجلٍ لمُحَمَّد وعليّ وستأتينا الروايات تبين هذا المعنى، هناك تجلٍ لمُحَمَّد وعلي في كل طبقة من طبقات الوجود، ومرّ علينا في الروايات التي تحدثت عن النبوة وعن مثال عليّ في العوالم العلوية، والمثال في العوالم العلوية له من المرتبة ما تتناسب مع تلكم العوالم - فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كَوْنٌ قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام - في أطهر طاهرين تلاحظون التعبير عبد الله وأبو طالب هم أطهر طاهرين، أطهر طاهرين ما المراد من هذه الطهارة؟ أليس هي نفس الطهارة المذكورة في آية التطهير!! أليس نفس الطهارة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ آية التطهير تتحدث عن ثلاث مراتب من التطهير، يطهركم فعل مشدد عبارة عن يُطهركم ويُطهركم، وتطهيراً مفعول مطلق والمفعول المطلق حين يكون من نفس لفظ الفعل فإنما هو تأكيد لمعنى الفعل هكذا يقول علماء النحو، حينما يكون المفعول المطلق من نفس لفظ الفعل وهو يأتي بصيغة المصدر والمصدر ينوب مناب

الفعل يعني ويظهركم ويظهركم ويظهركم، المصدر هنا يعني إذا أخذنا تطهيراً مصدر فإن المصدر ينوب مناب الفعل، يعني يقوم مقام الفعل ولذلك المصدر أيضاً في كلام العرب يأخذ فاعل ويأخذ مفعول به كما يأخذ الفعل، وإذا كان بلحاظ المفعولية المطلقة ومن نفس لفظ الفعل فهو يؤكد معنى الفعل يعني يعيد الفعل مرة أخرى يكون ويُظهركم ويُظهركم ويُظهركم ثلاث مراتب من التطهير، فكانوا أظهر الطاهرين وهذه المعاني تتجلى في هذا الحديث - حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام - هذا كلام صادق العترة والحديث من الكافي الشريف والحديث عن أظهر طاهرين عن عبد الله والد رسول الله وعن أبي طالب والد عليّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تلاحظون الروايات تتحدث عن البعد الأول للرسالة وهو المتجلي في معنى الولاية الكلية قبل الخلق وتتحدث عن البعد الثاني عن الرسالة في العالم الأرضي، نفس الكلام الذي مرّ في روايات النبوة، فالروايات هنا تتحدث عن معنى الرسالة بهذا المعنى العميق، هذا المعنى الذي كتبه ن والقلم ﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾

فماذا سطر القلم وماذا سطر نون؟ وهما معاً يسطرون، سطروا هذه الأنوار، هذه الأنوار التي تجلت في كل الوجود ومن أعظم مجالي هذه الأنوار مجالي نور محمّد وعليّ في العالم الأرضي، أما في العوالم العلوية فلكل منهما المجالي التي تجلى فيها إلى أن ينتهي الكلام عند الكلمة الأولى وهي الحقيقة الأتم هي الحقيقة المحمّدية والحقيقة العلوية الأكمل، وإلى هذه المضامين وإلى هذه المعاني تشير النصوص الكثيرة الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكل ما في هذا الوجود إنما هو من مجالي أنوار الحقيقة الأولى

﴿ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فماذا سطروا؟ الروايات تتحدث عن أن لنون والقلم للكلمة الأولى تجليات منها

ما ذكر بال نحو الإجمالي لأننا لا نستطيع أن نتصورها، ومنها ما ذكر بعناوين فيها شيء من الوصف شيء من التفصيل، وهذا التفصيل الذي جاء لا يمكن أن ندركه بهذه المدارك المحدودة، وإنما النصوص المعصومة تُقَرِّب لنا المعاني، لأننا نجد في الروايات نجد عالم الستر، نجد عالم الحجاب، هذه عوالم الحجب وهذه العوالم سابقة ومتقدمة على عالم العرش، وعالم العرش متقدم وسابق على عالم الكرسي، وعالم الكرسي إنما كل السماوات السبع كل هذه العوالم تكون في جوف عالم الكرسي، لذلك حين نقرأ في آية الكرسي المباركة

ماذا نقرأ في سورة البقرة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الكرسي وسع السماوات والأرض ولكن

الكرسي لا يُعَدُّ بشيء إذا قيس بعالم العرش، ومرّ علينا في الحلقة الماضية إن العرش إنما هو تجلٍ من نور محمّد صلى الله عليه وآله، تجلٍ من التجليات، الرواية قالت ففتق نوري فخلق منه العرش فنوري أفضل من العرش، أنا أفضل من العرش، ونوري أفضل من العرش، لأن العرش من نوره، هو نور محمّد من نور الله

سبحانه وتعالى .

الروايات تحدثنا وهذا هو بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن كتاب الاحتجاج عن إمامنا الصادق، الرواية يرويها هشام بن الحكم، سؤال يوجه للإمام الصادق عن الكرسي أهو أعظم أم العرش!! هذا السؤال يوجه لإمامنا الصادق - الكرسي أهو أعظم أم العرش؟ فقال عليه السلام: كل شيء خلق الله في جوف الكرسي خلا عرشه - يعني كل شيء من دون عالم الكرسي وإلا فالعرش أوسع وهناك عالم الحجب وهو متقدم على عالم العرش - كل شيء خلق الله في جوف الكرسي - عبارة في جوف تشير إلى أن هذه السماوات على عظمتها ما هي إلا شيء في داخل عالم الكرسي - كل شيء خلق الله في جوف الكرسي - ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ - كل شيء خلق الله في جوف الكرسي خلا عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي - العرش أعظم من أن يحيط به الكرسي .

عندنا رواية فيها دلالة أكثر وضوحاً، أيضاً يرويها شيخنا الصدوق في كتاب الخصال وفي كتاب المعاني، معاني الأخبار، وينقلها العياشي رحمة الله عليه في تفسيره في تفسير العياشي، الرواية عن النبي يرويها أبو ذر الغفاري قال النبي صلى الله عليه وآله: - يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلات - حلقة يعني مثل الخاتم، مثل هذا الخاتم الذي نلبسه بأيدينا، شيء مدور، فلات يعني صحراء واسعة ممتدة على مد البصر، السماوات السبع في الكرسي كحلقة في فلات - يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلات - علماء نحن نجد في الروايات إن السماء الدنيا، السماء الأولى إلى السماء الثانية كحلقة في فلات والثانية إلى الثالثة وهكذا إلى السابعة - والسماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلات، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلات على تلك الحلقة - وأيضاً عالم الكرسي هو كحلقة في فلات بالنسبة إلى عالم العرش، وما بعد عالم العرش عوالم الحجب وكل ذلك من تجليات الحقيقة المُحمّدية، كل ذلك من تجليات ن والقلم الرسالة بهذا المعنى، الرسالة الإلهية بالمعنى الأعظم الرسالة الأعظم هي رسالة الوجود، أما رسالة الدين والتشريع فتلك رسالة الإنسان في الأرض وهي مجلى من مجالي تلكم الرسالة الأعظم، السماء الأولى إلى السماء الثانية كحلقة في فلات وهكذا إلى السابعة، والسماوات السبع إلى الكرسي كحلقة في فلات والكرسي إلى العرش كحلقة في فلات وما بعد العرش عوالم الحجب.

هناك رواية يرويها شيخنا الصدوق عن إمامنا الصادق، عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي - والسبعين هنا عدد كثر لا عدد تحديد -

الشمس جزءً من سبعين جزء - ونحن لا نستطيع أن نملاً أعيننا من الشمس، إنك لا تستطيع أن تملأ عينيك من الشمس - الشمس جزءً من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءً من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزءً من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزءً من سبعين جزء من نور الستر - والروايات هنا حينما تتحدث عن هذه المعاني فإنها لا تتحدث باللغة الرياضية بالحسابات الرياضية وبالأرقام وبالتعداد وإنما كل رواية ناظرة إلى جهة من الجهات، قلت هذه الروايات محكومة بلسان الإشارة والرمز، محكومة بلسان الحثيات التي يقول عنها الحكماء لولا الحثيات لبطلت الحكمة - الشمس جزءً من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءً من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزءً من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزءً من سبعين جزء من نور الستر - وهذه كلها من تجليات الحقيقة المُحمّدية.

الرواية أيضاً عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضاً يرويها الشيخ الصدوق في التوحيد عن عبد الله بن سنان من أجله فقهاء أصحاب الإمام الصادق، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ فقال: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحدٌ قدره - يعني شيء خارج الحدود العقلية، العلم به شيءٌ يفوق الحدود العقلية، والعرش هو العلم هو الأوسع - الذي لا يقدر أحدٌ قدره - رواية ينقلها الشيخ المجلسي عن الشيخ الصدوق ورواها في كتاب الفقيه وهو من أصولنا المهمة وفي العلل وفي المجالس، الرواية عن الإمام الصادق أن السؤال وجه للإمام - لِمَا سَمِيَتِ الْكَعْبَةُ كَعْبَةً؟! قال: لأنها مربعة، فقيل له: ولما صارت مربعة؟ قال: لأنها بحذاء البيت المعمور وهو مربع، فقيل له: ولما صار البيت المعمور مربعاً؟ قال: لأنه بحذاء العرش وهو مربع - بحذاء يعني باتجاه - فقيل له: ولما صار العرش مربعاً؟ قال: لأن الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع سبحانه الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله أكبر - وهذا الحديث عن التواصل بين الرسالة الأرضية وبين الرسالة في العالم الأول، من هنا حين تحدثت عن النبوة فتحدثت عن النبوة الكلية في عالم ما قبل الخلق وعن النبوة الأرضية، وهنا أيضاً نتحدث عن الرسالة ما قبل الخلق رسالة ن والقلم وما يسطرون والتي من مجالها الرسالة الأرضية والحديث هنا يشير إلى هذا المعنى - فقيل له: ولما صار العرش مربعاً؟ - يعني الكعبة هي من مجالي البيت المعمور والبيت المعمور كما في الروايات في السماء الرابعة، والبيت المعمور هو من مجالي العرش والعرش مربع والتربيع في العرش ليس ترتيباً مادياً - ولَمَّا صَارَ الْعَرْشُ مَرْبَعاً - كالتربيع المادي الموجود في العالم الطبيعي، العرش أجلى وأسمى من أن يُقَيَّدَ بهذه القيود المحدودة في هذا العالم الطبيعي المتأخر - ولَمَّا صَارَ الْعَرْشُ مَرْبَعاً؟ قال: لأن الكلمات

التي بُني عليها الإسلام أربع - هذه أركان العرش - سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله أكبر - وهذا هو التواصل بين معنى الرسالة بمعناها الكلي وبين معنى الرسالة في العالم الأرضي - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ** - فهم موضع الرسالة ن والقلم فيهما رسالة الله ومُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ في الأرض فيهم رسالة الله - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ** - هذه تجليات ومجالي من معنى الرسالة كما أن الرسالة الأولى لكل الموجودات فنور منها جميع الأنوار كما مر علينا في رواية الكافي قبل قليل، كذلك الرسالة الأرضية هي لكل العوالم، الرسالة الأرضية لكل الكائنات، ليست لعالم دون عالم.

نحن حين نقرأ في الكتاب الكريم في سورة الأنبياء في الآية السابعة بعد المئة ماذا نقرأ؟ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الآية السابعة بعد المئة من سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أنا هنا لا أريد أن أناقش هؤلاء الذين يقصدون بالعالمين يعني الناس، فيقولون يعني المقصود من العالمين يعني عالم العرب عالم الفرس ومثل هذه المعاني، الكلمة واضحة هي نفس العالمين الموجودة في أول سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الربوبية هنا لكل العوالم لا لعالم دون عالم، هذه الرسالة رسالة لكل العالمين، تتجلى في كل الوجود، تتجلى في عوالم ما قبل الخلق، في رسالة ن والقلم وما يسطرون، وتتجلى في مُحَمَّدٌ في كل طبقة من طبقات الوجود، وتتجلى في مُحَمَّدٌ على الأرض في مُحَمَّدٌ بن عبد الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ما هو المضمون العام لهذه الرسالة؟

المضمون العام تبينه لنا سورة الفتح المباركة، في الآية التاسعة، الآية الثامنة والآية التاسعة والمعنى يتجلى في الآية التاسعة، في الآية الثامنة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية التي قبل قليل قرأناها وهي الآية: 107 من سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الآية الثامنة والتاسعة من سورة الفتح ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ لأي شيء أرسل شاهدًا ومبشراً ونذيراً!! ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ - تعزروه يعني تنصروه - لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أحد مضامين الرسالة بل أهم مضامين الرسالة بل جوهر الرسالة هو التسبيح ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ التسبيح هو المرتبة الأخيرة، المراتب كلها تقودنا، تؤمنوا بالله ورسوله تعزروه توقروه نصل إلى المرتبة الأخيرة تسبحوه، مضمون الرسالة هو التسبيح، وحقيقة الرسالة هو التسبيح، والرسالة الكلية كانت من ن والقلم

لكل الكائنات وكل الكائنات تسبح، والتسبيح هو التنزيه، حتى في قصة الاستخلاف حينما نذهب إلى سورة البقرة في الآية الثلاثين من سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يعني جعلوا أساس الخلافة هو التسبيح، قالوا أنت تريد أن تجعل خليفة يسفك الدماء بينما نحن الأحق بهذا، نحن الذين نسبح ونقدس، فجعلوا التسبيح أساساً للخلافة لأنه هو جوهر الخلافة وجوهر الدين ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وهذا المعنى أنا أوردته لأجل أن أثبت أن الآية السابعة بعد المئة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أن المراد من العالمين كل العوالم وليس عالم العرب وعالم الفرس وعالم الترك وإنما المراد كل العوالم لأن مضمون الرسالة هو التسبيح كما اتضح لنا من سورة الفتح المباركة، وأساس الخلافة هنا في آية الملائكة ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ جعلوا أساس الخلافة هو التسبيح.

لذلك نحن حينما نقرأ مثلاً في سورة الصافات على سبيل المثال في الآيات: 139 وما بعدها ﴿وَإِن يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴿فَالفلك السفينة﴾ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ساهم يعني القرعة ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ فالقمة الحوت وهو مليم ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ للبت في بطنه إلى يوم يُبعثون ﴿يعني الأنبياء كلهم ديدهم سيرتهم سئتهم حقيقتهم التسبيح﴾ ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ يونس وكل الأنبياء هم مسبحون في جميع أحوالهم ليس فقط لأنه في بطن الحوت ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ للبت في بطنه إلى يوم يُبعثون ﴿التسبيح هو العنوان العام للأنبياء وللأولياء ولكل الموجودات، لذلك نقرأ في الآية الرابعة والأربعين من سورة الإسراء﴾ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ - اللهُ - تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ لا يوجد شيء، والشيء هو الموجود هكذا يقول الفلاسفة، الشيئية تساوق الوجود، حينما نقول شيء يعني موجود ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

ومضمون الرسالة المُحمَّدية التسييح فهي رسالة لكل شيء لأن كل شيء يسبح، والروايات تقول إنهم علّموا الملائكة التسييح وعلّموا كل شيء التسييح، كل الموجودات تعلمت التسييح في الروايات من مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ والآيات القرآنية المُسبّحات ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ متكررة في الكتاب الكريم، في سورة النور في الآية الحادية والأربعين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ كل شيء ﴿وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ﴾ حتى عندنا في بعض الروايات وإن كان التسييح أيضاً على درجات، في بعض الروايات عندنا هذه درجة من درجات التسييح، هناك تسييح الوجود، وهناك تسييح العبادة، الكائنات تسبح لله تسييح الوجود، وإلا من دون هذا التسييح لن تبقى موجودة تُعدم، وهناك تسييح العبادة والكائنات كلها تسبح، عندنا في الروايات إنما يقع السهم في الطير إنما يصطاد الصياد الطير في غفلة منه حينما ينقطع عن التسييح، وقطعاً هذا ليس هو التسييح الوجودي لأن الطير لو انقطع عنه التسييح الوجودي انعدم لا وجود له، وجوده قائم بالتسييح الوجودي، لكن هذا تسييح العبادة، فإنما يقع السهم في الطير حين تصيبه الغفلة عن التسييح لَمَّا ينقطع عن التسييح يقع سهم الصائد في الطير، أو حينما يقع الطير وهو طائر يقع فُجَاءً إلى الأرض أيضاً لأنه انقطع عن التسييح ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ﴾ وهذه أمثلة.

هنا أمثلة ونماذج وأنا لا أريد التفصيل كثيراً فيما جاء في روايات أهل البيت، المقام لا يسع لكل التفصيلات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ الآيات القرآنية واضحة وصريحة وجليّة في هذا المعنى، وهذا التسييح يصاحبنا ويصاحب الخلق حتى الذين في جهنم يسبحون بالتسييح الوجودي وإلا كيف يبقون، لا يمكن أن يبقى الموجود من دون التسييح، لكنهم لا يسبحون التسييح العبادي، الآية العاشرة من سورة يونس والتي قبلها التاسعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ماذا تقول الآية العاشرة ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا﴾ في جنات النعيم ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في جناتهم وهم يسبحون لا انقطاع عن التسييح هذا مضمون الرسالة المُحمَّدية، لذلك ما

أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ هذا الإرسال لكل العوالم المُسبحة ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ إرسال لكل شيء رسالة مطلقة هذا المضمون يتجلى واضحاً أيضاً في الآية السابعة من سورة غافر ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ الذين يحملون العرش هؤلاء لهم منزلة أعلى من العرش بحيث أن العرش يحمل على حقائقهم، هؤلاء هم الذين يثبت العرش بهم وتحدث عن هذا المضمون في وقت آخر ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلى آخر الآية الشريفة الآية السابعة من سورة غافر ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يعني المراتب العالية التي يستند العرش إليها التي هي أعلى رتبة من العرش، الذين يحملون العرش هم الذين يعطون الثبات للعرش، هؤلاء يسبحون وتسبيحهم سر وجودهم وسر وجود العرش أيضاً، وآية أخرى في سورة الزمر الآية الخامسة والسبعون ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ إلى آخر الآية.

الملائكة أيضاً عالم الملائكة كل العوالم تسبح، وهذا هو مضمون الرسالة المحمّدية لكل العوالم، هذه الرسالة المطلقة، الرسالة المطلقة رسالة ن والقلم وما يسطرون في أعرق معانيها في المعنى الأوسع للولاية والخلافة الإلهية المطلقة والتي من أجلها نبوة الكلية والرسالة الكلية، وتتجلى في كل عالم بحسبه لكنها تتجلى في العالم الأرضي بالرسالة المحمّدية التي عنوانها الإسلام والتي مرت الإشارة إليها قبل قليل في رواية الإمام الصادق عليه السلام بأن العرش مربع لأن أركان العرش أربعة وهي أركان الإسلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأول ركن هو التسبيح سبحان الله، أول ركن من أركان الإسلام هو التسبيح سبحان الله كما أشارت إلى ذلك الرواية، هذا المعنى يتجلى في الرسالة المحمّدية المتكاملة والتي ستظهر صورتها واضحة على يد إمام زماننا، لم تتجلى الرسالة الإسلامية على صورتها الأكمل ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ لم يظهر هذا الدين، لم يتجلى، لا بد أن يأتي الزمن الذي يتجلى فيه هذا الدين وتتجلى هذه الرسالة في هذا العالم، فيعود هذا العالم هذا العالم الطبيعي متناسقاً مع عالم الغيب ويتواصل الإنسان بالقدرات الممنوحة إليه، القدرات العقلية والفكرية وبالبصيرة وبالقلب وبالْحكمة التي سيناها الإنسان في ذلك العصر كي يتواصل مع عالم الغيب، يتواصل عالم الشهادة مع عالم الغيب، وتتواصل الرسالة الأرضية مع الرسالة الكلية وفي كل طبقات هذا الوجود، هذه المعاني مجرد إشارات حقائق هذه المعاني نحن لا نستطيع أن ندخل في أغوارها، لذلك الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين حدثونا وأخبرونا عن مراتب هذه الرسالة وعن حقائق هذه الرسالة، هذا جابر يحدثنا عن الإمام الصادق، جابر الجعفي يحدثنا عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهذا الكتاب الذي بين يدي هو بصائر الدرجات لشيخنا أبي جعفر الصفار من أصحاب إمامنا الحسن الزاكي العسكري صلوات الله وسلامه عليه وهو من أجلة كتب العقائد والمعارف التي تتحدث عن منازل ومقامات أهل البيت، بصائر الدرجات أسم على مسمى - الرواية عن جابر عن أبي عبد الله - ماذا قال إمامنا الصادق؟ - إن أمرنا سرٌّ في سر - وإلى ذلك أشرت بأن القضية لا تُدرك أغوارها - إن أمرنا سرٌّ في سر - هذا أولاً - وسرٌّ مستسر - يعني مبالغ في الإسرار به هذا ثانياً - وسرٌّ لا يفيد إلا سر - هذا ثالثاً - وسرٌّ على سر - هذا رابعاً - وسرٌّ مقنعٌ بسر - فبالله عليك ماذا نُدرِكُ من أسرارهم؟! - إن أمرنا سرٌّ في سر وسرٌّ مستسر وسرٌّ لا يفيد إلا سر وسرٌّ على سر وسرٌّ مقنعٌ بسر.

الرواية الثانية: عن مرزم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن أمرنا هو الحقُّ وحقُّ الحقِّ وهو الظاهر وباطن الباطن وهو السرُّ وسرُّ السرِّ - هذه النسخة التي بين يدي فيها نقص بحسب ما أحفظ الحديث، الحقيقة أنا هنا في ظرف استثنائي المصادر غير متوفرة عندي بكاملها وإنما توجد عندي بعض المصادر لكن على ما أتذكره في الذاكرة أنه - وهو السرُّ وسرُّ السرِّ وسرُّ المستسر - وليس المستسر من دون سر هكذا أحفظ الرواية عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه - إن أمرنا هو الحقُّ وحقُّ الحقِّ وهو الظاهر وباطن الباطن وهو السرُّ وسرُّ السرِّ وسرُّ المستسر وسرٌّ مقنعٌ بالسر - وتلاحظون كل رواية تشير إلى عدد من الجهات والحِيثَات تختلف عن الرواية الثانية والسبب يعود كما قلت إلى أن هذه الروايات تنظر إلى حِيثَات مختلفة، لكن بالجملة ماذا تريد هاتان الروايتان من مضمون أو من معنى يصل إلينا، إن أمرهم سر وإنما تستطيع العقول أن تصل إليه إنما هو كما قلت في حدود عالم العبارة لي ولأمثالي ربما هناك من وفقهم الله سبحانه وتعالى وفتح بصائرهم فتلمسوا شيئاً أبعد من عالم العبارة، أنا وأمثالي إنما نغوص ونغور في عالم العبارة ونقف عند هذا الحد، وكل ما نفهمه من هذه الروايات هو في أفق عالم العبارة - أن أمرنا سرٌّ في سرٌّ وسرٌّ مستسر وسرٌّ لا يفيد إلا سر وسرٌّ على سر وسرٌّ مقنعٌ بسر، إن أمرنا هو الحقُّ وحقُّ الحقِّ وهو الظاهر وباطن الباطن وهو السرُّ وسرُّ السرِّ وسرُّ المستسر وسرٌّ مقنعٌ بالسر - هذه عناوين عامة عناوين جملة للمضامين الحقيقية لرسالة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

هم موضع الرسالة، هم موضع الأسرار ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لو أردنا أن نعيش في جو هذه الآية، الله سبحانه وتعالى يُقسم بأي شيء؟ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ن والقلم لماذا جاءت القلم هنا مجرورة،

جاءت القلم هنا مجرورة لأنها معطوفة بحرف الواو وحرف الواو عطف القلم على نون ونون جاءت قَسَمَ، يعني تقدير الجملة و (ن) والقلم مثل والعصر، تقدير الجملة و (ن) والقلم وما يسطرون، الجملة لم تأتي تقول ن والقلم، ن والقلم وما يسطرون الله يُقسم بنون وبالقلم وبما يسطرون، ماذا يسطرون والقلم؟ يسطرون شيئاً الله سبحانه وتعالى يُقسم به، هذه الروايات تتحدث عن تلكم الأسرار التي يسطرها نون والقلم إن كان في العوالم العلوية وإن كان من تجلياتها في الحقائق والمعارف المُحمّدية في قرآن مُحَمَّد أو في قلب مُحَمَّد، القرآن هو قرآن مُحَمَّد التدويني وقلب مُحَمَّد هو قلب مُحَمَّد التكويني هو قرآن مُحَمَّد التكويني، القرآن صورة قلب مُحَمَّد وقلب مُحَمَّد هو حقيقة القرآن، قلب مُحَمَّد هو القرآن بعينه، قلب مُحَمَّد هو الحقيقة الجامعة، هو موضع الرسالة - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ - أين هو موضع الرسالة الحقيقي؟

موضع الرسالة الحقيقي قلب مُحَمَّد وقلب مُحَمَّد هو قلب عليّ هو قلب فاطمة هو قلب حسين قلب حسن وحسين هو قلب إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، هو قلب باب الحوائج، قلب موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، فهم موضع الرسالة، هم موضع أسرار الله، وما يتجلى منهم إنما هو سرٌّ في سرٍّ وسرٌّ على سرٍّ، ما يتجلى منهم هو هذا المعنى، هذه المعاني تتجلى من حقائقهم، هذا السر الذي هو في سرٍّ والسر المستسر والسر الذي لا يفيد إلا سرٍّ والسر على سرٍّ والسر المقنع بالسر، هذه من مجالي ما يظهر من حقائق رسالتهم، فهم موضع الرسالة، هم حقيقة الرسالة، إلى هذه المضامين أئمتنا يحدثونا فيقولون:

الرواية عن أبي ربيع الشامي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت معه جالساً - أبو ربيع جالس مع الإمام الباقر - فرأيت أن أبا جعفرٍ قد قام فرفع رأسه وهو يقول: يا أبا الربيع حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه - يعني لقلقة مثلي وأمثالي نلقلق بهذه الأحاديث، مضغ مجرد ألفاظ نردها كما نمضغ الطعام - يا أبا الربيع حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها - وحتى عبارة تمضغه فيها إشارة جميلة جداً، يعني حتى أولئك الذي يراعون قواعد النحو أو مخارج الحروف مثلي وأمثالي من الذين يحاولون أن يتأنقوا في الكلام يحاولون أن يحافظوا على مخارج الحروف بقدر ما يمكن، يحاولون أن يتكلموا بنحوٍ جميل بأسلوب جذاب حتى هؤلاء، نحن نمضغ الكلام، يعني حينما نخرج الحروف من مخارجها ونعطي الكلمات حقها فإننا نمضغ الكلام، يعني حتى نحن الذين قد يتصور البعض أننا على قدرٍ من المعرفة إمامنا هكذا يقول عتاً:

يا أبا الربيع حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه - ما حقيقته - قلت: ما هو جعلني الله فداك؟ قال: قول علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: إن أمرنا صعب مستصعب - هذا كلام نحن نرده لطلما أنا شخصياً رددته على المنابر، أنا وغيري نرده - إمامنا يقول: حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه، قلت: ما هو جعلني الله فداك؟ قال: قول علي بن أبي طالب صلوات الله

عليه: إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان - عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان بهذا الشرط، فهل أمتحت قلوبنا للإيمان؟ - أو عبدٌ مؤمن - إن شاء الله في وقت آخر نتحدث عن معنى عبدٌ مؤمن امتحن قلبه للإيمان - أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، يا أبا الربيع ألا ترى أنه يكون ملك ولا يكون مُقَرَّباً؟ ولا يحتمله إلا مقرب - الملائكة لا يحتملون أمرهم - يا أبا الربيع ألا ترى أنه يكون ملك ولا يكون مُقَرَّباً؟ - لأن الملائكة المقربون أعلى درجة من بقية الملائكة، وهناك ما هو أعلى من الملائكة المقربين أيضاً - يا أبا الربيع ألا ترى أنه يكون مَلَكٌ ولا يكون مُقَرَّباً؟ ولا يحتمله إلا مُقَرَّبٌ وقد يكون نبي وليس بمرسل ولا يحتمله إلا مرسل - يعني الأنبياء غير المرسلين لا يحتملون أمرهم - وقد يكون مؤمن وليس بممتحن ولا يحتمله إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان - هذا حديثٌ تمضغه الشيعة كما يقول أبو جعفر صلوات الله عليه باقر العترة - تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه - لطالما رددنا مثل هذه الكلمات.

روايةٌ أخرى أيضاً من الروايات التي تمضغها بألسنتنا ولا ندري ما كنهها، ولكن ماذا نصنع، فما لا يدركُ كله لا يتركُ كله، نزيُّنُ ألسنتنا بحديثهم، نعطر أفواهنا، نعطر مجالسنا، نزيُّنُ شاشة تلفازنا بحديثهم - الرواية أيضاً عن جابر الجعفي حامل أسرار أهل البيت قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن حديث آل مُحَمَّدٍ صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ - هذا كلام النبي - إن حديث آل مُحَمَّدٍ صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ لا يؤمن به إلا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل مُحَمَّدٍ فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه - وتلك نعمة عظيمة، تلك نعمة عظيمة فاحمدوا الله عليها وترحموا على أمهاتكم، نبينا يقول - إن حديث آل مُحَمَّدٍ صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ لا يؤمن به إلا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل مُحَمَّدٍ فلانت له قلوبكم وعرفتموه - عرفتموه أي اعتقدتم به - فاقبلوه وما اشمازت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل مُحَمَّدٍ - العالم يعني الإمام المعصوم - وإلى العالم من آل مُحَمَّدٍ - يعني نعود إلى حديثهم، في زماننا أين هو العالم من آل مُحَمَّدٍ، إمام زماننا لا نستطيع الوصول إليه في أي نعود؟ نعود إلى حديثهم - وإلى العالم من آل مُحَمَّدٍ - يعني إلى القواعد والقوانين التي بينها لنا في قبول الحديث في رده - وإنما الهالك يا شيعة أهل البيت أن يحدث أحداكم بشيءٍ منه - يعني من حديث آل مُحَمَّدٍ - لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والله ما كان هذا - الهالك هو هذا - وإنما الهالك أن يحدث أحداكم بشيءٍ منه - يعني من حديث آل مُحَمَّدٍ - لا يحتمله فيقول - معلقاً - والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والله ما كان هذا

- أن يقول راداً لحديثهم وإنما ما عرفتموه فاقبلوه وما جهلتم مضامينه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل مُحَمَّد.

الرواية هنا عن عمر بن شمر، عن أبي جعفر، واعتقد أن السند قد سقط منه جابر بن يزيد الجعفي، لأن عمر بن شمر إنما يروي عن جابر بن يزيد الجعفي - عن عمر بن شمر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن حديثنا صعبٌ مستصعبٌ أجرد - أجرد الإمام هنا كأنه يستعير هذا الوصف من الجبل الأملس الذي لا يوجد فيه مجال لصعوده، يعني جبل مستقيم هكذا ليس منحني ليس فيه سفح مستقيم ولا يوجد فيه مكان الإنسان يضع رجله أو يده حتى يستطيع الصعود، الصخور ملساء يصعب الصعود عليها - إن حديثنا صعبٌ مستصعبٌ أجرد ذكوانٍ وعز - المراد من الذكوان الذي لا يستطيع الإنسان مهما بلغ ذكائه أن يتعامل معه مهما بلغ ذكائه - إن حديثنا صعبٌ مستصعبٌ أجرد ذكوانٍ وعزٌ شريفٌ كريمٌ فإذا سمعتم منه شيئاً ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله - احتملوه يعني احمّلوه اعتقدوا به يعني، ليس من الإحتمال الذي هو من درجات الشك، فاحتملوه يعني فاعتقدوا به، لا يحتمله من هذا المعنى - فاحتملوه واحمدوا الله عليه وإن لم تحتملوه ولم تطيقوه فردوه إلى الإمام العالم من آل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم فإنما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا، ثم قال يا جابر إن الإنكار - إنكار هذه الأحاديث - هو الكفر بالله العظيم - فإنما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا، ثم قال يا جابر إن الإنكار هو الكفر بالله العظيم - إن حديثنا صعبٌ مُستصعبٌ - صعب التشبيه هنا بالفرس الذي لا يمكن صعوده، فرس لا يمكن صعوده، هناك من الخيول التي لا يمكن ترويضها لا يستطيع الإنسان أن يصعد عليها.

ويقال أيضاً للجبل العالي جداً الذي لا توجد فيه منافذ لصعوده جبلٌ صعبٌ - إن حديثنا صعبٌ مُستصعبٌ - أكثر - إن حديثنا صعبٌ مُستصعبٌ أجرد ذكوانٍ وعزٌ شريفٌ كريمٌ - والشريف والكريم أيضاً الذي لا يمكن الوصول إليه صاحب المرتبة العالية لا يستطيع الإنسان أن يمس كرامته والكريم كذلك، الكريم أيضاً ولذلك احذروا صولة الكريم متى يصول الكريم؟ حينما يُهان، هذه كلها تعبيرات على نحو الكناية لتصوير الأمر لتقريبه - إن حديثنا صعبٌ مستصعبٌ أجرد ذكوانٍ وعزٌ شريفٌ كريمٌ فإذا سمعتم منه شيئاً ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله عليه وإن لم تحتملوه ولم تطيقوه فردوه إلى الإمام العالم من آل مُحَمَّد فإنما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا ثم قال: يا جابر - وهذا دليل على أن جابر قد أسقط من السند، الإمام هنا يخاطب جابر كما قلت في أول كلامي بأن عمر بن شمر إنما يروي عن جابر الجعفي - ثم قال: يا جابر إن الإنكار هو الكفر بالله العظيم - هذه أحاديث أهل

البيت وأحاديث أهل البيت إنما تبين لنا أيضاً مراتب أصحاب العقائد وأصحاب المعارف.

مثلاً هذه الرواية ومرّ مثلها - الرواية عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إن حديث آل مُحَمَّد صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ ثَقِيلٌ مَقْنَعٌ أَجْرَدُ ذِكْوَانٌ - هذه أوصاف لحديثهم لأسرارهم - إن حديث آل مُحَمَّد صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ ثَقِيلٌ مَقْنَعٌ أَجْرَدُ ذِكْوَانٌ لا يحتمله إلا ملكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينةٌ حصينة - المدينة الحصينة يعني القلوب التي تشع بالحقائق ويحصنها الإيمان ويحصنها الكتمان، مدينة حصينة، قلب محصن، القلب المحصن القلب الذي لا يعرف الناس ماذا يجري فيه ويعرف ماذا يجري على الناس، يعرف ما في قلوب الناس وهم لا يعرفون ما في قلبه - أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينةٌ حصينة فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن - يعني أن حقائق القرآن وحقائق العترة ستضح ستجلى فالقرآن يصدق الإمام والإمام يصدق القرآن - فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن - هذي مرتبة من مراتب المعارف ومن مراتب الأسرار ومن مراتب الرسالة، قطعاً ليس المقصود من هذه المرتبة مثلاً الأحكام الشرعية، هذه ليست من الأسرار، ولا المقصود يعني القرآن بظاهره اللفظي الموجود بين أظهرنا والذي كُتِبَ عنه التفاسير والتفاسير، ولا المقصود نصوص الأدعية والزيارات التي نقرأها ونلهج بها، ولا المقصود الأحاديث التي تتلى في الكتب وتقرأ على المنابر، وإنما ما وراء القرآن، ما وراء الأحاديث هي هذه الحقائق التي تتكلم عنها مثل هذه الروايات - إن حديث آل مُحَمَّد صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ ثَقِيلٌ مَقْنَعٌ أَجْرَدُ ذِكْوَانٌ لا يحتمله إلا ملكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينةٌ حصينة - هذي مرتبة من مراتب أهل الإيمان - فإذا قام قائمنا - هذي المدينة الحصينة جاء ذكرها مع العبارة التي بعدها وكأن فيها إشارة أن هذه المدينة الحصينة تلکم القلوب التي تزهو كالقناديل، قلوب أصحاب الإمام صلوات الله وسلامه عليه، تلکم المدائن المحصنة، تلکم القلوب التي كما في الروايات تزهو كالقناديل، قلوب أصحاب الإمام - أو مدينة حصينة فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن - هذي طبقة من المعرفة - لا يحتملها إلا ملك مقرب أو نبيٌّ مرسل - فإن من الملائكة من ليس بمقرب وإن من الأنبياء من ليس بمرسل - أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان - فإن من المؤمنين من لم يكونوا قد امتحن الله قلوبهم للإيمان - أو مدينة محصنة - فإن من قلوب المؤمنين أيضاً من ليس هو في هذه الدرجة في درجة المدينة الحصينة.

هناك مرتبة ثانية من المعارف - عن أبي الصامت قال أبو عبد الله عليه السلام: إن حديثنا صعبٌ مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعمر لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل - الرواية السابقة: لا يحتمله إلا ملكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل، هذه الرواية لها لسان آخر، لا يحتمله ملكٌ مقرب - إن حديثنا

صعبٌ مستصعب - يقول صادق العترة - شريف كريم ذكوان ذكيٌّ وعر لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيُّ مرسل ولا مؤمنٌ ممتحن قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت - هذي مرتبة ثانية إذا كانت تلكم المرتبة لا تتعلق بظاهر القرآن، البنية اللفظية للقرآن، ولا بالأحكام، ولا بنصوص الأدعية والزيارات، وإنما بما وراءها، فهذه المرتبة في أي شيءٍ تتعلق؟ تتعلق بما وراء ما وراء تلكم المرتبة - لا يحتمله ملكٌ مقرب - هذه الرواية تحتاج إلى وقفة طويلة، المؤمنون بحاجة أن يقفوا يتبصروا في هذه الرواية، يتبصروا من جهتين: من جهة عظمة أئمتنا ومن جهة قصورنا وتقصيرنا، كم عندنا من القصور والتقصير؟ وكم هي عظمة أئمتنا؟ وكم هي أيضاً مظلومية أئمتنا صلوات الله عليهم؟

يعني هذا الوصف هذا ينطبق على كل أئمتنا وعلى إمامنا الكاظم الذي جرت عليه من الولايات والولايات والولايات - إن حديثنا صعبٌ مُستصعب شريفٌ كريم - أنا أكرر هذه الروايات لأجل أن تترسخ في أذهان السامعين، هذه الروايات ربما كثير من الناس لم يكن قد سمع بها، وربما قد لا ينال الفرصة أن يسمعها، وربما كثير من الناس ماتوا من شيعة أهل البيت وما سمعوا هذه الأحاديث لأنه لا يوجد أحد ينشر هذه الأحاديث بين الناس، القليل القليل الذين ينشرون هذه الأحاديث، هذي أحاديث تبقى في الكتب - إن حديثنا صعبٌ مستصعب - حقيقة حسرة كبيرة أن الإنسان يموت وهو من شيعة أهل البيت وما سمع بمثل هذه الأحاديث، وما عرف هذه المعاني، حسرة هذي تكون، بعد ذلك هذه الحسرة تتجلى للإنسان حينما يموت وتنكشف الكثير من الحقائق ستصبيه الحسرة، نحن عندنا في الروايات في يوم القيامة حينما تُنصب المراقي ويقال للرجل من شيعة أهل البيت اقرأ وارقي كلما قرأت شيئاً من القرآن فاصعد، الذي لا يحفظ شيئاً من القرآن وقطعاً ليس المراد الحفظ اللفظي، قطعاً الحفظ اللفظي مهم، المراد حينما تأتي الروايات تتحدث عن حَمَلَة القرآن حَمَلَة القرآن العارفون بعلوم القرآن العارفون بمعاني القرآن وهذه هي معاني القرآن، معاني القرآن من أين نأخذها؟ من أين نأخذ معاني القرآن؟ يعني نأخذها مثلاً من الكشاف للزخشي؟ أو من التفسير الكبير للرازي؟

معارف القرآن نأخذها من أهل القرآن، من الذين نزل القرآن عليهم وفي أبياتهم وحل القرآن في قلوبهم، نأخذ هذه المعاني من قلوب مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، هذه المعاني التي سطرها لنا في هذه الأحاديث الشريفة، اقرأ وارقي بقدر ما عندك من معرفة القرآن فإنك ترقى في مراقي العلو والدرجات في العالم الآخر، أما حينما لا يحمل الإنسان علماً من علوم القرآن في قلبه ستصبيه الحسرة، واقعاً حسرة كبيرة حسرة على أن الإنسان يعيش ويموت وما اطلع على مثل هذه المضامين من حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صادق العترة يقول: - إن حديثنا صعبٌ مستصعب شريفٌ كريم ذكوان ذكيٌّ وعر لا يحتمله ملكٌ

مقرب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمنٌ ممتحن، قلت: فمن يحتمله جعلت فداك قال: من شئنا يا أبا الصامت إليهم نمدُ أيدينا - هذه الرواية واضحة تأمرنا بالرجوع إليهم، التمسوا منهم، اطلبوا منهم، توسلوا بهم، هم مصدر العلم، هم مصدر المعرفة، هم مصدر الدين، هم مصدر الحقيقة، هم القرآن، هم القرآن بكل حقيقته وبكل تجلياته - قلت: فمن يحتمله جعلت فداك قال: من شئنا - إذا لم يشاؤوا صلوات الله عليهم لا يمكن أن يرتقي الإنسان إلى هذه المرتبة إلا بمشيئتهم إلا من شئنا.

هناك مرتبة أخرى أعجب وأعجب، إذا كان هذه المرتبة عجيبة فهناك مرتبة أعجب وأعجب، قطعاً هناك من الناس من يتعجب فيقول: إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا ملكٌ مقرب فإن من الملائكة من ليس بمقرب فيقول: ملائكة يعني لا يحتملون، إلا نبيّ مرسل فإن من الأنبياء من ليس بمرسل، إلا مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان فإن من المؤمنين من لم يمتحنه الله، قد يتعجب من هذا ولكن هذا أعجب - لا يحتمله لا ملكٌ مقرب ولا نبيّ مرسل ولا عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فمن يحتمله؟ من شئنا - إذاً من أنتم يا آل مُحَمَّد؟ الرواية الثالثة أيضاً عن أبي الصامت - قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيّ مرسل ولا عبدٌ مؤمن قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله - وهذا أعجب العجب، هذا شيءٌ تقف عنده العقول كما قال أمير المؤمنين في حديث الحقيقة لكميل - يا كميل أطفئ السراج لقد طلع الصبح - اطفئ السراج يعني اطفئ سراج عقلك، اطفئ سراج مداركك، هنا نحن نطفئ كل المصاييح، هنا نطفئ كل الأسرجة، هنا نطفئ كل الأضوية، هنا تعجز الحواس، تعجز البصائر وهي أرقى مراتب الإدراك، البصائر أرقى مراتب الإدراك لأنها تستشف الغيب، هنا تنتهي البصائر، هنا الحيرة في الحيرة - إلى متى أحرار فيك يا مولاي وإلى متى - هنا الحيرة في الحيرة، ألا نخاطب الإمام الحجة عليه السلام في دعاء الندبة - إلى متى أحرار فيك يا مولاي وإلى متى وأي خطابٍ اصف فيك وأي نجوى - المصداق الواضح لهذا الكلام هو في هذه الرواية - فمن يحتمله؟ - إذا كان أمركم لا تحتمله الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا المؤمنون - من يحتمله يا ابن رسول الله؟ قال: نحن نحتمله - هذه مضامين الرسالة وهذا هو معنى - أَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا مَوْضِعَ الرِّسَالَةِ - موضع الرسالة هذا في أفق من أفاقه لا يحتمله إلا هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية عن مسعدة بن صدقة عن جعفرٍ عن أبيه قال: ذُكرت التقية يوماً - مسعدة بن صدقة يروي عن إمامنا الصادق عليه السلام - عن مسعدة بن صدقة عن جعفرٍ عن أبيه - عن الباقر، الإمام الباقر يقول - ذُكرت التقية يوماً - مجموعة من الشيعة ذكروا التقية عند الإمام السجاد - ذُكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام فقال: - إمامنا السجاد - والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله

- طبعاً شَرَّاح الحديث قالوا لقتله يعني أن علم سلمان قتل أبا ذر، واحتمال آخر أن أبا ذر يقتل سلمان لأنه سيراه على ضلال، لا يحتمل علمه، سلمان نسلم عليه في زيارته - السلام عليك يا صاحب العاشرة - يعني الدرجة العاشرة، وأبو ذر كما في الروايات هو صاحب الثامنة صاحب الدرجة الثامنة، لذلك الإمام يأتي بهذا المثال لأن أبا ذر في الروايات هو صاحب الثامنة وسلمان صاحب العاشرة - والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، عندنا روايات: لكفره، روايات: لقتله، روايات: لترحم على قاتله - بالنتيجة يعني لا يحتمل ما في قلب سلمان - والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق؟ - الإمام هنا يريد أن يشير إلى أن الذي يعرف شيئاً فلا يرى في نفسه أنه أفضل من الآخرين الذين لا يعرفون هذا الشيء، فإذا كان سلمان بتلك الدرجة من المعرفة والعلم واليقين التي لو علم بها أبو ذر لقتله ومع ذلك آخى رسول الله بينهما، فما بالنا بسائر الناس مثلي ومثل الآخرين، إذا كان أحد منا يعلم شيئاً بسيطاً هذا لا يعني أن الناس الآخرين لا قيمة لهم - والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق؟ إن علم العالم - العالم هنا الإمام المعصوم - إن علم العالم صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا نبيُّ مرسل أو ملكٌ مقرب أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان - ثم بين الإمام - وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرئٌ منا أهل البيت فلذلك نَسبه إلينا أو نسبته إلينا - سلمان من أهل البيت، فكان علمه من أي علم؟

من الدرجة التي مرت علينا - من شئنا - من شئنا هذه درجة علم سلمان أما - نحن نحتمله - فهذه الدرجة أعلى من سلمان ومن غير سلمان - من شئنا - هو سلمان، الأمر الذي لا يحتمله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا من شئنا فسلمان هو الذي ينطبق عليه هذا المعنى، رواية أخرى يرويها المفضل بن عمر أيضاً كان بدرجة سلمان، كان سلمان، إمامنا الصادق هكذا الروايات تقول، المفضل كان في زمان الإمام الصادق وفي زمان الإمام الكاظم في زمان الإمام الرضا كان بمثابة سلمان لهم، المفضل صاحب أربعة من المعصومين صاحب الإمام الباقر والصادق والإمام الكاظم وكان من خواص أصحاب الإمام الكاظم ومن وكلائه المعتمدين وصاحب الإمام الرضا لَمَّا ورد خبر وفاته رضوان الله تعالى عليه إلى الإمام الرضا قال: أما إنه قد استراح من هم الدنيا وغمها - لأنه قد أوذى كثيراً المفضل، لأنه كان من حملة أسرار أهل البيت من حملة المعارف الخاصة وحتى أصحاب الأئمة كانوا يؤذونه، الإمام الرضا يشير إلى هذه القضية - أما إنه قد استراح من هم الدنيا وغمها - وأفضل وأهم روايات الفضائل والمعارف مروية عن المفضل، لذلك البعض يضعفه، يضعف رواية المفضل وهذه الطامة هذي المصيبة نحن أثبتلينا بها على طول الخط، تجد دائماً

رواة أهل البيت الذين يروون روايات المعارف وروايات الفضائل والمقامات الغيبية يُضَعَّفُونَ بينما الرواة الذين يروون لنا أحكام الطهارة والنجاسة يُوثَّقُونَ، وهذا سؤال كبير، الرواة الذين ينقلون لنا المعارف المهمة يُضَعَّفُونَ، وإن كنت أنا وغيري ممن يعرفون هذه المسائل لا يعبتون بهذه التضعيفات، القضية وراء الأكمة ما وراءها، نحن الآن لسنا بصدد هذه الأمور، على أي حال الإمام الرضا لَمَّا وصل إليه خبر المفضل فقال: رحمه الله أما أنه قد استراح من هم الدنيا وغمها لقد كان الوالد بعد الوالد - هكذا قال عنه إمامنا الرضا، على أي حال، المفضل يروي عن الإمام الباقر، المفضل يقول:

قال: أبو جعفر عليه السلام: إن حديثنا صعبٌ مستصعبٌ ذكوانٌ أجرد لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه - الإمام يشرح هذه المعاني - إن حديثنا صعبٌ مستصعبٌ ذكوانٌ أجرد لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، قال: أما الصعب فهو الذي لم يركب - فلا تركبه الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا العباد الذين امتحن الله قلوبهم - أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه - وإليه الإشارة في حديث سلمان لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتل سلمان - وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه - أبو ذر هنا يهرب من سلمان - وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه إذا رُؤي وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين - ذكاء المؤمنين يعني أن ذكاء المؤمنين يقف عنده، والمؤمنون ذكأؤهم الإشارة هنا إلى بصيرتهم البصيرة التي تتجاوز الذكاء الإعتيادي، البصيرة التي تتلمس الغيب - وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيء - لا يمكن أن يصل إليه شيء - من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله: ﴿ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحدٌ من الخلائق أمره بكماله - لا يوجد أحد يحتمل أمر أهل البيت بكماله - حتى يحدّه - لأن إذا نظر إلى الأمور بما عنده من القدرات سيحد هذا الأمر، سيدركه بحدود مداركه، بحدود الحواس، بحدود القلب، بحدود العقل، بحدود البصيرة، بحدود كل قدرات الإدراك - فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحدٌ من الخلائق أمره بكماله حتى يحدّه - ثم الإمام يقول - لأنه من حدّ شيئاً فهو أكبر منه - حينما تحدد شيئاً فهذا الشيء يكون أكبر منك - والحمد لله على التوفيق - التوفيق لإدراك هذه المعاني - والإنكار هو الكفر - هذه كلمة باقر العترة، حديث عميق جداً.

والحقيقة أنا أرى الوقت قد مرَّ منه الشيء الكثير ولا أستطيع أن أقف عند كل رواية فاشرحها، هذي كل رواية بحاجة إلى حلقة، ولكن من أين نأتي بالوقت والوقت كالسيف، لكن هذه الرواية أمرٌ عليها مرة ثانية تحتاج إلى تبصر تحتاج إلى تأمل - الإمام يقول: إن حديثنا صعبٌ مستصعبٌ ذكوانٌ أجرد لا يحتمله

ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذي لم يُركب بعد - ما ركبه لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون - وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه أو يهربُ منه - يُهربُ منه إذا رؤي، كما فعل أبو ذر، والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، لترحم على قاتله، لكفره - وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيءٌ من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله: ﴿ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحدٌ من الخلائق أمره بكماله حتى يحده - لماذا يحده؟ لأن المدارك العقلية والقلبية والوجدانية ومدارك الحواس محدودة فلا بد أن يحده، الإمام يقول: - لأنه من حدٍّ شيئاً فهو أكبر منه - حديث أهل البيت أكبر منا، ثم يقول - والحمد لله على التوفيق والإنكار هو الكفر - الإنكار هو الكفر والحمد لله على التوفيق.

حديث ثاني أيضاً ينقله صاحب البصائر رضوان الله تعالى عليه، حديثنا في معنى هذا الحديث، معنى حديثنا صعبٌ مستصعب معنى هذا الحديث - حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل فهو ما روئتم إن الله تبارك وتعالى لا يُوصف ورسوله لا يُوصف والمؤمن لا يُوصف - المؤمن هنا المقصود الإمام المعصوم، لأن هذه التسمية هي خاصةٌ بعليٍّ فقط، هكذا في الروايات، الله سبحانه وتعالى سميَ علياً هذه التسمية الخاصة بالمؤمن فهي تسميةٌ على وجه الحقيقة لعليٍّ ومن كان في درجة عليٍّ أبنائه المعصومين، أما إطلاقها علينا فعلى نحو المجاز، على نحو التجوز، المؤمن عليٌّ وقلب المؤمن كعرش الرحمن ذلك قلب عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، وعرش الرحمن هو مجلي من مجالي مُحَمَّدٍ وعلي كما مرّ ولكن هذه المجالي تظهر في كل عالم بحسبه وفي كل أفقٍ بحدوده - معنى هذا الحديث فهو ما روئتم - يعني هذا الحديث: إن حديث آل مُحَمَّدٍ صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل، هو ما روئتم إن الله تبارك وتعالى لا يُوصف ورسوله لا يُوصف والمؤمن لا يُوصف فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم - من تصور بأنه يعرف حقائق الحديث ووضع حدوداً له، وما أكثر جهلنا ويأتيك إنسان لا يعرف البُرّ من البرّ ويريد أن يشخص لنا منازل أهل البيت، وهناك أشخاص عاشوا وماتوا وجُلّ طعامهم الصحف والمجلات والكتب السياسية وهم لا يعرفون شيئاً من أمر أهل البيت ويأتون ويفصلون لنا منازل ومراتب أهل البيت. الإمام هكذا يقول، والأحاديث هذه موجودة عندنا: إن الله لا يُوصف وإن رسوله لا يُوصف وإن المؤمن يعني الإمام المعصوم لا يُوصف - فمن احتمل حديثهم - يعني من تصور أنه هو يفهم حديثهم - فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم - يعني إذا تصور أن هذه الأحاديث الموجودة عندنا هي تمثل حقيقة الأئمة - فقد حدّهم - بينما الأئمة قالوا لنا إننا نكلّمكم على قدر عقولكم، وهذه الأحاديث على قدر عقولنا - فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم - وضع لهم حدود - ومن حدّهم فقد وصفهم ومن وصفهم

بكمالهم فقد أحاط بهم وهو أعلم منهم - إذا أحاط بهم كان أعلم - وهو أعلم منهم - كان أعلم منهم، الذي يحيط بهم سوى الله، لذلك لا يعرف الله إلا هم، ولا يعرفهم إلا الله، يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا، هو نفس هذا الكلام - فمن احتمل حديثهم - من تصور بأنه يعرف معاني حديثهم - فقد حدّهم - لذلك دائماً نقول بأن كل كلامٍ أقوله أنا وأمثالي إنما هو بحدود فهمنا القاصر بحدود عالم العبارة ولو خرجنا بعض شيءٍ بمعونة الرواية فإننا نتمسك بشرائش عالم الإشارة لا بعالم الإشارة، بشرائش عالم الإشارة، والشراشش كما قلت هذي الخيوط التي تتدلى من نهاية الشراشش، من نهاية بعض الملابس، من نهاية السجاد والبسط هذي الشراشش، نحن نتمسك بشرائش عالم الإشارة في بعض الأحيان - فمن احتمل حديثهم فقد حدّهم ومن حدّهم فقد وصفهم ومن وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم وهو أعلم منهم، وقال: يقطع الحديث عن دونه فيكتفي به، لأنه قال: صعب فقد صعب على كل أحد حيث قال صعب فالصعب لا يركب ولا يحمل عليه لأنه إذا ركب وحمل عليه فليس بصعب - أن العقول لا تستطيع أن تصل إليه القضية محدودة، أنا أرى أن الوقت قد سار بنا كثيراً والحقيقة بقيت عندي نصوص عديدة أخرى كان بودي أن أقرأها على مسامعكم وأن أتحدث عنها لكن وقت البرنامج قد تجاوز كثيراً، أكتفي بهذا القدر وإن شاء الله إذا اتسع مجال آخر سوف أتحدث عن بقية معنى الرسالة.

لكن إلى الآن تجلت لنا معاني الرسالة الكلية في عالم الخلق الأول ومعاني الرسالة الأرضية بهذه الأحاديث التي قالت بأن رسالتهم في بعدها الحقيقي لا يحتملها لا نبيٌّ مرسل ولا ملكٌ مُقَرَّب ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فمن يحتملها يا بن رسول الله؟ قال: نحن نحتملها، هم يحتملون أمرهم لا غيرهم، هؤلاء أئمتنا وهذا هو موسى بن جعفر باب الحوائج وصاحب المقامات والمعارج صلوات الله وسلامه عليه.

أسألکم الدعاء ولقاءنا يتجدد إن شاء الله تعالى في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة على ولاءٍ لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وعلى سعيٍ مني ومنكم لمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وهذا شهر رجب واليوم يوم باب الحوائج، اللَّهُمَّ إنا نقسم عليك ببهاء موسى بن جعفر ونقسم عليك بمظلومية موسى بن جعفر، اللَّهُمَّ إني أقسم عليك بصاحب الأحزان الطويلة مألّف البلوى والهموم صاحب الضراعات الكثيرة المُعَذَّب في قعر السجون وظلم المطامير المنادى على جنازته الشريفة بنداء الاستخفاف أقسم عليك به وبجواد الأئمة أن توفقنا لمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وأن تميّتنا على معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، أن تنور قلوبنا في حياتنا وفي مماتنا وفي قبورنا وعند الصراط عند الميزان بمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، أن تجعل معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ هي أماننا في الدنيا والآخرة، وأن تجعل معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ هي غاية همتنا في هذه الحياة بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، أسألکم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة السادسة

معنى ومُخْتَلَفَ الملائكةِ

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وملاها حُباً وولاءً لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم، وها نحن نعيش أيام أفراحهم، في يوم غد عيد مولد سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه رزقنا الله تعالى وإياكم زيارته من قريبٍ ومن بعيدٍ وخدمته وشفاعته في الدنيا والآخرة بِمُحَمَّدٍ وعترته الطاهرة، الحلقة السادسة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ولا زلت أقرأها من كتاب مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ - تَقَدَّمَ الكلامُ في هذه العبائر الشريفة من الزيارة الجامعة الكبيرة، اليوم وصل الحديث إلى قول الزيارة - وَمُخْتَلَفَ الملائكةِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائكةِ - ما المراد من مختلف الملائكة؟ مُخْتَلَفَ الملائكة كلمة المُخْتَلَفَ في لغة العرب تعني المكان الذي يتردد إليه دائماً جيئةً وذهاباً، ومن هنا جاء الحديثُ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم اختلاف أُمِّي رحمة، لا كما يفسرها المخالفون، ولا كما يفسرها بعض الشيعة تقليداً وإتباعاً للمخالفين!! كيف يُعَقَّلُ أن اختلاف الأُمَّة رحمة؟! هذا الاختلاف هل أمرنا به أم تُهيننا عنه!! إذا قال القائل بأننا أمرنا بهذا الاختلاف فكيف ينهانا الباري سبحانه وتعالى عن هذا الاختلاف وينهانا النبي؟ وإذا تُهيننا عنه فكيف يكون رحمة؟! هذا محض كذبٍ وافتراءٍ على رسول الله صلى الله عليه وآله، إنما قال اختلاف أُمِّي رحمة يعني مجيء الأُمَّة إليه وإلى أهل بيته، ترددهم الدائم كيف يعرفوا حقائق الدين من رسول الله، هذا المراد اختلاف أُمِّي رحمة أي أنهم يترددون عليه جيئةً وذهاباً، المُخْتَلَفَ هو المكان الذي يُتردُّ عليه، حين أقول اختلفت إليه يعني اتردد عليه دائماً، حينما أقول اختلفت معه فهذا معنى الاختلاف والتنافر، المُخْتَلَفَ هو المكان الذي يُتردد إليه دائماً جيئةً وذهاباً، الزيارة تخاطبهم بأنهم مختلف الملائكة يعني أن الملائكة ذاهبةً جائيةً، غاديةً رائحةً، تطوف حول فنائهم الشريف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائكةِ - أما الحديثُ عن الملائكة فهذا حديثٌ طويلٌ وربما هناك الكثير من المشاهدين ممن لا يملكون صورةً صحيحةً

عن الملائكة، في الغالب يملك الناس صورة مُبهمة والسبب في ذلك هو الابتعاد عن حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذا نتحول اليوم في رياض كلمات أهل بيت العصمة كي نستجلي شيئاً من حديثٍ أو من معرفةٍ عن الملائكة وعن اختلاف الملائكة لأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم.

الملائكة أكثر خلقٍ خلقه الله سبحانه وتعالى، والملائكة أصنافهم ومراتبهم كثيرة جداً، والملائكة قدراتهم وقابلياتهم عظيمة ومتباينة فيما بين هذه المراتب، الملائكة ينامون إذ ما من مخلوقٍ إلا وهو ينام، الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، الملائكة لا يتزوجون ولا يتكاثرون كتكاثر الإنسان والحيوان، الملائكة لا يأكلون ولا يشربون إنما طعامهم التنزيه والتسبيح، يتسمون نسيم العرش فهذا هو طعامهم وسر حياتهم، وهم على مراتب، سنتحول في روايات أهل بيت العصمة لنستجلي بعضاً من المعاني وبعضاً من المعرفة عن الملائكة وعن اختلافهم إلى أهل البيت، في أدعية أهل البيت هناك حديث عن الملائكة، تارةً بشكلٍ مجمل وتارةً بشكلٍ مفصل، على سبيل المثال مثلاً ما جاء في دعاء أم داود، وهو الدعاء المروي عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وقصتهُ معروفة ولا أريد الحديث عن دعاء أم داود بقدر ما أريد أن أتناول سطوراً، هذا الدعاء يُقرأ في شهر رجب وله تفصيل مذكور وها أني أقرأه من مفاتيح الجنان لشيخنا القمي رضوان الله تعالى عليه، جاء في هذا الدعاء: **اللَّهُمَّ صلي على جبرئيل أمينك على وحيك والقوي على أمرك** - الحديث هنا عن أصناف من الملائكة وعن بعضٍ من شؤوناتهم - **اللَّهُمَّ صلي على جبرئيل أمينك على وحيك والقوي على أمرك والمطاع في سماواتك ومحال كراماتك المتحمل لكلماتك الناصر لأنبيائك المدمر لأعدائك، اللَّهُمَّ صلي على ميكائيل ملك رحمتك والمخلوق لرأفتك والمستغفر المُعين لأهل طاعتك، اللَّهُمَّ صلي على إسرافيل حامل عرشك وصاحب الصور المنتظر لأمرك الوجل المشفق من خيفتك، اللَّهُمَّ صلي على حملة العرش الطاهرين وعلى السفرة الكرام البررة الطيبين وعلى ملائكتك الكرام الكاتبين وعلى ملائكة الجنان وخزنة النيران ومملك الموت والأعوان - الأعوان أعوان ملك الموت - يا ذا الجلال والإكرام - الدعاء هنا تحدّث عن أصناف وعن مراتب من الملائكة مشيراً ومتحدثاً عن بعضٍ من وظائفهم وعن بعضٍ من قدراتهم.**

فحين ذكر جبرئيل قال: **اللَّهُمَّ صلي على جبرئيل أمينك على وحيك والقوي على أمرك والمطاع في سماواتك ومحال كراماتك المتحمل لكلماتك الناصر لأنبيائك المدمر لأعدائك** - كل عبارة من هذه العبارات كل وصف من هذه الأوصاف بحاجة إلى شرحٍ وإلى بيان ولكن المقام لا يسمح بذلك لذا أكتفي فقط بإيراد النصوص وأبين ما يحتاج إلى بيان، وحين وصل الحديث عن ميكائيل - **اللَّهُمَّ صلي على**

ميكائيل ملك رحمتك والمخلوق لرأفتك والمستغفر المُعين لأهل طاعتك - يعني أن المدد المعنوي النازل إلى أهل طاعة الله إنما هو يُشرقُ من جهة ميكائيل - اللَّهُمَّ صلي على ميكائيل ملك رحمتك والمخلوق لرأفتك والمستغفر المعين لأهل طاعتك، اللَّهُمَّ صلي على إسرائيلَ حاملِ عرشك - من جملة حَمَلَة العرش - وصاحب الصور - الصور هو في أصله في الأصل في لغة العرب، الصور هو قرن الثور الكبير الذي يُنفخ فيه وهو البوق، البوق في شكله القديم كانوا يصنعونه من قرون الثيران الكبيرة، والكلام هنا على سبيل الكناية والتشبيه - وصاحب الصور المنتظر لأمرِك الوجَل المشفق من خيفتك، اللَّهُمَّ صلي على حَمَلَة العرش الطاهرين - هذا صنف من أصناف الملائكة - وعلى السفارة الكرام - هذا صنفٌ آخر - البررة الطيبين وعلى ملائكتك الكرام الكاتبين - هذا صنفٌ آخر، وهؤلاء الملائكة الكرام الكاتبون منهم من هو في الأرض الذين يرافقون الإنسان ملائكة الحسنات والسيئات، ومنهم من هم في السماء يكتبون شؤون السماء - وعلى ملائكة الجنان وخزنة النيران وملك الموت والأعوان - وملك الموت جيوش من الملائكة هم أعوانه في خطف الأرواح وقبضها، ولا يقف الكلام عند هذه الأصناف من الملائكة، إنما هذا الدعاء دعاء أم داود تحدث عن بعض أصناف من الملائكة.

هناك صنفٌ آخر جاء ذكره في الدعاء المروي عن الناحية المقدسة، الدعاء الذي يرويه المُحدِّث القمي عن الشيخ الطوسي والشيخ الطوسي روى هذا الدعاء في مصباح المتعجب وهو من أصول كتب الأدعية رواه عن النائب الثاني عن الشيخ الكبير أبي جعفر مُحَمَّد بن عثمان العمري رضوان الله تعالى عليه، جاء في هذا الدعاء الذي أوله: اللَّهُمَّ إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاية أمرِك - إلى أن يقول الدعاء - ياديموم يا قيوم وعالم كل معلوم صلي على مُحَمَّد وآله وعلى عبادك المنتجبين وبشرك المحتجبين وملائكتك المقربين والبُهم الصافين الحافين - وهذه من أعلى درجات الملائكة - وملائكتك المقربين - وهناك ملائكة أعلى من الملائكة المقربين وهم - البُهم الصافين الحافين - البُهم يعني الذوات المُبهمه، الذوات التي إذا ما قيست بالملائكة المقربين بالنسبة لعالم الملائكة وإلا حتى بالنسبة إلينا، حتى بالنسبة لنا فإن الملائكة المقربين هي أيضاً ذوات مبهمه بالنسبة لنا ولكن هذه مرتبة من أعلى مراتب الملائكة في العوالم العلوية تكون مبهمه حتى بالنسبة لعالم الملائكة - وملائكتك المقربين والبُهم الصافين الحافين - أنا قلت لا أستطيع أن أشرح كل الكلمات بالتفصيل لأن ذلك يحتاج إلى وقتٍ طويل، أنا أريد أن أبين الخطوط العامة المجملية التي وردت في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عَنِّي أستطيع أن أوصل إلى المشاهدين والمشاهدات شيئاً مما قاله أهل البيت في هذه المعاني وفي هذه المضامين - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ - في الصحيفة السجادية

المباركة، في صحيفة إمامنا السجاد هناك دعاء في أوائل الصحيفة، الدعاء المعنون في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب من الأدعية الجميلة المبسوطة التي ذكر فيها أصنافاً كثيرة من أصناف ومن مراتب الملائكة وما هم أعلى رتبة من الملائكة، ماذا قال إمامنا السجاد عليه السلام؟ وفي اليوم الخامس من هذا الشهر الشريف من شهر شعبان سيكون عيد مولده صلوات الله وسلامه عليه، إمامنا السجاد يقول:

اللَّهُمَّ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ وَلَا يَسْأَمُونَ - المراد يفترون يعني تصيبيهم الفترة والفترة هو الانقطاع - اللَّهُمَّ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ - يعني لا يصيبيهم الكسل، لا يصيبيهم الانقطاع، لا يصيبيهم الملل - اللَّهُمَّ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ وَلَا يَسْأَمُونَ - لا يصيبيهم الملل والتعب - من تقديسك ولا يستحسرون - يستحسرون يعني يكلون والكلل هو التعب، وكل هذه المعاني يفترون، يسأمون، يستحسرون إنما هي مراتب من التعب والكلل والملل - اللَّهُمَّ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ - وهذه مرتبة من مراتب الملائكة هم حملة العرش - اللَّهُمَّ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتَرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ وَلَا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيسِكَ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَلَا يُوَثِّرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجَدِّ فِي أَمْرِكَ وَلَا يَغْفَلُونَ عَنِ الْوَلَةِ إِلَيْكَ - لا تصيبيهم الغفلة عن الوله إليك، فهم وإلهون إليك، فهم في حالة الحيرة وفي حالة العشق إليك - ولا يغفلون عن الوله إليك - ما قال الدعاء ولا يغفلون عن الوله فيك، وهناك فارق بين الوله في الشيء وبين الوله إليه، إنما قد يصيب الإنسان الوله في الشيء إذا كان عارفاً لذلك الشيء، أما إذا لم يكن عارفاً فإنه يصيبه الوله إليه، الملائكة هل يمكنها أن تعرف الله؟ لذلك يصيبيها الوله إليه سبحانه وتعالى - ولا يغفلون عن الوله إليك وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور، وميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك، وجبرئيل الأمين على وحيك المطاع في أهل سماواتك المكين لديك المقرب عندك، والروح الذي هو على ملائكة الحجب - هذا أعلى من الملائكة - والروح الذي هو على ملائكة الحجب - جبرئيل ميكائيل إسرافيل إنما هم دون العرش.

وقلنا العرش هو العالم المحيطة بالكرسي، والكرسي هو العالم المحيطة بالسماوات وبما دون السماوات كالعالم الأرضي والعوالم الأخرى، أما الحجب فهي فوق عالم العرش وللحجب ملائكة وهي من أعلى درجات الملائكة ولكن فوق ملائكة الحجب هناك الروح - والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من أمرك - وهذا أعلى من الروح الذي هو على ملائكة الحجب، هذا هو الروح الذي يتنزل في ليلة القدر ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ - والروح الذي هو من أمرك - من أمر الله، وهذا هو أعظم الكائنات في العوالم العلوية، من تجليات مراتب الحقائق القادسة الأولى - والروح الذي هو أمرك -

وقد مرّت الإشارة إلى ذلك بأنه يُفهم من الروايات أن هذا الروح إنما هو من تجليات الحقيقة الفاطمية - وجبرئيل الأمين على وحيك المُطاع في أهل سماواتك المكين لديك المُقَرَّبُ عندك والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب - وهو خلقٌ أعظم من الملائكة - والروح الذي هو من أمرِك - وهذا أعظم من سبقه - اللَّهُمَّ فصلي عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سُكان سماواتك وأهل الأمانة على رسالاتك - الذين يُرسلون إلى الأنبياء - والذين لا تدخلهم سامةٌ من دُؤوب ولا إعياءٌ من لغوب - اللغوب التعب، والدُؤوب هو الاستمرار في العمل - والذين لا تدخلهم سامةٌ من دُؤوب - السامة الملل من استمرار العمل من استمرار الطاعة - ولا إعياءٌ من لغوب - لو أصاب الملائكة ذلك لحدث فسادٌ في الكون، لأن الكون بكل ذراته إنما هو تنظمه الملائكة هكذا بينت لنا روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - والذين لا تدخلهم سامةٌ من دُؤوب ولا إعياءٌ من لغوب ولا فتور ولا تشغلهم عن تسيحك الشهوات ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات الخشعُ الأبصار فلا يرومون النظر إليك النواكس الأذقان الخشعُ الأبصار - هؤلاء لا يرون لذواتهم من منزلةٍ ومن درجةٍ أن يرفعوا أبصارهم إلى الأعلى - الخشعُ الأبصار فلا يرومون النظر إليك - لا يرومون لا يطمحون في ذلك وإنما يرون حقائقهم وذواتهم دون ذلك - الخشعُ الأبصار فلا يرومون النظر إليك النواكس الأذقان - كيف يُنكسُ المرء ذقنه إذا ما أنزل وجهه وأنزل رأسه - النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك المستهترون بذكر آلائك - مستهترون يعني مولعين، المولعون الذين لا يجدون شيئاً في قلوبهم في ذواتهم إلا ذكر آلائه ذكر نعمه وذكر آياته - المستهترون بذكر آلائك والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك سبحانك ما عبدناك حق عبادتك - هؤلاء الملائكة بهذه الأوصاف هكذا يخاطبون الباري سبحانه وتعالى - سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فصلي عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك - وهذه طبقة أخرى، هذه شعوب وأمم أخرى من الملائكة - فصلي عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك وأهل الزلفة عندك وحمّال الغيب - وأهل الزلفة طبقة أخرى من الملائكة - وحمّال الغيب إلى رُسلك والمؤمنين على وحيك وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك وأغنيتهم عن الطعام والشراب - بأي شيء؟ - بتقديسك - طعامهم التقديس والتسبيح - وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك والذين على أرجائها - على أرجاء الوجود، على أرجاءها الأرجاء الجهات والنواحي - والذين على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك - متى ينزل الأمر بتمام وعدك؟

الوعد الأول عند ظهور إمام زماننا، والوعد الثاني في يوم القيامة - وخُزْن المطر - الملائكة الذين

وظيفتهم خُزَّانُ المطر - وخُزَّانُ المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجره يُسمع زجر الرعود وإذا سبحت به حفيضة السحاب ألتمعت صواعق البروق ومُشيَّعي الثلج والبرَد والهابتين مع قطر المطر - البرَد هو الحالوب ما يسمى بالخالوب - والهابتين مع قطر المطر إذا نزل - الروايات تقول بأنه ما من قطرة مطرٍ إلا وينزل معها مَلَكٌ موكل بها يوصلها إلى المكان الذي يجب أن تصل إليه تلكم القطرة، وهذا مع كل شيءٍ إنما هذا مثال - والهابتين مع قطر المطر إذا نزل، والقوام على خزائن الرياح، والموكلين بالجبال فلا تزول، والذين عرَّفَهم مثاقيل المياه - مثاقيل يعني أوزان - وكيل ما تحويه لواعج الأمطار وعوالجها، ورُسُلك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحجوب الرخاء والسفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين ومَلِك الموت وأعوانه ومُنكِر ونكير ورومان فتان القبور والطائفين بالبيت المعمور ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان - ومالك والخزنة يعني خزنة النيران - ورضوان وسدنة الجنان والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون - هذا صنفٌ من الملائكة - والذين يقولون سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار - هذا صنفٌ آخر - والزبانية الذين إذا قيل لهم خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ابتدروه سراعاً ولم يُنظروه، ومن أوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه منك وبأي أمرٍ وكلنته وسُكان الهواء والأرض والماء ومن منهم على الخلق فصلي عليهم يوم تأتي كل نفسٍ معها سائقٌ وشهيد - والسائق والشهيد أيضاً من أصناف الملائكة - وصلي عليهم صلاةً تزيدهم كرامةً على كرامتهم وطهارةً على طهارتهم - إلى آخر الدعاء الشريف.

هذا الدعاء ذكر لنا أصنافاً وقبائل ومجموعات ومراتب وأنواع من الملائكة، سيد الأوصياء في نهج البلاغة الشريف أيضاً تحدث كثيراً عن الملائكة، أشير إلى بعضٍ من كلماته صلوات الله وسلامه عليه في الخطبة الأولى من خطب نهج البلاغة الشريف وهو يتحدث عن خلق الملائكة.

يقول سيد الأوصياء: ثم فتق ما بين السماوات العلى - وهو يتحدث عن خلق الله سبحانه وتعالى لهذا الوجود - ثم فتق ما بين السماوات العلى فملاًهنَّ أطواراً من ملائكته منهم سجودٌ لا يركعون - الحديث هنا عن بعض أحوال الملائكة - منهم سجودٌ لا يركعون وركوعٌ لا ينتصبون - هذا صنفٌ آخر - وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول - هنا تشبيهاً بالإنسان وإلا فإن للملائكة نوعاً من أنواع النوم الذي يناسبهم - لا يغشاهم نوم العيون - يعني لا يصيبهم النوم كالنوم البشري وإنما لهم نومهم الخاص كما أن لهم طعامهم الخاص، كما أن طعامهم التسيح فلهم نُحُوٌّ من أنحاء النوم - لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان - لأنهم أساساً لا يملكون أبداناً كأبداننا ولا يملكون عيوناً كعيوننا - ثم فتق ما بين السماوات العلى فملاًهنَّ أطواراً من

ملائكته منهم سجوداً لا يركعون وركوعاً لا ينتصبون - والحديث هنا سجوداً لا يركعون عن مرتبة هؤلاء الملائكة فهم في مرتبة السجود - وركوعاً لا ينتصبون - هم في مرتبة الركوع ومرتبة السجود أعلى وأقرب، السجود هو أقرب إلى الله، أقرب ما يكون العبد فيه إلى الله في حال تواضعه وخشوعه وذلته، وأظهر مظاهر الخشوع والتواضع والذلة لله سبحانه وتعالى هو في سجود العبد على التراب - منهم سجوداً لا يركعون وركوعاً لا ينتصبون وصابون لا يتزايلون - والذين هم في مقام الركوع أعلى رتبةً من أولئك الصافين - وصابون لا يتزايلون - صافون كالذي يُقال قام فصفاً قدميه - ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان ومنهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رُسله ومختلفون بقضائه وأمره - مختلفون يعني ذاهبون وصاعدون ونازلون، إلى من يختلفون؟

يختلفون إلى أولي الأمر في الأرض ﴿ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ هذا التنزل ليس فقط في ليلة القدر، هذا التنزل متصل دائماً فهم مختلفون إلى أولي الأمر - ومختلفون بقضائه وأمره - لمن؟ إلى أولي القضاء وأولي الأمر، ومن هم أولوا القضاء وأولي الأمر؟ - ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة - يعني الخارجة - من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم - أي أكتاف هذه التي تحمل العرش الذي يكون فيه عالم الكرسي كحلقة إلى فلات، والذي تكون فيه السماوات والأرض في عالم الكرسي كحلقة إلى فلات، كحلقة أقيت في فلات واسعة - والخارجة من الأقطار أركانهم - من أقطار السماوات والأرض يعني - والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسةً دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبةً بينهم وبين من دونهم حُجُب العزة - مضروبة بينهم وبين من دونهم من هم أقل رتبةً منهم - حُجُب العزة وأستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر - الأمير هنا يتحدث عن أصناف من الملائكة وعن مراتب عالية، فهناك حُجُب العزة التي تحول فيما بين حَمَلَة العرش وبين سائر الملائكة، وكذلك هناك ملائكة الحُجُب وهناك الروح الذي فوق ملائكة الحُجُب كما مرَّ علينا، وهناك الروح الذي هو من أمر الله سبحانه وتعالى، عالم نحن لا نعرف عن حقائقه إلا هذا الشيء المجمل الذي جاء عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هناك وصفٌ جميلٌ جداً في الخطبة الثانية والثمانين بعد المئة من نهج البلاغة الشريف فماذا يقول سيد الأوصياء؟ يقول: إن كنت صادقاً أيها المُتكلف لوصف ربك - خطاب للذي يتصور بأنه يستطيع أن يصف ربه - إن كنت صادقاً أيها المُتكلف لوصف ربك فصِف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة

المُقربين - إذا كنت قادراً أن تصف الله فَصِف لنا على الأقل جبريل وميكائيل - وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس - حجرات القدس المنازل العالية لهؤلاء الملائكة - فَصِف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس - هذه الحجرات التي يتواصلون فيها في العوالم القادسة العليا هكذا يصفهم سيد الأوصياء - في حجرات القدس مُرَجَحِّين متولهُة عقولهم أن يحدوا أحسن الخالقين - وصف في غاية الدقة - مُرَجَحِّين - مرجحين يعني كالذي يصعد في الأرجوحة يميل يميناً وشمالاً، هؤلاء من تولههم ومن حيرتهم في حجرات القدس، هؤلاء الملائكة في هذه الرُتب العالية، هذا جبرئيل القوي الأمين، هذا جبرئيل المطاع في عالم السماوات وفي العوالم العليا هكذا يصفه سيد الأوصياء يقول - فَصِف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مُرَجَحِّين متولهُة عقولهم - مُرَجَحِّين يعني كأنهم يتأرجحون يميناً وشمالاً من ثقل المعرفة ومن ثقل الوله إلى الله سبحانه وتعالى، كلماتُ أرددها دون أن أفهم حقائق معانيها، لكن هكذا قالها سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه.

وحين أقول إني لا أفهم معانيها ليس مرادي المعاني اللغوية، المعاني اللغوية واضحة، ولا مرادي أيضاً المعاني التي يمكن أن تشرحها رواياتُ أخرى، ستأتينا روايات توضح هذه المعاني، وإنما أقصد حقيقة معاني هذه الكلمات، المعنى الدقيق لهذه الكلمات، ما المراد من أن هؤلاء الملائكة المقربين مُرَجَحِّين متولهُة عقولهم؟! أيضاً سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه يحدثنا عن أعظم مَلِكٍ من الملائكة، هناك مَلِكٌ هو أعظم الملائكة غير جبرئيل غير ميكائيل غير إسرافيل غير هؤلاء الملائكة الذين تمَّ الحديث عنهم، أعظم الملائكة هو مَلِكٌ ما هي وظيفته؟ هو خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سيد الأوصياء في خطبته الثانية والتسعين بعد المئة صلوات الله وسلامه عليه، الخطبة المعروفة بالخطبة القاصعة، ماذا يقول سيد الأوصياء وهو يتحدث عن رسول الله؟

ولقد قرَن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً - يعني منذ طفولته - ولقد قرَن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً - هذا في عالم الدنيا، أهل البيت مختلف الملائكة في عالم الدنيا، في عالم الآخرة، في العوالم العلوية، في عالم العرش وما دون العرش، في عوالم ما فوق عالم العرش الملائكة تختلف لأهل البيت، فأهل البيت لهم وجودٌ في كل عالم من هذه العوالم يتناسب مع ذلك العالم، وأهل البيت في كل عالم من هذه العوالم هم مختلف الملائكة، حينما نقول بأن أهل البيت هم مختلف الملائكة ليس في العالم الأرضي فحسب وإنما في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود هم مختلف الملائكة - ولقد قرَن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم مَلِكٍ من ملائكته يسلك به طريق

المكارم - كان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجبرئيل كان في خدمته وكل الملائكة في خدمته، بل في الروايات إن الملائكة تُخدّمانا وتُخدّمان شيعتنا، هذا المعنى واضح في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا الملك هكذا يصفه أمير المؤمنين أعظم مَلَكٍ من ملائكته، أعظم الملائكة هو خادمٌ للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله منذ أن كان رسول الله فطيماً - ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم - إلى آخر كلام سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه.

قلت في أول حديثي من أن أصناف الملائكة كثيرة جداً والروايات الشريفة التي بأيدينا لم تذكر لنا كل أصناف الملائكة وإنما ذكرت لنا أصناف وقبائل وجموع واختصاصات ووظائف للملائكة، فكان الحديث فيها بالنحو المجمل لا بالنحو التفصيلي، هناك روايةٌ تُحدِّثنا عن الملائكة وتبين لنا جوانب من أوصاف الملائكة، سأتلو على مسامعكم مجموعة من الأحاديث مجموعة من الروايات التي اقتطفتها من أحاديث أهل البيت التي تُقرب لنا شيئاً ما صورة عالم الملائكة، هذه روايةٌ منقولةٌ عن صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ أقرأ سطوراً منها، الرواية طويلة، موطن الحاجة - خلق الله الملائكة مختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل - رآه في صورته لا التي ينزل بها إلى الأرض فإن الأرض لا تكفي جبرئيل، جبرئيل أعظم من الأرض، جبرئيل كان ينزل على النبي في صورة دحيا الكلبي وهو شابٌ جميلٌ وسيمٌ حسنٌ من أهل المدينة كان يعمل في التجارة وغالباً ما كان يغيب في التجارة، فكان ينزل جبرئيل بصورة دحيا الكلبي وقد ينزل بصورةٍ أخرى، فحينما كان ينزل وكان الكثير من المسلمين يرونه يتصورون بأن هذا هو دحيا الكلبي - خلق الله الملائكة مختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمئة جناح - له ستمئة جناح، الآية القرآنية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ

المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ الآية هنا لا تُحدد أصناف الملائكة بهذا العدد أن لها مثني من الأجنحة وثلث وربع، إنما تريد أن تشير إلى أن الملائكة عدد أجنحتها مختلف باختلاف مراتبها، كلما ارتقت درجات الملائكة كلما زاد عدد أجنحتها، زيادة عدد الأجنحة يشير إلى زيادة المراتب التي تصل إليها وترتقي إليها هذه الملائكة، ومن هنا الإمام يحدثنا عن جبرئيل يقول - وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمئة جناح على ساقه - على ساقه، الساق وهو الرجل - على ساقه الدرُّ مثل القطر على البقل - البقل يعني هذه الخضروات حينما يأتي الفلاح عند الصباح يريد أن يجتني البقل ماذا يجد؟

يجد قطرات من قطر الندى، ما يسمى بقطر الندى، من الندى يجد قطرات من الندى على أوراقها، فالإمام هنا يصف جبرئيل أن الدر وأبي الدر، هذا الدر، الدر السماوي، الدر الذي هو من عالم الملكوت، والدر

فيه إشارة إلى الصفاء وإلى النقاء وإلى الإحاطة - على ساقه الدرُّ مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض - النبي رآه هكذا، ورؤية النبي للسماء والأرض تختلف عن رؤيتي ورؤيتك للسماء والأرض، فبصر محمد صلى الله عليه وآله في حدته وفي اتساعه لا يشابهه بصر، الإمام يقول - لقد رأى جبرئيل وله ستمئة جناح، على ساقه الدرُّ مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض - إلى أن يقول الإمام - إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون - لا يوجد هناك تزواج تناسل توالد بين الملائكة - وإنما يعيشون بنسيم العرش - هذه طبقة من طبقات الملائكة، يتنسمون نسيم العرش، وما هو نسيم العرش؟

شيء لا ندرك معناه، العبارات هنا كلها تقريبية وتمثيلية - إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وإنما يعيشون بنسيم العرش وإن لله ملائكةً زكّعاً إلى يوم القيامة - مرّ هذا في كلام سيد الأوصياء - وإن لله ملائكةً سجداً إلى يوم القيامة - ثم قال إمامنا الصادق صلوات الله عليه - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من شيء خلقه الله أكثر من الملائكة وإنه ليهبط في كل يوم وفي كل ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام - يعني في مكة - فيطوفون به ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله - يعني في المدينة - ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام - النجف - فيسلمون عليه ثم يأتون الحسين في كربلاء فيقيمون عنده - أكثر إقامتهم عند الحسين - فيقيمون عنده فإذا كان السحر وُضع لهم معراجٌ إلى السماء ثم لا يعودون أبداً - هؤلاء يحجون وقيمون عند الحسين ثم لا يعودون أبداً، وهذا في كل يومٍ وليلة وهذا مظهر، جهة من جهات حركة الملائكة، اختلاف الملائكة إلى أهل البيت لا يمكن أن أحصره في مظهرٍ واحد، هذا مظهر من مظاهر اختلاف الملائكة، اختلافهم إلى النبي، إلى النجف، إلى حسينٍ ثم يأتون الحسين فيقيمون عنده - فإذا كان السحر وُضع لهم معراجٌ إلى السماء ثم لا يعودون أبداً - تأتي أفواجٌ وأفواجٌ ولا انقطاع لأفواجهم، والملائكة يختلفون إلى أهل البيت في مظاهر ومراتب لا حصر لها ولا عدّها، أنا قلت أقتطف من الروايات ما يبين لنا شيئاً من المعاني التي تُقرّب لنا صورة عالم الملائكة.

رواية أخرى ينقلها شيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه هذه الرواية يرويه أبو مخنف لوط بن يحيى وهو من الرواة الذين نعتمد أحاديثهم لا كما تُنسب إليهم الأكاذيب الكثيرة ولا كما يُقال ويُقال عنهم، من مؤرخي الشيعة الموثوقين لوط بن يحيى - عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن أبي منصور عن زيد بن وهب قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمتها فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه

وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كُلفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه لُبعد ما بين مفاصله وحُسن تركيب صورته - المفاصل المرفق الركبة مفاصل البدن، هناك من سأل أمير المؤمنين أن يحدثه عن قدرة الله جلت عظمتُهُ، الأمير صلوات الله وسلامه عليه بدأ الحديث عن الملائكة، هذه مخلوقات الإنسان لا يستطيع أن يُدرك عظمتها - إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ومنهم من لو كُلفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه - الحديث عن الجن والإنس يعني جميع الإنس منذُ بداية الخلق إلى نهاية خلقهم، والجن كذلك والجن طبعاً أعدادهم أضعاف أضعاف مضاعفة أكثر من الإنس، الروايات هكذا حدثتنا - ومنهم من لو كُلفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه لُبعد ما بين مفاصله وحُسن تركيب صورته - يعني جماله - وكيف يُوصف - يعني كيف يوصف الله - من ملائكته من سبعمئة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنه - المنكب هو هذا يعني ما بين المنكب وشحمة الأذن مسافة سبعمئة عام - وكيف يُوصف من ملائكته من سبعمئة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنه، ومنهم من يسد الأفق بجناحٍ من أجنحته دون عِظم يديه، ومنهم من في السماوات إلى حُجزته - إلى حُجرة الله، والحُجرة الإلهية هذا من الأماكن العالية السامقة، ربما يأتينا الحديث عن حُجرة الله عن الحُجة عن الحُجرة الإلهية - ومنهم من في السماوات إلى حُجزته، ومنهم من قدمه على غير قرارٍ في جو الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبته، ومنهم من لو ألقى في نُقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها - نُقرة الإبهام أين هي؟ نُقرة الإبهام يعني إما المراد من نُقرة الإبهام هي هذه، هذه الموجودة بين القطعتين بين السلاميتين من الأصابع، المراد من النُقرة هي هذه، وإما المراد من النُقرة هو هذه الخطوط الموجودة التجميعات الموجودة في أعلى الإبهام - ومنهم من لو ألقى في نُقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقى السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين - هذه الرواية أيضاً حدثتنا عن جانب من شؤونات الملائكة ومن أوصاف الملائكة.

روايةٌ أخرى هذه الرواية عن جميل بن دُرَّاج - قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار؟ قال: نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام - إمامنا الصادق يقول: أخبرني أبي الباقر عن أبيه السجاد عن جده عليهم السلام يعني عن سيد الأوصياء - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في السماوات السبع لبحاراً - في العوالم العلوية - لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمئة عام - بحار تتناسب مع العوالم العلوية - فيها ملائكةٌ قيام منذُ خلقهم الله عزَّ وجل والماء إلى ركبهم - يعني هذه البحار عمقها مسيرة خمسمئة عام، ومسيرة خمسمئة عام هذا الماء كله بهذا العمق الهائل يصل إلى ركب هؤلاء الملائكة - إن في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمئة عام فيها ملائكةٌ

قيام منذ خلقهم الله عز وجل والماء إلى رُكبتهم وليس منهم مَلَكٌ إلا وله ألف وأربعمئة جناح في كل جناح أربعة وجوه في كل وجه أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح الله تعالى بتسبيح لا يشبه نوعٌ منه صاحبه - يعني كل لسان له تسبيح له شأن والحديث هنا ليس عن صورة بشرية، الحديث هنا عن هذه الملائكة التي هي من تجليات الحضرات القادسة الأولى، والحديث هنا عن هذه الأجنحة وهذه الوجوه وهذه الألسنة عن القدرات والطاقات والقابليات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هؤلاء الملائكة.

روايةٌ أخرى يرويها صاحب البصائر عن إمامنا الصادق عليه السلام - إن الكروبيين - وهؤلاء صنفٌ أعلى من أصناف الملائكة المقربين - إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا - وكروبي، الملك الكروبي هذه الكلمة ليست عربية هذه الكلمة ورثناها من التراث السيرياني - إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول - من الخلق الأول يعني من المراتب الأولى من الملائكة الذين اشتقوا من أنوار أهل البيت، مر علينا في الحلقات السابقة رواية منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الرواية التي تحدثت أن العرش اشتق من نور النبي صلى الله عليه وآله وأن الملائكة اشتقوا من نور علي صلوات الله وسلامه عليه، فهؤلاء الملائكة الكروبيون هم المراتب الأولى التي اشتقت وتجلت من نور علي صلوات الله وسلامه عليه، لا يحدث اشتباه في الخلط بين ما ذكرته في الحلقات الماضية من أنني سأستعمل اصطلاح الخلق الأول وأعني به الحقائق القادسة الأولى التي اشتق الله منها جميع الكائنات، والخلق الثاني هو جميع الكائنات التي اشتقها الله من الخلق الأول، أما هنا الكلام عن الخلق الأول المراد المراتب الأولى من الملائكة التي تجلت من نور أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في مراتبه القادسة العالية - إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش - هؤلاء أرقى من الملائكة المقربين، الملائكة المقربون هم الذين يحفون بالعرش وهم الذين يحملون العرش - جعلهم الله خلف العرش لو قُسم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم - يعني لَمَا احتاجوا إلى الشمس وإلى أي ضوءٍ آخر - لو قُسم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم ثم قال - إمامنا يقول - إن موسى عليه السلام لَمَّا أن سأل ربه ما سألَ أمرَ واحدًا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دَكًّا - أمرَ واحدًا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دَكًّا - في بعض الروايات أن النور الذي أشرق على جبل موسى كان بمقدار فتحة الخاتم، بمقدار فتحة الخاتم يعني هذا المراد من الخاتم هو هذا، أن هذا النور أشرق من ذلك الملك الكروبي وهذا الملك الكروبي إنما هم من شيعة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هكذا قال إمامنا الصادق - إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قُسم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إن موسى عليه السلام لَمَّا أن سأل ربه ما

سأل أمر واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً - والروايات تقول بأن جبل موسى تحول إلى ذر، هذا الذر الذي نراه يتحرك في أشعة الشمس الداخلة من النوافذ والشبابيك، الروايات تقول هذه بقايا جبل موسى الذي دُكَّ دكاً بنورٍ من ملكٍ كروي هو من شيعة عليٍّ وآل علي، ربما البعض يستصعب هذه المعاني ولا يقبل هذه المعاني أو ربما يسخرُ منها ويعتبرها مجرد خيالات ومجرد أوهام لا شأن لنا بما يقولون، الكلامُ كلامُ أهل البيت والمنازلُ منازلهم والمقاماتُ مقاماتهم ومن منَّا يعرفُ قدر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، المحظوظ منَّا من استطاع أن يستمع وأن يقرأ وأن يحفظ أكبر قدرٍ من مثل هذه الأحاديث، المحظوظ منَّا من وفق لأن يطالع على مثل هذه الأحاديث، هذا حظٌ عظيم، هذا كلامُ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والله إني ليصيني الأسف الشديد على أن هناك الكثير من محبي أهل البيت ومن المخلصين لأهل البيت لا تصل إلى مسامعهم مثل هذه الكلمات، ومن هنا نعرف الفارق الكبير بين الخلق الأول والخلق الثاني فإن الأنبياء والأوصياء والملائكة كلهم من مرتبة الخلق الثاني - إن موسى عليه السلام لَمَّا أن سأل ربه ما سأل - لَمَّا أراد أن ينظر، لَمَّا سأل وطلب أنه أراد أن ينظر إلى الله سبحانه وتعالى تجلى له نور هذا الكروي من شيعة عليٍّ وآل علي فصار الجبلُ دكاً.

روايةٌ أخرى يرويها شيخنا الصدوق في كتابه الإكمال - عن داود بن فرقد قال: قال لي بعض أصحابنا أخبرني عن الملائكة أينامون؟ قلت: لا أدري، فقال: يقول الله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ - يعني لا تصيبهم الفترة، الفترة هو النعاس هو الكلل الملل، ثم قال - لا أطرفك عن أبي عبد الله - أطرفك يعني أنقلُ إليك شيئاً طريفاً، لا أهديك يعني - لا أطرفك عن أبي عبد الله عليه السلام بشيء؟ فقلت: بلى، فقال: سئل عن ذلك فقال: ما من حيٍّ إلا وهو ينام خلا الله وحده عز وجل والملائكة ينامون فقلت: يقول الله عز وجل ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ فقال: أنفاسهم تسبيح - أنفاسهم التي تتناسب معهم وتسبيحهم الذي يتناسب معهم، الروايات كثيرةٌ عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذه روايةٌ ينقلها أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أبو ذر يقول - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أرى ما لا ترون - قبل قليل قلت بأن بصر مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لا كبصرنا لا في شدته ولا في قوته ولا في ديمومته ولا في سطوعه ولا في اتساعه - إني أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون - فماذا يقول رسول الله؟ - أطت السماء وحق لها أن تَأطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملكٌ واضعٌ جبهتهُ لله ساجداً - أطت السماء وكادت أن تَأطَّ، أطت أطيظاً،

الأطيط ما هو؟ الأطيط في لغة العرب يقولون هو صوت الأقتاب إذا ما جلست عليها، أشبه الكلام مثلاً لو كان هناك منضدة أو لو كان هناك مثلاً مكان يُتعد عليه أريكة مصنوعة من الخشب، والشيء الطبيعي أن يجلس على هذه الأريكة مثلاً ثلاثة أنفار فجلس عليها خمسة أو ستة أو سبعة يحدث هناك صوت لأنها تكاد أن تتكسر، هذا الصوت الذي يحدث من خلال الثقل الواقع على الخشب يقال له أطيط، يقال أطيط الأقتاب، القتب هو هذا الذي يوضع على الجمل ويصنع من الخشب، فإذا ما صار عليه الثقل أكثر يصدر صوتاً يقال له أطيط القتب، فالنبي هنا في الرواية التي يرويها أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه يقول كادت السماء أن تأط أطيطاً لكثرة الملائكة، كادت يعني أنها ما أطت، كادت من أفعال المقاربة النبي صلى الله عليه وآله يريد أن يقول أن الملائكة عددهم كثير جداً وأن السماوات مزدحمة بالملائكة، وهذي الأعداد الهائلة من الملائكة التي لا نعلم كم هي، هذه ذاهبة جائيه، غادية رائحة، لمن؟ إلى مختلف الملائكة، من هم مختلف الملائكة؟ محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فبدأيتهم من أين اشتقوا؟ اشتقوا من نور علي هكذا حدثنا النبي صلى الله عليه وآله بأن الملائكة اشتقوا من نور علي وكانوا على مراتب وهذه المراتب ما وصل إلينا منها إلا القليل في حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم حدثونا بما يناسب الفهم الذي نحمله.

رواية يرويها الشيخ المجلسي في بحار الأنوار وهذا هو الجزء السادس والعشرون، الرواية طويلة أقتطف منها موطن الحاجة، الرواية منقولة عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه، ينقلها عن آبائه الطاهرين عن سيد الأوصياء عن رسول الله، الكلام كلام رسول الله أخذ موطن الحاجة وإلا الرواية طويلة وفيها تفصيل كثير - يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه - الحديث هنا عن مقامات من مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا - استعظموا أمرنا لأنهم أساساً اشتقوا من أنوارهم، فاستعظمو الأمر تصوروا بأنه لا شيء فوقهم - ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا - ونوراً واحداً إشارة فيها إلى بسيط حقيقتهم في العوالم القادسة العليا - استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أننا خلق مخلوقون وأنه مُنزه عن صفاتنا - أنه سبحانه وتعالى - فسبحت الملائكة بتسبيحنا - لأن الملائكة استعظموا هذا النور فظنوا أن هذا النور هو النور الذي لا فوقه نور - ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا

لتعلم الملائكة أننا خلق مخلوقون وأنه سبحانه وتعالى منزّه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأننا عبيد ولسنا بالآهة - لأن الملائكة ظنوا أنهم آلهة - فلما شاهدوا عظم شأننا - هذي تجليات، هذا تجلٍ آخر - فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأننا عبيد ولسنا بالآهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا لا إله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن يُنال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه - هذا تجلي آخر، في كل مرحلة من مراحل الوجود هناك تجلي لأهل البيت، والرواية هنا تتحدث عن تجليات لأهل البيت في عالم التوحيد، في عالم التسبيح، في عالم التهليل، وفي عالم التحميد، وفي عالم التمجيد.

حينما تقول الرواية هنا - استعظموا أمرنا فسبحنا - هذه مرتبة من المراتب وهنا تجلي لأهل البيت في مرتبة التسبيح، حينما تقول الرواية - فلما شاهدوا عظم شأننا - هذا تجلٍ آخر - هللنا - حينما تقول الرواية - فلما شاهدوا كبر محلنا - هذا تجلي آخر مرتبة أخرى - كبرنا - حينما تقول الرواية - فلما شاهدوا ما جعله لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله - هذي مرتبة أخرى وهكذا، التوحيد، التسبيح، التهليل، التحميد، التمجيد، إلى أن يكون هناك تجلٍ آخر - ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً - السجود كان تعظيماً لتلكم الأنوار التي أشرقت في آدم - وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون - الرواية طويلة فيها تفاصيل كثيرة لكنني أكتفي بالقدر الذي اقتطفته من هذه الرواية الشريفة والتي تتحدث عن مرتبة من مراتب اختلاف الملائكة لأهل البيت، هذي مرتبة من مراتب اختلاف الملائكة، فهم قد اختلفوا إليهم فتعلموا التسبيح والتنزيه والتقدیس والتحميد والتكبير والتمجيد الذي مر في هذه الرواية، الملائكة يختلفون إلى أهل البيت لأي شيء؟ يختلفون إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يختلفون إليهم عبادة طاعة، ويختلفون إليهم عبودية إذعائاً لأوامرهم، الملائكة هم المسئولون عن تنظيم هذا الكون والمشرف على تنظيمه الذي تنزل عليه الملائكة من كل أمر في ليلة القدر، هناك

إشراف، هناك سيطرة، هناك قدرة إلهية تتجلى في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة خدامهم في ذلك، الروايات كثيرة في هذا الشأن والحديث قد يطول ويطول بنا كثيراً لكنني مع ذلك أقتنص بعضاً من هذه الروايات.

رواية يذكرها الشيخ الصدوق في علل الشرائع وهذا هو علل الشرائع في الجزء الأول الرواية عن مُحَمَّد بن أَبِي عمير رضوان الله تعالى عليه من أجلة أصحاب إمامنا الصادق، من أجلة أصحاب إمامنا الكاظم - عن مُحَمَّد بن أَبِي عمير عن عمر بن جميع عن أَبِي عبد الله عليه السلام قال: كان جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يستأذنه - مر علينا قبل قليل في رواية نهج البلاغة في حديث نهج البلاغة - إن الله سبحانه وتعالى جعل أعظم ملك من ملائكته خادماً لسيد المرسلين - الرواية هنا تتحدث عن الطريقة التي كان يتعامل بها جبرئيل مع النبي صلى الله عليه وآله - كان جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبد - كما قلت قبل قليل إن الملائكة إنما يألفون أهل البيت وإنما يختلفون إليهم عبادةً وعبوديةً، عبادةً فهم منهم تعلموا التحميد والتهليل والتسبيح والتكبير، تعلموا عبادتهم من أهل البيت، فهم يقدمون إلى أهل البيت يختلفون إلى أهل البيت في كل مرتبة من مراتب هذا الوجود للاستفاضة منهم وللإستفادة منهم وفي نفس الوقت يقدمون عبوديةً، خضوعاً كما سجدوا لآدم السجود لآدم إنما كان للأنوار التي كانت في آدم، فهناك عبادة وهناك عبودية، وهذه العبادة والعبودية إنما هي حقيقة العبادة والعبودية لله سبحانه وتعالى، العبادة والعبودية هي مختصة بالله سبحانه وتعالى لكن لهذه العبادة ولهذه العبودية مظاهر، كما أمر الله سبحانه وتعالى أن يسجدوا لآدم، السجود لآدم كان مظهر العبادة لله، وهذه العبادة عبادة لله، إنما سجدوا لآدم طاعة لله والطاعة هي العبادة، الملائكة سجدوا لآدم إذعائاً والتزاماً بأمر الله، إذعائهم والتزامهم بأمر الله هو هذا عبادة الله، لكن هذه العبادة لها مظهر، ما هو مظهرها؟ مظهرها السجود لآدم العبودية لآدم، السجود لآدم هو مظهر من مظاهر العبودية، مظهر من مظاهر الطاعة والانقياد، ولذلك عندنا في الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله في المعراج في بعض الحالات يقول لجبرئيل تقدم يقول إني لا أتقدم عليك إنا معشر الملائكة لا نتقدم على الآدميين منذ أن سجدنا لآدم، في هذا إشارة عميقة جداً، فإني لا أتقدم عليك لأننا لا نتقدم على الآدميين معشر الملائكة منذ أن سجدنا لآدم، فهذا الاختلاف فيه معنى العبادة فيه معنى العبودية وهما في حقيقتهما عبادة لله وعبودية لله سبحانه وتعالى.

رواية يذكرها الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار الرواية الرابعة - عن علي بن أبي حمزة عن أبي

الحسن - يعني عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه - قال: سمعته يقول: ما من ملكٍ يُهبطه الله في أمرٍ ما يُهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر - إلى الإمام المعصوم، يعني إلى إمام زماننا، إلى الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، رواية جداً مهمة هذه، عن الإمام الكاظم ماذا يقول؟ - ما من ملكٍ يهبطه الله في أمرٍ ما يهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر - في نصوصٍ أخرى الروايات صريحة: ما من ملكٍ يخطوا قدماً عن قدمٍ إلا بأمرٍ من الإمام المعصوم - في كل خطوة في كل حركة في كل أمرٍ لا بد من الرجوع إلى صاحب هذا الأمر، ومر علينا قبل قليل بأن أعظم الملائكة من هو؟

هو الروح الذي من أمر ربي، مر علينا في دعاء الصحيفة السجادية ونحن نقرأ صلوات الإمام السجاد بعد أن ذكر إسرائيل ميكائيل جبرئيل وذكر - والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب، قال: والروح الذي هو من أمرك - هذا الذي جاء مذكوراً في سورة القدر المباركة ﴿ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ على من تنزل؟ تنزل على الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فهذا الروح الذي هو من أمر ربي هذا هو صاحب السلطة التنظيمية المطلقة حتى فوق عالم الحجب هذا هو الذي يتنزل على الإمام المعصوم، أما كيفية التنزل فذلك شيءٌ لا شأن لنا به، لأننا لا نستطيع أن نتصوره أو أن نتخيله، هذا أمرٌ خارج عن حدود مداركنا، إنما تحدثنا الروايات بنحوٍ من الإشارة من بعيد، بنحوٍ من الكنايات، بنحوٍ من الأمثلة التي قد تقرب لنا المعاني من جهة، ولو ذهبنا معها من جهة أخرى لبعثت عنا المعاني، فإن الأمثلة تقرب من وجه وتبعد من وجهٍ آخر، وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كثيرةٌ في هذه المعاني وكثيرةٌ في هذه المضامين.

أنا أعتقد الآن أصبحت لدينا صورة مجملة عن أصناف الملائكة عن مراتب الملائكة عن شيء من شؤونات الملائكة وعن علاقة الملائكة بالنبي وآل النبي ولو بشكلٍ مجملٍ بشكلٍ مختصر، لذلك حين نقرأ في الزيارة - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ - المراد طبعاً أعمق من هذه المعاني التي أشرتُ إليها، هناك أشياء أخرى سأتناولها وهي تتحدث عن علاقة الملائكة بأهل بيت العصمة، هناك معاني ذكرتها الروايات تتحدث عن علاقة الملائكة في العالم العلوي وعن علاقة الملائكة في عالمنا الأرضي، مثلاً هناك رواية مفصلة يذكرها الشيخ الصدوق وهي في أول الجزء الثاني من كتاب علل الشرائع، الرواية التي جاءت في بابِ علل الوضوء والأذان والصلاة، الرواية في الحقيقة هي بحاجة إلى شرح لكنني لا أجد وقتاً لشرحها أورد الرواية، فقط المواطن الغامضة جداً أشير إلى معانيها، الرواية - عن الصباح المزني

أو المزنّي وسدير الصيرفي ومحمّد بن النعمان الأحول - وهذا الذي يسمى بمؤمن الطاق - عن الصباح المزنّي وسدير الصيرفي ومحمّد بن النعمان الأحول وعمر بن أذينة - هؤلاء كلهم يروون عن إمامنا الصادق عن أبي عبد الله عليه السلام - أنهم حضروه - كانوا حُضَّاراً عنده - فقال: يا عمر بن أذينة - وهو يحدث ابن أذينة عن دعوى المخالفين في قضية تشريع الأذان، ولا نريد أن نقف عند هذه النقطة إنما ندخل في ما قاله الإمام صلوات الله وسلامه عليه، ماذا قال؟

قال: إن الله العزيز الجبار عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سمائه سبعاً - يعني سبع مرات، طبعاً كمّا تأتي هنا مثل هذه الرواية وتحدث عن أن المعراج كان سبعاً فهذا نوع من أنواع المعراج وإلا عندنا روايات تقول أنه عُرج به مئة وعشرين مرة، وعندنا روايات تقول بأنه يعرج به في كل ليلة جمعة، هذي المعاني موجودة عندنا، هذي مراتب من المعراج - إن الله العزيز الجبار عرج بنبيه إلى سمائه سبعاً أما أولهن - هذا المعراج الأول وسيتحدث، أما بقية المعارج لم يتحدث عنها الإمام في هذه الرواية - أما أولهن فبارك عليه والثانية علمه فيها فرضه - يعني المعراج الأول أن الله باركه - أما أولهن فبارك عليه والثانية - المعراج الثاني - علمه فيها - بقية المعارج لم يكن الإمام قد ذكرها - والثانية علمه فيها فرضه فأنزل الله العزيز الجبار عليه محملاً من نور فيه أربعون ذراعاً من أنواع النور كانت محدقة حول عرشه تبارك وتعالى تغشي أبصار الناظرين - يعني الله سبحانه وتعالى أنزل لنبيه محملاً من نور فيه أربعون نوع من أنواع النور، هذه الأنوار كانت محدقة بعرش الله أنزلها إلى الأرض في هذا المحمل الذي حمل فيه النبي الخاتم - أما واحدٌ منها - من هذه الأنوار - فأصفر فمن أجل ذلك أصفرت الصفرة، وواحدٌ منها أحمر فمن أجل ذلك أحمرت الحمرة، وواحدٌ منها أبيض فمن أجل ذلك أبيضَ البياض، والباقي على عدد سائر ما خلُق من الأنوار والألوان في ذلك المحمل حلقٌ وسلاسل من فضة فجلس عليه - طبعاً هذه كلها فيها إشارات ورموز، هذه الألوان كمّا يقول - أما واحدٌ منها فأصفر فمن أجل ذلك أصفرت الصفرة، وواحدٌ منها أحمر فمن أجل ذلك أحمرت الحمرة، وواحدٌ منها أبيض فمن أجل ذلك أبيضَ البياض - الحمرة هنا إشارة إلى العوالم الطبيعية، والبياض إشارة إلى العوالم العالية، والصفرة إشارة إلى عالم الملائ الأعلى، العوالم التي فيما بين العوالم العالية جداً وفيما بين العوالم السافلة، لأن البياض من خصائصه كما يقال عنه بأنه مفرقُ البصر، عوالم الحيرة ومر علينا في الروايات أنه عند سدرة المنتهى هناك يجيزُ البصر، لماذا سميت بسدرة المنتهى؟

سميت بسدرة المنتهى لأن البصر يصيبه السدر هناك والسدر هو الحيرة والتشتت، العوالم العلوية أعلى العوالم العلوية ما بعد العرش ما بعد عوالم الحُجُب هي العوالم البيضاء التي يتشتت فيها العقل يتفرق فيها نور

البصر ونور العقل، وهذي كنيات وإشارات، أما العوالم التي هي عالم الطبيعة وهي عالم الحرارة أشير إليها باللون الأحمر، اللون الأحمر هو لون الحرارة ولون الحرارة لون الطاقة لون الحرارة ولون الطاقة الحرارية هو هذا إشارة فيه إلى هذا العالم عالم الطبيعة، أبرز ما في عالم الطبيعة الحياة الحيوانية، هناك عندنا رواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه المفضل يسأل الإمام عن النيران وعن أنواع النيران إمامنا الصادق يقول - **النيران أربعة: نارٌ تَأْكُلُ وتشرب، ونارٌ تَأْكُلُ ولا تشرب، ونارٌ تشربُ ولا تأكل، ونارٌ لا تأكلُ ولا تشرب** - أنا أشير إليها هنا لتنوع الحديث وتنوع الكلام حتى لا يحدث ملل من التركيز على موضوع واحد أو مسألة واحدة، الإمام يبين بعد ذلك قال - **النارُ التي تَأْكُلُ وتشرب هي نارُ الإنسان وجميع الحيوان** - يعني الحرارة الغريزية الموجودة عند الإنسان، يعني الآن مثلاً كيف تعمل الأحشاء الداخلية، مثلاً الجهاز الهضمي كيف يعمل؟ الآن المعدة كيف تعمل؟ الأمعاء، الكبد، الأحشاء الدخلية لجسم الإنسان ما هي الطاقة الموجودة فيها التي تحركها؟ صحيح هناك طاقة كهربائية في داخل البدن الإنساني نوع من أنواع الطاقة الكهربائية لكن منشأ هذه الطاقة الكهربائية من أين يأتي؟

يأتي من الحرارة الغريزية الموجودة في داخل الجسم البشري، يعني لو افترضنا أن أحداً يستطيع أن يفصل الحرارة الداخلية عن بدن الإنسان تتوقف الأحشاء عن الحركة، فلذلك مقصود الإمام أن هناك نارٌ تَأْكُلُ وتشرب الطاقة يعني الحرارة الغريزية المودعة في باطن الجسم البشري، أما قال عن - **النار التي تَأْكُلُ ولا تشرب يشير إلى نيران المواقد التي تَأْكُلُ الحطب، والنار التي تشرب ولا تَأْكُلُ قال هي نارُ الشجر** - نارُ الشجر يعني الطاقة الموجودة في الشجر، الطاقة الموجودة في الشجر والتي تشربُ الماء وتشربُ ما يأتي من المكونات الموجودة في التراب، يعني طاقة الحياة الموجودة في الشجرة، قال - **ونارٌ لا تَأْكُلُ ولا تشرب قال هي نارُ القداحة والحباحب** - القداحة يعني كانت تصنع من الحجر، القداحة هي التي ما تستعمل لقدح النار قال هذه نار لا تَأْكُلُ ولا تشرب، ونار الحباحب، الحباحب في لغة العرب هو اسمٌ لنوع من أنواع الذباب أو نوع من أنواع الحشرات التي تتطاير في الليل فتخرج منها أنوار فسفورية، لمعات نارية أثناء طيرانها، تسمى يعني هذي الأنواع من الحشرات في لغة العرب بأبو الحباحب أو أم الحباحب، ويقال عن الحباحب في أصلها في أصل هذه الكلمة رجل كان يسمى حباحب وكان بخيلاً جداً فكان في الليل حينما يريد أن يسرج ناراً يسرج نار قليلة جداً حتى لا يراها الضيوف فيأتون على نار داره، فانتقلت هذه التسمية للنيران الصغيرة، فيقال مثلاً لهذه الحشرات الطائرة التي تصدر منها أنوار فسفورية في الليل وكأنها يعني شرار ناري يقال لها أم الحباحب أو أبو الحباحب عن هذه الحشرات، ويقال كذلك للشرارات التي تأتي من قدحة حوافر الخيول بالصخور تسمى بالحباحب أيضاً، على أي حال لا أريد الخروج عن هذا الموضوع، الرواية هنا

أشارت عن النار الطاقة المودعة في الإنسان، وقلت بأن اللون الأحمر وهو لون الحرارة لون النار لأن النار في حالتها الأصلية لونها أحمر، نعم إذا أصابها النقاء تتحول إلى اللون الأزرق، ربما يخالط النار السواد حينما تكون النار قد ابتعدت عن حالة صفائها ونقاؤها فبسبب التلوث الموجود فيها يسود لون النار، فتحمر، إذا ازدادت صفاءً تزرق، إذا ازدادت صفاءً تخضر، إذا ازدادت صفاءً يغيب لونها ولذلك في بعض الروايات التي تتحدث عن بعض مواطن جهنم أنه لا لون لها، جهنم على طبقات ومراتب، بعض مراتب نار جهنم لا لون لها، وهذي النار يمكن حتى تكون في الدنيا، النار الدنيوية إذا ما أصابها النقاء إلى أبعد الحدود فلا يكون لها لون، قد تسألني كيف؟

أقول لك كما يمكن أن نرى الهواء متأيناً إذا مثلاً هناك قمنا بتجربة أو بعملية تأيين الهواء، تأيين الهواء في المختبر، تأين الهواء هو أشبه بالنار البيضاء النار التي لا لون لها، ربما أتت بمثال يقرب المعنى مثلاً حينما ننظر إلى خطوط الضغط العالي وعادةً تكون خارج المدن في الأيام الحارة ترون شيئاً مثل السراب حول هذه الأسلاك المكشوفة، أسلاك الضغط العالي، تحدث هنا بسبب الضغط العالي للطاقة الكهربائية عملية تأين في الهواء، ولذلك تلاحظون هناك نوع من أنواع الكرة، الكرات المعدنية توضع فيما بين هذه الأسلاك لأجل تشتيت هذا التأين، تشتيت الأيونات، على أي حال هذا ليس موضوعنا لكن مقصودي من أن النار يمكن أن تصل إلى أن ينعدم لونها كما في وصف بعض الروايات لبعض مراتب جهنم، لكن اللون الأصلي للنار في العالم الطبيعي هو اللون الأحمر على اختلاف مراتبه، قد تكون النار أيضاً في درجة من درجاتها باللون الأصفر يعني هي في البداية تحمر ثم تزرق ثم تخضر يمكن أن تصفر بعد اخضرارها وبعد الإصفرار ممكن أن تتحول إلى لون وكأنه لا لون لها كلون الهواء مثلاً، على أي حال، فاللون الأحمر هو إشارة إلى لون العالم الطبيعي أما اللون الأصفر فهو إشارة إلى العوالم التي تكون فيما بين اللون الأحمر، يعني كأن اللون الأصفر جاء مزيجاً من حمرة وبياض، كأن اللون الأصفر جاء مزيجاً يعني هو عالم برزخي، طبعاً هناك دلالات أخرى لهذه الألوان وأنا هنا لا أريد أن أقف في كل هذه التفاصيل على هذه الرواية، لكنني قلت بعض المعاني المبهمة أحاول أن أبينها - ثم عرج إلى السماء الدنيا - يعني خرج من العالم الأرضي فعرج النبي بهذا المحمل النوري إلى السماء الدنيا - فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء - الملائكة نفرت لَمَّا وصل المحمل إلى السماء الدنيا - فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء - لماذا نفرت؟

لأنها قد رأت نوراً، هذا النور جعلها تنفر، المقصود هنا تنفر كما مرَّ علينا قبل قليل من وصف الملائكة الذين يتأرجحون يميناً وشمالاً ولها كما وصفهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه - فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء ثم خرت سُجداً فقالت: سبوحٌ قدوس ربنا ورب الملائكة والروح، ما أشبه هذا

النور بنور ربنا - هذا نور مُحَمَّدٍ، في هذا المحمل النوري تجلّى للملائكة، هذا نفس الكلام الذي مرّ علينا قبل قليل في الرواية التي تحدثت عن أنهم هم الذين علّموا الملائكة التسبيح والتهليل وإنما علموهم التسبيح والتهليل، سبحوا فسبحت الملائكة لأنهم استعظموا النور، هذي مرتبة من المراتب، هذي مرتبة من مراتب الصعود النوري في حالة معراج النبي صلى الله عليه وآله - ثم خَرَّت الملائكة سُجداً - كما خرت لآدم لذلك النور خرت لهذا النور أيضاً - ثم خرت سُجداً فقالت: سُبُوْحُ قُدُوسِ رَبِّنا وَرَبِّ الملائكة وَالرُّوحِ ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرئيل عليه السلام: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، فسكتت الملائكة وَفُتِحَتْ أَبْوابُ السَّماءِ - هذا تشريع الأذان، الحظوا هذه الرواية، الحظوا ذكر عليّ في الأذان، الحظوا هذه الرواية التي، وإن كان هذه مسألة خارجة عن موطن البحث لكن للفائدة انتبهوا للرواية، الحظوا ذكر عليّ في رواية تشريع الأذان - فقال جبرئيل: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فسكتت الملائكة وَفُتِحَتْ أَبْوابُ السَّماءِ واجتمعت الملائكة - بعد أن نفرت نفرت لماذا؟

من شدة حيرتها نفرت لعظمة هذا النور المُتجَلِّي - وخروا سُجداً وهم يقولون: سُبُوْحُ قُدُوسِ رَبِّنا وَرَبِّ الملائكة وَالرُّوحِ ما أشبه هذا النور بنور ربنا، جبرئيل قال: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ فاجتمعت الملائكة ثم جاءت فسلمت على النبي صلى الله عليه وآله - هم يختلفون إليه في الدنيا في الآخرة في الأرض في السماء في العوالم السفلية في العوالم العلوية.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الملائكةِ - ثم جاءت فسلمت على النبي أفواجاً ثم قالت: يا مُحَمَّدُ كَيْفَ أَخْوَكَ؟ - الآن في موضع تشريع التكبير كبر جبرئيل وهنا شُرِّعَ التكبير في الأذان فسألوه عن عليّ فعليّ حاضرٌ في كل فصلٍ من فصول الأذان في كل فصلٍ من فصول الوجود - ثم قالت: يا مُحَمَّدُ كَيْفَ أَخْوَكَ؟ قال: بخير، قالت: فإن أدركته فاقراه منا السلام - أشهد أن علياً وليُّ الله - فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتعرفونه؟ فقالوا: كيف لم نعرفه وقد أخذ الله عز وجل ميثاقك وميثاقه منا وإنا لنصلي عليك وعليه ثم زاده أربعين نوعاً من أنواع النور - زاد محمل النبي كي يرتقي إلى السماء الثانية - ثم زاده أربعين نوعاً - الأربعون نوع من أنواع النور ضجت لأجلها ملائكة السماء الدنيا، الآن زاده الله سبحانه وتعالى أربعين نوعاً من أنواع النور - لا يشبه شيء منه ذلك النور الأول وزاده في محمله حلقاً وسلاسل - حلق وسلاسل إشارة إلى زيادة الجمال، لأن الحلق والسلاسل حينما تكون في المحمل تزيد من جماله وحسنه - ثم عرج به إلى السماء الثانية فلما قَرُبَ من باب السماء تنافرت الملائكة - لشدة النور - إلى أطراف السماء وخرت سُجداً - ما استطاعوا ما تحملوا هذا النور الساطع فتنافروا مبتعدين عنه وخروا سُجداً - وقالت: سُبُوْحُ قُدُوسِ رَبِّ الملائكةِ

والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا - هؤلاء ملائكة السماء الثانية أرقى درجةً من ملائكة السماء الأولى - ما أشبه هذا النور بنور ربنا فقال جبرئيل عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء وقالت: يا جبرئيل من هذا الذي معك؟ فقال: هذا مُحَمَّدٌ قالوا: وقد بُعث؟ قال: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فخرجوا إليّ شبه المعانيق - المعانيق الخيول الجميلة التي تكون أعناقها طويلة - فخرجوا إليّ شبه المعانيق فسلموا عليّ وقالوا: اقرأ أخاك السلام - ذكر عليّ عند أشهد أن لا إله إلا الله، عند التكبير ذُكر عليّ وعند الشهادة الأولى أشهد أن لا إله إلا الله ذُكر عليّ - فخرجوا إليّ شبه المعانيق فسلموا عليّ وقالوا: اقرأ أخاك السلام، فقلت: هل تعرفونه؟ قالوا: نعم وكيف لا نعرفه وقد أخذ الله ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا - لاحظوا هؤلاء أكثر معرفةً وعمقاً في كلامهم من الملائكة في السماء الدنيا، هؤلاء الذين كانوا في السماء الدنيا سألوهم: كيف أخوك؟ يسألون عن أخباره.

وهذي كلها قرائن وإشارات وهذه قضايا تقريبية، يعني ليس الذي جرى بهذه الصورة وبهذا النحو هذي معاني تقريبية تقرب لنا ماذا جرى هناك، في السماء الثانية ما سألوها كيف أخوك؟ مباشرةً قالوا: اقرأ أخاك السلام، والميثاق أيضاً ميثاق شيعته أضيف على ميثاق النبي وميثاق سيد الأوصياء - قالوا: نعم وكيف لا نعرفه وقد أخذ الله ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا وإنّا لتصفح وجوه شيعته في كل يوم خمساً - يعنون في كل وقت صلاة - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثم زادني ربي تعالى أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأول وزادني حلقاتاً وسلاسل - زاده يعني أن النور بدأ يتجلى أكثر، إلى السماء الثالثة بدأت أنوار مُحَمَّد تتجلى بما يتناسب السماء الثالثة - ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة - الملائكة نفروا إلى أطراف السماء لماذا؟ لأنهم ما استطاعوا مواجهة هذا النور - ثم خرت سُجداً وقالت: سبوحٌ قدوس رب الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا؟ فقال جبرئيل عليه السلام: أشهد أن مُحَمَّداً رسول الله، أشهد أن مُحَمَّداً رسول الله، فاجتمعت الملائكة وفتحت أبواب السماء وقالت: مرحباً بالأول ومرحباً بالآخر ومرحباً بالحاشر - هؤلاء أكثر معرفة، هذه السماء الثالثة الملائكة هنا أرقى - فقالوا: مرحباً بالأول ومرحباً بالآخر ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر مُحَمَّد خاتم النبيين وعليّ خير الوصيين - ذكر عليّ هنا أيضاً وبشكلٍ أوضح عند الشهادة الثانية - مرحباً بالأول ومرحباً بالآخر ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر مُحَمَّد خاتم النبيين وعليّ خير الوصيين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سلّموا عليّ وسألوني عن عليّ أخي فقال: هو في الأرض خليفتي أوتعرفونه؟ قالوا: نعم وكيف لا نعرفه وقد نحج البيت المعمور في كل سنة مرة

- البيت المعمور هو بيت الله في السماء الرابعة - وقد نحج البيت المعمور - وما الكعبة الحرام المسجد الحرام إلا صورة للبيت المعمور في العالم الأرضي، كما قلت مراراً وتكراراً بأنه هناك وجودٌ لهذه الكائنات، لهذه الموجودات في كل طبقة من طبقات هذا العالم - وقد نحج البيت المعمور في كل سنة مرة وعليه رَقٌّ أبيض فيه اسم مُحَمَّد - رَق يعني كتاب - وعليه رَقٌّ أبيض فيه اسم مُحَمَّد وعلي والحسين والأئمة وشيعتهم إلى يوم القيامة وإنا لنبارك على رؤوسهم بأيدينا، ثم زادني ربي تعالى أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه شيئاً من تلك الأنوار الأول وزادني حلقاتٍ وسلاسل - تجليات، تجليات النور والجمال في نبينا صلى الله عليه وآله - ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئاً وسمعت دويماً كأنه في الصدور واجتمعت الملائكة ففتحت أبواب السماء وخرجت إليّ معانيق فقال جبرئيل عليه السلام: حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، فقالت الملائكة صوتين مقرونين: بِمُحَمَّدٍ تقوم الصلاة وبعليّ الفلاح - وذكر عليّ هنا أيضاً.

الفلاح عليّ والصلاة عليّ، أنا صلاة المؤمنين هكذا قال سيد الأوصياء - فقالت الملائكة صوتين مقرونين: بِمُحَمَّدٍ تقوم الصلاة - مقرونين معاً، ذكر مُحَمَّد مع ذكر عليّ يقرن دائماً، إذا قلت لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله فقولوا عليّ وليّ الله - فقالت الملائكة صوتين مقرونين: بِمُحَمَّدٍ تقوم الصلاة وبعليّ الفلاح فقال جبرئيل: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقالت الملائكة: هي لشيعته - تلاحظون الرواية ما أشارت إلى حيّ على خير العمل وفيها إشارة إلى أنه أشهد أن علياً ولي الله موجودة في تشريع الأذان مثل ما الإمام ما ذكر حيّ على خير العمل للتقية ما ذكر أشهد أن علياً ولي الله، الإشارة واضحة في هذه الرواية، وهذه الرواية من جليل روایات الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح وما ذكر حيّ على خير العمل وهي جزء واجب، وهنا يريد الإمام أن يشير إلى أن الشهادة الثالثة أيضاً جزء من أجزاء الأذان، وهذا واضح لمن أراد أن يتبصر في مثل هذه الرواية وفي عشرات من الروايات، ولا أريد أن أطيل الموقف كثيراً في هذه المسألة - فقال جبرئيل: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقالت الملائكة: هي لشيعته أقاموها إلى يوم القيامة ثم اجتمعت الملائكة فقالوا للنبي: أين تركت أخاك؟ وكيف هو؟ - ذكر عليّ في كل مكان - فقال لهم: أتعرفونه؟ فقالوا: نعم نعرفه وشيعته وهو نورٌ حول عرش الله وإن في البيت المعمور لرقاً من نور فيه كتابٌ من نور فيه اسم مُحَمَّد وعلي - رَق يعني جلد - لرقاً من نور فيه كتاباً من نور فيه اسم مُحَمَّد وعلي - يعني فيه كتاب فيه كتابة يعني - رَقٌ من نور فيه كتاب - يعني الرق هو كتاب فيه كتاب يعني فيه كتابه - من نور فيه اسم مُحَمَّد وعلي والحسين والأئمة وشيعتهم لا يزيد فيهم رجل ولا ينقص منهم رجل، إنه

لميثاقنا الذي أخذ علينا، وإنه يُقرأ علينا في كل يوم جمعة، فسجدت لله شكراً، فقال: يا مُحَمَّد - الله يخاطبه - ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا أطاب السماء قد خُرقت والحجب قد رُفعت - ما بقى بينه وبين الله حجاب - فإذا أطاب السماء قد خُرقت والحُجُب قد رُفعت، ثم قال لي: طأطأ رأسك وانظر ماذا ترى؟ فطأطأت رأسي فنظرت إلى بيتكم هذا وحرملكم هذا - إلى بيتكم هذا يعني إلى المسجد الحرام - وحرملكم هذا فإذا هو مثل حرم ذلك البيت - يعني البيت المعمور - يتقابل لو ألقيت شيئاً من يدي لم يقع إلا عليه - الروايات تقول: إن الكعبة هي في مقابل البيت المعمور في السماء الرابعة - لو ألقيت شيئاً من يدي لم يقع إلا عليه، فقال لي: يا مُحَمَّد هذا الحرم وأنت الحرام - أنت الوجود المقدس الحرم المقدس - هذا الحرم وأنت الحرام، لكل مثلٍ مثال، ثم قال لي ربي تعالى - وهذي الكلمة إن شاء الله في وقتٍ آخر أشرح معناها.

هذا الحرم وأنت الحرام، هذي كلمة عميقة جداً وهذه أعلى رتبةٍ للنبي صلى الله عليه وآله في معراجهِ، هو الحرام، يعني الذات التي لا تصل إليها ذات، الحرام هو المكان الذي لا يُوصل إليه، فاطمة حقيقة مُحَمَّد التي فُطمت العقول عن معرفتها ومُحَمَّد الذات التي حُرمت العقول، نورٌ واحد قبل قليل الملائكة رأته نوراً واحداً إشارة إلى مرتبة البساطة في تلکم العوالم، البساطة التي تتناسب مع ذلك العالم لا بمعنى تعدد القدماء أو تعدد البسيط لا بهذا المعنى وإنما بحسب ما تُشير إليه إشارات ورموز كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فقال لي: يا مُحَمَّد هذا الحرم وأنت الحرام، لكل مثلٍ مثال، ثم قال لي ربي تعالى: يا مُحَمَّد مُدَّ يدك فيتلقاك ماءً أيسيل من ساق العرش الأيمن - أيُّ ماءٍ هذا؟ - فنزل الماء فتلقيته باليمين فمن أجل ذلك صار أول الوضوء اليمنى، ثم قال: يا مُحَمَّد خذ ذلك الماء فاغسل به وجهك فإنك تريد أن تنظر إلى عظمتي - هذه جملة من أسرار الوضوء - فإنك تريد أن تنظر إلى عظمتي وأنت طاهر ثم اغسل ذراعيك اليمين واليسار فإنك تريد أن تتلقى بيدك كلامي، وامسح بفضل ما في يديك من الماء رأسك ورجليك إلى كعبيك وقال: إني أريد أن أمسح رأسك وأبارك عليك، فأما المسح على رجلك فإنني أريد أن أوطئك موطناً لم يطأه أحداً من قبلك ولا يطأه أحدٌ غيرك - فهذه علة الوضوء والأذان إذاً كل ما عندنا هو لِمُحَمَّد، صلاتنا لِمُحَمَّد وضوئنا لِمُحَمَّد، هذه رموزٌ لأشياء كانت لِمُحَمَّد، كلنا لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله - ثم قال: يا مُحَمَّد استقبل الحجر الأسود - الرواية طويلة والكلام طال بنا، الوقت طال بنا كثيراً، الرواية لازالت طويلة تحتاج إلى شرح وبيان، هناك مطالب أخرى لا بد من شرحها إذا ما قرأت بقية الرواية، إن شاء الله في مناسبة أخرى أتم قراءة الرواية لكن من مجمل الرواية تتضح لنا علاقة الملائكة بِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

ما ذُكِرَ من معانٍ عن النبي صلى الله عليه وآله، هذه المعاني هي نفسها ثابتة لآله الأطهار، كل هذه المعاني وكل هذه الحقائق التي تحدثنا عنها، الرواية طويلة هذه في الحقيقة من أجل الروايات وبجاجة إلى شرح وبقي قسمٌ كبير منها، لكن مضى جزء كبير من الوقت وهناك بقية لا بد أن أتم الكلام بخصوصها حتى نصل إلى خلاصة، فهذه الرواية التي ذكرتها وهي منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتحدث عن جانبٍ من علاقة الملائكة بالنبي وآل النبي، فكلّمًا رأوه خروا سجداً وقالوا: ما أشبه هذا النور بنور ربنا، هؤلاء هم الملائكة في كل مراتبهم، وهؤلاء هم الملائكة الذين يقعدون بين يديه وهو في العالم الأرضي، فما بالك في العوالم العليا حين تتجلى حقيقة محمّد هناك.

في العالم الأرضي يجلسون ويقعدون بين يديه قعدة العبد، ولذلك هناك معنى هذا المعنى الذي أشارت إليه رواية علل الشرائع تحدثت عن رابطة الملائكة واختلاف الملائكة لمحمّد وآل محمّد في عالم صعوده المعراجي، هناك معراج سماوي وهناك معراج أرضي، محمّد هو صاحب المقامات والمعارج التي لا حدود ولا انتهاء لها، الرواية هذه في تفسير البرهان وقرأتها على مسامعكم فيما مرّ من الحلقات الماضية، أعيدها لأنها تتعلق بهذا البحث الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني وهذا هو الجزء الثامن من تفسير البرهان، عن الشيخ الطوسي رحمة الله عليه عن رجاله عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: - عن رجاله يعني عن سنده - عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر يقول: بيت عليّ وفاطمة حجرة رسول الله وسقف بيتهم عرش رب العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش - الحديث هنا لا عن البيوت الطينية الحديث عن قلب رسول الله عن قلب عليّ وفاطمة عن حقائق محمّد وعليّ وفاطمة وحسنٍ وحسين - بيت عليّ وفاطمة حجرة رسول الله وسقف بيتهم عرش رب العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة - الملائكة تعرج إليهم، النبي عرج إليهم وهم يعرجون إليه وهو في عالمه الأرضي - معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً - هذا ليس وحي النبوة، وحي النبوة مرتبة من مراتب الوحي، هل كان ينزل الوحي على الأئمة؟ نعم، لكن ليس هو وحي النبوة إن شاء الله في الحلقة الآتية نحن سنقرأ ومهبط الوحي - السّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ - هم مهبط الوحي ولكن الوحي على مراتب، حين نصل إلى هذه الفقرة في الحلقة القادمة نشرح معنى الوحي هناك - تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين - يعني المعارج إليهم نازلة يعني هم القبلة العليا فتعرج إليهم كل الملائكة وكل طرفة عين، الرواية عميقة جداً، هذا هو معنى اختلاف الملائكة، حينما نقول - وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ - هو هذا المعنى - وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة - لكن أي معراج؟

معراج يعرجون إلى مُحَمَّد، يعرجون إلى عليّ - تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين والملائكة لا ينقطع فوجهم فوج ينزل وفوج يصعد - ومختلف الملائكة - وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم - هذا مثال للتقريب وإلا مُحَمَّد إنما هو في مرتبة لا تقاس بها مرتبة إبراهيم عليه السلام، إبراهيم أبو الأنبياء لكن مرتبته لا تقاس بمرتبة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله - وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره، وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّد - قلت بأن ناظر مُحَمَّد لا كناظرنا - وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سُقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن ومعراج الملائكة والروح - الروح الذي هو من أمر ربي - فوج بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيت من بيوت الأنمة منا إلا وفيه معراج الملائكة، لقول الله عز وجل: ﴿ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ ﴾ قال: قلت: من كل أمر؟! قال: بكل أمر فقلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم - هذا هو اختلاف الملائكة لِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

وهذه الرواية بحاجة إلى شرح وإلى بيان لكنني اكتفي بما ذكرت فقد طال الوقت بنا كثيراً وبودي لو يستمر الوقت لكنني أخاف من أن أتعب المستمعين أتعب المشاهدين فقد تكلمت طويلاً في هذه الحلقة أو في الحلقات الماضية ولكنني أحاول أن أعرض بين أيديكم ما أتمكن من عرضه من حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عليّ أتمكن أن أوصل شيئاً من حديثهم إلى مسامعكم الكريمة، بهذا يتضح لنا معنى قول الزيارة الكريمة - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ - هذه الأيام أيام أهل البيت من هذا المكان البعيد أوجه سلامي إلى سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه فأقول:

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، السلام على الحسين الوجيه وعليّ جده وأبيه وأمه وأخيه والتسعة المعصومين من ذريته وبنيه ورحمة الله وبركاته، السلام على الحسين وعليّ حامل لواء الحسين أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام على أصحاب الحسين، السلام على عيال الحسين، السلام على الحوراء شقيقة الحسين، السلام على زوار الحسين، السلام على ملائكة الله المُحدقين بحرم الحسين، السلام على الحسين وعليّ آل الحسين ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته. أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة السابعة

معنى ومَهْبِطُ الْوَحْيِ

حلقةٌ جديدةٌ من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم وتَقَبَّلْ صالح أعمالكم واستجاب صادق دعواتكم في مثل هذه الأيام الشريفة من شهر شعبان المُعَظَّم. كلامنا متواصلٌ في بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، وأنا أقرأها من مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدَّث القمي رضوان الله تعالى عليه، حيثُ مرَّ علينا في الحلقات السالفة قول الإمام عليه السلام - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ** - العنوان الجديد الذي نتناوله في هذه الحلقة: **وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ**.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ - المَهْبِطُ هو مَفْعِلٌ أسْمٌ مكان في لغة العرب وهو مكان الهبوط، المكان الذي يُهبط فيه أو يُهبط إليه يقال له مهبط، الوحي في لغة العرب تأتي على معانٍ كثيرة، الوحي في لغة العرب تعني الإشارة، حينما استعمل الإشارة بيدي أو بعيني أو بأي عضوٍ من أعضاء البدن أشير بها كي أفهم شخصاً ما شيئاً ما معنى ما، فذلك وحيٌّ من الوحي، ولذلك يقول الشاعر:

فأوحت إلينا والأنامل رسلها

فأوحت إلينا يعني أشارت إلينا، والأنامل رسلها الأنامل الأصابع أو هي أطراف الأصابع، كأنها أشارت إلينا بأطراف أصابعها تريد أن تُفهمنا شيئاً، وأوحت إلينا والأنامل رسلها، وحتى ما قاله الشاعر في لغة العيون فإنها معنى من معاني الوحي:

وتعطلت لغة الكلام فخاطبت عينا في لغة الهوى عينك

الخطاب هنا خطاب الوحي، الوحي يكون بمعنى الإشارة، والوحي أيضاً الكتابة، والوحي الكلام باللسان، والوحي إرسال الرسول، والوحي، والوحي، والمعاني كثيرةٌ في لغة العرب للوحي، الشيء الذي نخلص إليه ولا أريد التطويل كثيراً في البحث اللغوي، الشيء الذي نخلص إليه أن الوحي إنما هو عنوان لكل ما يكون في طريق التواصل وفي طريق التلقي، التواصل بين طرفين، طرف يكون هو الذي يصدر منه ما يصدر، وطرف

آخر يتلقى ذلك الذي يصل إليه أو يوصل إليه، الوحي عنوانٌ عام في لغة العرب لكل المصاديق لكل الأساليب لكل الحالات التي يكون فيها إيصال معنى من المعاني، إيصال حقيقة من الحقائق، قد تكون بالإشارة، قد تكون بالكتابة، وقد تكون باللغة، وباللغة الخفية بالهمس، وقد تكون باللغة العلنية، وقد تكون وقد تكون، فكل أسلوب وكل طريقة وكل نحو من أنحاء التعبير يمكننا أن نوصل به المراد فذلك هو معنى من معاني الوحي ودرجة من درجات الوحي، هذا المعنى اللغوي.

الزيارة نخطب فيها الأئمة صلوات الله عليهم، علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرت واحداً منكم، فهذا هو القول البليغ الذي نخطب به الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم مهبط الوحي أي أنهم المكان، وهنا التعبير باسم المكان إنما هو تعبير على نحو التجوز، هم الجهة وهم المكان وهم المرتبة الوجودية التي تكون مهبطاً للوحي، الوحي يهبط في دارتهم، الوحي يهبط على حقائقهم، في حقائقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة مثل ما خاطبتهم بأنهم أهل بيت النبوة، أن الأئمة هم أهل بيت النبوة، وتحدثنا عن معنى النبوة، وهم تبعٌ لتلك الحقيقة النبوية الكاملة فهم موضع الرسالة، الرسالة أين تكون؟ في حقائقهم، وهم مختلف الملائكة والملائكة إنما يردون عليهم لأي شيء؟ إنما يردون عليهم إما برسوم العبودية والطاعة فما من مَلَكٍ يخطو قدماً عن قدم إلا بأمر الإمام المعصوم، وإما أن يكون بنحو العبادة والاستفادة والاستفاضة ومرر الكلام في الروايات التي تتحدث عن هذه المضامين في الحلقة الماضية، فكما أنهم مختلف الملائكة فهم مهبط الوحي، الوحي يهبط في حقائقهم وعلى حقائقهم.

قبل أن أدخل في التفاصيل هناك مشكلة أشرت إليها فيما مضى وهو أن المخالفين لأهل البيت يعتمدون اللغة والمعاني اللغوية مصدراً من مصادر العلم، وإن قد يرفضون هذا الكلام، لكننا في الواقع حينما ندقق فيما كتبوا وفيما اعتقدوا فإنهم يجعلون اللغة مصدراً من مصادر المعرفة وليس وسيلة، وهذا قد تأثر به جمع من علمائنا أيضاً، فجعلوا اللغة مصدراً من مصادر العلم والمعرفة هذه قضية، القضية الثانية مثلاً يُشاعُ فهمٌ للوحي ونظرة معينة للوحي وكأن هذه النظرة، تصبح هذه النظرة المُستندة إلى بعض من الأحاديث والآية أيضاً من جهة المخالفين من التأثر بفكر المخالفين فتصبح قانوناً ولا يمكن لأحدٍ أن يتجاوز على هذا القانون مع وجود العشرات بل المئات من الروايات والآيات التي تشير بشكلٍ واضح وبشكلٍ صريح إلى أن معاني الوحي وأن درجات الوحي وأن مراتب الوحي بخلاف الذي قد تعورف عليه، هذا المطلب مطلب واسع، أنا سأتناول الآيات، أتناول الروايات التي تتحدث عن هذا الموضوع، في البداية سأبدأ من الكتاب الكريم ثم أُعَرِّجُ على الكلمات المعصومية النورية.

لنقوم بجولة سريعة في آيات الكتاب الكريم نتفحص معنى الوحي ونبحث عن معنى الوحي، مثلاً في سورة فصلت، الآية الحادية بعد العاشرة والثانية بعد العاشرة:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الحديث هنا عن خلقة السماوات ومن جعلتها السماء الدنيا التي زينها البارئ سبحانه وتعالى بالكواكب والنجوم ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فهذا وحيٌ لِمَا يُقال له وحيٌ للجَمادات، لأنه من جملة السماوات السماء الدنيا ومن جملة شؤون السماء الدنيا هذه الكواكب والأجرام وهي أجدد الجمادات، فهذا الوحي لكل السماوات بما فيها السماء الدنيا، هذا وحيٌ للجَماد ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ .

هناك مصداقٌ آخر من مصاديق الوحي للجَماد وهو ما جاء في سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ هذا وحيٌ أيضاً للأرض وهو كالوحي الذي تقدم ذكره في سورة فصلت، كما أوحى سبحانه وتعالى للسماوات بما فيها السماء الدنيا المزينة بالكواكب والنجوم ومن جعلتها الأرض هناك وحيٌ يكون للأرض متى؟ حينما تبدأ علائم يوم القيامة، متى تُزلزل الأرض؟ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ فهذه درجةٌ ومرتبةٌ من مراتب الوحي التي تحدث عنها القرآن وهو وحي الجَمادات.

هناك وحيٌ آخر والذي جاء ذكره في سورة النحل المباركة يحدثنا القرآن عن الوحي إلى الحيوانات، في الآية الثامنة والستين: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ فليقل ما يقل المفسرون بأن هذا الوحي هو أمرٌ غريزي، هو أمرٌ تكويني وكذلك الوحي للسماء وكذلك الوحي للأرض، الوحي للجَمادات، الوحي للحيوانات، للحشرات ومنها النحل ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ فليقل ما يريد المفسرون أن يقولوا بالنتيجة هو وحي ومرتبة من مراتب الوحي، فالوحي على مراتب والوحي على أنحاء، وحيٌ للسماوات وهناك وحيٌ للأرض وهناك وحيٌ للحيوانات وهو صريحٌ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ إلى هذه الحشرة.

هناك وحيٌ قد يكون من البشر أنفسهم ولكن من الأنبياء كما في سورة مريم في قصة زكريا عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ * فخرج على قومه من الحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا ﴿ حتى لو قلنا بأن هذا الوحي هو الإشارة كما يبدو من ظاهر الآيات باعتبار أنه أمر بأن لا يكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًا ﴿ فخرج على قومه من الحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا ﴾ هذه أيضاً مرتبة من مراتب الوحي وهي مرتبة الوحي البشري ولكن من الأنبياء.

هناك عندنا في سورة الأنعام في الآية الثانية بعد العاشرة بعد المئة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ هناك وحي بين شياطين الجن والإنس، فقد يوحى شياطين الإنس إلى الجن، وقد يوحى شياطين الجن إلى الإنس الآية واضحة، الآية تشير إلى أن الوحي يكون من الطرفين يمكن لشياطين الإنس أن يوحوا لشياطين الجن وكذلك يمكن لشياطين الجن أن يوحوا لشياطين الإنس ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ هذه أيضاً مرتبة من مراتب الوحي لكنها من مراتب الوحي الباطلة، ماذا نستفيد من هذا؟ نستفيد أن الوحي مراتبه كثيرة ولسعة مراتب الوحي كان هناك من الوحي ما هو الباطل كما في هذه الآية الصريحة، وكذلك في الآية الحادية والعشرين من سورة الأنعام أيضاً ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ الشياطين هنا بحسب ما يبدو من الآية شياطين الجن وإن كنا يمكن أن نجتمع بين هذه الآية والتي قبلها فيكون الكلام عن شياطين الجن والإنس، فشياطين الإنس يوحون لشياطين الجن وشياطين الجن يوحون لشياطين الإنس وهكذا، ولكن الآيتان الثانية بعد العاشرة بعد المئة والآية الحادية والعشرون بعد المئة من سورة الأنعام تتحدثان عن مرتبة وعن مراتب من مراتب الوحي ولكن من الوحي الباطل من الوحي الشيطاني، فمراتب الوحي كثيرة، ومراتب الوحي عديدة، والوحي فيه جانبان: جانب الخير وجانب الشر.

ويستمر القرآن الكريم في الحديث عن الوحي، إذا نذهب إلى سورة الشورى المباركة الآية الحادية والخمسون ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾ يعني هناك وحي من الله يكون للبشر ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ ﴾ الآية ما قالت وما كان لنبي، الحديث عن البشر بشكل عام، فتشمل الأنبياء وغير الأنبياء، وإن فسرها المفسرون بالأنبياء لكن الآية واضحة وصريحة تتحدث عن البشر بنحو عام ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾

يعني ما هو أسلوب التواصل بين الله وبين البشر؟ ﴿ وَمَا كَانَ لَبَشْرًا أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ من وراء حجاب المراد كما أن الله سبحانه وتعالى خلق الكلام في الشجرة وفي الهواء وفي النار حين كلم موسى، لأن الله لا يملك جارحةً ليست عنده جارحة للكلام، حينما يريد أن يتكلم فإنما يخلق الكلام في أي شيء من مخلوقاته ﴿ وَمَا كَانَ لَبَشْرًا أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ هذا نحو من أنحاء الكلام الإلهي من طريق الوحي ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ - يعني ملكاً من الملائكة - أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ إما أن يكون هذا الرسول من الملائكة كالملائكة الذين يُرسلون إلى الأنبياء وإلى الأوصياء، أو قد المراد من الرسول هنا هو الرسول البشري، البشر الذي يعثه الله نبياً، يعثه رسولاً، وبالنتيجة أنا هنا لستُ بصددٍ تفسير الآية، الآية فيها كلام طويل وعريض، لكن الآية بالجملة تتحدث عن الوحي بين الله وبين البشر.

نحن تحدثنا عن الوحي الإلهي للجمادات كالوحي للسماوات، الوحي للأرض، الوحي للحيوانات كالوحي للنحل، وتحدثنا كذلك عن الوحي البشري وهو وحي زكريا لقومه، والوحي الشيطاني فيما بين شياطين الجن والإنس، الآية هنا تتحدث عن الوحي للبشر عموماً، ما هو قانون الوحي للبشر؟ سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء، ما هو هذا القانون؟ حتى لو كانت الآية مختصة بالأنبياء فقط الحديث هنا عن القانون العام للوحي للتواصل بين الله وبين البشر ﴿ وَمَا كَانَ لَبَشْرًا ﴾ لبشرٍ هنا نكرة منونة بشكل عام ﴿ وَمَا كَانَ لَبَشْرًا أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

هناك الوحي الذي أشارت إليه سورة طه وهو مصداق من الوحي إلى البشر، في الآية السابعة والثلاثين وما بعدها ﴿ وَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ الخطاب لموسى عليه السلام، الله يخاطبه ﴿ وَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴾ هذه الآية الثامنة والثلاثون من سورة طه تتحدث عن الوحي البشري مرَّ علينا قبل قليل في الآية الحادية والخمسين ﴿ وَمَا كَانَ لَبَشْرًا أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ هذا الحديث هنا عن عموم البشر، من مصدايق الوحي لعموم البشر الآية الثامنة والثلاثون ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ

مَا يُوحَى ﴿ نفس المعنى يتكرر في سورة القصص في الآية السابعة في سورة القصص ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ ﴾ يعني هناك وحي متكرر، الوحي الأول ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾ هذا القذف في التابوت في بداية القصة وقذفته وأخذه اليم إلى قصر فرعون وبعد ذلك جاءت قضية الإرضاع، جاء وحي آخر إلى أم موسى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ الحديث هنا أيضاً في الآية عن إرضاع أم موسى ولكن قبل أن تلقية في اليم ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ وهنا الحديث ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ الحديث هنا عن الوحي البشري، عن الوحي الإلهي لأم موسى، طبعاً في الروايات الشريفة أن معنى الوحي تكرر لأم موسى ولغير أم موسى من الأولياء من عامة البشر فما كانت أم موسى نبيه.

نفس الكلام نجده يتكرر في سورة آل عمران في قصة مريم عليها السلام، في الآية الثانية والأربعين وفي الآية الثالثة والأربعين ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ الحديث هنا عن وحي الملائكة، عن الوحي الإلهي من طريق الملائكة إلى مريم ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ هذا أيضاً وحي من الله سبحانه وتعالى لبشرٍ ممن خلق، مرت علينا الآية الحادية والخمسون في سورة الشورى تتحدث عن الوحي لعامة البشر من هذه المصاديق ما مرَّ علينا في سورة طه وفي سورة القصص إذ أوحى الله إلى أم موسى ما أوحى، وهنا في سورة آل عمران في الآية الثانية والأربعين وفي الآية الثالثة والأربعين الحديث عن الوحي إلى مريم، الملائكة تخاطبها وتوحي إليها.

في سورة المائدة، في الآية الحادية بعد العاشرة بعد المئة ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ هذا وحي آخر للبشر من غير الأنبياء ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

هناك وحي آخر في سورة الأنفال في الآية الثانية بعد العاشرة في قصة واقعة بدر ونزول الملائكة ﴿ إِذْ يُوحَىٰ

رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿﴾ هذه رتبة أخرى من مراتب الوحي وهو الوحي الإلهي إلى الملائكة.

هذه مصاديق وعناوين كثيرة، في سورة النساء، الآية الثالثة والستون بعد المئة وما بعدها، الحديث عن الوحي للأنبياء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ النبي صلى الله عليه وآله بالنسبة له هو النبي الجامع وكتابه هو الكتاب الجامع ورسالته الرسالة الجامعة، جميع مراتب الوحي التي كانت للأنبياء أيضاً كانت لنبينا صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ نوح والنبون من بعده يختلفون في مراتب الوحي، جميع هذه المراتب أوحى بها إلى النبي لماذا؟ لأنه الحقيقة الجامعة وإلا الوحي المُحَمَّدِي يختلف عن الوحي الذي كان للأنبياء، لأن الوحي يتناسب بحسب روحانية النبي ونورانيته، كل نبي له مرتبة من الروحانية والنورانية، الوحي النازل إليه يتناسب مع نورانيته وروحانيته، لكن النبي صلى الله عليه وآله هو صاحب النبوة المهيمنة، صاحب الحقيقة المهيمنة.

نحن حينما نقرأ مثلاً في سورة المائدة، في الآية الثامنة والأربعين ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ الكتاب هو شأن من شؤونات نبوة نبينا، نبوة نبينا واسعة ومر الحديث عنها، وشؤوناتها لا تنتهي، لا تُعَدُّ ولا تحصى، من جملة شؤونات نبوة نبينا هو الكتاب الذي أنزل عليه، هذا الكتاب هكذا يصفه الله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ مهيمناً على كل الكتب، والهيمنة ماذا تعني؟ الهيمنة تعني الإحاطة وتعني الولاية أيضاً، تعني الإحاطة وتعني الولاية، المهيمن هو المحيط والمحيط يكون هو العالم بالشيء والذي له القدرة على التصرف فيه، ومن مصاديق هيمنة الكتاب أن هذا الكتاب ينسخ الكتب السابقة، هذا في الأفق التدويني، وإلا نبوة النبي أيضاً في الأفق الأرضي تنسخ النبوات كلها، والحديث فيه تفصيل أنا لا أريد أن أدخل فيه، ربما لو تطرقنا لتفسير هذه الآية معنى ومهيمناً عليه نتحدث في هذا الموضوع بشيء من الإسهاب، لكن ونحن في هذه الجولة السريعة في آيات الكتاب الكريم نتحدث عن معنى الوحي وعن مراتب الوحي.

الآية هنا في سورة النساء الثالثة والستون بعد المئة ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ونوح والنبون من بعده كل واحد له مرتبة من مراتب الوحي ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ هؤلاء يختلفون في مراتبهم، يختلفون في

علمهم، يختلفون في نورانيتهم، فالوحي يختلف بحسب اختلاف مراتبهم ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ هؤلاء أيضاً ما نزل عليهم من الوحي ومن مراتب الوحي أيضاً داخلٌ في مراتب الوحي المُحمّدية ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فكل مراتب الوحي هذه التي ذكرها القرآن والتي لم يذكرها، كل مراتب وحي الأنبياء هي داخلة في مراتب الوحي النبوي بجهة من الجهات، وإلا الوحي المُحمّدي يختلف عن كل هذه المراتب، الآية بجملتها تتحدث عن الوحي النبوي، عن وحي الله للأنبياء، ووحى الله للأنبياء مراتبه كثيرة جداً، ربما سنشير إلى بعض من هذه المراتب في طوايا ذكري للروايات والأحاديث الشريفة التي سأتلوها على مسامعكم.

حينما نقراً مثلاً في سورة الشورى، الآية السابعة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ هذه مرتبة من مراتب الوحي النبوي وهي وحي القرآن، الوحي لم يكن مقتصرًا على القرآن فقط، هذه مرتبة من مراتب الوحي ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ هذه مرتبة الوحي القرآني المهيمن على كل الكتب، هذه مرحلة الوحي المهيمن، هناك مرتبة أخرى نجد هذه المرتبة في سورة الإسراء المباركة في الآية التاسعة والثلاثين ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ - إلى آخر الآية - هذه مرتبة من مراتب الوحي، الآية التي مرت علينا كانت تتحدث في سورة الشورى، تتحدث عن الوحي القرآني، هذا وحي الحكمة، وإن فسّر المفسرون الحكمة هنا أيضاً بالقرآن، لكننا إذا دققنا النظر في هذا العنوان عنوان الحكمة على طول الكتاب الكريم الحكمة شيء آخر ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ هذه مرتبة أخرى من مراتب الوحي النبوي، أوحى الله إليه كما أوحى إلى الأنبياء كما مر علينا في الآية الثالثة والستين من سورة النساء، مرّ علينا قبل قليل، في الآية الثالثة والستين بعد المئة إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى كل الأنبياء، والوحي القرآني كما في سورة الشورى، وفي سورة الإسراء هو وحي الحكمة ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ في سورة الشورى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ في سورة الشورى أيضاً في آخر آية منها، في الآية الثانية والخمسين يعني قبل الآية الأخيرة، الآية الأخيرة هي الثالثة والخمسون، في الآية الثانية والخمسين ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ هذه مرتبة أخرى من مراتب

الوحي ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ هذه غير المرتبة القرآنية وغير مرتبة الحكمة ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هذه حيثية أخرى، لأننا إذا أردنا أن نتبع في الكتاب الكريم الروح والروح من أمرنا من أمر ربي تتجلى معانٍ أخرى، هذه مرتبة أخرى.

وهناك مرتبة من مراتب الوحي المُحمَّدي ما جاء مذكوراً في سورة النجم، وتحدثنا عن جانب من معاني هذه الآيات حين كان الكلام عن معنى النبوة ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ هذا وحي بمرتبة أخرى ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ هذا الوحي في العالم الدنيوي في العالم الأرضي وتحدثنا عن النبوة في العالم الأرضي، هذا الوحي الأرضي ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ خطاب مع الذي كانوا على الأرض ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ يعني يا أيها الأرضيون أنتم تسمعون كلاماً ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾ انتقلنا إلى الأفق الأعلى ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ هذا وحي في الأفق الأعلى ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ هذا وحي آخر هذا هو الوحي المُحمَّدي ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ السدرة المكان الذي يكون فيه التحير والحيرة، ولكن كما قالت الروايات ولكن مُحمَّداً لم يتحير هناك وما تحير بصره ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْمُورَىٰ ﴾ إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاع البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴿ هذا هو الوحي المُحمَّدي والذي لا نملك تفسيراً له، السورة هنا سورة النجم تتحدث عن مرتبتين من مراتب الوحي، وتحدثت عن مراتب أخرى آيات القرآن، تحدثت أن جميع مراتب وحي الأنبياء كانت موجودة في دائرة

الوحي النبوي لأن الأنبياء تختلف مراتبهم.

على سبيل المثال لنقرأ بعضاً من الروايات أو بعضاً من الأحاديث هذا هو كتاب الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول، على سبيل المثال: الرواية عن زرارة قال: سألتُ أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يُعَين المَلَك - هذه درجة ليس كل الأنبياء هكذا، هذه درجة من درجات الأنبياء - قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يُعَين المَلَك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويُعَين المَلَك - وهذه أيضاً مرتبة من مراتب الرسل - قلتُ: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يُعَين المَلَك - هذه أيضاً مرتبة من المراتب، لا يعني أن مراتب أئمتنا هكذا، ستأتي الروايات تبين هذا الكلام.

لا أبتعد كثيراً فقط أشير إلى ما جاء في نهج البلاغة الشريف، هذه هي الخطبة القاصعة من أشهر خطب سيد الأوصياء، ماذا يقول سيد الأوصياء؟ وهو يتحدث عن رسول الله - ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري - كان يجاور في المكان المعروف بحراء، قد تسأل لماذا يذهب رسول الله إلى حراء؟! هذا المكان مكانٌ تعبَّد فيه الأنبياء من قبله، هذا المكان مكانٌ مُقدَّسٌ تعبَّد فيه الأنبياء السابقون والأوصياء السابقون ومن جاء ذكرهم في الروايات ممن تعبَّدوا في غار حراء عبد المطلب جد النبي وكذلك ممن تعبَّد فيه أبو طالب، والروايات تقول بأن عبد المطلب وبأن أبا طالب من أوصياء إبراهيم وأوصياء إبراهيم كلهم أنبياء كما قالت الروايات في ذلك، فهذا المكان له قدسية خاصة، على أي حال - ولقد كان يُجاور في كل سنة بحراء فأراه - الأمير يراه - ولا يراه غيري ولم يجمع بيتاً واحداً يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشمُّ ريح النبوة - أي أنه كان يرى ويشم - ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلتُ: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنَّك يا علي - الكلام مع علي - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي - فهذا عليُّ يسمع الوحي ويرى، يسمع ما يسمع صلى الله عليه وآله، ويرى ما يرى صلى الله عليه وآله، هذا كلامٌ عليُّ في الخطبة القاصعة واضحٌ صريحٌ جلي.

إذاً هذه الأحاديث التي يقف عندها الكثير من علمائنا ويجعلون أوصاف الأنبياء وأوصاف الرسل وأوصاف أئمتنا عند هذا الحد فذلك ظلم لمراتب أهل البيت، مراتب أهل البيت أعلى وأعظم وأكبر وسيأتي الكلام بعد ذلك - ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يُعَين المَلَك -

يعني أن الأنبياء منهم من لا يرى الملائكة - والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويُعَين المَلَك، قلتُ: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين المَلَك - والروايات البقية على هذا النحو، مثلاً رواية أخرى - عن الأحول قال: سألتُ أبا جعفرٍ عن الرسول والنبي والمُحدِّث - المُحدِّث هو إما المراد الإمام المعصوم وإما الأولياء الذين بلغوا هذه الرتبة، وظاهراً المراد هنا هو الإمام المعصوم - قال الرسول: الذي يأتيه جبرئيلُ قُبلاً فيراه ويكلمه فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حين أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة - إلى أن يقول - وأما المُحدِّث فهو الذي يُحدِّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه - هذه مراتب موجودة لأنبياء الله ولأولياء الله ولأوصياء الرسل هذه المراتب، لكن هذه المراتب لا يعني أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقفوا عند هذه المرتبة، وقفوا عند هذه المنزلة، مرَّ علينا قبل قليل كلام سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في نهج البلاغة الشريف وهو يقول إن النبي هكذا قال له: - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى - وهو قال - أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة - فهو يرى ويشم، الملائكة إذا نزلوا لهم عطرٌ خاص، الروايات تقول بأن رائحة الملائكة رائحة الورد، بأن رائحة الملائكة رائحة المسك، وتختلف عطورهم وروائحهم باختلاف مراتبهم، فهو يشم وللوحي رائحة غير رائحة الملائكة - أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي - أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانت لهم هذه المراتب، كانت لهم هذه الدرجات من درجات الوحي وإلا كيف نخاطبهم في الزيارة: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ.

الرواية في بصائر الدرجات أنقلها وموجودة في الكافي أيضاً، موجودة هذه الرواية في الجزء الأول من الكافي الشريف، لكنني أقرأها من بصائر الدرجات لأنني أريد أن أقرأ رواية ثانية من نفس الكتاب - الرواية عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله برمانتين - وهذه رموز - فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفها وأطعم رسول الله صلى الله عليه وآله نصفها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخي هل تدري ما هاتين الرمانتين؟ قال: لا، قال: أما الأولى التي أكلها لوحده فالنبوة ليس لك فيها شيء، وأما الأخرى فالعلم أنت شريك في فيه - فكل ما عند رسول الله هو عند عليٍّ - فقلت: أصلحك الله كيف يكون شريكه فيه؟! قال: لا يُعلم الله مُحمّداً علماً إلا وأمره أن يُعلم عليّاً - أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها - إلى نفس هذا الكلام تشير هذه الرواية - أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها - الرواية الثانية التي أردت أن أتلوها

على مسامعكم - عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ فهو مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو العلم ﴿المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ فزعم أن الزجاج ما هي؟ الزجاج أمير المؤمنين وعلم نبي الله عنده - الرواية هكذا تبين المعنى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ هو مُحَمَّدٌ - هذا النور في مصباح، المصباح هو العلم، والمصباح في زجاج، الزجاج هي التي تحوي المصباح، الزجاج عليّ، وهذا وجه من وجوه الآية الشريفة. لذلك نحن لا نستغرب أبداً هذا هو الجزء الخامس والثلاثون من بحار الأنوار، والرواية فيه عن الحسن بن محبوب عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يتحدث عن ولادة جده سيد الأوصياء فماذا يقول؟ - أنفتح البيت من ظهره - الكعبة - أنفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه - فاطمة بنت أسد - ثم عادت الفتحة وألتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيام فأكلت من ثمار الجنة فلما خرجت قال عليّ عليه السلام - لَمَّا خرجت بعليّ هكذا قال، ماذا قال؟ مخاطباً أباه أبا طالب - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، ثم تنحج وقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - فقرأ الآيات من سورة المؤمنون هذا الكلام متى؟!

القصة في ميلاد سيد الأوصياء، هذا الحديث قبل البعثة بعشر سنوات، نحن لا نأبه بمن يريد أن يسخر من مثل هذا الكلام، هذا كلام أهل البيت والقضية ليس رواية واحدة أو روايتين أو ثلاثة، هذه بحار من الروايات، ونصوص قرآنية ونصوص حديثية يشد بعضها البعض، القضية ليست متوقفة عند رواية واحدة أو عند سطر واحد - ثم تنحج وقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - قرأ سورة المؤمنون - فقال رسول الله - رسول الله موجود، هذه قرأها في وجه رسول الله فماذا قال؟ - قد أفلحوا بك أنت والله أميرهم، تميرهم من علمك فيمتارون وأنت والله دليلهم وبك والله يهتدون، ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عينا - هذه رموز، رسول الله يضع لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عيناً، هذه العيون اثنا عشر هؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر، عليّ ومن بعده، هذه رموز ولا أستطيع أن أقف عند كل كلمة أتناولها بالشرح بالتالي سيذهب الوقت ولم أكن قد أكملت حديثي ولو على نحو الإجمال، لأن هذه الروايات كل رواية بحاجة إلى شرح أو إلى بيان، ولذلك هذه الروايات الرواية التي مرت علينا قبل قليل رواية الرمانتين فقسم الرمانة الثانية وهي رمانة العلم بالشراكة فعليّ شريك رسول الله، العلم هو المصباح، النور رسول الله، المصباح هو العلم، وعليّ الزجاج المحيطة بذلك المصباح المحيطة

بذلك النور - يا علي - كما جاء في نهج البلاغة - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى ولكنك لست بنبي - هو كان يقول أرى نور النبوة والرسالة، نور الوحي والرسالة، وأشم رائحة النبوة، وما كان لعلِّي كان لإمام زماننا، فما كان لأولهم كان لآخرهم، وما كان لآخرهم كان لأولهم، إذاً هذه الروايات الموجودة في الكافي أو في غير الكافي والتي دائماً تتحفظ كتب علم الكلام وكتب العقائد بأن الأنبياء والأئمة والرسول هذه مراتبهم لأجل إبعاد هذه المراتب عن أئمتنا، وإلا هذه كلمات أهل البيت، وهذه أحاديث أهل البيت، وهذا عليٌّ ينطق بالقرآن وهو في المهدي، وهذا ما هو بغريب لأن القرآن كان في قلب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله منذ أن كان، وما كان في قلب مُحَمَّدٍ فهو في قلب عليٍّ.

نحن حين نأتي فنقرأ مثلاً في سورة طه في الآية الرابعة بعد العاشرة بعد المئة ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ما المراد من هذا؟ وهذا الكلام نجدُه أيضاً في سورة القيامة الآية السادسة بعد العاشرة ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ما معنى هذه الآيات؟ أكما يقول المخالفون ومن تبعهم من علمائنا، على سبيل المثال شيء غريب أن يقول السيد الطباطبائي في الميزان مثل هذا الكلام، هذا هو الجزء العشرون من تفسير الميزان، حينما يتحدث في بيان معنى هذه الآية ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ يقول: - هذا الكلام يتضمن أدباً إلهياً - ما هو هذا الأدب؟ - أن الله كلف النبي أن يتأدب به حينما يتلقى ما يوحي إليه من القرآن الكريم - إلى أن يبين ما المراد من ذلك، يقول - فالكلام في هذه الآيات يجري مجرى قول المتكلم منا أثناء حديثه لمخاطبه إذا بادر إلى تميم بعض كلام المتكلم باللفظة واللفظتين قبل أن يلفظ بها المتكلم وذلك يُشغله عن التجرد للإنصات فيقطع المتكلم حديثه ويعترض ويقول لا تعجل بكلامي وأنصت لتفقه ما أقول ثم يمضي في حديثه - يعني السيد الطباطبائي يأتي بهذا المثال أن شخص يتكلم وشخص آخر يستمع إليه، هذا الشخص المستمع لا يترك المتكلم يتكلم وإنما يسبقه يسبقه بلفظة أو لفظتين، فالمتكلم يقول له أنصت يا هذا واستمع للكلام!!

هل كان رسول الله صلى الله عليه هكذا؟! أدبني ربي فأحسن تأديبي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ما معنى هذه الآية؟ هذه الآية لا أحد يعرف معناها، ما المراد من الخلق العظيم؟ ما هو هذا الخلق الذي يقول عنه الله خُلُقٌ عَظِيمٌ؟! ما المراد؟ هل نقول بأنه كان جواداً كريماً كان حسن الأخلاق حلو المعشر، هذه المعاني يمكن أن يتحلى بها أي شخص من الأشخاص، لكن هذا الخلق العظيم لا نستطيع أن ندركه، مثل هذا الكلام هذا الكلام هو تأثر بكتب المخالفين قطعاً، وإلا نحن إذا أردنا أن نقف عند هذه الآية:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ هذا يدل على أن القرآن موجودٌ في قلبه، القرآن مجموعٌ في قلبه، وإنما الآية هنا تريد أن تشير إلى أنه أيها الناس أعلموا أن مُحَمَّدَ القرآن في قلبه، ولذلك الآية تقول له ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ هذه العجلة ما المراد منها؟ عجلة النبي، هذه العجلة هي عجلة الشوق ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ هذه عجلة الشوق، والآية هنا لا تريد أن تنهى النبي عن شيء هو لم يكن سليماً أو صحيحاً، وإنما تريد أن تخاطبنا، فالقرآن نزل بإيائك أعني واسمعي يا جارة وهذه لها أكثر من مرتبة، في بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن الذين تُراد بذلك، وفي بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن نُنبئه وفقاً لذلك الخطاب بخصوص أحوال وشؤون ذلك الشخص ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ الآية تريد أن تُشعرنا بأن القرآن مجموعٌ في قلبه صلى الله عليه وآله، ونفس الشيء الموجود في سورة القيامة ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ولذلك نحن حينما نريد أن نقرأ ما جاء في تفسير علي بن إبراهيم ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ وتفسير علي بن إبراهيم بجملة هو منقول عن الأئمة، وبنحوٍ خاص عن إمامنا الصادق عليه السلام، ماذا يقول علي بن إبراهيم؟

كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول تمام الآية والمعنى - يعني أن الآية والمعنى موجودٌ في قلبه، قبل نزول تمام الآية، الآية يعني اللفظ والمعنى يعني معنى الآية، الجانب المعنوي منها - كان رسول الله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول تمام الآية والمعنى فأنزل الله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ - أن يُفرغ من قراءته من قِبَل جبرئيل، أو إذا كان الوحي من الله سبحانه وتعالى، لأن الوحي الذي كان ينزل على النبي تارةً من طريق الملائكة وتارةً من طريق الله سبحانه وتعالى، وهذا المعنى واضحٌ في الروايات، لا كما يتصور البعض من المخالفين أن الله لم يُكلم النبي صلى الله عليه وآله وأن التكليم حالةٌ خاصة بموسى، هناك منهم من يقول هذا الكلام، مع أنهم حين يتحدثون عن عمر بن الخطاب ماذا يقولون عنه؟

هذا هو صحيح البخاري، بحسب الطبعة التي بين يدي وهي طبعة دار صادر بيروت، الحديث المرقم: 3469 - عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال - النبي يقول - إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون - يعني يحدثهم الله، تحدثهم الملائكة - وإنه إن كان في أمتي هذه منهم - إذا كان في هذه الأمة - فإنه عمر بن الخطاب - وحددت به - فإنه عمر بن الخطاب - وفي باب مناقبه

وفضائله، الحديث: 3689 - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر - الرواية التي بعدها - عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالاً يَكَلِّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء فإن يك من أمتي منهم أحد فعمر - الأئمة لا، لا يصح أن يكلمون، عمر يمكن أن يكلم، يكلمه الله، تكلمه الملائكة - لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل - هذا صحيح البخاري وروايته صحيحة بحسب القوم - لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل - هذا في باب فضائل أصحاب النبي، في كتاب فضائل أصحاب النبي وفي باب فضائل عمر، باب مناقب عمر بن الخطاب، من كتاب فضائل أصحاب النبي - لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالاً يَكَلِّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء فإن يك من أمتي منهم أحد فعمر - لكن حينما يكون الحديث عن عليٍّ وعن آل عليٍّ يكون الكلام حينئذٍ باطلاً وبدعاً، يعني إذا كان عمر بهذه المرتبة فلما لا يكون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهذه المرتبة؟! هل نال هذه المرتبة بفضل جدته باطحلي؟ وأولاد رسول الله لم ينالوا هذه المرتبة بفضل أمهم فاطمة صلوات الله عليها؟

باطحلي هذه جدة عمر بن الخطاب نأتي على ذكرها إن شاء الله في الوقت المناسب، باطحلي هذا هو الاسم الثاني لجدته صهاك، وصهاك معروفة يعني سمعتها سيئة، معروفة في التاريخ، فأقول أن عمر نال ذلك بفضل جدته باطحلي وأولاد مُحَمَّد لم ينالوا ذلك بفضل أمهم فاطمة؟! فعمر يُكَلِّمُ الله تكلمه الملائكة الرواية مطلقة، أما عليٌّ وآل عليٍّ والغريب أن هذا الكلام موجودٌ في كتبنا نحن أيضاً، دائماً نجد الغض وغض الطرف وغض النظر عن هذه المعاني العميقة في روايات أهل البيت في بيان منازل أهل البيت، ما معنى أن نخاطب الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: السلام عليكم يا مهبط الوحي. ما المراد أنهم مهبط الوحي؟ أليس هذه المعاني التي أشارت إليها بعض الروايات؟! ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ يعني أن مُحَمَّداً كان القرآن بكامله عنده وهذا تصدقه هذه الرواية التي تلوتها على مسامعكم من الجزء الخامس والثلاثين من بحار الأنوار في ولادة سيد الأوصياء وهو يقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال له صلى الله عليه وآله: قد أفلح المؤمنون بك وبولايتك يا علي.

ولو أردت أن أبحث عن مثل هذه المصاديق في كتب الحديث وفي كتب الروايات المروية عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لاحتجنا إلى الكثير من الوقت، نحن في رواياتنا أئمتنا يشترطون في الفقهاء، الفقيه أئمتنا يشترطون فيه، هذا رجال الكشي والرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه

عليه، ثاني رواية في الكتاب، الرواية الأولى: أعرّفوا منازل الرجال منّا على قدر رواياتهم عنّا. الرواية الثانية: أعرّفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا فإنّا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، فليل له أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهماً والمفهم محدث - وهذي أيضاً درجة من درجات الوحي - قال: يكون مفهماً - يعني لا هو الذي يبحث عن الفهم، هناك فارق بين من يطلب الفهم ويبحث عن الفهم، وهناك فارق بين الذي يكون مفهماً - إنّنا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: نعم، يكون مفهماً والمفهم محدث.

فهذه الآية الكريمة والآية التي في سورة القيامة ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الآية التي مرت علينا ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وهي الآية السادسة بعد العاشرة وهذه الآية الرابعة بعد العاشرة بعد المئة ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ وتقول الآية ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ تشير إلى هذه الحقيقة، إلى حقيقة أن القرآن بتمامه بألفاظه ومعانيه هو في قلب مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَوَحْيِ مُحَمَّدٍ نَحْنُ لَا نَحِيطُ بِهِ، وَقَدْ مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ النُّجُومِ، هُنَاكَ مَرَاتِبٌ مِنَ الْوَحْيِ فِي الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ، وَهُنَاكَ مَرَاتِبٌ فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى، مَا عِنْدَنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ أَوْ مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ مَرَاتِبٍ أَوْ عَنْ مَصَادِيقٍ مِنَ الْوَحْيِ، أَتَى بِنَمَازِجٍ مِنْهَا، مِثْلًا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ:

ما قاله المخالفون: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ قال البيضاوي: أي بالقرآن قبل أن يتم وحيه ﴿لَتَعْجَلَ بِهِ﴾ لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك - القرآن ينفلت من مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هَذَا مَا قَالَهُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مِثْلًا، وَأَيْضًا مِثْلًا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ لِلطَّبْرَسِيِّ - قَالَ: لَا تَعْجَلْ بِتِلَاوَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ جَبْرَائِيلُ مِنْ إِبْلَاغِهِ - وَذَكَرَ مَعَانِي أُخْرَى أَنَّهُ - لَا تَقْرَأُ بِهِ أَصْحَابُكَ وَلَا تُمَلِّهْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ مَعَانِيهِ - يَعْنِي وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى عِلْمٍ بِمَعَانِيهِ يَنْتَظِرُ حَتَّى تَتَبَيَّنَ لَهُ الْمَعَانِي، هَذَا كَلَامُ الطَّبْرَسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَفْسَرِينَا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ، مَجْمَعِ الْبَيَانِ لَيْسَ سِرًّا أَنَّ الْأَزْهَرَ اعْتَمَدَهُ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْمَعْتَمَدَةِ فِي الْأَزْهَرِ، لَوْ كَانَ هَذَا التَّفْسِيرُ يَعْتَمِدُ عَلَى حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِشَكْلِ حَقِيقِي وَبِشَكْلِ وَاسِعٍ مَا اعْتَمَدَهُ الْأَزْهَرُ، لَكِنْ يَعْلَمُونَ فِي الْأَزْهَرِ أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ مَشْحُونٌ بِآرَاءِ الْمُخَالِفِينَ، لَكِنْ الْغَرِيبُ أَنَّ مَنَابِرَنَا وَأَنَّ خُطْبَائِنَا لَا يَنْقَلُونَ إِلَّا عَنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، مَعَ أَنَّ تَفَاسِيرَ أَهْلِ الْبَيْتِ مَوْجُودَةٌ وَرَوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَوْجُودَةٌ، وَإِلَّا لَمَا اعْتَمَدَ الْأَزْهَرُ حَبًّا بِالشَّيْعَةِ أَوْ حَبًّا بِأَهْلِ الْبَيْتِ هَذَا الْكِتَابُ!!

أليس لأنه مشحون والكتاب ورائه قضية وتفصيل في هذا المطلب ربما أتناولها في وقتٍ آخر، أقرأ سطوراً مما قاله الشيخ الصدوق في كتابه العقائد المعروف بعقائد الشيخ الصدوق قال - الاعتقاد في نزول الوحي من

عند الله عز وجل بالأمر والنهي اعتقادنا في ذلك إن بين عيني إسرافيل لوحاً - طبعاً هذه المعاني يأخذها من الروايات - فإذا أراد الله عز وجل أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل - ضرب اللوح يعني أشرق شَع فيه - فينظر فيه فيقرأ ما فيه - إسرافيل ينظر فيه - فيلقيه إلى ميكائيل - يعني القرآن يأتي من اللوح - إن بين عيني إسرافيل لوحاً فإذا أراد الله عز وجل أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل - يعني جاء الكلام إلى اللوح وإسرافيل يقرأ في لوحه - فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل ويلقيه ميكائيل إلى جبرئيل ويلقيه جبرئيل إلى الأنبياء، وأما الغشية التي كانت تأخذ النبي حين يثقل ويعرق فإن ذلك كان يكون منه عند مخاطبة الله عز وجل إياه، فأما جبرئيل فإنه كان لا يدخل على النبي صلى الله عليه وآله حتى يستأذنه إكراماً له وكان يقعد بين يديه قعدة العبد - جبرئيل كان يأمر الأنبياء السابقين، أما حينما يأتي إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فهو يقعد بين يديه قعدة العبد، جبرئيل إنما سجد والملائكة كلهم سجدوا لآدم لأي شيء؟

لنورٍ من مُحَمَّدٍ شع في آدم، فكيف لا يقعد بين يدي مُحَمَّدٍ قعدة العبد صلى الله عليه وآله، أفيعقل أن يكون جبرئيل مُعَلِّماً للنبي صلى الله عليه وآله!! الرواية هنا عن عبيد بن زرارة عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد - يعني لم يكن الرسول هو جبرئيل - ذاك إذا تجلى الله له قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع - تلك النبوة هذه مرتبة النبوة، ليس النبوة في نزول جبرئيل، الإمام هنا يشير إلى هذه الحقيقة التي تحدثنا عنها سابقاً حين الحديث: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة. النبوة هي هذه وليس الحديث عن جبرئيل، النبوة حين يتجلى الله له - فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له ثم قال: تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع - النبوة هي هذه ليس النبوة بنزول جبرئيل، هذا لعامة الأنبياء، لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله النبوة هي هذه والوحي هو هذا، الوحي الذي أشارت إليه آيات سورة النجم كما مر علينا قبل قليل.

هذه الرواية في تفسير علي بن إبراهيم - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصف إسرافيل هذا حاجب الرب - إسرافيل - وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء - الكلام الذي أشار إليه الشيخ الصدوق قبل قليل - فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي - والله سبحانه وتعالى لا يتكلم باللفظ كما يقول أمير المؤمنين فإنه يقول ولا يلفظ - فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم ألقى إلينا - يعني إلى جبرئيل وإلى ملائكة الوحي ملائكة العلم النازل على الأنبياء - ثم ألقى إلينا نسعى به في السماوات

والأرض إنه لأدنى خلق الرحمن منه وبينه وبينه تسعون حجاً من نور يقطع دونها الأبصار ما يعد ولا يوصف واني لأقرب الخلق منه - في حال تلقي الوحي - وبينني وبينه مسيرة ألف عام، في قوله تعالى:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ - الرواية ينقلها علي بن إبراهيم - اللوح المحفوظ له طرفان

طرفاً على العرش وطرفاً على جبهة إسرافيل فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل عليه السلام - هذي نماذج من الروايات التي تحدّثت عن الوحي وتحدّثت عن ملائكة الوحي وبيّنت لنا صوراً في كيفية نزول الوحي على الأنبياء، وأنا قلت بأن كل مراتب الوحي التي كانت للأنبياء هي مجموعة لمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الوحي المُحمَّدي ولكن الوحي النبوي الخاص بمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله يختلف اختلافاً كاملاً.

أعظم سورة في القرآن الكريم تحدّثت عن حقيقة الوحي هي سورة التوحيد، سورة التوحيد تحدّثت عن معنى الوحي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذه السورة التي هي من مغالقات القرآن، هذه السورة التي لا تتمكن العقول من الإحاطة بمعرفتها، هذه السورة ربما يترأى لأي شخصٍ ينظر إلى هذه السورة فيظن أنه يعرف معناها، هذه السورة عميقة الدلالة، عميقة المعنى، بعيدة الغور عن عقولنا، طريفة أذكرها لأجل إشارة فيها لا لأجل طرفتها، يقولون في أحد المدن العراقية كان هناك إمام مسجد في أحد المساجد يأتي يصلي الجماعة ويخرج من دون أن يحدّث الناس بحدّث، في يوم من الأيام المصلون في المسجد قالوا: شيخنا أنت تأتي تصلي وما تحدّثنا، علّمنا شيء، اليوم الجمعة حدّثنا بشيء، قال: ما تريدون؟ قالوا: مثلاً سورة التوحيد نحن لا نعرف معناها، نقرأها في الصلاة دائماً ولا نعرف معناها، فسّر لنا معناها، صعد على المنبر والرجل قليل البضاعة، لو كان عنده شيء لتكلم، كما يقال لو كان لبان، فالرجل قليل البضاعة فصعد أضطر بسبب إلحاح المصلين، فبدأ يفسر سورة التوحيد قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هاي تعرفوها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ: قَوْلٌ، هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ: هو الله أحد، الله واحد، اللَّهُ الصَّمَدُ الله الصمد، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ: مبيّن، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ: ولم يكن له كفواً أحد.

فأنا أقول هو لا كما يقولون أنه فسر الماء بعد الجهد بالماء، هو أصلاً لم يفسر الماء بعد الجهد بالماء، هو هذه الحادثة ربما فيها شيء من الطرافة لكن هذي حقيقة، والرجل قليل البضاعة لكن حتى الذين يملكون البضاعة الوفيرة والكثيرة في علم اللغة في علم البلاغة في آراء المفسرين هذه السورة سورة مغلقة مستحكمة يصعب الولوج إليها، يصعب الدخول إليها، لذلك الرواية في الكافي الشريف في الجزء الأول - عن إمامنا زين العباد صلوات الله وسلامه عليه، يقول: عن عاصم بن حميد قال: قال: سئل علي بن الحسين

عليهما السلام عن التوحيد فقال: إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون - في آخر الزمان - فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ - يعني الآيات الأولى من سورة الحديد - فمن رام وراء ذلك فقد هلك - الإشارة الدقيقة هنا - إن الله سبحانه وتعالى عليم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - أنزلت هذه السورة للمتعمقين في آخر الزمان كي تكون حجةً وبرهاناً ودليلاً على عظمة هذا القرآن وعلى عظمة هذا الوحي وعلى أسراره وألغازه التي لا يصل إليها إلا مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ.

أنا فقط أشير إلى إشارة إلى أن هذه السورة وبالذات في الآية الأولى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإشارة هنا إلى مرتبة الوحي المُحَمَّدِي الأعظم، المرتبة الأعظم، ومرتبة الوحي الأعظم هذه هي التي كانت قبل الخلق، كان الله ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمة هذه الكلمة كانت نوراً وكانت روحاً ثم مزج بين النور والروح ومن ذلك النور اشتقت أنوار الموجودات، هذا الكلام قُل الخطاب لتلكم الحقيقة، وهذا الخطاب ليس خطاباً لفظياً كما مر علينا في قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ إنه يقول فلا يلفظ كما يقول سيد الأوصياء، ما هو بنداؤه مقروع ولا بصوتٍ مسموع، لا بنداؤه يقرع ولا بصوتٍ يسمع وإنما إذا أراد كان، هذه قُل وكُن بنفس المعنى بنفس المضمون، مر علينا فيما تقدم من الحلقات السابقة شيئاً من هذا المعنى.

هذي سطور من حديث طارق بن شهاب الذي يرويه عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء الخامس والعشرون من بحار الأنوار، يقول سيد الأوصياء وهو يتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، يتحدث عن الأئمة عن عليٍّ وولد عليٍّ: فهم سر الله المنخزون وأوليائه المقربون وأمره بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون - هذا تجلي أول، وهذا تجلي ثاني، أمره بين الكاف والنون مرتبة من مراتب التجليات، لا بل هم الكاف والنون هذا تجلٍ آخر - إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون علمُ الأنبياء في علمهم وسرُ الأوصياء في سرهم وعزُ الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر والسموات والأرض عند الإمام كيده من راحته - السماوات والأرض وهذا هو حقيقة الوحي - والسموات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برها من فاجرها ورطبها ويابسها لأن الله عليم نبيه علم ما كان وما يكون وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون - يا عليٍّ إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى - وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون ومن أنكرك ذلك فهو شقيٌّ ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون وكيف يفرض الله على عباده

طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض - هل هذا شيء منطقي - وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض، وإن الكلمة من آل مُحَمَّد تنصرف إلى سبعين وجهاً، وكل ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي لأنه جنب الله ووجه الله يعني حق الله وعلم الله وعين الله ويد الله، فهم الجنب العلي والوجه الرضي والمنهل الروي والصراط السوي والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه - هؤلاء هم آل مُحَمَّد - سرُّ الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسر الديان وكلمته وباب الإيمان وكعبته وحجة الله ومحجته وأعلام الهدى ورايته وفضل الله ورحمته وعين اليقين وحقيقته وصراط الحق وعصمته ومبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخزنة الوحي وحفظته وآية الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية - فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية أو قد تكون فهم الكواكب العلوية - فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المُحمّديه والأغصان النبوية النابتة في دوحة الأحمدية والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية والذرية الزكية والعتره الهاشمية الهادية المهديّة أولئك هم خير البرية - مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أعودُ إلى سورة التوحيد التي أنزلت للمتعمقين في آخر الزمان ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا ككلمة كُن التي هي المرتبة الأولى، الله سبحانه وتعالى لَمَّا تجلّى في النور الأول، ما هو هذا التجلي؟ هو هذا التجلي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تجلّى فيه الله سبحانه وتعالى فكان مُحَمَّدٌ كانت الحقيقة المُحمّديه هي المرآة التي تجلت فيها الأسماء الحسنی ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي كن مرآة في وجودك، وهذه المرآة تتجلى منها الأسماء الحسنی ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي أيتها الحقيقة المُحمّديه قولي أنظقي، ما هو هذا النطق؟ هذا نطق التجلي وليس نطق الألفاظ، ومن هنا كانت هذه السورة أنزلت للمتعمقين، هذي إشارة من بعيد، وإلا لست أنا من المتعمقين، ولا أدرك دلالات هذه السورة، نعم إذا أردت أن أتحدث عنها لغوياً أو ما قاله المفسرون والفلاسفة والمُتكلّمون فإني قادرٌ على بيان هذه المعاني لكن ليس هؤلاء هم المتعمقين، المتعمقون أناسٌ لهم أوصاف وحالات أخرى تحدثت الروايات والأدعية الشريفة عن أوصافهم، وهذه الأوصاف لا تنطبق عليّ ولا على أمثالي، لكن هناك إشارة واضحة من خلال الروايات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الكلام هنا عن النور الأول،

والنور الأول حيث تجلّى الله في ذلك النور، والعرش من نوري ونوري أفضل من العرش، لماذا؟ لأن العرش من نوري ونوري من نور الله، الله سبحانه وتعالى تجلّى في الحقيقة الأولى في النورية الأولى، قبل قليل مرت علينا الرواية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ قال: مثل نوره، نوره مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نوره الأول الذي أشرقت منه الأنوار ومنه تحقق الوجود هو نور الحقيقة المُحَمَّدية الله سبحانه وتعالى تجلّى في هذه الحقيقة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أي أيتها الحقيقة المُحَمَّدية تجلّى، تجلّى بأي شيء؟

بأسماء الله الحسنى، تجلّى بهذه الصورة، ولذلك في هذا الحديث الذي ورد - إن الله خلق آدم على صورته - والآدم هنا إشارة إلى الآدم الأول، والآدم الأول هو الحقيقة المُحَمَّدية - إن الله خلق آدم على صورته - المراد خلقه على صورته أي أن الله تجلّى فيه، الله سبحانه وتعالى كيف تجلّى فيه؟ تجلّت أنوار أسمائه الحسنى، ومن أنوار أسمائه الحسنى كانت الموجودات، تجلّت أنواره في الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة المُحَمَّدية بمثابة المرآة فهذه المرآة عكست أنوار الأسماء الحسنى فلمّا عكستها كان الوجود وكانت مراتب الوجود، بحسب انتمائها ورجوعها إلى الأسماء الحسنى التي أشرقت من مرآة الحقيقة المُحَمَّدية وهذا هو الوحي في مرتبته العليا، وهذا هو الوحي في درجته الأولى، وما كان من وحي في العالم الأرضي إنما هو مظاهر ومراتب للوحي تتناسب مع هذا العالم، لأجل هداية الناس، فتجلّى بكتابٍ وبأحكامٍ وبآياتٍ وبعلمٍ وبفكرٍ وغير ذلك ما يسمى بالوحي، فذلك هو الوحي في العالم الأرضي، وحتى الوحي في العالم الأرضي في مقامه السري غير هذا الوحي المكتوب، مرت علينا هذه الرواية وأظن أني قرأتها مرتين لأنها تتناسب مع المعاني التي مرت، وتتناسب مع هذا المعنى الذي بين أيدينا الآن، الرواية التي ينقلها شيخنا الطوسي عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه - عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيتُ عليٍّ وفاطمة حجرة رسول الله وسقف بيتهم عرشُ ربِّ العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة - معراج الوحي والملائكة هم هؤلاء مهبط الوحي، السلام عليكم يا مهبط الوحي، هو هذا الوحي الذي تشير إليه هذه الرواية - وفي قعر بيوتهم - بيوت عليٍّ وآل عليٍّ - فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين - طبعاً لكل مقام من المقامات وحيٌّ خاص، الوحي المُحَمَّدِي خاصٌ بِمُحَمَّدٍ ولكن هناك الوحي العلوي الفاطمي ولذلك هؤلاء الذين يستغربون ما جاء مثلاً في بعض الروايات وهذي مرتبة متدنية من مراتب الوحي، أن جبرئيل عليه السلام كان يأتي يؤنس فاطمة بعد شهادة رسول الله ورحيله عن هذا العالم فما كان يأتي به جبرئيل من علم كان يُكتب في كتابٍ سمي بعد ذلك بمصحف فاطمة، هذي مرتبة من مراتب الوحي وليس أعلى مراتب الوحي الفاطمي.

الوحي للنحل والوحي لأم موسى والوحي لمريم بنت عمران والوحي للحواريين هذا مقبول، لكن لَمَّا يكون الوحي لعلِّي، الوحي لعمر يُكلم وليس بنبي هذا مقبول، لكن لَمَّا يكون الوحي لعلِّي وفاطمة ليس مقبولاً، قطعاً هناك وحي خاص بالنبي وهو الوحي النبوي، لكل واحد مرتبة، ما كان خاصاً بالنبي لا يكون لغيره، كما مر في رواية الرمانتين أنه جاءه جبرئيل برمانتين أكل الأولى وقال هذه خاصة لي والثانية شطرها لكنه قال - يا علي إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى - كما مر في نهج البلاغة الشريف قبل قليل - وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً - الوحي ينزل عليهم صباحاً ومساءً وكل ساعة، هؤلاء هم مهبط الوحي هكذا نسلم عليهم:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ الثُّبُورَةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ - هؤلاء قيل لهم مهبط الوحي هكذا لا كما يقولون بعض الشراح بأنهم مهبط الوحي لأن النبي جدهم والوحي يهبط على النبي فقيل لهم يا مهبط الوحي، ما نضع بهذه النصوص الكثيرة من الروايات التي تتحدث عن هذه الدرجات من الوحي النازل إليهم - وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين - الرواية تريد أن تشير بأن الوحي ليس منقطعاً عنهم، أصلاً روحهم هي الوحي، روحهم هي الوحي فيما بينهم وبين الله، حياتهم هي هذه الصلة - إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل - والرواية هنا على سبيل التقريب، هم في كل حالاتهم، ومر علينا إن أمرهم حديثهم لا يحتمله لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون فكيف بحالاتهم هم، هذي الروايات تأتي بلسان الإشارة لا بلسان التفصيل، بلسان الإجمال ولسان الإشارة - تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين والملائكة لا ينقطع فوجهم فوج ينزل وفوج يصعد - الملائكة تنزل إليهم تستفيض منهم - وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وفاطمة - الإتيان بمثال إبراهيم لتقريب المعنى وإلا الفارق بين منزلة إبراهيم وبين منازلهم لا يُعدُّ ولا يحصى - وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ - الروايات تقول بأن إبراهيم آخر لحظة من لحظات حياته لَمَّا جاء ملك الموت كي يقبض روحه ماذا طلب من ملك الموت؟

أن يمهله كي يسجد سجدة الشكر تشبهاً بشيعة علي، الروايات هكذا تقول عندنا فإبراهيم في آخر لحظة من لحظات حياته، ملك الموت قبضه وهو يتشبه بشيعة علي ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ الروايات تقول: وإن من شيعة علي لإبراهيم، وفي تفسير هذه الآية وردت هذه الرواية التي تقول بأن إبراهيم آخر لحظة من

لحظات حياته سجد متشبهاً بشيعة علي ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ هذي أعلى مرتبة بلغ إليها إبراهيم، ولكن المرتبة التي من حيث هو، هو، من حيث هو أبو التوحيد، لا من حيث نحن الذين ندعي حبهم وندعي متابعتهم هكذا من اللسان فحسب وشيء يمازج القلوب من عاطفة أو حب من دون معرفة أو من دون يقين، وما نملكه إلا هو بحدود المعرفة الأطفالية، حينما أقول المعرفة الأطفالية يقصد منها أن هذا الطفل الذي ترضعه أمه لا يعرف ما معنى الأم ولا يعرف منزلة الأم ولكن شيئاً فشيئاً يتعلم أن لفظة ماما لفظة أم تدل على هذا الكائن الذي يرضعه الحليب، فكلما سمع هذه الكلمة عرف بأن هذا الكائن الذي يطعمه ويحرص عليه ويحنو عليه هو هذا الكائن اسمه أم، نحن هكذا معرفتنا، هذا الحد من معرفتنا، كل هذا الذي أقوله ويقوله غيري إنما هو في درجة المعرفة الأطفالية.

معرفة اليقين ومعرفة الحقائق تلك خاصة بالأنبياء، كما قال صادق العترة: **العبرة للعوام** - ونحن نسبح في بحر العبرة - **والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء** - فأين نحن من الحقائق وأين نحن من اللطائف وأين نحن حتى من الإشارة، نحن نسبح في بحر العبرة ونغطس فيها فتلك هي المعرفة الأطفالية التي أشير إليها، كمعرفة هذا الطفل من خلال هذا اللفظ بهذا الكائن الذي يطعمه ويسقيه - وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش فيوتهم مسقفةً بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح - الروح الذي هو أعظم من الملائكة - فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيتٍ من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة، لقول الله عز وجل: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ﴾ قال: قلت من كل أمرٍ، قال: بكل أمرٍ، فقلت: هذا التنزيل، قال: نعم - فالوحي نازلٌ عليهم صباح مساء وفي كل ساعة وفي كل طرفة عين، فروحهم هي الوحي، اتصاهم بالله هو هذا الوحي، وتلكم هي أعلى مراتب الوحي.

إلى هذا كانت الإشارة في دعاء ليلة المبعث ونحن نقرأ: اللهم إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المُعظم. التجلي الأعظم هو هذا المعنى الذي مرت الإشارة إليه، هذا التجلي الأعظم هو التجلي الأول، لكنه تجلى في ليلة البعث، تجلى بحسب ما يتناسب مع العالم الأرضي بحدود العالم الأرضي بحدود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في العالم الأرضي، وإلا التجلي الأعظم هو التجلي الأول، حين تجلى الله سبحانه وتعالى إلى الحقيقة المُحمّدية فسطعت أنواره الحسنى أنوار أسمائه الحسنى في تلكم الحقيقة ومنها انعكست إلى الوجود، فكانت كل الموجودات من أنوار الحقيقة المُحمّدية التي هي مرآة لتلكم الحقيقة، ولكن لهذه الحقيقة هناك تجلي أعظم هذا التجلي الذي يتناسب مع العالم الأرضي في مُحَمَّدٍ

الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى هذا أيضاً الإشارة فيما جاء في الدعاء المروي عن إمامنا الحجة صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعٍ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وَلاةَ أَمْرِكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ الْوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ الْمَعْلُونُونَ لِعَظَمَتِكَ أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيئَتِكَ فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ وَأَيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مِنْ عَرَفِكَ لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنِهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ. لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنِهَا - إِنْ لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٌ لَا يَسْعُنَا فِيهَا لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ - لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنِهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذه الحقيقة المُحَمَّدِيَّة تَجَلَّى فِيهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَكَانَتْ لَا فَرْقَ بَيْنِهَا وَبَيْنَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ؟ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى فِيهَا، كَانَتْ هِيَ الْمَرَاةَ، إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ، خَلَقَ آدَمَ الْأَوَّلَ، الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الْأُولَى عَلَى صَوْرَتِهِ، تَجَلَّتِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فِيهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ هِيَ فِي مَقَامِ الْعِبُودِيَّةِ الْأَسْمَى، وَلَا يَوْجَدُ هُنَاكَ عَبْدٌ حَقِيقِي كَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الْعِبُودِيَّةُ الْعَلِيَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَالْعِبُودِيَّةُ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي الْأَرْضِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهَا هِيَ فِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أَيُّهَا الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ أَنْطَقِي كَيْفَ تَنْطَقُ؟

تنطق بالتجلي، لا تنطق باللفظ، لأن الله تجلى فيها، حينما نقول عن الإمام المعصوم بأنه وجه الله، بأنه يد الله، بأنه عين الله، بأنه جنب الله، هذا جانب، جهة من التجلي الذي يتناسب مع العالم الأرضي مع هذا العالم المحدود، أما الحقيقة المُحَمَّدِيَّة التي هي فوق هذه العوالم المحدودة فإن التجلي فيها يكون بحسبها، بحسب سعتها، وستأتينا بعض الروايات في العناوين الأخرى من عناوين الزيارة الجامعة نتحدث عن مثل هذه المضامين وعن غير هذه المضامين، المطلوب بحاجة إلى بيانٍ وتفصيلٍ أكثر لكن الوقت يجري سريعاً وقد مرَّ قسطٌ كبير من الوقت، يعني تجاوزت الوقت المعهود للبرنامج وبقيت هناك بقية الحقيقة هناك روايات أخرى آيات أخرى أيضاً وهذه السورة سورة التوحيد تحتاج إلى وقفة طويلة بحسب ما نعرف لا بحسب حقيقتها التي أنزلت للمتعمقين في آخر الزمان.

الخلاصة التي نصل إليها: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ - أَنَّهُمْ مَهْبِطُ الْوَحْيِ لَكِنَّ لَا بِهَذِهِ الْمَعَانِي السَّادِجَةِ الَّتِي تُحَدَّدُ فِيهَا مَرَاتِبُ النَّبُوَّةِ وَتُحَدَّدُ فِيهَا مَرَاتِبُ الْإِمَامَةِ وَتُحَدَّدُ فِيهَا مَقَامَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، مَقَامَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَقَامَاتٌ لَا حُدُودَ لَهَا وَمَقَامَاتُ النَّبُوَّةِ مَقَامَاتٌ لَا حُدُودَ لَهَا أَيْضاً، وَلرَبِّمَا رَوَايَةُ الرَّمَانَتَيْنِ هِيَ أَفْضَلُ إِشَارَةٌ رَمْزِيَّةٌ رَمَانَةُ النَّبُوَّةِ خَاصَّةً بِمُحَمَّدٍ وَرَمَانَةُ الْعِلْمِ فَهَمَّ شُرَكَاءُ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي رَمَانَةِ الْعِلْمِ، وَفِي

الحقيقة المُحَمَّدِيَّة كان النور الأول من هو؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ امْتَزَجَ بِالرُّوحِ وَمِنْ هُنَاكَ اشْتَقَّتْ
 الْأَنْوَارُ الْأُخْرَى مِنْ نُورِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَهُ السَّابِقِيَّةُ، لَهُ الْأَوْلِيَّةُ، لَهُ الْكَمَالُ، لَهُ التَّمَامُ وَهُمْ يَتَفَرَعُونَ
 عَنْهُ، فَهَمُّ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَهُمْ مَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَهُمْ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ مَهْبِطُ الْوَحْيِ - يَا عَلِيُّ إِنَّكَ
 تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى - وَأُظَنُّ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ كَافِيَةٌ لِبَيَانِ الْمَقْصُودِ، وَهَذِهِ تَصَدَّقُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ
 مَرَاتِبِ الْوُجُودِ، فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ فِي الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ وَفِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى أَيْضاً، وَمَرَّتْ عَلَيْنَا
 الرِّوَايَاتُ إِنَّ عَلِيّاً كَانَ فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى، وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ عَلِيّاً فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى مَرَّتَ عَلَيْنَا الرِّوَايَاتُ، فَعَلِيٌّ
 يَسْمَعُ حَيْثُ يَسْمَعُ مُحَمَّدٌ وَيَرَى حَيْثُ يَرَى مُحَمَّدٌ وَهَذَا لِكُلِّهِمْ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا صَلَوَاتُ
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَالْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ يَرَى مَا يَرَى مُحَمَّدٌ وَيَسْمَعُ مَا يَسْمَعُ مُحَمَّدٌ وَيَشْمُ مَا يَشْمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَكَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ مَهْبِطَ الْوَحْيِ كَانُوا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَيْضاً وَكَانَ إِمَامُ زَمَانِنَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ
 وَلَا زَالَ إِمَامُ زَمَانِنَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ، إِمَامُ زَمَانِنَا هُوَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ كَذَلِكَ مَهْبِطَ الْوَحْيِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ مَا لِمُحَمَّدٍ لِمُحَمَّدٍ وَمَا لِعَلِيِّ لِعَلِيِّ، لَا بَدَّ حِينَ نَتَنَاوَلُ الْمَطَالِبَ الْمَعْرِفِيَّةَ الْعَمِيقَةَ أَنْ نَلْتَزِمَ
 بِقَاعِدَةٍ نُورِيَّةٍ مَهْمَةٌ جَدّاً وَقَاعِدَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مَا تَسْمَى بِقَاعِدَةِ حِفْظِ الْمَقَامَاتِ وَبِقَاعِدَةِ تَعَدُّدِ الْحَيْثِيَّاتِ، لَمَّا
 نَتَحَدَّثُ فَإِنَّا نَتَحَدَّثُ فِي كُلِّ جِهَةٍ عَنْ حَيْثِيَّةٍ مَعِينَةٍ مَعَ حِفْظِ الْمَقَامَاتِ، لِكُلِّ مَقَامٍ خُصُوصِيَّاتِهِ وَشُؤُونَاتِهِ،
 وَإِلَّا إِذَا لَمْ نَرَاعِ تَعَدُّدَ الْحَيْثِيَّاتِ وَحِفْظَ الْمَقَامَاتِ فَإِنَّا سَنَقْعُ فِي خَلْطٍ وَخَبْطٍ وَسَيَكُونُ الْكَلَامُ حَيْثُئِذٍ كَلَامٌ
 أَهْوَجُ لَا مَعْنَى لَهُ، حَيْثُئِذٍ سَتَتَكَسَّرُ الْحُدُودُ وَتَتَقَطَّعُ الْأَوْصَالُ، لَكِنَّا دَائِماً سَنَبْقَى نَتَحَدَّثُ فِي ضَمَنِ إِطَارَيْنِ
 فِي إِطَارِ التَّوْحِيدِ وَالْوَلَايَةِ، حَدِيثِنَا فِي هَذَيْنِ الْإِطَارَيْنِ: التَّوْحِيدِ إِطَارِ وَالْوَلَايَةِ إِطَارِ، وَمَا كَانَ لِلتَّوْحِيدِ فَهُوَ
 لِلتَّوْحِيدِ وَمَا كَانَ لِلْوَلَايَةِ فَهُوَ لِلْوَلَايَةِ، وَمَا تَحَدَّثْنَا عَنْ قَوْلِ الدَّعَاءِ: لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا. فَهَذَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ
 وَمَعَ حِفْظِ الْمَقَامَاتِ كَمَا قَالَ الدَّعَاءُ: إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ.

فَهُنَاكَ تَعَدُّدُ الْحَيْثِيَّاتِ، الْجِهَةُ الَّتِي يُنْظَرُ إِلَيْهَا وَيُنْظَرُ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى الْمَفْهُومِ وَإِلَى الْمَعْنَى، وَهُنَاكَ كَذَلِكَ حِفْظُ
 الْمَقَامَاتِ فَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مَقَامُهَا، كَمَا يَقَالُ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، أَلَيْسَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَامٌ الْفَرْحُ لَهُ مَقَالٌ
 وَمَقَامُ الْحَزْنِ لَهُ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، فِي عَالَمِ الْحَقَائِقِ لِكُلِّ مَقَامٍ شُؤُونَاتُهُ وَخُصَائِصُهُ، لِكُلِّ مَقَامٍ وَصْفٌ
 يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَى الْمَقَامِ الْآخَرَ إِذَا تَسَرَّبَ إِلَى الْمَقَامِ الْآخَرَ أَخْتَلَطَتِ الْمَقَامَاتُ فَصَارَ الْخَبْطُ
 وَالخَلْطُ، وَهَذَا مَا يَوْقَعُنَا فِي الضَّلَالَةِ وَيَوْقَعُنَا فِي الْحِمَاقَةِ وَيَوْقَعُنَا فِي كُلِّ الشُّرُورِ، دَائِماً نَبْقَى نَلْتَزِمُ بِهَاتَيْنِ
 الْقَاعِدَتَيْنِ: تَعَدُّدَ الْحَيْثِيَّاتِ وَحِفْظَ الْمَقَامَاتِ، فَلِكُلِّ مَقَامٍ شَأْنُهُ الْخَاصُّ بِهِ، التَّوْحِيدِ مَقَامٌ، وَالْوَلَايَةِ مَقَامٌ،
 وَالْوَلَايَةِ عَلَى مَقَامِينَ النَّبُوَّةِ مَقَامٌ وَالْإِمَامَةِ مَقَامٌ.

نحن عندنا مقامان رئيسان: التوحيد الولاية، الولاية.

تتفرغ إلى مقامين: النبوة والإمامة.

كل مقام من هذه المقامات له خصوصياته، وحينما نتحدث عن تلاقٍ بين هذه المقامات فهو من حيثية ما مع حفظ كل خصوصيات مقام لعينه ولذاته من دون أن تتسرب مواصفات المقام الأول إلى المقام الثاني، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين نخاطبهم:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ.

والسلام عليكم أنتم يا شيعتهم ويا أحبابهم ويا زوارهم ورحمة الله وبركاته

أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الثامنة

معنى وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ

السلام عليكم جميعا يا مُجِبِي مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وأعاد الله عليكم هذه الأيام وعلى عوائلكم الكريمة باليُمن والبركة والخير والسعادة، هذه الحلقة الثامنة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة حديث مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حديث المحبة، حديث الطهارة والنقاء، حديث الحق، حديث النجاة في الدنيا والآخرة، تعالوا بنا لنركب في هذه السفينة في سفينة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، برنامجنا يتواصل معكم وإن شاء الله في شهر رمضان المبارك ونحن على أبوابه، هذا الشهر الذي ينتظره المؤمنون من السنة إلى السنة، شهر رمضان شهر مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم، نحن إن شاء الله سنتواصل معكم أنا وإخوتي عبر قناة المودة الفضائية وبالنسبة لبرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون بين ليلة وليلة، سنقسم ليالي شهر رمضان في ليلة يكون البرنامج هو برنامج قرآنا وفي الليلة الأخرى يكون البرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، نبقى تنفياً في ليالي وأيام شهر رمضان، تنفياً في ظلال الكتاب والعترة، فيوم للقرآن ويوم للعترة، يوم يُطل عليكم برنامج قرآنا ويوم يُطل عليكم برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، وهناك برامج أخرى سيتم الإعلان عنها إن شاء الله في وقتها، ولكن بالنسبة لبرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون بين ليلة وليلة حتى نتتمكن أن نتناول أكثر قدرٍ من المعاني ومن المضامين التي حوتها هذه الزيارة الشريفة.

أما حلقتنا لهذا اليوم فقد وصلنا إلى قوله عليه السلام وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه، وصلنا في الزيارة الشريفة: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ** - آخر حديث كان عند هذا العنوان - **وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ** - حديثنا اليوم عند هذا العنوان: **مَعْدِنَ الرَّحْمَةِ**.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - معدن الرحمة أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، المعدن في لغة العرب تعني مكان الإقامة والمُكوث، تعني مكان الإستقرار، ومعدن قد يكون اسم مكان وربما كان

مصدرًا أيضاً ولا أريد الدخول في التفاصيل، عَدَنَ في لغة العرب يعني أقامَ طويلاً، ولذلك جاء التعبير القرآني عن جنات الخلود بأنها جنات عدن، جنات عدن يعني المكان الذي يكون الخلود فيه صفة ثابتة، جنات عدن يعني جنات البقاء يعني جنات الخلود، عَدَنَ في المكان يعني أقام فيه وبقي فيه ولبث في المكان، فيقال معدن يقال معدن الذهب مثلاً، أو يقال معدن الفضة، يعني المكان أو الحجر أو المركز أو المقر الذي يتواجد فيه الذهب بكثرة، يقال هذا معدن الذهب، هذه الأرض معدن الذهب، يعني في هذه الأرض توجد كميات كبيرة من الذهب، والذهب قد استقر في هذه الأرض، نقطع قسماً من أحجار الأرض ومن صخورها فنقول في هذه الأحجار في هذه الصخور يوجد ذهب كثير، يوجد حديد كثير، يُعبّر عن ذلك بأن هذه الأحجار هذه الصخور معدن الذهب معدن الحديد وهكذا، المعدن المكان الذي يتواجد فيه الشيء سواء كان هذا الشيء إنساناً، حيواناً، جماداً، أي شيء.

معدن الرحمة، معدن الرحمة أي أنهم المكان أو الجهة أو المقام أو الرتبة أو الكائنات التي حلت فيها الرحمة حلولاً ثابتاً حلولاً دائماً، الرحمة ما المراد من الرحمة؟ الرحمة بالنسبة للإنسان هو شعور والشعور الإنساني هو إنفعال، بالنسبة لله سبحانه وتعالى وبالنسبة للعقول القادسة الأولى لا يوجد في تلكم العوالم انفعال لا يوجد في الذات الآلية انفعال ولا حتى في العوالم العقلية القادسة الأولى لا يوجد هنالك انفعال، لأن العوالم القادسة عوالم العقول الأولى، عالم الحقيقة المُحمّدية، عالم الاسم الأعظم، عالم الفيض الأقدس سمي ما شئت من العبارات من المصطلحات، عالم النور الأول، عالم الماء الأول، كل هذه عناوين للحقيقة التي كانت مرآة تجلّي الله فيها، في علوم الميكانيك هكذا يقولون، يقولون بأن أعظم اختراع في تاريخ البشرية هو اختراع العجلة، يقولون هكذا بأن أعظم اختراع هو اختراع العجلة لماذا؟ لأن اختراع العجلة هو بداية الحركة على الأرض، بداية الحركة الصناعية شيء صنعه الإنسان وهو يتحرك، هذه الحركة الصناعية هي كانت أساساً وكانت أمماً ومنشئاً لسائر الصناعات الأخرى وكانت منشئاً وأساساً لكل هذه التقنيات الهائلة التي وصل إليها الإنسان، فيقال بأن أعظم اختراع هو العجلة أصحاب المعارف الإلهية وأصحاب العلوم العميقة يقولون بأن أعظم اختراع اخترعه الإنسان وصل إليه الإنسان هو المرآة لماذا؟ لأنهم من خلال المرآة وبواسطة المرآة يستطيعون أن يجعلوا منها مثلاً لكثير من الحقائق وخصوصاً لأعظم حقيقة في هذا الوجود، أعظم حقيقة في هذا الوجود ترتبط بنا نحن الموجودات حقيقة تجلّي الله سبحانه وتعالى في النور الأول، أفضل مثال يمكن أن يقرب لنا المعنى هو المرآة، المرآة حينما يقف الإنسان أمامها تتجلّى صورته في هذه المرآة، لكن لا يعني أن هذه الصورة هي نفس الإنسان، هذه صورة الإنسان.

الحقيقة المُحمّدية هي المرآة التي تجلّي الله فيها، الحقيقة المُحمّدية ليست هي الله وإنما هي مرآة تجلّي الله فيها، أنا حينما أقف أمام المرآة وأنت حينما تقف أمام المرآة هناك صورة موجودة في هذه المرآة، هذه

الصورة تماثل الحقيقة لكن ليست هي الحقيقة، كذلك الحقيقة المُحمّدية، النور الأول إنه مرآة، الحقيقة المُحمّدية هي مرآة، نفس المرآة هي نفس التجلي، الأمثلة طبعا تقرب من وجه وتُبعد من وجه، الأمثلة الحسية إذا أردنا أن نأتي بها لتوضيح المعاني العميقة، المعاني الغائرة في العمق في البعد المعرفي بعيداً عن الحواس، تكون الأمثلة الحسية مقربة من وجه ومبعدة من وجه آخر، الفلسفة وهي في عمقها دون علوم المعارف الإلهية العميقة، الدارسون للفلسفة في بداية الأمر الأساتذة حين يدرسون الفلسفة يقربون المعاني بأمثلة حسية، ولكن بعد ذلك حين يتمرن ذهن الطالب على الدراسة الفلسفية لا يؤتى له بالأمثلة، لأن التفكير وفقاً للأمثلة المادية يسيء إلى أصل الفكرة، فالأمثلة تُقرب من وجه وتبعد من وجه آخر، إنما يؤتى بالأمثلة لغير المختصين، وإلا الذين تعودت أذهانهم على التفكير الفلسفي وعلى إحضار الصور المُجردة في ذهن البشري لتتبع المعلومات ولتصور المعلومات فهم لا يحتاجون إلى الأمثلة بل يجدون أن الأمثلة تُبعد المعاني عن مركزها الصحيح وتخرج الحقائق عن مقاماتها وعن مراتبها، لكننا نحتاج إلى بعض الأمثلة لتقريب المعاني وهي في نفس الوقت تبعد المعاني.

لَمَّا جئت بمثال المرآة أنا حين أقف أمام المرآة أمامي مرآة وصورة، لكن حين أتحدث عن الحقيقة المُحمّدية فالحقيقة المُحمّدية هي المرآة وهي الصورة في نفس الوقت، أنا حين أقف أمام المرآة الحسية في حياتي اليومية هناك مرآة وصورة ولكنني حينما أطيل النظر إلى صورتي في المرآة أغفل عن المرآة حتى يمكن أن يقال بأن المرآة فنت في الصورة، فكأن الذي أمامي صورة وليس مرآة فيها صورة، لأن عقلي وحواسي تغفل عن المرآة يبقى نظري منشداً إلى الصورة، هذا في العالم الحسي، أما في العوالم الأولى المُجردة عن مثل هذه المعاني الناقصة والمعاني المقيدة فالحقيقة المُحمّدية هي المرآة وهي الصورة التي تجلت في المرآة، ومن هنا قال الحكماء، العرفاء قالوا بأنه من أعظم الاختراعات التي اخترعها الإنسان المرآة لأنها تعين الإنسان على فهم الحقيقة العظمى في هذا الوجود وهي حقيقة التجلي، التجلي الإلهي في النور الاول، فهم معدن الرحمة، هم معدن الرحمة يعني هم الجهة والمقام والمجلى والمرآة التي شعت فيها الرحمة وتجلت فيها الرحمة، هم معدن الرحمة، هم المكان الذي والجهة التي والمرآة التي سطعت فيها حقيقة الرحمن، كما قلت قبل قليل بأن الرحمة بالنسبة لعامة الخلق هو شعور وهذا الشعور عبارة عن انفعال، انفعال القلب البشري بأي شيء؟ انفعال القلب البشري لنقص يراه في غيره فيحاول الإنسان مندفعاً لإكمال ذلك النقص، حينما يرى الإنسان محتاجاً وحاجته بشكل مؤثر في القلب فإن القلب بسبب استشعاره للنقص في هذا المحتاج سيلم به شعور الإنكسار الذي يدفع الإنسان لإتمام نقص هذا المحتاج لقضاء حاجته وهذا هو الرحمة، قد يكون هذا المحتاج ابناً، طفلاً، زوجةً، أباً، صديقاً، جاراً أو غريباً أصلاً، وقد تكون الرحمة باتجاه حيوان أو باتجاه نبات أو باتجاه أي شيء آخر، الرحمة بالنسبة للإنسان شعور وحقيقة هذا الشعور هو انفعال قلبي ينبعث في

القلب بسبب استشعار الإنسان لنقص في من يريد أن يرحمه، فهو يحاول بذلك أن يتم النقص الموجود في ذلك الإنسان الذي عطف عليه أو أراد أن يصب رحمته عليه، بالنسبة لله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون هذا المعنى فهو منزه عن الانفعال، منزه عن المشاعر، لماذا هو منزه عن المشاعر؟ لأن المشاعر انفعال والذات الإلهية منزهة عن الانفعال، الذات الإلهية ذات فاعلة لا يوجد فيها انفعال، والحقائق القادسة الأولى أيضاً هي منزهة عن الانفعال - لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك - جهة الانفعال فيها فقط أنهم عبيد لله، الحقائق القادسة الأولى هي من وجهتها باتجاه الخلق هي فاعلة، هي مؤثرة فقط، ومن وجهتها باتجاه الله سبحانه وتعالى فهي منفعة لأنها في مقام العبودية الكاملة - لا فرق بينك وبينها - هذه الجهة من جهة الخلق - إلا أنهم عبادك - هذه الجهة من جهة الله سبحانه وتعالى، هذا الكلام في عالم الحقائق القادسة الأولى، في النور الأول الذي أشرق منه كل شيء، النصوص واضحة في أن كل شيء أشرق من أنوارهم والحديث في تلك المرحلة.

هم معدن الرحمة، أهل البيت معدن الرحمة في الحقائق القادسة الأولى وفي ما بعد ذلك من العوالم، في عالم الحجب، في عالم العرش، في عالم الكرسي، في السماوات السبع وفي الأرضين، في كل طبقة من طبقات هذا الوجود هم معدن الرحمة، هذا هو المعنى الإجمالي لمعدن الرحمة، هذا هو المعنى الذي جمعت فيه بين جناحين، بين الجناح اللغوي، المعنى اللغوي وبين الجناح المعرفي المستند إلى المعاني المستقاة من حديث الكتاب ومن حديث العترة، هذا الشيء المُجمل وسندخل في التفاصيل، فهم معدن الرحمة، الرحمة هي التي تجلّت فيهم ثم تجلت منهم فكانت الخلائق، فأنا موجود بالرحمة، وأنت موجود بالرحمة، وهكذا كل موجود إنما هو موجود بالرحمة، ولذلك رحمتي سبقت غضبي، مر الكلام فيما سلف من أن الكتاب التدويني وهو القرآن الكريم إنما هو صورة رمزية للكتاب التكويني وهو الوجود، أول آية في الكتاب الكريم، أول آية حين نفتح قرآنا أيّة آية تواجهنا؟ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه أول آية في كتاب الله العزيز، في أول سورة اسمها الفاتحة، يعني من هنا نفتح الكتاب التدويني، الفاتحة منها نفتح الكتاب التدويني وأول شيء في هذه الفاتحة هي الآية الكريمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه الآية المشتملة على هذين الوصفين: الرَّحْمَنِ ، الرَّحِيمِ. ونحن نتحدث عن معدن الرحمة والرحمة لها مقامان:

مقام الرحمانية ومقام الرحيمية، وهم معدن الرحمة، معدن المرتبة التي تستقر فيها الرحمة بكاملها بكل مراتبها بكل مجالها، مجالي هذه الرحمة الآية تشير إليها هناك رحمة رحمانية وهناك رحمة رحيمية وهي أول آية من آيات الكتاب الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كلمة نرددها على ألسنتنا لكننا لانعرف حقيقتها وأقول

هذه الكلمة ليس من قبيل التعبير الأدبي لأجل تعظيم القرآن، لأن هذا الكلام يمكن أن يقوله كل أحد لتعظيم أي شخص، شخص يموت أي واحد يقوم لتأبينه يقول بأني عاجز عن ذكر مناقبه وفضائله وهذا كلام أدبي لا قيمة له، لأن أي شخص مهما بلغ إذا أردنا ان نعد مساوئه فإن مساوئه ستكون أكثر من محاسنه، مادام هذا الإنسان ليس معصوماً فإن مساويء غير المعصوم أكثر من محاسنه أيًا كان هذا الإنسان، وهذا هو لسان الأدعية، حينما نقرأ أدعية أهل البيت، هذه الأدعية إما أن تكون تتكلم عن واقع وعن حقيقة وإما هي مجرد كلام ولقلقة لسانية، حينما نقرأ الأدعية نجد أن هذه الأدعية تخبرنا بأن المساويء الموجودة عندنا هي أكثر من المحاسن.

في دعاء أبي حمزة الثمالي رضوان الله تعالى عليه المروي عن إمامنا السجاد عبارة واحدة قصيرة - خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح - هذه الحالة حالة مستمرة ليل نهار في اليقظة وفي المنام، لأن العمل القبيح ليس فقط هو الذي يقع في دائرة المحرم أو في دائرة المكروه، العمل القبيح حتى العمل الصالح إذا لم يأتي على الشرائط الكاملة سيكون قبيحاً، يعني الآن الإنسان حينما مثلاً يقوم ببناء بيت إذا لم يبني هذا البيت على أصوله سيكون هذا البناء قبيحاً وسيكون هذا البناء فيه من العيوب وفيه من المشاكل التي سيعاني منها الساكن الذي سيسكن في هذا البناء، وهكذا في كل شيء، الخياط الذي يخيط ثوباً إذا لم يحسن الخياطة ويأتي بها على أصولها فسيكون هذا الثوب قبيحاً، لم تكن نيته أن يأتي بعمل قبيح وكل نيته أن يأتي بعمل حسن ولكنه ما أحسن العمل - ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح - ولم يزل ولا يزال، على أي حال ليس الكلام هنا في هذه التفاصيل، لكنني حين أقول بأننا نعجز عن فهم هذه الآية فذلك ليس من قبيل الإنشاء وإنما من قبيل الحقيقة الناصعة الواضحة، في سورة الحجر المباركة وفي الآية السابعة والثمانين القرآن يخاطب رسول الله وكل الخطابات الموجودة في القرآن لرسول الله هي موجهة لكل من يرتبط بهذا القرآن، ولكن بدرجة من الدرجات، بنحو من الأنحاء، ماذا تقول الآية السابعة والثمانون من سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الآية هنا ذكرت شيئين نزلا على رسول الله سبعا من المثاني هذا في كفة وهذا أولاً جاء مذكوراً، والقرآن العظيم في كفة ثانية كأنه هناك مساواة بل إن السبع المثاني قُدمت على القرآن ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ السبع من المثاني واضح في العديد من كلمات أهل البيت هي الفاتحة، أنا هنا لا أريد أن أفسر هذه الآية، في وجه من وجوه الآية سبعا يعني الآيات السبعة والمثاني لأنها تكرر في كل صلاة مرتين، أو لأنها نزلت مرتين فإن الفاتحة نزلت في مكة ونزلت في المدينة، وهناك من يقول بأنها نزلت

قبل البعثة وبعد البعثة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب هذا قانون لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فكيف كان يصلي، لا بد أن يصلي بفاتحة الكتاب وإن كان مقام رسول الله صلى الله عليه وآله أوسع وأعمق من هذا ومرّ الكلام فيما سلف من أحاديثي السابقة في القرآن الكريم ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وأشارت إلى أن القرآن بجملته وبتفاصيله في قلب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، على أي حال، أعود إلى الجهة التي أريد الكلام عنها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني أن الفاتحة جعلت في كفة والقرآن بكله جعل في كفة، السبع المثاني هي الفاتحة الآية صريحة في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وتاج هذه السبع المثاني هي البسمة وأول آية في هذه السبع المثاني هي البسمة. فقط اقتطف بعضاً من الأحاديث ومن الروايات التي تحدثت عن جوانب من البسمة. الرواية منقولة عن الشيخ الطوسي عن كتابه التهذيب وهو أحد الأصول الأربعة المعروفة - عن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمَامَنَا الصَّادِقَ عَنِ السَّبْعِ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ - عَنِ الْآيَةِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا قَبْلَ قَلِيلٍ - أَهِيَ الْفَاتِحَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ السَّبْعِ؟ قَالَ: نَعَمْ هِيَ أَفْضَلُهُنَّ - هِيَ أَفْضَلُ السَّبْعِ الْمَثَانِي.

رواية ثانية عن عبد الله بن يحيى الكاهلي - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها - وطبعاً هنا أنا لا أريد الحديث عن معنى الاسم الأعظم يأتي إن شاء الله في الحلقات القادمة ونحدث عن معنى الاسم الأعظم، وربما نشير إلى هذه الرواية أيضاً، موطن الحاجة هنا أولاً من خلال هذه الروايات تتبين لنا أهمية البسمة، وإنما تظهر أهمية المسألة لأي شيء؟ لمحتواها، أي مسألة تظهر أهميتها لعظمة محتواها، حينما يتحدث القرآن عن السبع المثاني ويجعلها عدلاً للقرآن ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وحينما يقول الإمام بأن البسمة هي أفضل السبع المثاني إلى أي شيء يشير ذلك؟ يشير ذلك إلى أهمية مضمونها، إلى أهمية محتواها، إلى أهمية دلالتها، ولذلك الرواية تقول: أقرب، البسمة، إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، كم هي المسافة، ناظر العين يعني السواد، ناظر العين هو سواد العين، وعندنا روايات أخرى تصرح أن البسمة أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها، فناظر العين المراد هو سواد العين، هل هناك مسافة موجودة بين السواد والبياض؟ سواد العين وبياض العين هو في أفق واحد، لا توجد هناك مسافة وتبعد بين السواد والبياض، فهذه البسمة قريبة إلى اسم الله الأعظم أكثر من قرب سواد العين إلى بياضها، أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، أقرب من ذلك، هذا يعني أنها هي الاسم الأعظم ولكن بوجه من

الوجوه، أنا قلت في المعارف الإلهية لا بد أن نحافظ على الحثيات وأن نحافظ على المقامات، قاعدة حفظ المقامات في المعارف الإلهية في المطالب الحكمية هي القاعدة الذهبية الأولى وإلا من دونها يكون هناك خلط وخبط، ومن هنا جاء التأكيد في روايات أهل البيت على البسملة وجعلت الروايات الإجماع والجهر بالبسملة شعاراً من شعارات محبي أهل البيت وعلامة من علائم محبيهم، القضية ليست سياسية والقضية ليست إجتماعية وليست عناداً أو خلافاً على أحد، وإنما الحقيقة كذلك، أولئك المخالفون هم أرادوا أن يطمسوا هذه الحقيقة، رواية جميلة للفائدة أذكرها، الرواية عن إمامنا الصادق مروية في تفسير العياشي الإمام يقول: إذا أمَّ الرجل القوم - يعني في صلاة الجماعة - إذا أمَّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب إلى الإمام - لأنه مذكور في الروايات بأن الإنسان دائماً هناك من وكلاء إبليس من شياطين الجن من هو قريب منه، هذا المعنى موجود - إذا أمَّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب إلى الإمام فيقول: - هذا الشيطان الآتي يسأل الشيطان الذي كان موجوداً قبل أن يأتي هو - يسأله: هل ذكر الله - هو في صلاة ما مراد هل ذكر الله؟ الإمام يقول - يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم - لأن القوم لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم، مباشرة يبدءون الحمد لله رب العالمين بعد تكبيرة الإحرام، فهذا الشيطان الآتي يسأل الشيطان الأول - هل ذكر الله؟ الإمام يقول: يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، الإمام صلوات الله عليه يقول: فإن قال نعم هرب منه - هذا الشيطان الآتي الجديد يعني جاء بمهمة عنده مهمة ستتضح المهمة - فيسأل الشيطان السابق هل ذكر الله؟ هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: نعم، إذا قال نعم يرجع - فإنه لن يجد مجالاً لتنفيذ مهمته - وإن قال لا - لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم الإمام يقول - ركب عنق الإمام وذلى رجله في صدره فلم يزل الشيطان إمام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم.

رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - إذا مرَّ المؤمن على الصراط - هذا في يوم القيامة - إذا مرَّ المؤمن على الصراط فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم - وطبعاً لا يستطيع كل أحد أن يقولها والقضية ليست لفظية، الحديث عن عالم الآخرة ليس الحديث حديث ألفاظ لأنه في عالم الآخرة القضية تختلف ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ هذا البصر في المستوى الحسي، في المستوى العقلي، في المستوى القلبي والوجداني، في المستوى البصيري في جميع المستويات بصرك اليوم حديد، القضية تتجاوز الألفاظ والطقوس - إذا مرَّ المؤمن على الصراط فيقول بسم الله الرحمن الرحيم أطفئ لهب النار - هذه البسملة تطفئ لهب النار حتى يستطيع أن يجوز على الصراط لأن الصراط جسر ممدود في جهنم هكذا وصفت الروايات الصراط - أطفئ لهب النار وتقول - جهنم تقول - جُز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ

لهبي - الرواية دقيقة جداً، البسملة هنا ما أطفأت نار جهنم وإنما أطفأت اللهب الذي يحيط بالصراط، لأن الصراط جسر ممدود على جهنم ولهب النار يحيط به فمن يجوز على هذا الصراط يأخذه اللهب يسقط في جهنم - فإذا قال بسم الله الرحمن الرحيم أطفئ لهب النار وتقول: جُز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي - هذه الروايات وغيرها من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحدثنا وتنبئنا عن عظمة المحتوى الذي تشتمل عليه هذه البسملة، كما قلت بأن الكتاب الكريم الكتاب التدويني إنما هو صورة، هو عبارة عن خريطة عن مجلى لكل الوجود، فيه تبيان كل شيء ولكن بين فيه كل شيء بطريقة الرمز وهذا الرمز لا يعرفه إلا من خوطب به، القرآن ليس مجرد كتاب فيه جمل وعبارات وألفاظ لبيان مجموعة من الأحكام الشرعية وبعض المطالب العقائدية هذا وجه من وجوه القرآن، القرآن هو مجمع أسرار الوجود، وأسرار الوجود وضعت بشكل رموز في هذا القرآن وهذه الرموز لا يستطيع فكها إلا الأئمة ولذلك هذه الحروف المقطعة في أوائل السور الم، المص، المر، وهكذا، هذه الحروف هي نفس الحروف التي تألف منها القرآن لكن الله جعلها في تأليف خاص بهذا الشكل فكانت خزانة للأسرار، ونفس هذه الحروف التي تألفت منها الآيات التي تشتمل على جمل وكلمات لها معاني هذا تأليف آخر للرموز القرآنية فيها أسرار أكثر من الأسرار الموجودة في الحروف المقطعة، الحروف المقطعة هي عناوين وهي أمثلة تشير إلى مفاتيح لأبواب هذه الأبواب توصلنا إلى خزانة الأسرار التي لا أصل إليها أنا وأنت، هذه مفاتيح عند الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

ربما إذا جئت بمثال للذين يعرفون العمل على الكمبيوتر، هذه لوحة المفاتيح الكمبيوتر من خلال الرموز الموجودة ومن خلال المفاتيح الموجودة يستطيع المتعامل مع جهاز الكمبيوتر أن يسير أغوار الكمبيوتر، القرآن بمثابة مفاتيح بمثابة رموز تكشف عن الحقائق، أما هذا الوجه وجه العبارة هذا لي ولأمثالي لعامة الناس، الحقائق مودعة في باطن هذا القرآن والقرآن أعمق غوراً كما يقول سيد الأوصياء - ظاهرة أنيق وباطنه عميق - شيء يصفه علي صلوات الله عليه بأنه عميق ما هو هذا الشيء؟ ما هو هذا العمق؟ علي الذي يقول - ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه - علي الذي يملك هذه الرؤية هو يقول عن القرآن بأنه عميق، علي الذي رؤيته العادية بهذا العمق - ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله - ما رأيت شيئاً، يعني أي شيء يواجهه في الحياة يراه بهذه الرؤية، رؤية علي العادية بالنسبة له هي هذه - ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه - أي رؤية هذه، هذا الكلام ليس إنشائياً، هذا كلام علوي والكلام العلوي الكلام علوي المعنى، هذا المعنى لا نستطيع أن نتصوره - ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه - أنا يمكن أن أشرح هذه العبارة كما يشرحها الشراح ولكن هذه شروح

سطحية لا معنى لها، يمكن أن أتي بعدة شروح لهذه العبارة وهذه الشروح موجودة في الكتب ذكرها العلماء ولكنها شروح سطحية لا تتناسب مع المتكلم ومع كلامه الذي هو بعمق مقامه وبعمق رتبته، فعلي الذي هو في رؤيته العادية هكذا يتكلم يقول عن القرآن بأنه عميق، أي عمق إذاً في هذا الكتاب؟! الحديث ليس عن عبارات والحديث ليس عن ما يسمى بأسرار البلاغة في القرآن يدور حول تشخيص المُسند والمُسند إليه، ويدور حول تشخيص الحقيقة والمجاز والكناية والإستعارات وأمثال ذلك القضية أعمق وأعمق وأعمق من كل هذه الاتجاهات، لذلك هذه الروايات التي أشرت إلى بعض منها هي تحدثنا عن حقائق أعمق، تجلى النور الأول، لَمَّا تجلى النور الأول كان الوجود، الله تجلى لذاته بذاته وتجلي بذاته في تلکم المرآة، تجلى لذاته بذاته وتجلي في المرآة الأولى في الماء الأول في النور الأول، وبعد ذلك النور الأول تجلى فكانت التجليات في الحُجُب وفي العرش وفي الكرسي وفي السماوات وفي كل طبقات هذا الوجود هذا التجلي ما هي مادته؟

مادته الرحمة، لذلك هم معدن الرحمة، الحقيقة المحمّدية هي معدن الرحمة، الرحمة من هناك أتت، وما هذا التعبير القرآني ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ هذا مجلى من مجالي الرحمة في العالم الأرضي، هذه صورة الرحمة الأكبر، الرحمة الأعظم، معدن الرحمة، مصدر الرحمة، من أين تأتي بالذهب؟ تأتي بالذهب من معدن الذهب، من أين تأتينا الرحمة؟ تأتينا الرحمة من معدن الرحمة فتجلت الرحمة الرحمانية، الرحمة الرحمانية هي التي تجلت، ولذلك في سورة طه إذا أردنا أن نذهب إلى سورة طه فنقرأ في الآية السادسة وفي الآية الخامسة ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ هذه الرحمة الرحمانية ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ ومر علينا في الحلقات الماضية بأن الله فتح من نور مُحَمَّد العرش، خلق العرش من نور مُحَمَّد ولقد قال صلى الله عليه وآله - وإن نوري أفضل من العرش - لأن العرش خُلِق من نوري ونوري من نور الله سبحانه وتعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿ العرش محيطٌ بعالم الكرسي وسعة العرش بالنسبة للكرسي تقدم الحديث عنها، الكرسي كحلقة في فلات بالنسبة للعرش، والسماوات السبع كحلقة في فلات بالنسبة إلى الكرسي.

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ العرش هو الوعاء الوجودي لكل ما يصل إليه العقل البشري من تفكير في طبقات هذا الوجود، وهذا العرش من نوره من النور الأول أشتق من النور الأول، ولم يكن يتحقق وجود العرش إلا بانبساط وباستواء الرحمانية عليه، العرش مادته الرحمانية، والكرسي مادته الرحمانية، وكل الوجود

مادته الرحمانية، ورحمتي سبقت غضبي، الرحمة فيها إشارة إلى صفات الجمال الإلهي، والغضب فيه إشارة إلى صفات الجلال الإلهي ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهناك الرحمانية المستوية على العرش، استوت، وكيف تستوي هذه الرحمانية؟ ذلك معنى لا نستطيع أن نتصوره بوجه الحقيقة ولكننا يمكن أن نستقرب المعاني من خلال الروايات أن استوائية الرحمة هو نفوذ الرحمة في كل جزء من أجزاء وجود العرش والكرسي وما دون الكرسي، كما قلت قبل قليل بأن مادة وجود العرش، مادة وجود الكرسي هي الرحمة، الرحمة المشرقة والساطعة من أين؟

من معدن الرحمة، لأن الرحمة من أين تأتي؟ تأتي من المعدن من المكان الذي استقرت فيه، فمن هناك جاءت الرحمة، كان الإشراق الأول هو إشراق الرحمة الرحمانية. في سورة الفرقان ربما يأتي نفس الكلام في الآية التاسعة والخمسين، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ أين تجلت الرحمة الرحمانية؟ هي في الإستواء على العرش ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ

خَيْرًا﴾ وهذه هي الرحمة الرحمانية التي انبسطت على كل الوجود، في سورة الأعراف الآية الرابعة والخمسون ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية تتحدث عن استوائية العرش على كل شيء، وتتحدث عن استوائية الرحمة على العرش، إذا أردنا أن نجمع هذه الآية مع الآيات المتقدمة ومع آيات أخرى جاءت مذكورة في الكتاب الكريم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ هذه من شؤونات الخلق ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ كل هذا مادته الرحمة لأن الاستوائية على العرش هي استوائية الرحمانية، ما قالت الآيات الله استوى على العرش، قالت الرحمن استوى على العرش، الله الاسم الجامع، أما الرحمن فهي صفة من صفاته وتجلى من تجلياته واسم من اسمائه، الآيات ما قالت إن الله استوى على العرش قالت الرحمن استوى على العرش، رحمانيته هي التي استوت على العرش ورحمانيته إنما تجلت في المرآة الأولى، الله تجلى في المرآة الأولى والمرآة الأولى عكست هذا التجلي، أين عكست هذا التجلي؟

في العرش وما دون العرش وجميع شؤونات ما دون العرش ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴿﴾ جميع هذه الشؤون هذه أمثلة، هذا أمثلة على شؤونات الموجودات، جميع هذه الشؤون هي سارية في دائرة الرحمة، ومادة سريانها الرحمة، الرحمة الرحمانية، كل الوجود متحقق بالرحمة الرحمانية ﴿﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴿﴾ هناك الخلق وهناك الأمر ﴿﴾ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ كل ذلك متفرع عن أي شيء؟ عن استوائية الرحمانية على العرش، في سورة هود في الآية السابعة ﴿﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴿﴾ الآيات المتقدمة تحدثت عن أن العرش محيط بكل شأن، وأن الرحمانية هي المستوية على العرش، أن الله استوى على العرش برحمانيته، لكن هذا العرش في حقيقته أين ثباته؟ ﴿﴾ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴿﴾ هذه إشارة أوضح من الإشارات السابقة، كان عرشه على الماء، الحديث هنا ليس عن عرش يبنى على الماء، هذه رموز وإشارات، لا يعني أنه كان هناك بحر من ماء وموجود عليه كرسي يقال له العرش أو بناء يقال له العرش، هذه قضية عميقة جداً.

الماء هنا هو الماء الأول، هو الاسم الأول، هو النور الأول، هذا الماء الذي استند وثبت بسببه العرش، كان عرشه على الماء، يعني هل يمكن أن يكون العرش من دون قاعدة، كيف يتحقق؟ يعني إن أساس العرش إن ثبات العرش هو بسبب الماء ﴿﴾ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴿﴾ هذا الماء هو الذي إليه الإشارة في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء ﴿﴾ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿﴾ الآيات القرآنية لها وجوه، قد يقول البعض الآية فيها إشارة إلى الوجودات الطبيعية المتكونة في العالم الأرضي هذا وجه من الوجوه، لكن الحديث إذا كان بهذا العمق الآية يكون لها وجه آخر ﴿﴾ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿﴾ والحي هنا ليس المراد منه الحيوان وإنما وجعلنا من الماء كل شيء موجود فما من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله وتلك هي الحياة الحقيقية، هل يوجد شيء إلا وهو يسبح؟ التسبيح دليل الحياة، لكن ما نسميه نحن بالحياة في العالم الأرضي هي صورة من صور الحياة اسمها الحياة الحيوانية، أما الحياة فغير منحصرة فقط بالحياة الحيوانية، حتى الجمادات لها حياة لأنه ما من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله، التسبيح فيه دلالة على الحياة، فيه دلالة على الإدراك، فيه دلالة على اللغات، يعني حتى الجمادات عندها لغات، حتى الجمادات عندها شيء من الإدراك يناسبها بما هي هي، وهذه اللغات وهذه الإدراكات الإمام المعصوم محيط بها يعلم بها لأن الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه محيط بكل شيء، ويأتينا إن شاء الله في الحلقة القادمة لأنه العنوان القادم في الحلقة القادمة: وَخُزَانَ الْعِلْمِ - وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزَانَ الْعِلْمِ - حين يكون الحديث عن خزان العلم تتضح هذه الحقائق.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ في الآية السابعة من سورة هود ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء، كل شيء جعل من أي شيء؟ من معدن الرحمة، الماء هو عنوان آخر من عناوين رحمة الباري سبحانه وتعالى، فهم معدن الرحمة والآية الأولى من الكتاب الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تشير بنحو مجمل إلى كل هذه الحقائق التي مرت الإشارة إليها، والرواية معروفة التي ينقلها ابن عباس عن سيد الأوصياء بأن القرآن كله في الفاتحة وبأن الفاتحة كلها في البسملة وبأن البسملة كل البسملة في الباء وكل ما في الباء في النقطة، ثم قال علي عليه السلام: وأنا النقطة.

وهذه النقطة هي التي منها حين تحركت كتبت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أليست هي عبارة عن مجموعة نقاط تشكلت تجلت بهذه الصورة، هذه النقطة هي معدن الكتابة، فماذا كتبت؟ كتبت باللفظ وبالرسم وبالصورة عنوان الرحمة، هذه النقطة هي رمز لتلك الرحمة، للرحمة الرحمانية، وللرحمة الرحيمية بسم الله الرحمن الرحيم أولاً الرحمن ثانياً الرحيم، الرحمة الرحمانية هي مادة الوجود، أما الرحمة الرحيمية هي مادة الولاية، مرادي من الولاية معنى أكبر من قضية العاطفة ومن قضية المحبة ومن قضية الإمامة التي هي في العالم الأرضي، الولاية هي الرابط الخاص الذي يربط أشرف الموجودات بالله سبحانه وتعالى، لذلك الرحمة الرحيمية رحمة خاصة وليست عامة، الرحمة الرحمانية رحمة عامة، ومن هنا ورد في بعض الروايات بأن الرحمن رحمن بالمؤمن وبالكافر، وبأن الرحيم رحيم بالمؤمنين، هذه إشارة لمعنى أوسع لأن الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية أوسع من أن تكون محصورة بالبشر وبنوعين من البشر بالمؤمن والكافر، إنما هذه مصاديق أمثلة ونماذج، الرحمة الرحمانية هي مادة الوجود والرحمة الرحيمية هي مادة الولاية، الولاية هي العلاقة فيما بين الله سبحانه وتعالى وفيما بين أشرف الموجودات، فهناك الرحمة الرحمانية وهناك الرحمة الرحيمية، وأشرف الموجودات يمكن أن يكون في عالم الملائكة، هناك ما هو الأشرف في عالم الملائكة، هناك ما هو الأشرف في عالم الحُجُب، أليس أن الروح خلق أعظم من الملائكة؟!

هناك مخلوقات أعظم من الملائكة، وإذا قيل عنهم ملائكة الحُجُب فذلك تعبيرٌ مجازي لأن الملائكة بعنوان عام هم سكان العوالم العلوية، وإلا فسكان الحُجُب هم مخلوقات تختلف عن الملائكة الذين هم سكان السماوات، في العالم الأرضي، في عالم الجمادات، في عالم الحيوانات، في كل عالم هناك موجودات أشرف لها الشرافة فهي قريبة، هي قريبة من دائرة الله سبحانه وتعالى، هذه العلاقة، هذه الموجودات، هذا الرباط هو هذا الذي يعبر عنه بالولاية، الولاية أعم من معنى المحبة والعاطفة، وإنما هو الرباط الوجودي للمخلوقات الأشرف، وما يوم القيامة إلا يوم التمييز بين المخلوقات الأشرف والمخلوقات التي هي معارضة مناقضة

مضادة للمخلوقات الأشرف وهذا ليس فقط للإنسان، يوم القيامة الروايات تتحدث إنما هو يوم لكل المخلوقات، لكن التركيز على الإنسان لأن الخطاب القرآني في بنيته العبارية في بنية العبارة هو خطاب للإنسان من هنا كان التركيز على الإنسان ولأهمية الإنسان، وإلا عندنا في الروايات هناك توضيحات عن هذا الأمر، الملائكة أيضاً لهم قيامتهم ولهم مرتبتهم التي تتعلق بهم في يوم القيامة لهم شأنهم، وحتى الحيوانات لها شأنها، وحتى الجمادات لها شأنها، وهذا الموضوع لست بصدد الدخول في تفاصيله لكن هذا يتجلى من خلال تصفح الروايات المنقولة عن أهل البيت ومن خلال التبصر في آيات الكتاب الكريم.

رواية منقولة عن صفوان بن يحيى عن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: الباءُ بهاءُ الله، والسينُ سناءُ الله، والميمُ ملكُ الله - هذه رواية تتحدث بلسانٍ آخر بغير اللسان اللغوي - الباءُ بهاءُ الله، والسينُ سناءُ الله، والميمُ ملكُ الله، قال: قلت: الله ما معناها؟ - السائل يسأل عن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بدأ الإمام أخذ كلمة بِسْمِ - فقال: الباءُ بهاءُ الله، والسينُ سناءُ الله، والميمُ ملكُ الله، قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ آءُ الله على خلقه من النعيم بولايتنا - هذا كلام إمامنا الصادق في معنى لفظة الله - قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ آءُ الله على خلقه - هذا هو الجزء الأول من تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، وهذه الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق وهو من كتب الحديث المعروفة والمعتبرة - قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ آءُ الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللامُ إلزامُ الله خلقه ولايتنا، قلتُ: فإلهاء؟ قال: هوانٌ لمن خالف مُحَمَّدًا وآلَ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم أجمعين قلتُ: الرحمن؟ قال: بجميع العالم، قلت: الرحيم؟ قال: بالمؤمنين خاصة - أنا هنا لا أريد أن أشرح هذه الرواية لأنني إذا دخلتُ فيها فسأتترك أصل المطلب لكنني أردت أن أبين بأن البسملة التي هي عنوان الرحمة، الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، هذه البسملة التي قال عنها عليٌّ بأنها في النقطة وهو النقطة فإنها بحرٌ عميقٌ غائرٌ في الإشارة إلى تلكم الحقيقة العظمى، أي حقيقة؟

حقيقة معدن الرحمة ومعدن الرحمة كما قلت قبل قليل الحقيقة المُحَمَّدِيَّة، النور الأول، كل هذه الروايات وكل هذا الكلام يشيرُ إلى تلكم الحقيقة، أنا لا أريد أن أخوض هنا فيما قاله المفسرون في أن بِسْمِ اللَّهِ بأي شيءٍ متعلقة؟ هل أبتدئ، أستعير، أذكر، يظهر، وإلى غير ذلك على اختلاف مشاربهم وأذواقهم، هناك رواية منقولة أيضاً عن الشيخ الصدوق:

عن عليِّ بن الحسن بن فضال عن أبيه، عن الحسن بن فضال قال: سألت الرضا عليَّ بن موسى عليه السلام عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: معنى قول القائل ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي أسمى على

نفسى سمةً من سمات الله عز وجل وهي العبادة ، قال: فقلت له وما السِّمة؟ قال: العلامة - يعني أضع على نفسى علامة من علائم الله - قال: وهي العبادة - العبادة لا بمعنى الصلاة، الحديث هنا ليس عن الصلاة، قال - إنما أسمى على نفسى سمة - السمة العلامة، العبادة هذا العنوان الذي يتحدث عن جوهر وجود الأشياء وجوهر وجود الأشياء هو الرحمة، ربما تحدثت شيئاً ما في احتفال حسينية الإمام المهدي عليه السلام في عيد مولد إمام زماننا وأشرت إلى هذا الآية، الآية التي جاءت في سورة الزخرف وهي الآية الحادية والثمانون ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدُّ فَاَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ﴾ أول العابدين بينت المراد، فأنا أول الموجودين، أنا أول الموجودات، وإنما وصف نفسه بهذا الوصف لأن العبادة هي جوهر الوجود، ولذلك في سورة الذاريات في الآية السادسة والخمسين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ علة الخلق العبادة والآية السابقة ﴿فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ﴾ تشير إلى أن التجلي الذي ظهر في أول الوجود هو العبادة.

والعبادة هي العبودية وهي جوهر التحقق، وجوهر التحقق كما قلت قبل قليل مادة التحقق الرحمة، الرحمة الرحمانية المنبسطة والرحمة الرحيمية التي هي الولاية، هناك الوجود المنبسط المتجلي من الحقيقة المحمّدية في الرحمة الرحمانية، وهناك أيضاً الوجود المتجلي المنبسط من الرحمة الرحيمية لأشرف الموجودات لأشرف الكائنات، الكائنات الشريفة التي ترتبط برباط الولاية، الولاية في معناها الواسع في معناها العميق لا في المعنى العاطفي، إمامنا الرضا هنا يشير إلى هذه القضية قال - أسمى على نفسى سمةً من سمات الله عز وجل وهي العبادة، فقلت له: وما السِّمة؟ قال: العلامة - أن أجعل على نفسى علامة، كيف يجعل على نفسه علامة؟ يجعل على نفسه علامة يعني أن يفنى في علامة من علامات الله، أن يكون هو علامة، يجعل على نفسه علامة وشيئاً فشيئاً يفنى في هذه العلامة، هذه العلامة إليها الإشارة في دعاء شهر رجب المنقول عن الإمام الحجة عليه السلام والذي يستحب قراءته في كل يوم من أيام شهر رجب، بل يمكن قراءته في أي يوم لأنه من الأدعية العامة، فيه مضامين عامة، الدعاء الذي أوله: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعٍ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وَوَلَاةٍ أَمْرِكَ - إلى أن يقول الدعاء - لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك فتقها ورتقها بيدك بدوها منك وعودها إليك أعضاء وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك - هذه تجلياتهم، كيف بهم ملأ السماء والأرض؟ هذه تجلياتهم هذه الرحمة المستوية والرحمة المستوية لها ظهورات، في عالم العرش استوت الرحمة على العرش، في عالم الكرسي استوت الرحمة على الكرسي، وفي كل سماء استوت الرحمة، في كل طبقة من طبقات هذا الوجود - فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - حتى ظهر أن لا إله إلا أنت لأن الله تجلى في معدن الرحمة

ومعدن الرحمة حين تجلى ماذا عكس؟ عكس معاني الإلهوية، ماذا تجلى من معدن الرحمة؟ تجلت الأسماء الحسنى وإلى هذا يشير إمامنا الصادق - نحن الأسماء الحسنى - إلى ذلك المقام إلى تلكم المراتب العالية، فمن تجلياتها ما جاء في هذا الدعاء - فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك - هذي هي العلامات التي أشار إليها إمامنا الرضا قال - أسمى على نفسي سِمةً، ما السِمة؟ قال: العلامة - هناك علامة هذه العلامة هي علامة الولاية، هذه علامة الرحمة الرحيمية، لأن الذي يقول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا بالمعنى اللفظي إنما هو يرتبط بذلك الرباط الخاص برباط الموجودات الأشرف وهو رباط الولاية من مجالي هذه الولاية في العالم الأرضي ولاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولذلك - مَنْ وَالِاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهُ - الموالاة هنا في العالم الأرضي لأهل البيت إنما هي موالاة الله لأن الرحمة الرحيمية هي رباط الولاية بين الله وبين أشرف الموجودات - يا أحمد خلقتك لي - هذا رباط الولاية بين الله وبين الحقيقة المُحمّدية - ثم شق أنوار الوجود من نور مُحمّد صلى الله عليه وآله - وهذا هو مجلى الولاية الإلهية في سائر الموجودات، كان الإشراق بالمعنى الرحماني وتلك ولاية الوجود، وكان الإشراق بالمعنى الرحيمي وتلك ولاية القُرب، لذلك مر علينا في الرواية - الرحمنُ بجميع العالم والرحيمُ بالمؤمنين خاصة - لإشارة هنا إلى المؤمنين خاصة على طريقة المثال على طريقة المصداق، الحديث هنا عن كل الموجودات الشريفة من المؤمنين ومن غيرهم.

ولا غرابة في ذلك حتى في الجنان عندنا في الروايات هناك بعض الحيوانات الأرضية سيدخلها الله إلى الجنة، هل هناك في الحيوانات الأرضية أكثر نجاسة من الكلب؟! أليس في الروايات إن كلب أهل الكهف سيكون في الجنان؟! وغير ذلك، أنا هنا لا أريد الحديث عن الجنان وعن قوانين الجنان التي وردت في الروايات، لكنني أشرت إلى هذا المثال لتوضيح المطلب ولا أريد أن أشط بعيداً عن أصل العنوان الذي أنا أتحدث عنه - فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك - هذه العلامات أي علامات؟ هذه علامات الرباط برباط الولاية، الولاية الإلهية والتي من مجاليها في العالم الأرضي ولاية أهل البيت، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، وهم الأبواب التي من خلالها نصل إلى الله، وهم العروة الوثقى الذين إذا تمسكنا بهم تمسكنا بالله سبحانه وتعالى، المعاني في الروايات وفي الأدعية وفي الآيات مترابطة وبعضها يشد البعض الآخر، وأعتقد أن المضامين التي أشرت إليها الآن والتي سأشير إليها في الحلقات القادمة من هذا البرنامج كلها تصب في جهة واحدة تصب في نهر واحد، لكن الكلام مأخوذ مع كل عنوان من هذه العناوين من جهة من الجهات، أنا قلت بأن المعارف الإلهية يشترط فيها أن نراعي فيها القاعدة الذهبية الأولى وهي قاعدة حفظ المقامات وقاعدة تعدد الحثيات، لربما لو نظر المشاهدون بعين

الدقة لوجدوا أن نفس المعاني التي ذكرتها في أهل بيت النبوة في موضع الرسالة في مختلف الملائكة في مهبط الوحي في معدن الرحمة وفيما سيأتينا من عناوين أخرى، هناك إلتقاء بين هذه المعاني من جهة من حيثية ما، وهناك إفتراق من حيثية أخرى، لأنني راعيت في هذه المضامين هاتين القاعدتين: قاعدة حفظ المقامات، وقاعدة تعدد الحيثيات.

معدن الرحمة هم معدن الرحمة في كل أفقٍ من الأفاق، على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء، هذا هو الجزء الخامس عشر من بحار الأنوار في الصفحة الثامنة، الرواية عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحدثه عن جوانب من معراجه إلى أن يقول صلى الله عليه وآله - قلت: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! - النبي هنا يسأل الملائكة - هل تعرفونا حق معرفتنا؟! - الملائكة لا تعرف أهل البيت حق المعرفة، مر علينا - إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبي مرسل ولا ملكٌ مقرب، فمن يحتمله؟ قال: من شئنا - وفي رواية ثانية قال - نحن نحتمله - مر الكلام في هذه المطالب - قلت: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! - الآن نحن إذا أردنا أن نقرأ الرواية ونقارن ما ذكرته الملائكة من معرفتهم بهم صلوات الله عليهم نجد بأنهم لا يعرفونهم حق المعرفة لأننا إذا قارنا بين الإشارات الموجودة في كلام الملائكة وبين إشاراتٍ أخرى ذكرها أهل البيت نجد أن هناك فارق بين معرفة الملائكة وبين ما يحدثنا به أهل البيت عن مقاماتهم السامقة، وعلى أي حال أنا هنا لست بصدد المقارنة بين ما قالته الملائكة وبين ما جاء في رواياتٍ أخرى، وإنما أردت أن أورد نماذج من روايات تتحدث عن مظاهر الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، إن كان ذلك في العوالم العليا، إن كان ذلك في عالم الدنيا، في الحياة أو بعد الموت في عوالم الآخرة، أقرأ الرواية، النبي يسأل الملائكة - يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم - ما قالوا بأنهم يعرفونهم حق المعرفة، قالوا بأننا نعرفكم - يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنية والأرض مدحيه، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام - الرواية تتحدث عن جهات، عن مراتب، عن صور في عوالم الخلق الأولى أقف عند هذه العبارة:

خلقكم أشباح نورٍ من نوره. الأشباح هي غير الظلال، هناك مرتبة الظلال لأهل البيت وهناك مرتبة الأشباح، ومرتبة الأشباح أعلى من مرتبة الظلال - خلقكم أشباح نورٍ من نوره - والشبح النوري هو نفس الكلام الذي أشرت إليه المرآة النورية، الشبح هو ماذا؟ هو الصورة المماثلة لذي الصورة، شبحي هو ما هو؟ الصورة المماثلة لصورتي، فهذا الشبح يكون مُظلماً بالقياس لوجودي، أما الحديث هنا عن أشباح نورية -

خلقكم أشباح نورٍ من نوره - أنا هنا لست بصدد شرح الرواية فقط أردت أن أبين هذه النقطة أقرأ الروايات ما يظهر من عظمة المعاني فيها أكتفي به - قلتُ: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم - ما قالوا بأننا نعرفكم حق المعرفة، قالوا بأننا نعرفكم - فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره - مرّ علينا قبل قليل في ما جاء في سورة الفاتحة، من الروايات التي تحدثت عنها في بيان معنى البسملة، ماذا تقول هذه الرواية؟ - يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ومن سناء مُلكه - إذا تتذكرون قبل قليل الإمام الصادق وهو يتحدث عن معنى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال - الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله - الحديث هنا - خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ومن سناء ملكه ومن نور وجهه الكريم - هناك ترابط وهناك دلالات واضحة بين هذه الروايات لكن المقام لا يسع لتفصيل كل شيء - وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه وعرشه على الماء - وتحدثنا عن الماء - قبل أن تكون السماء مبنية والأرض مدحية ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه - الحديث هنا عن مظاهرهم في عالم العرش، لهم تجليات، العرش من نورهم التجلي الأعظم لهم كان قبل خلق العرش ولكن لهم تجليات في كل عالم من العوالم - ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبحون وتقدسون وتكبرون، ثم خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتى، وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون وتُحَمَّدُونَ وتُهَلَّلُونَ وتُكَبَّرُونَ وتمجدون وتقدسون فنسبح ونقدس - طبعاً هذه المراتب لكل درجة من درجات الملائكة.

هناك ملائكة مسبحة، هناك ملائكة مقدسة، هناك ملائكة مكبرة، هناك ملائكة مهللة هذي تشير إلى أن هؤلاء الملائكة كل ما عندهم من التجليات من ذلك المصدر - وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون وتُحَمَّدُونَ وتُهَلَّلُونَ - نمر بكم ليس مروراً مادياً، الحديث هنا ليس عن عالم الدنيا والملائكة يَمْرُونَ بهم كأنهم يَمْرُونَ بصديقٍ أو بقريب، القضية عميقة جداً، الدلالات عميقة جداً، الملائكة إنما شعت وجوداتهم من أنوار عليّ صلوات الله وسلامه عليه وهذا واضح في الروايات، ومرت علينا بعض الروايات التي تشير إلى هذا المعنى - وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون - هذا تجلي - وتُحَمَّدُونَ - تجلي ثاني - وتُهَلَّلُونَ - تجلي ثالث - وتُكَبَّرُونَ - تجلي رابع - وتُمَجَّدُونَ - تجلي خامس - وتُقَدَّسُونَ - هذا تجلي سادس - فنسبح ونُقَدِّسُ ونُمَجِّدُ ونُكَبِّرُ ونُهَلِّلُ - بأي شيء؟ - بتسبيحكم وتحميدكم - نهل به، نسبح به، دلالة عميقة جداً، أي أنهم يسبحون بتسبيح أهل البيت، ما المراد من ذلك؟ المراد أن تسبيح الملائكة هو تسبيح أهل البيت

لكن بوجهٍ من الوجوه، بالوجه الذي يتناسب مع عالم الملائكة، كل تسبيحٍ هو رادٌّ إلى التسبيح الأول إلى معدن الرحمة، كل هذا يؤول بنا إلى معدن الرحمة - فَنَسِجُ وَنُقَدِّسُ وَنُمَجِّدُ وَنُكَبِّرُ وَنُهَلِّلُ بِتَسْبِيحِكُمْ وَتَحْمِيدِكُمْ وَتَهْلِيلِكُمْ وَتَكْبِيرِكُمْ وَتَقْدِيسِكُمْ وَتَمَجِيدِكُمْ فَمَا أُنزِلَ مِنَ اللَّهِ فَإِلَيْكُمْ - لا ينزل إلى غيركم - فَمَا أُنزِلَ مِنَ اللَّهِ فَإِلَيْكُمْ - لأن فيض الله إليكم ومنكم يصدر الفيض - يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب - هذه الأسباب هم - يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب - أول ما خلق الله خلق المشيئة بنفسها، يعني من غير سبب، ثم خلق الأشياء بالمشيئة يعني بسبب المشيئة، هم الأسباب - يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب - يُوجد الأسباب ولكن من غير سبب، خلق المشيئة بنفسها يعني أنه يُوجد الأسباب بالأسباب بنفس الأسباب، أول ما خلق الله المشيئة ثم ماذا؟

خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة، فهم مشيئة الله سبحانه وتعالى - فَمَا أُنزِلَ مِنَ اللَّهِ فَإِلَيْكُمْ وما صعد إلى الله فمن عندكم - وما صعد إلى الله فمن عندكم أيضاً لأنهم هم معدن الرحمة، معدن يعني المركز، من أين نُحْصَلُ على الذهب؟ من معدنه، من أين نُحْصَلُ على الفضة؟ من معدنه، من أين نُحْصَلُ على الحديد؟ من معدنه، وهذا في الشيء المادي في الشيء الترابي، والكون إنما هو طبقات وصور، العالم الأرضي صورة ضعيفة جداً بعيدة جداً عن عالم العرش وما فوق عالم العرش - فَمَا أُنزِلَ مِنَ اللَّهِ فَإِلَيْكُمْ وما صعد إلى الله فمن عندكم فَلِمَا لا نعرفكم - وما صعد إلى الله إشارة إلى الرحمة الرحيمية - فَمَا أُنزِلَ مِنَ اللَّهِ فَإِلَيْكُمْ - هذه الرحمة الرحمانية، رحمانية انبساط الوجود - وما صعد إلى الله فمن عندكم - هذه رحيمية الولاية، قلت قبل قليل بأن الرحمة رحمانية وهو الفيض المنبسط، الفيض المنبسط على كل الموجودات، والرحمة الرحيمية هي الولاية هي الرباط، مادة الرباط بين الله وبين أشرف الموجودات - فَمَا أُنزِلَ مِنَ اللَّهِ فَإِلَيْكُمْ - ومنكم يصدر - وما صعد إلى الله - الصاعدون إلى الله الموجودات الشريفة أشرف الموجودات - فمن عندكم فَلِمَا لا نعرفكم أقرئ علياً منا السلام - عليٌّ هو المحور، أين ما تذهب في عالم الحقائق تجد علياً ساطعاً - فَلِمَا لا نعرفكم أقرئ علياً منا السلام - إلى أن يقول صلى الله عليه وآله - ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَسَمِعْتُ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُونَ لَمَّا أَنْ رَأَوْنِي الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ - لَمَّا رَأَوْنَا النَّبِيَّ كَانُوا يَقُولُونَ الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ - ثم تلقوني وسلموا عَلَيَّ وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم - يعني نفس الكلام السابق الذي مر علينا قبل قليل - وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم - يعني الكلام الذي ذكرته وطلبوا منه أن يُسلم على عليٍّ - أقرئ علياً منا السلام - قلت بأننا في عالم الحقائق أين ما نذهب نجد علياً واضحاً هناك - فقلت يا ملائكة ربي سمعتكم تقولون الحمد لله الذي صَدَقْنَا وَعَدَهُ فما الذي صَدَقَكُمْ؟ قالوا: يا نبي الله إن الله تبارك وتعالى لَمَّا أَنْ

خلقكم أشباح نورٍ من سناء نوره ومن سناء عزه وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه عَرَضَ ولايتكم علينا ورسخت في قلوبنا فشكونا محبتك إلى الله - شكونا محبتك إلى الله يريدون أن يروا تجلياً من تجلياته، وإلا فهم لا يستطيعون النظر، ولا تستطيع العقول أن تقترب من ذلك الفناء الأقدس - فشكونا محبتك إلى الله فوعد ربنا أن يُريناك في السماء معنا - وعدنا في مقطعٍ من المقاطع أن نراك في السماء - وقد صدقنا وعده لذلك قلنا الحمد لله الذي صدقنا وعده - فهم ينتظرون نوره، هم منتظرون هناك في عوالمهم وهذه معاني عميقة ومعاني دقيقة جداً، وهذه المعاني لا تنسجم إلا إذا ما استطعنا أن نوائم بين هذه الروايات والروايات الكثيرة الأخرى حتى ترسم الصورة كاملة، من دون أن ترسم الصورة كاملة تبقى هذه الروايات وكأنها أجزاء يتيمة وكأنها قطع مبتورة من صورة كبيرة.

رواية ثانية هذه الرواية التي مرت يرويها أبو ذر الغفاري، الرواية الثانية يرويها سلمان الفارسي، سلمان المُحمّدي عن النبي: يا سلمان فهل علمت من نقبائي ومن الإثنى عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال يا سلمان: خلقي الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري وعليّ فاطمة فدعاها فأطاعته - هي النورية الجامعة بين النورية النبوية والولوية - وخلق مني ومن عليّ وفاطمة الحسن والحسين فدعاها فأطاعاه، فسمانا بالخمسة الأسماء من أسمائه الله المحمود وأنا مُحمّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله الفاطر وهذه فاطمة - الفاطر يعني الخالق - والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا من صلب الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه - متى؟ - قبل أن يخلق الله سماءً مبنية وأرضاً مدحيةً أو هواءً أو ماءً - هذا الماء الماء الأرضي - أو ماءً أو ملكاً أو بشراً وكُنّا بعلمه نوراً نسبحة - وإلا كما قلت قبل قليل الماء في أصله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الماء في أصله الحقيقة المُحمّدية، الحديث هنا عن الماء الأرضي - وكُنّا بعلمه نوراً نسبحة ونسمع ونطيع - كنا بعلمه لا يُقاس علم الله بعلم الإنسان، حينما أقول أنا موجودٌ في علمك يعني عبارة عن صورة، صورة ذهنية، أما في علم الله فذلك هو أرقى مراتب الوجود، أرقى مراتب الوجود هو وجود الموجودات في علم الله، هذه أرقى مرتبة، وهذه المرتبة نحن لا نعرف قيمتها الله يعرفها، هذه أرقى مراتب الوجود وجود المخلوقات في علم الله، ثم بعد ذلك يكون التحلي في المرآة الأولى في الماء الأول، وإلا أرقى مرتبة هي مرتبة الحقيقة المُحمّدية في علم الله، ومرتبة الحقيقة المُحمّدية في علم الله هي أرقى المراتب ولكن ذلك شأنٌ من شؤونهِ سبحانه وتعالى لا علم لنا بذلك - كلما ازددتم تفكراً كلما ازددتم تحيراً - وكُنّا بعلمه نوراً نسبحة ونسمع ونطيع - هذا السمع والطاعة والتسبيح لا تُقاس بما يجري في العالم الأرضي.

رواية أخرى ينقلها الشيخ المجلسي عن المحدث الكراچكي رحمة الله عليه في كتابه كنز الفوائد: عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أحدٌ واحدٌ تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ثم خلق من ذلك النور مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وخلقني وذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته وبنا احتجب عن خلقه فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف - يعني تتحرك - نعبده ونقدسُه ونسبحُه قبل أن يخلق الخلق - هذه نماذج وأمثلة من كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تحدثنا عن جوانب من مجالي معدن الرحمة، هذه الروايات لا تتحدث عن معدن الرحمة، وإنما تتحدث عن تجليات، تتحدث عن مجالي من مجالي معدن الرحمة، حين تجلى معدن الرحمة فكانت هذه التجليات وكانت هذه المراتب وكانت هذه الصور، هذه الروايات تحدثت عن جهات عن حيثيات عن مقامات عن صور مراتب من مجالي الرحمة في العوالم العلوية.

في الكافي الشريف الحديث الرضوي في أوصاف الإمام المعصوم عليه السلام هذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف اقتطف منه هذه السطور يقول إمامنا الرضا عليه السلام: **الإمام كالشمس الطالعة المُجَللة بنورها للعالم** - فهو منبع الرحمة، هذا الحديث عن أئمتنا في العالم الأرضي عن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي، الروايات التي مرت قبل قليل كان الحديث فيها عن مجالي الرحمة في العوالم العلوية، الحديث في هذه الكلمات عن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي في شخوص الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - **الإمام كالشمس الطالعة المُجَللة بنورها للعالم** - وهذه التعابير ليس تعابير أدبية كما مثلاً نريد أن نمدح عالماً كبيراً فنقول هو بحرٌ في العلم مثلاً، أو نتحدث عن شخصٍ كريم فنقول إنه جوادٌ كريم غطى بكرمه الناس مثل ما غطت السماء أو غطت الشمس الناس، وهو كلام لا حقيقة له، حينما نريد أن نحسبه بدقة، أما هذه الكلمات تتحدث عن حقائق موجودة في الواقع الخارجي وإن لم يكن الإنسان يتلمسها، والإنسان ماذا يتلمس من طبيعته ومن حقيقة نفسه؟ ماذا نعرف نحن الآن من تراكيب أبداننا؟ ماذا نعرف عن ما يجري في هذه المعدة التي نحشوها ليل نهار بالطعام، ماذا نعرف؟ هل نملك صورة ندرى ماذا يجري في هذه المعدة حتى نريد أن نحيط بما يجري في العالم - **الإمام كالشمس الطالعة المُجَللة بنورها للعالم** - يعني الإمام فيضُه واصلٌ إلى الناس، إلى الحيوانات، إلى الجن، إلى سكان البحار، إلى التراب، إلى الماء، فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل - **الإمام كالشمس الطالعة المُجَللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار** - فإذا كيف سنحيط علماً بفيض هذا

الإمام - الإمام البدر المنير - هذي مظاهر من مظاهر ومن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي في شخوص الأئمة - الإمام البدر المنير - هذا مظهر من مظاهر رحمته، العبارات هنا ليس أدبية ولو كان المقام يسنح للحديث في تفاصيل هذه العبارات كل عبارة لها دلالتها الخاصة - الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع - هذه مجالي ومراتب وظهورات لمعدن الرحمة تتجلى في شخوص الأئمة - الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى - غياهب: ظلمات - وأجواز البلدان والقفار - أجواز البلدان يعني الأماكن الواسعة الشاسعة البعيدة وتكون من جملتها الصحارى البوادي الواسعة - وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار - كما قلت قبل قليل فيضهُ واصلٌ إلى كل هذه الجهات - الإمام الماء العذبُ على الظمأ والِدالُ على الهدى والمنجى من الردى - إلى أن يقول عليه السلام - الإمام السحاب الماطر - هذه مظاهر الرحمة - والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغيرة - هذه كلها مظاهر للرحمة، هذه مظاهر للرحمة في جانب الفيض وفي الجانب الأخلاقي والأفعالي للإمام.

الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو بابٌ للفيض الواسع وبابٌ كذلك للفيض الخاص، مثل ما هناك رحمةً رحمانية واسعة والتي من مجاليها - الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم، الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي، الإمام الماء العذب على الظمأ الدال على الهدى والمنجى من الردى - هذه معاني تشير إلى أي شيء؟ تشير إلى الرحمة الرحمانية المتجلية في أشخاص الأئمة في العالم الأرضي، وكذلك - الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة - هناك معاني تشير إلى الرحمة الرحيمية رباط الولاية - الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغيرة ومفزع العباد في الداهية النئاد - الداهية النئاد الكبيرة العظيمة يعني، المصيبة الكبيرة، هذه العبارات وهذه العناوين كل عنوان بحاجة إلى شرحٍ أو إلى بيان، لكنها بالجملة هي مجالي للرحمة الرحمانية وللرحمة الرحيمية المتجلية في العالم الأرضي في شخوص الأئمة، وهي صور ومظاهر لمجالي الرحمة التي مرت الإشارة إليها في الروايات السابقة في العوالم العلوية، وكل ذلك من معدن الرحمة من النور الأول، في عالم الآخرة وفي يوم القيامة، أيضاً هناك روايات أخذت بعضها منها على سبيل النموذج تتحدث عن مظاهر هذه الرحمة عن مجالي هذه الرحمة. هذا هو الجزء الثامن من بحار الأنوار والرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، الرواية عن داوود بن سليمان - عن الرضا عن آباءه عن أمير المؤمنين عليهم السلام

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيامة وُلِينَا حساب شيعتنا - هم أولياء لحساب كل الخلائق سيأتينا في الزيارة الجامعة - إيابُ الخلق إليكم وحسابهم عليكم - هذا من جملة نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة، إيابُ الخلق إليكم مئابُ الخلق مرجعهم إليكم، وحسابهم عليكم، لكن هنا الإمام يتحدث عن صورة من صور يوم القيامة في الرحمة الرحيمية - إذا كان يوم القيامة وُلِينَا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمته - يعني معاصيه يعني ذنوبه - فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزَّ وجل - إذا كان عنده ذنوب فيما بينه وبين الله - حكمنا فيها فأجابنا - حكمنا فيها يعني أجزنا له الأمر، يعني رفعنا عنه الحساب، حكمنا فيها، الله هو الذي حَكَّمَنَا وأعطانا الاختيار - حكمنا فيها فأجابنا - في بعض الروايات - ذهبنا إلى الله وطلبنا منه أن يعفو عنكم - نفس المعنى - ومن كانت مظلمته بينه وبين الناس استوهبناها - كيف يستوهبها الأئمة؟ إذا كانت المظلمة مع أناسٍ من أهل الجنان يُعطون درجات أعلى في الجنان، وإذا كانت المظلمة مع أناسٍ من أهل النيران يُخَفَّف عنهم العذاب، يُقال لأهل النيران بأننا نخفف العذاب عنكم فاسقطوا هذه المظلمة عن هذا الرجل من أشياعنا - إذا كان يوم القيامة وُلِينَا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزَّ وجل حكمنا فيها فأجابنا ومن كانت مظلمته بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كُنَّا أحق من عفا وصفح - نحن نعفو عنكم ونصفح عنكم وهذه مظاهر مجالي من مجالي الرحمة الرحيمية في أشخاص الأئمة في يوم القيامة، وإلا هناك مجالي للرحمة الرحمانية وللرحمة الرحيمية أيضاً في يوم القيامة، لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن كل شيء في مثل هذا الوقت الضيق.

الرواية التي أختتم بها حديثي رواية جميلة جداً الرواية هذه منقولة في تفسير فرات بن إبراهيم وهو من التفاسير الجميلة التي نقلت نواذر وأجمل الروايات في تفسير القرآن عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية طويلة أخذ منها سطوراً، الرواية ينقلها ابن عباس عن سيد الأوصياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتحدث مع فاطمة يحدثها عن مشاهد ومواقف يوم القيامة، النبي هكذا يقول: ثم يقول جبرئيل - بعد حديث طويل، أنا فقط أخذ سطوراً، الرواية طويلة وجميلة جداً، لكن المقام لا يسع لقراءتها بتمامها - ثم يقول جبرئيل: يا فاطمة سلي حاجتك، فتقولين: يا ربَّ شيعتي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربَّ شيعة وُلدي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربَّ شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقني فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة - انطلقني فمن اعتصم بك من لجأ إليك من لاذ بك، وهؤلاء الذين يتمكنون من الاعتصام بفاطمة هم الذين يعتصمون بها في الدنيا، وإلا ليس كل أحد يستطيع أن يعتصم بفاطمة، أول شيء ماذا طلبت؟ قالت يا ربَّ شيعتي، ثم يا ربَّ شيعة وُلدي، ثم يا ربَّ

شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقى فمن اعتصم بك من شيعتك من شيعة وُلدك من شيعة شيعتك من اعتصم بك، من الذي يستطيع أن يعتصم بفاطمة في ذلك اليوم؟ من كان له قدرة على أن يعتصم بها في الدنيا، من كان معتصماً بها في الدنيا - فيقول الله: انطلقى فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة، فعند ذلك - هذه العبارة جميلة جداً في الروايات - فعند ذلك توذُ الخلائق أنهم كانوا فاطميين - وهذا مُرادى أن الذي يعتصم بفاطمة من كان فاطمياً في الدنيا، هؤلاء هم الذين يعتصمون بها، الله يقول لها بالبداية ماذا سألت؟ قالت: يا رب شيعتي، شيعة وُلدي، شيعة شيعتي، قال: انطلقى من يعتصم بك، من يتعلق بك، من الذين سيتعلقون بفاطمة؟ الفاطميون كل من كان فاطمياً في الحياة الدنيوية هو هذا الذي يستطيع أن يعتصم بها - فعند ذلك توذُ الخلائق أنهم كانوا فاطميين - ويا ليتنا كُنّا فاطميين في الدنيا وفي الآخرة - فعند ذلك توذُ الخلائق أنهم كانوا فاطميين فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين - ماذا تقول الرواية؟ فاطمة تسير والشيعية تسير معها - آمنة روعاتهم - وهذه أجلى معاني الرحمة الرحيمية - آمنة روعاتهم مستورة عوراتهم - لأنه في يوم القيامة العوارت مُكشّفة - قد ذهبت عنهم الشدائد وسهلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويظماً الناس وهم لا يظمئون - من هم هؤلاء؟ هؤلاء الفاطميون هؤلاء الذين يعتصمون بفاطمة في الدنيا.

أيلومنا أحد أن نلهج بذكر فاطمة بعد هذا الكلام؟ حين نلهج دائماً بذكر فاطمة، حين نُزَيِّنُ مجالسنا بذكر فاطمة، حين نرفع أسم فاطمة شعاراً لنا، حين نجعل حياتنا في مدار خدمة فاطمة، أيلومنا أحد بعد ذلك؟! إنما نبحت عن نجاتنا في ذلك، إنما نبحت عن منافعنا في ذلك، هل يلوم أحد التاجر حينما يحرص على تجارته!! تجارتنا مع فاطمة، رأس مالنا مع فاطمة، حياتنا مع فاطمة، ديننا مع فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

لولا حُبُّكَ تحمد أنفاسي يا بنت رسول الله ...

لولا حُبُّكَ تهدأ أجراسي ...

طاقة أنفاسي من حُبِّكَ يا زهراء ...

لولا حُبُّكَ تحمد أنفاسي ...

لولا حُبُّكَ تهدأ أجراسي ...

يا زهراء يا زهراء يا زهراء ...

فعند ذلك توذُ الخلائق أنهم كانوا فاطميين فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين آمنة روعاتهم مستورة عوراتهم - هنيئاً للفاطميين - قد ذهبت عنهم الشدائد وسهلت لهم الموارد

يخاف الناس وهم لا يخافون ويظماً الناس وهم لا يظمتون فإذا بلغت باب الجنة تلقىك اثنا عشر ألف حوراء لم يتلقين أحداً قبلك - هذا للاستقبال - ولا يتلقين أحداً كان بعدك - وفاطمة في الروايات هي أول داخلٍ إلى الجنة، أول شخص يدخل إلى الجنة فاطمة، يُدخلها رسول الله، تدخل قبل رسول الله وقبل سيد الأوصياء، هم يُدخلونها، فاطمة كما قلت قبل قليل هي الحقيقة الجامعة بين النبوة والولاية وفي ذلك سرٌّ عظيم، أعود أقرأ هذا النص - فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة أولادك وشيعة أمير المؤمنين آمنة روعاتهم مستورة عوراتهم قد ذهبت عنهم الشدائد وسهلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويظماً الناس وهم لا يظمتون - كل ذلك بفضل فاطمة، فاطمة هي صورة الرحمة.

أليس فاطمة هي الأم؟! فاطمة أم أبيها، فاطمة أم الأئمة، فاطمة هي أم الكتاب، وفاطمة هي أم المؤمنين، أليس عندنا في الروايات إن أطفال المؤمنين الذين يموتون وهم رُضّع ماذا تقول الروايات؟ إن أطفال المؤمنين أطفال شيعتها إن أطفال الفاطميين، من هم شيعتها؟ شيعتها الفاطميون، إن أطفال الفاطميين الذين يموتون وهم رُضّع، الروايات تقول الملائكة تحملهم إلى أين؟ تحملهم إلى الجنان، إلى أين؟ إلى جنة فاطمة، هي التي تُشرف عليهم، هناك شجرة في جنتها هؤلاء الأطفال يرضعون منها، هي ترضعهم وهذه روايات فيها إشارات ورموز.

أسأله سبحانه وتعالى ونحن في شهر والد فاطمة، أسأله بوالد فاطمة بفاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسر المستودع فيها أن يوفقنا جميعاً، أن يوفقني وأن يوفقكم لخدمة فاطمة في حياتنا الدنيوية أن نحيا على خدمتها وأن نموت على خدمتها وأن نُحشر تحت رايته، أن نعيش فاطميين وأن نموت فاطميين، أسأله تعالى أن يجعل آخر لفظٍ أتلفه في حياتي وأحبُّ أن يكون ذلك لي ولكل إخواني المؤمنين أن أتلفه مستغيثاً مستجيراً يا زهراء. وكل ذلك إنما هو من مجالي معنى معدن الرحمة وانقضى الوقت وزاد اليوم شيئاً وما انقضى الكلام، لا زالت القضية طويلة، فحالي أشبه بحال ذلك الذي يقرأ قصة ألف ليلة وليلة وفي نهاية كل ليلة يقول الراوي فقد طلع الصباح وسكنت شهرزاد عن الكلام المباح، مهما تحدثنا ومهما قلنا فإن الكلام قليل، وهناك العشرات والعشرات من النصوص التي يمكن أن أوردتها في بيان هذه المعاني ولكننا ماذا نصنع بسيف الوقت، أكتفي بهذا القدر وإن شاء الله في طوايا الحلقات القادمة تبين لنا الكثير من المعاني في فضائل أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ. والسلام عليكم يا شيعة آل مُحَمَّدٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة التاسعة

معنى وخزان العلم

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وتقبل الله طاعاتكم في هذه الأوقات الشريفة، هذه الحلقة التاسعة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ربما تكون هذه آخر حلقة قبل شهر رمضان المبارك فيوم الخميس القادم إذا كان من شهر شعبان فستكون الحلقة الأخيرة قبل شهر رمضان في يوم الخميس القادم، وإذا كان يوم الخميس القادم هو الأول من شهر رمضان المبارك فإننا ستشرع كما أخبرتكم من قبل في شهر رمضان في اليوم الأول نشرع في برنامج قرآنا وفي اليوم الثاني سيكون الشروع ببرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، فبين يوم ويوم طيلة الشهر الشريف نعيش بين أجواء الكتاب والعترة.

اليوم وصلنا إلى قول الإمام صلوات الله وسلامه عليه: **وَحُزَانُ الْعِلْمِ.**

وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المحدث الثماني رضوان الله تعالى عليه، الزيارة تقول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَحُزَانِ الْعِلْمِ** - أقفُ اليوم في هذه الحلقة من برنامجنا هذا عند قوله صلوات الله وسلامه عليه - **وَحُزَانِ الْعِلْمِ** - هذا العنوان وهذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة لربما هي أهم فقرات وأهم عناوين الزيارة الجامعة، لأن مدار كل الأوصاف ولأن مدار كل الحالات ومدار كل المقامات والمراتب هو العلم - **وَحُزَانِ الْعِلْمِ** - حُزَانِ جَمْعُ لِحَازِنٍ وَالْحَازِنُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ الْحِزَانَةِ، هُنَاكَ حُزَانَةٌ، طَبَعًا هَذَا الْكَلَامُ بِالنِّسْبَةِ لِمَا هُوَ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَوِيَّةِ وَبِالنِّسْبَةِ لِلْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ، حُزَانٌ جَمْعٌ لِحَازِنٍ وَالْحَازِنُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ الْحِزَانَةِ، يَحَافِظُ عَلَيْهَا، يُشْرِفُ عَلَيْهَا، يَدْبُرُ أُمُورَهَا، وَالْحِزَانَةُ هِيَ الْمَوْضِعُ وَالْمَحَلُّ الَّذِي تَحْفَظُ فِيهِ الْأَسْرَارُ، تَحْفَظُ فِيهِ الْأَشْيَاءَ الثَّمِينَةَ، يَحْفَظُ فِيهَا كُلَّ مَا لَهُ قِيَمَةٌ، الْعِلْمُ وَاضِحٌ مَعْنَاهُ وَهُوَ ضِدُّ الْجَهْلِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ إِنَّمَا تُسْتَبَانَ الْأَشْيَاءُ بِأَضْدَادِهَا، الْعِلْمُ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عَلَى حَالَةٍ أَوْ عَلَى حَالٍ أَنْ يُوَصَفَ فِيهَا بِأَنْ يَكُونَ حَامِلًا مَالِكًا حَاصِلًا عَلَى مَا يُسَمَّى بِالْعِلْمِ وَالَّذِي هُوَ ضِدُّ الْجَهْلِ، وَحُزَانُ الْعِلْمِ بِحَسَبِ الْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ لِهَذِهِ التَّرَكِيبَةِ اللَّفْظِيَّةِ يَعْنِي هُنَاكَ

خزائن ويخزن في هذه الخزائن العلم وهم المشرفون المتولون على ذلك، هذا المعنى اللغوي إذا أردنا أن نفكك هذه الكلمة أو هذه العبارة تفكيكاً لغوياً، خزان العلم، وإلا سيتضح لنا فيما بعد من خلال الآيات الكريمة ومن خلال النصوص المعصومية أنهم هم خزانة العلم الإلهي، ولا يوجد هناك شيء اسمه خزانة وهم يشرفون على هذه الخزانة لكنني بينت هذا المعنى لأجل تفكيك الكلمة تفكيكاً لغوياً، فخرّان جمع لخازن والخازن هو الذي يُشرفُ على الخزانة، أما هنا في الزيارة فالمراد أنهم هم خزائن علم الله، فالكلام هنا ليس عن عالم الدنيا، الكلام هنا عن العوالم الإلهية، عن العوالم القادسة، عن العوالم العلوية، فهم خزائن علم الله سبحانه وتعالى في عوالمه العليا وفي عوالمه السفلى، هكذا إذا نُسلم على ائمتنا:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ التُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخَزَانِ الْعِلْمِ - أما العلم فما المراد منه؟ العلم قد يُقال في تعريفه هو انطباع الصور العلمية أو انطباع صور الحقائق الخارجية الموجودة في الخارج، الموجودة في الواقع والمراد من الواقع ربما يكون أعم من الخارج، لأن الموجود في الخارج إنما يُقصد منه ما كان له وجود جسمي، وجود مادي، وجود محسوس، أو ما يقرب من ذلك، وأما حينما أقول ما هو في الواقع في عالم الواقع فإنما هو في عالم الواقع يشمل الوجود الخارجي ويشمل الوجود الذهني، فهناك الكثير من الموجودات الذهنية التي هي قائمة في الوجود الذهني فقط، وعلى أي حال، العلم بشكلٍ مجمل هو انطباع الصور العلمية انطباع الصور المعلومات في الذهن، هذا بشكلٍ عام معنى العلم، أما كيف يمكننا أن نتصور حقيقة العلم؟ قطعاً الحديث هنا عن حقيقة العلم بالنسبة إلينا، بالنسبة لي وبالنسبة للمشاهدين وليس الكلام هنا عن حقيقة العلم المنسوبة والتي نتحدث عنها بخصوص هذه الفقرة من الزيارة - وَخَزَانِ الْعِلْمِ - لكننا نستكشف من خلال معرفتنا لتصوير حقيقة علمنا نستكشف نتلمس شيئاً من معنى علمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هناك عنوانٌ في كتب الفلسفة يعرفه المتخصصون في الفلسفة، يعرفه دارسوا الفلسفة، ما تسمى بالمقولات، المقولات الكبرى، ما تسمى بالمقولات العليا بالمقولات العشر، لا أريد أن أتعب المشاهدين والمشاهدات بالمصطلحات الفلسفية وبالنظريات الفلسفية لكنني سأبسط الكلام بقدر ما أتمكن لأجل توضيح معنى العلم، المقولات الفلسفية الكبرى، المقولات العشر أو المقولات التسع على اختلاف آراء الفلاسفة في ذلك، المقولات والتي قد يقع التعبير عنها في بعض الأحيان بالأجناس العالية أو بأجناس الأجناس، هذه المقولات هي عبارة عن نوع من

التصنيف، الآن في كل علم من العلوم يوجد هناك نوع من التصنيف وإلا كيف نستطيع أن ندرس أي علم من العلوم ما لم يكن هناك تبويب وتصنيف للمعلومات التي يدرسها ذلك العلم، في كل علم من العلوم، في العلوم المختبرية، وفي العلوم الإنسانية، في العلوم النقلية، في العلوم العقلية، في أي علم من العلوم هناك تبويب وتصنيف على أساسه تقسم مسائل العلم أو تُقسم الأمور التي يدرسها ذلك العلم، تحت عناوين معينة، مثلاً حين يأتي الدارسون فيدرسون الأمراض ألا يقسمونها إلى أنواع وإلى أنحاء، هناك الأمراض الجسدية التي تصيب الجسد، وهناك الأمراض النفسية، وهناك الأمراض العقلية، الأمراض العقلية باب واسع، الأمراض النفسية باب واسع، الأمراض الجسدية باب واسع، وهكذا في كل باب من هذه الأبواب أنواع وتصنيفات وهكذا في كل علم من العلوم.

في الفلسفة هناك تصنيف للأشياء التي تدرسها الفلسفة، والفلسفة الإلهية بشكل عام بنحو عام إنما تتناول دراسة الوجود، تتناول دراسة الموجودات، فهناك تقسيم للموجودات بعدة لحاظات، لحاظ من هذه اللحاظات أو نوع من أنواع التبويب نوع من أنواع التصنيف لدراسة الوجود لدراسة الموجودات وطبائع الموجودات وما يرتبط بها وما يؤدي إلى تصنيفها وتنوعها هناك تبويب هناك عناوين تسمى باسم المقولات، ولا أريد أن أخوض كثيراً في هذه المسألة، أحدى هذه المقولات يُصطلح عليها الكيف، مصطلح الكيف، ومصطلح الكيف مشتق في أصله من أداة الاستفهام كيف، مصطلح الكيف في أصله مشتق من أداة الاستفهام كيف، كيف عن أي شيء نسأل بها؟! حينما نقول: كيف هو الأمر الفلاني، السؤال يكون عن حالة ذلك الأمر وطبيعته التي يتهياً منها ويتهياً بها، فحينما نتحدث عن كيفية شيء من الأشياء، ما يقال له كيفية ذلك الشيء يقع تحت هذا العنوان الكيف ويقال الكيفيات، والكيفيات على أنحاء هناك الكيف المحسوس، الكيف المحسوس أيضاً ينقسم بانقسام الحواس بحسب المشهور هناك الحواس الخمس، الإنسان يمتلك حواس كثيرة لكنني لستُ بصدد الدخول في هذا الموضوع، فلنتحدث عن الحواس الخمس، فلنتحدث عن حاسة الذوق مثلاً الآن نحنُ حينما نتحدث عن السكر فبأي شيء نَصِفُ السكر؟ حين نتحدث عن كيفية السكر، عن كيف السكر، عن حالة السكر، عن طبيعة السكر، نَصِفُ السكر بالحلاوة وهذا أول شيء يتبادر إلى أذهاننا حين نتذكر السكر سواء كان هذا التذكر لفظي أو هذا التذكر ذهني، مجرد أن نتذكر السكر يتبادر إلى أذهاننا مباشرةً الحلاوة، هذه الحلاوة توجد لها صورة في ذهن الإنسان وهي

الصورة الذهنية للسكر، السكر شيءٌ حلو هذه الصورة محفوظة في خزانة الذاكرة العلمية للإنسان، لكن كيف وصلت هذه الصورة إلى الذهن البشري؟

هناك قدرة عند الإنسان، أنا شخصياً أصطَلح عليها بالقدرة الانتزاعية، هناك قدرة عند الإنسان أسميها القدرة بالانتزاعية، القدرة الانتزاعية الله سبحانه وتعالى وهبها للإنسان وحتى للحيوان وحتى للنبات، لكن الحديث عن الإنسان والقدرة الانتزاعية عند الإنسان في أعلى درجاتها لو قيست بالنسبة للحيوانات وبالنسبة للنباتات، القدرة الانتزاعية قدرة وقوة عند الإنسان من خلالها يستطيع الإنسان أن ينتزع معاني أن ينتزع صور من الأشياء المحيطة به التي يؤثر فيها أو يتأثر بها، سواء كان الإنسان فاعلاً فيها أو منفِعاً بها، حينما أقرب من فمي قطعةً من السكر وحينما أدخلها في فضاء فمي وتبدأ هذه القطعة بالذوبان في أول عملية هضم لها في جوف الفم تبدأ هذه القطعة من السكر بالذوبان فاستشعر بسبب حاسة الذوق وبسبب القدرة الموجودة في الشعيرات العصبية وفي القدرة العصبية الموجودة في فم الإنسان وفي شفطي الإنسان وفي لسان الإنسان الآلية التي جعلها الله سبحانه وتعالى لتذوق المطعومات والمشروبات عند الإنسان، هذا السكر كيف نقل لي طعم حلاوته؟

أنا أملك وسائل لتلمس ولتذوق الحلاوة لكن السكر كيف نقل لي هذا الطعم!! يقولون في الفلسفة بأن هذا السكر، هذا المحسوس الذوقي، هذا السكر فعل في مجاوره شيئاً أن نقل إليه بعض خصائصه، السكر في طبيعته هو حلو، فحينما وجد في فضاء فمي وبدأ بالذوبان السكر نقل طبيعته شيئاً مشابهاً من طبيعته، وإلا لم ينتقل السكر إلى حاسة الذوق عندي، الذي انتقل إلى حاسة الذوق هو شيء من طبيعة السكر، أنا أخذت السكر فتناولته فذاب السكر في فمي فأحسست بحلاوته، السر في ذلك أن السكر نقل إلى حاسة الذوق عندي شيئاً من طبيعته، ما سميته قبل قليل بالقدرة الانتزاعية، الحقيقة ليس هو السكر الذي نقل لي وإنما قالت الفلسفة في بعض جهاتها هكذا، وإنما إذا أردت أن أصف الأمر بالدقة هناك قدرة انتزاعية موجودة عند الإنسان يستطيع الإنسان أن ينتزع خصائص الأشياء بهذه القدرة، فإذا كان هذا السكر حلواً ووُجد في فضاء الفم قريباً من الملامس الذوقية، هذه الملامس الذوقية الموجودة عند الإنسان، هذه القدرة الذوقية الموجودة عند الإنسان موجودة فيها مودعة في داخلها قدرة انتزاعية لانتزاع صورة مطابقة للأصل السكري، وبعد ذلك هذه الإشارات التي أخذتها هذه اللوامس الذوقية تُنقل عبر الأعصاب في

موجات في إشارات إلى الذهن البشري فتُخزن هناك، هذه العملية هذه الحالة هذه الصورة تسمى في الفلسفة بالكيف المحسوس، يعني أن السكر فعل في مجاوره شيئاً يشبه طبيعة السكر، كما هو الحال مع النار، النار حينما تُسجَّر في مكان فإنها ستُدفئ ما حولها كيف أدفأت ما حولها؟ أنها نقلت شيئاً من خصائصها إلى الجو الملامس لها، النار نقلت شيئاً من كيفيتها، وهكذا وهناك الكيف المسموع للصوت وهناك الكيف المرئي نحن كيف نرى الأشياء؟ قديماً كانوا يقولون بأن العين هي التي ترى الأشياء ولكن العلم الحديث أثبت أن العين لا تستطيع أن ترى الأشياء من دون النور، النور الضوء هو الذي ينقل صور الأشياء إلى العين، هذا كيف مرئي لا أريد الحديث كثيراً في هذه القضية، إنما أردت أن أقرب المعنى، أين موقع العلم من هذا؟ العلم يقولون عنه بأنه كيف نفساني، إذا كان السكر يعطينا كيفاً محسوساً، العلم هو كيف نفساني، الكيف النفساني يعني الذي يكون خارجاً عن الحواس، طبعاً هناك عندنا علم من طريق الحواس، وتلك مسألة أخرى ولا أريد الخوض فيها لا أريد الخوض في كل هذه الجزئيات والتفصيلات، العلم كيف نفساني يعني أن الإنسان عنده قدرة على انتزاع صورة من الأشياء المحيطة بنا، هذه الصورة المنتزعة من الأشياء المحيطة بنا أين تكون؟ تكون في الذهن البشري، تكون في الحافظة، في الذاكر العلمية للإنسان، ما هي طبيعة هذه الصورة؟ طبيعتها أنها كيف نفساني، مثل ما أن السكر نقل لنا بالكيف المحسوس طبيعة حلاوته، الأشياء المحيطة بنا نقلت إلينا صورها بأي طريقة؟

بطريقة الكيف النفساني يعني الأشياء المحيطة بنا نقلت هذه الصور إلى نفوسنا إلى العالم النفسي إلى العالم الروحي إلى العالم العقلي للإنسان، فهذا هو الكيف النفساني، يُقال بأن العلم يقع تحت مقولة الكيف النفساني، باعتبار أن العلم حقيقة موجودة في حياتنا، فحينما تأتي الفلسفة لدراسة هذه الحقيقة تحت أي مقولة تحت أي باب تُصنَّفها؟ إنها تُصنَّف ذلك تحت مقولة الكيف وبالذقة تحت مقولة الكيف من النوع النفساني، إذاً العلم كيف نفساني، وهنا وقع النقاش بين الفلاسفة قديماً ومنذ زمن الإغريق وقع هذا النقاش بأن هذه الصور الموجودة في ذهن الإنسان، هذه الصور هل هي المعلومات بنفسها أم هي خيال وظل للمعلومات، فقالوا لو كانت هذه الصور هي المعلومات بنفسها وبها لتربت الآثار الواقعية والخارجية على هذه الصور في ذهن الإنسان، نحن حينما نتصور الثلج فهل نستشعر ببرودته؟ لا نستشعر ببرودته، يعني لو كان الثلج بنفسه موجوداً في أذهاننا لأحسنا ببرودته لكننا لا نملك في أذهاننا ثلجاً حقيقياً وإنما نملك في

أذهاننا صورة، وهذه الصورة منتزعة وتحمل الحقيقة، ولذلك من هنا حدث الاشتباه في الفكر السفسطي أو السفسطائي الذين قالوا بأن ما هو موجود في ذهن الإنسان لا يمثل الحقائق الخارجية، لماذا قالوا بأن الموجود في ذهن الإنسان لا تترتب عليه الآثار الموجودة في الواقع الخارجي، يعني حينما نتصور النار فإننا لا نستشعر حرارتها ولا نحترق بها وإنما نملك صورةً ظلية، ومن هنا قالوا بأن الموجود في الذهن البشري لا يمثل معرفةً حقيقية، ولذا قالوا بأن الإنسان لا يملك طريقاً للعلم بالواقع، لماذا؟ لأن الواقع لا يدخل في ذهن الإنسان وإنما الذي يدخل في ذهن الإنسان مجرد صور وخيالات، وأنا لا أريد الخوض في هذه القضية، قبل قليل أشرت إلى القدرة الانتزاعية، هذه القدرة الانتزاعية الموجودة عند الإنسان إنما تنتزع الصورة الحقيقية للشيء.

الله سبحانه وتعالى أودع هذه القدرة عند الإنسان وأودعها في جميع جنات وجهات الإدراك البشري، إن كان هذا الإدراك بالمستوى العقلي والمستوى العقلي على درجات وعلى مراتب، وإن كان هذا الإدراك بالمستوى الوجداني والقلبي وأيضاً الإدراك الوجداني على درجات ومراتب، وإن كان هذا الإدراك بالمستوى الحسي والحواس كثيرة ولا يشتهه عليك إن الحواس فقط هي الخمس، أنا أتى بمثال مثلاً حينما يتغير الزمان على الإنسان أو يتغير المكان ويحس الإنسان بتغير الزمان والمكان لو نظر الإنسان بدقة لوجد أنه يملك حاسةً يستشعر بها تغير الزمان وتغير المكان من غير هذه الحواس المعروفة، حينما نرفع شيئاً ثقيلًا وآخر خفيفاً فنستشعر الفرق في وزن هذه الأشياء بأي حاسةٍ استشعرنا ثقل الشيء وخفته؟

ليس بالحواس الخمس ولا بحاسة إدراك تغير الزمان والمكان هناك حاسة أخرى عندنا نميز بها الشيء الثقيل من الخفيف، هناك العشرات والعشرات والعشرات من الحواس الموجودة عند الإنسان، فهناك الإدراك العقلي بمراتبه، وهناك الإدراك الوجداني بمراتبه، وهناك الإدراك الحسي بمراتبه الكثيرة جداً، وهناك الإدراك البصري الإدراك الذي يرجع إلى البصيرة، وهناك الإدراك المشترك، هناك الإدراك المشترك وهو الإدراك الإنساني، هناك إدراك عند الإنسان تجتمع فيه كل هذه المدارك، قطعاً هناك الإدراك الفطري وهناك معاني أخرى للإدراك وللمراتب الإدراك، هناك الإدراك الإلهامي وقد يكون الحدس من أوائل مراتب ودرجات الإلهام، وإن كان الإلهام في درجاته العليا لا يشبه الحدس، حقيقة أخرى، قضية أخرى، فهناك مراتب كثيرة للإدراك البشري هذه المراتب الكثيرة من الإدراك البشري هي التي تعطي للإنسان القدرة بسبب ما فيها من قدرة انتزاعية على معرفة الحقائق في الواقع، سواء كانت هذه الحقائق موجودة بوجودٍ خارجي في العالم الخارجي،

أو موجودة بوجودٍ ذهني في العالم الذهني، وهذه الموجودات الموجودة في الواقع الخارجي سواء كانت مادية أو كانت برزخية أو كانت غير ذلك من المراتب الخلقية الأخرى، فعلم الإنسان إنما يكون تصوره بهذه الهيئة، بهذه الحالة هو كيفٌ محسوس.

أما علم الله سبحانه وتعالى فذلك شيءٌ آخر لا ينطبق عليه هذا الكلام، علم الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يُقال بأنه علم انتزاعي، علمي أنا وعلم المشاهد علم انتزاعي، بالقدرة الانتزاعية ننتزع الحقائق الموجودة في الواقع الخارجي، في الواقع بشكل عام، وكل حقيقة إن كانت خارجية أو ذهنية بحسبها، وأساليب الانتزاع المودعة عند الإنسان تختلف ما بين العقل والوجدان، وما بين الحواس وما بين البصيرة، وغير ذلك من قوى الإدراك البشري، علم المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، علم المعصوم أيضاً ليس هو من هذه الرتبة، والروايات والأحاديث تُحدِّثنا عن خصائص علم المعصوم، قطعاً أنا لا أنفي وجود القدرة العقلية والقدرة الوجدانية والقدرة الحسية وقدرة البصيرة، ما عند الناس من قدرات عند المعصوم في وجوده البشري، هذه القدرات موجودة لأنها من كمال خلقة الإنسان بما هو إنسان في العالم الأرضي، وإن كان المعصوم لا يحتاج إلى هذه القدرات لكنها كبقية أعضاء الجسد، علم المعصوم أعلى رتبةً من هذه القدرات ومن هذه المراتب، قد يتعامل المعصوم صلوات الله وسلامه عليه بهذه الأمور وفقاً لحياته في المجتمع البشري ووفقاً للقانون وللقاعدة التي يعمل بها المعصوم مع الناس من أنه يعيش معهم على أساس المداراة، وهذا موضوعٌ آخر لا أريد الخوض فيه، لأن المداراة أوسع من أن تكون في حدود اللفظ أو في حدود الكلام أو في حدود بيان المطالب العلمية، المداراة موضوع أوسع من هذه القضية، قد أتناوله في وقتٍ آخر في بحثٍ آخر وأبين أن المعصوم عليه السلام يعيش مع الناس وفقاً لقاعدة المداراة ووفقاً لقانون المداراة.

فتبين لنا من خلال هذه المقدمة أنَّ حقيقة العلم الذي نملكه من الوجهة الفلسفية هو كيفٌ نفساني، مثل ما يؤثر السكر في ألسنتنا في شفاهنا في فضاء الفم فيؤثر فينا بشيء يشبه طبيعة وخصائص السكر، كذلك الأشياء المحيطة بنا حينما نوجه أنظارنا إليها تؤثر فينا تأثيراً بنحو الكيف النفساني فتنتقل إلينا هذه الصور والوسيلة عبر القدرة الانتزاعية الموجودة عند الإنسان المودعة في كل مدارك الإنسان، ومع ذلك فهناك تقسيمٌ آخر لعلمي ولعلم المشاهد، هناك ما يسمى بالعلم الحسولي، وهناك ما يسمى بالعلم الحضورى، ولا أريد التفصيل كثيراً في هذه القضية بشكل سريع أقول، ما يسمى بالعلم الحسولي بالنسبة للإنسان لي

ولأمثالي، أن تنطبع صورة المعلوم عند الإنسان، مثل الكثير من المعلومات، مثل هذه المعلومات التي أتحدث الآن إليكم بها، هذه المعلومات قطعاً لا أستطيع أن أذكرها ما لم تكن هناك صور لها موجودة في ذهني، هناك صور للمعلومات، العلم الذي يكون بهذه الحالة بهذه الهيئة صور للمعلومات في ذهن الإنسان يسمى بالعلم الحسولي، وهناك علم آخر وهو العلم الحضورى، العلم الحضورى أن يكون المعلوم حاضراً بنفسه، بالنسبة للإنسان كيف يتحقق هذا المعنى؟ علمي بنيتي هذا علم حضورى لأن النية موجودة عندي، علم الإنسان بنفسه وبمخالاته النفسية هذا علم حضورى، فالمعلوم هنا حاضر بنفسه وليس صورة المعلوم، الآن مثلاً حينما أتحدث عن القمر أو عن الشمس، هل الشمس حاضرة عندي موجودة في داخلي، في داخلي الإنساني!! الشمس غير حاضرة إنما الموجود في ذهني هو صورة الشمس، العلم بالشمس بالنسبة لي هو علم حصولى لماذا؟ لأن الحاصل عندي الحاصل في ذهني هو صورة المعلوم، لكن علمي بنيتي نيتي موجودة عندي، علمي بنيتي هو علم حضورى.

علم المعصوم يكون من هذه المرتبة، الأشياء حاضرة عنده، المعلومات حاضرة بنفسها وهذا هو علم الإحاطة أن الأشياء حاضرة بنفسها عنده ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذه الرؤية تستند إلى العلم الحضورى ولا تستند إلى العلم الحسولى لأن هذه الرؤية بسبب الإحاطة، يعني أن المعصوم أعطاه الله سبحانه وتعالى قدرة أن يحيط بهذه المعلومات بنفسها لا بصور المعلومات، كما أنى قادر على أن أحيط بنيتي، أليس الآن أنا محيط بنيتي ونيتي حاضرة عندي، المعصوم نيات الخلائق أعمال الخلائق حاضرة عنده وإلا ما معنى هذه الرؤية؟ ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ طبعاً هذا التقريب للعلم الحضورى بالنسبة للإنسان يكشف عن حقيقة علم المعصوم بنحو يسير جداً، علم المعصوم أرقى رتبة من هذا العلم، لكنني كيف أحاول تقريب المعنى لنفسى ولمن يستمع لي، كيف أقرب المعنى، لا بد أن أحتاج إلى وسائل إيضاح، لا بد أن أحتاج إلى آليات لتوضيح المطلب، لذلك أنا جئت بهذه المقدمة ابتداءً من الكيف النفساني ومن ثم دخلت إلى العلم الحسولى والعلم الحضورى وكل ذلك إنما هو عن طبيعة علم الإنسان العادى، علمي وعلمك، أما علم المعصوم فهو من نحوٍ آخر، علم المعصوم حتى لا يمكنني أن أقول بأنه علم حضورى كالعلم الحضورى الذي هو عندي كعلمي بنفسى، علم المعصوم يمكن أن أصطلح عليه

بالعلم الحضوري بما يناسبه هو، حين يقول سيد الأوصياء - ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه - هذا اختراق لحقائق الأشياء، هذا اختراق، ما رأيتُ شيئاً، القضية ليست قضية روحانية كما يريد البعض أن يصورها بأن الإمام عليه السلام يعيشُ في حالةٍ روحانية فهو إذا نظر إلى الأشياء من باب أن الآثار تدل على المؤثر، متى كان أهل البيت يتعاملون مع الآثار!! وأنا أقرأ في أدعيتهم التي علموني إياها في دعاء سيد الشهداء في يوم عرفة - إلهي ترددي في الآثار يوجب لي بُعد المزار - إذا كان هذا المعنى يصح لي ولأمثالي فمتى تردد عليّ في الآثار؟!

حين يقولها عليّ: ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه. هذا اختراق، اختراق لحقائق الأشياء وتلك هي الإحاطة، في دعاء البهاء في دعاء السحر وليالي شهر رمضان قادمة ويستحب قراءته، القراءة لا تكفي - ألا لا خير في قراءةٍ ليس فيها تدبر - القراءة تحتاج إلى تدبر - اللهمّ إني أسألك من علمك بأنفذه - علم نافذ، علم اختراقي، يقال سهمٌ نافذ، السهم النافذ السهم الذي يخترق الهدف يصيب الهدف ثم يخترقه، يقال نفذ السهم، دخل السهم في الهدف في الغرض الذي رُمي إليه فاخترقه - اللهمّ إني أسألك من علمك بأنفذه - الحديث هنا ليس عن العلم في الذات الإلهية لا يوجد في العلم في الذات الإلهية مراتب - اللهمّ إني أسألك من علمك بأنفذه - يعني هناك علم نافذ وعلم أنفذ، الحديث هنا ليس عن علم الذات الإلهية، فعلم الذات الإلهية ليس فيه مراتب، علمه واحد، علمه ذاته، ذاته علمه - اللهمّ إني أسألك من علمك بأنفذه - يعني هناك علم نافذ وهناك أنفذ، وهل هناك من علم أنفذ من هذا العلم؟ من علم عليّ - ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه - قد أُقربُ لك المعنى، حينما يكون أمامي قطع من الثلج، أمامي أو أمامك أمام الناس، حينما يكون أمامنا قطع من الثلج نحن نعلم بأن هذا الثلج إنما هو ماء ولكن هذا الماء بسبب انخفاض درجة الحرارة تقلصت المسافات الجزيئية فاقتربت جزيئات الماء من بعضها فحين اقتربت هذه الجزيئات من بعضها ضعفت الحركة الجزيئية، سرعة الحركة الجزيئية تباطأت، المسافات فيما بين الجزيئات قلت بسبب الانخفاض في درجة الحرارة، قلت المسافات بين الجزيئات مما أدى إلى التباطؤ في سرعة حركة الجزيئات فتماسكت الجزيئات فيما بينها فصار الماء ثلجاً، الثلج ماء، والماء نحن نعلم بأنه مؤلفٌ من الهيدروجين والأكسجين، ورمزه معروفٌ لديكم H₂O في كل جزيئةٍ من جزيئات الماء هناك ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأكسجين، ذرة الأكسجين

كبيرة وذرتا الهيدروجين صغيرتان، فهناك ذرة الأوكسجين الكبيرة وذرتا الهيدروجين الصغيرتان، فحينما يخترق النظر العلمي هذا الثلج أين يصل، الثلج أصله ماء، أصل الماء هيدروجين وأوكسجين، الهيدروجين والأوكسجين ما هما؟ غازات وإنما تكون الأشياء غازات المواد غازات بسبب التباعد بين ذراتها بين جزيئاتها وبسبب الحركة السريعة كلما ازدادت سرعة الجزيئات والذرات وتباعدت فيما بينها تحولت الأشياء إلى غازات، والهيدروجين والأوكسجين يتألف من ذرات، وهذه الذرات فيها نواة، والنواة فيها نوية وهناك الموجودات التي تدور في فلك الذرة هذه الأجزاء الصغيرة من الألكترون البروتون النيوترون وأنواع كثيرة الآن اكتشفت من الجسيمات الصغيرة، الآن في العلوم الحديثة اكتشفت أنواع كثيرة من الجسيمات الصغيرة، هناك من يقول يحتمل أن يُكتشف في هذه الذرات مليارات من الجسيمات الصغيرة في الأزمنة القادمة، الآن يقولون بأن هناك أكثر من 250 نوع من أنواع هذه الجسيمات اكتشفت ولم توضع لها أسماء وإنما وضعت لها أرقام، ما حقيقة هذه الجسيمات؟

إنها نحو من أنحاء الطاقة، نحو من أنحاء الطاقة الكهرومغناطيسية، ما حقيقة الطاقة الكهرومغناطيسية؟ لا أحد يعرف ما وراء ذلك لكن لو رجعنا إلى الروايات تقول الروايات بأن أصل الأشياء إنما هو نور ولكن ليس نوراً حسيماً، هذا النور تشكل وظهر في ظهورات ومراتب وفي أسفل هذه المراتب ظهرت هذه الوجودات المادية في العالم الطبيعي، فهذه تجليات من هناك، مقصودي إن الناظر إلى قطعة الثلج هذه بالنظر العلمي المحدود يمكن ان يصل إلى تلكم الأبعاد، هذا وعلم الإنسان علم محدود وعلم من النوع الحسولي وهو حصول صورة المعلوم في ذهن الإنسان، ومن النوع الكيفي النفساني، وعلم المعصوم يختلف عن ذلك، المعصوم عنده إحاطة بنفس المعلوم، وهذه الإحاطة ليست إحاطة تملك وإنما إحاطة نفاذ، ليس فقط يحيط به كي يمتلكه كإحاطة المالك للملك في العالم الدنيوي - اللّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذه - حينما نقول بأن القرآن هو تبيان لكل شيء، كل هذه الحقائق التي جاءت في القرآن، القرآن تحدث عن الله وتحدث عن السماوات وتحدث عن الملائكة وتحدث عن العوالم الطبيعية الأخرى وعن الإنسان وعن كل شيء، المعصوم حين يعلم بهذه الحقائق لا يعلم كعلمي بها بأن تكون هناك صور في الذهن، وإلا ما الفارق إذاً بيني وبينه؟! لماذا صار هو الحجة عليّ، المعصوم لماذا أعطي الولاية التكوينية؟ إذا كان علمه كعلمي مجرد صور في الذهن، إنما نظره نافذ في الأشياء - اللّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذه - وأنا

جئت بهذا المثال حينما نأخذ قطعة من الثلج هذا نوعٌ من النفاذ العلمي ولكن محدود، حينما أنظر إلى الثلج بأنه ماء، والماء يجلل إلى كذا وكذا إلى آخر ما ذكرتُ من المثال، المعصوم حينما يحيط بالأشياء فإنما يُدركها هكذا كما قال سيد الأوصياء وبلسان الإشارة - ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه - فإن نظره نافذ، نظره ثاقب، هذا اختراق، هذا هو النفاذ، هذا هو العلم الأنفذ، فهو لا يرى شيئاً إلا ويرى أصل حقيقته، وهذه نظرة لا يمكن أن نتصورها لأننا لا نملكها وإنما كل هذا الكلام أمثلة وعبارات تقرب المعاني لعلنا نتلمس شيئاً من علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، من علم عليٍّ وآل عليٍّ، والموضوع طويل، الموضوع عريض، الموضوع لا يمكنني أن أحيط به بعجالة في ساعةٍ في ساعتين في ثلاث ساعات، هذا الموضوع من أوسع الموضوعات، لكنني سأحاول أن ألمم أطراف الحديث بعد هذه المقدمة التي بينت فيها جانباً من معنى العلم.

أذهبُ إلى كتاب الله الكريم لأعيش شيئاً ما بين آياته الشريفة، في سورة البقرة وفي الآية الخامسة والخمسين بعد المئتين وهي آية الكرسي، الكرسي الذي يحيط بالسموات والأرض، ماذا تقول هذه الآية؟

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ من هنا ننطلق في البحث من هذه الآية، العلم هو علم الله وليس من

مخلوق أن يحيط بشيءٍ من علمه، وليس بعلم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ إلا أن يشاء هو سبحانه وتعالى،

القاعدة من هنا تبدأ حين نريد الحديث عن علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ يبدأ الكلام من هنا وينتهي الكلام هنا

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ هذا الكلام يَعُمُّ مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ وَيَعُمُّ غيرهم، إذا دخل فيه مُحَمَّدٌ وآل

مُحَمَّدٍ فمن غيرهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ لكنه هو استثنى قال ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ثم تبين الآية

جانباً من علمه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ والكرسي تكون إليه السموات السبع كالقطرة إلى

البحر كالحلقة في الفلات الواسعة المتسعة، الكلام هنا عن الآية ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

إذاً كل كلامنا سيتفرع على هذه القاعدة، هذا هو القانون والقاعدة الذهبية التي يبدأ منها الكلام وينتهي

عندها الكلام ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ العلم علمه وهو المُشِيءُ الذي إذا شاء أن

يهب علمه لمن يشاء فهو القادر على ذلك، هذه الآية تحتاج إلى تبصُّر، تحتاج إلى تدبر ولا أجد وقتاً كافياً للوقوف عندها، ولكني أعتقد بأن من يهتم ممن يتابعني بهذه المباحث بهذه الموضوعات سيتدبر في هذه الآية ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ بدايتنا من هنا ونهايتنا هنا العلم علمه فقط، وهو الذي بيده أن يعطي ويبيده أن يمنع، والاستثناء واضح، هذه الآية الأولى التي أقف عندها.

الآية الثانية هي في سورة الحجر المباركة الآية الحادية والعشرون ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ هناك خزائن وهناك قدر معلوم، والقدر المعلوم مرده إلى العلم ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ونحن نقرأ في الزيارة - وَخَزَانَ الْعِلْمِ - وقلت الحقيقة تقول بأنهم هم خزائن الله ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ﴾ يعني لا يوجد شيء في هذا الوجود ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ هناك الخزائن ونُنزِّلُهُ، والتنزيل وهو ظهورات الأشياء، نحن لنا ظهورات في العوالم العلوية وهذه الظهورات تنزلت حتى ظهرت بهذه الصورة الجسمانية في العالم الأرضي، ليس الروايات تحدثنا عن وجود صور لنا في عالم العرش وفي عوالم أخرى، وهذه الصور تنزلت شيئاً فشيئاً، تنزلت، نُنزِّلُ، لها ظهورات تتناسب مع كل عالم من عوالم الله سبحانه وتعالى حتى ظهرت في العالم الأرضي ونزلت بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

الرواية يرويهما الشيخ المجلسي وهذا هو الجزء الثالث عشر من بحار الأنوار، في الصفحة: 330 ينقلها عن الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه - عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لَمَّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربه عزَّ وجلَّ - ماذا ناجى ربه؟ إمامنا الصادق يحدثنا - لَمَّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربه عزَّ وجلَّ قال: يا ربي أرني خزائنك، قال: يا موسى إنما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له كُن فيكون - الآية التي بين أيدينا ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهي الآية الحادية والعشرون من سورة الحجر، موسى لَمَّا صعد إلى الطور في الميقات - يا ربي أرني خزائنك، قال: يا موسى إنما خزائني إذا أردتُ

شيئاً أن أقول له كُن فيكون - خزائني هي هذه، ومرّ علينا في الحلقات الماضية كلام سيد الأوصياء الذي ينقله أيضاً الشيخ المجلسي في البحار في الجزء الخامس والعشرين في حديث طارق بن شهاب، كلام سيد الأوصياء واضح وصریح وهو يتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ فيقول - فهم سرُّ الله المخزون وأوليائه المقربون وأمره بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون - في نسخة أخرى - فهم سرُّ الله المخزون - مخزون، خزائن، خُزَّان العلم - فهم سرُّ الله المخزون وأوليائه المقربون وأمره بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون - هذه هي الخزانة، هذه الخزانة التي ينزل منها كل شيءٍ وبقدرٍ معلوم، ولذلك قلتُ في أول حديثي بأن المراد من قول الزيارة الجامعة الكبيرة - وَخُزَّانَ الْعِلْمِ - هم خزائن علم الله، هم نفسهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم في مقامهم الأول قبل الخلق هم الخزانة الأعظم، وهم في علمهم الأرضي هم خزائنُ علم الله سبحانه وتعالى. ولذلك ليس غريباً أن نجد القرآن وهو يتحدث عنهم في سورة آل عمران في الآية السابعة وهو يصفهم بعد أن تحدثت الآية عن الكتاب:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ إلى أن تقول الآية الشريفة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فجعل هناك مجموعة هم الراسخون في العلم، الله سبحانه وتعالى جعلهم خزانة علمه لذلك التأويل ما هو التأويل؟ التأويل ليس كما يفهمه البعض وهو إعطاء معاني بعيدة عن اللفظ، التأويل إنما هو إرجاع المعاني إلى أوليتها - ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه - فهل يعلم ذلك غير عليٍّ وآل عليٍّ، التأويل أوّلُهُ أرجعُهُ إلى أوليته إلى أصله، ذلك النظر النافذ، العلم النافذ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عِلْمِكَ بِأَنْفَذِهِ وَكُلِّ عِلْمِكَ نَافِذٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ كُلِّهِ - التأويل هو ذلك العلم الأنفذ، ولذلك صار الأمر محصوراً بين الله وبينهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ والكلام هو الكلام.

حينما نذهب إلى سورة الرعد المباركة ونقرأ في الآية الثالثة والأربعين ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ والآية واضحة ولا تحتاج إلى تفسير، فقط أشير إلى هذه النقطة أن الآية وحدث بين شهادة الله وبين شهادة هذا الذي عنده علم الكتاب، فحينما يؤتى بشهيدتين

لابد أن يكون علمهما بالقضية نفسها بنفس العلم وإنما قيل للشاهد شاهد لأنه حاضر لأنه حاضر القضية، وهذا هو العلم الحضورى، القضية حاضرة عند هذا الذي عنده علم الكتاب، لا حاجة للحديث عن علم الله، فعلم الله لا كلام فيه وهو واضح ولا نعرف حقيقته، لكن الكلام عن الذي عنده علم الكتاب فالحديث عن خزان العلم وهو سيدهم، هذا الذي عنده علم الكتاب جعلت شهادته كشهادة الله، والشهود لابد أن يكونوا قد حضروا كيف حضر هذا الشاهد؟ حضر فقال - ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه - هذه شهادة هذا الشاهد، هذا هو العلم الأنفذ، هذا هو علم محمد وآل محمد، هذا علم عليّ وكفى أن أقول عليّاً.

الرواية في تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، والروايات كثيرة في بيان معنى هذه الآية ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير علي بن إبراهيم عن عمر بن أذينة، أقتطف فقط هذه الرواية وإلا فالروايات كثيرة والوقت لا يكفي لإيرادها - عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام، وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب - يعني آصف - عند الذي عنده علم الكتاب - يعني عليّاً - إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر - وقال الذي عنده علم من الكتاب، ذلك آصف، أنا أتيتك به، يسألونهُ ما هو وجه المقايسة؟ الإمام يقول - ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر - وهذا فيه إشارة أيضاً إلى حضور المعلوم، فإن البعوضة تأخذ شيئاً من ماء البحر، البعوضة لا تأخذ البحر، وإنما تأخذ شيئاً من ماء البحر، هي الصورة، صورة المعلوم، أما هو عنده البحر، المعلوم بنفسه، الرواية عميقة جداً فضلاً عن أنها تشير إلى الفارق في المقياس في الرتبة العلمية، لكن فيها إشارة دقيقة جداً، البعوضة أخذت قطرةً مثلاً من البحر.

حينما يسأل سائل فيقول ما هو البحر؟ وهو لم يكن قد رآه وليس قريباً حتى تتمكن أن تأخذه إليه تأتيه بقدر من ماء فتقول البحر مكان فيه شيء كثير من هذا السائل، هذه البعوضة أخذت قطرة وأما البحر فهو حاضر عند صاحب البحر عند عليّ - ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده

علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضةً بجناحها من ماء البحر - إلى آخر الرواية الشريفة، الوقت لا يكفي حقيقةً لأن أورد الكثير من النصوص والكثير من الروايات لكنني أحاول أن ألملم أطراف حديثي عَلَيَّ أوفق في أن أعطي المشاهدين والمشاهدات من محبي أهل البيت صورةً عن المعنى ولو كانت هذه الصورة بعيدة، والعدرُ إليكم والعدرُ عند كرام الناس مقبولٌ، العذرُ إلى إمام زماني أولاً والعدرُ إليكم من التقصير والقصور في بيان هذه.

الآية التاسعة والثمانون من سورة النحل المباركة ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ هذا التبيان لكل شيء هل هو في صور المعلومات؟ أو هو في حقائق المعلومات؟ هناك إحاطة بهذه المعلومات، المعلوم هو الشيء الموجود في الواقع كان في الواقع الخارجي في الوجود الخارجي أو في الوجود الذهني، في العوالم السفلية أو في العوالم العلوية ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ لكل شيء، كل شيء يشمل كل موجود، وهذا الكتاب تبياناً، لو رجعنا إلى ألفاظ الكتاب هل في ألفاظ الكتاب هناك تبياناً لكل شيء، هذه الألفاظ مفاتيح، مفاتيح توصل إلى حقائق أوسع وأعظم، وقد ذكرت مراراً بأن الحكماء يقولون بأن هذا الكتاب التدويني هو صورةٌ عن الكتاب التكويني ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وهذا هو المعنى نفسه الذي نجدُه في سورة يس المباركة حينما نقرأ في الآية الثانية بعد العاشرة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ المخالفون يفسرون الإمام المبين بالقرآن، هناك آراء أخرى، حتى لو كان هذا الكلام أن الإمام المبين هو القرآن يعني أن كل شيء قد جاء مذكوراً في القرآن، والكلام السابق يأتي مسترسلاً مع هذه الآية. أما في رواياتنا الإمام المبين هو عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، وعندنا روايات عديدة وكثيرة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن المراد من الإمام المبين هنا عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه ﴿ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ .

هناك آية في سورة الأنعام تفسر لنا هذا المعنى، في سورة الأنعام الآية التاسعة والخمسون ماذا تقول هذه

الآية؟ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ هذه المفاتيح هي مفاتيح الخزائن، والخزائن هي المفاتيح، هذه خزائن الله، أهل البيت هم خزان الله وهم خزائنه وهم مفاتيحه ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ثم تبين الآية مصاديق أمثلة لتقرب المعنى ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ ﴾ ليس هذا كل الغيب، الدنيا وما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، هذا مثال من الأمثلة، الآية تقول ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ كل المفاتيح ما قيمة الدنيا في مفاتيح الغيب؟ لكن الدنيا هنا جيء بها مثال فالإنسان لا يرى إلا ما بين عينيه، كما يقال، يقول صلى الله عليه وآله صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا حاجته، ونحن أبناء الدنيا حاجتنا في الدنيا نحن عميان لا نرى إلا حاجتنا إلا هذه الدنيا، صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا حاجته، حينما يكون لشخص حاجة عندك فإنه سيكون لحوماً سيلح عليك كثيراً لأنه لا يرى إلا حاجته ويريد قضائها، أما الدنيا بالنسبة لنا هي حاجتنا الأولى والأخيرة، فصاحب الحاجة أعمى، نحن عميان في هذه الدنيا، لماذا؟ لأننا لا نراها إلا هي والقرآن يكلمنا بحسب حاجتنا ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ الكتاب المبين هو ذلك الإمام المبين ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ .

الإمام في لغة العرب تعني الجامع، ولذلك يقال أم الجماعة أي جمعهم، والكتاب أيضاً هو الجامع، يقال الكتيبة في الجيش لأنها مجموعة من الرجال، ويقال للكتابة كتابة لأنها مجموعة حروف وكلمات، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي في الجزء الرابع من بحار الأنوار، ينقلها عن تفسير شيخنا العياشي رحمه الله عليه - عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا

يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ - الحديث عن هذه الآية أخذ موطن

الشاهد - قال: قلت: في كتاب مبين ما معناها؟ قال: في إمام مبين - الرواية نقلها العياشي في تفسيره

عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه - قال: قلت: في كتاب مبين؟ قال: في إمام مبين ﴿ وَكُلُّ

شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ كما جاء في سورة يس المباركة ﴿١٠﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ الكلام عن مفاتيح الغيب.

وفي سورة الجن في الآية السادسة والعشرين والآية السابعة والعشرين ﴿١٠﴾ عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١١﴾ - والحديث هنا عن غيبٍ خاصٍ بالله الآية السابقة ﴿١٠﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴿١١﴾ ثم ﴿١٢﴾ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ لكن الآية هنا تتحدث عن غيبٍ خاص ﴿١٤﴾ عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٥﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿١٦﴾ إلى آخر الآيات الشريفة، فهناك مستثنى هو النبي وآل النبي، الله سبحانه وتعالى يُطلعهم على غيبه، هذه الآيات كلها إلى أي حقيقة تشير؟ ﴿١٧﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٨﴾ هذه الآية تتحدث عن كل شيء، لا يوجد استثناء، الآية في سورة الرعد ﴿١٩﴾ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٢٠﴾ والكتابُ كان تبياناً لكل شيء لا يوجد استثناء، والحديث هنا ﴿٢١﴾ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وهو الغيب الخاص ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿٢٤﴾ الآيات القرآنية صريحة وواضحة تتحدث عن أي شيء؟

تتحدث عن أن علمهم هو علم الله ولا يوجد هناك استثناء، حينما نتبصر في الآية الثالثة والأربعين من سورة الرعد ﴿٢٥﴾ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٢٦﴾ علم الكتاب يعني كل الكتاب، حينما نتبصر في هذه الآية ﴿٢٧﴾ عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ ﴿٢٨﴾ غيبه يعني على كل غيبه، على كل غيبه الخاص به ﴿٢٩﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿٣٠﴾ والآيات الباقية كلها تشير إلى هذه الحقيقة ﴿٣١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ هذا ليس غريباً وليس بدعاً من القول ونحن نتصفح آيات الكتاب الكريم، مثلاً في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل ﴿٣٣﴾ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ من هم أهل الذكر؟ الذكر هو القرآن، لا كما يقول المخالفون أهل

الذكر هم اليهود والنصارى، يقول إمامنا صلوات الله عليه إذا لأضلوكم، إذا سألتموهم إذا لأضلوكم
ولأخبروكم بأن الصواب أن تتبعوا دينهم ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لا تعلمون يعني مطلق
العلم، يعني أن أهل الذكر عندهم مطلق العلم ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿
ثم الآية تبين ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ الذكر هنا هو القرآن ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ هنا السؤال يوجه
لأهل الذكر فهل يمكن أن الله يأمر العباد بالرجوع إلى أهل الذكر وهم لا يعلمون، علمهم محدود، لا بد أن
يكون علمهم مفتوحاً مطلقاً واسعاً.

قد يقول قائل بأن هذه الآيات تتحدث عن العلوم الشرعية، القرآن أعمق وأوسع من أن يكون محصوراً في
دائرة العلوم الشرعية، وهذا ما حَدَّثَ القرآن عن نفسه بذلك فقال هو تبيانٌ لكل شيء وما حدثتنا كلمات
النبي والأئمة عن القرآن فوصفته بأعظم الأوصاف، وليس الكلام الآن هنا عن خصوصيات القرآن، هذه
هي الآية الثالثة والأربعون والرابعة والأربعون من سورة النحل ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والآية
التي بعدها بينت لنا ما معنى الذكر ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ في الآية السابعة من سورة الأنبياء أيضاً يأتي
نفس المعنى ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ نفس الكلام الذي مرَّ علينا في الآية السابقة من سورة
النحل المباركة، ونفس الشيء في سورة الزخرف في الآية الثالثة والأربعين وفي الآية الرابعة والأربعين
﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ - وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ
لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ في الروايات المراد من الذكر هنا عليٌّ وهو القرآن الناطق، والمراد في الآيات
السابقة القرآن الكتاب الصامت، ولذلك الذي يتدبر في الآيتين سيجد هذا المعنى واضحاً ﴿فَاسْتَمْسِكْ
بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكر عليٍّ صلوات الله
عليه ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ربما أعود مرةً أخرى
إلى هذه الآيات الشريفة فأتناول شيئاً من معانيها ومن مضامينها، والحقيقة الأوسع والحقيقة الأكبر والحقيقة

الأوضح في الكتاب الكريم، حينما نقرأ الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أقرأ الرواية من الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول - عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - ماذا قال إمامنا الصادق؟ هذه نفس الآية ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، في الكافي الشريف إمامنا الصادق يقول - نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا - والرواية في غاية الصحة لو أراد أحد أن يبحث في السند، وإن كنا لسنا بحاجة للدخول في مثل هذه المطالب - عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا - الأسماء الحسنی هي التي شعت أنوارها في هذا الوجود، والأسماء الحسنی هي التي أشرق منها ومن فيضها كل موجود وهم الأسماء الحسنی، في العالم الأرضي هم مظاهر الأسماء الحسنی، وهم في العوالم الأولى هم حقائق الأسماء الحسنی، فإن الله سبحانه وتعالى حين تجلى فيهم تجلى بكل أسمائه الحسنی، ولمَّا تجلى بكل أسمائه الحسنی تجلى فيهم باسم العليم وتجلى بكل نورية العليم في حقائقهم الأولى فأعطاهم كل علمه، وإلى هذا أشارت الآيات، هم الأسماء الحسنی لله سبحانه وتعالى تجلى فيهم بأسمائه الحسنی ومن أسمائه العليم، وأسمُ العليم حين يتجلى فيهم يتجلى فيهم كل العلم الإلهي، والآيات التي مرت كلها تشير إلى هذه المعاني وكلها تشير إلى هذه الحقائق، والكلام كما قلتُ قبل قليل طويلاً وعريضاً جداً في هذا الموضوع، فهذا الموضوع من أوسع الموضوعات، أحاول أن أشير إلى أمثلة أو إلى نماذج من الروايات التي تحدثت عن علم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، على سبيل المثال مثلاً: هناك بابٌ في الكافي الشريف، وهذا هو الجزء الأول، بابٌ عنوانه أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنته علمه، وقد شرحتُ هذه الروايات في برنامجنا السابق في فناء الكافي الشريف، حيث كان من جملة حلقات ذلك البرنامج أن وصلنا إلى هذا الباب باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنته علمه، اقتطف رواية أو روايتين للتبرك فقط.

عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاية أمر الله وخزنته علم الله وعبية وحي الله. ورواية أخرى عن علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى عليه السلام، علي بن جعفر هو اخو الإمام الكاظم عليه السلام - عن أبي الحسن موسى عن إمامنا الكاظم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه ولنا نطق الشجرة وعبادتنا عبد الله عز وجل ولولانا ما عبد الله - لنا نطق الشجرة شجرة الوجود، الشجرة الزيتون المباركة التي هي لا شرقية ولا غربية، ومنها نبع زيت هذا الوجود ومنها أشرق النور في كل موجود - وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه - الروايات كثيرة ووفيرة جداً عن أهل بيت العصمة في هذه المضامين وأنهم خزائن الله ولكن قد تقول لما جاء التعبير دائماً في الروايات أو في أغلبها بأنهم خزان؟

وأنا قلت بأنهم هم الخزان، لأن الخزان في لغة الناس وفي فهم الناس هم الذين لهم الولاية على الخزان، الخزان هم الذين لهم الولاية على الخزان فهم يعطون وهم يمنعون، فهنا هذا اللسان يريد أن يبين معنى ولايتهم ومعنى قدرتهم ومعنى ما فوض الله إليهم وإلا فهناك في تلكم العوالم لا فارق بين الخزان والخزان، فهم خزان علم الله وهم خزائن علم الله وهم خزانة على فيضه على سماواته وأرضه، هذه الرواية التي قرأها قبل قليل عليكم - وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه - ليس على العلم هنا وإنما على الفيض، وحينما يكون على الفيض فهو على العلم في أصله، فكل شيء في الوجود مرده إلى العلم وأصله إلى العلم، وحقيقة الوجود هو العلم - وجعلنا خزانة في سمائه وأرضه - هذه خزائن الفيض، بينما الرواية الأولى نحن ولاية أمره - ولاية أمر الله وخزنته علم الله - الرواية الأولى كانت تتحدث عن أنهم خزانة علم الله وخزنته علم الله، والرواية الثانية تتحدث عن أنهم خزان الفيض وأنهم خزائن فيض الله سبحانه وتعالى.

قد يُطالع المطالع في الأحاديث مثل هذه الروايات ما جاء في الكافي باب ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم، الروايات التي تتحدث عن أن الاسم الأعظم هو ثلاثة وسبعين حرفاً وأُعطي الأئمة، أعطي النبي والأئمة اثنين وسبعين حرفاً هذه الروايات إنما تحدثت عن جانب وسكتت عن الجانب الآخر، والجانب الآخر تحدثت عنه روايات أخرى، لا يصح أن نأخذ قسطاً أو جانباً أو جزءاً من الكلام ونترك بقية الكلام، أخذ مثلاً هذه الرواية، الروايات عديدة لكنني أخذت هذه الرواية - عن الإمام الصادق عليه السلام يقول:

إن عيسى بن مريم أُعطيَ حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً وإن الله تعالى جمع ذلك كله لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أُعطيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم اثنين وسبعين حرفاً وَحُجِبَ عنه حرفٌ واحد - حُجِبَ عنه حرفٌ واحد في أي مقام؟ في مقام النبوة، حينما نأخذ الكلام بالقياس إلى الأنبياء.

الكلام هنا عن حروف الاسم الأعظم لا يعني أن هذه الحروف متساوية، الرواية السابقة التي تسبق هذه الرواية والإمام يتحدث فيها عن آصف بن برخيا وكيف أنه كان يملك حرفاً واحداً والإمام يقول - ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده - مرت علينا قبل قليل أنه لا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول هذا هو الغيب المقصود هنا - ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - فهناك حرفٌ واحد استأثر به الله، قطعاً هذا الحرف الذي استأثر به الله سبحانه وتعالى تكون سعته أوسع من الاثنين وسبعين حرف، لذلك أنا قلت بأن هذه الحروف ليست في نحو واحد من المرتبة، وكل نبي أخذ شيئاً من هذه الحروف، وهذه الحروف التي أخذها أي نبي من الأنبياء لا يعني أنها تكون مساوية في المرتبة وفي العمق وفي السعة وفي المنزلة مع بقية الحروف، ربما يكون هناك حرف واحد هو أوسع من كل هذه الحروف وذلك الحرف الواسع هو الحرف الذي كان في علم الله المستأثر - ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده - استأثر به أي جعله غيبه الخاص، وهذا ما قرأناه قبل قليل في سورة الجن المباركة في الآيات السادسة والعشرين والسابعة والعشرين ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ

أَحَدًا﴾ ماذا تقول الرواية هنا؟ - وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب - استأثر به أي

جعلهُ خاصاً به والآية هنا تقول ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ * إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿ هذا

الغيب المستأثر هو الغيب الذي خصه الله بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، هذه الروايات التي تتحدث عن الاثنين وسبعين حرفاً بمقايسة الأنبياء، أما الحرف الأوسع والحرف الأعظم فهو ذلك الذي استأثر به الله، وهذا

الحرف هو الذي أودعه عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسيأتينا من الروايات ومن الأحاديث ما يشير إلى هذه المعاني، الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء ثم تجلى، تجلى في النور الأول حين تجلى في النور الأول تجلى بكل أسمائه الحسنی، فهو أجود الأجودين، هل يُعقل للإنسان المخلوق الضعيف أن يجود بنفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، هل يُعقل لهذا الإنسان أن يجود بنفسه فمن أين جاء بهذه القدرة على أن يجود بنفسه؟

العرفاء يقولون بأن أجود الجود الإلهي أنه جاد بنفسه، ما المراد أنه جاد بنفسه؟ العبارات مجازية، جاد بنفسه أنه تجلى بكل أسمائه في الحقيقة الأولى، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، من أين جاء الإنسان بهذه المقدرة على أن يجود بكل ما عنده، هناك من الناس من عنده المقدرة ومن عنده الحب بأن يجود بكل ما عنده في سبيل من يجب، من أين جاء بهذه القدرة إن لم تكن من الأصل، كل ما عندنا هو من الأصل، هل يمكن أن يكون الإنسان يملك شيئاً في ذاته في وجوده في خصائصه في طباعه في حالاته وهذا الشيء لم يكن قد أتانا من الله سبحانه وتعالى؟! كل ما عندنا فهو من الله وإلى الله، الإنسان يجود بنفسه، هذه الخصلة من أين جاءت؟ جاءتنا من الله سبحانه وتعالى، ما المراد أن الله يجود بنفسه؟ قطعاً ليس المراد هذا المعنى الساذج المعنى البسيط المعنى المادي وإنما يتجلى هو أجود الأجودين يتجلى بكل أسمائه الحسنی في الحقيقة الأولى، فإذا تجلى بكل أسمائه الحسنی في الحقيقة الأولى تجلى بكل علمه في الحقيقة الأولى ولكن بما يناسب تلك الحقيقة - لا فرق بينك وبينها - كما في دعاء شهر رجب - إلا أنهم عبادك وخلقتك - كما قال صادق العترة نحن الأسماء الحسنی، هم أسماء الله الحسنی، كيف كانوا أو انطبق هذا المعنى عليهم أنهم الأسماء الحسنی؟ لأن الله جاد عليهم أن تجلى في حقائقهم الأولى، أن تجلى عليهم وتجلي بهم وتجلي فيهم بأسمائه الحسنی وبكل أسمائه الحسنی، نحن الأسماء الحسنی، لا يوجد هنا استثناء كل الأسماء الحسنی تجلت في الحقائق الأولى لهم صلوات الله وسلامه عليهم، الروايات كثيرة جداً ربما أشير إلى بعض هذه الروايات، مثلاً هذه الرواية التي قد تختصر لنا الحديث، أيضاً في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول - عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها - المشيئة هنا عنوان للنور الأول - خلق الله المشيئة بنفسها - يعني خلقها متكاملة، فكيف خلقها بنفسها؟ إنما خلقها بنفسها متكاملة لأن كل الأسماء الحسنی تجلت فيها - ثم خلق الأشياء بالمشيئة - بعد ذلك الأشياء خلقت بهذه المشيئة، المشيئة

هنا ليس المراد منها الإرادة الصفة الإلهية، المراد من المشيئة هنا عنوان للنور الأول المتجلي، خلق الله المشيئة بنفسها متكاملة، كيف كانت متكاملة؟ بحيث أنها لم تحتاج إلى سبب - يا مُسَبَّبِ الأسبابِ من غير سبب - هذه العبارة تشير إلى هذه الحقيقة أنها كانت متكاملة لا تحتاج إلى سبب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من دون سبب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ إنها تجلي القدرة الإلهية، إنها تجلي الأسماء الحسنى بكل مظاهرها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يا مُسَبَّبِ الأسبابِ من غير سبب - خلق الله المشيئة بنفسها - لأن الأسماء الحسنى قد تجلت بكلها فيها - ثم خلق الأشياء بالمشيئة - وكل الأشياء إنما هي مظاهر لكل الأسماء الحسنى، هذه الأشياء المحيطة بنا هي مظهر القدرة الإلهية، مظاهر القدرة الإلهية هي مظاهر كل أسماء الله الحسنى، فمن أين ظهرت ومن أين جاءت؟ جاءت من المشيئة، فالمشيئة هي بجمع كل الأسماء الحسنى واسم العليم سيدها وأولها، واسم العليم متجل في هذه المشيئة - خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ يعني أن عنده العلم المجموع، الكتاب هو المجموع، العلم الحقيقي، التجلي الأكمل، وذلك يظهر واضحاً في محمّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار، والنصوص كثيرة، وهناك روايات كثيرة كنت أرغب أن أتلوها على مسامعكم ولكن يبدو أن الوقت قد انقضى منه الشطر الكبير لذلك أحاول أن اختصر المطالب المتبقية بقدر ما أتمكن.

المشيئة هذه هي التي جاء ذكرها في دعاء ليلة المبعث ليلة السابع والعشرين، وفي دعاء يوم المبعث يوم السابع والعشرين، في دعاء ليلة المبعث - فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم - هذا التأكيد والتركييز على هذا التقديس لهذا الاسم - وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم - الأعظم الأعظم الأعظم هذا الاسم هو مجمع كل الأسماء وإلا لماذا هذا التعظيم، صيغة أفعال التفضيل المُعَرَّفَة بالألف واللام، يعني لا يوجد شيء فوقه لا يوجد شيء أعظم منه من خلقه سبحانه وتعالى إلا الله - وباسمك الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتة فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك - فلا يخرج منك إلى غيرك هنا إشارة دقيقة جداً، أي أن هذا الاسم هو خزانة الله الحقيقية، وكل

الأسرار في هذا الاسم، لذلك هو مستقرّ في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، هذا الاسم مخلوق وموصوف بأنه الأعظم الأعظم بأنه جامع لكل الكمالات، وأول الكمالات هو العلم، فحين يوصف بأنه الأعظم الأعظم يعني أن علم الله بكلمه قد تجلّى فيه لذلك هو استقر في ظله - فاستقرّ في ذلك فلا يخرج منك إلى غيرك - ونفس الكلام في دعاء يوم المبعث - وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرّ في ذلك فلا يخرج منك إلى غيرك - تأكيد لنفس المعاني التي جاءت في دعاء ليلة المبعث، هناك تأكيد في دعاء آخر يقرأ في يوم المبعث، ومثل هذه المضامين في الأدعية شيء كثير إنما أوردت هذا مثلاً على المعنى الذي أشرت إليه قبل قليل إن الله سبحانه وتعالى خلق المشيئة بنفسها، المشيئة هي هذه: الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، كل الأسماء أشرفت فيها، ومنها بعد ذلك أشرف كل فضل وكل خير في هذا الوجود.

أتناول نماذج من روايات وردت عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تكشف عن جوانب من معاني ما نحن بصددده، هذه الرواية يرويها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار - عن علي بن يقطين عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: والله أوتينا ما أوتي سليمان - بالقياس إلى الأنبياء الكلام، وهذا في العالم الأرضي - والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان - لماذا هنا أخذ سليمان كمثال؟ باعتبار ما صدر من سليمان ومن وصيه من العجائب - والله أوتينا ما أوتي سليمان - والناس دائماً مشدودة إلى الأمور الحسية - والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان - فسليمان ما أوتي إلا الشيء القليل بالقياس إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان وما لم يؤتى أحد من العالمين - إشارة إلى الحرف المستأثر، لأن هذا لم يؤته أحد من العالمين، الكلام واضح وصريح - والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان - وما جاء لبقية الأنبياء ولم يكن عند سليمان - وما لم يؤتى أحد من العالمين - ومررت علينا الروايات إن لهم منازل ودرجات لا يحتملها لا نبيُّ مُرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب، فمن يحتملها يا ابن رسول الله؟ قال: من شئنا، وحدهم هم يحتملونها، هذه رواية.

رواية أخرى، هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الشيخ المجلسي رحمة الله عليه - عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إني سألت أباك عن مسألة أريد أن أسألك عنها،

قال: وعن أي شيء تسأل؟ قال: قلتُ له عندك علم رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبه وعلم الأوصياء وكتبهم؟ قال: فقال: نعم وأكثر من ذلك سل عمًّا بدا لك - مراد الإمام وأكثر من ذلك لا يعني أن علمه أكثر من علم رسول الله، لكن لأن السائل حصر علم رسول الله فقط بمستوى علم الأنبياء - قلت: له عندك علم رسول الله وكتبه وعلم الأوصياء - يعني أخذ علم رسول الله بعلم الأوصياء يعني هذا المستوى من العلم كما مرَّ علينا قبل قليل في أحاديث الاثنين وسبعين حرف، لَمَّا جاءت الروايات وبينت لنا مقايضة عند آصف حرف واحد، عند عيسى حرفان، عند موسى أربعة، عند إبراهيم ثمانية، عند نوح خمسة عشر حرف، عند آدم خمسة وعشرين حرف، وعند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ اثنان وسبعين حرف، هذه المقايضة باتجاه الأنبياء، أما الحرف المستأثر فذلك شيءٌ آخر، السائل يسأل بهذا المستوى - عندك علم رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبه وعلم الأوصياء وكتبهم؟ قال: فقال: نعم وأكثر من ذلك - أكثر من ذلك يشير إلى الحرف المستأثر الذي هو عند رسول الله وعندهم - نعم وأكثر من ذلك - أكثر مما أنت تتصور - سل عمًّا بدا لك - الروايات عديدة وكثيرة في هذا المضمار ومنها مثلاً هذه الرواية:

عن ابن أبي عمير عن ابن أذنيه عن أبي عبد الله السلام يقول: - هذه الرواية ومرت علينا قبل قليل - ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر - وهي تؤيد نفس المعنى الذي مرت الإشارة إليه قبل قليل، هناك طائفة أخرى من الروايات أو من الأحاديث جاءت مذكورة في كتاب بصائر الدرجات أذكر نماذج منها، من هذه الروايات:

عن عمر بن يزيد قال أبو جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأهل بيته أهل الذكر وهم المسئولون.

مرَّ علينا الكلام في آيات الكتاب الكريم بهذا الخصوص وأشرتُ إليها إنما هذا تأييد وتأكيد للمضامين

المتقدمة - ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأهل

بيته أهل الذكر وهم المسئولون.

رواية ثانية أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ قال: إنما عنانا بها نحن أهل الذكر ونحن المسئولون.

روايات أخرى مثلاً هذه الرواية: عن مُحَمَّد بن مسلم عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنهم اليهود والنصارى، قال: إذا يدعونهم إلى دينهم - إذا كانوا يسألونهم، هؤلاء المخالفون يقولون بأن أهل الذكر هم اليهود والنصارى - قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنهم اليهود والنصارى قال: إذا يدعونهم إلى دينهم، ثم إشارة بيده إلى صدره - الإمام الباقر عليه السلام - فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسئولون.

رواية أخرى، عن عبد الحميد بن ابي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال: كتاب الله الذكر وأهله آل مُحَمَّد الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا - الناس يعني - بسؤال الجاهل - فهل يُعقل أن الله يأمرهم بأن يسألوا الجاهل! الجاهل مبالغ فيها، صفة مبالغة، الجاهل يعني الذين لا يعلمون حقائق الأمور - ولم يؤمروا بسؤال الجاهل وسمى الله القرآن ذكراً فقال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

رواية ثالثة، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من المعنى بذلك؟ قال: قلت: فأنتم المسئولون؟! قال: نعم - زرارة يسأل الإمام الباقر - في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من المعنى بذلك؟ قال: قلت فأنتم المسئولون؟! قال: نعم، قلت: ونحن السائلون؟! - يعني الشيعة - قال: نعم، قال: فقلت: فعلينا أن نسألكم؟! قال: نعم، قلت: وعليكم أن تُجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، ثم قال: هذا عطاءنا فامنن أو امسك بغير حساب - الرواية فيها إشارة إلى الولاية المطلقة لأهل البيت في كل شأنٍ من شؤوناتهم، في الشأن الشرعي، في الشأن الديني، في الشأن العلمي، في الشأن التكويني، وهذا شأنٌ من شؤوناتهم.

هناك بابٌ أيضاً موجود في بصائر الدرجات عنوانه الأئمة خُزَّانُ الله في السماء والأرض على علمه، وحين

يكونون خُزَّاناً على علمه فهم خُزَّانُ صلوات الله عليهم على كل شيء - الرواية عن سؤرة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخُزَّانُ الله في سمائه وأرضه لا على ذهبٍ ولا على فضة إلا على علمه - الذهب والفضة من شؤونات الدنيا، أما هم خُزَّانُ الله على علمه، وعلم الله هو النافذُ على كل شيء، والنافذ في كل الأرض وفي كل ذهبها وفضتها، هم خُزَّانُهُ على علمه هم لهم الولاية المطلقة، لَمَّا كانوا خُزَّاناً على علمه كانت لهم الولاية، الولاية إنما هي فرع العلم.

رواية أخرى، عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخُزَّانُ الله في السماء وخُزَّانُهُ في الأرض - الحديث هنا عن أنهم خُزَّانُهُ في الفيض وعلى الفيض، الرواية السابقة تتحدث أنهم خُزَّانُ علمه وهنا هم خُزَّانُ فيضه - عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام والله إنا لخُزَّانُ الله في السماء وخُزَّانُهُ في الأرض.

رواية أخرى، عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن خُزَّانُ الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خُزَّاننا - شيعتنا هم موضع علمنا ومرِّ علينا - إن أمرنا صَعِبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبي مرسل ولا ملكٌ مُقَرَّبٌ ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان ولا مدينة حصينة ولا أي شيء، فمن يحتمله؟ قال: من شئنا، هناك مجموعة هم يشاءون لهم أن يكونوا في هذه المنزلة فيكونون خُزَّاناً لهم - قال: سمعته يقول: نحن خُزَّانُ الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خُزَّاننا ولولانا ما عُرفَ الله.

رواية أخرى، عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله الله تبارك وتعالى - هذه الآية الثالثة والخمسون من سورة الشورى وهي آخر آية، الآية السابقة ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وأنا قلت قبل قليل حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكر علي عليه السلام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿ الإمام يتحدث عن هذه الآية - في قوله الله تبارك وتعالى: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الإمام يقول: يعني علياً أنه جعل علياً خازنه على ما في السماوات وما في الأرض من شيءٍ وائتمنه عليه ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ هذه مجرد نماذج من روايات كثيرة جداً جداً وردت عن الأئمة في بيان هذه

الحقائق.

هذه الرواية عن ضريس، عن ابي جعفر عليه السلام قال: إن لله علمين علماً مبذولاً - وهو العلم الذي أعطاه للأنبياء وللملائكة وللرسل - إن لله علمين علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً فأما المبذول فإنه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه - هذا المبذول وهو الذي بُذِل للأنبياء وللرسل وللملائكة - إن لله علمين علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً فأما المبذول فإنه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه فأما المكفوف - الذي كُف مُنِع - فهو الذي عند الله في أم الكتاب - وأم الكتاب أين هي؟ في قلب رسول الله، وأم الكتاب حقيقة علي صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ هذه الرواية صريحة وواضحة وجميلة جداً، الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام - إن لله علمين علم تعلمه ملائكته ورسله، وعلم لا يعلم غيره - هذا العلم الأول وهو الذي مرت الإشارة إليه في الرواية السابقة العلم المبذول - وعلم لا يعلم غيره - يعني لا يعلم غير الله بهذا العلم - فما كان مما يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فالينا يخرج - وهي واضحة جداً في أن الحرف المستأثر إنما يخرج إليهم، أقرأ الرواية مرة ثانية - إن لله علمين علم تعلمه ملائكته ورسله وعلم لا يعلم غيره به، فما كان مما يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فالينا يخرج - وقد تجلى عليهم بكل أسمائه الحسنى فالإمام خرج.

هناك كلمة جميلة للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، هذه الكلمة قالها في آخر شيء كتبه في حياته وهي وصيته، وصيته المعروفة، في مقدمة الوصية كتب السيد الخميني هذه الكلمة يقول:

الحمد لله وسبحانك اللهم صلي على مُحَمَّدٍ وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن - العبارة دقيقة جداً كما قلت قبل قليل هم الخزائن، وهذا المعنى هو الذي يتجلى من الآيات ومن الروايات - اللهم صلي على مُحَمَّدٍ وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن أسرار كتابك الذي تجلى فيه الأحذية بجميع أسمائك حتى المستأثر منها الذي لا يعلمه غيرك - حتى المستأثر قد تجلى في هذا الكتاب وهم خزائن هذا الكتاب والعبارة واضحة وجليّة وصريحة، وهي موافقة تماماً لما في هذه النصوص الشريفة ولما في هذه الحقيقة التي تحدثت عنها من أنهم في حقائقهم القادسة الأولى هم مرآة فيض الباري سبحانه وتعالى وهم

مرآة أسمائه الحسنی.

هذه رواية أخرى وفي نفس السياق، عن سماعة بن سعد الخثعمي أنه كان مع المفضل عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له المفضل: جُعِلَتْ فِدَاكَ يَفْرُضُ اللَّهُ طَاعَةَ عَبْدٍ عَلِيَّ الْعَبَادِ ثُمَّ يَحْجُبُ عَنْهُ خَيْرَ السَّمَاءِ؟ قَالَ: لَا، اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَرَأْفُ بِالْعِبَادِ مِنْ أَنْ يَفْرُضَ عَلَيْهِمْ طَاعَةَ عَبْدٍ يَحْجُبُ عَنْهُ خَيْرَ السَّمَاءِ صَبَاحاً وَمَسَاءً - وهذا هو الكلام الذي مرَّ علينا قبل قليل من أنهم حينما أمروا بالسؤال وبأنهم أمروا أن يسألوا أهل الذكر فلا بد أن يكون أهل الذكر عندهم علم كل شيء.

هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِي النَّارِ وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ - هذا الحديث هنا عن علم إحاطي ليس الحديث هنا عن صور المعلومات، الكلام هنا عن إحاطة، عن رؤية إحاطية - وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِي النَّارِ وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، ثُمَّ قَالَ: أَعْلَمُهُ مِنْ كِتَابٍ أَنْظُرُ إِلَيْهِ هَكَذَا ثُمَّ بَسَطَ كَفِيهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ تَبْيَانٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾ -

وقطعاً ليس المراد الحديث عن الألفاظ القرآنية بما هي ألفاظ وإنما الكلام عن الحقائق التي هي خلف هذه الألفاظ، لأن هذه الألفاظ القرآنية إنما هي مفاتيح ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ مفاتيح الغيب أين أودعها؟ أودع هذه المفاتيح في خزانة الأسرار، وخزانة الأسرار هم مُحَمَّدٌ وَأَلُّ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، أَقْرَبُ الْأَمْرِ بِمِثَالِ الْإِنْسَانِ يَمْتَلِكُ قُدْرَةَ الْخِيَالِ، اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْطَانَا قُدْرَةَ الْخِيَالِ، هَذِهِ الْقُدْرَةُ الَّتِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْهَا بِنَحْوِ أَوْسَعٍ مِمَّا مَوْجُودٌ فِي قُدْرَاتِ الْإِدْرَاكِ الْأُخْرَى، اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْطَانَا هَذِهِ الْمَسَاحَةَ وَأَعْطَانَا أَيْضاً عَلَيْهَا وِلَايَةً تَكْوِينِيَّةً، لَكِنْ أَعْطَانَا هَذِهِ الْوِلَايَةَ التَّكْوِينِيَّةَ وَفَقَّاحاً لِمَسَاحَةِ الْخِيَالِ بِقَدْرِ حِكْمَتِنَا لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُعْطِنَا عِلْماً يَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ الْوِلَايَةُ التَّكْوِينِيَّةَ، وَالْوِلَايَةُ التَّكْوِينِيَّةَ لِأَنَّ تَكُونَ مُحْكَمَةً بِالْحِكْمَةِ، فَبِمَا أَنَّ حِكْمَتِنَا مَحْدُودَةٌ فَأَعْطَانَا وِلَايَةً تَكْوِينِيَّةً لَا نَسْبَبُ فِيهَا ضَرراً لَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَلَا عَلَى أَحَدٍ، فَنَحْنُ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَوْسِسَ الدُّوَلُ فِي عَالَمِ الْخِيَالِ وَأَنْ نَسْقِطَهَا، بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَخْلُقَ الْأَشْيَاءَ الْعَجِيبَةَ الْغَرِيبَةَ، نَوْجِدُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي عَالَمِ الْخِيَالِ ثُمَّ نَعْدَمُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَهَذِهِ مَسَاحَةٌ لِلخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ وَأَيْضاً نَحْوِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الْوِلَايَةِ التَّكْوِينِيَّةِ، نَحْنُ فِي عَالَمِ الْخِيَالِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحِيْطَ بِخِيَالَاتِنَا، نَحْنُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْلُقَ

خيالاً صورةً لمخلوقٍ في عالم الخيال نركبهُ من أجزاء نحن نخلقها في عالم الخيال، ويكون لنا علم كامل بكل دقائق هذا المخلوق الذي صنعناه من قدراتنا، وأيضاً لنا ولاية كاملة أن نغير شكله، أن نوجدهُ بشكلٍ آخر، أن نُعدمهُ ثم نوجده مرة ثانية، أن نبعدهُ، أن نُقربهُ، هذا كله يجري في عالم الخيال لماذا؟

لأننا لا نمتلك الحكمة التي يمكن أن نتصرف فيها في الأشياء أما آل مُحَمَّد يمتلكون الحكمة المطلقة، نحن نمتلك هذا الخيال خيال آل مُحَمَّد هو الواقع هو الحقيقة، كما نحن نعلم بجزئيات صور الخيال، والخيال علمنا فيه علم حضوري فهو موجودٌ في داخلنا كذلك علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ بحقائق الأشياء كعلمنا بهذا الخيال، إحاطتهم كإحاطتنا بهذا الخيال، ولايتهم وقدرتهم على الواقع كولايتنا وقدرتنا على هذا الخيال، والقضية أعمق من ذلك بكثير، ولكنني ماذا أصنع لعجزني ولعجز الكلمات والمطالب واسعة وعميقة والروايات كثيرة جداً، والحقيقة هذا المطلب بحاجة إلى أكثر من حلقة لكنني حاولت أن أجمع شتات الكلام وأن أمر على جملة من آيات الكتاب الكريم وأن أتناول نماذج مختلفة من كلمات أهل البيت وأن أشير إلى قول عالم واحد من علماء الأئمة من علماء شيعة أهل البيت، حاولت أن أخذ نموذج من بعض الأدعية، حاولت أن أجمع تشكيلة من النصوص القرآنية من الأدعية من أقوال العلماء ومن الروايات على اختلاف مراتبها، وأن أبين بعضاً من المعاني الفلسفية، وأن أورد بعضاً من الأمثلة لتقريب هذه الحقيقة، ولكن مع ذلك يبقى الكلام قاصراً، ويبقى حديثي قاصراً، ويبقى كلامي وهذه المعاني في غاية البعد عن الهدف وعن المرمى، ولكن هذا ما استطعت أن أبينه بحسب الوقت وبحسب المقام وبحسب ما أتمكن أن أبينه بحدود هذه البضاعة المزجاة، بحدود هذه البضاعة القليلة الكاسدة التي هي بضاعتي فما كان من حُسنٍ ومن صوابٍ ومن دقةٍ فهو منهم، وما كان من نقصٍ ومن سوءٍ ومن تقصيرٍ فهو مني، وأختم حديثي أن أسلم عليهم:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُرَّانِ الْعِلْمِ.

والعذر إليك سيدي صاحب الأمر من القصور ومن التقصير ومن ضعف العقيدة ومن قلة العلم في

معرفتكم وأقول السلام عليكم يا شيعة خُرَّانِ الْعِلْمِ ويا شيعة أهل البيت ويا شيعة أسرار الله يا شيعة عليّ

وآل عليّ أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة العاشرة

معنى ومُنْتَهَى الحلم وأصول الكرم

هذه الحلقة العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، وهي أول حلقة من حلقات شهر رمضان المبارك وبينت سلفاً بأن برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون إن شاء الله تعالى طيلة أيام شهر رمضان بين يوم ويوم، هذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث الثَّمي رضوان الله تعالى عليه، وهذه الزيارة الجامعة الكبيرة، مر علينا في الحلقات الماضية: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُزَّانِ الْعِلْمِ.**

كانت آخر حلقة من حلقات هذا البرنامج حيث وقفنا عند قوله صلوات الله وسلامه عليه: **وَخُزَّانِ الْعِلْمِ.** في هذا اليوم أتناول هذه الفقرة وربما أتناول غيرها أيضاً فإنني سأحاول أن أختصر المطالب بقدر ما أتمكن، لأجل أن نتمكن من أخذ أكبر قدرٍ من ألفاظٍ ومن عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ**، هذا العنوان الذي أبدأ به كلامي، منتهى يعني الغاية، المكان الذي تكون عنده نهاية النهاية، نهاية النهاية هي المنتهى - **وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ** - الحلم بنحوٍ عام يأتي في معنيين، يأتي الحلم بمعنى العقل ويأتي الحلم بمعنى الحكمة، وكما يقال بأن الأمور أو بأن المعاني تستبان من أصدادها في كثيرٍ من الأحيان، فهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهل، وهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهالة، والذي يقابل الجهل هو العقل، والذي يقابل الجهالة هي الحكمة، ومن هنا قلت بأن الحلم إذا جاء مُضاداً للجهل فإنه العقل، وإذا جاء مُضاداً للجهالة فإن الحلم هو الحكمة، كذلك الجهل في بعض الأحيان يأتي مُضاداً للعلم، وفي بعض الأحيان يأتي مُضاداً للعقل، والجهل الذي يضادُّ العلم غير الجهل الذي يضادُّ العقل، فالجهل الذي يضادُّ العلم هو المراد منه عدم العلم، أما الجهل الذي يضادُّ العقل فالمراد منه عدم العقل وفارقٌ بين المعنيين بين عدمية العلم وبين عدمية العقل، لا أريد الخوض كثيراً في كل هذه الجزئيات وفي كل هذه التفاصيل، ولكن كما قلت بشكلٍ مجمل الحلم يأتي بمعنى العقل والحلم يأتي بمعنى الحكمة، والحكمة هي الأخرى إنما هي في حقيقتها تجلُّ من تجليات العقل، مرتبةٌ من مراتب ومن مراتب العقل، إذاً الحلم بشكلٍ عام وبنحوٍ عام ومجمل الحلم هو العقل، نحن هنا نسلم على الأئمة صلوات الله عليهم - **وَخُزَّانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ** - فهناك اقترانٌ

دائمٌ بين العلم والحلم، لا ينفك العلم عن الحلم، ولا ينفك الحلم عن العلم، وهذه حقيقة واضحة من أعلى المراتب إلى أدناها، فعلى سبيل المثال ونحن الآن في أيام شهر رمضان نقرأ في دعاء الافتتاح الدعاء الذي يستحبُّ قراءته عند الإفطار من جملة العبادات الموجودة في هذا الدعاء الشريف قول الدعاء:

الحمد لله على حلمه بعد علمه - والدعاء مروى عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه - الحمد لله مالك الملك مجري الفلك مسخر الرياح فائق الإصباح ديان الدين رب العالمين الحمد لله على حلمه بعد علمه - فهناك اقتران بين الحلم وبين العلم، قد يتجلى الحلم قبل العلم، وقد يتجلى العلم قبل الحلم، ولكن هناك اقتران بين الحلم وبين العلم - الحمد لله على حلمه بعد علمه - هذا في الدعاء، هذا في المراتب العالية، وأما في المراتب الدانية نجد في أحاديثنا المعصومية الشريفة حين يتحدث أئمتنا عن العلم عن العلماء دائماً يقرنون بين صفة الحلم وبين صفة العلم، أخذ نماذج من كتاب الكافي الشريف لتوضيح هذه الصورة أو لتوضيح هذه الفكرة، في كتاب الكافي الشريف مثلاً في الجزء الأول وفي باب صفة العلماء، مثلاً الرواية الأولى، عن معاوية بن وهب قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار - هناك مقارنة مُلازمة، ذكرتُ مثلاً لأعلى المراتب كما جاء في دعاء الافتتاح الشريف - الحمد لله على حلمه بعد علمه - وهذا في المراتب الدانية، في مراتبنا نحن، الإمام يقول - أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تُعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم - وكل هذه المعاني هي متفرعة عن الحلم، كما يقول الإمام صلوات الله وسلامه عليه: تزينوا بالحلم والوقار، الوقار هو من مظاهر الحلم أيضاً - وتواضعوا لمن تُعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم - والتواضع بهذين الرتبين هو من الحلم أيضاً - ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم - وهذه أيضاً من مظاهر الحلم، العلم والحلم قرينان في كل مراتب الصفات في هذا الوجود.

حديث آخر، عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام - أيضاً لا زالت الروايات من الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن من علامات الفقه - والفقه هنا ليس المراد منه الحديث في دائرة الفتوى في الأحكام التكليفية، هذا إنما هو جزء من الفقه، المراد هنا من الفقه المعرفة العامة المعرفة الكاملة - إن من علامات الفقه الحلم والصمت - والصمت هو أيضاً مظهر من مظاهر الحلم، إذا أردنا أن نبحث عن جذور الصمت من أين خرج الصمت، ومن أين اكتسب الإنسان هذه الصفة وهذه الخصلة؟ إذا بحثنا عن جذورها في أعماق النفس الإنسانية فإن الجذر الأساس لهذه الصفة ولكثير من الصفات هو الحلم.

رواية أخرى، عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه: لا يكون السَّفَهُ والغِرَّةُ في قلب العالم - والسَّفَهُ والغِرَّةُ معانٍ مناقضة للحلم، السَّفَهُ قلة العقل والغِرَّةُ أيضاً، الغِرَّةُ هي الأخرى قلة العقل، لذا أمير المؤمنين يقول: لا يكون السَّفَهُ والغِرَّةُ في قلب العالم.

رواية أخرى، عن إمامنا الصادق عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات - ما هي هذه العلامات؟ - العلم والحلم والصمت - والصمت كما قلتُ قبل قليل هو مظهر آخر من مظاهر الحلم - يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات: العلم، والحلم، والصمت، وللمتكلف - المتكلف هو الذي يدعي العلم - وللمتكلف ثلاث علامات: يدافع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهر - يظاهر يعني يعاون ينصر - ويظاهر الظلمة - وكل هذه الصفات هي في أصلها مناقضة للحلم، ما هي علامات العالم؟ العلم والحلم، والصمت، لا يكون السَّفَهُ والغِرَّةُ في قلب العالم، إذاً ماذا يكون؟! سيكون هناك الحلم، هذه نماذج من نصوص ومن أحاديث وردت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نُحَدِّثُنا عن الاقتران وعن التقارن بين صفة العلم والحلم في مراتب البشر العاديين، حينما نتصفُ بصفة العلم لا يكون هذا العلم قد أكتسب بعده الكمالي إلا بالاتصاف بصفة الحلم، والحلم هنا التؤدة، والتؤدة تعني الاتزان، الاتزان في أي شيء؟ الاتزان في التفكير، فليس من عجلة في التفكير، حينما يفكر الإنسان في أمرٍ من الأمور لا بد أن يكون متأكداً من صحة مقدماته، من صحة الأسس التي يبني عليها تفكيره، هذا هو المراد من التؤدة وهو الاتزان، الاتزان الفكري وكذلك الاتزان الأخلاقي، المراد من الاتزان الأخلاقي أن الإنسان لا يبادر إلى الغضب لأي قضية، وكذلك لا يستعجل في إصدار أحكامه، فهناك الكثير من الأمور في هذه الحياة الدنيوية ظاهرها شيء وباطنها شيء، الحليم هو الذي لا يستعجل في إصدار الأحكام فلا يحكم بالحسن عاجلاً ولا يحكم بالثبج عاجلاً، وربما يتراءى للإنسان الكثير من المعاني التي يمكن أن توصف بالقبح وهي ليست قبيحة في واقعها، وربما يتراءى للإنسان الكثير من المعاني التي يمكن أن توصف بالحسن وهي ليست حسنة في واقعها، لذلك لا بد من الاتزان لا بد من التؤدة، ولذلك الأمير عليه السلام ماذا قال؟

قال: لا يكون السَّفَهُ والغِرَّةُ في قلب العالم، والسَّفَهُ والغِرَّةُ هو عدم الاتزان، العجلة، إصدار الأحكام بسرعة، إصدار الأحكام على الأشخاص، إصدار الأحكام على الأفكار، إصدار الأحكام على أي مظهرٍ من مظاهر الحياة الإنسانية، وبالجملة فأني هنا لا أريد الحديث عن صفة الحلم التي لا بد أن تكون مُقارَنَةً لصفة العلم عند العلماء من البشر العاديين، لكنني كما قلتُ قبل قليل الزيارة قرنت في تركيبها اللفظية بين العلم وبين الحلم - وخزان العلم، ومنتهى الحلم - فقلتُ بأن الحلم قرينٌ للعلم في كل مراتب الصفات

الظاهرة في طبقات الوجود، من أعلى المراتب إلى أدونها، وبينتُ مثلاً من دعاء الافتتاح، وبينتُ مثلاً من النصوص التي تحدثت عن صفات أهل العلم، إذاً ما هي حقيقة الحلم؟! حقيقة الحلم كسائر الحقائق الأخرى في هذا الوجود، لكل حقيقة من الحقائق أصلٌ يتجلى في العوالم العلوية، ولهذا الحقيقة مظاهر، الحلم في أصله مرده إلى اسم الحليم وهو من أسمائه سبحانه وتعالى، إذا أردنا أن نبحت عن هذا المعنى في أصله فمرّد ذلك إلى اسم الحليم، فأين تجلى الحلم في أصله؟! تجلى الحلم في أصله في الكلمة الأولى، في النور الأول، في الماء الأعذب، في الماء الأطهر، في الماء الأبيض، هناك تجلى اسم الحليم في الحقيقة المُحمّدية التي هي مجمّع مجالي الأسماء، ثم تجلت الحقيقة المُحمّدية فكانت مجالها في كل عالم وفي كل طبقة من طبقات هذا الوجود، وما التعبير هنا في الزيارة ونحن نخاطب أئمتنا - ومُنْتَهَى الحلم - أي أن الحلم بكل مظاهره في هذا الوجود إلى أين ينتهي؟

ينتهي هذا الحلم إلى أصله، والأصل هنا الحقيقة المُحمّدية ومن هنا هم منتهى العلم ومنتهى الحلم أيضاً، هم منتهى العلم ومنتهى الحلم، وهم منتهى كل كمالٍ من الكمالات، وهذا هو الذي نقرأه في دعاء السحر - أجمالُ الجمال - يعني منتهى الجمال - أجلُّ الجلال - يعني منتهى الجلال - أنفذ العلم - يعني منتهى العلم - أكملُّ الكمال - يعني منتهى الكمال - أتم الكلمات - يعني منتهى الكلمات التامة، ولذلك التعبير هنا بمنتهى الحلم ليس خاصاً بهذه الصفة، يمكن أن أقول: ومنتهى الكرم، ومنتهى الطهارة، ومنتهى العصمة، لكن بحسب ما جاء من التركيب العبائري في الزيارة الشريفة وبحسب الحديث في هذه الزيارة عن المظاهر والتجليات جاءت العبارة هكذا - وَخُزَانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحَلْمِ.

الرواية في الكافي الشريف وهي تُحدّثنا عن منتهى الحلم والحلم هو العقل، الرواية في الكافي الشريف في الجزء الأول من هذا الكتاب، عن سماعة بن مهران قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه - يعني من أشياعه، من أتباعه - فجرى ذكر العقل والجهل - الجهل الذي هو في مقابل العقل - فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أعرّفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا - أعطانا هذه القاعدة - أعرّفوا العقل وجنده - فهناك عقلٌ وهناك له جنود - والجهل وجنده تهتدوا، قال سماعة: فقلتُ: جعلتُ فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ الْعَقْلَ وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره - هذا مظهر العقل في عالم العرش، والعرش كما مر علينا هو من تجليات الحقيقة المُحمّدية، عالم العرش هو عالم نورٍ من العوالم العلوية الراقية من تجليات الحقيقة المُحمّدية، وعالم العرش عالم محيطٌ بعالم الكرسي، وعالم الكرسي عالم محيطٌ بكل السماوات وبكل الأرضين، العرش هو الوعاء الأعظم، الرواية هنا تتحدث عن تجلٍ

للحقيقة المُحمَّدية، وهذا التجلي هو في عالم العرش - إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره - يعني أن هذا الخلق خلق بعد أن وجد العرش، والعرش إنما وجد من نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ونورُ مُحَمَّدٍ كان ولم يكن هناك شيءٌ من عالم الخلق الثاني، كان الله ولم يكن معه شيءٌ ثم تكلم بكلمة فخلق نوراً وهو نورُ الحقيقة المُحمَّدية، فكانت الحقيقة المُحمَّدية ولم يكن معها شيءٌ من عالم الخلق الثاني، ثم شاء الله أن يشتق من نور هذه الحقيقة بكل مراتبها، لهذه الحقيقة مراتب وتجليات في الأنوار القادسة الأولى، من هذه الأنوار اشتق الخلق الثاني والعرش من المراتب العليا ومن أعلى المراتب في عالم الخلق الثاني، وبعد ذلك كانت التجليات فكان هذا التجلي الروحاني للعقل - إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين - والكلام هنا في الترتيب حينما أقول فخلق بعد ذلك ليس الحديث هنا عن بُعدٍ زمني، الزمان الذي نعرفه والذي نعيشه هو منتفٍ في تلكم الطبقات.

قد أقرب المثل بشيءٍ، نحن الآن في العالم الدنيوي حينما أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح، حينما أريد أن أفتح الباب حركتُ يدي فتحرك المفتاح، يدي هي العلةُ وهي السبب في تحريك المفتاح، والعلةُ والسببُ متقدمةٌ رتبةً على المعلول، يعني أن حركة يدي وأن يدي أعلى رتبةً من المفتاح ومن حركة المفتاح، الحديث هنا عن حركة المفتاح، فحركة يدي أعلى رتبةً من حركة المفتاح لأنها هي العلة، لكن إذا أخذناها باللحاظ الزماني فإن حركة يدي وحركة المفتاح كانتا في لحظةٍ واحدة، حركتُ يدي فتحرك المفتاح، في الواقع إن حركة يدي وحركة المفتاح في نفس اللحظة لكن حتى في الكلام أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح وهذه الفاء هي فاء الترتيب، يعني أن حركة يدي سابقة على حركة المفتاح، فهذا لسبق ليس سبقاً زمنياً وإنما سبقاً وجودياً، السبق الوجودي في المرتبة، لأن حركة يدي هي الحركة الفاعلة والمؤثرة، وأما حركة المفتاح فهي الحركة المنفصلة والمتأثرة، والأمثلة قد تُقرب من وجهٍ وقد تبعد من وجهٍ آخر.

فحين أقول بأن الحديث في تلكم العوالم هو منزَّه عن القيود الزمانية لأن هذا القيد الزماني هو قيدٌ من قيود عالم الطبيعة ومن قيود عالم الأفلاك ناتجٌ من حركتها، أما في تلكم العوالم فهناك تنزيهٌ وتطهيرٌ وتقديسٌ لتلكم العوالم من كل هذه القيود ومن كل هذه الإضافات - إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل - وأنا هنا الحقيقة لا أريد أن أقف عند هذا الحديث فأشرحه، فشرح هذا الحديث يحتاج إلى وقتٍ طويل لكنني أبين معناه بشكلٍ مجملٍ لأنني أوردته لإيضاح حقيقة معنى منتهى الحلم - إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره - هو هذا أيضاً مخلوقٌ من نوره، ونور الله هو نور الحقيقة المُحمَّدية، كما قال صلى الله عليه وآله: ونوري أفضل وأشرف من نور العرش، لأي شيءٍ؟! لأن العرش من نور مُحَمَّدٍ قال: وأما نوري وأما أنا فمن نور الله سبحانه وتعالى - فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال

له: **أقبل فأقبل** - هذه الروايات تأتي بلسان الرمز لا تأتي بلسان الحكاية التاريخية، هذا الحديث لا يتحدث عن واقعة تاريخية عن ملكٍ قال لجنديٍّ من جنوده أو لوزيرٍ من وزرائه أدبر فأدبر وأقبل فأقبل، حديث عميق جداً هذا - **فقال له: أدبر فأدبر** - وهي تجليات العقل في العوالم السفلية، إدبار العقل هنا، مظاهر العقل في العوالم السفلية، مظاهر العقل في العالم الأرضي وهذا من مظاهر الإدبار العقلي - **ثم قال له: أقبل فأقبل** - مظاهر العقل وظهورات العقل في العوالم العلوية، فهناك إدبارٌ وإقبال، إدبار العقل هو ظهوره في المراتب السفلية لهذا الوجود، وإقبال العقل هو ظهوره في المراتب العلوية، المراتب السفلية هي المراتب المنفعلة، المراتب العلوية هي المراتب الفاعلة، فالعقل هنا تجلى في المراتب الفاعلة وتجلّى في المراتب المنفعلة - **فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي** - فمن هو هذا الخلق الذي كُرم على جميع الخلق، المعاني واضحة، هذا هو التجلي الذي ظهر من تجليات الحقيقة المُحمّدية التجلي الأكمل، هذا التجلي الأكمل من تجليات الحقيقة المُحمّدية الذي أشرق وشعّ في كل العوالم - **خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج** - الأجاج يعني من البحر المالح، الأجاج هو المالح - **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلماً** - نسبةً إلى الظلمة أو ظلماً نسبةً إلى الظلام والمعنى واحد، الفرق فقط في اللفظ - **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج** - من البحر المالح يعني من البحر الذي لا يستساغ ماءه، فهناك بحرٌ يستساغ ماءه وهو الماء الأول، الماء الأعذب، الماء الأطهر، وهناك ماءٌ وهو الماء الأجاج البحر الأجاج - **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلماً** فقال له: **أدبر فأدبر ثم قال له: أقبل فلم يقبل** - العقل قال له أدبر فأدبر أقبل فأقبل، أما الجهل قال له أدبر فأدبر فهو يتناسب مع العالم الطبيعي، مع العالم السفلي - **ثم قال له: أقبل فلم يقبل** - وهذي رموز.

قلتُ قبل قليل بأن العوالم السفلية هي عوالم الانفعال، والعوالم العلوية هي العوالم الفاعلة، وهذا العنوان البحرُ الأجاج الذي هو أصلُ الجهل هذا العنوان إنما هو من آثار تجليات العقل بمراتب مختلفة، أقرب المعنى حينما يقول الفلاسفة بأن الشرور هي حدود عدمية، يمكن أن أقرب المعنى من خلال هذه الصورة التي يذكرها الفلاسفة، حين يقولون بأن الخير وبأن الخيرات حدودٌ وجودية، لكن الشرور حدودٌ عدمية، أقرب المعنى بهذه الصورة وإن كانت هذه المسألة معقدة وفيها شيء من التعقيد، لكن أقرب الكلام هكذا، حينما يكون مثلاً عند الإنسان من الصدق بنسبة عشرين بالمئة، وقلت هذه أمثلة تقرب من وجه وتبعد من وجهٍ آخر، حينما يكون عند الإنسان نسبة من الصدق مقدار من الصدق بنسبة عشرين بالمئة، بقيت هناك مساحة بنسبة ثمانين بالمئة، هذه المساحة ماذا سيظهرُ فيها؟ سيظهرُ فيها الكذب، لماذا؟ لأنه لا يوجد

الصدق، فحيثما لا يوجد الصدق آثُر انعدام الصدق يتولد الكذب، لذلك يقولون بأن الكذب حدٌ عديمي، الكذب إنما منشأه من عدم الصدق، فحين لا صدق آثُر انحسار الصدق ينشأ الكذب، آثُر انحسار الخيرية تنشأ الشرور، من هنا يقولون بأن الشرور إنما حدود عدمية، لذلك هذا الجهل الذي تُخلق من البحر الأجاج إنما هو يمثل آثار تجليات العقل، يعني حين يتجلى العقل بأكمل مراتبه في العالم الذي يتجلى فيه العقل بأكمل مراتبه فلا وجود للجهل هناك، لذلك قال له أقبل فلم يُقبل لا وجود للجهل في العوالم العلوية، قال له أدبر فأدبر لأن العقل المتجلي في العوالم السفلية يتناسب بحسب هذه العوالم، حينما نملك مقداراً من العقل، حينما يتجلى فينا من العقل بنسبة خمسين بالمئة بقيت هناك مساحة بنسبة خمسين بالمئة، بسبب انحسار العقل عن هذه المساحة ستظهر آثار الجهل، الجهل الذي هو في مقابل العقل، أنا قلت قبل قليل لستُ بصدد شرح الحديث، هذا الحديث يحتاج إلى كلامٍ طويل في شرحه، وأنا هنا لم أورد الحديث لأجل شرحه، ربما أشرحه في وقتٍ آخر، لكنني أوردت الحديث لأن لهذا الحديث ارتباط بموضوع الحلم، وارتباط بالفقرة التي أن بصدد بيان معانيها - وَمُنْتَهَى الْحَلْم - أكتفي بهذه العجالة من بيانات معاني هذه الفقرات من الحديث الشريف واستمر في قراءة الحديث.

ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً أو ظلماًنياً فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يُقبل - فلا وجود للجهل في العوالم العلوية - فقال له: أستكبرت فلعله - وهذه ليست قصةً تاريخية، هذه ليست قصةً تاريخية وإنما القضية تتحدث عن رموزٍ في أصل التجليات في العوالم الأولى - فقال له: أستكبرت فلعله - الاستكبار المراد منه هنا الاستكبار هو الاستمناع في العوالم الطبيعية، يبقى مُقيداً مشدوداً في العوالم الطبيعية - أستكبرت فلعله، ثم جعل للعقل خمسةً وسبعين جنداً - وهي مجالي من مجالي العقل - خمسةً وسبعين جنداً فلماً رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا ربي هذا خلقٌ مثلي خلقتُهُ وكرمتُهُ وقويتُهُ وأنا ضده ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثلما أعطيتُهُ، فقال: نعم فأن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي - والرحمة هنا الحديث عن الفيض المنبسط - قال: قد رضيتُ فأعطاه خمسةً وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند - هذه المقدمة، لأن هذه المقدمة تحتاج إلى شرحٍ وشرحاً بعضها، ولا أريد أن أطيل الوقوف عندها، فما هي جنود العقل؟ - فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند الخيرُ وهو وزيرُ العقل - الخير هو القاعدة والأساس - الخيرُ وهو وزيرُ العقل وجعل ضده الشر وهو وزيرُ الجهل - طبعاً الخير هنا إذا أردنا أن نقف عنده المراد من الخير هنا هو الحلم وإن كان سيأتي في ذكر جنود العقل أن هناك الحلم الذي هو مضادٌ للسَّفَه ولكن هذه رتبةٌ من رتب الحلم، أما الخير هنا هو الحلم،

مادة العقل، مادة العقل هي الحلم - الخير وهو وزير العقل وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل والإيمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدل وضده الجور، والرضاء وضده السخط، والشكر وضده الكفران، والطمع وضده اليأس، والتوكل وضده الحرص، والرفأة وضدها القسوة، والرحمة وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهم وضده الحمق أو الحمق، والعفة وضدها التهلك، والزهد وضده الرغبة، والرفق وضده الخرق، والرهبنة وضدها الجرأة - الجرأة على المعصية هنا المقصود منها، الرهبنة، الرهبنة من الله - والرهبنة وضدها الجرأة، والتواضع وضده الكبر، والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضده السفه - وقبل قليل قلت بأن الحلم هو التؤدة والاعتزان ولذلك جاء الحديث عن هذه المراتب هنا - والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضده السفه، والصمت - أيضاً هو من الحلم كما قلت قبل قليل - والصمت وضده الهذر، والاستسلام وضده الاستكبار - الاستسلام لحكمة الله للحكمة - وضده الاستكبار، والتسليم وضده الشك، والصبر وضده الجزع، والصفح وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتذكر وضده السهو، والحفظ وضده النسيان، والتعطف وضده القطيعة، والقنوع وضده الحرص، والمؤاسة وضده المنع، والمودة وضدها العداوة، والوفاء وضده الغدر، والطاعة وضدها المعصية، والخضوع وضده التناول، والسلامة وضدها البلاء، والحب وضده البغض، والصدق وضده الكذب، والحق وضده الباطل، والأمانة وضدها الخيانة، والإخلاص وضده الشوب وهو خلاف الإخلاص، والشهامة وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفة وضدها الإنكار، والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدها المماكرة، والكتمان وضده الإفشاء، والصلاة وضدها الإضاعة - يعني الاهتمام بالصلاة - والصوم وضده الإفطار، والجهاد وضده النكول - النكول هو الفرار والتكاسل والعجز - والحج وضده نبد الميثاق، وصون الحديث وضده النسيمة، وبر الوالدين وضده العقوق، والحققة وضدها الرياء، والمعروف وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقية وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية - وهذا الستر وضده التبرج هذا له معانٍ يناسب منها ما يناسب الرجال ويناسب منها ما يناسب النساء، وهكذا كل إنسانٍ من الرجال أو من النساء أيضاً بحسب رتبته.

فالتبرج والستر يختلف باختلاف مراتب الناس - والستر وضده التبرج، والتقية وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية - الحمية يعني العصبية - والتهية وضدها البغي، والنظافة وضدها القدر، والحياء وضدها الجلع - وفي نسخٍ أخرى - الخلع، والقصد وضده العدوان، والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها الصعوبة، والبركة وضدها المحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكاثرة،

والحكمة وضدها الهوى - يعني الهوى - والوقارُ وضده الحفة، والسعادةُ وضدها الشقاوة، والتوبةُ وضدها الإصرار، والاستغفارُ وضده الاغترار، والمحافظةُ وضدها التهاون، والدعاء وضده الاستتكاف، والنشاطُ وضده الكسل، والفرحُ وضده الحزن، والألفةُ وضدها الفرقة، والسخاءُ وضده البخل - هذه جنود العقلِ وجنود الجهل.

وحديثنا هنا عن منتهى الحلم، وهذه من معاني انتهاء الحلم انتهاء العقل، لأن هذه الأوصاف من أين تجلت؟ تجلت من العقل الذي كان عند العرش، وهذا هو منتهى الحلم في مرتبةٍ من المراتب، وإلا نقطة انتهاء الحلم إنما هو في الحقيقة المُحمّدية، ثم تستمر الرواية فماذا تقول؟

فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍّ أو وصي نبيٍّ أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان - هذه الخصال لا تجتمع كلها إلا في نبيٍّ أو وصي نبيٍّ، مر علينا من جملة هذه الخصال مثلاً، مر علينا - والتذكرُ وضده السهو - يعني أن الأنبياء أن الأوصياء منزهون عن السهو - والحفظُ وضده النسيان - أي أن الأنبياء أن الأئمة منزهون عن النسيان وعن كل هذه المعاني التي مرت - فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍّ أو وصي نبيٍّ أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان - وهذا الوصف مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان لا ينطبق على كل من يدعي الإيمان، هذا الوصف ينطبق على سلمان الفارسي وأمثاله - وأما سائر ذلك من موالينا - سائر ذلك من موالينا ماذا يقصد الإمام؟ لأن الأنبياء أيضاً من مواليتهم، ولأن أوصياء الأنبياء من مواليتهم، ولأن المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان أيضاً من مواليتهم - فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍّ أو وصي نبيٍّ أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان وأما سائر ذلك من موالينا - يعني المجموعات السابقة هي من جملة مواليتهم، الباقي من مواليتهم - وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود - مواليتهم من الأنبياء ومن الأوصياء ومن المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان تجتمع فيهم هذه الخصال الخمسة والسبعون ولكن كلٌّ بحسبه - وأما سائر ذلك من موالينا - البقية من الموالين البقية من الشيعة من غير الأصناف التي ذكرت - فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل - إذا كان يسعى في طريق الكمال، يستكمل يعني هو يطلب الكمال، يستفعل - حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء وإنما يُدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده وبمجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته - الرواية جميلة جداً، الرواية هنا تتحدث عن جنود العقل وعن جنود الجهل وهي تحبنا بأن الأنبياء وبأن أوصياء الأنبياء وبأن الذين امتحن الله قلوبهم من المؤمنين أولئك تكون فيهم هذه الأوصاف، تكون فيهم أوصاف

العقل، ويكونون بعيدين عن أوصاف الجهل، أما سائر أشياعهم من أمثالنا فكل واحدٍ منا يملك شيئاً لكن عليه أن يستكمل، فهل نستكمل أو لا نستكمل ذلك أمرٌ يعود إلى واقع الحياة، هذه الصفات، هذه الأوصاف هي مظاهر وظهورات لذلك العقل المتجلي في عالم العرش، وذلك العقل يعني منتهى هذه الصفات أين؟ تنتهي عند ذلك العقل المتجلي عند عالم العرش، وذلك العقل المتجلي في عالم العرش أين منتهاه؟ منتهى ذلك العقل عند الحقيقة الأولى، عند الحقيقة المُحمّدية، إذا كانت هذه الأوصاف هي في أوصاف أشياعهم، إذاً كيف نتصور أوصافهم؟ لذلك نحن نخاطبهم في الزيارات، وبالذات في الزيارة الجامعة الكبيرة نحن نخاطبهم: **مَوَالِيَّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - هذه العبارات هي عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة التي بين أيدينا - **مَوَالِيَّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ** - ثنائكم خارجٌ عن حد الإحصاء - **وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - هذه الرواية العظيمة التي قرأها على مسامعكم، حديث جنود العقل وجنود الجهل، هذه الأوصاف العظيمة التي لو تصورنا مخلوقاً يتصف بهذه الأوصاف بهذه الكمالات يعني جميع جنود العقل موجودة عنده وهو بعيدٌ عن جميع جنود الجهل، ما هي صفته هذه؟ هل نستطيع أن نتصوره؟ قطعاً لا نستطيع أن نتصوره، لأن هذا يقتضي أن نتقمص شخصيته، هل نستطيع أن نتقمص شخصية بهذه الأوصاف! هذه أوصاف أولياء أهل البيت فما بالنا بأوصاف أهل البيت، لذلك نحن لا نستطيع أن نصفهم، القضية أكبر وأعظم وأعمق، منتهى الحلم قضية أعمق وأعظم من كل ما قلته ومن كل ما سأقوله، هذه مظاهر العقل، مظاهر الحلم، جنود العقل في أوليائهم من الأنبياء من أوصياء الأنبياء، نحن لا نستطيع أن نتصورها لأننا لا نعيشها ولا نملكها فكيف نتمكن أن نتصورها، الإنسان إذا لم يكن مالكاً ومحيطاً وعارفاً بمعنى من المعاني كيف يمكن أن يتصوره، تصور هذه المعاني يحتاج إلى آليات إلى مقدمات، هذه الآليات وهذه المقدمات نحن لا نملكها، نحن فقط نردها بقلقة لسانية، فأني لنا أن نتصور هذه الأوصاف التي هي في أوليائهم، فكيف هم! هذا الحديث هنا عن خمسة وسبعين من صفاتٍ إيجابية جنود العقل في أوليائهم، وعن خمسة وسبعين من صفاتٍ سلبية تنزه قلوب أوليائهم عنها، حينما أقول أوليائهم يعني الأنبياء وأوصياء الأنبياء والذين امتحنت قلوبهم وهؤلاء قلة قليلة، هذا الكلام لا يقال لي ولأمثالي ولكل من يدعي بأنه من شيعة أهل البيت، فإذا كنا عاجزين عن تصور هذه المعاني في أوليائهم فأني لنا أن نتصوره هذه المعاني في أتم صورها في ذواتهم القدسية.

عندنا رواية أيضاً في الكافي الشريف تقول هذه الرواية، الحديث عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، يقول: **ما قَسَمَ اللهُ للعبادِ شيئاً أفضل من العقل** - وهل هناك أفضل من مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ؟! هم حقيقة العقل والعقل في عالم العرش من تجلياتهم، كما أن القرآن هو صورة لهم، أليس القرآن هو العقل الكتبي،

العقل المكتوب الكامل في العالم الأرضي، عالم العقل المكتوب هو القرآن، أليس هو الصامت وهم الناطق؟ هم العقل الناطق كما أن القرآن صورة كتبية لعالم العقل الأعلى، عالم العقل الأعلى هذا المخلوق العقلي في عالم العرش هو صورةٌ لتلك الحقيقة المُحمّدية تَنْزُلُ - ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل - من سهر الجاهل في العبادة يعني - وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل - أيضاً من شخوص الجاهل في العبادة، كشخوصه إلى الحج مثلاً، كشخوصه إلى الزيارة مثلاً - فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل - من سفره وسعيه - ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل - العقل الذي مرّ علينا ذكر جنوده - حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته وما يُضمّر النبي في نفسه - يعني الحالة النفسية للنبي، الحالة المعنوية - وما يُضمّر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين - المجتهدين يعني الذين يواصلون العبادة، أفضل من عبادة العابدين في غاية ما يتعبون به، المجتهد الذي يبذل أقصى ما يمكن في العبادة - وما يُضمّر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين وما أدى العبد فرائض الله حتى عَقَلَ عنه - يعني حتى عرف الله بعقله - ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل - إذا كان هذا العاقل عقله أعلى رتبةً من عقولهم - والعقلاء هم أولوا الألباب الذين قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ

إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ - والأحاديث متعاضدة لذلك نبينا وأئمتنا ماذا يقولون؟ إمامنا الصادق ماذا يقول؟

ما كَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط - فإن العباد لا يحتملون ذلك - وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نُكَلِّمَ الناس على قدر عقولهم - الأنبياء مرّ علينا قبل قليل بأن عقولهم بهذا النحو المتكامل، والنبي هنا حينما يقول إنا معاشر الأنبياء يتحدث في الأفق النبوي لأنبياء الأرض، لأنبياء هذا العالم الذين هم أشياعه، إنا معاشر الأنبياء، لا يتحدث بمستوى العقل المُحمّدي يتحدث بمستوى العقل النبوي في أفق الأنبياء - إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نُكَلِّمَ الناس على قدر عقولهم - فالذين يملكون عقولاً بهذه الأوصاف التي أشار إليها حديث العقل وحنوده والجهل وحنوده هؤلاء هم الذين يأتي الحديث عنهم هنا بأنهم يكلمون الناس على قدر عقولهم وإلا فالعقل المُحمّدي له أفق آخر، ليس الكلام هنا للحديث عن أفق العقل المُحمّدي، الروايات والأحاديث كثيرة عن أهل بيت العصمة في هذا المضمون.

رواية هنا أذكرها لها علاقة بالذي نحن فيه، رواية عن إمامنا الباقر عليه السلام أيضاً في الكافي الشريف في الجزء الأول في كتاب العقل والجهل، إمامنا الباقر يقول: إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العبادة

فجمع بها عقولهم وكُمّلت به أحلامهم - كُمّلت به يعني كُمّلت بظهور الإمام كُمّلت بالإمام تُجمع به العقول وتكمل به الأحلام لأي شيء؟ لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه يأتي لإكمال هذا العالم، يأتي لبعث العقل الذي أرادَهُ اللهُ سبحانه وتعالى أن يكون خليفةً على هذه الأرض، ولا يستطيع أحد ما لم يكن يملك القدرة العقلية المُطلقة حتى يستطيع أن يبعث العقول، حتى يستطيع أن يُكَمِّلَ العقول والأحلام، الرواية هنا لها علاقة بالذي في أيدينا من جهةٍ من الجهات، الروايات في هذا المضمون كثيرة جداً.

هناك رواية يرويها شيخنا ابن شعبة الحراني رحمة الله عليه في كتابه تحف العقول عن آل الرسول، رواية منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول في جملة خبرٍ طويلٍ ومسائل كثيرة سأله عنها راهبٌ يُعرف بشمعون بن لاوي بن يهوذا من حواربي عيسى - يعني أن نَسَبَهُ ينتهي إلى حواربي عيسى - من حواربي عيسى عليه السلام فأجابه عن جميع ما سأل عنه على كثرته فأمن به وصدقته، وكتبنا منه موضع الحاجة إليه ومنه - من هذا الحديث - قال: - هذا الرجل شمعون بن لاوي يسأل النبي الأعظم - أخبرني عن العقل وما هو؟ وكيف هو وما يتشعب منه وما لا يتشعب وصف لي طوائفه كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن العقل عقال من الجهل والنفس مثل أخبث الدواب - العقال يعني الرباط الذي يربط به الشيء - إن العقل عقال من الجهل والنفس مثل أخبث الدواب فإن لم تُعقل - لم تُربط - حارت تاهت، فالعقل عقالٌ من الجهل وإن الله خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك بك أبداً وبك أعيد - ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة وإيابُ الخلق إليكم وهو الفاتح وهو الخاتم - بك أبداً وبك أعيد لك الثواب وعليك العقاب فتشعب من العقل الحلم - وقبل قليل قلت أن المراد من الخير في حديث جنود العقل والجهل هو الحلم، هذه الرواية وتلكم الرواية جعلت مادة العقل الحلم، الحلم هنا وعُبر عنه في رواية الكافي بالخير، والخير والحلم في هاتين الروايتين بمعنى واحد - فتشعب من العقل الحلم ومن الحلم العلم ومن العلم الرُشد ومن الرُشد العفاف ومن العفاف الصيانة - تُقرأ العفاف والعفاف - ومن الرُشد العفاف ومن العفاف الصيانة ومن الصيانة الحياء ومن الحياء الرزانة ومن الرزانة المداومة على الخير ومن المداومة على الخير كراهية الشر ومن كراهية الشر طاعة الناصح فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ولكل واحدٍ من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع - يعني هناك مئة نوع من أنواع التحليلات، هناك مئة مظهر من مظاهر العقل، وهذه المظاهر تظهر في كل عالم بحسبه، في كل طبقةٍ من طبقات الوجود بحسبه، ابتداءً من عالم العرش وانتهاءً بالعالم الأرضي فتظهر فينا وتظهر في غيرنا، فهذه عشرة أصناف هي الأصول ولكل أصلٍ فروع - فأما الحلم فمنه ركوب الجميل وصُحبة الأبرار ورفعٌ من الضعة ورفعٌ من

الخشاسة وتشهي الخير ويُقرب صاحبه من معالي الدرجات والعمو والمهل والمعروف والصمت فهذا ما يتشعب للعقل بحلمه - هذه عشرة أبواب وللبقية لكل أصل عشرة أبواب.

وأما العلم فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيراً والجود وإن كان بخيلاً والمهابة وإن كان هيناً والسلامة وإن كان سقيماً والقرب وإن كان قصياً والحياء وإن كان صليفاً والرفعة وإن كان ضيعاً والشرف وإن كان رذلاً والحكمة والحظوة فهذا ما يتشعب للعقل بعلمه فطوبى لمن عقل وعلم، وأما الرشد فيتشعب منه السداد والهدى والبر والتقوى والمنالة والقصد والاقتصاد والثواب والكرم والمعرفة بدين الله فهذا ما أصاب العاقل بالرشد فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق، وأما العفاف فيتشعب منه الرضا والاستكانة والحظ والراحة والتفقد والخشوع والتذكر والتفكر والجود والسخاء فهذا ما يتشعب للعقل بعفافه رضاً بالله وبقسمة، وأما الصيانة فيتشعب منها الصلاح والتواضع والورع والإنابة والفهم والأدب والإحسان والتحب والخير واجتناء البشر فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة، وأما الحياء فيتشعب منه اللين والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظفر وحسن الشاء على المرء في الناس فهذا ما أصاب العاقل بالحياء فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته، وأما الرزانة فيتشعب منها اللطف والحزم وأداء الأمانة وترك الخيانة وصدق اللسان وتحصين الفرج واستصلاح المال والاستعداد للعدو والنهي عن المنكر وترك السفه فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة فطوبى لمن توقر ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية وعفا وصفح، وأما المداومة على الخير فيتشعب منها ترك الفواحش والبعد من الطيش والتحرُّج واليقين وحب النجاة وطاعة الرحمن وتعظيم البرهان واجتناب الشيطان والإجابة للعدل وقول الحق فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير فطوبى لمن ذكر أمامه - وفي نسخة - إمامه وذكر قيامه واعتبر بالفناء.

وأما كراهية الشر فيتشعب منه الوقار والصبر والنصر والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرشاد والإيمان بالله والتوفر والإخلاص وترك ما لا يعنيه والمحافظة على ما ينفعه فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر فطوبى لمن أقام بحق الله وتمسك بعري سبيل الله، وأما طاعة الناصح فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب ومحمدة العواقب والنجاة من اللوئم والقبول والموودة والانسراح والإنصاف والتقدم في الأمور والقوة على طاعة الله فطوبى لمن سلم من مصارع الهوى فهذه الخصال كلها تتشعب من العقل - والحديث طويل أكتفي بهذا المقدار الذي ذكر فيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جانباً من مظاهر العقل، جانباً من كمالات العقل، هذه مئة باب عشرة أصول لكل

أصل من هذه الأصول عشرة أبواب فهذه مئة باب من أبواب العقل، مرّ علينا قبل قليل في حديث الكافي الشريف في جنود العقل وجنود الجهل هناك خمسة وسبعون نوع من أنواع جنود العقل بالنحو الإيجابي، وهناك خمسة وسبعون أيضاً من النحو السلبي، الأنبياء منزهون عن الجانب السلبي وجامعون لأي شيء؟ للجانب الإيجابي، وهذه الرواية وهذا الكلام الذي جاء مروياً في تحف العقول عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إنما هو حديثٌ يعضد الحديث الذي ذكرته قبل قليل من كتاب الكافي الشريف، وهناك روايات أخرى كثيرة في هذا المضمون نحن هنا لسنا في مقام الاستقصاء وإنما أوردت هذه النصوص نماذج وأمثلة لتقريب الصورة ولتقريب المعنى، هذه مجالي العقل وللعقل مجالي تبدأ من منتهى الحلم وتنتهي في هذه العوالم الأرضية، هذه الأوصاف التي جاءت في حديث جنود العقل والجهل وجاءت في حديث رسول الله مع شمعون هذا الذي هو من ذراري الحواريين، مع شمعون بن لاوي كل هذه وغير ذلك من النصوص إنما تتحدث عن مظاهر وعن مراتب العقل في العالم الأرضي وفي المخلوق البشري.

بعض من هذه النصوص تتحدث عن المراتب الكاملة في الأنبياء في أوصياء الأنبياء في الذين امتحنت قلوبهم للإيمان من المؤمنين، في عامة الناس من أمثالنا تتجلى بعض هذه المعاني، إذا كانت هذه المعاني نحن لا نستطيع الإحاطة بها، الآن أي حديث من هذه الأحاديث إذا أردنا أن نشرحها فقط، فقط في الجانب اللغوي معاني الكلمات كل حديث يحتاج إلى وقت طويل، فقط الشرح اللغوي لهذه الأوصاف ولهذا الصفات، فقط شرح لغوي نحتاج إلى وقت طويل فما بالك بالمعاني الحقيقية والتي نحن لا نملكها ولا نملك الإحاطة بها، هذا كله من مجالي العقل في العالم الأرضي، أما عقل مُحَمَّدٍ حتى في العالم الأرضي، عقل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فذلك شيء لم تأتي الإشارة إليه في هذه الروايات، هذه الروايات تتحدث عن عقول الأنبياء من سائر الأنبياء، وليس في هذه الأحاديث شيء للحديث عن عقل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فأني لنا أن نتصور هذا المعنى، وكل ذلك يعود في منتهاه إلى أين؟

إلى عالم العقل في عالم العرش، وعالم العقل في عالم العرش يعود في منتهاه إلى الحقيقة المُحَمَّدية، ومُحَمَّدٌ هنا في عالم الأرض هو الحقيقة المُحَمَّدية كما أن الحقيقة المُحَمَّدية هي مُحَمَّدٌ إلا أن مُحَمَّداً هو مُحَمَّدٌ وأن الحقيقة المُحَمَّدية هي الحقيقة المُحَمَّدية، مُحَمَّدٌ في الأرض هو الحقيقة المُحَمَّدية بوجه من الوجوه مع هذا العالم الأرضي، وإلا كيف نفهم هذه الروايات الكثيرة جداً المنقولة عن النبي الأعظم وعن الأئمة في أنهم وجدوا قبل الخلق، وفي أن كل الخلق إنما أشتق من أنوارهم، كيف تُفهم هذه النصوص الكثيرة والتي تحدثت بلسان الرمز بلسان الإشارة لأننا أصلاً لا نملك التصور الكامل عن تلكم الحقائق، وإنما نتلمس المعاني هنا وهناك في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فها نحن نقرأ زيارتنا الجامعة الكبيرة ونسلم عليهم صلوات الله وسلامه عليهم - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ**

الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، ومُنْتَهَى الحلم - يمكن من خلال هذه الجولة السريعة في هذه النصوص في هذه الروايات يتجلى لنا بعضُ شيءٍ من معنى قولنا منتهى الحلم، الحقيقة أنني وأمثالي لا ندرك حقائق المعاني في هذه الزيارة الجامعة الكبيرة، لأن هذه الزيارة كما جاء في وصفها هي قولٌ بليغٌ كامل فأني لي أن أحيط بحقائق معاني هذا القول البليغ الكامل، هذه الزيارة هكذا وصفت بأنها قولٌ بليغٌ كامل، السائل سأل هذا السؤال فجاء الجواب من إمامنا الهادي على قدر هذا السؤال، فهذا قولٌ بليغٌ كامل، فأني لي أن أحيط بمضامينه وبفحواه وبدلالاته، وإنما كما قال سيد الأوصياء مخاطباً كميل: يا كميل إن القلوب أوعية وخيرها أوعاها. إنما أغترب بوعائي وكلما كبر الوعاء كلما كان الاغتراف أكثر، إنما أغترب بوعائي فما اغترفه بقدر وعائي وما يغترفه الآخرون بقدر أوعيتهم، فهل يمكن أن نجعل البحر ب كله في قدحٍ واحدٍ في وعاءٍ واحدٍ، إنما نحن نغترف شيئاً من هذا البحر، إنما نحن نغترف شيئاً من هذا الشلال المنهمر من هذا الماء العذب الصافي الزلال، هذه اغترافٌ بوعاءٍ صغير، يا كميل إن القلوب أوعية وخيرها أوعاها، خير القلوب أوعاها يعني أكبرها، الذي يسع أكبر قدرٍ من المعنى يسع أكبر قدرٍ من المعرفة - وَخُزَانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحَلْمِ - ثم تقول الزيارة الشريفة:

وَأَصُولَ الْكُرْمِ، أصول جمع لأصل والأصل معناه واضح لا يحتاج إلى شرحٍ وإلى توضيح، أصول جمع لأصل والأصل هو الجذر، يقال أصل الشجرة هو جذرها الذي تنبت منه، وأصل الشجرة وأصل النبتة البذرة التي جاءت منها تلکم النبتة أو تلکم الشجرة، وهكذا أصل كل شيءٍ الجهة التي جاء منها ذلك الشيء، كل جهة تكون هي البداية لأي شيءٍ فتلك الجهة هي الأصل - وَأَصُولَ الْكُرْمِ - يعني أن الكرم يأتي وينبع من تلکم الجهات، الخطاب هنا مع تلکم الجهات هم صلوات الله وسلامه عليه أجمعين - وَأَصُولَ الْكُرْمِ - الكرم، ما المراد من معنى الكرم؟ قد يأتي الكرم بمعنى الجود بمعنى السخاء وهذا المعنى واضح لديكم، وقد يأتي الكرم بمعنى الشرف حين يقال فلان كريم النسب يعني شريف النسب، والجود إنما هو مظهرٌ من مظاهر الشرف، الكرم بمعنى الجود بمعنى السخاء هو مظهر من مظاهر الشرف، الشرف والجود متلازمان إن لم يكن الجود هو الشرف والشرف هو الجود - وَأَصُولَ الْكُرْمِ - يعني أصول الشرف، وحينما يقال شيءٌ كريم شيءٌ شريف، الشيء الشريف، الكائن الشريف، الموجود الشريف هو الموجود الذي لا يلحق به عيب، لا يلحق به نقص، فهم خزان العلم وهم منتهى الحلم وهم أصول الكرم، إليهم كل مكرمة تؤوب، إليهم كل مكرمة تعود، هم أصل الكرم لأن الكرم الإلهي تجلى فيهم، نحن حين نقرأ في الكتاب الكريم مثلاً في سورة العلق، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الأكرم هنا صيغة أفعال التفضيل ومعرفة بالألف واللام ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي لا كريم فوقه، الأكرم هو الذي صدر منه حقيقة الكرم، حقيقة الكرم أين

تجلت هذه؟ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ريك هو الأكرم ومنه صدر الكرم فأين تجلت حقيقة الكرم؟ نحن حين نذهب مثلاً إلى سورة الرحمن على سبيل المثال، في الآية السادسة والعشرين وفي الآية السابعة والعشرين ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو الجلال والإكرام هنا وصفٌ للوجه، ويبقى وجهه، وجهُ فاعل وهو مضاف، ريك مضاف إليه، ذو الجلال صفة لوجهه، الوجه هنا وصفته الآية بالإجلال وبالإكرام، هذا في الآية السابعة والعشرين من سورة الرحمن، في نفس السورة في سورة الرحمن في آخر آية من آيات سورة الرحمن ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ اسمٌ هنا فاعل وهو مضاف، ريك مضاف إليه، ذي الجلال صفة لريك، يعني هناك في سورة الرحمن جاء وصف الوجه بالجلال والإكرام وجاء وصف الرب بالجلال والإكرام، ماذا تريد أن تقول السورة؟

تريد أن تقول بأن الوجه هو الرب، وبأن الرب هو الوجه، لكن يبقى الوجهُ وجهاً ويبقى الرب رباً، في الآية السابعة والعشرون ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو الجلال صفة لوجهه، الآية الأخيرة وهي الثامنة والسبعون ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فالرب جاء موصوفاً بالجلال والإكرام، والوجه جاء موصوفاً بالجلال والإكرام ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ كما مرَّ علينا قبل قليل في سورة العلق المباركة، هذا المعنى نفسه أين يتجلى؟ يتجلى في سورة الواقعة، يتجلى في الوجه الكتي، في العقل الكتي، في الآية السابعة والسبعين وما بعدها ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ القرآن هنا كما قلت قبل قليل هو الوجود الكتي للعالم العقلي، والعالم العقلي إنما هو مظهرٌ لمن؟ للوجه الأكرم، لوجه ريك ذي الجلال والإكرام، ريك ذو الجلال والإكرام ووجه ريك أيضاً هو ذو الجلال والإكرام، والحقيقة المُحمَّدية هي وجه الله الظاهر في كل هذا الوجود. ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهذا تجلٍ من التحليات وهذا ينعكس أيضاً علينا، كما قلت بأن الحلم له مظاهر، الكرم له مظاهر، إلى أن يأتي الكلام في سورة الحجرات الآية الثالثة بعد العاشرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ خطاب للعالم الأرضي ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ التقوى ولاية عليّ، أتقاكم هو أكثركم ولايةً لعليّ، فولاية عليّ هي الكرامة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ هم أصول الكرم وهذا الكرم يتجلى في كل مرتبة من مراتب هذا العالم، في كل مرتبة من مراتب هذا الوجود ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ثم وصلنا إلى سورة الرحمن

﴿ وَيُنْتَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وفي الآية الأخيرة ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ فربك ذو الجلال والإكرام ووجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ والقرآن حقيقة الولاية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الأتقى الأكثر ولايةً هو هذا الأكرم - وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكُرْمِ - القرآن يشد بعضه بعضاً والحديث يشد بعضه بعضاً والقرآن والحديث يشد بعضه بعضاً.

وهذه حقائق واضحة لمن تدبر أو تفكر في كلام القرآن وفي كلام المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن هنا كانت الوصية النبوية الخالدة بالكتاب والعترة، ومن أراد أن يقترب من فناء منتهى الحلم ومن فناء أصول الكرم عليه أن يتفياً أفياء الكتاب والعترة، عليه أن يتمسك بعروة الكتاب والعترة، في الجزء الخامس والعشرين من بحار الأنوار والحديث وإن مرر علينا لكنني أعيد بعضاً من عباراته لعلاقته بهذا الموضوع، الحديث هنا عن أصول الكرم، والكرم هو الشرف، الحديث عن شرفهم وعن أنهم أصول الشرف، في حديث الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه في وصف الإمام المعصوم ماذا يقول؟

والإمام عالمٌ لا يجهل، داعي لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك الزهادة والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرسول وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب - وهذا هو أصل الكرم المتجلي في العالم الأرضي - وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من آل الرسول والرضا من الله شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مُطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظٌ لدين الله - كل هذه الأوصاف كل هذه الصفات تتحدث عن كرم الأصل وعن أصل الكرم، وكرم الأصل في أهل البيت، وأصل الكرم هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى نفس هذا النعم، على نفس هذا النسق، على نفس هذا اللحن في حديث أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في وصف الإمام المعصوم:

والإمام يجبُ أن يكون عالمًا لا يجهل وشجاعاً لا ينكل لا يعلو عليه حسب ولا يدانيه نسب فهو في الذروة من قريش والشرف من هاشم والبقية من إبراهيم والنهج من النبع الكريم - فهو كريم الأصل وهو أصل الكرم - والنفس من الرسول، والرضا من الله، والقول عن الله، فهو شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، عالم بالسياسة، قائمٌ بالرئاسة، مفترض الطاعة إلى يوم الساعة، أودع الله قلبه سره وأطلق به لسانه، فهو معصوم موفق ليس بجبانٍ ولا جاهل، فتركوه يا طارق - طارق هو طارق بن شهاب الذي يحدّثه أمير المؤمنين - فتركوه يا طارق واتبعوا أهوائهم ومن أضلُّ ممن أتبع هواه بغير هدىً

من الله، والإمام يا طارق بشرٌ ملكي وجسد سماوي - وهذه هي معاني أصول الكرم - والإمام يا طارق بشرٌ ملكي وجسد سماوي وأمرٌ إلهي وروحٌ قدسي ومقامٌ عليّ ونورٌ جلي وسرٌ خفي فهو ملكي الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عالم بالمُغيبات خصاً من رب العالمين ونصاً من الصادق الأمين وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركونهم فيه مُشارك - لماذا؟

لأنهم هم الأصل، هم أصول الكرم - وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركونهم فيه مُشارك - فالفروع لا يمكن أن تشارك الأصول - وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركونهم فيه مُشارك لأنهم معدن التنزيل ومعنى التأويل وخاصة الرب الجليل ومهبط الأمين جبرئيل، صفوة الله وسره وكلمته، شجرة النبوة - هم الأصل، هم الشجرة والشجرة الأصل - شجرة النبوة ومعدن الصفوة عين المقالة ومنتهى الدلالة ومُحكم الرسالة ونور الجلالة جنب الله ووديعته وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته، السبيل إلى الله والسلسبيل والقسطاس المستقيم والمنهاج القويم والذكر الحكيم والوجه الكريم ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ والوجه الكريم والنور القديم أهل التشريف والتقويم والتقديم والتعظيم والتفضيل خلفاء النبي الكريم وأبناء الرؤوف الرحيم - أبناء الرؤوف الرحيم هي أوصاف النبي - وأمناء العليّ العظيم ذريةً بعضها من بعض والله سميعٌ عليم - هذا غيضٌ من فيض، الأحاديث طويلة والكلمات كثيرة للحديث عن كرم الأصل وعن أصول الكرم، قد يتجلى بعض شيءٍ من معاني عبارات الزيارة الشريفة التي بين أيدينا من طوايا هذه الكلمات، نحن نبقي نعيش في أجواء الزيارة الجامعة الكبيرة وما أبينه من معاني ومن مضامين هذه إنما هي من شاطئ معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، وإلا فالقضية أعمق وأعمق وأعمق من كل هذه البيانات، الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى ستكون بعد يوم غد، في يوم غد برنامج قرآنا وبعد يوم غد نعود لنلتقي لتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في أجواء زيارتهم الجامعة الكبيرة، أختتم كلامي بما تقوله الزيارة الشريفة:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخَزَانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأَصُولِ الْكَرَمِ.

والسلام عليكم يا أشياعهم ويا أحبائهم ويا أوليائهم ويا من تعلقت قلوبهم بهم ويا من تمسكت عقولهم وأبصارهم ومشاعرهم بعروقتهم الوثقى، هنيئاً لكم أسألکم الدعاء أتمنى لكم صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً ولقاءنا سيتجدد إن شاء الله على المودة وفي ضلال مودة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرايون.

مع التحيات

المُتَابَعَة

زهرايون

1433 هـ

الفهرست

| | | |
|-----|-------|---|
| 1 | | شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : القسم الأول |
| 3 | | يا زهراء |
| 5 | | الحلقة الاولى : مقدمة أولى لبيان معاني الزيارة الجامعة |
| 25 | | الحلقة الثانية : مقدمة ثانية لبيان معاني الزيارة الجامعة |
| 42 | | الحلقة الثالثة : معنى السَّلَامُ عَلَيْكُمْ |
| 63 | | الحلقة الرابعة : معنى أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ |
| 84 | | الحلقة الخامسة : معنى وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ |
| 113 | | الحلقة السادسة : معنى وَمُنْتَخَلَفَ الْمَلَائِكَةِ |
| 139 | | الحلقة السابعة : معنى وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ |
| 165 | | الحلقة الثامنة : معنى وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ |
| 189 | | الحلقة التاسعة : معنى وَخُرَّانَ الْعِلْمِ |
| 219 | | الحلقة العاشرة : معنى وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ وَأَصُولِ الْكَرَمِ |
| 237 | | الختام |
| 238 | | الفهرست |

من أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح

الزيارة الجامعة الكبيرة

عبد الحليم الغزي

منشورات موقع زهرايئون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضه قناة المودة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءً من تاريخ: 2010 / 06 / 10

القسم الثالث: من الحلقة الحادية والعشرين الى الحلقة الثلاثين

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ أَلِ اللَّهِ

وَاللَّعْنُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ شِيَعَتِهِمْ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ لِقَاءِ اللَّهِ

الحلقة الحادية والعشرون

معنى السَّلَامِ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِينَ فِي

مَحَبَّةِ اللَّهِ

سَلَامٌ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةٌ وَبَرَكَاتٌ، أَحِبَابِ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ، الْحَلْقَةُ الْحَادِيَةَ وَالْعِشْرُونَ مِنْ بَرْنَامِجِ الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ، فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَلَقَاتِ الْعِشْرِينَ تَمَّ الْحَدِيثُ فِي الْمَقَاطِعِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى وَالثَّانِي وَالثَّلَاثَ.

المقطع الأول:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ وَخُرَّانِ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ وَأُصُولِ الْكَرَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ وَسَاسَةَ الْعِبَادِ وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعِترَةَ خَيْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

المقطع الثاني:

السَّلَامُ عَلَى أُمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التَّقَى وَذَوِي الثُّهَى وَأُولِي الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالِدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

المقطع الثالث:

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ اللَّهِ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

المقطع الرابع والذي سأشرع فيه منذُ هذا اليوم:

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

هذا هو المقطع الرابع من المقاطع الخمسة، المقاطع الخمسة التي تحدّثت عن خصوصيتها في هذه الزيارة بل حتى فيما يتعلّق بالزيارات الأخرى، هذه المقاطع الخمسة التي ابتدأت بها الزيارة الجامعة الكبيرة تُمثّل الأصول ومُثّل الأسس التي تعود إليها وتتفرع عنها كل المعاني التي جاءت مذكورة في الزيارة الجامعة الكبيرة أو في بقية الزيارات، لذلك طوّلت الوقوف عند هذه المقاطع بعض الشيء، وإن كُنْتُ أعتقد بأنني لم أكن قد وفيتها حقها ولكن ما لا يدركُ كُلُّه لا يُتركُ كُلُّه.

نحنُ والمقطع الرابع من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة التي فاضت بها شفاه إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه. في هذا اليوم سأتناول شطراً من المقطع الرابع وفي يوم غدٍ إن شاء الله تعالى والبثُّ بثٌّ مباشر في نفس الوقت وعلى نفس الشاشة سأتمُّ الكلام إن شاء الله تعالى في المقطع الرابع.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرَضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ -
هذه العناوين تتعاقب جميعاً لا يمكننا أن نفهم بعضها دون أن نفهم البعض الآخر، لذلك سترون بأن المعاني متداخلة والمضامين متعاقبة ومتزاوجة فيما بينها، ستتضح الصورة شيئاً فشيئاً بعد هذه البيانات التي سأبينها وبعد التفصيل الذي سأسلطُ الضوءَ عليه من خلال آيات الكتاب ومن خلال كلمات العترة، نحن دائماً معكم في أجواء الكتاب والعترة، إذا خرج الإنسان عن أجواء الكتاب والعترة فإنه سيدخل في أجواء الضلالة والجهل والحيرة، الهدى والعلم والحقيقة والمعرفة والنور هو في أجواء الكتاب والعترة.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، الدُّعَاةُ جمعٌ لداعٍ أو داعية، الداعية أو الداعي إنما وُصِفَ بهذا الوصف لأنه قد تلبَّسَ بفعل الدعوة، ونحن مرّ علينا في المقاطع المتقدمة ونحن نُسَلِّمُ عليهم صلوات الله عليهم والمثّل الأعلى، السَّلَامُ على أئمة الهدى ومصايح الدجى، في المقطع الثاني: والمثّل الأعلى والدُّعَاةُ الحُسنى، فهم الدعوة الحُسنى وهم الدُّعَاةُ إلى الله، تقدّم الكلام في معنى الدعوة الحُسنى، فهناك الحديث عن مظهرٍ من مظاهريهم ومظاهريهم لا تُعدُّ ولا تُحصى ﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ﴿نِعْمَةُ اللَّهِ الْحَقِيقِيَّةُ هُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، النِعْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ﴾ ﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ما المراد من عدم إحصائها؟

من عدم إحصاء مظاهريها، والدُّعَاةُ الحُسنى، هم الدعوة الحُسنى هذا مظهرٌ من مظاهريهم - **السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ** - هذا مظهرٌ آخر من مظاهريهم صلوات الله وسلامه عليهم، قلتُ الدُّعَاةُ جمعٌ لداعية والداعية هو الذي يدعو الآخرين إلى شيء، قد تكون الدعوة بالكلام وباللفظ وقد تكون الدعوة بالفعل، كما قال إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يبين هذه الحقيقة لشيئته: **كونوا لنا دُعَاةً صامتين،** الدعوة الصامتة هي الدعوة بالفعل والدعوة بالحال، حينما تكون أفعالُ الداعية وأحوالُ الداعية تدفع الآخرين للوصول إلى شيءٍ ما إلى هدفٍ ما فتلك هي الدعوة الفعلية، أما الدعوة القولية فواضحة، الدعوة

أو الدُّعاءُ في بعض الأحيان كما يقعُ في كلام العرب وكذا في روايات وأحاديث العترة الطاهرة، الدعاء والدعوة في بعض الأحيان يكونان بمعنى واحد، والدعاء والدعوة لفظٌ قولٌ أو فعلٌ يصدرُ من الداعي أو من الداعية لأجل أن يجلب أو أن يرغب أو أن يدفع الآخرين باتجاهٍ مُعيَّن، هذا هو المعنى الإجمالي للمعنى الداعية أو الداعي ومنهُ نعرفُ معنى الدَّعوة ومعنى الدُّعاة إلى الله في الأفق اللغوي - السَّلَامُ عَلَى الدُّعاةِ إِلَى اللَّهِ - هُنَا وَنَحْنُ بُجَدُّ العَهْدِ وَبُجَدُّ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أئِمَّتِنَا فَنَصِفُهُمْ بِهَذَا الوَصْفِ أَنَّهُمْ دُعَاءٌ إِلَى اللَّهِ، هل يقتصر المعنى على الدعوة اللفظية أو على الدعوة الفعلية وهم يدعونَ الناس في عالم الأرض وعلى الأرض إلى التَّمَسُّكِ بدينِ الله؟

هذا هو مصداقٌ من مصاديق دعوتهم إلى الله، دعوة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ إِلَى اللَّهِ دعوةٌ لا تقتصرُ على دعوة الناس من بني آدم على الأرضِ إِلَى التَّمَسُّكِ بدينِ الله، سواءً كانت هذه الدعوة قولية أو فعلية، النبي صلى الله عليه وآله إِنَّمَا أُرْسِلَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، يعني أن دعوته لكل العالمين، وستكون دعوته تتناسبُ مع كلِّ عالمٍ بحسب ذلك العالم، دُعَاءٌ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ الْعَالَمِينَ، في كلِّ الطبقات، كونهم دُعَاءٌ إِلَى اللَّهِ لا ينحصر المعنى في هذا الحد المحدود وفي هذا الحد الضيق من دعوة بني آدم إلى دين الله وإلى عبادة الله وإلى توحيد الله، هذا ضَرَبٌ من ضروب الدعوة إلى الله، وهذا مصداقٌ من مصاديق الدعوة إلى الله بالنسبة إليهم، قد ينحصرُ هذا الأمر بالنسبة لغيرهم من الأنبياء والأولياء من عباد الله الصالحين، أما بالنسبة لهم فالقضية أوسع وأكبر وأعمق، الدعوة على الأرض هذه الدعوة البشرية هي مصداقٌ ضيقٌ بالقياس إلى المصاديق الأوسع.

الأئمة صلوات الله عليهم وحين أقول الأئمة فإمامُ الأئمة مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حين أتحدَّثُ عن الإمامة، وحتى الزهراء، الزَّهْرَاءُ حُجَّةٌ عَلَى الْحُجَجِ وَإِمَامٌ عَلَى الْأئِمَّةِ، حين يُقالُ بَأَنَّ الزَّهْرَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا لَيْسَتْ إِمَامًا الْحَدِيثُ هُنَا عَنِ الْإِمَامَةِ السِّيَاسِيَّةِ، عن حكومة الناس، فَإِنَّ الزَّهْرَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا مَا كَانَتْ وَلَا تَكُونُ إِمَامًا بِحَسَبِ النِّظَامِ الَّذِي وَضَعَهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فجعل الإمامة السياسية في عليٍّ وولده المعصومين، أما الإمامة بمعناها الأوسع الحُجِّيَّةُ الإلهية المُطلقة فَإِنَّ الزَّهْرَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا هِيَ إِمَامُ الْأئِمَّةِ هِيَ حُجَّةٌ عَلَى الْحُجَجِ، حينما يُقالُ بَأَنَّ الزَّهْرَاءَ لَا تُعَدُّ فِي الْأئِمَّةِ الْحَدِيثُ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ الدِّيْنِيَّ الْمَحْدُودِ، هذا المنصب الذي سُلِبَ مِنَ الْأئِمَّةِ فِي ظَرْفٍ مِنَ الظُّرُوفِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَنْصَبًا ذَاتِيًّا، مَنْصَبُ الْإِمَامَةِ الَّذِي هُوَ مَنْصَبٌ قَائِمٌ وَوَاقِعٌ وَحَاصِلٌ لِلزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا، حين أتحدَّثُ عن الدعوة إلى الله وعن دعوة الأئمة فإنه على رأس قائمة الأئمة إمامُ الأئمة وسيدُ الأئمة في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود خاتمُ الأنبياء، سيدُ الأوصياء، الزهراءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعاةِ إِلَى اللَّهِ، دعوتهم تتجلى في كُلِّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، والمعاني واضحة، حينما

سَبَّحُوا وَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَهَلَّلُوا وَهَلَّلَتِ الْمَلَائِكَةُ وَيَأْتِينَا الْحَدِيثُ، قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ بَأَنَّ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ الَّتِي تَلَوْتَهَا عَلَيَّ مَسَامِعَكُمْ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقْطَعِ الرَّابِعِ كُلُّهَا مُتَعَانِقَةٌ، كُلُّهَا مُتَرَابِطَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا وَسَتَتَضَحُّ الصُّورَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ فِي بَيَانِ مَضَامِينِ وَفَحَاوِي هَذِهِ الْعَنَاوِينَ، دَعْوَتُهُمْ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ وَدَعْوَتُهُمْ فِي عَالَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ، فِي عَالَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ أَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ، فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ مَا مِنْ نَبِيٍّ نُبِيَ إِلَّا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَبِوَلَايَةِ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ، وَفِي الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ حَقِيقَةُ النَّبَوَاتِ كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ: كُنْتُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ بَاطِنًا وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظَاهِرًا - وَهَذَا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ - كُنْتُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ سِرًّا وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَنًا - وَحِينَ يَقُولُ كُنْتُ فَهُوَ لَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْبُعْدِ الشَّخْصِيِّ فِي ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، عَلِيُّ هُوَ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ هُوَ عَلِيُّ، وَمُحَمَّدٌ هُوَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ وَالْإِمَامُ الصَّادِقُ هُوَ مُحَمَّدٌ، هُمْ نُورٌ وَاحِدٌ وَطِينَةٌ وَاحِدَةٌ وَحَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ، مَا كَانَ لِأَوْلِهِمْ كَانَ لِآخِرِهِمْ، أَوْلَهُمْ مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطَهُمْ مُحَمَّدٌ وَآخِرَهُمْ مُحَمَّدٌ بَلْ كُلُّهُمْ مُحَمَّدٌ، مَا كَانَ لِأَوْلِهِمْ فَهُوَ لِآخِرِهِمْ وَمَا كَانَ لِآخِرِهِمْ فَهُوَ لِأَوْلِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

حِينَمَا نَتَصَفَّحُ كِتَابَ اللَّهِ وَنَقْرُأُ آيَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، عَلَيَّ سَبِيلَ الْمَثَالِ: مَا جَاءَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ، فِي الْآيَةِ الثَّامِنَةِ بَعْدَ الْمِئَةِ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ وَالْكَلامُ هُنَا بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. الرَّوَايَةُ يَذْكُرُهَا السَّيِّدُ هَاشِمُ الْبَحْرَانِيُّ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ الْبِرْهَانَ يَنْقُلُهَا عَنِ الشَّيْخِ الْكَلِينِيِّ عَنِ الْكَافِي الشَّرِيفِ، بِسَنَدِهِ: عَنِ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قَالَ: ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِمَا - وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الصَّرَاحُ الْمَعْنَى الْوَاضِحُ، الْمَعْنَى الْجَلِي الَّذِي بَيْنَهُ لَنَا إِمَامَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ فِي دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ هُنَاكَ سَبِيلُ اللَّهِ وَهُوَ سَبِيلُ مُحَمَّدٍ {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي} وَسَبِيلُ اللَّهِ فِي رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ سَبِيلُ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ إِمَامَنَا الْبَاقِرُ يَقُولُ: ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِمَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَفِي نَفْسِ تَفْسِيرِ الْبِرْهَانَ الرَّوَايَةُ يَنْقُلُهَا السَّيِّدُ هَاشِمُ الْبَحْرَانِيُّ عَنِ تَفْسِيرِ شَيْخِنَا الْعِيَاشِيِّ، عَنِ إِسْمَاعِيلِ

الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾
قال: فقال: علي بن أبي طالب خاصة - هنا مقصود الإمام خاصة أنها لا تُطلق على أي أحد من الأمة
دون علي وآل علي - فقال: علي بن أبي طالب خاصة - الإمام الباقر هنا كأنه يُقسم بهذا القسم كأنه
يؤكد هذا المعنى بقولته: وإلا فلا أصابني شفاعته مُحَمَّد - يعني إن لم تكن هذه الآية في علي خاصة فلا
أصابني شفاعته مُحَمَّد - قال أبو جعفر: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قال:
فقال: علي بن أبي طالب خاصة وإلا فلا أصابني شفاعته مُحَمَّد - والآيات والروايات تتعاقب في هذا
المضمون بشكل واضح أن الدعاة إلى الله بالمعنى الحقيقي في هذا الزمان وفي كل زمان، في هذا المكان وفي
كل مكان، في هذا العالم وفي كل العوالم هم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد وإلا كيف أرسل رحمة للعالمين، أرسل رحمة
للعالمين من دون قيد زمني ومن دون قيد مكاني، أيها المؤمنون تدبروا في هذا الوصف إنمّا أرسلناك وبعثناك،
الله سبحانه وتعالى يخاطبه رحمة للعالمين، العلة في الإرسال والهدف في الإرسال هو هذا: أرسل رحمة للعالمين
لا في زمان محدود ولا في مكان محدود ولا في عالم محدود، هم دعاة إلى الله في كل طبقة من طبقات هذا
الوجود، وما وجودهم في الأرض إلا يُمثل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله، وإلا رواياتهم تُحدثنا عن وجودهم
قبل الخلق، وعن وجودهم في كل مرحلة من مراحل الخلق، وعن وجودهم في عالم الأنوار وفي عالم العرش
وفي عالم الكرسي وهكذا في كل سماء وفي كل طبقة من طبقات هذا الخلق، وما العالم الأرضي إلا هو أسفل
هذه العوالم، ما عالم الطبيعة إلا هو أقل العوالم رتبةً ومرتبته ودرجةً، فكما تواجدوا في هذه الطبقة من
طبقات الخلق تواجدوا في الطبقات الأخرى، وتلك هي المعاني التي أشارت إليها رواياتهم وأحاديثهم وكذلك
حدثتنا الزيارة الجامعة الكبيرة عن ذلك - السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ.

حين نقرأ في كتاب الله سبحانه وتعالى في سورة طه مثلاً ونحن نتدبر في الآيات وهي تُحدثنا عن قصة النبي
موسى عليه السلام ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * لَمَّا أَتَى إِلَى جِهَةِ النَّارِ * نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي
أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ: والنداء دعوة ودعاء،
هذه دعوة موسى إلى أي شيء؟ إلى عالم النبوة، إلى عالم الوحي، إلى عالم الرسالة، والروايات عن أهل
البيت، الرواية عن أمير المؤمنين بأن الذي كَلَّمَ موسى في الشجرة ذلك النور هو نور إمام زماننا الحجة بن
الحسن، الرواية عن أمير المؤمنين واضحة في هذا المعنى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ

إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٠﴾ إلى آخر الآيات الكريمة، هذه النار والشجرة نحنُ نعتقد بأن الله سبحانه وتعالى مُتَكَلِّمٌ، والكلام من صفاته سبحانه وتعالى، لكنه لا يتكلم بجراحةٍ من الجوارح كما نتكلم نحنُ، إنما هو يخلق الكلام، يخلقه في الهواء، في النار، في الشجرة، في أي شيء يريد أن يخلق كلامه فيصدر ذلك الكلام من خلال الجهة التي جعلها تتكلم بكلامه، وفي أحاديث المعراج إنَّ الله سبحانه وتعالى كَلَّمَ نبيه الخاتم حينما وصل إلى بساط النور كَلَّمَ نبيه الخاتم بصوتٍ عليّ صلوات الله وسلامه عليه، فكما كَلَّمَ نبيه في عالم المعراج وفي عالم النور بصوتٍ عليّ فَإِنَّهُ قد كَلَّمَ موسى عليه السلام بصوتٍ صاحب الأمر إمام زماننا كما قال سيد الأوصياء في بعض خُطَبِهِ، لأنَّ الذي كَلَّمَ موسى هو الحُجَّةُ بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، فهم دُعاةٌ في كل مرحلةٍ من مراحل هذا الوجود، دعوة النبي موسى إلى الله سبحانه وتعالى إلى عالم النبوة والوحي كانت من طريقهم صلوات الله عليهم.

قد يستغرب البعض هذا المعنى ولكن تلك هي معارف أهل البيت وتلك هي أحاديثهم والناس أحرارٌ فيما يعتقدون والعقول متباينة والمعارف مختلفة ومدارج العلم كثيرة، نحن حينما نؤمن بهذه المعاني ونُصَدِّقُ بهذه الحقائق لا على سبيل الجزئية في خبرٍ واحدٍ أو في جملةٍ واحدة، القضية ليست بهذه السذاجة، إنما هو الفهم المتسع في كتاب الله، والفهم المتسع لأحاديث أهل البيت ولنصوصهم، وما نجدُه من التعانق الواضح والترابط الأكيد، وما نجدُه من رصٍّ ورصفٍ بين مفاهيم الكتاب الكريم في كل أفاقه ومطالعِه ومجاريه، أهل البيت عَلَّمُونَا بأن القرآن له مطالع وله مجاري، وبأن الآيات تبدو في جهاتٍ منها بعضُ المعاني وفي جهاتٍ أخرى تبدو كُُلُّ المعاني، هناك مطالع ومجاري وبدايات ونهايات، وهناك ظواهرٌ وبواطن، وهناك معارضٌ الكلام، كُُلُّ هذا في كتاب الله وفي كلمات أهل البيت، هناك الظواهرُ والبواطن والتي لا نهاية لها، وهناك المعارضُ والتي لا نهاية لها، وهناك المطالعُ والمجاري وكُُلُّ ذلك يجري في طبقاتٍ من الفهم ما بين العبارة التي هي للعوام كما يقول الصادق عليه السلام والإشارة التي هي للخواص واللطائف والتي هي للأولياء والحقائق والتي هي للأنبياء، كُُلُّ هذه التفاريع تجري في عالم العبارة كما تجري في العوالم الأخرى، ونحن إنما نتشبتُ بشيءٍ من شراشرِ الإشاراتِ في كلماتهم صلوات الله عليهم.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، أخذت قصة النبي موسى مصداقاً وإلّا لو تتبعنا قصص الأنبياء الذين ذُكِرُوا في القرآن أو الذين لم يُذكَرُوا في القرآن، ذكرتهم بعض الروايات أو حتى الذين لم يصل ذكرهم إلينا لا من خلال القرآن ولا من خلال الأحاديث، فالأنبياءُ كُثُرٌ، لكننا نعتقد بحسب بيانات النبي الأعظم بأنه ما من نبيٍّ إلا وقد بُعِثَ في أصل نبوته وفي حقيقة نبوته بنبوة نبينا وبولاية عليٍّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين، فهنا هذا النداء الذي سمعهُ موسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام هو مصداقٌ من مصاديق الدعوة للأنبياء، هُم دُعاةٌ إلى الله وهذا المعنى هو غير المعنى الذي أشار إليه سيد الأوصياء كُنْتُ مع الأنبياء باطناً، فتلك دعوةٌ بمعنى أعمق من هذا المعنى الذي أشرتُ إليه من خلال التدبر في آيات سورة طه التي تحدّثت عن قصة موسى عليه السلام، دعوتهم في كل أفقٍ من الأفاق وفي كل طبقةٍ من الطبقات، وسيتضح المعنى بنحوٍ أجلى وبنحوٍ أكثر حينما نستمرُّ في بيان مضامين العناوين الأخرى، كما قلتُ في أول حديثي هناك تعانق وتعاضد وتزواج بين هذه العناوين التي ذكرتها في هذا المقطع وحتى العناوين التي مرت في المقاطع السابقة هي متعانقة فيما بينها.

عبارتنا شتى وحُسْنُكَ واحدٌ وكلُّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرَضَاتِهِ اللَّهِ، هناك دعوةٌ إلى الله وهناك دلالةٌ على مرضاة الله، في بحار الأنوار لشيخنا المجلسي وهذا هو الجزء الثالث والعشرون والرواية منقولةٌ عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه، يقول: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - هذا هو الجزء الثالث والعشرون صفحة: 313، عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه - إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ أَمِينَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أُمْنَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا وَالْمَنَائِي وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ وَمَوْلُدُ الْإِسْلَامِ - مولدُ الإسلام يعني من وُلِدَ على فطرة الإسلام، الولادة الحقيقية وليست الولادة التاريخية - كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أُمْنَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، عِنْدَنَا عِلْمُ الْبَلَايَا وَالْمَنَائِي وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ وَمَوْلُدُ الْإِسْلَامِ وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَبِحَقِيقَةِ النِّفَاقِ - وهذا هو الذي يُمَيِّزُ دَعْوَتَهُمُ الْبَشَرِيَّةَ عَنِ دَعْوَةِ غَيْرِهِمْ.

موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلاً فلمَّا بلغوا إلى الميقات قالوا: أرنا الله جهرَةً وكان الذي كان والقصة فيها تفصيل، فإنَّ موسى اختار من قومه من خيار قومه بحسب ما عنده من علم فاختار من خيار قومه، اختار الخيرة للذهابِ إلى ميقات الله فكان الذي كان من هؤلاء الخيرة الذين اختارهم موسى بحسب علمه - وَإِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَبِحَقِيقَةِ النِّفَاقِ وَإِنَّ شِيعَتَنَا لَمَكْتُوبُونَ مَعْرُوفُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ يَرِدُونَ مَوَارِدَنَا وَيَدْخُلُونَ مَدَاخِلَنَا لَيْسَ عَلَى مَلَةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ غَيْرُنَا وَغَيْرِهِمْ، إِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذُونَ بِحُجْزَةِ نَبِينَا وَنَبِينَا آخِذٌ بِحُجْزَةِ رَبِّهِ وَإِنَّ الْحُجْزَةَ النُّورَ - الْحُجْزَةُ هِيَ النُّورُ - إِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يتحدّث عن المعصومين - آخِذُونَ بِحُجْزَةِ نَبِينَا وَنَبِينَا آخِذٌ بِحُجْزَةِ رَبِّهِ وَإِنَّ الْحُجْزَةَ النُّورَ وَشِيعَتَنَا آخِذُونَ بِحُجْزَتِنَا مِنْ فَارِقِنَا هَلْكَ وَمَنْ تَبِعْنَا نَجَا وَالْجَاهِدُ لَوْلَايَتِنَا كَافِرٌ وَمُتَّبِعُنَا وَتَابِعُ أَوْلِيَائِنَا مُؤْمِنٌ لَا يُحِبُّنَا كَافِرٌ وَلَا يُبْغِضُنَا مُؤْمِنٌ، مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُحِبُّنَا

كان حقاً على الله أن يبعثه معنا، نحن نورٌ لمن تبعنا - هذا هو معنى دعوتهم إلى الله، هم نورٌ، هم دُعاةٌ إلى الله لا بالمعنى الذي يمكن أن ينطبق عَلَيَّ وعلى أمثالي، نحن حين ندعو الناس إلى الله وحين ندعو الناس إلى أهل البيت إنما نستعمل الألفاظ والكلمات، لا نستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك، أما هم في دعوتهم الناس فالناس على طبقات، هم نورٌ لشيعتهم، نورٌ لأوليائهم، دعوتهم تتخذُ معانٍ أعمق كدعوتهم لموسى، كدعوتهم لكل الأنبياء - نحن نورٌ لمن تبعنا ونورٌ لمن اقتدى بنا، من رَغِبَ عَنَّا فليس مِنَّا ومن لم يكن معنا فليس من الإسلام في شيء - قانونٌ واضح - نحن نورٌ لمن تبعنا ونورٌ لمن اقتدى بنا، من رَغِبَ عَنَّا ليس مِنَّا ومن لم يكن معنا فليس من الإسلام في شيء بنا فَتَحَ اللهُ الدينَ وبنا يَحْتَمُهُ وبنا أطعمكم اللهُ عُشْبَ الأَرْضِ وبنا أنزلَ اللهُ عليكم قطرَ السماءِ وبنا ... وبنا ... وبنا ... - الرواية طويلةٌ ومُفَصَّلَةٌ، خلاصةُ القول وزبدةُ المخضِ إنهم دُعاةٌ إلى الله في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، وإنهم دُعاةٌ للبشرِ ولبني آدم ابتداءً من الأنبياء وإلى سائر الناس، ودعوتهم لشيعتهم أنهم نورٌ وكلُّ ذلك يُمكنني أن أشير إليه إلى ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: كلامكم نور.

كلامكم نور هو الدعوة النورية النافذة إلى القلوب والداخلة والوالجة في القلوب والبصائر والعقول، وتلك هي دعوة الحق، دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى - السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ - ثُمَّ تقول الزيارة الشريفة: **وَالْأَدْلَاءُ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ** - الأدلاء هم دُعاةٌ ولكن بنحوٍ أخص، الأدلاء جمعٌ للدليل والدليل هو الذي يدعو إلى جهةٍ من الجهات لكنه يحمل البراهين الواضحة الساطعة، هذا لا يعني أن الدُعاة إلى الله لا يحملون البراهين ولكنها مظاهرٌ لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مرَّ علينا في المقطع الثاني والدُّعوة الحسنى، وهذا المقطع الرابع الدُعاة إلى الله، وهم أيضاً الأدلاء على مرضاة الله، الأدلاء على مرضاة الله مرضاته سبحانه وتعالى هي مرضاتهم، هم يدلون الخلق على مرضاتهم، إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة وإنَّه ليغضب لغضبها، مرضاته مرضاتهم ونحن سنقرأ وستأتينا العبائر في الزيارة الجامعة الكبيرة - **مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللهُ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللهُ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللهُ** - وتلك هي مرضاة الله سبحانه وتعالى، مرضاة الله مرضاتهم - **السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ** - الأدلاء على مرضاة الله أي الذين يُرشدون هذا الخلق إلى معرفة مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، لأنَّ العنوان الأول عنوان أعم، صورة عامة - **السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ** - ومرضاة الله مرضاتهم وهم أدلاء، أدلاء بالحجج وبالبيّنات وبالبراهين، فمن تَمَسَّكَ بهذه الدلالة ومن تَمَسَّكَ بهذا النور بهذا البرهان فإنَّه سيرسو على شاطئ الأمان، سيرسو على شاطئ مرضاة الله سبحانه وتعالى.

في الكتاب الكريم حين نذهب، على سبيل المثال إلى سورة الرحمن، في الآية السابعة والعشرين وما بعدها

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ الحديث عن يوم القيامة ومرضاة الله تتجلى بالمعنى الأوسع في يوم القيامة ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾ في يوم القيامة الآية تقول ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾ غريبٌ هو الأمر، نحنُ نعلمُ بأنَّ يومَ القيامة هو يوم السؤال عن كل صغيرة وكبيرة، ولذلك يقول الإنسان ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، لأنه سيُسأل عن كُلِّ صغيرة وكبيرة، ففهومهم إنهم مسئولون، مسئولون عن الأمور الكبيرة وعن الأمور الصغيرة، كيف تقول الآية: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة، الآيات السابقة تتحدث عن يوم القيامة ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾ هل تتناقض هذه الآية وتتعارض مع الآيات الأخرى التي تُحدِّثنا من أن الإنسان يُسأل عن كل صغيرة وكبيرة، عقيدتنا في يوم القيامة هي هذه: يُسأل الإنسان عن كل شيء، عن عمره، عن ماله، عن دينه، عن عقيدته، عن حسناته، عن سيئاته، عن كل شيء، إذاً كيف تقول الآية هنا: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾ هل هناك عفوٌ عام عن كل الإنس وعن كل الجان؟

إمامنا الرضا يقول، هذه الآية خاصةٌ بكم بشيعة أهل البيت، يقول: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾ منكم، فيومئذٍ لا يُسأل منكم عن ذنبه إنسٌ ولا جان - لأي شيء؟ لأن أشياعهم تمسكوا بهذه الدلالة: وَالْأَدْلَاءُ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ - لَمَّا تَمَسَّكُوا بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ سَاقَتَهُمْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، فحينما وصلوا إلى مرضاة الله فهناك الرحمة والعفو والشفاعة والكرامة والفور والسعادة، فيومئذٍ لا يُسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جان، وإلاّ أليس يوم القيامة هو يوم السؤال عن كل صغيرة وكبيرة؟! القضية منطقية وواضحة، وهناك رواية مفصلة عن الإمام الرضا في هذا المضمون يمكنكم أن تراجعوها في تفسير البرهان وفي غيره من تفاسير أهل البيت من كتب الحديث التي نقلت تفسير أهل البيت، حين أقول تفاسير أهل البيت أعني الكتب التي روت روايات أهل البيت في تفسير القرآن، ربما تراجعون تفاسير العلماء، فإنَّ تفاسير العلماء لا تذكر كلَّ ما جاء عن أهل البيت، نحن عندنا تفاسير لعلماء الشيعة وعندنا تفاسيرٌ لأهل البيت، تفاسير علماء الشيعة لا تذكر كلَّ روايات أهل البيت في التفسير، أما تفاسير أهل البيت التي جمعها المُحدِّثون

وحاولوا أن يجمعوا فيها أكبر قَدْرٍ ممكن من الروايات والأحاديث التي تُفسَّرُ كلام أهل البيت بحديث أهل البيت، تفسير علي بن إبراهيم القمي رضوان الله تعالى عليه، تفسير العياشي، تفسير فرات بن إبراهيم، نور الثقلين للمُحدِّث الحويزي، البرهان للسيد هاشم البحراني، وتفسير أخرى جمعها المُحدِّثون من علمائنا رضوان الله تعالى عليهم، جمعوا فيها حديث أهل البيت ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وقفة قصيرة للتدبر في هذه الآية نجد بأن الآية تتحدث عن عدم سؤال للإنس وللجان فهل يُعقل هذا؟! إنما يُعقل حينما نفهما في ضوء تفسير أهل البيت حين يقول إمامنا الرضا ذلك منكم أنتم يا شيعة، أنتم الذين سوف لن تُسألوا في يوم القيامة، والسبب أنهم تمسكوا بهذه الدلالة - السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ - بهذه الدعوة وبهذه الدلالة يصلُّ العباد إلى أي شيء؟ يصلُّ العباد إلى معنى التوحيد وإلى معنى العبادة وإلى معنى الطاعة وإلى معنى القبول عند الله سبحانه وتعالى.

شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، الرواية يذكرها بسنده: عن علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى، عن إمامنا الكاظم، قال: قال أبو عبد الله صلوات الله عليه: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صَوْرَنَا وَجَعَلَنَا خُزَّانَةً فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ وَلَنَا نَطَقَتِ الشَّجَرَةُ - تلك هي شجرة موسى في مصداقٍ من مصداق الشجرة، هذه الشجرة الإشارة هنا إلى شجرة موسى، والإشارة هنا إلى تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، والحديث هنا أيضاً عن الشجرة الزيتونة المباركة التي هي لا شرقية ولا غربية، والحديث هنا عن الشجرة الأصل أنا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من شجرٍ شتى، الحديث هنا عن شجرة الحياة، الحديث هنا عن شجرة الوجود، الحديث هنا عن شجرة طوبى، الحديث هنا عن سدرة المنتهى، الحديث هنا عن شجرة الفيض، وشجرة وشجرة وشجرة، كُلُّ تلك الأشجار نطقت لهم وبهم صلوات الله عليهم - ولنا نطقت الشجرة وعبادتنا عُبدَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْلَانَا مَا عُبدَ اللَّهُ - لا في هذه الطبقات التي في عالم الطبيعة ولا في الطبقات التي في عالم الشهادة ولا في الطبقات التي في عالم الغيب ولا في الطبقات التي في عالم النور، في كل طبقات الوجود من أوله إلى آخره - وعبادتنا عُبدَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْلَانَا مَا عُبدَ اللَّهُ - والروايات كثيرة في هذا المضمون عن أهل بيت العصمة.

رواية يرويها شيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه وهذا هو الجزء السادس والعشرون، الرواية مفصلة وطويلة بعض الشيء إلا أنها من الضروري أن تُذكر في هذا المقام وفي بيان هذه المضامين - السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ - الرواية: عن إمامنا الرضا عن آباءه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم جميعاً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله عَزَّ وَجَلَّ خلقاً

أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال عليُّ عليه السلام: فقلتُ: يا رسول الله فأنتَ أفضلُ أو جبرئيلُ؟ فقال عليه السلام: يا عليُّ إنَّ اللهَ تبارك وتعالى فَضَّلَ أنبياءَهُ المرسلينَ - لا حاجةَ لأنَّ أُبين ما هي الحكمة من سؤال أمير المؤمنين، وهل أنه يعلمُ بهذا الأمر الذي سأل عنه أو لا، هذه قضية واضحة، الذي يفهم أهل البيت وفقاً لهذه المعاني العميقة التي مرَّ ذكرها في المقاطع السابقة من الزيارة الجامعة الكبيرة وفيما نحنُ الآن فيه بين أيدينا لا يحتاج إلى أن أُبرِّر له مثل هذه المعاني، فلكلام أهل البيت معارضٍ وجهات ومقاصد - يا عليُّ إنَّ اللهَ تبارك وتعالى فَضَّلَ أنبياءَهُ المرسلينَ على ملائكتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَفَضَّلَنِي على جميع النبيين والمرسلين والفضلُ بعدي لك يا عليُّ وللأئمة من بعدك وإنَّ الملائكةَ لُخَدَّائِنَا وَخُدَّائِمُ مُحَبِّبِنَا، يا عليُّ الذين يحملون العرش ومن حوله يُسَبِّحُونَ بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا عليُّ لولا نحنُ ما خُلِقَ آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكونُ أفضلَ من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربِّنا وتسميته وتَهليلِهِ وتقديسه لأنَّ أول ما خلق اللهُ عزَّ وجلَّ خلقَ أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ثمَّ خلقَ الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبَّحنا - لأي شيء؟ - لتعلم الملائكة أنَّنا خلقُ مخلوقون وأنَّه مُنَزَّهٌ عن صفاتنا فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا - هذه دعوة إلى الله، وهذه دلالة إلى مرضاة الله في كل طبقات الوجود - فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عِظَمَ شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنِّي عبيدٌ ولسنا بالهةٍ يجب أن نُعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله فلما شاهدوا كِبَرَ محلِّنا كَبَّرنا لتعلم الملائكة أنَّ الله أكبرُ من أن يُنال عِظَمَ المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزِّ والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم اللهُ به علينا وأوجبه لنا من فرضِ الطاعة قلنا الحمدُ لله لتعلم الملائكة ما يحقُّ لله تعالى ذكره علينا من الحمدِ على نِعَمِهِ، فقالت الملائكة: الحمدُ لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسميته وتَهليلِهِ وتحميده وتمجيده - الرواية طويلة مفصلة قد يطول الوقت بذكرها وبقرائها بكل هذه التفاصيل، الرواية موجودة في صفحة: 336، 337 من الجزء السادس والعشرين من أجزاء بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه، إلى آخر الرواية.

الله سبحانه وتعالى يُحَدِّثُ نبيه والنبي يقول: فنوديتُ يا مُحَمَّدُ هؤلاء أوليائي وأوصيائي وأصفيائي وحُججِي بعدك على بريتي - والرواية ذكرت فقالت: أولهم عليُّ بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي وهم أوصيائك وخلفائك وخيرُ خلقي بعدك وعزتي وجلالي لأظهرنَّ بهم ديني ولأعلننَّ بهم كلمتي ولأظهرنَّ الأرضَ بآخريهم من أعدائي ولأمكننَّ مشارق الأرض ومغاربها ولأسخرنَّ له الرياح ولأدللنَّ له

السحاب الصعاب ولأرقينته في الأسباب ولأنصرتنه بجندي ولأمدننه بملائكتي حتى تعلقو دعوتي - فهم هم الدعاء إلى الله، وإنما تعلقو دعوة الله بهم - حتى تعلقو دعوتي ويجمع الخلق على توحيدني ثم لأديمئن ملكه ولأوداولن الأيام بين أوليائه إلى يوم القيامة - أنا اقتصرت على قسم من الرواية، الرواية فيها تفصيل ولكن مضمونها بالجملة يتحدث عن معنى دعوة أهل البيت إلى الله، وعن معنى دلالتهم إلى وعلى مرضات الله، ولذا نحن نخاطبهم في الزيارة الشريفة في الزيارة الجامعة الكبيرة: **السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرَضَاتِهِ اللَّهِ**، وتلاحظون التعانق والترابط بين المعاني وهكذا بين العناوين الأخرى.

وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، هناك في بعض النسخ والمستوفزين ولكن في النسخ الأصلية للزيارة الشريفة وفي المصادر القديمة - **وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ** - أنا أشرت إلى هذا لأنه الشيخ عباس القمي في بعض الأحيان يذكر ما جاء في نسخ أخرى، وهنا في النسخة التي بين يدي ذكر فوق والمستقرين والمستوفزين، والمستوفزين يعني السابقين، المستعجلين، وعجلت إليك ربي لترضى ﴿ مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ المستوفزون هم المسارعون، ولكن في النسخ القديمة والنسخ الثابتة عندنا - **وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ** - هم مستقرون في أمر الله، والاستقرار هو الثبات.

نحن حين نسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنخاطبه: **السَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ** - الحديث هنا ليس عن البعد الأخلاقي، نعم هناك وجه في هذا الكلام، الحديث عن الحالة الأخلاقية أو النفسية من وقارٍ وسكينة، **السَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ**: **السَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ الذَّاتِ الْمُسْتَقْرَةِ**، أين مستقرة؟ مستقرة في أمر الله - **وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ** - الاستقرار في أمر الله، ما هو أمر الله؟ أمر الله هو شأن الله، أما ما هو شأن الله؟ فذلك شيء نحن لا نعرف حقيقته، شأن الله متعلقٌ بالله سبحانه وتعالى، وكلُّ الوجود إنما هو صورةٌ، مظهرٌ من شأن الله من أمر الله سبحانه وتعالى، فالأمر كله راجع إليه.

نحن حين نقرأ مثلاً في سورة هود وفي الآية الأخيرة من هذه السورة ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ والغيب هو الحقيقة الأعمق، هو ما وراء ما وراء الحقائق، ما يظهر لنا في عالم السماوات والأرض، ونحن ماذا نرى من عالم السماوات والأرض؟! ونحن ماذا نرى من عالم الأرض قبل أن نرى من عالم السماوات؟! عالم الأرض نحن لا نرى منه شيئاً ولا نعرف من ما ورائياته ومن غيبياته، وما نحن إلا نقطة في السماء الدنيا، وما السماء الدنيا إلا نقطة في بحرٍ إلى السماء الثانية وهكذا ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ** ﴾ كلُّ الأمر راجعٌ إليه، ألا له الخلق والأمر، عالم الخلق وعالم الأمر، كلُّ شيء راجعٌ إليه، وأمر الله هو شأن الله، وشأنه نحن لا نعرفه حقيقته، إنما حدّثنا الكتاب وحدّثنا العترة عن أمر الله سبحانه

وتعالى، جاءتنا ألفاظٌ نفهم معانيها بشيءٍ من دقائق لطائف الأوهام.

كما نقرأ في أدعية شهر رجب، من الأدعية التي يُستحبُّ قراءتها في مثل هذه الأيام، هناك مجموعة من الأدعية يُستحبُّ قراءتها يوماً في شهر رجب، منها هذا الدعاء: **يا مَنْ سما في العزِّ - والداعي هنا يناجي ربّه سبحانه وتعالى - يا مَنْ سما في العزِّ ففات نواظر الأبصار ودنا في اللطفِ فجاز هواجس الأفكار** - إلى أن يقول الدعاء: **يا من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمتِه خطائف أبصار الأنام - دقائق لطائف الأوهام، هناك أوهامٌ ومن دونها لطائف ومن دونها دقائق،**

نحن ما نعرفه فهو ما دون ذلك، وما دون ذلك، وما دون ذلك - **وَالْمُسْتَقْرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ﴿١٠﴾** وَلِلَّهِ غَيْبٌ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴿١١﴾ وهم مستقرون في أمره، وهو المعنى الذي يشيرُ إليه دعاء ليلة

المبعث ويوم المبعث، لذلك نحن قلنا بأن شهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان هو موسم المعرفة والولاء،

الأدعية ومضامين الأدعية كُلُّها تذهب في هذا الاتجاه، في دعاء المبعث في ليلة المبعث: **وباسمك الأعظم**

الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتُه فاستقرَّ في ظلك - في ظله، ظلُّ الله هو أمرُ الله، هو شأنُ

الله - فاستقرَّ في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك - وَالْمُسْتَقْرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ - هذا هو الأسمُ الأعظم

- وباسمك الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتُه فاستقرَّ في ظلك فلا يخرجُ منك إلى

غيرك - خلقتُه هو مخلوق لكنه مستقرُّ في ظلك ولا يخرجُ منك إلى غيرك، هو نفس المعنى الذي جاء في

دعاءٍ ثانٍ من أدعية شهر رجب - لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك - من الأدعية التي

يُستحبُّ قراءتها في كل يوم في شهر رجب، الدعاءُ مروئي عن إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله عليه

- السَّلَامُ عَلَى الْمُسْتَقْرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ - المستقرون في أمر الله، وأمر الله هو الظاهر في كل شيء وإليه

يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ لأن أمره ظاهرٌ في كلِّ شيء ولأن أمره محيطٌ في كل شيء وهم مستقرون في أمر الله، لذلك

حين نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ - هذه مصاديق

وليست محصورة المعاني بهذه العبارات - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمَسِكُ

السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَبِكُمْ يُنَفِّسُ اللَّهُ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ -

لأنهم هم الذين وجهوا الدعوة إلى الرسل، لأنهم هم الذين دعوا الرسل والأنبياء كما مرَّ علينا قبل قليل -

وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ - إلى أن تقول الزيارة: وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ - وَذَلَّ كُلُّ

شَيْءٍ لَكُمْ لأي شيء؟ لأنهم مستقرون في أمر الله، وإليه يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِأَمْرِهِ وَهُمْ أَمْرُ

الله.

إلى هذا المعنى تُشير الرواية التي رواها شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه في الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف: بسنده: عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن أبي يعفور إنَّ الله واحدٌ متوحدٌ بالوحدانية متفردٌ بأمره - متفردٌ بأمره، وإليه يُرجعُ الأمرُ كُلُّه - إنَّ الله واحدٌ متوحدٌ بالوحدانية متفردٌ بأمره فخلق خلقاً - لأي شيء؟ - فخلق خلقاً لأمره فقدَّرهم لذلك الأمر فنحنُ هم يا ابن أبي يعفور - هم المستقرون في أمر الله، هذه الذوات التي لا تعرف الحركة، لأي شيء لا تعرف الحركة؟ لأنَّ المُتَحَرِّكَ يسعى إلى الكمال، أما هم ذواتٌ كاملة ولذلك بعد الاستقرار ماذا يقول إمامنا الهادي؟ - وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - حقائقٌ تامة ليست فيها زيادة ولا نقيصة لذلك حقائق غير متحركة حقائق ثابتة، أنا قلت هذه العبارات وهذه العناوين متعاقبة يشدُّ بعضها بعضاً.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ - كانت دعوتهم إلى الله ودلالتهم على مرضاة الله متفرعة على أي معنى؟ على معنى استقرارهم في أمر الله، ما تقوله الزيارة هنا قبل قليل وما قرأناه قبل قليل في الزيارة من أَنَّ بِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثُ وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءُ، الله سبحانه وتعالى بِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أن تقع على الأرض وهذه مصاديق، هم الواسطة، هذه الباء باء السببية باء الواسطة، بِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثَ، هم الواسطة، بِكُمْ ينزل الفيض، له أمرٌ متفردٌ بأمره فخلق خلقاً قدَّرهم على ذلك الأمر ونحنُ هم يا ابن أبي يعفور - السَّلَامُ عَلَى الْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ - السَّلَامُ على صاحب الوقار والسكينة، تلك الذات المستقرة الساكنة، ولذلك في الزيارة الجوادية: بِكُمْ سَكَنَتِ السَّوَاكِنُ وَتَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتُ، حينما نزور الإمام الرضا فنخاطبه ونخاطب الأئمة: بِكُمْ سَكَنَتِ السَّوَاكِنُ وَتَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتُ - المتحركات تحركت لتبلغ الكمال لتبلغ السكون، وقطعاً إنَّ الذي يمنح المتحركات الكمال لا بد أن يكون كاملاً - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَمَالِكَ بِأَكْمَلِهِ وَكُلُّ كَمَالِكَ كَامِلٌ - هناك أكمل الكمال، وهل يتعدى هذا المعنى أهل البيت؟! أكمل الكمال هم هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم المستقرون في أمر الله، وهذا الخلقُ مظاهرهم، هم مظاهر أسماء الله والخلقُ مظاهرهم، لذلك لو نتدبر في آيات الكتاب الكريم في سورة يوسف، الآية الثالثة بعد المئة وما بعدها ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴿ مَاذَا سَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَجْرٍ؟ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ ما سألتكم من أجر فهو لكم، مردة إليكم، رسول الله صلى الله عليه وآله ليس بحاجة إلى هذا الأجر، حاجته إلى هذا الأجر هي حاجة الناس إلى هذا الأجر، حاجته يريد أن يكمل الناس، يكمل الناس، أن يقود الناس إلى الهدى ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ

﴿أَجْرٌ﴾ الأجر هو الرسالة، مودّة الرسالة، مودّة آل الرسالة.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿ هذه الآيات في السماوات والأرض هم أهل البيت، نحن نقرأ في أدعية شهر رجب، وأعوذ وأذهب إلى أدعية شهر رجب، فشهر رجب شهر المعرفة شهر علي صلوات الله وسلامه عليه، فنحن نقرأ في أدعية شهر رجب: فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك - إلى أن يقول الدعاء: فيهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - هذا كلام الإمام الحجة وليس كلامي - فيهم - بمحمد وآله - ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت ﴿ وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا يمكن أن نفهم الكتاب من دون العترة، ولا يمكن أن نفهم العترة من دون الكتاب ﴿ وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾ فيهم ملأت سمائك وأرضك ﴿ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴿ الآية تأتي بعدها ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ قبل قليل تحدّثنا عنها في معنى الدعاة إلى الله ﴿ وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾ هذه الآية هم آية الله العظمى، ما لله من آية أعظم وأكبر من عليّ كما يقول، وهذا المعنى هو نفسه الذي نجدّه في سورة فصلت في الآية الثالثة والخمسين ﴿ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ هذه الآيات: فيهم ملأت سمائك وأرضك، سنريهم آياتنا، ولكنها لا تعنى الأبصار تعنى القلوب التي في الصدور، ماذا تصنع؟ للمؤمن عيون، عيون في رأسه وعيون في قلبه، عيون القلب إذا فتحت فإنها ترى هذه الحقائق ﴿ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ أي حقّ هذا؟ حتى يتبين لهم حقيقة محمد وآل محمد، فيهم ملأت سمائك وأرضك، وهو نفس المعنى الذي نقرأه في الزيارة الجامعة الكبيرة، ماذا نقول؟ - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - البداية والنهاية منكم وإليكم ﴿ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ - وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ - كما قالت الزيارة الجامعة الكبيرة.

لنرى آيات الكتاب الكريم في سورة النحل ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ نحن قلنا فيهم ملأت سمائك وأرضك ﴿ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ﴿ وَكَانَ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مرت علينا هذه

المضامين، هذه الآيات تُحدِّثنا عن زاوية عن جهة من جهات الأرض من جهات الخلق ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴿ هذه مصاديق مما هو في عالم الأرض في عالم الحياة، وهذه آيات من آيات السماء والأرض ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتًا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿فَبِهِمْ مَلَأَتْ سَمَاوَاتِكُمْ وَأَرْضَكُمْ حَتَّىٰ ظَهَرَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - هذه مصاديق ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ

الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ بعد أن عدّ هذه الأنواع من الجهات الموجودة، من النعم، من الصور، من المخلوقات ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ يعني لعلكم تدخلون في الإسلام، لعلكم تلبسون وتلبسون لباس الإسلام ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ الله سبحانه وتعالى جعل تمام النعمة وربط تمام النعمة بهذه المعاني أن جعل لكم من بيوتكم سكنًا ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ إلى آخر الكلام، بعد هذه المعاني قال: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ جعل تمام النعمة

بهذه المعاني وقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ هل المراد هذه المعاني بنفسها؟

نعم في وجه بسيط وساذج قد يكون هذا الكلام، في الوجه الأولي، في الوجه الظاهر من اللفظ، لكن لأن هذه تُشير إلى أصل النعمة، تمام النعمة في علي وآل علي، في الفيض الإلهي المتجلي في الحقيقة المحمّدية والعلوية، لذلك لو تستمر الآيات ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أليس هذه من الآيات التي يراها الناس في الأفاق؟ ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتًا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ ماذا يتبين؟ ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ حتى يتبين الحق ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ثم تقول الآية التي بعدها ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا﴾ والنعمة الحقيقية هم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ * وَيَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴿ هل يُبعث شهيد على هذه الأمم كي يسألهم عن الأوبار والأصواف؟! ﴿وَيَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ

يُسْتَعْبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَا لَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ *
هل هذه المعاني تتعلق بأصواف وأوبار وأشعار؟!!

أليس لأن هذه الصور للمخلوقات تُشيرُ إلى النعمة التامة * وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ * إيتاء ذي القربى من هم؟ * وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ * إلى آخر الآيات، هذا السياق الواضح في الآيات الكريمة والذي ارتبط بقضية تمام النعمة * كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ * والذي جاء في سياق الأوبار والأصواف والأشعار، إنما أشارت الآية إلى الأوبار والأصواف والأشعار والبيوت والأكنان والجبال وغير ذلك لأن هذه هي من مظاهر فيض الله، من مظاهر أمر الله وأمر الله راجع إليهم، هم المستقرون في أمر الله، بكم سكنت السواكن وتحركت المُتحركات هي هذه المُتحركات، هذه المُتحركات التي تحتاجُ إلى الكمال إلى البلوغ إلى السكون والسكينة، ولذلك إذا أردنا أن نتصفح آيات الكتاب الكريم فإنَّ تمام النعمة لا يتعلق بهذه الأشياء.

إذا نذهب إلى سورة المائدة مثلاً، في الآية الثالثة * الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا * هذه الآية تلاحظونها * وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا * وتلاحظون هذه الآية * كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * يعني تمام النعمة والإسلام معاً، بينما المعاني الموجودة في الآيات * جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * إلى آخر الكلام، هذه لأنها مظاهر، مظاهر لتلك النعمة التامة، وكلُّ شيء هو من مظاهر تلك النعمة التامة، هذا المعنى الذي أردت أن أشير إليه بأن آيات الكتاب وأحاديث أهل البيت كُلُّها تتحدث عن حقيقة واحدة، عن حقيقة مُطلقة، هذا لا يعني أن المعاني الأخرى

التي تظهر من الآيات هي ليست صحيحة، آيات الكتاب لها مطالع ومجاري كما علّمنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.

ولذلك حين نذهب إلى سورة الصف ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ والآية واضحة في إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، فإنّ أمر النبي ما ظهر ولم يظهر ولن يظهر إلا على يد إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

نفس التمامية في النور، ونفس التمامية في المعنى في سورة الفتح ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ والروايات واضحة، النبي ليس له ذنب متقدم ومتأخر إنّما الله سبحانه وتعالى نَسَبَ إِلَيْهِ ذُنُوبَ شِيعَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَهَذَا الْمَعْنَى كَيْ تُغْفَرَ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الشَّفَاعَةِ، الآن الشفيع في الدنيا ماذا يقول؟ يقول أحسبها عليّ، أحسب هذا الخطأ عليّ، هذا المعنى البسيط، المعنى الأولي للشفاعة، وإلا شفاعة أهل البيت معناها أعمق من هذا المعنى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ إتمام النعمة والهداية إلى الصراط المستقيم متعلق بأشياء أهل البيت، والنعمة التامة والصراط المستقيم هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والآيات الكريمة واضحة في ذلك، الروايات أيضاً واضحة في ذلك، والمعاني واضحة وجلية في ذلك.

فنحن حين نخاطب الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقْرِبِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ - إلى أيّ جهة تقودنا الزيارة؟ - وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مَتَفَرِّعَةٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَى اللَّهِ، أَنَّهُمْ أَدْلَاءٌ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَقْرِبُونَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، كُلُّ ذَلِكَ لِأَيِّ شَيْءٍ؟ لِأَنَّهُمْ تَامُونَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - التام هو الذي لا فيه زيادة ولا فيه نقيصة، التام هو الذي لا عيب فيه، التام هو السالمُ الكاملُ الفاضلُ الذي لا نقص فيه - وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - التامين في محبة الله هذا المعنى لا نستطيع أن نتصوره بجلاءٍ وبوضوحٍ إنّما تحوُّمُ أفكارنا حول هذا المعنى:

أولاً: لأننا لا نعرف الله حق معرفته وبالتالي لا نستطيع أن نُحِبُّهُ الْحُبَّ الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وثانياً: إنّنا لا نعرف أهل البيت حق معرفتهم حتى نعرف مدى تماميتهم في محبة الله.

نَحْنُ لَا نَعْرِفُ اللَّهَ بِكُنْهِ الْمَعْرِفَةِ وَلَا نَعْرِفُ مَحَبَّةَ اللَّهِ بِكُنْهِ الْمَعْرِفَةِ، الْمَحَبَّةُ مَتَفَرِّعَةٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، نَحْنُ حُبُّنَا اللَّهَ مَتَفَرِّعٌ عَلَى جَهْلِنَا بِاللَّهِ، بَيْنَمَا الْحُبُّ فِي مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ أَنْ يَكُونَ مَتَفَرِّعاً عَلَى الْمَعْرِفَةِ، غَايَةُ مَعْرِفَتِنَا هُوَ جَهْلِنَا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ مَحَبَّةَ اللَّهِ بِكُنْهِهَا لِأَنَّهَا لَا نَعْرِفُ اللَّهَ بِكُنْهِهِ، وَهَؤُلَاءِ تَامُونَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ فَكَيْفَ نَعْرِفُهُمْ حَيْثُ؟! لَا نَسْتَطِيعُ، هُمْ مُسْتَقِرُّونَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، كَمَا قَرَأْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ: **الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ** - فَإِذَا كَانَ لَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ فَأَتَى لِي بِمَعْرِفَتِهِ، هَلْ يَسْتَطِيعُ عَقْلِي أَنْ يَلِجَ إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي، خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ، أُنَى لِعَقْلِي أَنْ يَلِجَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي، ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي لَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، هُنَا تَتَوَقَّفُ الْأَفْكَارُ، هُنَا يَقِفُ الْكَلَامُ، هُنَا يَنْقَطِعُ الْخُطَابُ، هُنَا يَأْتِي الْعَيْ، هُنَا يَأْتِي عَيْ الْعُقُولِ وَعَيْ الْأَفْهَامِ وَعَيْ الْقُلُوبِ وَعَيْ الْمَدَارِكِ، وَيَتَرْتَبُ عَلَى ذَلِكَ عَيْ الْخُطَابِ وَعَيْ اللَّفْظِ - **وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ** - هَذِهِ الْحَقَائِقُ التَّامَةُ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نَحْنُ قَدْ نَتَلَمَسُ بَعْضَ مَعَانِي الْحُبِّ مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتِهِمْ مِنْ خِلَالِ إِشَارَاتٍ تَتَنَاسَبُ وَالْمَدَارِكِ الَّتِي نَحْمِلُهَا، مِثْلًا: حِينَ نَذْهَبُ إِلَى الْمَنَاجَاةِ الشَّعْبَانِيَّةِ.

تَلَاخِظُونَ إِنَّا نَعُودُ وَنَعُودُ وَنَعُودُ إِلَى أَدْعِيَةٍ وَمَنَاجِيَاتٍ شَهْرَ رَجَبٍ وَشَهْرَ شَعْبَانَ، الْمَنَاجَاةِ الشَّعْبَانِيَّةِ الْمُنْقُولَةَ عَنْ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْكَالِمُ بِحَسَبِ مَدَارِكِنَا: **إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ**، وَهَذَا هُوَ الْحُبُّ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ مَعْنَى الْحُبِّ هُوَ هَذَا، الْحُبُّ مَا هُوَ مَنْشَأُهُ؟ مَنْشَأُ الْحُبِّ جَمَالٌ فِي الْمَحْبُوبِ وَانْجِدَابٌ مِنَ الْمُحِبِّ، هُنَاكَ جَمَالٌ فِي الْمَحْبُوبِ يَنْجَذِبُ إِلَيْهِ الْمُحِبُّ، بِقَدْرِ مَا يَتَلَمَسُ مِنْ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ بِقَدْرِ مَا يَنْجَذِبُ إِلَيْهِ، إِذَا كَانَ الْمُحِبُّ يَتَلَمَسُ مِنْ مَحْبُوبِهِ، هَذَا الْكَلَامُ يَنْطَبِقُ حَتَّى عَلَى الْجَمَالِ الْحَسِيِّ، حَتَّى عَلَى الْجَمَالِ الْمَادِيِّ، حَتَّى عَلَى هَذَا الْجَمَالِ النَّسَبِيِّ الْمَحْدُودِ فِي حَيَاتِنَا، الْمُحِبُّ بِقَدْرِ مَا يَتَلَمَسُ وَيَتَحَسَّسُ وَيَتَذَوِّقُ مِنْ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ يَنْجَذِبُ إِلَيْهِ، وَلِذَلِكَ هَذَا الَّذِي سَأَلَ الْإِمَامَ الرِّضَا قَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا لِي مِنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَكَ؟ قَالَ: أَنْظِرْ إِلَى قَلْبِكَ مَا لِي مِنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَكَ فَإِنَّ لَكَ عِنْدِي مِنَ الْمَنْزِلَةِ بِقَدْرِهَا، انْجِدَابٌ بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ، هَذَا الْإِنْجِدَابُ أَصْلُهُ الْجَمَالُ، الْمُحِبُّ يَرَى جَمَالاً فِي مَحْبُوبِهِ فَيَنْجَذِبُ إِلَى الْمَحْبُوبِ بِقَدْرِ ذَلِكَ الْجَمَالِ.

وَلِذَلِكَ قَبْلَ قَلِيلٍ قُلْتُ بِأَنَّ حُبَّنَا لَيْسَ هُوَ الْحُبُّ الْحَقِيقِيُّ لِأَنَّ الْحُبَّ مَبْنِيٌّ عَلَى جَهْلِ بِالْجَمَالِ، لِأَنَّهَا لَا نَعْرِفُ اللَّهَ نُحْبُهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، لَا نَعْرِفُهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، نُحْبُهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَلِذَلِكَ هَذَا الْحُبُّ لَنْ يَكُونَ حَقِيقِيًّا إِلَّا بِحُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَتَحَ لَنَا بَاباً آخَرَ يُوصلُنَا إِلَى حُبِّهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ بِأَنَّهَا لَا نَعْرِفُ كُنْهِهِ فَكَيْفَ نُحْبُهُ وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ كُنْهِهِ، مِنْ أَحَبِّكُمْ أَحَبَّ اللَّهُ، مِنْ أَبْغَضِكُمْ أَبْغَضَ اللَّهُ، مِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ الْقَانُونَ الْأَوْضَحَ فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَنَاجَاةِ الشَّعْبَانِيَّةِ: **إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ**،

كمال الانقطاع ليس فقط انقطاع وإنما كمال الانقطاع، وإنما يصل الإنسان إلى كمال الانقطاع إذا بلغ الدورة في أن ينسى ما حوله ويتعلق بالمحجوب فينقطع إليه، متى ينقطع الإنسان إلى شيء؟ إذا انقطع عن غيره، ينقطع عن الأغيار فحينئذٍ، هذا المعنى الذي جاء في دعاء سيد الشهداء في يوم عرفة: يا من استوى برحمانيته فصار العرشُ غيباً في ذاته مَحَقَّتِ الآثَارُ بِالآثَارِ وَمَحَوَتِ الْأَغْيَارُ بِمَحِيطَاتِ أَفْلَاكِ الْأَنْوَارِ - محوت الأغيار، هذا هو قلبُ حُسينٍ، محقت الآثَارُ بِالآثَارِ ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار - إلهي هَبْ لِي كَمَالَ الْانْقِطَاعِ إِلَيْكَ - في نفس دعاء سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول: فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها - من أي شيء؟ من الآثَارِ - كما دخلتُ إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهِمَّةِ عن الاعتماد عليها - انقطاع عن غير الله إلى الله هذا كلامٌ نظريُّ أنا أرددهُ، لا أنا أعرف حقيقة معناه ولا غيري، هذا كلامٌ عليٌّ - إلهي هَبْ لِي كَمَالَ الْانْقِطَاعِ إِلَيْكَ - وإلى ذلك إشارة - وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أنني أُحِبُّكَ - في نفس المناجاة - أعلمتُ أهلها أنني أُحِبُّكَ - لأنه منقطعٌ عن غيره، ليس عنده إلا هذا الحُبُّ إلا كمال الانقطاع، هذه إشارات ورموز في كلماته صلوات الله وسلامه عليه - وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أنني أُحِبُّكَ - نحن هل نستطيع أن نصل إلى هذه المراتب؟ مجازاً نعم نستطيع، حقيقة لا نستطيع، لأننا أساساً لا نستطيع أن نعرف حُبَّ الله بكنه المعرفة.

في مناجاة المُحِبِّين المنقولة عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه: إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً - نحن هل ذقنا حلاوة محبة الله؟ لو ذقنا حلاوة محبة الله، إنما رُمنّا من الله سبحانه وتعالى بدلاً، إنما انقطعت أنظارنا وعقولنا وقلوبنا إلى التوفاه في الحياة، نحن مشغولون بالتوفاه لا نستطيع أن نترجم هذه المعاني على حياتنا، والتامين في محبة الله والحديث هنا عن الأفق الأرضي أما الأفق العالية فلا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، كما قال إمامنا الحجة في دعاء شهر رجب: إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً، حولاً يعني تحول إلى غيرك، إلى أن تقول المناجاة: وهيمت قلبه لإرادتك، هيمت قلبه، الهيام العشق وأكثر من العشق، وهيمت قلبه يعني أن قلب المُحِبِّ عاشقٌ لما يريدُه، حينما يكون قلب المُحِبِّ عاشقٌ لما يريدُه يعني أنه قد انتفت إرادته، فأصبحت إرادته إرادته، أصبحت إرادة الله إرادة عبده، وإرادته عبده إرادة الله، إذا شئنا شاء الله وإذا شاء الله شئنا كما قالوا هم صلوات الله عليهم - وهيمت قلبه لإرادتك - في آخر المناجاة، المناجاة كلها بحاجة إلى قراءة وإلى شرح لكن الوقت لا يكفي، أنتم راجعوا المناجاة مناجاة المُحِبِّين: أسألك حُبَّكَ وحُبَّ من يُحِبُّكَ وحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يوصلني إلى قُربك وأن تجعلك أحبَّ إليَّ مما سواك

وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قَائِداً إِلَى رِضْوَانِكَ وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِداً عَنْ عَصِيَانِكَ - إلى آخر الكلام، هذه لمحات وصور من معنى محبة الله سبحانه وتعالى.

أنا كان في بالي أن أقرأ مقاطع من مناجاة المريدين وهي مشحونة بهذه المضامين لكنني أرى الوقت يجري سريعاً وكان في بالي أن أقرأ مقاطع من دعاء كميل ومن أدعية أخرى تتناول هذه المضامين وهذه المعاني، لكن الوقت لا يكفي.

في مناجاة المريدين فقط أشير إلى هذه العبارة: فَأَنْتَ لَا غَيْرِكَ مُرَادِي - هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ - فَأَنْتَ لَا غَيْرِكَ مُرَادِي - إلى أن يقول في مناجاته في آخر المناجاة: يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي وَيَا دُنْيَايَ وَآخِرَتِي - والإمام هنا عدّد هذه العناوين لأن هذه العناوين الأهم في معرفة الإنسان وإلا القضية لا تكون محصورة بهذه العناوين فقط، يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي، فأنت أنت لا غيرك مرادي، هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ، من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً، هذه المعاني تتجلى في أهل البيت لأنهم عَرَفُوا اللَّهَ، لأنهم عَرَفُوا جَمَالَ اللَّهِ بل هُم جَمَالُ اللَّهِ وهم أجمل الجمال، ولأنهم أجمل الجمال أمرنا بحُبِّهم، لكن هناك حقيقة تخفى علينا، هناك حقيقة في غاية الأهمية ونحن نتحدّث عن حُبِّ الله وعن حُبِّ أهل البيت، مثل ما قلت قبل قليل بأن حُبَّنَا لِلَّهِ مَبْنِيٌّ عَلَى جَهْلِنَا بِكَفِّهِ اللَّهُ، كذلك هو حُبُّنَا لِأَهْلِ الْبَيْتِ مَبْنِيٌّ عَلَى جَهْلِنَا بِكَفِّهِ أَهْلَ الْبَيْتِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وإلا هذا القرآن يصدع بين آذانا:

هذه سورة الشورى والآية الثالثة والعشرون ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ آمنوا وعملوا الصالحات ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا: النبي يُطالِبُنَا بِأَجْرٍ، النبي ما قال لنا حُبُّوا أهل البيت لجمالهم،

لأنه يعلم بأننا لا نُدرِكُ جمالهم، وإنما من لطفه أن كانت هذه المعاقدة وهذه المقايضة أنني أرشدتكم وهديتكم ورسمتُ لكم صراطاً مستقيماً أريدُ أجراً على ذلك، هذا الصراط المستقيم وهذه الهداية يمكنكم أن

تتحسسوا جمالها، فلأنكم تتحسون جمال هذه الهداية لأن الآية خاطبت الذين آمنوا ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ

عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الذين آمنوا بصراط مُحَمَّدٍ وَعَمِلُوا بِصَالِحَاتِ مُحَمَّدٍ، هم تحسسوا حلاوة

الإيمان شيئاً من جمال الإيمان وشيئاً من جمال الصالحات، النبي قال: لأنكم تحسستم جمال هذه الأشياء

فأريدُ أجراً لجمالها، الأجر لجمالها مودّة العترة وليس لجمال العترة فإننا لا نُدرِكُ من جمال العترة شيئاً، فهم

حقيقة تامة في محبة الله، كيف نُدرِكُ هذه الحقيقة التامة؟ إنما نُدرِكُ شيئاً من آثارها كما مرت علينا الآيات

قبل قليل في سورة النحل، الآيات في سورة النحل ماذا حدثتنا؟

حدثتنا: ﴿ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ هذه أشياء نحن نستطيع أن نُدرِكها، نُدرِك جمالها ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ هذه مظاهر لإتمام النعمة لأننا نُدرِك هذه الأشياء نُدرِك هذه المعاني، لكننا هل نُدرِك جمال الحقيقة المُحمَّدية والعلوية؟! أبدأً، لذلك كان كان أجر الرسالة في مقابل الرسالة في مقابل الصراط المستقيم، في مقابل الهداية لا في مقابل جمال آل مُحَمَّد، هذه المودَّة مودَّة معرفتنا بجمال مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ بالجملة، والمعرفة حينما تكون بالجملة ليست معرفة حقيقية، معرفة تدور حول الحقيقة، لذلك نحن لا نستذوق جمال مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، قالوا: قولوا فينا ما شئتم لأنكم لا تعرفون حقيقتنا، قولوا فينا ما شئتم، نزهونا عن الربوبية، نزهونا أرباباً تُعبد وقولوا فينا ما شئتم، لماذا أطلقوا لنا القول؟ لماذا أجازوا لنا هذه الإجازة المُطلقة؟ لأننا أصلاً لا نعرف جمالهم لا نعرف قيمتهم، وكُلُّ ما نقوله بحسبنا وكُلُّ ما نُدرِكه بحسبنا، لذلك حُبُّنا لأهل البيت بحسبنا لا بحسبهم، ما سألتكم من أجر فهو لكم، القرآن يقول فهو لكم، لكم، لأنه بحسبنا لا بحسب أهل البيت، فأهل البيت أعظم وأعظم، الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك، وإنما ما يخرج منه هو شيء من آثاره، شيء من الطافه - وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - كان في بالي أن أشير إلى مطالب أخرى لكن الحديث قادني يميناً وشمالاً والمطالب هذه مطالب عميقة وإذا أردنا أن نسترسل في الحديث فذلك يحتاج إلى حلقات وحلقات وأنا أحاول أن ألملم أطراف الحديث، ألملم المعاني بقدر ما أتمكن.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقَرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ.

أقول يا أمير المؤمنين، أقول سيدي يا إمام زماني:

جَمَالِكَ شَيْءٌ، حُبُّكَ شَيْءٌ، وَأَنَا شَيْءٌ

وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ فَشَيْءٌ لَكِنْ لَا كَالْأَشْيَاءِ

عباراتنا شتى وحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

تمام الحديث يأتينا إن شاء الله في يوم غد، البرنامج متواصل معكم بث مباشر في نفس الوقت وعلى نفس الشاشة على شاشة المودَّة ألقاكم على مودَّة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه في يوم غد أسألکم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة الثانية والعشرون

معنى والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ
بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ جميعاً ورحمة الله وبركاته أحباب عليٍّ وآل عليٍّ أيُّها الزهرايون، أيُّها المنتظرون إمام زمانهم تحياتي المتواصلة ودعائي أن أوفق لخدمتكم، وهذه الحلقة الثانية والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، كانَ الحديثُ في الحلقة الماضية في الشطر الأول من المقطع الرابع من المقاطع الخمسة التي تُمثِّلُ الأُسُسَ والقواعد لفهم الزيارة الجامعة الكبيرة ولبقية الزيارات الشريفة التي وردت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المقطع الرابع:

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - تَقَدَّمَ الكلامُ في هذه العناوين في الحلقة الماضية. الشطر الثاني من المقطع الرابع: وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

العناوين كلها ترتبطُ معانيها وتتعانق فحاواها، مرَّ الكلامُ في معنى المستقرين في أمر الله والتامين في محبة الله، وإنما تتفرع هذه المعاني وهذه الحقائق على حقيقة واضحة جلية جاءت مذكورةً هنا: وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ - المقطع الرابع ابتداءً: السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ - هُمْ دُعَاةٌ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ طَبَقَاتِ الوجود، ثُمَّ هُمْ أَدْلَاءٌ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَالدَّلَالَةُ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ يَتَفَقَانِ فِي الْحَقِيقَةِ وَفِي الْمَضْمُونِ وَيَتَفَرَّغُ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى الْاسْتِقْرَارِ فِي أَمْرِ اللَّهِ - وَالْمُسْتَقْرِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ - وَيَتَفَرَّغُ كُلُّ ذَلِكَ وَيَلْتَقِي بِهِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهِ فِي مَعْنَى التَّمَامِيَةِ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ - وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ - هُنَاكَ مَنْ يَقْرَأُهَا: وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ - وَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمْ سَادَةُ الْمُخْلِصِينَ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمْ مَنْ عَلَّمُوا النَّاسَ الْإِخْلَاصَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، هُمْ حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ وَهُمْ الْمُظْهِرُ الْأَتَمُّ لِلْإِخْلَاصِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، لَكِنَّ

القراءة الصحيحة: **والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ** - هناك عندنا إخلاصٌ، وهناك عندنا خُلُوصٌ، وهناك عندنا تَخْلِيسٌ وَتَخَلُّصٌ، وهذه مراتبٌ تختلفُ معانيها وتختلفُ مضامينها - **والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ** - نحنُ لا نستطيعُ أن نتصور حقيقة هذا المعنى في من وصفتهم كلماتُ أهل البيت كما جاء في دعاء شهر رجب، الدعاء الذي أشرْتُ إليه يوم أمس الدعاء المروي عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه: **فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت**، هذا هو معنى المُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، فهل نستطيع أن نتصور حقيقة هذا المعنى؟! **فبهم ملأت سماءك وأرضك**، ليس الحديثُ عن تبليغٍ بالألفاظ، وليس الحديثُ عن دعوةٍ للناس - **فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** - هذا هو معنى **أَنتُمْ مُخْلِصُونَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ**، نحنُ لا نستطيع أن نُدرك هذه الحقيقة، لكننا نبدأ من الجهة الضعيفة لمعنى الإخلاصِ ولمعنى الخُلُوصِ في توحيد الله في توحيدنا نحنُ.

كيف نستطيع أن نُحَقِّقَ معنى الإخلاصِ في التوحيد؟ ما هو معنى الإخلاصِ في التوحيد بالنسبة لنا؟ ومن خلال هذه الفتحة الصغيرة وهذه العدسة المُظلمة، من خلال هذه العدسة المُظلمة، هي عدسةٌ منيرةٌ بالنسبة لنا، لكنها مُظلمةٌ بالنسبة للحقيقة إذ أننا لا نستطيع أن نُبَصِّرَ بها شيئاً، ما نُبَصِّرُهُ هو بِحَسَبِنَا، بِحَسَبِ كَاشِفِيَةِ عَقُولِنَا وَبِحَسَبِ نُورِيَةِ مَدَارِكِنَا، وما نملكُ من كاشفيةٍ ومن نوريةٍ هي لا شيء في جنبٍ من نُخَاطِبُهُمْ: **والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ**، والذين يصفهم إمامُ زماننا: **فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت**، وهذه هي حقيقةُ توحيد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحنُ في زيارتنا للإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، وإمامنا الرضا هو ركنُ التوحيد، أهلُ البيت كلهم أركانٌ للتوحيد، لكن هناك الأشهر الحُرْمُ، العَلِيُّونَ الأربعة، الأركان الحُرْمُ: سيدُ الأوصياء وسجاد العترة الطاهرة وإمامنا الرضا الذي أريدُ أن أقرأ سطوراً مما جاء في دعاء زيارته، وإمامنا الهادي والذي نحنُ نتحدثُ بحديثه، فالزيارة الجامعة الكبيرة هي ما فاضت بها شفاه إمامنا الهادي النقي صلوات الله وسلامه عليه، أولئك هم أركانُ التوحيد الأربعة في سلسلة العصمة والولاية والنبوة، إمامنا الرضا في زيارته الشريفة في الدعاء الذي يُقرأ بعد زيارته، ماذا يقرأ الزائر وماذا يقول الداعي في دعائه؟ الدعاء طويلٌ أنا أشيرُ إلى موطن الحاجة، إلى أن يقول الداعي وهو يخاطبه سبحانه وتعالى:

يا معروف العارفين، يا معبود العابدين، يا مشكور الشاكرين، يا جليس الذاكرين، يا محمود من حمده، يا موجود من طلبه، يا موصوف من وحده، يا محبوب من أحبه، يا غوث من أراده، يا مقصود من أناب إليه، يا من لا يعلم الغيب إلا هو، يا من لا يصرفُ السوء إلا هو، يا من لا يُدبِّرُ الأمر إلا هو، يا من لا يغفر الذنب إلا هو، يا من لا يخلق الخلق إلا هو، يا من لا يُنزلُ الغيث إلا هو - بعد

كُلُّ هذه المِدْحَةِ، بعد كُلِّ هذا التسبيح والتنزيه والتمجيد لله سبحانه وتعالى - صَلَّى على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ واغفر لي يا خير الغافرين - بعد كُلِّ هذا التمجيد يطلب الداعي هنا المغفرة، ويطلبها بوسيلة أيِّ أسمٍ؟ - يا خير الغافرين - وخير الغافرين هو الذي يغفر كُلَّ شيء، هو هذا خير الغافرين، هو الذي يغفر كُلَّ شيء، بعد هذه المِدْحَةِ الشريفة - صَلَّى على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ - الوسيلة هنا - واغفر لي يا خير الغافرين - خير الغافرين هو الذي يغفر كُلَّ شيء، ما تقدم وما تأخر وما نحن فيه، نحن نستغفر الباري لما تقدم من ذنوبنا ولما تأخر منها ولما نحن فيه، حتى لو كنا في أفضل الطاعات فنحن قاصرون ومُقَصَّرُونَ، حتى لو كنا في أفضل الطاعات وفي أجمل الطاعات فنحن نستغفره ونتوب إليه لأننا قاصرون ومُقَصَّرُونَ ومهما فعلنا فنحن على حد التقصير - واغفر لي يا خير الغافرين - طلبُ للمغفرة التامة من أين أعرف هذا المعنى؟ من أسمه خير الغافرين، خير الغافرين هو الذي يغفر المغفرة التامة، وهُنا الداعي يطلبُ المغفرة التامة فماذا بعدها - ربي إنِّي استغفرك استغفار حياء - بعد المغفرة التامة سيأتي استغفار آخر، وهذه العناوين بحاجة إلى شرح لكنني لست بصدد شرح للدعاء أريدُ أن أصلَ إلى نقطة مهمة.

هذا الدعاء يتحدَّث عن مراتب سلوك النفس الإنسانية وتصاعدها في التوبة والمغفرة حتى تصل القلوب إلى مستوى الإخلاص، والإخلاص يأتي بعده الخُلُوص، وبعد الخُلُوص يأتي التخليص والتخلُّص - واغفر لي يا خير الغافرين، ربي إنِّي استغفرك استغفار حياء واستغفرك استغفار رجاء - هذه مرتبة ثالثة من الاستغفار، اغفر لي يا خير الغافرين: هذه مرتبة أولى، استغفرك استغفار حياء: مرتبة ثانية، واستغفرك استغفار رجاء، وفارقٌ بين الحياء والرجاء، ولكل عنوانٍ دلالاته ومضامينه - واستغفرك استغفار إنابة - وهذه المرتبة الرابعة - واستغفرك استغفار رغبة - وهذه الخامسة - واستغفرك استغفار رهبة - وهذه السادسة - واستغفرك استغفار طاعة - وهذه السابعة - واستغفرك استغفار إيمان - وهذه الثامنة - واستغفرك استغفار إقرار - وهذه التاسعة - واستغفرك استغفار إخلاص - وهذه العاشرة.

والاستغفار هو تطهيرٌ وتنقيةٌ وتحميلٌ وتخليئةٌ وتحليةٌ، الاستغفار نقاءٌ بعد نقاء، هذه عشرة مراتب، هذه مراتب تتلو مراتب، مرتبة بعد مرتبة، هذه عشر مراتب: المرتبة الأولى: اغفر لي يا خير الغافرين، ثم جاءت مغفرة الحياء، مغفرة الرجاء، مغفرة الإنابة، مغفرة الرغبة، مغفرة الرهبة، مغفرة الطاعة مغفرة الإيمان، مغفرة الإقرار، ثم جاءت مغفرة الإخلاص، لا بد أن يمر الإنسان بكل هذه المراتب من التنقية ومن التطهير حتى يصلَ إلى مرتبة الإخلاص، ولا يصلُ الإنسان إلى مرتبة الإخلاص إلا بعد استغفار الإخلاص - واستغفرك استغفار إخلاص - إذاً كم هي المسافة فيما بيننا وبين الإخلاص؟ هناك مسافةٌ بعيدة، هذا بالنسبة لنا وكما قلتُ في أول حديثي الكاشفية والنورية في مداركنا محدودة تكاد أن تكون ظلمة بالقياس إلى الكاشفية

والنورية العالية في المراتب العالية من الإيمان، لا إلى مراتب أهل البيت، إلى المراتب العالية، كالمرتبة العاشرة التي كان يحظى بها سلمان رضوان الله تعالى عليه وأمثال سلمان، وبعد الإخلاص يأتي الخُلوص - واستغفرك استغفار تقوى - الإخلاص هو نقاء القلب من الأغيار، الإخلاص هو أن الإنسان يتوجه إلى جهة واحدة ولا يتوجه إلى غيرها، أتدري أن أصحاب اليقين يقولون بأن الذي يتوجه إلى مضمون ما يقول في صلاته فإنه خارج حد الإخلاص، نحن حتى هذا الحد ما وصلنا إليه، نحن نصلي ولا نلتفت إلى مضامين ما نقول، الروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة تقول بأن من صَلَّى فريضة ومن صلى ركعتين وهو يعلم ما يقول ملتفت إلى ما يقول فقد ضَمِنَ الجنة، وهو يعلم ما يقول في أول مراتبها أنه يلتفت إلى الألفاظ وإلى معانيها.

أصحابُ اليقين يقولون بأن الذي ينشغلُ بالألفاظ والمعاني وهذا الذي نجدُه بالنسبة لنا في غاية الصعوبة لأن الأذهان والعقول والقلوب تذهب يميناً وشمالاً فلا نعلم ما نقول إلا قليلاً مما نقول، أصحابُ اليقين يقولون بأن الذي يكون منشغلاً ملتفتاً إلى ما يقول فإنه ما كان في حد الإخلاص، فإنه خارج من حد الإخلاص، لأنه قد توجه إلى الألفاظ والمعاني التي في داخل هذه الألفاظ وما توجه إلى الله، أما الخُلوص فشيءٌ آخر، بعد استغفار الإخلاص ماذا يقول دعاء زيارة الإمام الرضا صلوات الله عليه؟ - واستغفرك استغفار تقوى - هذا أولاً - واستغفرك استغفار توكل - وتلك من أعلى مراتب السلوك الإنساني إلى الله - واستغفرك استغفار تقوى، واستغفرك استغفار توكل، واستغفرك استغفار ذلّة - وتلك أحلى معاني الاستغفار، حين يستشعر العبد ذلته بين يدي الباري، حلاوة العبادة هو في استشعار الذلّة - مولاي يا مولاي أنت الكبير وأنا الحقيق وهل يرحم الحقيق إلا الكبير، مولاي يا مولاي أنت العظيم وأنا الصغير وهل يرحم الصغير إلا العظيم، مولاي يا مولاي أنت الدائم وأنا الزائل وهل يرحم الزائل إلا الدائم، مولاي يا مولاي أنت الباقي وأنا الفاني وهل يرحم الفاني إلا الباقي، مولاي يا مولاي أنت الحي وأنا الميت وهل يرحم الميت إلا الحي، مولاي يا مولاي أنت الغني وأنا الفقير وهل يرحم الفقير إلا الغني، مولاي يا مولاي أنت العزيز وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلا العزيز - واستغفرك استغفار ذلّة، هذا القسم الثالث بعد المراتب العشرة التي مرت - واستغفرك استغفار عامل لك هارب منك إليك - وهذا هو الخُلوص، هذه أربعة بعد عشرة، وهذا من أعدادنا المقدسة أنتم تعرفونه، عشرة من المراتب وصلنا إلى الإخلاص وبعد الإخلاص أربعة من المراتب ووصلنا إلى الخُلوص، الخُلوص هو هذا - واستغفرك استغفار عامل لك - عامل لك في كلِّ آني من آتاتي ومع ذلك - هاربٌ منك إليك - هو عاملٌ مخلصٌ، من هو العامل؟

هو المخلص ولكنه هاربٌ حتى من إخلاصه إليك وهذا هو الخُلُوص، عاملٌ لك، لا يكون عاملاً لك حتى يكون مُخْلِصاً، بعد كل ذلك الإخلاص فهو عاملٌ لك، لكنه هاربٌ حتى من عمله الذي أخلص فيه، هاربٌ من إخلاصه إليك، فَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ، فَرَّوْا، الْقُرْآنَ يَأْمُرُنَا بِذَلِكَ، فَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ، هُوَ هَذَا الْفِرَارُ، فَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ - **وَاسْتَغْفِرْكَ اسْتَغْفَارَ عَامِلٍ لَكَ هَارِبٍ مِنْكَ إِلَيْكَ** - وَأَيُّ عَامِلٍ؟ هُوَ عَامِلٌ لَكَ فِي كُلِّ آنَاتِهِ بَعْدَ الْإِخْلَاصِ وَبَعْدَ اسْتَغْفَارِ التَّقْوَى وَاسْتَغْفَارِ التَّوَكُّلِ وَاسْتَغْفَارِ الذَّلَّةِ، فَهِنَا يَسْتَغْفِرُ اسْتَغْفَارَ الْعَامِلِ لِلَّهِ لَكِنَّهُ يَهْرَبُ مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، لَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ، إِلَى أَيْنَ أَفْرَ؟ أَفْرُ مِنْكَ إِلَيْكَ، وَهَذَا لَيْسَ فِرَاراً مِنْ ذُنُوبٍ، الْمَذْكُورِ هُنَا فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ فِي هَذَا الدُّعَاءِ فِي دُعَاءِ الزِّيَارَةِ، هَذَا فِرَارٌ إِلَى اللَّهِ، فِرَارٌ مِنَ النِّقْصِ وَمِنْ كُلِّ نِقْصٍ، فِرَارٌ مِنَ الْقُصُورِ وَالتَّقْصِيرِ فِي كُلِّ أَعْيَادِهِ.

في المناجاة الشعبانية المروية عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه هناك إشارة جميلة إلى هذا العامل - **إِلَهِي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ نَادَيْتُهُ فَأَجَابَكَ وَلاَحِظْتُهُ فَصَعِقَ لَجَلَالِكَ فَناجِيْتُهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهراً** - هذا هو العامل الذي يستغفر في تلك الزيارة - **وَاسْتَغْفِرْكَ اسْتَغْفَارَ عَامِلٍ لَكَ هَارِبٍ مِنْكَ إِلَيْكَ** - من هو هذا العامل؟ - **إِلَهِي اجْعَلْنِي مِمَّنْ نَادَيْتُهُ فَأَجَابَكَ** - ناديتُهُ بِنِدَاءِ التَّوْحِيدِ فَأَجَابَكَ بِجَوَابِ الْإِخْلَاصِ - **إِلَهِي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ نَادَيْتُهُ فَأَجَابَكَ وَلاَحِظْتُهُ فَصَعِقَ لَجَلَالِكَ فَناجِيْتُهُ سِرّاً** - عَبْدِي تَقَدَّمَ إِلَيَّ شِراً أَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ مِيلاً، حِينَ أُخْلِصُ إِلَيْهِ سَيْنَاجِيْنِي - **فناجيتُهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهراً** - هذا هو العامل الذي يحمل هذه الأوصاف ومع ذلك هو يهرب من هذه الأوصاف إلى الله - **وَاسْتَغْفِرْكَ اسْتَغْفَارَ عَامِلٍ لَكَ هَارِبٍ مِنْكَ إِلَيْكَ** - وهذا هو معنى الخُلُوصِ، الخُلُوصُ ما بعد الإخلاص، أن العبد يتخلص من كل ما يتعلق بذاته، بذاتيَّاته وبعوارضه.

بيني وبينك إني يُنازعني فارفع بلطفك إني من البين

بيني وبينك إني، أنا، بما عندي من ذاتياتٍ ومن عرضيات، بكل ما في وجودي وشؤوناتي وجودي.

بيني وبينك إني يُنازعني فارفع بلطفك إني من البين

فناجيتُهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهراً - هذا هو التوحيد الذي يمكن أن نتلمس شيئاً من معناه فيما رواه شيخنا الطوسي رضوان الله تعالى عليه في كتابه: (مصباح المتعبد وسلاح المتعبد) وهو من أمهات كتب الأدعية والمزارات والأعمال، من أمهات كتب الأدعية ومن المصادر الأساسية لكتاب مفاتيح الجنان، في أدعية الأيام والليالي دعاء يرويه الشيخ الطوسي يُقرأ في ليلة الخميس، فيه من أجمل معاني التوحيد، وكُلُّ أدعية أهل البيت تحتوي على هذه المضامين لكنني أوردته على سبيل المثال: **سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الَّذِي بِكَلِمَتِكَ خَلَقْتَ جَمِيعَ خَلْقِكَ** - بكلمة تكلم كلمة ومن تلك الكلمة خلق الخلق، أول ما خلق الله

المشيئة خلقها بنفسها، خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة وتلك هي الكلمة، تلك هي كلمة الله،
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَلِمَاتِكَ بِأَتَمِّهَا، تلك هي الكلمة الأتم - سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الَّذِي
 بِكَلِمَتِكَ خَلَقْتَ جَمِيعَ خَلْقِكَ وَكُلُّ مَشِيئَتِكَ أَتَتْكَ - مشيئتك التي خلقتها بنفسها، خلق الخلق بالمشيئة
 ولكن خلق المشيئة بنفسها - أَنْتَ الَّذِي بِكَلِمَتِكَ خَلَقْتَ جَمِيعَ خَلْقِكَ وَكُلُّ مَشِيئَتِكَ أَتَتْكَ بِلا لغوب -
 لغوب يعني تعب مشقة - وَكُلُّ مَشِيئَتِكَ أَتَتْكَ بِلا لغوب آتيت مشيئتك ولم تأن فيها لمؤونة - يعني لم
 تحتج فيها لمؤونة - ولم تنصب فيها لمشقة - النصب هو التعب - وكان عرشك على الماء والظلمة
 على الهواء، والملائكة يحملون عرشك عرش النور والكرامة ويسبحون بحمدك والخلق مطيع لك
 خاشع من خوفك لا يرى فيه - في هذا الوجود، في هذا الخلق - نورٌ إلا نورك - الكلمة الأولى، النور
 الأول الذي منه تنورت الأنوار - لا يرى فيه نورٌ إلا نورك ولا يُسمع صوتٌ إلا صوتك حقيقٌ بما لا
 يحقُّ إلا لك خالق الخلق ومبتدعه، توحدت بأمرك تفردت بمُلكِك فتعظمت بكبريائك وتعززت
 بجبروتك وتسلطت بقوتك وتعاليت بقدرتك وأنت بالمنظر الأعلى فوق السماوات العلى كيف لا
 يقصرُ دونك علم العلماء - وأين يقع علم العلماء؟

كيف لا يقصر دونك علم العلماء، سبحانك سبحانك سبحانك تعاليت عمّا يقول الظالمون - في
 نفس الدعاء الشريف هذا الذي تُستحبُّ قراءته في ليالي الخميس كما رواه شيخنا الطوسي رضوان الله تعالى
 عليه، الدعاء طويلٌ أُشيرُ إلى مقطعٍ آخر منه وهو موطن الحاجة في حديثي - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ
 الَّذِي - أيُّ اسمٍ هذا؟ هذا الأسم الذي خلقتُهُ فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك كما جاء في
 دعاء ليلة المبعث ويوم المبعث، يعني في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب وفي يومها - اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُكَ - أيُّ اسمٍ هذا؟! أيُّ عَظْمَةٍ لهذا الاسم - اللَّهُمَّ إِنِّي
 أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُكَ وَتَهَلَّلَ لَهُ نُورُكَ وَاسْتَبَشَرْتَ لَهُ مَلَائِكَتُكَ وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ
 تَزَعَزَعَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ - هنا إشارة إلى مجالي الجمال والجلال - إِذَا ذُكِرَ اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُكَ وَتَهَلَّلَ
 لَهُ نُورُكَ وَاسْتَبَشَرْتَ لَهُ مَلَائِكَتُكَ - هذه مجالي الجمال في اسمه الأعظم الأعظم الأعظم الأعز الأجل
 الأكرم - وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ تَزَعَزَعَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ - هذه مجالي الجلال في اسمه - وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ
 تَزَعَزَعَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ - مجالي الجلال والجبروت - وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ تَزَعَزَعَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
 وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ، وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ تَفْتَحَتْ - هذه مجالي الرحمة، هذه الرحمة التي سبقت الغضب -
 وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ تَفْتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَشْرَقَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَسَبَّحَتْ لَهُ الْجِبَالُ وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ
 تَصَدَّعَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَقَدَسَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْإِنْسُ وَتَفَجَّرَتْ لَهُ الْأَنْهَارُ وَالَّذِي إِذَا ذُكِرَ ارْتَعَدَتْ مِنْهُ

النفوس ووجلّت منه القلوب وخشعت له الأصوات - سبحانه من هو هكذا لا هكذا غيره.

أدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أفضل مواطن معرفة حقيقة التوحيد، أدعية أهل البيت كنوز لا يستطيع الإنسان أن يعرف قيمتها، وبحور لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من قدرة على الغوص في المعارف والمعاني أن يُبحر فيها أو أن يغوص في أسرارها وإنما نحن نأخذ منها كالذي يغمس إصبعه في البحر، كالذي يغمس إبرة في البحر فماذا يأخذ من البحر بهذه الإبرة؟ أنت حين تغمس إصبعك في البحر كم من الماء تأخذ من ماء البحر؟ والله إن ما نأخذه من الكنوز والمعاني التي سطرها لنا أهل البيت في أدعيتهم ومناجياتهم هو أقل وأقل وأكثر بكثير من هذا الذي نأخذه حين نُغَطِّسُ أصابعنا في بحر من البحور، أي ماء أي مقدار من الماء نأخذه ونحُ نغطس إصبعاً من أصابعنا في البحر، ما نأخذه من أسرار ومن حقائق وإشارات ولباب ولطائف ما ذكره أهل البيت في أدعيتهم ومناجياتهم التي وضعوها لنا كمراقٍ نرتقي بها إلى الله، ووضعوها لنا كلوحاتٍ فنيةٍ ملكوتيةٍ نستشف منها معنى التوحيد ونستشف منها كيف نتعامل مع الله وكيف نُخْلِصُ وكيف نُخَلِّصُ، هناك إخلاصٌ وهناك خلوصٌ، كُلُّ هذه المعاني في مستوى العبيد من أمثالنا، إذاً أين نحن من معاني الإخلاص والخلوص والتخلص في أهل البيت؟

تلك معاني نحن لا نُدرِكُها، نحن يمكن أن نُدرِك معاني الإخلاص لأمثالنا فإننا نملك قلوباً كقلوب أمثالنا يمكننا أن نعرف شيئاً من معنى الإخلاص، وإن كان الإخلاص في حقيقته لا يستطيع الإنسان أن يُدرِكهُ إلا أن يبلغ هذه المرتبة، وكُلُّ عبدٍ له درجة من الإخلاص لا يستطيع أن يُدرِك إخلاص العبد الآخر، فكيف بإخلاص أهل البيت، وكيف بِخُلُوصِ أهل البيت، وكيف بالتخلُّص والتخليص وهي مراتب أعلى من الإخلاص والخلوص، هذا هو معنى لا تسبوا علياً، والحديثُ ترويه الخاصة والعامة، لا تسبوا علياً فإنه ممسوسٌ بذات الله، ممسوسٌ بذات الله هو تعبيرٌ تقريبيٌّ يُقَرِّبُ لنا معنى ما تقوله الزيارة: **والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ - السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرَضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ -** إنما تموا في محبة الله لأنهم مُخْلِصُونَ في توحيد الله - **والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ -** وحين قلتُ بأن هذه القراءة هي القراءة الصحيحة لأن ذلك ما يُشيرُ إليه القرآن الكريم وتلك هي قراءة المصحف الذي بين أيدينا، والعترة والكتاب لا يختلفان أحدهما يشدُّ الآخر، القرآن هو مرآة العترة والعترة مرآة القرآن.

حين نذهبُ إلى سورة الصافات، ماذا نقرأ في سورة الصافات؟ في الآيات الأخيرة في الآية التاسعة والخمسين بعد المئة والآية التي بعدها ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ تقديسٌ لله عن كُلِّ وصفٍ يصف الخلق به الله سبحانه وتعالى، حين كَبَّرَ المؤذن وكان أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قريباً منه، لَمَّا كَبَّرَ المؤذن فقال: الله أكبر، قال هذا الصحابي صاحب الإمام: الله أكبر من كل شيء، قال له إمامنا الصادق،

وهذا توحيدهم هذا توحيد عليّ وآل عليّ، قال: متى كان مع الله شيء حتى تقول بأنه أكبر من كل شيء، هل يُقاس الله بغيره، متى كان مع الله شيء؟! قال: فما أقول يا ابن رسول الله؟ قال: قل الله أكبر من أن يوصف، لا تقل الله أكبر من كل شيء، متى كان مع الله شيء حتى تقول بأن الله أكبر من كل شيء؟ هل هناك من شيءٍ يمكن أن تكون له قيمة في جنبه سبحانه وتعالى؟ وتلك هي حلاوة التوحيد وتلك هي حلاوة المحبة - إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً - ما أشرتُ إليه في الحلقة الماضية في مناجاة المحبين - إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ عما يصف كل واصف، إلا، هناك استثناء، هناك مجموعة تستطيع أن تصف ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ هذه الآية التاسعة والخمسون بعد المئة والستون بعد المئة من سورة الصفات ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ سبحان الله هذه الكلمة يعني تسبيحاً لله والتسبيح هو التنزيه والتقديس، نفي كل نقص، سبحانه نحنُ نُجِلُّهُ عن وصف كل واصف، إلا، هناك مجموعة تستطيع أن تصف ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ يصفون كل أشكال الخلائق وكل أشكال الواصفات إلا جهة واحدة تستطيع أن تصف وصفها صحيح، من أراد الله بدأ بكم، ومن عرفكم عرف الله، ومن جهلكم جهل الله ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ * ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ وتستمر الآيات، الآية الرابعة والستون بعد المئة، أنا لست بصدد شرح وتفسير سورة الصفات فقط التقط منها لقطات من هنا ومن هناك، في الآية الرابعة والستين بعد المئة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ من هؤلاء؟ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الرواية يرويها السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان ينقلها عن تفسير القمي رضوان الله تعالى عليه، علي بن إبراهيم، بسنده: عن يحيى بن مسلم عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه قال: سمعته يقول: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ قال: نزلت في الأئمة والأوصياء من آل مُحَمَّد - هؤلاء هم الموحدون، هؤلاء هم المُخْلِصُونَ - والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ - نحن لا نعرف مدى إخلاصهم لكننا نأخذ التوحيد منهم، من أراد الله بدأ بكم ومن وحده، في نفس الزيارة الجامعة، قَبِلَ عنكم، التوحيد منهم، هم باب الله، هم باب التوحيد، من لم يتجه إلى هذا الباب فليس بموحد، أما حقيقة توحيدهم ما هي؟

نحن لا نعلمها لا نعرفها، هم يعرفونها ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ * ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ * ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ

مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١﴾ صادق الآل يقول: نزلت في الأئمة والأوصياء من آل مُحَمَّد، وتستمر الآيات في سورة الصافات ﴿٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿٤﴾ هؤلاء هم المُسَبِّحُونَ، هؤلاء هم الذين يقولون سبحان الله عمّا يصفون، عمّا تصِفُ كُلُّ الخلائق لأنهم هم الجهة الوحيدة التي تصِفُ الله، لأن الله قد تعرّف بهم إلينا، بهم عرفنا الله سبحانه وتعالى ﴿٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿٧﴾.

أيضاً في تفسير عليّ بن إبراهيم: عن شهاب بن عبد ربه قال: سمعتُ الصادق أبا عبد الله يقول: يا شهاب نحنُ شجرةُ النبوة ومعدن الرسالة ومُختَلَفُ الملائكة، ونحن عهد الله وذمته، ونحن ودائع الله وحجته كُنّا أنواراً صفوفاً حول العرش - هذا في مرتبة من مراتبهم وإلا فالعرش من نورهم - كُنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسَبِّحُ الله فَتَسَبِّحُ الملائكة بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض - وهذه دعوتهم، هم الدُّعَاءُ إلى الله، هم الأدلاء على مرضاة الله، وقلتُ بأنّ هذه العناوين تتعاقب جميعاً فيما بينها في المعنى - كُنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسَبِّحُ الله فَتَسَبِّحُ الملائكة بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فَسَبَّحْنَا فَسَبَّحَ أهلُ الأرض بتسبيحنا - وهذا ليس هو الهبوط لتبليغ الرسالة، هذا هبوط اللطف، هذه الأرض التي إذا حُجِبَ عنها لطفُ الإمام ساخت - فَسَبَّحْنَا فَسَبَّحَ أهلُ الأرض بتسبيحنا وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ - هذا قول صادقهم صلوات الله عليه والقرآن هنا يقول ﴿٨﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١١﴾ المقام المعلوم مقام مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ومن غيرهم، قُلْ لِي بربك من غيرهم، أنت يا من تعرفُ مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ - وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ - ولا زال الكلام كلام صادقهم - فمن وفي بذمتنا فقد وفي بعهد الله - وهذا هو التوحيد، وهذا هو التوحيد على أتم صورهِ - فمن وفي بذمتنا فقد وفي بعهد الله عزَّ وجلَّ وذمته ومن خَفَرَ ذمتنا - خَفَرَ الذمة خفرها يعني غطاها، يعني من نقض العهد - ومن خَفَرَ ذمتنا فقد خَفَرَ ذمة الله عزَّ وجلَّ وعهدهُ - وهذا هو التوحيد وهذا هو الكفر، التوحيد بكل معناه - فمن وفي بذمتنا فقد وفي بعهد الله عزَّ وجلَّ وذمته، ومن خفر ذمتنا - فهذا الكفر بكل معناه - فقد خفر ذمة الله عزَّ وجلَّ وعهدهُ.

رواية جميلة جداً ينقلها سيد هاشم البحراني أنقل منها موطن الحاجة، الرواية طويلة يتحدث فيها خاتم الأنبياء عن نوره ونور عليّ فيقول: خلق نوراً - الله سبحانه وتعالى - خلق نوراً فقسّمهُ نصفين فخلقني من نصفهِ وخلق عليّاً من النصف الآخر - هو يقول، عليٌّ يقول: أنا من مُحَمَّدٍ كالضوء من الضوء - يشير إلى هذا، كلمته المشهورة في نهج البلاغة وفي غير نهج البلاغة - أنا من مُحَمَّدٍ كالضوء من الضوء -

عبارة مختصرة تختصر كل هذه الأقوال التي ذكرتها - خلق نوراً فقسمة نصفين فخلقني من نصفه وخلق علياً من النصف الآخر قبل الأشياء كلها - هنا نضع خط كي تتركز هذه الجملة في أذهان المحبين: قبل الأشياء كلها - خلق نوراً فقسمة نصفين فخلقني من نصفه وخلق علياً من النصف الآخر قبل الأشياء كلها، ثم خلق الأشياء فكانت مظلمة فنورها من نوري ونور علي ثم جعلنا عن يمين العرش - وتلك مرتبة من مراتبهم وليست هي أعلى المراتب - ثم خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة وهللنا فهللت الملائكة وكبرنا فكبرت الملائكة فكان ذلك من تعليمي وتعليم علي - يا مُحَمَّدُ يا علي يا علي يا مُحَمَّدُ اكفينا فإنكما كافيان وانصُرنا فإنكما ناصران صلوات الله عليكما وعلى آلكما الأطيبين الأطهرين، سعد من والاكم وخاب من جحدكم، ولذلك قلت بأن القراءة الصحيحة: والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، هؤُلاءِ هُم: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ الآيات مستمرة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ومرّ كلام صادقهم نحن الصافون نحن المُسَبِّحُونَ، تستمر الآيات ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ من هم؟ أولئك الذين سيصلون الجحيم ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولَى﴾ من الأولين من أصحاب المراتب الأولى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين: من أصحاب المراتب العالية، المراتب الأولى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ .

في سورة ص والتي هي شقيقة لسورة الصافات، السورة التي تأتي بعدها، وهناك تناغم في المعاني بين هاتين السورتين بين الصافات وص، الآيات الأخيرة من سورة ص والتي تتحدث عن إبليس ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هو يقول ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ هناك مجموعة ليس لإبليس ولاية عليها، إبليس أثار على آدم وآدم أعلم الأنبياء، لكن هناك مجموعة ليس لإبليس ولاية عليها ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ هذه المجموعة واضحة لديك لا حاجة لأن أترجم لك أسمائها ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ - الآيات مستمرة في آخر سورة ص ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ هنا الحديث عن الأجر، ما الذي جاء به؟ أليس لأن العباد

المُخْلِصُونَ هُمْ هُم الَّذِينَ مَوَدَّتَهُمْ هِيَ الْأَجْرُ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿فِي نَفْسِ سُورَةِ ص هَذَا التَّعْبِيرُ مَوْجُودٌ، لَوْ كُنَّا نَسْتَمِرُّ فِي الْقِرَاءَةِ﴾ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * .

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ الآية الرابعة والسبعون بعد المئة في سورة الصافات، آخر آية من سورة ص ﴿وَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ماذا يقول آل مُحَمَّد في هذه الآيات؟ هذا هو تفسير البرهان وهذا هو الجزء السادس للسيد هاشم البحراني والرواية ينقلها عن الشيخ الكليني عن الكافي الشريف، عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر في قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ * إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿قال: هو أمير المؤمنين - هذا الذكر الذي هو للعالمين هو أمير المؤمنين - ﴿وَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ قال: عند خروج القائم صلوات الله وسلامه عليه.

الحديث يبدأ من مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَيَنْتَهِي عِنْدَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَيَدُورُ حَوْلَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيِّ وَعَلِيٍّ مَعَ الْقُرْآنِ، وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ وَعَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثَمَا دَارَ، الْآيَاتُ وَاضِحَةٌ صَرِيحَةٌ وَالرَّوَايَاتُ جَلِيَّةٌ فِي مَعْنَاهَا وَفِي مَضْمُونِهَا، الْخِلَاصَةُ الَّتِي نَصَلُّ إِلَيْهَا - وَالْتَأَمِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ - فَهَمُّ فِي أَتَمِّ مَرَاتِبِ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَمُّ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِحْلَاصِ وَالْخُلُوصِ وَالْتَخْلِصِ وَالتَّخْلِصِ، لَقَدْ اسْتَخْلَصَهُمُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، التَّخْلِصُ وَالتَّخْلِصُ هُوَ الْاسْتِخْلَاصُ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتَخْلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ، وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ، وَذَلِكَ هُوَ الْاسْتِخْلَاصُ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتَخْلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ، يَا أَحْمَدُ خَلَقْتِكَ لِي كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْقُدْسِيَّةِ - وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ - وَلَأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، فِي مَرْتَبَةِ الْإِحْلَاصِ وَالْخُلُوصِ وَالْاسْتِخْلَاصِ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ هُمْ يُظْهِرُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، كَيْفَ يُظْهِرُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، هَلْ هُوَ الْإِظْهَارُ اللَّفْظِيُّ؟ نَعَمْ هَذِهِ مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِظْهَارِ أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ بِاللَّفْظِ وَبِالْقَوْلِ وَلَكِنْ هَذِهِ مِنْ أَدْنَى الْمَرَاتِبِ، لَا يُمْكِنُ الْحَدِيثُ هُنَا فِي هَذِهِ الْعُجَالَةِ عَنْ مَرَاتِبِ مَظَاهِرِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَكِنْ سَأَتِي بِأَمْثَلَةٍ:

المثال الأول ما جاء في الآية الرابعة من سورة المائدة ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلُوبَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ هذه كلاب الصيد، الكلاب السلوقية التي تُستعمل للصيد لا بد أن تُعَلَّم والتعليم من الله، هنا مظاهر أمر الله ونهيه في أدون هذه المراتب وما هو أدون منها، هم يُظهرون أمر الله ونهيه في كل مرتبة من المراتب ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ حتى تعليم هذه الجوارح تعليم هذه الكلاب مما علمكم الله ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ﴾ ولكن ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ اذكروا اسم الله، قولوا بسم الله.

اسم الله الذي خلقه فاستقرَّ عنده، فاستقرَّ في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، اذكروا اسم الله، واسم الله واضح دلالتة، أليس البسملة هي العنوان الأجلَى والأوضح لأسم الله، وأليس البسملة كما في حديث سيد الأوصياء تجتمع أسرارها في الباء، وأسرار كل ذلك في النقطة وعليّ هو النقطة صلوات الله وسلامه عليه، نقطة البداية ونقطة النهاية أينما ذهبنا فثَمَّ وجه الله، وأين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء، أين ما تولوا وجوهكم فثَمَّ وجه الله، هناك النقطة، هناك مجلى مُحَمَّدٍ وعليّ، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت، إني فائز منك إليك، لا يمكن الفرار من حكومتك وهذا هو التوحيد ولا يتحقق التوحيد في نفوسنا وفي قلوبنا حتى نستجلي مظاهر أوامر الله ونواهيه - **والمُظهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ** - هذه أدنى مراتب إظهار الأمر والنهي بحسب ما نستشعره ونتلمسه وإلا فدون ذلك مراتب ومراتب أيضاً، وهناك مراتب أعلى وأرقى.

في سورة الأعراف المباركة، هناك منزلة الأمر والنهي في يوم القيامة، منزلة الأعراف، في سورة الأعراف في الآية السادسة والأربعين وما بعدها ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ من هم هؤلاء الرجال ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ يعرفون أهل الجنان وأهل النيران ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ هؤلاء الرجال الذين على الأعراف ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يا عليّ أنت تُدخِلُ أهل الجنان في جناتهم وأنت تُغلق أبواب الجنان، وأنت تُدخِلُ أهل النيران في نيرانهم ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هذا سلام، هذا

جواب للزيارة الجامعة، نحن حين نُسَلِّم على عليٍّ وآل عليٍّ فنقول: السَّلَامُ على الدُّعَاةِ إلى الله، السَّلَامُ على الأَدْلَاءِ على مرضاة الله، السَّلَامُ على التامين في محبة الله، السَّلَامُ على المُسْتَقْرِين في أمر الله، السَّلَامُ على التامين في محبة الله، السَّلَامُ على المُخْلِصِينَ في توحيد الله، السَّلَامُ على مُظْهِرِي أمر الله ونهيه، هذا هو جزاء هذا السلام ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ هذه زيارة، هذه زيارة من آل مُحَمَّدٍ لأشياعهم في الجنان ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ﴿يُخَاطَبُونَ أَهْلَ النَّارِ﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿ييشرون أولياءهم بالجنان وييشرون أعدائهم بالنيران، وهذه معاني جاءت فيها العشرات بل المئات بل أكثر من المئات من النصوص عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، ومن كانت له دراية وخبرة في أفناء حديث أهل البيت فإنه يجد ذلك من البديهيات.

حين نذهب إلى الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول لنرى ماذا يقول أئمتنا صلوات الله عليهم، بعد السند، بعد سنده، عن مُقَرَّنٍ قَالَ: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فقال: - من الذي قال؟ عليٌّ - نحنُ على الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحنُ الأعراف - هذه مجالي أهل البيت، مراتب أهل البيت، مرّة هم الأعراف ومرّة هم رجالُ على الأعراف، فقلت هم مجالي ومظاهره في كل مكان، في كل صقعٍ من أصقاع هذا الخلق، في كل ناحيةٍ من نواحي هذا الوجود - فقال: نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحنُ الأعراف الذي لا يُعرف الله عزَّ وجلَّ إلا بسبيل معرفتنا - قبل قليل قلت بأن الذي لا يوحد الله من باجم ليس بموحد - ونحنُ الأعراف الذي لا يُعرف الله عزَّ وجلَّ إلا بسبيل معرفتنا ونحنُ الأعراف يُعرِّفنا الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، إنَّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرَّفَ العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فمن عدل عن ولايتنا أو عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون فلا سواءً - يا أصحاب العقول يا أصحاب البصائر - فلا سواءً من اعتصم الناس به ولا سواءً حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض - عيون كدرة بعضها يصب في البعض الآخر - وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية - وهذه هي العيون الصافية:

الزيارة الجامعة الكبيرة، الكافي الشريف، البرهان الشريف، هذه هي العيون الصافية، لا تلك العيون الكدرة التي يلققُ بها فلان وفلان وفلان على المنابر وفي الفضائيات ويُقال بأن هذا فكر أهل البيت، هذه هي العيون الصافية - فلا سواءً من اعتصم الناس به ولا سواءً حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاذ لها ولا انقطاع - وهل هناك من عيون صافية أصفى من عيون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، هنيئاً للذين يشربون من هذه العيون الصافية، هنيئاً لنا بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، فوالله ما أدري أأغبط نفسي أم أغبطكم، أم أغبط نفسي وأغبطكم أننا ننهل من هذه العيون الصافية من عيون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ.

رواية أخرى على هذا السياق وعلى هذا المنوال يذكرها شيخنا المجلسي في الجزء الثامن من بحار الأنوار، هو ينقلها عن بصائر الدرجات بسنده: عن سعد الاسكاف قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فقال: يا سعد إنها أعراف لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، وأعراف لا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وأعراف لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم - الكلام واحد نفس كلام سيد الأوصياء ولكن هناك حيثيات يشير إليها أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحيثيات أخرى يشير إليها أبو جعفر الباقر - وأعراف لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم فلا سواء ما اعتصمت به المعتصمة ومن ذهب مذهب الناس ذهب الناس إلى عين كدرة يفرغ بعضها في بعض ومن أتى آل مُحَمَّدٍ أتى عيناً صافية تجري بعلم الله ليس لها نفاذ ولا انقطاع ذلك لأن الله لو شاء لآراهم شخصه حتى يأتوه من بابه لكن جعل الله مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ الأبواب التي يؤتى منها وذلك قوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ - كلمات أهل البيت واضحة وأحاديث أهل البيت واضحة جداً وجليية والمعاني يشد بعضها بعضاً، معاني الكتاب ومعاني العترة وحديث أهل البيت وحديث الكتاب شيء واحد.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وتلاحظون المعاني كلها تشير إلى هذه الحقائق أنهم دُعَاءٌ إِلَى اللَّهِ، أدلاء على مرضاة الله، مستقرون في أمر الله، تامون في محبة الله ومخلصون في توحيد الله ومظهرين لأمر الله ونهيه - والمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ - كان الحديث عن الأعراف عن مظهر من مظاهر أمر الله ونهيه الذي يتجلى في يوم القيامة وفي مواقف يوم القيامة، كُلُّ أَمْرِ اللَّهِ وَكُلُّ نَهْيِهِ يتجلى في هذه الحقائق المُقَدَّسَةِ فِي مُحَمَّدٍ وَآل مُحَمَّدٍ، نحن مثلاً حين نذهب إلى الزيارة الرجبية، الزيارة التي يستحب قراءتها في كل يوم من أيام شهر رجب، في الزيارة الرجبية ونحن نخطبهم: أنا سائلكم وآملككم فيما إليكم

التفويضُ وعليكم التعويضُ فيكم يجبرُ المهيضُ ويُشفى المريضُ وما تزداد الأرحامُ وما تغيضُ - وهذه مظاهر أمر الله ونهيه في التكوين - أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويضُ - الذي يُفَوِّضُ إليه الأمر هو الذي يأمر وينهى - فيما إليكم التفويضُ وعليكم التعويضُ - والذي يُفَوِّضُ إليه التعويضُ فهو يأمر وينهى يُعطي ويمنع - فيكم يجبرُ المهيضُ - المهيض الذي كُسِرَ جناحهُ - ويُشفى المريضُ وما تزداد الأرحامُ وما تغيضُ - ما تغيضُ ما تنقصُ، الزيادة والنقص بأيديهم وبهم وبواسطتهم، والزيادة والنقص أمرٌ ونهي، هم يُظهِرون أمر الله ونهيه، نحن نقرأ في الزيارة: **والمُظهِرِينَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيِهِ** - أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويضُ وعليكم التعويضُ فيكم يجبرُ المهيضُ ويُشفى المريضُ وما تزداد الأرحامُ وما تغيضُ - في زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، الزيارة التي يرويها المُحدِّث القمي في مفاتيح الجنان وهي الزيارة المطلقة الأولى، يرويها عن الكليني عن الكافي الشريف، ماذا يأتي فيها؟

إرادةُ الربِّ في مقاديرِ أمورِهِ تهبطُ إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد - هذه العبارات بحاجة إلى وقفة أن نقف عندها للتدبر والتأمل، **إرادةُ الربِّ وإرادةُ الرب** هي أوامره ونواهيه في كل عالمٍ من العوالم بحسب ذلك العالم، **إرادة الرب** هي ما يريد وما لا يريد وهي **مَجْمَعُ** أوامره ونواهيه، **مَجْمَعُ** ما يحب وما يبغض - **إرادةُ الربِّ في مقاديرِ أمورِهِ** - وما ذاك بغريب إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها، هذه هي المراضى الأوامر النواهي - **إرادةُ الربِّ في مقاديرِ أمورِهِ** - مقادير الأمور في الجانب التكويني وفي الجانب التشريعي، في عالم الطبيعة وفي الملائ الأعلى، في عالم الشهادة وفي عالم الغيب، في الأرض وفي السماوات، في كل سماءٍ وفي الكرسي، وعند العرش وما بعد العرش - **إرادةُ الربِّ في مقاديرِ أمورِهِ تهبطُ إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد** - وكل ما يصدر في تفاصيل أحكام العباد هو يصدر من بيوتكم، والحديث عن بيوتٍ هنا ليس عن بيوتٍ أرضية، البيوت الأرضية أيضاً داخلية في هذا المعنى، وبيوتهم كما في رواياتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن وإنهم لا يجدون لبيوتهم سُقْفاً إلا عرشُ الرحمن، هذا في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - **إرادةُ الربِّ في مقاديرِ أمورِهِ تهبطُ إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمَّا فُصِّلَ من أحكام العباد** - لذلك الزيارة تشير إلى مصاديق وإلى مظاهر من هذا المعنى المُجمل - **من أراد الله بدأ بكم** - لأن الأوامر والنواهي عندهم، فمن يريد أن يتوجه إلى الله لا بد أن يعرف ما يريد وما لا يريد - **من أراد الله بدأ بكم، بكم يُبين الله الكذب** - هذا في جانب العلم والحقائق - **وبكم يُباعِدُ الله الزمان الكلب** - هذا في جانب الأرزاق - **وبكم فَتَحَ اللهُ وبكم يختمُ اللهُ** - وهذا في الوجود - **وبكم يمحو ما يشاء ويُثبِت** - وهذا هو البداء قانون تصريف الوجود - **وبكم يفك الدُّلَّ من رقابنا** - وذلك هو استجابة الدعاء - **وبكم يُدرِكُ اللهُ تِوَرَةَ كُلِّ مؤمنٍ**

يُطَلَّبُ بِهَا - وذلك هو تصريف شؤون العباد - وَبِكُمْ تُنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا - وهذا هو التكوين - وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَرْضُ ثَمَارَهَا، وَبِكُمْ تُنْزِلُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَرِزْقَهَا، وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللَّهُ الْكَرْبَ، وَبِكُمْ يُنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ تُسَبِّحُ الْأَرْضُ - وهذه جزءٌ من دعوتهم - السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ - هم دُعَاةٌ فِي كُلِّ الطَّبَقَاتِ، دُعَاةٌ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ لِكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ وَإِنَّمَا سَبَّحَتِ الْكَائِنَاتُ بَعْدَ أَنْ سَبَّحُوا، وَقَبْلَ قَلِيلٍ مَرَّتْ عَلَيْنَا الرِّوَايَةُ فَحِينَ هَبَطْنَا إِلَى الْأَرْضِ سَبَّحْنَا فَسَبَّحَتِ الْأَرْضُ وَمِنْ عَلَيْهَا - وَبِكُمْ تُسَبِّحُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ وَتَسْتَقِرُّ جِبَالُهَا عَلَى مَرَاسِيهَا - وهذا هو تسبيح الكائنات بتعليمهم وبسببهم وبفيضهم ومنهم وإليهم، وكُلُّ هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَجَلَّى فِي قَوْلِ الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ وَنَحْنُ نَخَاطِبُهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَمِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ - هذه كلمات إمامنا المهادي صلوات الله وسلامه عليه - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ - مصاديق هذا الحق هي هذه المعاني التي نقرأها ونتدبر في معانيها ومضامينها في هذه الزيارة التي نزور بها سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، الرواية رواها المُحَدِّثُ الْقَمِي، الزيارة الأولى من الزيارات المطلقة لسيد الشهداء في مفاتيح الجنان وقد نقلها عن كتاب الكافي لشيخنا أبي جعفر مُحَمَّد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه.

كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي، كُلُّ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ، كُلُّ هَذِهِ الْحَقَائِقِ تُجْمَلُهَا الْكَلِمَةُ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْنَا يَوْمَ أَمَسَ فِي دَعَايِ لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ - وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ - هَذَا الْأَسْمُ الْجَامِعُ الْحَيْطُ كَمَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ - وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ - هَذَا التَّكْرَارُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَعْظَمَ الْوَاحِدَةَ لَوْحَدَهَا لَا تَكْفِي، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللُّغَةَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعَبِّرَ عَنْ عَظَمَةِ هَذَا الْأَسْمِ لِذَلِكَ جَاءَ الْوَصْفُ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، وَالذِّكْرُ الثَّلَاثِي هُوَ أَعْلَى ذِكْرٍ فِي الْأَلْفَاظِ مَعْرُوفٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، حِينَ يَرِيدُونَ تَأْكِيدَ مَعْنَى أَوْ الْحَدِيثَ عَنْ سَعَةَ مَعْنَى أَوْ أَهْمِيَّةَ مَعْنَى يَكْرُرُونَهُ ثَلَاثًا - وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ - فِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى أَنَّ اللُّغَةَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعَبِّرَ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ - الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ - وَهُوَ الْأَسْمُ الْأَكْرَمِ، الْأَكْرَمُ الَّذِي يَفِيضُ كَرَمًا، وَإِنَّمَا يَفِيضُ كَرَمًا كَمَا فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا - وَبِكُمْ تُنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَرْضُ ثَمَارَهَا - إِلَى آخِرِ الْمَعَانِي الْآخَرَى وَالَّتِي أَجْمَلْتَهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ: إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ مِنْ بِيُوتِكُمْ - وَإِرَادَةُ الرَّبِّ هِيَ جَمْعُ أُمُورِهِ وَجَمْعُ نَوَاهِيهِ، هَذَا الْمَقْطَعُ الَّذِي قَرَأْتَهُ فِي دَعَايِ لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ: وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ - هُوَ أَيْضًا مَوْجُودٌ فِي الدُّعَاءِ الَّذِي يُقْرَأُ فِي

نهار يوم السابع والعشرين من شهر رجب.

إنما أكرر هذا الأمر حتى تتضح الصورة عند مُجَيِّ أهل البيت بأن هذه المعاني وهذه الألفاظ ليست يتيمة، هذه متكررة في عشرات بل في مئات من النصوص، أنا هنا لا أستطيع أن آتي بكل النصوص، في نفس مفاتيح الجنان هذه المعاني متكررة عشرات المرات، ومفاتيح الجنان من الكتب المعتمدة جداً، هؤلاء الذين يقولون بأن كتاب المفاتيح لا قيمة له هؤلاء جهلة لا يفهمون شيئاً، هؤلاء لا يعرفون أولاً المُحدِّث القمي من هو، وما هي قيمته بين علماء الحديث، ولا يعرفون أن المُحدِّث القمي نقل هذه النصوص من أمهات المصادر الشيعية، لا يعرفون قيمة المصادر التي جمع منها المحدث القمي هذه النصوص، هؤلاء جهلة لا يفهمون لا يعرفون مصادر الحديث ولا يعرفون أسانيد الحديث ولا يعرفون دلالات الحديث حتى لو كبرت عمائمهم أو طالت لحاهم، العلم لا بالعمائم الكبيرة ولا باللحى الطويلة ولا بكثرة الأموال ولا بالأسماء البراقة في الصحف والفضائيات، العلم في حديث أهل البيت، أئمتنا قالوا: إعرفوا منازل الرجال على قدر ما يُحسنون من رواياتهم عنّا من روايتهم عنّا ومن فهمهم منّا، هناك إحسانٌ في حفظ الرواية والحديث وإحسانٌ في فهم هذه الروايات وفهمهم منّا، لا بد أن يكون هذا الفهم من نفس حديث أهل البيت، أهل البيت وضعوا لنا قواعد وأصول في فهم حديثهم وفي استنطاق كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذلك في بعض الأحيان أنا أشير إلى أكثر من نص، أنا أريد أن أنبه الإخوان والأخوات من مُجَيِّ أهل البيت إلى أن هذه النصوص التي أوردها هذه النصوص متكررة في حديث أهل البيت في الأدعية في الزيارات في الروايات في الخُطب في الكلمات القصيرة بل الكثير منها موجود في كتب المخالفين لكنني لا أحب أن آتي بهذه النصوص من كتب المخالفين.

المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة هذه الروايات موجودة في كتب المخالفين، وربما بعض المشاهدين يتذكر في برنامج الملفّ العلوي حين جئت بكتاب إحقاق الحق وملحقات إحقاق الحق هذا الكتاب المكتبة مشحون بالروايات من كتب المخالفين، والكثير من هذه الروايات يوافق ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة فضلاً عن أنه في بداية الحلقة الأولى، في بدايات برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة والبرنامج موجود بكل حلقاته على الموقع الإلكتروني لقناة الموّدة، في الحلقات الأولى حينما تحدثت عن مصادر هذه الزيارة الجامعة تحدثت عن مصادرها الشيعية والسنية وأوردت المصدر السني وعرضته على التلفزيون الذي أوردَ هذه الزيارة بكامل نصها كما هي موجودة في مفاتيح الجنان، لذلك في بعض الأحيان أنا أشير إلى بعض النصوص في أكثر من موطن لأهمية هذه النصوص ولا يعني أنها وردت فقط في هذين الموردين، وإلا فحديثُ أهل البيت وفيرٌ وكثيرٌ جداً، بهذا يتجلى لنا جانبٌ مما جاء في هذه العناوين الشريفة التي وردت في المقطع الرابع من المقاطع الأولى من الزيارة الجامعة الكبيرة - **والمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ** - وتستمر الزيارة

الشريفة - وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، أعتقد أن الألفاظ واضحة لا تحتاج إلى بيان لغوي، عبادة مُكْرَمُونَ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون هي صورةٌ مُجْمَلَةٌ لكل المعاني التي مرت، فهم تامون في محبة الله وهم مُخْلِصُونَ في توحيد الله وهم مُظْهِرُونَ لأمر الله ونهيه فَهُمْ عِبَادُهُ الْمُكْرَمُونَ وهذه هي صفتهم: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، وتلك هي أوضح صفةٍ في أهل البيت.

هذا المعنى مقتنصٌ من الكتاب الكريم من سورة الأنبياء الآية السابعة والعشرون، الآية السادسة والعشرون، السابعة والعشرون، الثامنة والعشرون ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ هذا الوصف هنا في هذه الآيات في حده الأول هو عن الأنبياء وعن الملائكة، الآية السادسة والعشرون ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ اليهود قالوا بأن الله اتخذ ولداً، النصارى قالوا وأمم أخرى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ لا الملائكة هم أولاد الله ولا الأنبياء أولاد الله، الملائكة والأنبياء ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ هذا الحد الأول من الآية وإلا الحد الأعمق والأوسع هو في مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

الآيات لها مطالع ومجاري، ربما البعض قد لا يتوجه إلى معنى قولي بأن الآيات لها مطالع ومجاري، الأئمة هكذا قالوا، قالوا بأن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر له مطالع ومجاري كمطالع الشمس والقمر، القمر يبدأ هلالاً كالشعرة، يبدأ رفيعاً لوقتٍ قليلٍ ويحتفي، ثم يتدرج إلى أن يصل إلى البدر شيئاً فشيئاً، ومن البدر إلى المحاق حيث يُمَحَقُ فلا يبقى، آيات الكتاب مثل الهلال، هناك بُقَعٌ لا تُضِيءُ لنا وهناك بُقَعٌ تُضِيءُ كما يُضِيءُ الهلال في الليلة الأولى، وهناك مطلعٌ آخر للآية كالهلال في الليلة الثانية، وهناك مطلعٌ للبدر كما هو في منتصف الشهر، فكأن للآية معانٍ ووجوه لها مطالع وكل مطلع يشير إلى جهةٍ إلى جانبٍ من الجوانب، هذا معنى قول الإمام الصادق عليه السلام بأن القرآن له مطالع ومجاري كمطالع الشمس والقمر، كذلك الشمس في مطلعٍ من مطالعها لا يستطيع الإنسان أن يُشَبِّعَ عينيه من الشمس أن يملأ عينيه من الشمس من ضوء الشمس حين تكون الشمس في رائعة النهار، ولكن حين يبدأ القرص بالخروج أو يبدأ القرص بالغياب يمكن للإنسان أن ينظر إلى الشمس فلها مطالع ولها مجاري، آيات الكتاب أيضاً لها مطالع ومجاري، حين نقرأ الآيات في سياقها الأول فدلالاتها على الملائكة وعموم الأنبياء والأولياء وهذا مطلعٌ من

مطالعها، أما المطلع الأوسع والأوضح في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ لذلك الرواية فيها إشارة جميلة، حينما تستمر الآيات ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى، قد يقول قائل إذاً أين شفاعتهم؟! الشفيع من له منزلة وإن كانت إرادتهم هي إرادة الله.

الرواية عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء الخامس من تفسير البرهان، عن الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا

لِمَنْ ارْتَضَى﴾ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه - أي دان بدين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ولكنه ارتكب

المعاصي، وهذا معنى إن الشفاعة لأهل الكبائر من أمّتي، أمّة النبي الذين دانوا بدين عليّ وآل عليّ - ولولاك يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي وكان بعده هدىً من الضلال وحبل الله المتين وصراطه

المستقيم - هكذا نقرأ في دعاء الندبة، وهذه روايات وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله موجودة في

كتب الخاصة والعامة في كتب السنة والشيعة، ولولاك يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي - لا يشفعون إلا

لمن ارتضى الله دينه - الشفاعة لأهل الكبائر من أمّة النبي، وأمّة النبي هم الذين دانوا بدين عليّ وآل

عليّ، نَهَجُوا فِي مَنْهَاجِ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيِّ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ نحن في رواياتنا نجد بأنّ الأنبياء بحاجة إلى شفاعة النبي،

والروايات في هذا الباب موجودة متوافرة عن أهل بيت العصمة، المقام لا يسع بذكرها الآن إن شاء الله نُشِيرُ

إليها في وقتٍ آخر حين يكون الحديث عن الشفاعة، الأنبياء كلهم بحاجة إلى النبي وبحاجة إلى شفاعة النبي

والروايات تحدّثت عن ذلك، لأن الشفاعة لها مراتب ودرجات، ليست الشفاعة فقط هي في الخلاص من

نار جهنم بل هناك شفاعةٌ حتى في نار جهنم، هناك من يكون في نار جهنم فتشمله الشفاعة في أن يخف

العذاب عليه، الشفاعة على مراتب ودرجات، وهناك شفاعةٌ في الجنان في علو المراتب والدرجات، الشفاعة

مراتب ومراتب مراتب هكذا أخبرنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ

ارْتَضَى﴾ الشفاعة ممكن أن تكون للأنبياء هذا في مطلع من مطالع الآية، الآية لها مطالع ومجاري لكن

المطلع الأتم الشفاعة الكبرى هي لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِذَلِكَ هُوَ يَشْفَعُ حَتَّى لِلْأَنْبِيَاءِ، حتى الأنبياء

مُتَّجِعُونَ لِشَفَاعَتِهِ، فالمعنى الأتم والأكمل في هذه الآية في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وفي شفاعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه أورد هذا المضمون وهذا المعنى

الذي أخذهُ واقتنصهُ من هذه الآية الكريمة فأودعهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة، فَتُسَلَّمُ على الأئمة:

وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ - والزيارة هنا تتحدث عن عبودية أهل البيت، لئلا يشتبه البعض فيتصور بأن لأهل البيت مقاماً يُقاسُ بمقام الله، أهل البيت عبيدُ الله في كل مراتبهم، وما الكلمة إلا خلقٌ من خلق الله سبحانه وتعالى، وأهل البيت من دونِ الله لا شيء، شيعية أهل البيت مأخوذةٌ من الله سبحانه وتعالى، لذلك الآية التي بعد هذه الآيات إمامنا الهادي يريد أن يُشير إلى هذه الحقيقة ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَكَ نَجَرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ إمامنا الهادي هنا يريد أن يشير إلى هذه الحقيقة، باعتبار أن المعاني التي تقدمت في المقاطع السابقة وفي هذا المقطع في معنى: التامين في محبة الله، المُخْلِصِينَ في توحيد الله، المُظْهِرِينَ لأمر الله ونهيه، المستقرين في أمر الله كُلُّ هذه المعاني تُشير إلى علو منزلتهم ولكن إمامنا الهادي هنا يريد أن يقول بأن ما عند أهل البيت من منزلة في كل العوالم في كل الطبقات هي بفضلٍ من الله سبحانه وتعالى وهم في مقام العبودية بل إنَّ مقام العبودية الحقيقي ليس إلا لهم وليس إلا فيهم، وحتى هذا المعنى الذي قرأته قبل قليل من الزيارة الجامعة الكبيرة - **والحقُّ معكم وُفيكم ومنكم وإيكم وأنتم أهلُه ومعدنُه** - إنما هو عنوانُ عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، لأنهم في أقصى درجات العبودية جاء الكلامُ في الزيارة الجامعة الكبيرة - **وَدَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ** - إنما دَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لهم لأنهم في أقصى درجات العبودية، ولأنهم في أقصى درجات الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك الإمام هنا يريد أن ينبهنا إلى هذه الحقيقة أننا مهما اعتقدنا في أهل البيت من المراتب ومن المنازل ومن الدرجات فإنَّ ذلك مَرْدَةٌ إلى الله - **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** - هذا الكلام ينطبق علينا وعلى أهل البيت صلوات الله عليهم، الخلقُ مظاهر الحقيقة المُحَمَّدية ومردهم إلى الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة المُحَمَّدية مردها إلى الله سبحانه وتعالى - **وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْلَمُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ** - لأنهم في حقيقة معنى العبودية، ولأنهم في أوضح مجالي العبودية فكانوا هم المظهر الأسمى والأرقى في هذا الخلق فكانوا أسماء الله.

حينما نقرأ في سورة الأعراف في الآية الثمانين بعد المئة ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى: واللام هنا لام الملك، وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا، كما قلت هذه هي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، ماذا يحدُّثنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن الشيخ الكليني عن الكافي: عن معاوية بن عمَّار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنَى التي لا يقبلُ اللهُ من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا - في معنى هذه الآية معاوية بن عمَّار عن الإمام الصادق في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، الرواية ينقلها السيد هاشم عن الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، قال: نحنُ والله الأسماء الحسنَى التي لا يقبلُ اللهُ من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا.

والعياشي رضوان الله تعالى عليه في تفسيره ينقل عن إمامنا الرضا أنه قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: قال أبو عبد الله: نحن والله الأسماءُ الحسنَى الذي لا يقبلُ من أحدٍ إلا بمعرفتنا.

الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص ينقل عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه: إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ - استعينوا بنا أي أجعلونا وسيلة، نحن وسيلتكم إلى الله - إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ - شديدة، شديدة من شدائد الدنيا من شدائد الآخرة، شديدة من شدائد الروح أو من شدائد الجسد، من شدائد الدين أو من شدائد الدنيا اليومية التي نعيشها - إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - فإنهم أسماءُ الله التي نتوسل بها إلى الله.

نحن نقرأ في دعاء علقمة المروي عن الإمام الباقر عليه السلام الذي يُقرأ بعد زيارة عاشوراء - ليس لي وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى - وإمامنا الصادق يقول: نحنُ والله الأسماء الحسنَى التي لا يقبلُ اللهُ من العبادِ عملاً إلا بمعرفتنا، إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ.

أيضاً الشيخ المفيد ينقل في الاختصاص: عن محمَّد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ذاك نفسي، قلت: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال: هما روحي وفاطمة أمهما ابنتي يسوءني ما أساءها ويسرنني ما سرها، أشهدُ اللهُ أني حربٌ لمن حاربهم وسلِّمٌ لمن سالمهم، يا جابرُ إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك فادعُه بأسمائهم فإنها أحبُّ الأسماءِ إلى الله عزَّ وجلَّ - والله يا رسول الله

قسماً بجبينك الزاهر إن أسمائهم هي أحبُّ الأسماء إلينا، إن هذه الأسماء: مُحَمَّدٌ، عَلِيٌّ، فاطمة، حَسَنٌ، حُسين وأسماء أبناء الحسين هُمي أَحَبُّ الأسماء إلى قلوبنا، إنا نتوسل إليك يا رسول الله بهذه الأسماء أن تنظر إلينا بنظر لطفك وكرامتك، هذه هي مودتنا ومودتنا على قدرنا، هذه مودتنا لفاطمة وآل فاطمة، نحن نعلم أن من يحبُّ فاطمة ويُبغضُ أعدائها أَتَكَ تُحِبُّهُ يا رسول الله، نتوسل إليك بِمَحَبَّةِ فاطمة وآل فاطمة وببغض أعداء فاطمة وآل فاطمة.

السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقَرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

صلوات الله عليكم سادتي آل مُحَمَّد، صلى الله عليك سيدي ومولاي وإمامي بقية الله يا وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أيُّها السبب المتصلُّ بين الأرض والسماء، صلوات الله عليه تترادفُ وتزيد صباحاً ومساءً، بهذا يتمُّ الحديث ويتم الكلام في المقطع الرابع من المقاطع الأولى من الزيارة الجامعة الكبيرة، أحباب عليّ وآل عليّ أسألکم الدعاء وإن شاء الله المقطع الخامس أشرعُ فيه في يوم غد نفس الموعد بثُّ مباشر على شاشة قناة المودة الفضائية، برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة غداً في نفس الوقت ألتقيكم على محبة الزيارة الجامعة الكبيرة وعلى محبة إمامنا الهادي وعلى مودة إمام زماننا الحجة بن الحسن، سلامٌ عليكم أيُّها الزهرايون الفاطميون ورحمة الله وبركاته، أسألکم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة الثالثة والعشرون

معنى السَّلامِ عَلَى الأُمَّةِ الدُّعَاةِ وَالقَّادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوَلَاةِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركاتٌ أحبابِ عليٍّ وآلِ عليٍّ أيُّها المنتظرون، هذه الحلقة الثالثة والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، تقدم الكلام في أربعة مقاطع من المقاطع الخمسة التي تُمثِّلُ الأسس في فهم مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، اقرأ هذه المقاطع المُتقدمة على مسامعكم لأجل أن يتربط البحث:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ وَمَهِيْطِ الْوَحْيِ وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ وَخَزَائِنِ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ وَأُصُولِ الْكَرَمِ وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ وَعُنَاصِرِ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ وَسَاسَةَ الْعِبَادِ وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ وَأَبْوَابَ الْإِيْمَانِ وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَصُفُوفَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعِترَةَ خَيْرِةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلامُ عَلَى أُمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التَّقَى وَذَوِي النَّهْيِ وَأَوْلِي الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالِدُّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ اللهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ وَمَسَاكِنِ بَرَكَاتِهِ اللهُ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وهذا هو المقطع الرابع:

السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ وَالْأَدْلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ وَالْمُسْتَقْرِّينَ فِي أَمْرِ اللهِ وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ الْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الحلقات المُتقدمة كانت شرحاً وبياناً وتوضيحاً لمعاني هذه المقاطع الأربعة، المقطع الخامس والذي سَأَسَلُّطُ الضوءَ عَلَيْهِ في هذه الحلقة:

السَّلامُ عَلَى الأُمَّةِ الدُّعَاةِ وَالقَّادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوَلَاةِ وَالذَّادَةِ الْحُمَاةِ وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأَوْلِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ اللهِ وَخَيْرِيَّتِهِ وَحِزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

هذا هو المقطع الأخير من المقاطع الخمسة التي تبتدئُ بها الزيارة الجامعة الكبيرة، المقطع الخامس في وجهٍ من وجوهه فهو يتحدثُ عن مقامات أهل البيت في العالم الأرضي، كُلُّ هذه الأوصاف تتحدث عن مقاماتهم في العالم الأرضي، هذا في وجهٍ من وجوه مضامين المقطع الخامس، وفي وجهٍ آخر المقطع الخامس يُمثِّلُ إجمالاً للمعاني المُتقدمة في المقاطع الأربعة، فكأنه يجمُلُ المعاني ويُعيد صياغتها بصياغةٍ موجزةٍ مختصرة، كُلُّ المعاني التي تقدمت في المقاطع الأربعة فهي مُجملةٌ ومجموعةٌ في المقطع الخامس، حينَ نقرأ في المقطع الخامس: **السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ**، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ فِي المقطع الثاني: **السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى**، وَتَقَدَّمَ أَيْضاً فِي المقطع الثاني: **وَالدُّعَاةَ الْحُسْنَى**، وَتَقَدَّمَ فِي المقطع الرابع: **السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ**، فهناك الأئمة وهناك الدُّعَاة، هناك مادةُ الإمامة وهناك مادةُ الدعوة، موجودةٌ في اللفظ وفي المعنى هي واضحةٌ في قول المقطع الأول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ**، وهذه هي الإمامة والدعوة.

السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ، وهذا الكلام أيضاً مرَّ في المقطع الأول: **وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَالسَّادَةَ الْوَلَاةِ**، وهذا الكلام أيضاً مرَّ: **وَصُفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعُتْرَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَوْصِيَاءَ نَبِيِّ اللَّهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ**، وتلك هي أوصافُ السادة الولاة - **وَالذَّادَةَ الْحُمَاةِ** - وهذا الكلام تقدم في قول المقطع الأول: **وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ**، إلى أن يقول المقطع الأول: **وَأُمْنَاءَ الرَّحْمَنِ، وَالْأُمْنَاءُ هُمُ الذَّادَةُ وَهُمْ الْحُمَاةُ - وَأَهْلَ الذِّكْرِ** - وتقدم الكلام في المقطع الثالث: **وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ - وَأَوْلِي الْأَمْرِ** - وتقدم الكلام في المقطع الرابع: **وَالْمُسْتَقْرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ**، وكذلك تقدم الكلام نفسه في نفس المضمون في المقطع الأول وكذلك في المقطع الثاني: **وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخَيْرِيَّتِهِ وَحُزْبِهِ**، كُلُّ هذا الإشارة فيه إلى ما جاء في المقطع الأول: **وَعَنَّاصِرَ الْأَبْرَارِ وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ**، وكذلك ما جاء في المقطع الثاني: **وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأَوْلِي الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى**، وأيضاً في كهف الورى التضمُّن لمعنى: **وَالذَّادَةَ الْحُمَاةِ - وَعَيْبَةَ عِلْمِهِ** - وتقدم في المقطع الأول: **وَخُرَّانَ الْعِلْمِ**، وكذلك ما جاء في المقطع الثالث: **السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ اللَّهُ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ - وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ** - كُلُّ هذه المضامين تقدمت إما بنفس المادة اللفظية أو بنفس المضمون، لذلك فإن المقطع الخامس في وجهٍ من وجوهه بيانٌ لمقاماتٍ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ في العالم الأرضي، وفي وجهٍ آخر هو إجمالاً لكل المضامين التي تقدمت في المقاطع الأربعة السابقة.

وتلاحظون كيفية التنظيم والدقة في سبك المعاني وفي ترتيب وتخطيط الموضوعات في هذا النص المقدَّس، هذه المقاطع الخمسة هي الأسس والقواعد لفهم نص الزيارة الجامعة، كُلُّ المعاني الأخرى الموجودة في بقية نص الزيارة الجامعة تعود في أصولها إلى هذه المقاطع الخمسة، والمقاطع الخمسة تقدَّم المقطع الأول والثاني

والثالث والرابع كُلُّ مقطعٍ على حِدا في بيان مضامينه ومعانيه يأتي المقطع الخامس ليُجمل هذه المعاني، وكأنه يجمعها بصيغة موجزة كاملة تامة.

السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ - الأئمة والدعاة تقدم الكلام في المعاني اللغوية وفي مضمون الزيارة الجامعة الكبيرة، الأئمة جمعٌ لإمام والإمام هو الحقيقة الجامعة، الإمام تأتي إما من كلمة الأم وهي الأصل، والأم أصلٌ وجامعة، وإما تأتي من كلمة الأم وهو الجمع، لذلك يُقال لمن يجمع الناس، لمن يجمع الناس في الصلاة الجامعة أو في صلاة الجماعة يُقال له إمام، فالإمام إما من الأم وهو الأصل، والإمام هو الأصل، وإما من الأم وهو الجمع، وهو الحقيقة الجامعة، لذلك القرآن يُصرِّح بأن كل شيءٍ قد أُحصي في إمامٍ مبین، في سورة يس وفي آياتٍ أخرى تشيرُ إلى نفس هذه الحقيقة، كُلُّ شيءٍ أحصاه الباري سبحانه وتعالى في إمامٍ مبین، في الإمام الذي هو حقيقةً جامعة - **السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ** - دُعاةٌ بكل لسان، دُعاةٌ بكل فعل، ودُعاةٌ بكل حال ودُعاةٌ بكل حقيقة.

في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول، والرواية عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه وهو يتحدث عن منزلة الإمامة وعن خصائص الإمام فيقول إمامنا الرضا صلوات الله عليه: **إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ** - وإن شاء الله تعالى في الأيام الأخيرة من هذا الشهر من شهر رجب سأشرعُ في أهمِّ المَلَفَاتِ العقائدية في مَلَفِ العِصْمَةِ وهناك يكون الحديث عن الإمامة وعن العِصْمَةِ - **إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّينِ وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَصَلَاحُ الدُّنْيَا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي وَفِرْعَةُ السَّامِيِّ، بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَتَوْفِيرُ الْفِيءِ وَالصَّدَقَاتِ وَإِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَمَنْعُ الثُّغُورِ وَالْأَطْرَافِ** - مراده صلوات الله عليه أن هذه لا يمكن أن تنتظم من دون إمامٍ عالمٍ عادلٍ، لا بد من علمٍ، لا بد من عدالةٍ، والعدالة هي العِصْمَةُ في أجلى معانيها في آل مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وأنَّ هذه الأعمال فضلاً عن أن انتظامها مشروطٌ بالإمام المعصوم فإنَّ قبولها عند الله سبحانه وتعالى مشروطٌ به أيضاً - **الْإِمَامُ يُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ وَيُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ وَيُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ وَيَذُبُّ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلَّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ وَهِيَ بِالْأَفْقِ حَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارُ، الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَالسَّرَاجُ الزَّاهِرُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالنَّجْمُ الْهَادِي فِي غِيَاهِبِ الدُّجَى وَأَجْوَاثِ الْبُلْدَانِ وَالْقِفَارِ وَلُجْجِ الْبَحَارِ، الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَا وَالذَّلَالُ عَلَى الْهُدَى وَالْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى، الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى**

اليفاع - اليفاع المناطق الأرضية المرتفعة، التلال، الهضاب - الإمام النارُ على اليفاع الحارُّ لمن اصطلى به والدليلُ في المهالك من فارقهُ فهالك، الإمام السحابُ الماطر والغيثُ الهاطل والشمسُ المضيئة والسماءُ الظليلة والأرضُ البسيطة والعينُ الغزيرة والغدير والروضة، الإمام الأنيس الرفيق والوالدُ الشفيق والأخُ الشقيق والأُمُّ البرَّة بالولد الصغير ومَفْرَعُ العباد في الداهيةِ النَّئاد - النَّئاد المصيبة الكبيرة - الإمام أمين الله في خلقه وحجته على عباده وخليفته في بلاده والداعي إلى الله والذابُّ عن حُرْمِ الله، الإمام المُطَهَّرُ من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظامُ الدين وعزُّ المسلمين وغيضُ المنافقين وبوار الكافرين، الإمام واحدُ دهره لا يُدانيه أحد ولا يُعادلُه عالم ولا يوجد منه بدَل ولا له مثَلٌ ولا نظير مخصصٌ بالفضلِ كُلِّهِ من غير طلبٍ منه له ولا اكتسابٍ بل اختصاصٌ من المُفَضَّل الوهاب - هذا هو الإمام وتلك هي أوصافه وهذا جانبٌ من شؤوناته في مقاماته الدنيوية، قلت قبل قليل بأن المقطع الخامس في وجهٍ من وجوهه يتحدث عن مقامات أهل البيت وعن شؤوناتهم في العالم الأرضي، وهذه جملةٌ من أوصافهم ومن حالاتهم ومن شؤوناتهم في عالم الأرض.

كلامٌ لإمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضاً في الكافي الشريف: **وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ - الله سبحانه وتعالى جعل الإمام الحجة على عباده، من خطبة طويلة اقتطفُ هذا المقطع - وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ وَقِيَمَهُ فِي بِلَادِهِ وَأَيَّدَهُ بِرُوحِهِ وَأَتَاهُ عِلْمُهُ وَأَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانِهِ وَاسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ وَأَنْبَأَهُ فَضْلَ بَيَانِ عِلْمِهِ وَنَصَبَهُ عِلْمًا لَخَلْقِهِ وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ عَالَمِهِ وَضِيَاءً لِأَهْلِ دِينِهِ وَالْقِيَمَ عَلَى عِبَادِهِ، رضي الله به إماماً لهم استودعهُ سره واستحفظه علمه واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وانتدبه لِعَظِيمِ أَمْرِهِ وَأَحْيَا بِهِ مَنَاهِجَ سَبِيلِهِ وَفَرَائِضَهُ وَحُدُودَهُ فَقَامَ بِالْعَدْلِ عِنْدَ تَحْيِيرِ أَهْلِ الْجَهْلِ وَتَحْيِيرِ أَهْلِ الْجَدَلِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ وَالشِّفَاءِ النَّافِعِ بِالْحَقِّ الْأَبْلَجِ وَالْبَيَانِ اللَّائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ عَلَى طَرِيقِ الْمَنَهْجِ الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ مِنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هَذَا الْعَالَمِ إِلَّا شَقِيٌّ وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا غَوِيٌّ وَلَا يَصْدُهُ عَنْهُ إِلَّا جَرِيٌّ عَلَى اللَّهِ جَلٌّ وَعَلَا - جَرِيٌّ** يعني يتجرأ بالمعصية وبالخروج على الله وبالخروج على ما يريد الله سبحانه وتعالى، هذه المضامين أعتقد أنني تكلمت عنها فيما مرَّ من الحلقات الماضية وقد تقدَّم شرحُ هذه الروايات في برنامج في فناء الكافي الشريف - **السَّلَامُ عَلَى الْأَيِّمَةِ الدُّعَاةِ - هؤلاء هم أئمتنا، تلك هي أوصافهم، أوصافٌ تتكامل في جميع اتجاهاتهم، هم كاملون في حالاتهم النفسية، كاملون في أقوالهم وأفعالهم، كاملون في قلوبهم وعقلوهم، كاملون في أفعالهم وذواتهم وتلك هي العصمة، العصمة هي عصمة القلب وعصمة العقل وعصمة الروح وعصمة الجسد وعصمة اللسان وعصمة الفكر والعلم وعصمة المنطق**

وعصمة التخطيط وعصمة الأوامر والنواهي وعصمة الحركة والسكون وعصمة كل شيء يتعلّق بذواتهم وبعوارضهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، تلك هي العصمة وتلك هي الإمامة وهذه إمامة الدنيا، أما إمامة الكون فذلك معنى أعمق وأبعد وأوسع، إمامة الكون هي إمامة ذلك الأسم الذي خلقه فاستقرّ في ظله عنده فلا يخرج منه إلى غيره كما مرّ علينا في الحلقات الماضية.

السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ - قَادَةٌ، وَلَاةٌ، الْقَائِدُ هو الذي يقود غيره ولا يكون القائد قائداً لغيره ما لم يمتلك المعرفة وإلا كيف يقود غيره؟! الذي يقود غيره إلى مطبات الهلاك وإلى الخُفْرِ الْمُظْلِمَةِ فذلك ليس بقائدٍ حقيقيّةً، القائد هو الذي يقودُ إلى الهدى، أما حينما نسمي أولئك الذين يقودون الناس إلى الضلال قادة وأئمة فإنها تسمية مجازية، التسمية الحقيقية والمعنى الحقيقي للقائد الذي يقود الناس إلى الخير لأن الله سبحانه وتعالى فطر الخلق على الخير، ولأن الله سبحانه وتعالى سبقته رحمته غضبه، ولأن الله سبحانه وتعالى أنشأ هذا الوجود على الجمال وعلى الخيرية، محضُ الخير هو فيضُ الله سبحانه وتعالى، وهذا ينعكسُ على التكوين وعلى التشريع، ينعكسُ على ما يجري في القلوب وعلى ما يجري على الألسنة، ينعكسُ على المخلوقات المادية وعلى المخلوقات المعنوية، ينعكس على اللغات والألسنة والألفاظ، اللغات والألفاظ هي آيةٌ من آيات الله سبحانه وتعالى، القادة في معناها الحقيقي إنما هم قادة الخير ولو أُطلقت القادة والأئمة على أئمة الجور وأئمة الكفر وأئمة النيران فذلك استعمالٌ فيه شيءٌ من المُسَامَحَةِ، لأن القائد الحقيقي هو الذي يقود الخلق إلى الرضا وإلى الخير وإلى الصلاح وهم أئمتنا.

السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ، فالإمامة لهم والدعوة لهم وهي قائمةٌ بهم، فهم أئمةٌ دُعاة، والقيادة لهم، مرّ علينا في المقطع الأول: **وَقَادَةَ الْأَمَمِ وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ**، هم قادةٌ للأمم لأيّ شيءٍ؟ لأنهم أولياءُ النعم، ما عند الأمم من النعم فهي منهم، هم قادة الأمم والأمم اصطلاحٌ ليس مخصوصاً بالبشر، القرآن يُعبّر عن كُُلِّ الكائنات بأنها أممٌ أمثالنا - **وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ** - لهم القيادة وإنما كانت لهم القيادة لأن الهداية بأيديهم ولأنهم هم مصابيحُ الهدى وتلك هي القيادةُ الحَقَّةُ، القيادة التي تملك الهدى وتملك الهداية، أيُّ قائدٍ هذا الذي لا يعرفُ معاني كتاب الله سبحانه وتعالى في حدودها اللفظية؟! لا أريد الحديث عن هذه النماذج المُغرِقة في الضلال والجهل - **السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ** - هم أولياءُ النعم وهم سادةُ الخلق فهم ذريةُ رسول الله صلى الله عليه وآله، وحين أتحدث عن أنهم ذريةُ رسول الله ذريتهُ ذريةُ العصمة فضلاً عن ذرية اللّحمة، هم أبناءُ من جهة اللّحمة وهم أبناءُ من جهة العصمة، هم ورثةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله من جهة النبوة والولاية والإمامة والعصمة والعلم والفهم، وهم ورثتهُ من جهة النَسَبِ فكلُّ نبي ذريتهُ من صُلبه وذريتي من صُلبِ عليّ صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين - السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوَلَاةِ وَالذَّادَةَ الْحُمَاةِ - هُمُ الدَّادَةُ وَهُمْ الْحُمَاةُ، الذَّادَةُ هُمُ الدَّافِعُونَ لِكُلِّ نَقْصٍ وَالدَّافِعُونَ لِكُلِّ شَرٍّ عَنِ أَوْلِيَائِهِمْ، عَنِ النَّاسِ جَمِيعاً وَعَنِ أَوْلِيَائِهِمْ بِنَحْوٍ خَاصٍ، هُمُ ذَادَةٌ وَحُمَاةٌ، كَلِمَاتُ أَهْلِ بَيْتِ الْعِصْمَةِ كُلِّهَا تَفُوحُ بِهَذِهِ الْمَعَانِي وَتَتَجَلَّى فِيهَا هَذِهِ الصُّورُ جَلِيَّةٌ وَاضِحَةٌ.

فِي الْكَافِي الشَّرِيفِ بِسَنَدِهِ: عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ دَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادَةٍ يُجَاهِدُ فِيهَا نَفْسَهُ وَلَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَسَعِيهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحِيرٌ وَاللَّهُ شَانِيٌّ لِأَعْمَالِهِ وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ شَاةٍ ظَلَّتْ عَنْ رَاعِيهَا وَقَطِيعُهَا فَهَجَمَتْ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً يَوْمَهَا فَلَمَّا جَنَّهَا اللَّيْلُ بَصُرَتْ بِقَطِيعِ غَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَاغْتَرَتْ بِهَا فَبَاتَتْ مَعَهَا فِي مَرْبُضِهَا، فَلَمَّا أَنْ سَاقَ الرَّاعِي قَطِيعَهُ أَنْكَرَتْ رَاعِيهَا وَقَطِيعُهَا فَهَجَمَتْ مُتَحِيرَةً تَطْلُبُ رَاعِيهَا وَقَطِيعُهَا، فَبَصُرَتْ بِغَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَاغْتَرَتْ بِهَا فَصَاحَ بِهَا الرَّاعِي الْإِحْقِي بِرَاعِيكَ وَقَطِيعِكَ فَأَنْتِ تَائِهَةٌ مُتَحِيرَةٌ عَنِ رَاعِيكَ وَقَطِيعِكَ فَهَجَمَتْ ذَعِرَةً مُتَحِيرَةً تَائِهَةً لَا رَاعِي لَهَا يَرشُدُهَا إِلَى مَرعَاها أَوْ يَرُدُّهَا، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ اغْتَمَّ الذَّنْبُ ضِعِيعَتَهَا فَأَكَلَهَا، وَكَذَلِكَ وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدُ - الْإِمَامُ يَخَاطَبُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ - وَكَذَلِكَ وَاللَّهُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ظَاهِرٌ عَادِلٌ أَصْبَحَ ضَالًّا تَائِهًا وَإِنْ مَاتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ مَيْتَةً كُفْرًا وَنِفَاقًا - هُمُ الدَّادَةُ الْحُمَاةُ الَّذِينَ يَحْمُونَنَا مِنْ أَنْ نَمُوتَ مَيْتَةَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ - اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ظَلَلْتُ عَنْ دِينِي، اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّنِي مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً - مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً.

هُمُ الدَّادَةُ الْحُمَاةُ، هُمُ الَّذِينَ يَذُودُونَ عَنَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَذُودُونَ عَنَّا فِي قُبُورِنَا، فِي رَوَايَاتِنَا حِينَما يَحْتَضِرُ الْإِنْسَانَ وَحِينَما يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِي النَّزْعِ الْأَخِيرِ وَهُوَ يُفَارِقُ هَذِهِ الدُّنْيَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْمَوْحِشَةِ الْمَخِيفَةِ الْمَرْعَبَةِ هُوَ الْمُطَّلِعُ أَكْثَرَ شَيْءٍ سَيُرْعَبُ الْإِنْسَانَ، الرَوَايَاتُ تُخْبِرُنَا بِأَنَّ أُمَّتَنَا يَحْضُرُونَ بِأَنَّ سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ يَحْضُرُ لِيَكُونَ سَبَبًا لِاطْمَئِنَانِ نَفُوسِ أَوْلِيَاءِهِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿إِنَّمَا يَحْصِلُ الْاطْمَئِنَانُ﴾ ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ فِي وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِ هَذِهِ الْآيَةِ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، النَّفُوسُ الَّتِي آمَنَتْ بِعَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ وَيَحْضُرُ عَلِيُّ عِنْدَهَا وَيَكُونُ عَلِيُّ سَبَبِ اطْمَئِنَانِهَا، هُمُ ذَادَةٌ وَحُمَاةٌ فِي الْقَبْرِ، فِي الْقَبْرِ حِينَ تَأْتِي أَعْمَالُ الْعَبْدِ وَحِينَ يَأْتِي السُّؤَالُ وَحِينَ يَأْتِي الْحِسَابُ فَتَتَقَدَّمُ الصَّلَاةُ وَلَا تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ، الرَوَايَاتُ هَكَذَا تُخْبِرُنَا، وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ وَكُلُّ أَعْمَالِهِ حِينَئِذٍ تَتَقَدَّمُ الْوَلَايَةَ لِعَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ، تَقُولُ إِنِّي لَهُ هِيَ الَّتِي تُدَافِعُ عَنَّا فِي قُبُورِنَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، وَالْأَحَادِيثُ مُتَوَاتِرَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ فِي هَذِهِ الْمَضَامِينِ عَنِ أَهْلِ بَيْتِ الْعِصْمَةِ، الرَوَايَاتُ كَثِيرَةٌ جَدًّا

جداً جداً في هذه المضامين إنهم سيقفون لنا عند الصراط عند الميزان عند تطائر الصحف في كل تلكم المواقف الصعبة والمذهلة والمخيفة والمرعبة والمُفزعَة هناك سنجد مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّد.

اللَّهُمَّ إِنَّا نُقَسِّمُ عَلَيْكَ بِجِبِينِ مُحَمَّدٍ الزَّاهِرِ أَنْ تُعَرِّفَنَا وَجْهَ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ عِنْدَ الْاِحْتِضَارِ وَلَيْلَةَ الْوَحْشَةِ فِي قُبُورِنَا وَعِنْدَ مَوَاقِفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عِنْدَ الصَّرَاطِ وَعِنْدَ الْمِيزَانِ وَعِنْدَ تَطَائِرِ الصَّحَفِ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنَا عَلِيًّا وَآلَ عَلِيٍّ عِنْدَ أَبْوَابِ الْجَنَانِ وَاجْعَلْنَا جِيرَانًا لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، هُوَ بَشَرْنَا بِذَلِكَ، يَا عَلِيُّ وَشِيعَتَكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ وَهُمْ جِيرَانِي فِي الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ أَمْتِنَا عَلَى وَايَةِ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ وَاحْشِرْنَا عَلَى وَايَةِ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ.

واعلم يا مُحَمَّد - لا زال الحديث مع مُحَمَّد بن مسلم - واعلم يا مُحَمَّد أَنْ أُمَّةَ الْجَوْرِ وَأَتْبَاعِهِمْ لَمَعزُولُونَ عَنِ دِينِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا فَأَعْمَالُهُمْ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا كَرَمَادٍ اشْتَدَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ - وذلك هو القانونُ الإلهي والسُنَّةُ الإلهية التي جعلها الباري سبحانه وتعالى في خلقه وعباده.

الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، أيضاً في الكافي الشريف - أباي الله أن يُجْري الأشياء إلا بأسباب فجعل لكل شيء سبباً وجعل لكل سببٍ شرحاً وجعل لكل شرحٍ علماً وجعل لكل علمٍ باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجَهَلَهُ من جَهَلَهُ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ - هُمُ آلُ مُحَمَّدٍ، هذا السببُ الذي به النجاة وبه الهداية، لذلك نحنُ نناجي إمام زماننا في دعاء النُذْبَةِ: أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، كَلَامٌ صَرِيحٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ، إمامنا الصادق هنا يبين لنا هذه الحقيقة - أباي الله أن يُجْري الأشياء إلا بأسباب - وهذا هو قانون السببية في هذا الوجود - فجعل لكل شيء سبباً وجعل لك سببٍ شرحاً وجعل لكل شرحٍ علماً وجعل لكل علمٍ باباً ناطقاً - والرواية فيها إشارة واضحة إلى الولاية التكوينية لأنَّ هذا الباب الناطق بابٌ يستولي علمه وهو علمٌ ناطق، علمٌ حقيقي يستولي على العلم والشروح والأسباب، الرواية هكذا قالت: أباي الله أن يُجْري الأشياء إلا بأسباب فجعل لكل شيء سبباً وجعل لك سببٍ شرحاً - حقيقة - وجعل لكل شرحٍ علماً - وهذا العلم علمٌ ناطق وليس علماً صامتاً يُكْتَبُ بِالْأَقْلَامِ عَلَى الْأَوْرَاقِ - وجعل لكل علمٍ باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجَهَلَهُ من جَهَلَهُ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ وَنَحْنُ - صلوات الله على رسول الله وعلى آله الأطهار، هؤلاء هم الذين تُحَدِّثُنَا الزِّيَارَةَ الْجَامِعَةَ الْكَبِيرَةَ فَتَعَلَّمْنَا كَيْفَ نَخَاطِبُهُمْ: السَّلَامُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوَالِيَةِ وَالذَّادَةَ الْحُمَاةَ - أولئك هم الذين يحموننا، أولئك هم أهلُ الذكر وهم أولوا الأمر - وَأَهْلُ الذِّكْرِ وَأُولِي الْأَمْرِ.

الرواية في الكافي الشريف أيضاً: عن عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله المُنذِرِ وَعَلِيِّ الْهَادِي،

أما والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة - الهداية فيهم ومنهم وإيهم وبهم صلوات الله عليهم - رسول الله المُنذر وعليّ الهادي أما والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة - ما زالت فينا إلى الساعة إلى ساعة يوم القيامة أو إلى الساعة إلى الساعة التي كان فيها يتحدث الإمام صلوات الله عليه وفي كل ساعة، هم الحجّة المُنطقة على أهل السماء وعلى أهل الأرض وتلك من بديهيات عقائدنا نطقت بها روايات أهل البيت وزياراتهم الشريفة.

لذا حين نتصفح كتاب الكافي الشريف فماذا نجد؟ عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا حمزة يخرج أحدكم فراسخ - فراسخ جمع لفرسخ وهي قياسات قديمة، قياسات الأطوال والمسافات، الفرسخ يعادل في زماننا ربما خمس كيلومترات - يا أبا حمزة يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً وأنت - والخطاب ليس لأبي حمزة فقط، الخطاب للإنسان - وأنت أيها الإنسان بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض فاطلب لنفسك دليلاً - هؤلاء الأدلة هم القادة الهداة - السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ - هؤلاء هم الأدلة الذين يتولون أمورنا وهم أولى بنا من أنفسنا - وَالذَّادَةَ الْحُمَاةَ وَأَهْلَ الذِّكْرِ وَأَوْلِيَ الْأَمْرِ - هؤلاء هم الذين يتحدث عنهم إمامنا الصادق، أبو بصير يتحدث ويقول: إن الإمام الصادق عليه السلام قال في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام - طاعة الله ومعرفة الإمام لأنها تقود إلى الرضوان تقود إلى الهدى، في المقطع السابق: السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَدِلَاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ - وتلك هي الحكمة بعينها وبتمام معناها.

رواية قصيرة مراراً وتكراراً أذكرها وأذكرها اليوم أيضاً: عن أبي بصير قال: قال لي أبو جعفر: هل عرفت إمامك؟ قال: قلت: أي والله قبل أن أخرج من الكوفة، فقال: حسبك إذاً فلقد بلغت الهدى - فقال: حسبك إذاً، يكفيك ما وصلت إليه من المعرفة، حسبك إذاً تتجلى في هذا المقطع: السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ - أئمة حقُّ دُعَاةُ حق - وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ وَالذَّادَةَ الْحُمَاةِ - كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مَجْتَمِعَةٌ عِنْدَهُمْ - وَأَهْلَ الذِّكْرِ وَأَوْلِيَ الْأَمْرِ وَبَقِيَّةَ اللَّهِ وَخَيْرَتِهِ - هم خيرة خلقه - وَحِزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ - من يعرف هذه المعاني ألا يُقال له حسبك إذاً؟ هي هذه المعرفة التي قال عنها باقر العترة لأبي بصير حسبك إذاً، لأن أبا بصير كان يعرف الإمام بهذه الأوصاف: أئمة حق، دُعَاةُ حق، قَادَةُ حق، هُدَاةُ حق، سَادَةُ حق، وِلَاةُ حق وذَادَةُ حق، وَحُمَاةُ حق وأهل الذكر بحق وأولي الأمر بحق وبقِيَّةِ اللَّهِ بِحَقِّ وَخَيْرَةِ اللَّهِ بِحَقِّ وَحِزْبِ اللَّهِ بِحَقِّ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ بِحَقِّ وَحُجَّتِهِ بِحَقِّ وَصِرَاطِهِ بِحَقِّ وَنُورِهِ بِحَقِّ وَبُرْهَانِهِ

بحقّ، لذا نحن نخطبهم فنقول: **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ**، لأنّ الحقّ بكل مظهره وبكل اتجاهاته وبكل نواحيه فيكم ومنكم وإليكم ولا يخرج الحق إلا منكم ولا يعود الحق إلا إليكم، لذلك كانوا أئمةً وكانوا قادةً وكانوا قادةً للهداية وكانوا سادةً وكانوا أولياء النعم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه هي المعرفة التي قال عنها الإمام يُخاطبُ أبا بصير: **حسبك إذاً - هل عرفت إمامك؟ قال: قلت: أي والله قبل أن أخرج من الكوفة، فقال: حسبك إذاً -** ولذا حين نستمر في قراءة هذه الأوصاف في هذا المقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة آخر عنوان: **وَبُرْهَانِهِ**، هم برهان الله والبرهان هو الدليل الواضح، الدليل الساطع البين، نظرة سريعة لبعض من العناوين الوقت لا يكفي أن أتناول كلّ ما جاء من العناوين في كتاب الكافي الشريف، يمكنكم أن تراجعوا الفهرست لتروا العناوين التي تحدّث عنها أهل البيت وجمعها الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه ومع ذلك فهو يعتذر عمّا جمع من روايات في كتاب الحجّة، حين نذهب إلى كلام الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه، ماذا يقول في نهاية المقدمة؟

المقدمة التي كتبها الشيخ الكليني يقول: **ووسعنا قليلاً كتاب الحجّة - وهو الكتاب الذي يتحدّث فيه عن مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ - ووسعنا قليلاً كتاب الحجّة وإن لم نُكْمَلْهُ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ - هو يعتذر عن عدم تكميله على استحقاقه - ووسعنا قليلاً كتاب الحجّة وإن لم نُكْمَلْهُ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِأَنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَبْحَسَ حَظُّوْهُ كُلَّهَا - هو يقول بأنني قد بحسّ حظّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ في هذا الكتاب، هذا كلام الكليني رضوان الله تعالى عليه، الكليني وما أدراك ما الكليني، هذا الكتاب الذي بين يدي كتاب الكافي معجزة من معجزات المعرفة والعلم، هذا الكتاب لا يعرف قيمته إلا من كانت له معرفة بحديث أهل البيت - ووسعنا قليلاً كتاب الحجّة وإن لم نُكْمَلْهُ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِأَنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَبْحَسَ حَظُّوْهُ كُلَّهَا - يعني يقول إنني ذكرت شيئاً من حقّ الحجّة من حقّ هذا الكتاب من حقّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فإنني لا أريد أن أبْحَسَ كُلَّ الحظوظ لهذا الكتاب ولهذا العنوان - لِأَنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَبْحَسَ حَظُّوْهُ كُلَّهَا وَأَرْجُو أَنْ يُسَهَّلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ إِمضاء ما قدّمنا من النية إن تأخر الأجل صنّفنا كتاباً أوسع وأكمل منه نوفيهِ حقوقَهُ كُلَّهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - يعني إن ما ذكره الكليني هو يقول بأنه قد بحسّ مُحَمَّداً وَآلِ مُحَمَّدٍ حظوظهم وحقوقهم، ولذا هو في نيته أن يكتب كتاباً مفصلاً، إنما أقول هذا الكلام لأولئك الذين يقولون بأن كتاب الكافي مشحونٌ بروايات الغلو، وأنا لا أعني هنا المخالفين، أعني أولئك الذين يتمشّدون بالعلم ويتفقهون برؤوسنا على أنهم يفهمون ويعرفون حديث أهل البيت، من داخل الوسط الشيعي، الكليني نفسه يعتبر نفسه قد بحسّ حظوظ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، والوقت لا يكفي لأن أقرأ العناوين التي أوردها الكليني، يمكنكم أن تراجعوا العناوين، أنا أشير إلى نماذج من هذه العناوين، من هذه العناوين:**

أَنَّ الأئمة شُهداءُ الله عَزَّ وَجَلَّ على خلقه - شُهداء: كيف يكونوا شهداء ما لم يكن لهم علمٌ بما مضى وما هو الآن وما سيأتي - في أن الأئمة شهداءُ الله عَزَّ وَجَلَّ على خلقه.

أَنَّ الأئمة هم الهداة.

أَنَّ الأئمة وُلَّاهُ أمر الله وَخَزَنَتْهُ علمه.

أَنَّ الأئمة خلفاءُ الله عَزَّ وَجَلَّ في أرضه وأبوابه التي منها يُؤتى.

أَنَّ الأئمة نورُ الله عَزَّ وَجَلَّ.

أَنَّ الأئمة هم أركانُ الأرض.

أَنَّ الأئمة هم العلامات التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه.

أَنَّ الآيات التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه هُمُ الأئمة، يعني: حيثما قال آياتُ الله، آياتي، آياتنا، هم الأئمة.

أَنَّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة.

أَنَّ الراسخين في العلم هم الأئمة.

أَنَّ من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة.

أَنَّ النعمة التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الأئمة، حيثما قال نعمة فهم الأئمة.

أَنَّ الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.

وَأَنَّ ... وَأَنَّ ... وَأَنَّ ...

الفهرست طويل، هذه نماذج مما ذكره الشيخ الكليني في كتاب الحجّة من كتاب الكافي الذي قال عنه في المقدمة بأنه قد بَحَسَ حظوظ هذا الكتاب، قد بَحَسَ حظوظ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في هذا الكتاب، فأولئك الذين لا يفهمون ولا يعون ما قاله أهل البيت يأتون فيقولون بأنّ ما جاء في كتاب الكليني فيه الكثير من الغلو، وها هو الكليني رضوان الله تعالى عليه، أتعلم أيُّها المُحِبُّ بأنّ الكليني متى توفي؟ توفي الكليني سنة: 328، أي قبل وفاة السفير الرابع علي بن مُحَمَّد السَمَرِي، عليُّ بن مُحَمَّد السَمَرِي السفير الرابع النائب الخاص للإمام الحجّة توفي سنة: 329، يعني أن الغيبة الكبرى ابتدأت سنة: 329 في شهر شعبان من سنة: 329 ابتدأت الغيبة الكبرى، وأنّ الشيخ الكليني توفي قبل ذلك بسنة سنة: 328، يعني توفي في زمان الغيبة الصغرى، أتعلم بأنّ النُوب الأربعة كانوا في بغداد وأنّ الكليني كان يعيشُ في بغداد أيضاً وقبره معروفٌ في بغداد؟ قبرُ الكليني، أتعلم بأنّ الكليني قَضَى أكثر من عشرين سنة جَمَعَ فيها كتاب الكافي في بغداد؟ أتعلم بأنّ الكليني جعل من كتاب الكافي رسالةً عملية؟ هو يقول في مقدمة كتابه، ماذا يقول؟

يتحدث في مقدمة كتابه فيقول: بأنّ هذا كتابٌ كافٍ، كافٍ في الجانب العملي في الجانب العبادي في

الجانب العقائدي في الجانب الأخلاقي، هو يقول ذلك في مقدمته وفي حديثه في بداية الكتاب، يقول: وذكرت أن أموراً قد أشكلت عليك لا تعرف حقائقها لاختلاف الرواية فيها، وأنتك تعلم أن اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها وأسبابها، وأنتك لا تجدُ بحضرتك من تُذكرُهُ وتُفاوضُهُ ممن تثقُ بعلمه فيها، وقلت إنك تُحبُّ أن يكون عندك كتابٌ كافٍ يُجمَعُ فيه من جميع فنون علم الدين ما يكفي به المُتعلّم ويرجع إليه المُسترشد ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسُنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدي فرضُ الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيه وقلت لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً يتداركُ الله تعالى بمعونته وتوفيقه إخواننا وأهل ملتنا ويُقبِلُ بهم إلى مرشدهم، رسالة عملية، بل إنَّ الكلام الذي ذكرُهُ هنا أوضح وأقوى من الكلام الذي يكتبه الفقهاء في بداية الرسائل العملية، ماذا يكتب الفقهاء في بداية الرسائل العملية؟

إنَّ العمل بهذه الرسالة مُجزئ ومُبرئ للذمَّة، مُجزئ ومُبرئ للذمَّة إن شاء الله تعالى ثم يحتم الفقيه بحتمه على بداية الرسالة العملية، أتعرف معنى مُجزئ ومُبرئ للذمَّة؟ يعني إنَّ الفقيه ليس متأكداً من صحة ما كتبه في الرسالة العملية، هذا هو معناه، حينما يكتب في بداية الرسالة إنَّ العمل بهذه الرسالة مُجزئ ومُبرئ للذمَّة يعني أنَّه ليس متأكداً من صحة ما كتب وإنما هو غاية ما توصل إليه، فيرجوا أن يكون هذا العمل مُبرئ للذمَّة العامل به، أما كلام الكليني هنا بشكلٍ قاطع واضح، اسمعوا إلى كلامه ماذا يقول: **ويأخذُ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين.** هو يقطع بصحة ما ذكره في هذا الكتاب، أنا هنا لا أريد أن أقول بأنني أعتقدُ بصحة كُلِّ كلمةٍ في هذا الكتاب أبداً، نحن كُلُّ كلامٍ نناقشه، لكن هؤلاء الذين لا يفقهون ولا يعرفون حديث أهل البيت فيصفون هذا الكتاب بالغلو ويصفون هذا الكتاب بأن فيه الحشو الكثير، مؤلف هذا الكتاب صرف أكثر من عشرين سنة في زمانٍ كانت الأصول المنقولة عن الأئمة موجودة الأصول الأربعمئة، وعاش في بغداد مع النواب مع نواب الإمام الحُجَّة، فهل يُعقل أنه ما عرضَ هذا الكتاب إذا كان يريد من هذا الكتاب أن يكون رسالة عملية لشيعة أهل البيت!! هذا الكلام ألا يدل على قاطعية، هذا الكلام ألا يدل على وضوح من الصورة والفكر عند الكليني حينما يقول: **ويأخذُ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين والسُنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدي فرضُ الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيه وقلت لو كان ذلك رجوت أن يكون ذلك سبباً يتداركُ الله تعالى بمعونته وتوفيقه إخواننا وأهل ملتنا ويُقبِلُ بهم إلى مرشده.** هذا هو كلامُ الكليني في بداية كتابه الذي هو الرسالة العملية لشيعة أهل البيت في ذلك العصر، والكلام كُتِبَ هذا الكتاب في زمان الغيبة الصغرى، يعني رسالة عملية لشيعة أهل البيت في زمان الغيبة الصغرى في زمان التشريع في زمان الإمام

الحجة حيثُ النواب الخاصون، هذه خصوصية كتاب الكافي، لذلك ترون دائماً أنني أرجع إلى هذا الكتاب ودائماً تكون البداية والنهاية عند هذا الكتاب عند كتاب الكافي الشريف، هذا الكتاب معجزة كتب الحديث، من يعرف قيمة كتاب الكافي وما جمع فيه، ما ترك صغيرة ولا كبيرة مع أنه لم يجمع كلَّ الحديث، من خلال التجربة والبحث في كتب الحديث لو أخذت أيَّ موضوع من الموضوعات وجمعت الأحاديث في هذا الموضوع قد لا أجد في كتاب الكافي إلا روايتين أو ثلاث وفي بعض الأحيان رواية واحدة لكن هذه الرواية جامعة لكل مضامين الروايات الأخرى وهذه القضية ظاهرة وواضحة في كتاب الكافي، إن كان في جنبته العقائدية، الأخلاقية، التاريخية، أو في الجنبه الفقهيّة أيضاً، وربما نتحدث عن هذا الكتاب في وقتٍ آخر، لكن الذي حداني للحديث عن هذا هو ما قاله في المقدمة من أنه قد بَحَسَ حظوظ كتاب الحُجَّة، يعني بعبارة أخرى هو يرى في نفسه أنه قد بَحَسَ حظوظ أهل البيت في هذا الكتاب، إذا كان صاحب الكتاب هو هكذا يعتقد، فهؤلاء الذين يأتون فيقولون بأن هذا الكتاب مشحون بالغلو من أين جاءوا بهذا الكلام؟! وصاحبُ هذا الكتاب عاش في زمان التشريع في زمان الغيبة الصغرى، هل يُصدق أحد، هل يقبل أحد بأن شخصية كشخصية الكليني يجمع كتاباً رسالة عملية لشيعه أهل البيت وهناك طريق يستطيع أن يعرف بأن ما جمعه مقبول عند أهل البيت أو غير مقبول ولا يعرض هذا الكتاب على تلك الجهة، هل يُقبل هذا هل يكون هذا الأمر منطقياً؟!

وهو عاش في بغداد في مدينة واحدة مع نواب الإمام الخاصين وتوفي قبل وفاة السفير الرابع، وهناك مطالب وقرائن أخرى تخص هذا الموضوع، أنا لا أريد الآن الحديث عنها وإنما أتحدث في وقتٍ آخر إن شاء الله عن شخصية الكليني وعن كتاب الكافي الشريف وعن أهم المضامين التي تطرَّق إليها هذا الكتاب الشريف، كُلُّ هذه المضامين العناوين تتحدث عن معنى أنهم برهانُ الله في هذا الوجود وأنهم برهان الله في هذا الخلق - وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأَوْلِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةَ اللَّهِ وَخَيْرَتَهُ وَحِزْبِهِ وَعَيْبَةَ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتَهُ - كُلُّ العناوين متقاربة في الدلالة والمعنى وإن كان كل عنوان ينظر إلى جهة معينة إلى حيثية معينة ولكنني كما قلتُ قبل قليل كُلُّ هذه العناوين قد مرَّ الحديثُ عنها بشكلٍ مفصَّل في المقاطع السابقة - وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأَوْلِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةَ اللَّهِ - هذا العنوان لم نتحدث عنه: وَبَقِيَّةَ اللَّهِ.

وسوف لا أتحدث عن هذا العنوان في هذه الحلقة، هذا العنوان عنوانٌ مهم، هذا عنوان أهل البيت بنحوٍ عام وعنوان إمام زماننا الحجة بن الحسن بنحوٍ خاص، الكثيرون يرددون هذا العنوان، يرددون هذه اللفظة ولا يعرفون دلالتها، ولا يعرفون معناها الواسع، لذلك لن أتحدث الآن عن هذه اللفظة عن هذا العنوان وأتركه إلى أيام شعبان، شهر شعبان حيثُ أحاديثنا وبرامجنا عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه سأحدث بشيءٍ من التفصيل عن هذا الأسم الشريف بقية الله، هذا العنوان هو عنوانٌ لأهل البيت عموماً

كما في هذه الزيارة الكريمة - وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخَيْرَتِهِ - ولكن هو له خصوصية متعلقة بإمام زماننا، في أيام شعبان في شهر شعبان سَأَسْهَبُ في الحديث عن هذا العنوان إن شاء الله تعالى بتوفيقٍ من إمام زماني صلوات الله وسلامه عليه.

وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأُولِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخَيْرَتِهِ - ومَرَّ الكلام عن أنهم خيرة خلق الله، مَرَّ الحديث في المقطع الأول: وَعْتَرَةَ خَيْرَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، خَيْرَةَ رب العالمين هو مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهم نفسُ مُحَمَّدٍ، هم عترته، هم حقيقة مُحَمَّدٍ، فكما أَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرَةَ رب العالمين فهم خيرة رب العالمين، فاطمة روحه التي بين جنبيه، وحسنٌ وحسينٌ مُهَجَّة رسول الله وعينا رسول الله وروح رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليٌّ نفسه وجلدة ما بين عينيه كما يقول صلى الله عليه وآله: عليٌّ جلدة ما بين عيني، وعليٌّ منه بمنزلة الرأس من الجسد هكذا أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين سأله سائلٌ، الروايات تحدثنا: سأل سائلٌ النبي عن أصحابه فبدأ النبي يتحدث عن أصحابه فلانٌ كذا، فلانٌ كذا، ذكر من فضلهم، من فضل خيرة أصحابه، فقال السائل: يا رسول الله ما ذكرت عليًّا؟ قال: عليٌّ نفسي، إنما سألتني عن أصحابي، ذاك هو نفسي عليٌّ نفسي، عليٌّ رُوحِي التي بين جنبي، أنا عليٌّ وعليٌّ أنا، وهذا المعنى ينطبق على كل العترة المعصومة، هذا المعنى ينطبق على كل الذين نورهم ونخاطبهم في هذه الزيارة الجامعة الكبيرة، في هذا القول البليغ الكامل الذي فاضت به شفاؤه إمامنا الهادي النقي صلوات الله وسلامه عليه - وَخَيْرَتِهِ وَحَزْبِهِ - هم حزبُ الله، هذا العنوان عنوانٌ خاصٌّ بأهل البيت يُطلق على أشياع أهل البيت، إطلاقه على أشياع أهل البيت إطلاقٌ على سبيل التَّفَضُّلِ عليهم وإلا حزبُ الله هم أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا المعنى كعنوان المؤمن، المؤمن، لفظة المؤمن ما معناها؟

لفظة المؤمن نحن نستعملها فيمن يؤمن، حينما نقول المؤمن، المؤمنون هم الذين يؤمنون بعقيدة الإيمان، لكن إذا أردنا أن ندقق النظر في هذه اللفظة ما معناها؟ المؤمن ليس هو الذي يؤمن، المؤمن هو الذي يَهَبُ الأَمَنَ، لفظة مؤمن هي صيغة فاعل، مؤمن يعني أَنَّهُ يَهَبُ الأَمَنَ لغيره، ولذلك المؤمن في أصله هو أَسْمٌ من أسماء الله سبحانه وتعالى وليس اسماً من أسمائنا، المؤمن من أسماء الله من أسمائه الحُسنى، يا مؤمنٌ يا مهيمن، دائماً تتردد هذه التسمية في أدعية أهل البيت: يا مؤمنٌ يا مهيمن، المؤمن هو من أسماء الله، المؤمن هو الذي يَهَبُ الأَمَنَ، الأَمَنَ بكل معانيه والإيمانُ ضَرْبٌ من ضروب الأَمَنَ، المؤمن هو الذي يَهَبُ الأَمَنَ، وفي الروايات عن أهل بيت العصمة إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ هَذَا الْأَسْمَ خَاصًّا بَعَلِيٍّ، الله هو المؤمن وعليٌّ هو المؤمن، وقلبُ المؤمن عرشُ الرحمن إِنَّهُ قَلْبُ عَلِيٍّ، الحديث الذي يقول: قلبُ المؤمن عرشُ الرحمن إِنَّهُ قَلْبُ عَلِيٍّ صلوات الله عليه، المؤمن هو في أصله أَسْمٌ لله، الله سبحانه وتعالى جعله خاصاً لعليٍّ وإكراماً

لعليّ سُمِّيَ شيعتهُ المؤمنون، لذلك إذا أردت أن تبحث عن معنى الإيمان الذي يتلبس به المؤمنون ما هو؟ في روايات أهل البيت الإيمان، هذا تعريفُ أهل البيت، الفقهاء عرّفوا الإيمان: الكونُ على المذهب الإثني عشري، هذا التعريف في كتب الفقهاء، لكن التعريف في روايات أهل البيت: الإيمانُ هو ولاية عليّ، هذا هو الإيمان وكفى، نقطة رأس سطر، تعريفُ الإيمان في حديث أهل البيت الإيمانُ نقطتين ولاية عليّ نقطة، رأس سطر انتهى الكلام، الإيمانُ هو هذا، إنما قيل للذين يؤمنون بولاية عليّ مؤمنون إكراماً لهم وأصلُ الإكرام هو إكرامُ عليّ الذي خصّه الله بهذا اللقب، هذا لقبٌ خاص مثل ما خصّه الله بلقب أمير المؤمنين خصّه بلقب المؤمن، المؤمن هو الذي يهبُ الأمن وعليّ هو الذي يهبُ الأمن، عليّ هو الذي يهبُ الأمن هو كاشفُ الكرب عن وجه رسول الله، يا عليّ أكشف عني هذا، أين كاشفُ الكرب عن وجهي، كان يقولها صلى الله عليه وآله، يرددها رسول الله: أين كاشفُ الكرب عن وجهي، عليّ هو المؤمن الذي يكونُ سبباً للأمن، والإيمانُ كما قلتُ قبل قليل الإيمانُ ضربٌ من ضروب الأمن، الإيمانُ بابٌ يودي بنا يوصلنا إلى الأمن، وعليّ هو العروة الوثقى، العروة الوثقى يعني العروة الآمنة، يعني إذا تمسكت بها فإنك قد نجوت، وهو نفس التعريف لسفينة النجاة، ما المراد من سفينة النجاة؟

سفينةُ النجاة هي السفينة العريضة الواسعة المريحة السريعة المحمية والحامية، وإلا لا يُقال لها سفينةُ نجاة، سفينة النجاة السفينة التي يستقر فيها من يستقر فيها بأمنٍ وراحةٍ وهدوءٍ بالٍ وطمأنينةٍ وثباتٍ وراحةٍ وأمنٍ وأمانٍ فلا خوف هنا ولا هم يحزنون، هذا عند عليّ وآل عليّ في حصن عليّ، ولاية عليّ بن أبي طالب حصني هو هذا الأمن والأمان فمن دخل حصني أمنٌ من عذابي - وحزبه - كما أن المؤمن لفظٌ خاص بعليّ فحزبُ الله هم أهل البيت، إطلاقه على شيعتهم يأتي بنحو التكريم والإكرام.

حين نذهب إلى سورة المُجادلة ونقرأ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ آخر آية من السورة ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ هذه مودةٌ في قبيل تلکم المودة، قل لا أسألکم عليه أجراً إلا المودة، هذه مودة ثانية ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ مودةٌ لأعداء الله ورسوله ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ﴾ ما هي صفتهم؟ ﴿كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأُيِدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هناك حزبٌ للشيطان وهناك حزبٌ لله.

حزب الشيطان أيضاً جاء مذكوراً في هذه السورة، في الآية التاسعة بعد العاشرة ﴿استحوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿حزبُ الشيطان ما هي صفتهم؟ عاقبتهم: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿أما لماذا كانوا حزياً للشيطان؟﴾ ﴿استحوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ وذكر الله ولاية عليّ، روايات كثيرة جداً في هذا المضمون.

وإلى هذا في سورة، الآية الرابعة والعشرون بعد المئة وما بعدها ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ من أعرض عن ذكري وذكر الله ولاية عليّ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ * قال ربِّ لم حشرتني أعمى ﴿ في رواياتنا فإنَّ له مَعِيشَةً ضَنْكاً: عند ظهور إمام زماننا، الروايات هكذا فسرت هذه الآية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ * قال ربِّ لم حشرتني أعمى ﴿ لأن السائل يسأل الإمام، قال يا ابن رسول الله أولئك أعدائكم أعداء أهل البيت يعيشون مرفهين فأين هذه المعيشة الضنكا في الحياة الدنيا؟! قال: عند ظهور إمام زماننا ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ * قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴿ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ﴿ مرَّ علينا قبل قليل عنوان كامل في كتاب الكافي الشريف، أن الآيات التي جاءت مذكورة في كتاب الله هم الأئمة، وروايات كثيرة جداً حيثما وردت آياتنا، آيات، آية فهم أهل البيت، وعليّ صلوات الله عليه يقول: ما لله آية أكبر مني، الآية الكبرى، الآية العظمى سيد الأوصياء ﴿ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴿ مثلما نسيت آياتنا فنحن نساك اليوم ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴿ استحوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فهناك حزبان: حزب الشيطان وحزب الله حزب الرحمن.

ماذا تقول روايات وأحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا هو تفسير البرهان وهذا هو الجزء السابع، الرواية منقولة عن مُحَمَّد بن الحنفية صلوات الله عليه وهو لا ينقل إلا عن أبيه وعن إخوته المعصومين، إنما حُبنا أهل البيت شيء يكتبه الله في أيمن قلب العبد ومن كتبه الله في قلبه لا

يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مَحْوَهُ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ فَحُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ الْإِيمَانَ - هُوَ هَذَا الْإِيمَانَ، مَاذَا يَقُولُ وَيُحَدِّثُنَا ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ - إِنَّمَا حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ شَيْءٌ يَكْتُبُهُ اللَّهُ فِي أَيْمَنِ قَلْبِ الْعَبْدِ وَمَنْ كَتَبَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مَحْوَهُ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ فَحُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ الْإِيمَانَ.

فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَعْنِي الْأُئِمَّةُ - مَا مَعْنَاهَا؟ - يَعْنِي الْأُئِمَّةُ أَعْوَانَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - الْإِطْلَاقُ الْأَصْلِيُّ عَلَى الْأُئِمَّةِ، إِطْلَاقُهُ عَلَى غَيْرِهِمْ يَأْتِي مِنْ بَابِ التَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ، إِطْلَاقُهُ عَلَى أَشْيَاعِهِمْ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَعْنِي الْأُئِمَّةُ أَعْوَانَ اللَّهِ - وَحِزْبُ الرَّجُلِ فِي اللُّغَةِ أَعْوَانُهُ، وَحِزْبُ اللَّهِ أَعْوَانُهُ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَعْنِي الْأُئِمَّةُ أَعْوَانَ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - الْآيَةُ تَتَحَدَّثُ عَنْ عَمَقِ الْعِلَاقَةِ فِيمَا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَفِيمَا بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَتَقُولُ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مَوَدَّةٌ، مَوَدَّةٌ لِأَهْلِ الْبَيْتِ مَوَدَّةٌ لِأَعْدَائِهِمْ مَعَ مَوَدَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَقَّتْ قُلُوبَهُمْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَتَطَهَّرَتْ عَنِ الْأَغْيَارِ وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَغْيَارِ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وَالْإِيمَانُ هُوَ حُبُّ عَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ هَذَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَفِي الْحَيَاةِ الْآخِرِيَّةِ ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ هَذَا فِي الْآخِرَةِ، وَفِي الدُّنْيَا ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

وَبَقِيَّةُ اللَّهِ وَخَيْرَتِهِ وَحِزْبِهِ، الزِّيَارَةُ هُنَا تَتَحَدَّثُ عَنْ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ هُمُ حِزْبُ اللَّهِ، إِنَّمَا أُورِدَتْ الْحَدِيثُ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ كَيْ يَكُونَ هَذَا الْمِثَالُ مُقَرَّبًا لِمَعْنَى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ هُمُ حِزْبُ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ أَشْيَاعُ أَهْلِ الْبَيْتِ كَرَّمُوا بِهَذَا اللَّقْبِ، اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى طَهَّرَ قُلُوبَهُمْ فَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، إِذَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يُكْتَبُ فِي قُلُوبِ أَشْيَاعِهِمْ فَمَا بَالُ قُلُوبِ أَهْلِ الْبَيْتِ!! قُلُوبِ أَهْلِ الْبَيْتِ هُمُ يُحَدِّثُونَا عَنْ قُلُوبِهِمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، هُمْ فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ لِأُئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنِّي وَلَكُمْ الْقُلُوبُ الَّتِي تَوَلَّى اللَّهُ رِيَاضَتَهَا بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ - اللَّهُ تَوَلَّى رِيَاضَتَهَا، لَا ذَهَبْنَا عِنْدَ مَرْتَاضٍ وَلَا عِنْدَ شَيْخِ طَرِيقَةٍ، اللَّهُ تَوَلَّى، نَحْنُ نَذْهَبُ إِلَى الْمَرْتَاضِينَ نَذْهَبُ

إلى شيوخ الطريقة، الناس يذهبون - لا يسبقكم ثناء الملائكة في الإخلاص والخشوع ولا يُضادكم ذو ابتهاجٍ وخضوع أنى - يا آل مُحَمَّد - ولكم القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف والرجاء وجعلها أوعيةً للشكر والثناء وآمنها من عوارض الغفلة وصفاها من سوء الفترة بل يتقرب أهل السماء بحبكم وبالبراءة من أعدائكم وتواتر البكاء على مصابكم والاستغفار لشيعتكم ومحبيكم - هذه صورة مختصرة موجزة تتحدث عن قلوب أهل البيت - القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف والرجاء وجعلها أوعيةً للشكر والثناء وآمنها من عوارض الغفلة وصفاها من سوء الفترة - هذه القلوب الكاملة، هؤلاء هم التامون في محبة الله، فإني تحدثت عن الشيعة بأنهم حزب الله ولأنهم حزب الله كتب الله في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، هناك رعاية خاصة لقلوب شيعة أهل البيت إذا كان هذا الأمر يتجلى في قلوب شيعة أهل البيت فما بالك بقلوب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقطعاً أنا أتحدث عن مقاماتهم البشرية في العالم الأرضي، لأنني كما قلت بأن المقطع الخامس يتحدث في جهة من جهاته عن مقاماتهم في العالم الأرضي، وكل كلامي كان من هذه الجهة ومن هذه الحثية.

الجهة الثانية من هذا المقطع وهو إجمالاً معاني المقاطع المتقدمة فقد تقدم الكلام في المقاطع المتقدمة فليس هناك من داعٍ لأن أعيد الكلام الذي تقدم - وَخَيْرَتِهِ وَحَزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ - وقد تحدثت بشيء من الإسهاب عن علمهم في المقطع الأول حينما وصلنا: وَخَزَانَ الْعِلْمِ، والعيبية هي المحفوظة، العيبة هو الوعاء الذي تُحْفَظُ فيه الأمور الثمينة - وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ - وهم خزان علمه، وفي وقتها حينما تحدثت عن معنى الخزان أي أنهم هم الخزائن، وهذه القرينة تدل على ذلك، قلت بأن خزان علمه في المعنى الأعمق هم خزانة علمه، وهنا هذا المعنى يتجلى في هذا المقطع لذلك قلت بأن هذا المقطع هو يُجْمَلُ المعاني المتقدمة بنحو آخر من التعبير - وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ - العيبة هي الخزانة، الوعاء الذي تُحْفَظُ فيه الأشياء الثمينة، لا أعيد الكلام المتقدم في علم أهل البيت يمكنكم مراجعة الحلقات السابقة موجودة بكاملها على موقع القناة الإلكتروني.

وَخَيْرَتِهِ وَحَزْبِهِ وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ - وهم الحجّة المطلقة، كُلُّ ما تقدم من الكلام يدل على حُجَّتِهِم المطلقة، وقبل قليل قلت بأن آخر عنوان: وَبُرْهَانِهِ، والبرهان هو الحجّة، الحجّة الآية والدليل، والبرهان أيضاً هو الحجّة والدليل - وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ - هم نور أهل البيت، هم النور الساطع الذي تقدم الكلام عنه في الحلقات الأولى حين بينت مضمون آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾

فِيهَا مِصْبَاحٌ مِصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ ﴿﴾ ونحن نتحدث عن نور أهل البيت الرواية مفصلة أقتطف منها، الرواية عن عبد الله بن جندب وهو من خيار شيعة أهل البيت، كتب رسالةً إلى الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه

يسأله فيها، فمما كتب إمامنا الرضا في هذه الرسالة: نحن نورٌ لمن تبعنا - والنور برهانٌ وحُجَّةٌ ودليلٌ - نحن نورٌ لمن تبعنا وهدى لمن اهتدى بنا ومن لم يكن منا فليس من الإسلام في شيء وبنا فتح الله الدين وبنا يختمه وبنا أطعمكم الله عشب الأرض وبنا أنزل الله قطر السماء وبنا آمنكم الله من الغرق في بحركم ومن الخسف في بركم وبنا نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم وعند الصراط وعند الميزان وعند دخول الجنة - إلى أن يقول: فالنور عليّ يهدي الله لولايتنا من أحب وحقّ على الله أن يبعثَ ولينا مشرقاً وجهه منيراً برهانه - لماذا ينير برهانه؟ لأنهم هم برهانُ الله وهم نور الله - منيراً برهانه ظاهراً عند الله حجته - لماذا تظهر حجته عند الله؟ لأنه قد تولى الحجة الحقيقية، هذا الحديث يتحدث عن حُجيتهم وعن نوريتهم وعن برهانيتهم صلوات الله عليهم - فالنورُ عليّ يهدي الله لولايتنا من أحب وحقّ على الله أن يبعثَ ولينا مشرقاً وجهه منيراً برهانه ظاهراً عند الله حجته، حقّ على الله أن يجعل أولياءنا المُتقين مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - الرواية طويلة وفيها تفصيلٌ وإشاراتٌ واضحة إلى نورية أهل البيت وبرهانية أهل البيت وحُجية أهل البيت، ولذلك جاء التعبير وصراطه، هم صراط الله، هم الصراط المستقيم.

نقرأ في روايات أهل البيت والرواية عن المفضل بن عمر قال: حدّثني ثابتُ الشمالي - ثابت الشمالي هو المعروف بأبي حمزة، أبو حمزة الشمالي هو ثابت - حدّثني ثابتُ الشمالي عن سيد العابدين عليّ بن الحسين صلى الله عليهما قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب - هم حجة الله وكانوا حُجَّةً لله لأنه ليس بينهم وبين الله حجاب، لا يمكن أن أكون أنا حُجَّةً لله أو تكون أنت حُجَّةً لله لأنه فيما بيننا وبين الله حُجْبٌ وحُجْبٌ، حُجَّةً لله لا يكون فيما بينه وبين الله حجاب - ليس بين الله وبين حُجته حجاب ولا لله دون حجته ستر نحن أبوابُ الله ونحن الصراطُ المستقيم ونحن عيبةُ علمه - تلاحظون كلمات أهل البيت الروايات الآيات بعضها يشدُّ البعض الآخر - ليس بين الله وبين حُجته حجاب ولا لله دون حجته ستر نحن أبوابُ الله ونحن الصراطُ المستقيم ونحن عيبةُ علمه ونحن تراجمهُ وحيه ونحن أركانُ توحيده ونحن موضعُ سره - ولأنتم كذلك يا آلَ مُحَمَّد.

رواية أخرى عن حنان بن سدير أو ابن سدير، عن جعفر بن مُحَمَّد صلوات الله عليهما قال: قول الله عزَّ وجلَّ في الحمد - في سورة الحمد - ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني مُحَمَّدًا وذريته - هو هذا الصراط لأنهم باب الله، صراط الله، لأنهم حُجَّةُ الله.

الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ * غير

المَغضوبِ عليهم ولا الضالين ﴿ قال: شيعة عليّ الذين أنعمت عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب، لم يغضب عليهم ولم يضلهم - شيعة عليّ الذين أنعم الله عليهم بولاية عليّ، لا هم من المغضوب عليهم ولا هم من الضالين، هذا قول رسول الله - قال: شيعة عليّ الذين أنعمت عليهم - صراط الذين أنعمت عليهم هم شيعة عليّ، الذين أنعمت عليهم بأي شيء؟ بولاية عليّ بن أبي طالب، ثم يقول: لم يَغضَب عليهم ولم يضلهم أو لم يُغضَب عليهم ولم يضلهم.

الرواية الجامعة المانعة الرواية التي نقلها المفضل بن عمر، وهذه هي خصوصية روايات المفضل بن عمر، رواياته جامعة مانعة مثل أبي حمزة الثمالي، عندنا من الرواة ممن ينقلون الحقائق ورواياتهم جامعة مانعة، جابر بن يزيد الجعفي، المفضل بن عمر رضوان الله تعالى عليه وكذلك أبو حمزة الثمالي - عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفته عزّ وجلّ، الطريق إلى معرفته وهم صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، أما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسْر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم - رواية جامعة مانعة تتحدث عن معنى الصراط في مظهره في العالم الدنيوي وفي مظهره في العالم الآخروي وحقيقة الصراط هم عليّ وآل عليّ.

وَعِبِيَّةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، هذا هو المقطع الخامس: السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ وَالذَّادَةِ الْحُمَاةِ وَأَهْلِ الذِّكْرِ وَأُولِي الْأَمْرِ وَبَقِيَّةِ اللَّهِ وَخَيْرِيَّتِهِ وَحَزْبِهِ وَعِبِيَّةِ عِلْمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ - تمت المقاطع الخمسة.

هناك تعليقة موجزة مختصرة أختتم بها الحديث ولكن قبل أن أُعلّق بهذه التعليقة الموجزة أقول: هذه المقاطع الخمسة، نحن الآن في الحلقة الثالثة والعشرين، هذه الحلقات الثلاثة والعشرون التي تقدمت تدور مضامينها حول هذه المقاطع الخمسة والتي تمثل أسس وأصول وقواعد لفهم مضمون بقية النص في الزيارة الجامعة الكبيرة وكذلك تمثل ثوابت وقواعد وأصول وأسس لفهم بقية زيارات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة الجامعة الكبيرة لها خصوصية أنها جامعة لكل المعاني ولكل المضامين الموجودة في بقية الزيارات، والمقطع الخامس هو كما قلت قبل قليل بمثابة عنوان مُجمل أو صيغة مُجَمَلَة لما تقدّم من المضامين ومن الفحاوى في المقاطع السابقة، نحن متواصلون معكم، إن شاء الله غداً الحلقة الرابعة والعشرون مستمرين، أنا كما وعدتكم فيما مر من أنني سأحاول أن ألمم أطراف الحديث في هذا النص الشريف حتى نصل إلى خلاصة بقدر ما نتمكن وإلا إذا أردت أن أسهب في شرح فقرات هذه الزيارة نحتاج إلى وقتٍ

طويل جداً، لكنني سأحاول أن أركز على أهم المضامين الموجودة في هذا النص الشريف خصوصاً بعد أن أسهبتُ شيئاً ما في شرح المقاطع الخمسة المتقدمة.

بعد أن تمَّ الكلام في المقاطع الخمسة التي هي في أول الزيارة الجامعة الكبيرة أشير إلى قضية مهمة، هذه القضية المهمة نقرأها في القرآن ونمر عليها دون أن نلتفت إليها، القرآن الكريم في سورة المائدة إذا نذهب إلى الآية الثالثة والتسعون فنقرأ في الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا

وَأَمَّنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذه الآية وأمثالها آيات أخرى أيضاً، على سبيل المثال مثلاً في سورة الحديد الآية الثامنة والعشرون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب

لمن؟ للذين آمنوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ آمنوا بأي شيء؟ آمنوا بالله وبرسوله وبكتابه، حينما نقول يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بأي شيء؟ آمنوا بالله وبرسوله وبكتابه، برسوله وبما جاء به الرسول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ﴾ هنا أمرٌ بالتقوى بعد الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ثم تقول الآية ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ أفلم يكونوا مؤمنين حتى تأمرهم الآية بالإيمان برسول الله؟! إذا لم يكونوا مؤمنين برسول الله أصلاً لماذا

خاطبتهم الآية يا أيها الذين آمنوا؟ هذه هي الآية الثامنة والعشرون من سورة الحديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ هؤلاء مؤمنون آمنوا بالله ورسوله وبما جاء به الرسول تأمرهم الآية اتقوا الله، وبعد التقوى،

والتقوى مرتبة عملية تكون عالية للذين سلكوا في طريق الإيمان، تأمرهم تقول: ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ فلماذا خاطبتهم يا أيها الذين آمنوا وأمرتهم بالتقوى ثم أمرت بالإيمان برسول الله مرة ثانية؟!

هذه هي المعرفة النورانية، معرفة الحجة بالمعرفة النورانية، معرفة أهل البيت كما نتلمس شيئاً منها من خلال هذا البرنامج من خلال نص الزيارة الجامعة الكبيرة، علمني قولاً بليغاً كاملاً، وهو نتلمس فيه شيئاً من المعرفة النورانية أو من المعرفة بالنورانية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خطاب لمؤمنين بالتقوى عندهم تقوى

﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني بعد هذه المراتب إذا آمنتم إيماناً حقيقياً برسول الله ﴿يُؤْتِكُمْ

كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ وهي المعرفة النورانية ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ في رواياتنا كفلين يعني

حظين، يعني نصيبين، في رواياتنا كفلين يعني الحسن والحسين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ يعني علياً صلوات الله

عليه، يعني إماماً ﴿ تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إذا نذهب إلى روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية هنا في تفسير البرهان: عن سُماعة بن مهران - سُماعة وفي قراءة سَماعة بن مهران - عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ قال: الحسنُ والحُسَيْنُ ﴿ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ قال: إمامٌ تَأْتَمُونَ بِهِ.

رواية أخرى: عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ قال: الحسن والحُسَيْنُ ﴿ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ قال: يجعل لكم إمام عدلٍ تَأْتَمُونَ بِهِ وهو عليُّ بن أبي طالب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بعد التقوى ﴿ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴾ المعرفة النورانية ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ يؤتكم أئمة، يؤتكم حسناً وحُسِيناً ﴿ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

الرواية في الكافي، وقبل قليل قلت بأن روايات الكافي هي أمهات الأبواب، عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لقد آتى الله أهل الكتاب خيراً كثيراً، قال: وما ذاك؟ قال: قلت: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا

صَبَرُوا ﴾ - هو يشير إلى ما جاء في سورة القصص، في الآية الثانية والخمسين وما بعدها ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي يؤمنون برسول الله، يؤمنون بالقرآن ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾

يعني من قبل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ * وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ

قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ مرةً لإيمانهم بعيسى عليه السلام لأنهم آمنوا بعيسى،

ومرةً لأنهم آمنوا بِمُحَمَّدٍ بعد بعثة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾

فالسائل هنا يسأل الإمام صلوات الله وسلامه عليه يقول بأن أهل الكتاب الله سبحانه وتعالى آتاهم خيراً كثيراً فإنه يأجرهم مرتين، الإمام ماذا قال؟ قال: فقال: قد آتاكم الله كما آتاهم - الله أيضاً آتاكم مرتين،

ثم تلى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ - يعني

إماما تأتمون به، هذه الآية في سورة الحديد والتي تُخاطب الذين آمنوا فتأمرهم بالتقوى ثم بعد ذلك تأمرهم بالإيمان برسول الله، هذا اللحن في هذه الآية وفي غيرها، أنا جئت بهذه الآية كمثال على الآية التي ذكرتها من سورة المائدة وهي الآية الثالثة والتسعون ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية ماذا تقول؟ تقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هم مؤمنون ويعملون الصالحات، ليس عليهم جناح فيما طعموا، طعموا من الطعام ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ أليس هم قد آمنوا؟! ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا هو الإيمان الأول ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ يعني بعد الإيمان والعمل بالصالحات هناك شرط: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا الإيمان والعمل بالصالحات مرة ثانية ما المراد منه؟

إذا كان الكلام في البداية هو عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ وهذا إيمان ثالث ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذه الآيات بحاجة إلى تدبر، هذه الآيات تتحدث عن مراتب معرفة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الآيات تتحدث عن هذه المراتب العالية الشريفة، الوقت يكاد أن ينتهي، تنمة الكلام إن شاء الله تأتينا يوم غد في بيان مضامين هذه الآية الشريفة. ولكن أختتم كلامي بهذا الحديث الشريف المنقول عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه والذي يرويه جابر بن يزيد الجعفي: يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني، أما إثبات التوحيد - الرواية طويلة أنا أخذت منها موطن الحاجة - يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني، أما إثبات التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تُدرِكُه الأبصار وهو يُدرِكُ الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدرِكُه كما وصف به نفسه - لأننا لا ندرِكُه من عندنا وإنما ندرِكُ الله بما وصف الله به نفسه - ستدرِكُه كما وصف به نفسه، وأما المعاني فنحنُ معانيه - إمامنا السجاد يقول: - وأما المعاني فنحنُ معانيه - نحن معاني الله - فنحنُ معانيه ومظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عبادته فنحن نفعلُ بإذنه ما نشاء ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا أردنا أراد الله ونحن أحلنا الله عزَّ وجلَّ هذا المحل واصطفانا من بين عبادِه وجعلنا حجتَه في بلاده - أشهدُ الله سيدي يا زين العباد لأنكم أنكم كذلك والله إنَّكم كذلك، والله إنَّكم كذلك، ومن أراد أن يستكمل الإيمان كلَّ الإيمان هكذا علَّمنا أهل البيت،

هكذا علّمنا الكافي الشريف: من أراد أن يستكمل الإيمان كُلَّ الإيمان فليقل القولُ مني ما قاله آلُ مُحَمَّدٍ ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، القولُ مني قولُ آلِ مُحَمَّدٍ فيما أسروا وفيما أعلنوا وإنما أنا عبدٌ من عبيدِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ بل من عبيدِ عبيدِ عبيدهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحنُ كُلُّنا لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، غايةَ آمالنا أن يقبلنا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ ورجاءنا وحُسنُ ظننا بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ أن نُكْتَبَ في عِدَادِ عبيدهم وخُدّامهم وأولياءهم ومُحبيهم وأنصارهم وأشياعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

غداً نلتقي إن شاء الله بثُّ مباشرِ تنمة الحديث في مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة على مودة فاطمة وآل فاطمة استودعكم الله أيُّها الزهرايون أيُّها المهديون المنتظرون إمام زمانكم سلامٌ عليكم أسألكم الدعاء في أمان الله.

الحلقة الرابعة والعشرون

معنى أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمَكْرَمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ

سلامٌ عليكم أحباب عليٍّ وآل عليٍّ ورحمةٌ من الله وبركات، الحلقة الرابعة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، في الحلقة الماضية تمَّ الكلام في المقاطع الخمسة التي تبدأ بها زيارتنا الجامعة الكبيرة، وعند تمام الحديث في مضامين وفحوى المقطع الخامس قلتُ هناك تعليقة أو إضافة أحببتُ أن أضيفها لكن الوقت لم يكفي لتمام الحديث أتمَّ حديثي الذي لم أكن قد أتممتُه في الحلقة الماضية وأستمرُّ في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة.

الكلام كان حول الآية الثالثة والتسعين من سورة المائدة ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأجل أن تتضح الصورة سأشيرُ إلى سياق الآيات التي سبقت هذه الآية حتى تتضح المعاني في أكثر من وجه، الآية التسعون وما بعدها من سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية التسعون واضحة، في وجهها الأول فإنها تتحدث عن تشريع يتعلَّق بِجُرْمَةِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ، الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ،

الآية واضحة ودلالاتها في الوجه الأول واضحة ولستُ بصدد الحديث عن هذا الحكم الشرعي، والآية التي بعدها أيضاً في نفس السياق ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ والآية التي بعدها تتحدث عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ثم تأتي الآية ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ الكلام في الآية التسعين عن حرمة الخمر والميسر، والآية وصفت الخمر والميسر بأنه رجسٌ من عمل الشيطان، والآية التي بعدها قالت بأن الشيطان يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، الآية الثالثة والتسعون ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ هل لهذه الآية علاقة بما تقدم من ذكرٍ للخمر والأمر الأخرى؟ وبالذات الخمر لأن الآية تقول ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ .

هناك حادثة حدثت في زمان عمر بن الخطاب، هذا هو البرهان للسيد هاشم البحراني وهذه الرواية ينقلها عن الشيخ الطوسي، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله صلوات الله عليه - إمامنا الصادق - الحدُّ في الخمر أن يشرب منها قليلاً أو كثيراً - لا فرق في ذلك، سواء شربَ الشاربُ قليلاً من الخمر أو كثيراً وجب عليه الحد - الحدُّ في الخمر أن يشرب منها قليلاً أو كثيراً، قال: ثُمَّ قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بِقُدَامَةَ بْنِ مَضْعُونٍ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ - قَامَتِ الْبَيِّنَةُ عَلَى قُدَامَةَ بْنِ مَضْعُونٍ - فَسَأَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ - عُمَرُ سَأَلَ عَلِيَّ - فَأَمَرَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ ثَمَانِينَ - فَهُوَ حَدُّ شُرْبِ الْخَمْرِ - فَقَالَ قُدَامَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ عَلَيَّ حَدُّ أُنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ .

يعني تأول كتاب الله بأنَّ هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يعني إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فليس عليهم جُنَاح، الجُنَاح الإثم، فيما طَعِمُوا من الخمر لأنهم يتقون ويؤمنون ويعملون الصالحات فيتجنبون المضرة الموجودة في الخمر وهو أنَّ الخمر يصدِّهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وأن الخمر يوقعهم في العداوة والبغضاء، فتأول هذه الآية وهذا هو الجيل الأول، هؤلاء الذين عاشوا في الصدر الأول، فهو شرب الخمر وعُدْرُهُ في ذلك، وقطعاً هو كاذب

في هذا العذر لكنه يعتذر بهذا العذر بأنه من أهل هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ باعتبار أن هذه الآية جاءت في سياق الآيات السابقة التي تحدثت عن الخمر وعن الميسر والأمور الأخرى - قال: فقال عليٌّ عليه السلام: لست من أهلها - أنت لست من أهل هذه الآية - إن طعام أهلها لهم حلال - هذه الآية تتحدث عن الطعام الحلال لا تتحدث عن الطعام الحرام، عن شيءٍ تطعمه سواء كان يؤكل أو يُشرب - لست من أهلها إن طعام أهلها لهم حلال، ليس يأكلون ولا يشربون إلا ما أحلَّ الله لهم، ثمَّ قال عليٌّ عليه السلام: إن شارب الخمر - لاحظوا هذه النكتة الدقيقة - إن شارب الخمر إذا شرب لم يدري ما يأكل ولا ما يشرب - ربما بعد أن يشرب الخمر أيضاً يأكل ويشرب الحرام، بينما الآية تتحدث عن أناسٍ لا جُنَاحَ عليهم فيما طَعَمُوا أي أنهم ملتفتون إلى ما يأكلون ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ ثمَّ قال عليٌّ عليه السلام: إن شارب الخمر إذا شرب لم يدري ما يأكل ولا ما يشرب فاجلدوه ثمانين جلدة - فلست من أهل هذه الآية.

وفي رواية ثانية رواها العياشي، قال صلوات الله وسلامه عليه: كذبت لست من أهل هذه الآية، ما طَعِمَ أهلها فهو حلالٌ لهم وليس يأكلون ولا يشربون إلا ما يحلُّ لهم.

النكتة دقيقة جداً التي أشار إليها سيدُ الأوصياء بأن الآية تتحدث عن أناسٍ لا يطعمون إلا الحلال، فهذا قُدامة بن مضعون قال: أنا من أهل هذه الآية، باعتبار هو من الصدر الأول من المسلمين، قال له: كذبت، لأن شارب الخمر لا يدري ماذا يشرب وماذا يأكل، بينما الآية تتحدث عن أناسٍ آمنوا وعملوا الصالحات فليس عليهم جُنَاحٌ فيما طَعَمُوا إذا ما اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، هذا الكلام أنا أشرتُ إليه حتى لا يقع سؤال بأن الآيات المُتقدِّمة في سياق شرب الخمر والأمور الأخرى، القرآن يجري مجرى الشمس والقمر وآيات الكتاب لها مطالع ومجاري، الخمر والميسر في الوجه الأول من وجوه الآية هو الخمر الشرابُ المُسكرُ المُحرَّم، ولكن هناك وجوهٌ للآية، الخمر والميسرُ والأنصاب هي أسماءٌ لأعداء أهل البيت وهذا المعنى ذكرته رواياتهم، في مطلع من مطالع الآية هذه الأسماء عناوين لأعداء أهل البيت، ولذلك الإشارة واضحة في الآية الثانية ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ الصلاة هي أعلى مراتب الذكر، الذكر اللفظي والقلبي، أعلى مراتب الذكر إذ عبَّرَ عنها بأنها معراجُ المؤمنين، أعلى مراتب الذكر الصلاة، أفضل مراتب الذكر الصلاة، الصلاة ذكْرٌ لفظي وذكْرٌ قلبي وذكْرٌ حالي، الصلاة ذكْرٌ عملي وفعلي، الإنسان في حال السجود هو يتلبَّسُ بالذكر اللفظي بهذا الذكر الذي يذكره بلسانه، ويتلبَّسُ بالذكر العملي وهو في حال السجود والتذلل

والخضوع بين يدي الله سبحانه وتعالى، ويتلبس بالذكر القلبي، إذ المفروض أن المصلي في حال سجوده وفي حال ذكره متوجهٌ بقلبه إلى الله، الصلاةُ الجامعُ الكاملُ لمراتب الذكر، فهي ذكرٌ عملي وذكُرٌ قولي لفظي وذكُرٌ قلبي ومع ذلك قالت الآية: ﴿ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ وذكرُ الله كما هو في روايات أهل البيت ولايةٌ عليّ صلوات الله وسلامه عليه، والروايات وفيرةٌ كثيرةٌ في هذا المضمون وفي هذا المعنى عنهم صلوات الله عليهم، ثم تأتي الآية التي بعدها: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ البلاغُ المبين ولايةٌ عليّ وآل عليّ، ولاية الأئمة، البلاغُ المبين في روايات أهل البيت، البلاغُ المبين هو دينٌ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، البلاغُ المبين هو حقيقةُ دين مُحَمَّدٍ، وحقيقةُ دين مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولايةٌ عليّ وآل عليّ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ثم تأتي الآية الثالثة والتسعون لتبين لنا هذه المراتب في المعرفة ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين آمنوا بالبلاغ المبين، الآية السابقة ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أولئك الذين آمنوا بالبلاغ المبين وعملوا بالبلاغ المبين ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا ﴾ الطعام هنا هو المعرفة والعلم.

في الجزء الثلاثين من الكتاب الكريم وفي سورة عبس وتولى في الآية الرابعة والعشرين ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ الروايات عن أهل بيت العصمة عن إمامنا الباقر صلوات الله عليه قال: فلينظر الإنسان إلى علمه عمّن يأخذه. العلم طعام العقول وطعام القلوب كما أن الخبز هو طعامً للبطن، طعام البطون هو الخبز واللحم أما طعام العقول والقلوب فهو العلم والإيمان، الإيمان الذي هو شقيقٌ للعلم ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ إلى علمه هذا عمّن يأخذه، لا يعني أن الوجه الأول للآية قد انتفى، الآيات لها مجاري كمجاري الشمس ولها مطالع كمطالع الهلال، في مطلعٍ من مطالعها ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ فهو طعامه الذي يأكله، وفي مطلعٍ آخر فلينظر الإنسان إلى علمه هذا الذي يتعلمه عمّن يأخذه ﴿ لَيْسَ عَلَى

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴿﴾ ليس عليهم جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا إذا كان هذا الطعام من نفس السفرة السابقة من سفرة البلاغ المبين ﴿﴾ فاعلموا أنّما على رَسُولِنَا البلاغُ المبين ﴿﴾ هذه السفرة الممدودة التي مدها مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، سفرة الحقيقة، إذا كان الطعام من هذه السفرة فلا جُنَاح عليه ولكن بشروطها وشرائطها، الآية هنا تتحدث عن أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴿﴾ .

المرتبة الثانية: ﴿﴾ إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿﴾ تقوى سابقة للإيمان والعمل بالصالحات.

المرتبة الثالثة: ﴿﴾ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ﴿﴾ .

المرتبة الرابعة: ﴿﴾ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿﴾ .

هذه الآية تتعاقب مع سورة الشورى، إذا أردنا أن نذهب إلى سورة الشورى لنقرأ في الآية الثالثة والعشرين ﴿﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴿﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿﴾ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿﴾ ﴿﴾ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿﴾ هناك تعاقب واضح بين آيات الكتاب وبين هذه الآية وبين آية المودة، فهنا في هذه الآية الكريمة أربع مراتب لكل مرتبة خصوصيتها، سأحدث عن هذه المراتب بشكل موجز، وفي الحلقة الماضية هذا التعبير ورد أيضاً في سورة الحديد في الآية الثامنة والعشرين ﴿﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴿﴾ هذا إيمان بعد الإيمان وبعد التقوى ﴿﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴿﴾ يجعل لكم نوراً تمشون به متى؟ بعد الإيمان برسول الله بعد التقوى وبعد الإيمان ﴿﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ﴿﴾ ما هي النتيجة؟ ﴿﴾ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿﴾ .

المرتبة الأولى: ﴿﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿﴾ هؤلاء هم الذين آمنوا بالبلاغ المبين، هؤلاء هم الذين اعتنقوا ولاية عليّ صلوات الله وسلامه عليه، هذه هي المرتبة الأولى، المرتبة الأولى مرتبة الحب، أعلى درجة من درجات الحب والعاطفة تكون مخصوصة بأهل البيت أي أننا لا نُحِبُّ شيئاً يمكن أن يكون، ليس

مساوياً لأهل البيت بل حتى لا يكون بدرجةٍ قريبةٍ من حُبِّهم فضلاً عن أن يكون حُبُّ غير أهل البيت أشد من حُبِّ أهل البيت، وإذا كان حُبُّ غير أهل البيت مساوياً لحُبِّنا لأهل البيت فذلك هو الشركُ البواح، وإذا كان حُبُّ غير أهل البيت مُقارباً لحُبِّ أهل البيت فذلك هو الشركُ البينُّ الجلي، وإذا كان حُبُّ غير أهل البيت مُقارباً لحُبِّ أهل البيت فذلك هو التقصير، حُبُّ أهل البيت له خصوصية، حُبُّنا لأهل البيت لا يوازيه حُبُّ وهذه أول درجات الإيمان، هذه هي المرتبة الأولى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أن يكون الحُبُّ على أشد قوته لأهل البيت، وأن تكون العقيدة واضحةً بالوفاء بعهد الإمامة وبعقد البيعة لعليٍّ وآل عليٍّ وبنحوٍ أخص لإمام زماننا، فالعقدُ الأول الأوضح في أعناقنا هو للحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، حُبُّ لا مثيل له وعزْمٌ وعقدٌ ونيةٌ قاطعة على الوفاء بالعقود والعهود لإمام زماننا، ومحاولة بقدر ما نتمكن أن نسعى لأن نتمثل الولاية والبراءة في حياتنا اليومية بقدر ما نتمكن، وأن نتمسك بتعاليمهم وأحكامهم وتكاليفهم وآدابهم وأعرافهم وأخلاقهم وذوقهم بقدر ما نتمكن، هذه هي المرتبة الأولى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حينئذٍ تقترب قلوبنا وأرواحنا شيئاً فشيئاً من حظيرة القدس وحظيرة القدس هم آل مُحَمَّد، حينئذٍ نكون في جوارِ فناءِ فاطمة وآل فاطمة، إلى هذه المرتبة تأتي الإشارة في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، ماذا تُعلِّمنا الزيارة؟ وزيارات أهل البيت مناهجُ فكرٍ ومعاهد درسٍ وكتب حقيقةٍ ومصايحُ نورٍ تكشف لنا الظلمات، ماذا نخاطبهم في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، غير الزيارة الجامعة الكبيرة، موجودة في المفاتيح:

فَنَحْنُ نُشْهَدُ اللَّهَ أَنَّا قَدْ شَارَكْنَا أَوْلِيَاءَكُمْ وَأَنْصَارَكُمْ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي إِرَاقَةِ دِمَائِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ وَقَتْلَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ بِالنِّيَّاتِ وَالْقُلُوبِ وَالتَّأْسُفِ عَلَى فَوْتِ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي حَضَرُوا لِئُصْرَتِكُمْ، هذه المعاني تتحدث عن هذه المرتبة عن المرتبة الأولى، هذه مرتبة النية، نحن هنا بقلوبنا بنوايانا نُشاركُ أهل البيت في كل صغيرة وفي كل كبيرة وإنما يتحقق هذا المعنى إذا ما تحقق الوصفُ السابق، الحُبُّ في أعلى درجاته، النية القاطعة على الوفاء بعقود الإمامة وبعهود الولاية، التمثُّل بمعاني الولاية والبراءة، السعي بأقصى ما يمكن للتمسك بآدابهم وأحكامهم وتكاليفهم، ما ذكرته من وصفٍ قبل قليل الذي يتصف بتلك الأوصاف يتجلى هذا المعنى في نفسه - فَنَحْنُ نُشْهَدُ اللَّهَ أَنَّا قَدْ شَارَكْنَا أَوْلِيَاءَكُمْ وَأَنْصَارَكُمْ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي إِرَاقَةِ دِمَائِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ وَقَتْلَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ - بأيِّ شيءٍ؟ - بالنِّيَّاتِ وَالْقُلُوبِ وَالتَّأْسُفِ عَلَى فَوْتِ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي حَضَرُوا لِئُصْرَتِكُمْ - نيات وقلوب وتأسف وهذا هو

حال من يتصف بالأوصاف السابقة التي مر ذكرها.

ثم تأتي الآية الكريمة فتقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ ليس عليهم جناح فيما طعموا يعني فيما وصل إليهم من العلم، فيما وصل إليهم من المعرفة، ليس عليهم جناح أن يتبحروا في علوم ومعارف تلك السفرة الممدودة، سفرة البلاغ المبين إذا ما ارتقوا إلى المرتبة الثانية ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وذلك أن العلم يرحل، متى يرحل؟ إذا غاب العمل، لا قيمة للعلم من دون العمل، لذا ليس عليهم جناح فيما طعموا فيما تعلموا فيما تعمقوا في المعرفة إذا ما اتقوا، إذا كانت هناك التقوى، التقوى هنا أبعد من قضية الورع، هذه من أول مراتب السلوك باتجاه أهل البيت، هذه من أول مراتب معرفة أهل البيت، الورع عن المعاصي هذه من المراتب العملية الأولى المطلوبة، والورع على درجات، لكل مرتبة هناك درجة من الورع ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهناك تقوى وهذه التقوى إنما هي في الفناء في طاعة أهل البيت، وإلا المرتبة الأولى الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم يؤمنون ويعملون بالصالحات لكن هم بحاجة إلى معنى آخر وهو الفناء أن تفتى النفوس في دائرة أهل البيت ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حينئذٍ فالإيمان يتخذ شكلاً آخر، والصالحات تتخذ شكلاً آخر وحسنات الأبرار سيئات المُتقربين.

هذا المعنى يمكن أن نستشفه في زيارة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، حين تتحول النية إلى استعدادٍ وتضحيةٍ حقيقيةٍ كاملة، عبارات الزيارة تتحدث عن هذا المعنى ونحن نحاطب إمام زماننا في زيارة من زيارته الشريفة في المفاتيح أيضاً - فلو تناولت الدهور - يا بقية الله - فلو تناولت الدهور وتمادت الأعمار لم أزد فيك إلا يقيناً ولك إلا حُباً وعليك إلا توكلاً واعتماداً ولظهورك إلا توقعاً وانتظاراً ولجهادي بين يديك إلا ترقباً - هذه العبارات تكشف عن حالة حقيقية عن حالة واقعية - فلو تناولت الدهور وتمادت الأعمار لم أزد فيك إلا يقيناً ولك إلا حُباً وعليك إلا توكلاً واعتماداً ولظهورك إلا توقعاً وانتظاراً ولجهادي بين يديك إلا ترقباً فأبذل نفسي ومالي وولدي - ولدي في كلام العرب لا تشير إلى المفرد أو إلى الذكر، ولدي تشمل الذكور والإناث والمفرد والجمع - فأبذل نفسي ومالي وولدي وأهلي وجميع ما خولني ربي بين يديك والتصرف بين أمرك ونهيك، مولاي فإن أدركت أيامك الزاهرة وأعلامك الباهرة فما أنا ذا عبدك المتصرف بين أمرك ونهيك أرجو به الشهادة بين يديك والفوز لديك، مولاي فإن أدركني الموت قبل ظهورك فإني أتوسل بك وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى

وأسأله أن يُصلي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد وأن يجعل لي كَرَّةً في ظهورك ورجعةً في أيامك لأبلغ من طاعتك مرادي - هذا استعداد في جميع المراتب، في الحياة وبعد الموت في الرجعة في الكَرَّة.

والكلمات نُسجت نسيجاً بنحوٍ من القوة والإيقاع الذي يتحدث عن شيءٍ هو أبعد من النية، عن شيءٍ يتجسد في حياة الإنسان، عن قوةٍ من العزيمة والإصرار والعقيدة والثبات حتى لو لم تُترجم بعملٍ في الواقع الخارجي فإنها من القوة وكأنها قد تُرجمت، وكأن هذا الإنسان يعيش واقع الظهور الشريف، كما تقول الرواية عن الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه: **حَتَّى صَارَتْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبَةُ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ**، صارت الغيبة بمنزلة المُشاهدة، أولئك الذين يعيشون هذه الحالات وهذه المعاني بعمق حقيقتها، هذه هي المرتبة الثانية.

المرتبة الثالثة: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المرتبة الثالثة: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ هذه تقوى بمعنى أعمق، وهذه المعاني بحاجة إلى شرح وتفصيل لكنني لو أردت أن أسهب فيها فإني سأترك الموضوع الأصل لذلك قلت إنما هي تعليقة موجزة وقصيرة لبيان هذه الحقيقة ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ هذه المرتبة الثالثة من مراتب التقرب والتقرب من أهل البيت.

وهذا ما يمكن أن يشير إليه ما جاء في الاستئذان، في الاستئذان الذي نقرأه عند دخول المزارات الشريفة: **وَفَقِنَا لِلسَّعْيِ إِلَى أَبْوَابِهِمُ الْعَامِرَةِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاجْعَلْ أَرْوَاحَنَا تَحْنُ إِلَى مَوْطِئِ أَقْدَامِهِمْ - وَاجْعَلْ أَرْوَاحَنَا تَحْنُ هَذِهِ الْأَرْوَاحُ تَعِيشُ حَالَةَ الْحَيْنِ إِلَى مَوْطِئِ أَقْدَامِهِمْ - وَنَفُوسُنَا تَهْوِي النَّظَرَ إِلَى مَجَالِسِهِمْ وَعَرَصَاتِهِمْ حَتَّى كَأَنَّا نُخَاطِبُهُمْ فِي حَضُورِ أَشْخَاصِهِمْ - أَلَيْسَ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِنَا أَنَّ إِمَامَنَا الصَّادِقَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ كَانَ يَقْرَأُ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيُكْرِمُهَا فَيَقُولُ، بَعْدَ أَنْ يُكْرِمُ آيَةَ، وَهَذَا هُوَ أَسْلُوبٌ لِلتَّرْبِيَةِ وَلِلتَّهْدِيَةِ، يَقُولُ: كَأَنِّي سَمِعْتُهَا مِنْ قَائِلِهَا، لكَثْرَةَ تَكَرُّرِهَا وَالتَّكْرَارِ يُوَدِّي إِلَى الْإِنْدِمَاجِ إِلَى الْفَنَاءِ فِي الْمَعْنَى، حِينَ يَفْنَى الْإِنْسَانُ فِي الْمَعْنَى يَعِيشُ حَقِيقَةَ الْمَعْنَى - وَفَقِنَا لِلسَّعْيِ إِلَى أَبْوَابِهِمُ الْعَامِرَةِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاجْعَلْ أَرْوَاحَنَا تَحْنُ إِلَى مَوْطِئِ أَقْدَامِهِمْ وَنَفُوسُنَا تَهْوِي النَّظَرَ إِلَى مَجَالِسِهِمْ وَعَرَصَاتِهِمْ حَتَّى كَأَنَّا نُخَاطِبُهُمْ فِي حَضُورِ أَشْخَاصِهِمْ - هَذِهِ حَالَةٌ مِنَ التَّوَاصُلِ وَحَالَةٌ مِنَ الْإِرْتِبَاطِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا أَهْلُهَا - حَتَّى كَأَنَّا نُخَاطِبُهُمْ فِي حَضُورِ أَشْخَاصِهِمْ - ثُمَّ يَقُولُ الْاسْتِئْذَانُ: اللَّهُمَّ فَأُذِنْ لَنَا بِدُخُولِ هَذِهِ الْعَرَصَاتِ الَّتِي اسْتَعْبَدَتْ بِزِيَارَتِهَا أَهْلَ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ وَأَرْسَلْ دَمُوعَنَا بِخُشُوعِ الْمَهَابَةِ وَذَلَّلْ جَوَارِحَنَا بِذُلِّ الْعِبُودِيَةِ - الْكَلَامُ الْأَوَّلُ كَانَ عَنِ الْجَوَانِحِ الْآنَ عَنِ الْجَوَارِحِ، فَنَاءُ الْجَوَانِحِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَفَنَاءُ الْجَوَارِحِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ - حَتَّى كَأَنَّا نُخَاطِبُهُمْ فِي حَضُورِ أَشْخَاصِهِمْ - هَذَا هُوَ التَّصَاقُ الْجَوَانِحِ، الْجَوَانِحُ الْجَانِبُ الْمَعْنَوِيُّ مِنَ الْإِنْسَانِ، هَذَا هُوَ التَّصَاقُ الْجَوَانِحِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَهَذَا هُوَ التَّصَاقُ الْجَوَانِحِ: وَذَلَّلْ**

جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة حتى نُقَرَّ بما يجبُ لهم من الأوصاف ونعترف بأنهم شفعاء الخلائق إذا نُصبت الموازين في يوم الأعراف - ومَرَّ الكلام عن مقامهم في يوم الأعراف في هذه الحلقات التي مرت في اليومين الماضيين، هذه المنزلة الثالثة، منزلة فنَاءِ الجوانح والجوارح.

المنزلة الرابعة: تلاحظون الآية، المنزلة الأولى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ هذا العلم وهذه المعرفة من سفرة البلاغ المبين تترتب عليها مراتب ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ المرتبة الثانية ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ المرتبة الثالثة ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذه المرتبة الرابعة هي أعلى المراتب لذلك الآية خُتِمت بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ هذه مرتبة أخرى من التقوى وبعد التقوى يأتي الإحسان، هذه المرتبة الرابعة يمكن أن تكون الإشارة إليها فيما جاء في الزيارة الرجبية، نحن نذهب بعيداً فنعود قريباً إلى زيارات وأدعية ومناجيات هذه الأشهر الشريفة، شهر رجب شهر التوحيد، شهر المعرفة وشهر الولاية، في الزيارة الرجبية والتي يُستَحَبُّ زيارة الأئمة بها في شهر رجب، هذه الزيارة ماذا نقرأ فيها؟ - وأن يُرجعني من حضرتكم خير مرجع - إلى أين؟ الزائر يدعو هذا الدعاء، الزيارة رغم قصر هذه الزيارة إلا أنها مشحونة بالمعاني والمعارف، أشير إلى موطن الحاجة - وأن يُرجعني من حضرتكم خير مرجع - إلى أين؟ - إلى جناب مُمرع - هذا في الدنيا - إلى جناب مُمرع وخفضٍ موسّع ودعةٍ ومهلٍ إلى حين الأجل - يعني هذا بعد الرجوع من زيارتهم - وأن يُرجعني من حضرتكم خير مرجع إلى جناب مُمرع وخفضٍ موسّع ودعةٍ ومهلٍ إلى حين الأجل - هذه العبارات، هذه الكلمات، المعنى اللغوي إلى جناب مُمرع: المُمرع، الجناب المُمرع يعني الأرض المبسوطة الواسعة المليئة بالأشجار والخُضرة، الرياض النَّظرة، مُمرع يعني كثير الأشجار، خضرة جميلة، أشجار كثيرة، مكان مبسوط واسع كثير الماء، كثير الأشجار، كثير الرياحين، كثير الأطيوار، وخفضٍ موسّع: الخفض هو العيش الذي ليس فيه أيُّ شيء يُكَدِّره، خفضٍ موسّع، عيشٌ هادئٍ ليس فيه أيُّ شيء يُكَدِّره وموسع فيه كُلُّ أسباب الرفاه، كُلُّ الأبواب مُفَتَّحة، ودعةٍ ومهلٍ: الدعة هي الراحة والطمأنينة والسلامة، والمهل هو السكينة، هذه المعاني قد يفهمها من يريد أن يفهمها بالحديث عن الحياة المادية، هذه العبارات تشير إلى حياةٍ معنوية في أرقى معانيها مع أهل البيت، إلى جناب مُمرع: هذا الجناب المُمرع هذا جناب أهل البيت الحياة المعنوية العُلقة مع أهل البيت هذه المرتبة الرابعة: ﴿اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ كما في

الآية التي تلوّتها أكثر من مرة على مسامعكم.

لو نستمر في قراءة الزيارة - وخَيْرِ مَصِيرٍ وَمَحَلٍ فِي النَّعِيمِ الْأَزَلِ - النعيم الأزَل أعلى مراتب النعيم الأزَل هو القربُ من أهل البيت وليس هو الطعام والشراب، لذلك هذه المعاني الموجودة هنا تتحدث عن أحناء وأصناف العلاقة مع أهل البيت - وخَيْرِ مَصِيرٍ وَمَحَلٍ فِي النَّعِيمِ الْأَزَلِ وَالْعَيْشِ الْمُقْتَبَلِ وَدَوَامِ الْأَكْلِ وَشُرْبِ الرَّحِيقِ وَالسَّلْسَلِ - السلسل هو السلسيل، هو الشراب النقي الصافي الذي لا يقاوم الإنسان عذوبته - وَعَلٌّ وَنَهْلٌ - العَلٌّ هو الشربة الأولى، والشربة الأولى لها طعم إذا كان الإنسان عطشاناً، والنهل هي الشربة الثانية، الشربة الثانية بعد أن ارتوى ووجد الطيب في هذا الشراب فيريد أن يشرب لطيبه لا لعطشه، هناك عَلٌّ وهناك نَهْلٌ - لا سَأَمَ مِنْهُ وَلَا مَلَلٌ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ عَلَيْكُمْ حَتَّى الْعُودِ إِلَى حَضْرَتِكُمْ وَالْفُوزِ فِي كَرَّتِكُمْ وَالْحَشْرِ فِي زَمْرَتِكُمْ - في جميع الأحوال، العبارات هنا تتحدث عن حياة معنوية، لا أريد أن أطيل في المقطع الثاني الذي يتحدث عن الحياة المعنوية في الآخرة.

أريد أن أقف عند المرتبة الرابعة: ﴿اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وأن يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرٍ مَرْجِعٍ إِلَى جَنَابِ مُمَرِّعٍ وَخَفِضِ مُوسَعٍ وَدَعَةِ وَمَهْلٍ إِلَى حِينِ الْأَجْلِ - هذه العبارات تتحدث عن حياة معنوية، هذه الحياة المعنوية التي أُشير إليها في سورة الروم، الآية السابعة، الآية السادسة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ماذا لا يعلمون؟ أي شيء؟ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ هذه الآخرة ليست الآخرة القيامة، هذه الآخرة في مقابل الظاهر من الحياة الدنيا، هناك ظاهر في الحياة الدنيا وهناك باطن هناك شيء آخر ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إذاً أين الباطن؟ ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ هذا المعنى الذي نخاطبهم في زيارتهم: إِنِّي مُؤْمِنٌ بِظَاهِرِكُمْ وَبِاطْنِكُمْ، هناك العلاقة مع الظاهر وهناك العلاقة مع الباطن ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الوجه الآخر في هذه الحياة، الوجه الآخر في هذه الحياة الذي تتحدث عنه هذه الزيارة الرجبية - وَأَنْ يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرَ مَرْجِعٍ إِلَى جَنَابِ مُمَرِّعٍ وَخَفِضِ مُوسَعٍ وَدَعَةِ وَمَهْلٍ - السكون والطمأنينة والهدوء لا في أحناء الحياة التي تمتلئ بالمشاكل والاضطرابات والجوع والفقر في بعض الأحيان، الإنسان يشبع في وقتٍ ويجوع في وقتٍ آخر، ويعنى في وقتٍ ويفتقر في وقتٍ آخر، ويربح في وقتٍ ويخسر، ويتمتع بالصحة والعافية ويصيبه المرض، ويكون جميلاً وسيماً فيعرض له عارض فيكون قبيحاً، ويأخذه الغرور بشبابه ثم يأتي الشيب وتأتي الشيخوخة بآلامها وأمراضها وعجزها وعيوبها، ويأتي الصبح ثم يأتي الليل والأيام متقلبة، أين هي

الدَّعَةُ وَالْمَهَلُ فِي هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْحَيَاةِ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كم من الناس يعيشون في الخوف والاضطراب والسجون والأمراض، أقرأوا دعاء الجوشن الصغير، دعاء الجوشن الصغير أقرأوه لا على سبيل الدعاء، أقرأوه كما تقرأون أيّ كتاب، حتى يتبصر الإنسان فيما حوله من اضطرابات الحياة ومن بلاءاتها وفتناتها، وأيضاً يتذكر ما لله عليه من نعم، هذا هو الوجه الظاهر من الحياة، الوجه الحقيقي والسعادة الحقيقية مع أهل البيت، وأين المُلوكُ وأبناء الملوكة عن هذه اللذائذ!!

| | |
|--------------------------|----------------------|
| عسلاً شفاءً للعليل | فلقد كرهتُ بحُبِّهم |
| ومزاجُهُ كالزنجبيل | مثلُ الزُّلالِ صفائه |
| قُلْ ما تشاءُ من الفضولِ | ذُقْ ما أذوقُ وبعدهُ |

وَأَنْ يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرَ مَرْجِعٍ إِلَى جَنَابِ مُمْرِعٍ وَخَفِضٍ مُوسِعٍ وَدَعَةٍ وَمَهَلٍ - أَيِ وَاللَّهِ أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ عَنْ هَذِهِ اللَّذَائِذِ وَعَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، حين يقول الزُّهَادُ والصوفيةُ أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ لِأَنَّ الْمُلُوكَ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ يَبْحَثُونَ عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ وَعَنْ كُلِّ بَهْجَةٍ، وَيُنْفِقُونَ الْأَمْوَالَ وَحَتَّى يَقْطَعُونَ الرُّؤُوسَ وَيَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ أَنْ يَصِلُوا إِلَى لَذَائِهِمْ فِي أَشَدِّ صُورِهَا، فَأَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ عَنْ هَذِهِ اللَّذَائِذِ - وَأَنْ يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرَ مَرْجِعٍ إِلَى جَنَابِ مُمْرِعٍ وَخَفِضٍ مُوسِعٍ وَدَعَةٍ وَمَهَلٍ إِلَى حِينِ الْأَجْلِ - ذَلِكَ هُوَ الْعَيْشُ الْحَقِيقِيُّ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّرَابُ الشَّرِيفُ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ

سورة النحل المباركة، ماذا تقول سورة النحل؟ في الآية الثامنة والستين وما بعدها: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا هو الشراب الذي فيه شفاءُ القلوب وفيه شفاءُ الحياة، هذا هو الشراب المُحَمَّدِيُّ الْعَلَوِيُّ الْفَاطِمِيُّ الْحَسَنِيُّ الْحُسَيْنِيُّ الْمَهْدَوِيُّ ﴿شَرَابٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ والزيارة هنا الرجبية ماذا تقول؟ وخير مَصِيرٍ وَمَحَلٍ فِي النَّعِيمِ الْأَزَلِ وَالْعَيْشِ الْمُقْتَبَلِ وَدَوَامِ الْأَكْلِ وَشُرْبِ الرَّحِيقِ - وَالرَّحِيقُ هُوَ الْعَسَلُ، الرَّحِيقُ هُوَ الْمَادَّةُ الَّتِي يَتَكُونُ مِنْهَا الْعَسَلُ، النَّحْلَةُ مَاذَا تَأْخُذُ مِنَ الزَّهْرَةِ؟ أَلَا تَأْخُذُ رَحِيقَهَا، الْمَادَّةُ الَّتِي تَأْخُذُهَا النَّحْلَةُ مِنَ الزَّهْرَةِ تَسْمَى بِرَحِيقِ الزَّهْرَةِ، الرَّحِيقُ هُوَ جَوْهَرُ الْعَسَلِ - وَخَيْرِ مَصِيرٍ وَمَحَلٍ فِي النَّعِيمِ الْأَزَلِ وَالْعَيْشِ الْمُقْتَبَلِ وَدَوَامِ الْأَكْلِ وَشُرْبِ الرَّحِيقِ وَالسَّلْسَلِ ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ماذا تقول

روايات أهل البيت وأحاديث أهل البيت؟

ونحن كما قلت سابقاً من الكتاب إلى العترة ومن العترة إلى الكتاب، ولا جاء ذلك اليوم الذي نخرج فيه من الكتاب فلا نذهب إلى العترة أو نخرج من العترة فلا نذهب إلى الكتاب، لا جاء ذلك اليوم ولا أَرانا الله ذلك اليوم في حياتنا وفي حياة كُلِّ مُحِبٍّ من مُحِبِّي عَلِيِّ وآلِ عَلِيٍّ، لأننا حين نخرج من الكتاب فنذهب إلى غير العترة فقد ذهبنا إلى تلك العيون الكدرة التي تقدمت الروايات عنها، وحين نخرج من العترة فلا نذهب إلى الكتاب فقد تهبنا وقد ضلَّ بنا الطريق، لأن مُحَمَّدًا الذي جاءنا بالحقيقة وفَرَّشَ لنا سفرة البلاغ المبين هو قد أودع فينا هذه الوديعة، أودع فينا الكتاب والعترة وقال: ما إن تمسكتم بهما فإنكم لن تضلوا بعدي أبداً، إذا أردنا أن نفي لِمُحَمَّدٍ بالعهودِ والمواثيق فأن لا نخرج من هذا الفناء من فناء الكتاب والعترة.

في تفسير القمي علي بن إبراهيم: عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ قال: نحن النحل الذي أوحى الله إليها ﴿أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ يقول: من العجم ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ من الموالي، والذي يخرج من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه العلم الذي يخرج منا إليكم.

أيضاً العياشي ينقل هذا المعنى عن إمامنا الصادق، الرواية طويلة أشير فقط إلى موطن الحاجة، التفتوا إلى هذه النكتة الدقيقة - يقول: في العلم شفاء للناس والشيعة هم الناس ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ يقول: في العلم شفاء للناس والشيعة هم الناس وغيرهم الله أعلم بهم ما هم، قال: - إمامنا يقول - ولو كان كما يُزعم أنه العسل - قطعاً الإمام هنا لا يريد أن ينفي الوجه الأول للآية وإنما يريد أن يبين بأن الوجه الثاني حقيقة وليس الآية محصورة بالوجه الأول فقط - قال: ولو كان كما يُزعم أنه العسل الذي يأكله الناس إذا ما أكل منه ولا شرب ذو عاهة إلا برئ - لأن الآية تقول: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ فهل يمكن أن يتخلف قول الله!! الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الإمام يقول لو كانت الآية محصورة بهذا المعنى لكان كل من شرب العسل وتناول العسل لشفى من مرضه ومن عاهته ولكن الواقع لا يقول ذلك - ولو كان كما يُزعم أنه العسل الذي يأكله الناس إذا ما أكل منه ولا شرب ذو عاهة إلا برئ لقول الله ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ولا خلف لقول الله وإنما الشفاء في علم القرآن - في الكتاب والعترة، والقرآن هكذا يفهم، تفهمه العترة وهكذا تبينه لنا - وإنما الشفاء في علم القرآن لقوله ﴿وُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ - والقرآن قطعاً شفاء، لا يختلف ولا يتخلف للمؤمنين الذين ذاقوا معنى الكتاب والعترة - فهو شفاء ورحمة لأهله لا شك فيه ولا مربة وأهله - من

هُم؟ - أئمة الهدى - أهل هذا الكتاب - وأهله أئمة الهدى الذين قال الله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ - وهؤلاء هم الذين يخرج منهم هذا العسل الرقيق هذا العلم الحقيق - قال ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ قال: في العلم شفاء للناس والشيعه هم الناس.

فلقدر كرعثُ بِحُبِّهِمْ
عسلاً شفاءً للعليل
ومزاجه كالزنجبيل
مثل الزلال صفائه

﴿شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ بودي أن أذهب بعيداً في بيان معاني وخصائص هذه المراتب من خلال روايات أهل البيت ومن خلال زياراتهم ولكننا محكومون بالوقت وإنني أحاول أن أتم الكلام في هذه الأيام في أيام شهر رجب فيما بقي بين يدي من النص الطويل العريض للزيارة الجامعة الكبيرة، أسأله تعالى أن يوفقي لخدمتكم في وقتٍ آخر لأتحدث عن خصائص منهج السلوك باتجاه أهل البيت ولبيان أوصاف مراتب ومراقي الارتباط بأهل البيت والتقرب إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كل ذلك من قرآنهم ومن حديثهم لا مما قالت الصوفية أو مما قالت به هذه الجماعة أو تلك، كل هذه المعاني بينها الكتاب الكريم وبينتها العترة الطاهرة في كلماتها وأحاديثها ومعارفها وعلومها. والكلام متواصل في الزيارة الجامعة الكبيرة، بعد أن تم المقطع الخامس ورحمة الله وبركاته، تبدأ الزيارة فتقول: **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأَوْلُوا الْعِلْمَ مِنْ خَلْقِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** - بعد بيان مراتب أهل البيت في المقاطع الخمسة المتقدمة جاء ذكر التوحيد، وإنما جاء ذكر التوحيد بهذا الشكل إنّه مصداق لما في الزيارة الجامعة من أراد الله بدأ بكم، الذي يريد الله أن يبدأ بكم لذلك بدأت الزيارة: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ**، فعددت وعددت من أوصافهم ومن مراتبهم في المقاطع الخمسة المتقدمة، نحن نريد الله لذلك بدأنا بهم، نحن ما بدأنا بهم وبذكرهم وبالسلام عليهم إلا لأننا نريد الوصول إلى الله، من أحبكم فقد أحب الله، من أبغضكم فقد أبغض الله، من والاكم فقد والى الله، من عاداكم فقد عادى الله، وجوهر المعنى: ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، نحن اعتصمنا بكم آل محمد، اعتصمنا بأهل البيت لأن من يعتصم بأهل البيت فقد اعتصم بالله، لذلك الزيارة بدأت: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ**، وانتهت: ونوره وبرهانه ورحمة الله وبركاته. هذا هو الباب الواسع، هذا هو الوجه الذي إليه نتوجه، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء هذا هو وجه الله، حين توجهنا إلى وجه الله وصلنا إلى التوحيد - **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ** - وهنا لا أتحدث عن التوحيد كما يتحدث الكلاميون وآتي بأدلتهم ولا أتحدث عن التوحيد

كما يتحدث الفلاسفة ولا أريد أن أذهب إلى إشارات العرفاء والصوفية، أريد أن أتحدث عن التوحيد كما تحدث أهل البيت لنا من خلال أدعيتهم.

من أفضل مصادر معرفة عقيدة التوحيد عند أهل البيت هو أدعيتهم فضلاً عن النصوص والروايات الواردة بخصوص هذا الموضوع، نحن في شهر رجب في شهر التوحيد لذلك يُستحبُّ الإكثارُ من قراءة سورة التوحيد في هذا الشهر، وهذه المعاني مُبَيَّنَةٌ في أعمال وسُنن هذا الشهر الشريف يمكننا أن تراجعوا الكثير منها في كتاب مفاتيح الجنان، لنذهب إلى أدعية شهر رجب، في أدعية شهر رجب في الدعاء المروي عن إمامنا الحجة صلوات الله وسلامه عليه، لنقرأ هذا المقطع الذي يُحدِّثنا عن التوحيد: يا باطناً في ظهوره وظاهراً في بطونه ومكنونه، يا مُفَرِّقاً بين النور والديجور - الديجور الظلام الشديد - يا موصوفاً بغير كنه ومعروفاً بغير شبه، حادَّ كُلِّ محدود وشاهدَ كُلِّ مشهود وموجدَ كُلِّ موجود ومُحصي كُلِّ معدود وفاقدَ كُلِّ مفقود - فاقدَ كُلِّ مفقود أنه فاقدٌ لكل نقص، مفقود هو ما حكمت الفطرة والوجدانُ النظيفُ الطاهر والعقلُ السليمُ بتنزيه الباري عنه، وفاقدَ كُلِّ مفقود يعني أنه فاقدٌ لكل نقص - وفاقدَ كُلِّ مفقود ليس دونك من معبود - مفقود يعني ما حَكَمَ العقلُ بأنَّ الذات الكاملة تفقدُ هذا الشيء، هذا هو التوحيد، هل نجد تعبيراً في أيِّ كتابٍ عند أيِّ ملة كهذه التعابير الواضحة الجلية في التقديس وفي التنزيه وفي التمجيد والتعظيم لله سبحانه وتعالى؟! صفاءٌ في التعبير، جمالٌ في المعنى، دقةٌ في الحقيقة، وإحاطةٌ بكل المضمون - يا باطناً في ظهوره وظاهراً في بطونه ومكنونه، يا مُفَرِّقاً بين النور والديجور، يا موصوفاً بغير كنه ومعروفاً بغير شبه، حادَّ كُلِّ محدود وشاهدَ كُلِّ مشهود وموجدَ كُلِّ موجود ومُحصي كُلِّ معدود وفاقدَ كُلِّ مفقود ليس دونك من معبود أهل الكبرياء والجود، يا من لا يُكَيِّفُ بكيف ولا يُوَيِّنُ بأين - يا من لا يُكَيِّفُ بكيف: لا يُسأل عنه بكيف، ولا يُوَيِّنُ بأين: ولا يُسأل عنه بأين - يا مُحْتَجِباً عن كُلِّ عين يا ديمومُ يا قيوم وعالم كُلِّ معلوم - هذا هو التوحيد يا من يريدُ البحثَ عن حقائق التوحيد.

وفي دعاءٍ آخر أيضاً من أدعية شهر رجب، وهذا الدعاء الذي قرأته وهذا الدعاء الثاني من الأدعية التي يُستحبُّ قراءتها يوماً في شهر رجب - يا مَنْ لا يُنَعْتُ بتمثيل - الخِطابُ مع الله سبحانه وتعالى - يا مَنْ لا يُنَعْتُ بتمثيل ولا يُمَثَّلُ بنظير ولا يُغَلَّبُ بظهير، يا مَنْ خَلَقَ فرزق وألهم فأنطق وأبتدع فشرع وعلا فارتفع وقدر فأحسن وصور فأتنقن واحتج فأبلغ وأنعم فأسبغ وأعطى فأجزل ومنح فأفضل، يا مَنْ سما في العزِّ ففات نواظرَ الأبصار ودنا في اللطف فجاز هواجسَ الأفكار، يا مَنْ توحد في الملك فلا ند له في ملكوت سلطانه وتفرد بالآلاء والكبرياء فلا ضدَّ له في جبروت شانه، يا مَنْ حارت في كبرياء هيئته دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام يا مَنْ عنت الوجوه

لهيبته وخضعت الرقاب لعظمته ووجلت القلوب من خيفته - ثم يقول الدعاء - أسألك بهذه المدحة - هذه الأوصاف هذا المديح - أسألك بهذه المدحة التي لا تنبغي إلا لك - وهذا هو التوحيد، هذا هو توحيد أهل البيت، فأين توحيد أولئك الذين يُشككون في توحيد أشياع أهل البيت؟ هذا هو توحيد أهل البيت.

في دعاء آخر من أدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من أدعية الفرج: يا مَنْ تُحَلُّ بِهِ عَقْدُ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْتَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ الْمَخْرَجُ إِلَى رُوحِ الْفَرَجِ، ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابَ وَتَسَبَّتَ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابَ وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءَ، وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءَ - أَيُّ إِنْسَانٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْبِكَ هَذَا التَّعْبِيرَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَفِي تَوْحِيدِهِ؟! هَذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ الْمُعْصومِينَ - ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابَ وَتَسَبَّتَ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابَ وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءَ، وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءَ فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ وَإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ - أَيُّ تَعْبِيرٍ أَجْمَلُ مِنْ هَذَا التَّعْبِيرِ - فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ - دُونَ أَنْ تَقُولَ - مُؤْتَمِرَةٌ، وَإِرَادَتِكَ - دُونَ أَنْ تَنْهَاهَا - دُونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ أَنْتَ الْمَدْعُوُّ لِلْمُهْمَمَاتِ وَأَنْتَ الْمَفْرَعُ فِي الْمُؤَلَّمَاتِ لَا يَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلَّا مَا دَفَعْتَ وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَشَفْتَ - هَذِهِ نَمَازِجٌ وَأَلَا فَادْعِيَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِّهَا تُعْلَنُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ.

إذا نذهب إلى دعاء الجوشن وهو أعظم لوحة في التوحيد، دعاء الجوشن الكبير فقط أقتطف منه مقطعين يتحدثان عن معنى التوحيد بشكل واضح جلي، المقطع السابع بعد العاشر من مقاطع دعاء الجوشن الكبير: يَا مَنْ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ بَاقِي وَيَفْنَى كُلَّ شَيْءٍ.

المقطع الثاني من دعاء الجوشن الكبير وهو المقطع الحادي والتسعون: يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَخْلُقُ الْخَلْقَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يُنْزِلُ النَّعْمَةَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يُنَزِّلُ الْغَيْثَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يَبْسُطُ الرِّزْقَ إِلَّا هُوَ، يَا مَنْ لَا يُحْيِي الْمَوْتَى إِلَّا هُوَ، سُبْحَانَهُ مَنْ هُوَ هَكَذَا لَا هَكَذَا غَيْرَهُ.

هذا هو توحيدنا ولو أردت أن أتبع أدعية أهل البيت إنها تعطينا روح التوحيد بعيداً عن أدلة المتكلمين وأدلة الفلاسفة فتلك لها بابها وساحتها وشأنها، التوحيد الحقيقي هو هذا التوحيد، توحيد الوجدان، توحيد الفطرة وتوحيد العقل الذي استنار بنور أهل البيت هذا هو التوحيد، هذه هي صفحات من معاني التوحيد.

حين نقرأ في الزيارة الجامعة فنقول: **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ** - فإننا نعتقد بكل هذه المعاني وبأكثر من هذه المعاني، وما عند أهل البيت إنما هو بإذنه بفضلِهِ بنعمته بجلاله بجماله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وكلُّ شيءٍ إن تحقق في الوجود فهو من فيضه وهو من لطفه وما هذا الوجود إلا ظلالٌ نوره، ونوره تجلّى في مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وما مُحَمَّدٌ وآلِ مُحَمَّدٍ إلا مظهر من مظاهره، هو المظهر الأتم الذي أظهره في وجوده وفي خلقه - **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ** - هذه شهادة لكنها على مراتب - **كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ** - كيف يشهد الله لنفسه؟ ما معنى أشهد؟ أشهد من الشهادة والشهادة تعني العلم والحضور لذلك يُقال فلان شاهد على القضية الكذائية لأنه كان حاضراً ولمّا كان حاضراً كان ملتفتاً بحواسه وبمداركه لذلك هو عالم بالذي جرى فهو حاضرٌ وعالم، حين أقول: أشهد أي أنني أعلم وكذلك أُقِرُّ بأنَّ الله لا شريك له، بأنه لا إله إلا الله، كما شَهِدَ لِنَفْسِهِ كيف يشهد الله لنفسه؟ علمه بنفسه، علم الباري سبحانه وتعالى بنفسه هي هذه شهادته لنفسه فهل نستطيع أن نتصور هذا المعنى؟ نحن لا نستطيع أن نتصور هذا المعنى لكننا نُقِرُّ بذلك ونعتقدُ بذلك كما علّمنا هو سبحانه وتعالى عن طريق مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

المعنى الموجود هنا: **أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ** - أما ملائكتُهُ متى شَهِدَتْ؟ شَهِدَتْ الملائكة بعد أن تعلّمت من مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ومرت علينا الروايات - **وَأُولُوا الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ** - أولوا العلم من خلقه المرتبة الأولى والأعلى هم مُحَمَّدٌ وآلِ مُحَمَّدٍ، يمكن أن ينطبق هذا الكلام على غيرهم بالمُسامحة وبالتجوّز لكن المعنى الحقيقي لا ينطبق إلا عليهم لأنهم هم أصحاب العلم الحقيقي، حتى لا ينطبق على الأنبياء فإن علم الأنبياء دون علمهم بل لا توجد مقايضة بين علم مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وبين علوم الأنبياء، وهذا المعنى بينته روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والقصة قصة موسى والخضر وهذا الطائر الذي غمس منقاره في البحر والخضر فسّر هذا المعنى قال: ما علمي وعلمك وعلم الأنبياء وعلم الخلق بجنب علم وصي مُحَمَّدٍ إلا كهذا الماء الذي أخذته هذا الطائر بمنقاره إلى هذا البحر، والمعاني واضحة وكثيرة في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُوا الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ - هذا المعنى تقتبسه الزيارة من سورة آل عمران، الآية الثامنة بعد العاشرة ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهذا هو التعانق بين الكتاب والعترة، فإن الكتاب ليس ببعيدٍ عن العترة وإن العترة ليست ببعيدةٍ عن الكتاب، هذا المضمون نفسه هو الموجود في

الآية الثامنة بعد العاشرة من سورة آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - هذا تأكيدٌ على المعنى الذي تقدم - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - العزيز الحكيم: العزيز له معانٍ عديدة وأنا هنا لا أريد الحديث بالتفصيل عن الأسماء الحسنى إن شاء الله يكون لنا برنامج في المستقبل في بيان معاني أسماء الله الحسنى، العزيز هو الذي ليس له شبيه، في لغة العرب تقول بأن هذا الشيء شيءٌ عزيزٌ أي نادر، هذه الدرّة درّةٌ عزيزةٌ أي لا شبيه لها، درّةٌ يتيمة، الدرّة اليتيمة الدرّة العزيزة التي لا شبيه لها، العزيز الذي لا شبيه له، العزيز الذي يكون مفقوداً لا يستطيع الإنسان أن يناله وهو العزيز الحكيم، هو العزيز المتعالي، الذات التي لا تستطيع العقول أن تصل إليها، مثل ما موجود في الحياة الدنيوية هناك أشياء عزيزة يصعب على الإنسان أن ينالها، الذات الإلهية عزيزةٌ على العقول، العقول تعجز أن تصل إليها، والعزيز هو القادرُ على أن يفعل ما يشاء، فعزيرُ القوم سيدهم وهو القادرُ على أن يأمر وأن ينهى وأن يفعل وأن يترك ما يريد.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - وهذا الوصف: العزيز والحكيم، والحكيم هو العالم، الحكيم هو العالمُ بمعنى من المعاني كُلِّ الصفات الإلهية تعودُ إلى علمه، ذاته علمه وعلمه ذاته، وعلمه حياته وحياته علمه جلّ شأنه وتعالى، كُلُّ هذه الصفات تعودُ إلى حياته وعلمه وقدرته، هو الحيُّ القيومُ العالمُ القادر، كُلُّ هذه المعاني عائدةٌ إلى هذه الصفات وصفاته عينُ ذاته هذه هي عقيدتنا التي تعلمناها من سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه.

في المناجاة الشعبانية نجد الإشارة إلى معنى العزة واضحة ولذلك إيرادُ أسم العزيز في عنوان التوحيد وفي مضمون التوحيد فيه إشاراتٌ واضحةٌ وجليةٌ لما بين العابد والمعبود لما بين الخالق والمخلوق، في المناجاة الشعبانية: إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأثر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حُجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا مُعلّقةً بعزِّ قُدسِك - مُعلّقةً بعزِّ قُدسِك وعزِّ قدسه هو مجلى من مجالي أسمه العزيز - وتصير أرواحنا مُعلّقةً بعزِّ قُدسِك - والمجلى الأوضح لعزِّ قُدسه الحقيقةُ المُحمّدية، مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ، ثم تستمرُّ المناجاة: إلهي وألحقني بنور عزك الأبهج - وعزّه الأبهج مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ - وألحقني بنور عزك الأبهج.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ - وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا: المُحمّدُ هو الذي جمع المحامد كلها، مُحَمَّدٌ هو الذي جمعَ المحامد كلها، والمحامد هي المحاسنُ التي تُحمد، ربما هناك من المحاسنِ

من لا يستطيع الإنسان أو من لا يلتفت الإنسان إلى حمدها ولكن كل محاسن مُحَمَّد تتوجه العقول والقلوب والفطر إلى حمدها، فما من حُسنٍ عند مُحَمَّدٍ إلا وهي تستحقُّ الحمد لذلك كان مُحَمَّد، مُحَمَّد هو بجمع المحامد، ما فيه من ذاتياتٍ وما فيه من عَرَضياتٍ كُلُّ ما فيه من أوله إلى آخره ومن ظاهره إلى باطنه كُلُّه مُحَمَّد هو بجمع المحامد بل بعبارةٍ دقيقةٍ هو حقيقةُ الحمد، مُحَمَّد هو حقيقةُ الحمد وهو الحمد بكل معناه - وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرتَضَى - أما رسوله المُرتضى فالإشارة واضحة إلى علمه الغيبي المُحيط، وهذا ما جاء في قرآنا الكريم في سورة الجن، الآية السادسة والعشرون ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ والآية التي بعدها ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ على كل الغيب ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ﴾ على الغيب الخاص، هناك غيبٌ تطلع عليه الملائكة، هذا هو الحرف الثالث والسبعون من حروف الأسم الأعظم، هذا هو العلم المكنون الذي ما أطلع عليه أحد إلا الله، وإلا هناك من الغيب يعرفه الأنبياء، وهناك من الغيب تعرفه الملائكة ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ هذا غيبٌ خاص بالله منسوب إلى الله، على غيبه الهاء هنا الضمير تعودُ على الله ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ * ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ والرسول المرتضى هو مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، والمرتضى من الرسول هو علي المرتضى الروايات هكذا أخبرتنا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرتَضَى - المنتجب أخص من المرتضى، عبده المنتجب أعلى رتبةً من رسوله المرتضى - وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنتَجَبُ - أعلى رتبةٍ للنبي صلى الله عليه وآله هي رتبة العبودية، وإلى هذا الإشارة في الحديث: العبودية جوهرٌ كُنْهها الربوبية، هذه الجوهرة التي كُنْهها الربوبية لو لم تكن هذه العبودية بهذه القيمة لَمَا أطلعه على غيبه على الغيب الخاص بالله، لَمَا أظهره على غيبه، هو العبد المنتجب، المنتجب هو أيضاً المرتضى ولكن بخصوصية أكثر - وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرتَضَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى - والهدى ولاية عليّ، لذلك قالها في عيد غدِير خم في يوم الغدير، قال: اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله، جعل الهداية مع عليّ ولذلك قلت بأن الهدى عليّ صلوات الله عليه - أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ - الهدى في رواياتنا في أكثر الأحيان يُعَبَّرُ بها عن عليّ وأما دِينُ الْحَقِّ ففيه الإشارة إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه لأن دين الحق لا يظهر إلا على يده على يد إمام زماننا - أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ - وهذا دِينُ الْحَقِّ لا يظهر إلا في زمان إمامنا - لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ - هل كَمُلَ

الإسلام؟! هناك شهادة ثلاثة لا بد من وجود الشهادة الثالثة - **وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ** - هذا هو الإسلام: الشهادة بالتوحيد، الشهادة بالرسالة ثم الشهادة بالولاية والإمامة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده المنتجب ورسوله المرتضى وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، هنا الأوصاف أوصاف تفصيلية، وكل هذه الأوصاف الموجودة هنا مردها إلى الأصول والأسس والقواعد في المقاطع الخمسة التي تَقَدَّم الحديث عنها لكن هناك نكتة دقيقة أشير إليها - **وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةُ** - الأئمة، الأئمة هذا العنوان الجامع، الأئمة جمع لإمام هذا عنوان جامع، حين أقول إمام يعني هو مجمع الفضائل والكمالات، الأئمة هذا العنوان الجامع تبدأ الزيارة تُفَصِّلُ من هم هؤلاء الأئمة؟

الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمُكْرَمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ - كم صفة هذه؟ أحسبها معي: الراشدون واحد، المهديون إثنان، المعصومون ثلاثة، المكرمون أربعة، المقربون خمسة، المتقون ستة، الصادقون سبعة، المصطفون ثمانية، المطيعون لله تسعة، القوامون بأمره عشرة، العاملون بإرادته إحدى عشر، الفائزون بكرامته إثنا عشر، هذه جاءت جُزْأً! بعد وصف الأئمة - **وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةُ** - وتبدأ الأوصاف إثنا عشر صفة، هذا نصٌّ معصومي، حتى المقاطع السابقة أنا ما أردت أن أشير إلى تعداد الأرقام والخوض في الأرقام وأسرار الأرقام، وإلا حتى المقاطع السابقة ففي كل مقطع هناك عدد معين فيه إشارة لكنني ما أردت الخوض في هذا المطلب، الآن بعد أن قال: **وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةُ** - عدّد هذه الأوصاف إثنا عشر وهي إشارة واضحة إلى عدد هم الشريف، هذا المقطع وما بعده من العبارات ما بين طيٍّ ونشر وسأبين هذا المقصود - **وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأئِمَّةُ** - الأئمة هذا عنوان جامع ما هي تفاصيله؟ **الرَّاشِدُونَ** - الراشدون: الراشد هو القادر على أن يأتي بكل عملٍ على أتم وجه، الراشد هو الذي يأتي بأعماله بأقواله بأحواله على أتم وجه - **الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ** - المهدي: هو المهتدي والهادي لغيره - **الْمَعْصُومُونَ** - المعصومون: وستحدث عن معنى العصمة في ملف العصمة، ملف العصمة سأشرع فيه إن شاء الله تعالى في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب وهو يوم المبعث الشريف من أهم أعيادنا، في هذا اليوم تبدأ الحلقة الأولى من برنامجنا ملفُ العصمة وهو من أهم الملفات العقائدية التي تَقَدَّم قسم منها وبقي قسمٌ آخر - **الْمَعْصُومُونَ الْمُكْرَمُونَ** - وإنما يُكْرَمُونَ لكرامةٍ فيهم والذي فيه الكرامة هو الذي لا يصدر عنه إلا الخير إلا الكرم - **الْمُكْرَمُونَ الْمُقَرَّبُونَ** - وهل هناك من أحدٍ أقرب منهم إلى الله - **الْمُقَرَّبُونَ** - المقربون: المُقَرَّبُ من الجمال يكون جميلاً، المُقَرَّبُ من الماء يكون نظيفاً يكون طاهراً، والمقرب من الأوساخ يكون وسخاً، المقرب من الأوراد والروائح الطيبة تكون رائحته طيبة، هم مُقَرَّبُونَ إلى الله أقرب شيءٍ ولذلك صفاتهم صفاتٌ إلهية، مناقبهم مناقبٌ

إلهية، هم أقرب شيءٍ إلى الله - الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ - المتقون: هذا المعنى من التقوى لا هذا المعنى المحدود في قضية تجنب المحارم وفي قضية إتيان الواجبات الشرعية، التعريف الذي يُعرِّفه سيد الأوصياء للتقوى وهو أن يجردك في مواطن طاعته وأن يفتقدك من مواضع معصيته، هذا المعنى من التقوى بالنسبة لنا، المتقون هنا معنى أبعد وأوسع، التقوى هي الدرع، التقوى هي الحصن، المتقون هنا هم الذين يكونون حصناً لأولياءهم بل يكونون أماناً للخلق، أليس هم أمان لأهل السماء ولأهل الأرض، المتقون بهذا المعنى هم الدرع الحصينة - الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ - ليس المراد الصدق في القول، هذا يمكن أن نتحلى نحنُ به، هذا الصدق في العلم، علمهم صادق لأنهم يملكون الحقيقة، أما الصدق في القول فهذا من البديهيات لا داعي لذكره، صادقون في علمهم لأنهم يملكون الحقيقة، ولا يملك أحدٌ الحقيقة غيرهم صلوات الله عليهم في كل هذا الوجود

من جاء بالقول البليغ فناقلاً عنهم وإلا فهو منهم سارق

ما في أيدي الخلق من حقٍّ ومن علمٍ ومن هدىٍ فقد خرج من عليّ صلوات الله عليه، وهذا ليس فقط في المستوى البشري أو في المستوى التاريخي، هم علّموا الملائكة، هم علّموا الكائنات ومرت علينا الروايات - الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفُونَ - هم الذين اصطفاهم الله واصطفاهم أي خصهم بصفاته هذا هو معنى اصطفائهم، لا أنه فضلهم على غيرهم، فمن غيرهم حتى يُقاس أهل البيت به، لا يُقاس بآل مُحَمَّدٍ أحدٌ من هذه الأمة، لا يمكن أن يُقاس أحد، هذا في العالم البشري أما في العوالم قبل العالم البشري فهم كانوا قبل الخلق، لا يُقاس أحد بأهل البيت حتى يكون اصطفاء أهل البيت على بقية الناس، متى كان الناس حتى يُصطفى أهل البيت على الناس ومن بين الناس، مثل ما قال إمامنا الصادق لهذا الذي قال الله أكبر من كل شيء، قال: متى كان مع الله شيء حتى كان الله أكبر من كل شيء، ما قيمة هذه الأشياء، أيضاً الناس متى كانوا مع مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ حتى يُقاسوا بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ؟!

من هُم المصطفون الذين اصطفاهم لنفسه اختارهم لنفسه، خلقتك لأجلي، يا أحمد خلقتك لأجلي - الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفُونَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ - المطيعون أي أنّ إرادة الباري تتجلى فيهم، أمس قرأنا في زيارة سيد الشهداء الزيارة المطلقة: إرادة الربِّ في مقادير أموره تهبطُ إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عمّا فُصِّل من أحكام العباد - الزيارة المطلقة الأولى في مفاتيح الجنان التي رواها المُحدِّث القمي عن الكافي عن كافي الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه - إرادة الربِّ في مقادير أموره تهبطُ إليكم وتصدر من بيوتكم - هذا هو معنى المطيعون لله، ليس المطيعون لله هنا المراد أنه يصلي ويصوم، لذلك يأتي الوصف - القَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ - فهم مطيعون في مقادير أموره وقوامون بأمره - الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ القَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ العَامِلُونَ

بِإِرَادَتِهِ - العاملون بإرادته: إرادة الربّ في مقادير أمورهِ تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، هؤلاء هم أئمتنا، وهؤلاء هم الذين عرّفونا بأنفسهم صلوات الله عليهم، إذا كان البعض لا يعجبه هذا الكلام هو حر، هو حر والملتقى في يوم القيامة - الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ - هذه الأوصاف بلغت إلى العدد الثاني عشر، تبدأ الزيارة بصيغة أخرى، هذه: الراشدون، المهديون، المعصومون على صيغة فاعل، الآن تبدأ الزيارة بعد أن عدت هذا العدد اثنا عشر من الأوصاف بهذه الصيغة تبدأ الزيارة بتعبير آخر - اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيره - نفس الأوصاف السابقة لكن جاءت منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى، الأوصاف الأولى أنتم راشدون، مهديون، من أراد الله بدأ بكم، الآن بدأ بهم الراشدون المهديون هم هم بعد ذلك وصلنا إلى الله فتحدث عن فضل الله عليهم: اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيره واختاركم لسره واجتباكم بقدرته وأعزكم بهداه وخصكم ببرهانه وانتجبكم لنوره وأيدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته وأنصاراً لدينه وحفظة لسره وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوحيه وأركاناً لتوحيده وشهداء على خلقه وأعلاماً لعباده ومناراً في بلاده وأدلاء على صراطه عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن وطهركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً - إلى هنا ينتهي مقطع ثم يبدأ مقطع جديد آخر.

لنرجع إلى هذا المقطع لنرى طريقة السبك ولنرى الأعداد التي جاءت فيها هذه العباير، أحسبوا معي: اصطفاكم بعلمه - واحد - وارتضاكم لغيره - اثنين - واختاركم لسره - ثلاثة - واجتباكم بقدرته - أربعة - وأعزكم بهداه - خمسة - وخصكم ببرهانه - ستة - وانتجبكم لنوره - سبعة - وأيدكم بروحه - ثمانية - ورضيكم - هذه تسعة ثم - ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته - هذا المقطع طويل بعد أن ينتهي - عصمكم الله من الزلل - هذه كم يكون؟ يكون عشرة - وآمنكم من الفتن - إحدى عشر - وطهركم من الدنس - اثنا عشر - وأذهب عنكم الرجس - ثلاثة عشر - وطهركم تطهيراً - أربعة عشر، يعني هذا العدد جاء جُزافاً أيضاً؟!

الفقرة التي كانت طويلة - ورضيكم خلفاء في أرضه - الصيغة مختلفة فيها لنحسب كم جاء في هذه الصيغة - ورضيكم خلفاء في أرضه - واحد - وحججاً على بريته - اثنين - وأنصاراً لدينه - ثلاثة - وحفظة لسره - أربعة - وخزنة لعلمه - خمسة - ومستودعاً لحكمته - ستة - وتراجمة لوحيه - سبعة - وأركاناً لتوحيده - ثمانية - وشهداء على خلقه - تسعة - وأعلاماً لعباده - عشرة - ومناراً في بلاده - إحدى عشر - وأدلاء على صراطه - اثنا عشر، أيضاً هذه الأعداد جاءت جُزافاً، هؤلاء الذين يُشككون في الزيارة الجامعة ولا يعرفون شيئاً من معناها، الزيارة الجامعة من أولها إلى آخرها مبنية على نظام

هندسي معين وكل زيارات أهل البيت هكذا، هناك هندسة خاصة وهناك شفرات خاصة في زيارات أهل البيت وفي أدعيتهم، هؤلاء الذين يتمشّدون على المنابر وعلى الفضائيات وفي وسائل الإعلام ويُضَعَّفون روايات أهل البيت وزياراتهم وأدعيتهم هؤلاء لا يفهمون شيئاً، نحن نعذرهم لجهلهم، قد يفهمون في أشياء أخرى لكنهم لا يفهمون في هذا الباب، هذا الباب له أهله وله مختصوه، وبقية العبارات لو أردنا أن نذهب معها لوجدنا نفس هذه الأعداد، وهذه الأعداد لها خصوصية، حتى لو أردنا في المقطع الذي بعدها حينما يتبدل التعبير، الآن الخطاب لهم - فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ وَأَدْمْتُمْ ذِكْرَهُ وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ، وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ - إلى أن يبدأ تعبير آخر - حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ - هذا تعبير آخر لفقرة جديدة.

لنحسب هذه العبارات - فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ - واحد - وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ - اثنين - وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ - ثلاثة - وَأَدْمْتُمْ ذِكْرَهُ - أربعة - وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ - خمسة - وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ - ستة - وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ - سبعة - وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ - ثمانية - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ - تسعة - وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ - عشرة - وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ - إحدى عشر - وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ - اثنا عشر - وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ - ثلاثة عشر - وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ - أربعة عشر، هذا التنظيم والسبك وفقاً لهذه الأعداد جاء جُزَافاً؟! وهذه القضية الهندسية موجودة على كل الزيارة ومن البداية، لكنني ما أردت أن أشير إليها من بداية الأمر.

وقت البرنامج قارب على الانتهاء إن شاء الله تتمّة الكلام وتتمّة الحديث تأتينا في يوم غد البث مباشر والحلقة الخامسة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة.

أودعكم إلى لقاء في يوم غد وألتقيكم على مودّة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أسألکم الدعاء جميعاً أحباب عليّ وآل عليّ أيّها المنتظرون إمام زمانهم صلوات الله عليه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته في أمان الله.

الحلقة الخامسة والعشرون

معنى أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْإِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمَكْرَمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركاتٌ أحبابِ عليٍّ وآلِ عليٍّ أيُّها الفاطميون الزهرايون المنتظرون إمام زمانهم صلوات الله وسلامه عليه، الحلقة الخامسة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة.

فيما مرَّ من كلامٍ تمَّ الحديثُ في المقاطع الخمسة وانتقلتُ في يوم أمس إلى مقطعٍ آخر من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة، في هذه الحلقة أحاول أن أُتمِّم الحديث في هذا المقطع إن شاء الله تعالى.

المقطع الذي بين يدي بنحوٍ سريع أعيد ما تقدم لأجل ترابط الكلام: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأَوْلُوا الْعِلْمَ مِنْ خَلْقِهِ - هذه شهادةٌ تتخذُ عدة جهات: الجهة الأولى: كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ - وهو علمه بذاته جلَّ شأنه وتقدس - وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ - وإنما شهدت له ملائكته بتعليمٍ من مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ كما تقدم الكلام في رواياتهم وأحاديثهم، وَمُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ عنوانٌ للكلمة الأولى وللأسم الأول وللماء الأول وللنور الأول - وَأَوْلُوا الْعِلْمَ مِنْ خَلْقِهِ - هذا العنوان في حقيقته لا ينطبق إلا على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وإذا انطبق على سائر الناس من الأنبياء ومن الحجج والأوصياء ومن الأولياء وعباد الله الصالحين فهو بالتفرع لا بالأصالة وبالتجوز والمُسامحة - أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأَوْلُوا الْعِلْمَ مِنْ خَلْقِهِ - هذه الشهادة بالنسبة لنا شهادةٌ تسليمية، نحنُ نشهد بأنَّ الله لا إله غيره وذلك بحسبنا، أمَّا هذه الشهادة المذكورة في الزيارة الجامعة الكبيرة فهذه شهادةٌ في أعلى رُتب الشهادة، نحنُ نُعلنها تسليمًا لأولياننا ولأئمتنا صلوات الله عليهم، وإلا فشهادتنا التوحيدية هي بقدر عقولنا وبقدر قلوبنا، الشهادة هنا كما شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فهل نحنُ نعرف معنى شهادة الله لنفسه سبحانه وتعالى؟! أو كما شَهِدَ بذلك أولوا العلم من خلقه وهم مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ فهل نستطيع أن نُحيط علمًا بعلم مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ؟! أو هل نستطيع أن نُحيط علمًا بعلم الملائكة

الكروبيين ومن هم أعلى رُتبةً من الملائكة الكروبيين؟! قطعاً المُراد هنا من الملائكة أعلى رُتب الملائكة - كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكتُه - أعلى رُتب الملائكة - وأولوا العلم من خلقه - أعلى رُتب أولي العلم، فهل أن شهادتنا تبلغ هذه الشهادات؟ قطعاً لا، شهادتنا بحسبنا بحسب مداركنا بحسب عقولنا بحسب ما نحن فيه من ذاتياتٍ وعرضيات، أما هذه الشهادة نُحْنُ نُقَرُّ بها تسليماً لأولئك الذين مرت أوصافهم في المقاطع الخمسة المتقدمة، لأولئك الذين هم حُزَّانُ العلم، لأولئك الذين هم أولياء النعم، لأولئك الذين هم أبواب الإيمان، لأولئك الذين هم مصابيح الدُّجى، لأولئك الذين هم كهفُ الورى، لأولئك الذين هم محالُّ معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحَفَظَةُ سِرِّ الله، نحن نُدْعِرُّ ونُسَلِّمُ ونشهدُ هذه الشهادة التسليمية لأنها وردتنا وجاءتنا من معادن حكمة الله ومن حَفَظَةُ سرِّ الله، أما شهادتنا الحقيقية التي هي بحسب مراتبنا فتلك التي تُقَرُّ بها عقولنا وقلوبنا وفطرتنا.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكتُه وأولوا العلم من خلقه لا إله إلا هو العزيز الحكيم وأشهد أن محمداً عبده المنتجب ورسوله المرضى - وهذه هي الشهادة الثانية، والشهادة الثانية تشتمل على الشهادة الأولى وعلى الشهادة الثالثة، كما أن الشهادة الأولى تشتمل على الشهادتين اللتين بعدها، وكذلك الشهادة الثالثة تشتمل على الشهادتين اللتين قبلها - وأشهد أن محمداً عبده المنتجب ورسوله المرضى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله - هذه هي الخلافة إني جاعلٌ في الأرض خليفة جوهراً الخلافة هو هذا - أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله - متى يظهر هذا الأمر؟ في زمانٍ إمامةٍ وظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - الحديث هنا عن إمام زماننا في هذه الشهادة الثانية، الشهادة الثالثة: وأشهد أنكم الأئمة الراشدون - إلى آخر الأوصاف، هذه هي الشهادة الثالثة وهذا هو الإسلام وهذا هو الدين، هذا هو دين الحق - أرسله بالهدى ودين الحق - دين الحق هو هذا:

الشهادة الأولى: كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكتُه وأولوا العلم من خلقه.

والشهادة الثانية: أن محمداً عبده المنتجب ورسوله المرضى.

والشهادة الثالثة: أنكم الأئمة الراشدون المهديون المعصومون.

هذا هو الدين وهذا هو الإيمان وهذه هي حقيقة الهدى، الشهادة الثالثة فيها تفصيل والتفصيل لأن الشهادة الثالثة عنوان معرفة الإمام، ومعرفة الإمام هي معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة دينه، اللهم عرّفني حجتك فإنك إن لم تُعرّفني حجتك ضللت عن ديني، المعرفة التفصيلية موجودة في المعرفة الثالثة، حين نقرأ في الدعاء الذي يُقرأ في زمان الغيبة وهو من الأدعية التي هي في غاية الأهمية والتي يُستحبُّ قراءتها وتدبر

معانيها في كل وقتٍ - اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفِ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفِ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي - تلاحظون التعبيرات واضحة، تفصيل المعرفة في معرفة الدين في دين الحق، أرسله بالهدى ودين الحق، المعرفة التفصيلية هنا - اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّنِي مِتَّةً جَاهِلِيَّةً وَلَا تُنْرِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي - هذه المعاني كلها مرتبطة بمعرفة الحجة - إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي - لَا تُمَتِّنِي مِتَّةً جَاهِلِيَّةً - لَا تُنْرِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي - كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي مَرْتَبِطَةٌ بِالْمَعْرِفَةِ الثَّلَاثَةِ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ وَلِذَا هُنَا الزِّيَارَةُ الْجَامِعَةُ الْكَبِيرَةُ تُفَصِّلُ فِي هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةَ - مَا هِيَ أَوْصَافُهُمْ؟ - الرَّاشِدُونَ - بصيغة الفاعل - الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ - الخطابُ لهم لأشخاصهم، العلاقة بهم، ولذلك هذه المعاني التي يرددها البعض عن جهلٍ وإن يقال عنهم علماء ويوصفون بأوصاف وألقاب، أولئك الذين يقولون بأنَّ علاقتنا إنما هي بالرسالة لا بالرسول، وبأنَّ علاقتنا بالإمامة لا بالإمام هذا كلامٌ وهابٍ ينفثه بعض الشيعة وهم لا يعلمون، علاقتنا بالإمام ولذلك هنا بصيغة الفاعل: الْأَيْمَّةُ الرَّاشِدُونَ - الراشد هو الفاعل المتصف بصفة الراشدية - الْأَيْمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمَكْرَمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ - قَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ هُمْ قَوَّامُونَ، وَقَوَّامٌ صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ، قَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ، هُمْ مَجَالِي صِفَةِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، الْقَوَّامُ هُوَ مَجَالِي مِنَ الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ - وهذه اثنتا عشر صفة، هذه اثنا عشرة صفة، هذه صفاتُ اثنا عشر بعدد الأئمة، هذا العدد المقدس، أنا لا أريد أن أخوض كثيراً في قضية الأرقام، حتى المقاطع السابقة أول مقطع: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، لو نحسب العناوين الموجودة فهي تسعة عشر، والعدد التاسع عشر هو عدد البسملة، يعني أن بسملة الزيارة الجامعة هو هذا المقطع، البسملة هي هذه: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ - إلى آخر المقطع - وَعُتْرَةَ خَيْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - هنا تسع عشر من الأوصاف من العناوين، هنا تسع عشر من الأسماء من الألقاب من الصفات قُلْ مَا شِئْتُ وَهَذَا هُوَ عَدْدُ حُرُوفِ الْبِسْمَلَةِ.

المقطع الثاني فيه الرقم العاشر، فيه عشرة، فيه عشرة عناوين ورقم العشرة هو رقم الكثرة في علم الأوفاق وفي علم الأرقام بل في لغة العرب، الكثرة من أين تبدأ؟ تبدأ من رقم العشرة، من العشرة، جمع القلة يبدأ من الثلاثة حتى ينتهي إلى التسعة، هذه جموعُ القلة، أما جموعُ الكثرة فتبدأ من العشرة فما فوق، هذا في لغة العرب، في قواعد لغة العرب، في علم النحو، جموعُ القلة تبدأ من الثلاثة إلى التسعة وأما جموعُ الكثرة فتبدأ من العشرة، المقطع الثاني هو الرقم العاشر والرقم العاشر فيه النقطة وفيه الخط وعليٌّ قال: أنا النقطة أنا

الخط أنا الخطُ أنا النقطة.

المقطع الثالث فيه سبعة أوصاف والرابع أيضاً، والرقم السابع هو الرقم النموذجي هو الرقم السري في هذا الوجود وتكرر مرتين إشارة إلى مضاعفة الأسرار في هذه الذوات.

المقطع الخامس الأعداد فيه أربعة عشر وهو التفصيل لأنه أجمل كل المعاني، العدد الرابع عشر وهو جمع للبعين وهو الصورة الثانية للرقم الثاني عشر، مجموع الأوصاف في المقاطع الخمسة سبعة وخمسون، إذا أضفنا السبعة إلى الخمسة الناتج اثنا عشر وهو هذا الرقم السري في كل الزيارات الشريفة، واثنا عشر واحد مع اثنان، واحد إشارة إلى مسبب الأسباب من غير سبب، إلى الأول الذي لا أوليه لأوليته إلى الله سبحانه وتعالى، ورقم اثنان إشارة إلى الحقيقة المَحْمَدية والحقيقة العلوية، ولا أريد أن أسهب كثيراً إنما جئت بهذا على سبيل المثال، هناك في علوم الأرقام ما تسمى بعلوم الأوفاق، ولو أردنا أن نبحت في هذا الجانب فإننا نجد الكثير منها الكثير من معانيها ومن أسرارها الكثير منها موجود في الزيارة الجامعة الكبيرة وفي بقية الزيارات لكن الحديث عن الزيارة الجامعة الكبيرة، وقد أشرتُ إلى ذلك إلى أمثلة من ذلك، كما مرَّ في يوم أمس هذه الأوصاف: الراشدون المهديون اثنا عشر، ثم بعد ذلك بعد أن ينتقل الخطاب: اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيره، في البداية: الرَّاشِدُونَ المَهْدِيُّونَ، من دون مخاطبة، الآن انتقل الكلام: اصطفاكم بعلمه، ارتضاكم لغيره، عدد هذه الأوصاف أربعة عشر، واحدة منها تفرعت: وَرَضِيكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَّجًا عَلَى بَرِّيَّتِهِ وَأَنْصَارًا لِدِينِهِ، هذه اثنا عشر، واحدة من هذه الأربعة عشر تفرعت إلى اثني عشر.

المقطع الذي بعد هذا المقطع وهو الخطاب لهم صلوات الله عليهم في آثارهم الظاهرة في الخلق، حين يكون الكلام: فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ، لأن الخطاب ينتهي: وَطَهَّرْتُمْ تَطْهِيراً، إلى وطهركم هذه الصيغة طهركم يكون العدد أربعة عشر، يبدأ الخطاب بصيغة أخرى: فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ، الخطابات السابقة عصمكم، آمنكم، طهركم، أذهب عنكم، فعظمتكم وأكبرتم، عدد هذه الصيغ أربعة عشر، وهذا الأمر يستمر على طول الزيارة، وأنا لا أريد أن أتبع هذه القضية إنما جئت بهذا على سبيل المثال لكي يُعرف بأن هذه الزيارة وبأن كلمات أهل البيت لها هندسة خاصة ومنظومة وفقاً لأعداد معينة وأرقام معينة، وهذه القضية موجودة في القرآن الكريم وموجودة في كلمات أهل البيت وبالذات في زيارتهم وأدعيتهم، هناك هندسة خاصة وعلم خاص لترتيب الزيارات والأدعية، هذا يمكن أن نستكشفه من خلال قواعد علم الأرقام وعلم الأوفاق، وهذا غير الجفر، إذا أردنا أن نتعامل مع الزيارة الجامعة الكبيرة وفقاً لجداول الجفر ووفقاً لواضحات الجفر وبينات الجفر فإنَّ هناك الكثير من المعاني سُتُخْرِج من الزيارة، ولكن حتى لو ذهبنا بعيداً وصرنا وقتاً طويلاً مع علوم الأرقام ومع علوم الأوفاق ومع علم الجفر في استخراج مداليل الزيارة الجامعة الكبيرة فإننا لن نستخرج أكثر مما نستخرجها من روايات أهل البيت ومن منظومة حديث أهل البيت.

الزيارة الجامعة الكبيرة هي تقول لنا: كلامكم نور، هناك نوريةٌ وكاشفيةٌ في كلامهم ولكن هذه النورية وهذه الكاشفية لا يستطيع كلُّ أحدٍ أن ينتفع منها بالحد الأبعد وإنما القلوب أوعية، يا كميل القلوب أوعية وخيرها أوعاها، إذا كان علم الجفر المُتداول بين العارفين بهذا العلم والذي تستكشفُ فيه الأسرار والمعاني، إن كان الأسرار والمعاني من الأحداث اليومية أو الأسرار والمعاني من النصوص الدينية أو الأسرار والمعاني من الحالات النفسية والشخصية للعباد، علم الجفر يتناول هذه الأمور، يتناول الأحداث، يتناول طبيعة وطبائع الأشخاص ويتناول كذلك فهم النصوص الدينية للوصول إلى أبعد ما يمكن من حقائقها، إذا كان علمُ الجفر يمكن أن يُنتفع منه في هذا الباب، وإذا كان علمُ الأرقام وعلمُ الأوفاق يمكن أن ينتفع منه في كشف الأسرار أيضاً، وإذا كانت المكاشفات التي لها مقدمات من رياضات وأربعينات وسبعينات وما في علم السلوك من مدارج ومعارج وما في تلکم الرياضات وما في تلکم المناسك من جلسات ومن مداخل ومخارج روحية، إذا كانت المكاشفات والمشاهدات تكشف شيئاً من الحقائق فإنَّ كلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذا تعاملنا معه بالطريقة التي يريدُها أهل البيت له من النورية ومن الكاشفية ما هو أقوى من كل ذلك.

لذلك أهل البيت أرجعوننا إلى نفس كلامهم، ما قالوا لنا أرجعوا في فهم كلامنا إلى علم الأرقام والحروف، ولا قالوا لنا أرجعوا في فهم كلامنا وكشف أسرار كلامنا إلى علم الجفر، ولا قالوا لنا أرجعوا إلى المكاشفات والرياضات، هذه المسائل قد تكون حسنة في بعض جهاتها وقد تكون نافعة في بعض جهاتها لكنَّ كما يقول صلى الله عليه وآله: كُلُّ الصيْدِ في جوف الفري، كُلُّ الصيْدِ في جوف كلامهم صلوات الله عليهم، قالوا: كلامكم نور، كلامهم يحمل نورية لا يمكن أن تشابهها نورية لا في علم الجفر ولا في علم الأرقام والأوفاق ولا في الرياضات، الرياضة الحقيقية هو في الفَناء في كلام أهل البيت، هو في كيفية التعامل مع كلام أهل البيت، لا أن نتعامل مع كلمات أهل البيت على أنها كلمات مُظلمة وجامدة كما نتعامل مع كلام أي شاعرٍ أو أي قائلٍ أو أي عالمٍ، كلام أهل البيت له نورية، له خاصية، من يتعامل مع كلام أهل البيت وفقاً لخاصية كلام أهل البيت فإنه سيسير الكثير من الأغوار وسيكتشف الكثير من الأسرار وستجلى له الكثير من الحقائق، لكن هذه القضية لا يستطيع أن يتلمسها كل أحد، حينما يقول أئمتنا أطلبوا العلم بسفكِ المُهَج وخوض اللجج، طلبُ هذه المعارف يحتاجُ إلى سفكِ للمُهَج وإلى خوضٍ للجج، وعلى أي حالٍ ليس الحديثُ عن مثل هذه الغايات ولا أريدُ أن أدخل في هذا الفَناء الواسع، لذا سأطوي كشحاً عن قضية الأرقام وعن قضية التركيب الهندسي في ألفاظ الزيارة الجامعة الكبيرة، وإنما جئتُ بما ذكرته في يوم أمس وقبل قليل على سبيل المثال لكي يُعرف بأن كلام أهل البيت يختلف عن كلام غيرهم، وأن كلامهم إنما يُسبِك وفقاً لنظْمٍ خاص، وإلى ذلك أشاروا إنَّنا لا نعدُّ الرجل من أصحابنا فقيهاً

حتى يُلحن له في القول فيعرف اللحن في القول أي يعرف أسرار كلامنا، وحينما قالوا اعرفوا منازل الرجال عندنا على قدر ما يحسنون من رواياتهم عننا وفهمهم منا، هناك فهمٌ يتفرغ من نفس كلامهم، وحينما قالوا إننا لا نعدُّ الرجل من أصحابنا فقيهاً حتى يكون محدثاً، قيل: أويكون المؤمن محدثاً؟ المُحدِّث، التحديث في البعد الغيبي لا في البعد اللفظي من شخصٍ إلى شخص، إننا لا نعدُّ الرجل من أصحابنا فقيهاً حتى يكون محدثاً، قيل أويكون المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مُفهِمًا، مُفَهِّمٌ وليس فاهماً، هناك عملية تفهيم وفهمهم منا، وإنما تُكتسب هذه المعاني من خلال النورية الموجودة في نفس كلام أهل البيت، كلامكم نور، وهذا المطلب فيه روايات كثيرة وفيه أحاديث كثيرة ماثورة في كتبنا وفي مصادرنا الحديثية، الكلام ليس معقوداً عن هذا المطلب حتى أتناول الآيات والروايات التي وردت في هذا الخصوص، لو وصلنا إلى عنوانٍ يتعلق بهذا المطلب سأبسط القول وسأوضح المعنى بنحوٍ أكثر.

هذه الصفات: **وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةَ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمَكْرَمُونَ** - أنا لا أستطيع أن أقف عند كل عنوان فأشرحه بالتفصيل وإنما تقدم في بيان المقاطع الخمسة الأولى ما يمكن أن يكون باباً لفهم هذه المعاني وإلا فالوقت لا يكفي وهذا يحتاج إلى أن نبقى يعني ردحاً طويلاً من الزمن لشرح عبارات الزيارة الجامعة، هذه الأوصاف: **الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمَكْرَمُونَ الْمُتَّقُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، الْقَوَامُونَ بِأَمْرِهِ، الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ، الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ**، هذه صورة حيثية، نحن نخاطبهم من هذه الجهة بصيغة الفاعل.

جهة ثانية نخاطبهم بنفس المضامين - اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيبه واختاركم لسره واجتباكم بقدرته - الاجتباء اختياراً أخص، العبارة السابقة - واختاركم لسره واجتباكم بقدرته - الاجتباء أخص من الاختيار - وأعزكم بهداه وخصكم ببرهانه وانتجبكم لنوره - والانتجاب أخص من الاجتباء، هناك اختيار، هناك اجتباء، وهناك انتجاب - وانتجبكم لنوره وأيدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته وأنصاراً لدينه وحفظة لسره وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوجيه وأركاناً لتوحيدِه وشهداء على خلقه وأعلاماً لعباده - أعلام جمع لعلم وهي المنارة الواضحة البينة - ومناراً في بلاده - منار: الضوء العالي المشرق - وأدلاء على صراطه، عصمكم الله من الزلزال - قبل قليل قلنا المعصومون - وآمنكم من الفتن وطهركم من الدنس - هو تفصيل في جهة من الجهات للمعاني المُتقدِّمة، مثل ما هذه الأوصاف: **الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ**، إلى آخر هذه الأوصاف، هي بيانٌ لجانِبٍ من المعاني التي تقدمت في المقاطع الخمسة ولكنها خاطبت الأئمة بصيغة الفاعل ناظرة إلى جهة من الجهات إلى أشخاصهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الخطاب الثاني: **اصطفاكم بعلمه**، الله سبحانه وتعالى

وكان الخطاب هنا يشير إلى عُلقتهم بالله، الخطاب هنا لهم وإلى الله لأنهم وجهه الله، الخطاب انتقل من الكلام إليهم: من أراد الله بدأ بكم - فهم وجهه الله - اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيره واختاركم لسره واجتباكم بقدرته وأعزكم بهداه وخصكم ببرهانه - هذه الألفاظ تقدمت: أئمة الهدى، مصايح الدجى، وتقدم: ونوره وبرهانه وكل الألفاظ الأخرى أيضاً لكنني لا أجد وقتاً لتطبيق هذه الألفاظ على ما تقدم من العناوين في المقاطع الخمسة المتقدمة - وخصكم ببرهانه وانتجبكم لنوره وأيدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته وأنصاراً لدينه وحفظاً لسره وخزناً لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوجهه وأركاناً لتوحيده وشهداء على خلقه وأعلاماً لعباده ومَناراً في بلاده وأدلاء على صراطه، عصمكم الله من الزلزل وأمنكم من الفتن وطهركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً - أنا أكرز قراءتها لكي يلتفت محبوا أهل البيت إلى صيغة التعبير، لأنه في أول العبارات في المقطع الأول من هذا المقطع، الخطاب: أنكم الأئمة الراشدون، أنتم بصيغة الفاعل، راشدون، فاعلون، مهديون، معصومون، ثم انتقل الخطاب: اصطفاكم بعلمه، الرابطة فيما بينهم وبين الله - اصطفاكم بعلمه - وهذا استمر إلى أربعة عشر، وفي داخل الأربعة عشر هناك خطاب استمر إلى اثني عشر - ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته وأنصاراً لدينه وحفظاً لسره - من دون واصطفاكم، ورضيكم ثم فرغ على كلمة ورضيكم - وخزناً لعلمه ومستودعاً لحكمته - ثم رجع الكلام - عصمكم الله من الزلزل - إلى آخر ما جاء في هذا المقطع - وطهركم تطهيراً - ثم انتقلنا إلى مقطع آخر - فعظمتكم جلاله وأكبرتم شأنه ومجدتكم كرمه وأدتمم ذكره ووكدتم ميثاقه - وكدم يعني أكدتم - فعظمتكم جلاله - الآن العلاقة بين أهل البيت وبين الله من حيث هم هم، بينما المقطع السابق العلاقة بين الله وبين أهل البيت من حيث هو هو: اصطفاكم بعلمه، ارتضاكم لغيره، اختاركم لسره، الآن الكلام: فعظمتكم جلاله وأكبرتم شأنه ومجدتكم كرمه وأدتمم ذكره ووكدتم ميثاقه وأحكمتكم عقد طاعته ونصحتكم له في السر والعلانية ودعوتكم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وبدلتكم أنفسكم في مرضاته وصبرتم على ما أصابكم في جنبه، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتكم عن المنكر وجاهدتم في الله حق جهاده - وهذا استمر إلى أربعة عشر.

ومحبوا أهل البيت إذا أرادوا أن يعدوا هذه الأوصاف هذا العنوان عنوان واحد لا يشبهه عليكم - وأمرتم بالمعروف ونهيتكم عن المنكر - هذا عنوان واحد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عنوان وليس هذا عنوانين - وجاهدتم في الله حق جهاده - انتقل الخطاب بطريقة أخرى: حتى أعلنتم دعوتكم وبينتم فرائضه وأقمتم حدوده - الخطاب هنا لبيان الغايات والأهداف والنتائج - حتى أعلنتم دعوتكم وبينتم

فَرَائِضُهُ وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ وَصَرِّمْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرُّضَا وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى - إلى هنا نقف عند هذا المقطع وبقية المقاطع تأتي في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى، هذا المقطع تلاحظون، الخطاب مرةً أنكم الأئمة الراشدون: **أَنْكُمْ الْأئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ**، إنما أكرر ربما يسأم البعض من التكرار لأنني أريد أن أوضح المطلوب بنحوٍ فيه شيءٌ من العمق، المقطع الأول من هذا المقطع: **وَأَشْهَدُ أَنْكُمْ الْأئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ**، بصيغة الفاعل، ينتقل الكلام: **اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ**، الحديث عن علاقة أهل البيت مع الله من حيث هو هو - **اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ** - في داخل هذا المقطع يأتي الخطاب: **وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ**، حديث بصفة الغائب والمُخاطب - **وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ وَأَنْصَاراً لِدِينِهِ** - ويستمر الكلام إلى أن نبدأ مقطع جديد - **فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ** - ويستمر إلى أن نصل إلى هذا المقطع الذي يتحدث عن الغايات: **حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ**، إلى آخر الكلام، كلُّ هذه العناوين تتناول ما جرى في العالم الأرضي وما جرى في العوالم العلوية أيضاً.

حين نقول: وأقمتم الصلاة ونحن نخاطب أهل البيت، نخاطب الأئمة المعصومين، نخاطب إمام زماننا فنقول له: وأقمت الصلاة، وأقمتم الصلاة، ماذا تعني وأقمتم الصلاة؟ أخذ هذا على سبيل المثال: وأقمتم الصلاة، الصلاة في معنى وأقمتم الصلاة أولاً أقمت الصلاة بأدائكم الصلاة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صلوا كما أصلي، هذه الصلاة التي صلاها النبي الأعظم وصلّاها أهل البيت وقالوا لنا صلّوا كما نُصلّي، هذه الصلاة صلاة التبليغ، صلاة الإرشاد، صلاتهم في العالم الأرضي، عبادتهم، صلاتهم لله سبحانه وتعالى، وهم قد أقاموها بكل حدودها بكل شرائطها بكل متعلقاتها، صلاة المعصوم معصومة، المعصوم كامل صلاته كاملة، فهو قد أقام الصلاة بكل معناها هذا أولاً، وثانياً إقامة الصلاة إنما تتحقق بإقامة الدين، الصلاة لا يمكن أن تُقام إلا إذا أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، إذا نهت عن الفحشاء والمنكر فإنها أمرت بالمعروف، ولذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما وجهان لعملة واحدة لعبادة واحدة، الصلاة لا يمكن أن تُقام إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما المعروف والمنكر إلا مسألة الولاية والبراءة، المعروف ولاية عليّ والمنكر هو ولاية أعدائه، النهي عن المنكر هو النهي عن موالاة أعدائه والأمر بالمعروف هو الأمر بموالاة عليّ، والدين لا يقوم إلا بهذه المعاني، الدين لا يقوم إن كان على المستوى الشخصي والفردى أو أن كان على المستوى المجتمعي على مستوى الأمة، وإن كان على مستوى الحكومة أو الدولة كذلك لا يتحقق المعنى السليم والصحيح في فهم أهل البيت للحكومة وللدولة من دون تحقيق معنى الولاية والبراءة، الحاكم حاكم المسلمين لا يمكن أن يكون مقيماً للصلاة ما لم يتحقق في

حُكْمِهِ معنى الولاية والبراءة، وعالمُ المسلمين لا يمكن أن يكون مقيماً للصلاة ما لم تتحقق الولاية والبراءة في علمه وفي عقيدته وفي عمله وفي تطبيقه لعلمه في الواقع العملي، وهكذا كل شخصٍ بحسب مسؤوليته، كُلكم راعٍ وكُلكم مسؤول عن رعيته، هناك ولاية ومسؤولية عند كلِّ مؤمنٍ وفي دائرة مسؤوليته وولايته لا بد أن يتحقق معنى الولاية والبراءة وهذا هو الدين، وهل الدينُ إلا الولاية والبراءة، وهل الدينُ إلا الحُبُّ والبُغض، هكذا قال صلى الله عليه وآله وسلم، حين سأل أصحابه عن أوثق عُرى الإيمان، ما أوثق عُرى الإيمان؟ بعضهم قال الجهاد، بعضهم قال الصلاة، بعضهم قال الصيام، بعضهم قال الحج والنبى صلى الله عليه وآله يجيبهم بالنفي، قالوا ما أوثق عُرى الإيمان يا رسول الله؟ قال: الحُبُّ في الله والبُغضُ في الله.

أوثق عُرى الإيمان الحُبُّ في الله والبُغضُ في الله، الولاية والبراءة، ولا يمكن أن تُقام الصلاة من دون الولاية والبراءة، ولذلك إمامنا الباقر الصادق يقول أنّ الناصبي صلّى أم زنا الأمر سواء بالنسبة له، لأنّ صلاته لا تُقيم ولايةً ولا تُقيم براءةً لأن حقيقة الصلاة حينما نقول أن هذا الشخص يقيم الصلاة، إقامة الصلاة شيء وأداء الصلاة شيء، أداء الصلاة أن يتوضأ الإنسان وأن يقف باتجاه القبلة وأن يلبس ثوباً حلالاً، الشرائط المعروفة الفقهية للصلاة التي يعرفها المؤمنون، هذا أداء للصلاة وليس إقامة للصلاة، إقامة الصلاة أن تبدأ أولاً في جوارحه وجوانحه، أن يعيش الولاية والبراءة في جوارحه وجوانحه وأن ينفذها عملياً بقدر ما يتمكن في دائرة رعيته وولايته، هذا هو معنى إقامة الصلاة، إقامة الصلاة هو تحقيق معنى الولاية والبراءة، في المستوى الأول في مستوى الجوارح والجوانح، والمستوى الثاني ما يستطيع أن ينفذه عملياً في الواقع المحيط به في دائرة مسؤوليته ورعيته، هذه الدائرة التي سيُسأل عنها، فقوهم إنهم مسؤولون والأئمة يُقسَمون بأنّ هذه الآية في ولاية عليٍّ، يُسألون عن ولاية عليٍّ، عن ولايتهم، عن ولاية هؤلاء الذين نخطبهم ونزورهم بهذه الزيارة، هذا معنى من معاني الصلاة، الصلاة أيضاً من معانيها هي رسالة النبي دِينُ النبي، صلاة النبي في رسالته، صلاة الإمام في إمامته، كما قلتُ قبل قليل بأنه ما من مؤمنٍ إلا وله دائرة من المسؤولية والرعية، مسؤولية النبي الخاتم، مسؤولية الإمام المعصوم في كل طبقةٍ من طبقات الوجود هو هذا نحوُ أجلي وأوضح من إقامة الصلاة.

إقامة الصلاة الحقيقية في معناها الأسمى هو صلّتهم بين الله وبين العباد، لذلك قال سيّد الأوصياء: أنا الصلاة، قال: أنا الصلاة، هو الصلّة بين الله وبين العباد، وأقمت الصلاة هو هذا المعنى الأجلّي والأكمل وهذه المعاني موجودة في كل العبارات، كل العبارات يمكنكم أن تفهموها وفقاً لهذا الذوق لهذا البُعد، هذه العبارات نحن نُخطبُ بها أهل البيت، لكن لا بد أن يكون الفهم وفقاً لموازن أهل البيت، لا هكذا بحسب الأمزجة وبحسب الرغبة وبحسب التذوق الشخصي، لا بد أن يكون الفهم مستنداً إلى موازين وقواعد الكتاب والعترة، أكرر دائماً إذا خرجنا من باب الكتاب فإننا ندخل في ساحة العترة، وإذا خرجنا من باب العترة

فإننا ندخلُ في ساحة الكتاب، ولن نخرج عن هاتين الساحتين، نحن نتقلَّبُ بين الكتاب والعترة، ولا جاء ذلك اليوم، قصمَّ الله أعمارنا قبل أن يأتي ذلك اليوم الذي تُغادرُ فيه الكتاب إلى غير العترة أو تُغادرُ فيه العترة إلى غير الكتاب، ذلك يومٌ أسود، اليوم المنير واليوم المشرق هو اليوم الذي يبقى فيه الإنسان جَوَّالاً صَوَّالاً رائحاً غادياً بينَ الكتابِ والعترة، فمن الكتابِ إلى العترة ومن العترة إلى الكتاب، نتمسك بهما معاً كما وصَّانا وأمرنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ - مثال آخر وبعد ذلك أعود إلى المطلب الأكبر والأوسع الذي أردتُ الحديث عنه - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ - هذا الصبر متفرع على بذل أنفسهم في مرضاته - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ - الصبرُ أيضاً له أبعاد، مثل ما تحدثتُ عن الصلاة لها أبعاد، الصبرُ له أبعاد، الصبرُ له مراتب وله درجات، والصبرُ له معانٍ وله دلالات ومضامين كثيرة، إذا أردنا أن نلقي نظرةً على معاني الصبر في القرآن الكريم وبشكلٍ سريع.

بشكلٍ سريع لنذهب إلى سورة آل عمران في الآية السادسة والأربعين بعد المئة الآية ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلٍ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ المعنى الموجود هنا - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلٍ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ﴾ ريبون يعني ربانيين نسبةً إلى الربِّ ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ هذه المرتبة الأولى من مراتب الصبر والتي يمكننا أن نناها نحنُ ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ: الوهن هو الضعف ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ هذه المنزلة الأولى منزلة عدم الوهن، منزلة التحمل ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ يعني أنهم تحمَّلوا، لم ينكسروا، لم يذَلُّوا هذه المرتبة الأولى من مراتب الصبر، هناك مرتبةٌ أعلى، هذه المرتبة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ يحبُّ الصابرين بكل درجاتهم فالدرجة الأقل مشمولة في هذا العنوان لذلك صار هذا العنوان عنواناً للدرجة الأقل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ يعني جميع أنواع الصابرين، يعني جميع درجات الصابرين، فالآية ناظرة إلى أضعف درجات الصبر ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

الصَّابِرِينَ ﴿ فهذه الدرجة الأولى من درجات الصبر.

الدرجة الثانية في سورة القَصَص في الآية الرابعة والخمسين ومرة الإشارة إليها في يوم أمس ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية الثانية والخمسون وما بعدها ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ بسبب إيمانهم، النصرارى بسبب إيمانهم بالمسيح ثم آمنوا بِمُحَمَّدٍ فَإِنَّهُمْ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا، هذا عنوانٌ للصبرِ على التضحية والثبات والبحث عن الحقيقة ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا هذه درجة أعلى من درجات الصبر، وهم الذين يُضَاعَفُ لَهُمُ الْأَجْرُ مَرَّتَانِ ﴿ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ بسبب كَدِّهِمْ وَسَعْيِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ عَنِ الْحَقِّيقَةِ وَثَبَاتِهِمْ عَلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ وَتَسْلِيمِهِمْ لِأَمْرِ اللَّهِ، هذه درجة، هناك درجة أعلى من هذه الدرجة، هذه الدرجة ﴿ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ .

هناك في سورة الزمر في الآية العاشرة ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ هؤلاء يُؤْفُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، يعني ليس مرتين أو ثلاثة من دون حساب، حساب مفتوح لا يُسألون عمَّا جرى عليهم لشدة ما صبروا، حتى في رواياتنا أنه في يوم القيامة حين يُؤْتَى بالصابرين من هذه المرتبة فلا يحاسبون لأن الآية تقول ﴿ يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بدون أن يُحَاسَبُوا بدون أن يُسألُوا، يتمنى الناس أن لو يعودوا إلى الدنيا وَيُقَرَّرُوا بِالْمَقَارِيزِ حتى يصبروا وينالوا مثل هذا الأجر، هذه مرتبة أعلى ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ هناك مرتبة أعلى وأرقى، هذه المرتبة الأولى والثانية والثالثة يمكننا أن نصل إليها ولكن هل هي موجودة عندنا أو لا؟ ذلك أمرٌ آخر، لكن يمكن لنا ولأمثالنا من أشياع أهل البيت أن يصلوا إلى هذه المرتبة، أما هناك مراتب أخرى أصلاً لا نستطيع أن نتصور مضمون هذا الصبر.

إذا نذهب إلى سورة المعارج، في الآية السابعة والخطاب ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿ وَلَا تَمُنْ بِتَسْكَرٍ ﴿ وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿ هَذَا صَبْرٌ لِرَبِّكَ ﴿ وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿

هذه درجة من الصبر نحُزُّ لا نستطيع أن نتصور بُعدها ونتصور عمقها ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ هذه من تجليات المعنى الحُسَينِي: ولأصبرُ حتى يَمَلَّ الصبرُ من صبري، أبو عبد الله كان يقول يوم عاشوراء: ولأصبرُ حتى يَمَلَّ الصبرُ من صبري، نحن نتلمَّسُ في صبرنا شيئاً من حقيقة الصبر، الصبر حقيقة مخلوقة، الصبر هو من مجالي أسم الصبور، والصبور من أسماء الله سبحانه وتعالى وهو حقيقة مخلوقة، الصبر، الشكر، هذه حقائق مخلوقة في العوالم العلوية المقدسة، لها مجالي وانعكاسات في نفوس الخلائق وحتى في نفوس الحيوانات، أبو عبد الله هنا يقول: حتى يَمَلَّ الصبرُ من صبري، يعني حتى تَمَلَّ حقيقة الصبر في عوالمها العلوية، حتى يَمَلَّ الصبرُ من صبري، نحن نحاول أن نتلمس شيئاً من فئات موائد الصابرين، ولكن هل تصل أيدينا إلى فئات هذه الموائد، فأين صبرُ أهل البيت من صبرنا وهذا صبرٌ في المقام البشري، أما صبرٌ في المقامات العليا فذلك له دلالة أخرى ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ .

إذا نذهب إلى سورة الأنفال الآية السادسة والأربعون ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَشَلُّوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ ماذا يترتب؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ إِنَّ اللَّهَ، الله بذاته مع الصابرين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ليس وبشر الصابرين، ليس يؤتون أجرهم مرتين، ليس يوفون أجرهم بغير حساب، ليس إن الله يحب الصابرين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هناك معية، وهذه المرتبة أعلى من مرتبة ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ هذا تجلي أعلى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هم مع الله والله معهم، هذه مرتبة من أعلى مراتب الصبر، هذه المراتب نحن لا نعرف حقيقتها، لكننا يمكن أن نتلمَّس شيئاً من معانيها من خلال كلمات أهل البيت وليس الحديث معقوداً عن الصبر إنما هي إشاراتٌ سريعة أطوي فيها الكلام طويلاً.

هناك مرتبة أعمق من هذه المرتبة، ربما أيضاً ما جاء في سورة البقرة في الآية: 153 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ومرَّ علينا في معنى هذه الآية: الصبر هو رسول الله وهذا مجلي لحقيقة الصبر في العالم الأرضي، أنا قلت الصبر حقيقة في العوالم العلوية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الصبر نبوة مُحَمَّد، والصلاة ولاية عليٍّ فاستعينوا بهما ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هذا المعنى يمكن أن يتجلى في أشياع أهل البيت وفقاً لهذا المنظور ولكن بحسبهم، الكلام في الآية السادسة والأربعين من سورة الأنفال ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .

وما يأتي بعد سورة الأنفال تأتينا مرتبةً أخرى أشارت إليها سورة النحل الآية السابعة والعشرون بعد المئة، وقبلها الآية السادسة والعشرون بعد المئة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ هذا صبرٌ بالله، تقدّم في سورة المدثر مرّ علينا ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ هذا صبرٌ بالله ومرّ علينا في سورة الأنفال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ تلاحظون الفارق، الدقة في التعبير، في سورة المدثر ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ وفي سورة الأنفال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وهنا ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ فإنّ صبرك بالله وهذا هو نفس المعنى الموجود في سورة الأنفال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ وهذا هو الفناء المحمّدي في الحقيقة المحمّدية الفانية في الذات الإلهية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ خطاب صريح في الآية السابعة بعد العاشرة من سورة الأنفال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ صبرك قائم بالله كما أن رميك قائم بالله سبحانه وتعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ من الذي رمى؟ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ والصبور من أسمائه سبحانه وتعالى، هذا المضمون يمكن أن نتلمسه في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، يقول إمامنا الصادق: **فمن صبر كرهاً** - الرواية طويلة وجميلة جداً لكنني أرى أن الوقت يجري سريعاً وعندني مطلب مهم أريد أن أعطيه قسطاً مناسباً من الوقت، وإلا أنا شخّصت العديد من الروايات في موضوع الصبر أتركها لوقتٍ آخر، تلاحظون هنا علامات شخّصت فيها مجموعة من الروايات، وهذه الرواية طويلة، الرواية موجودة في الجزء الحادي والسبعين من بحار الأنوار صفحة: 90،91 - **فمن صبر كرهاً ولم يشكو إلى الخلق** - من أمثالنا نحن نصبر كرهاً، مجبراً على الصبر، هناك فارق بين أن تصبر مجبراً في طريق أهل البيت وهذا الكلام لشيعه أهل البيت، هناك فارق بين أن تصبر مجبراً، يعني ما عندك حيلة، ما عندك وسيلة إلا أن تصبر وبين أن تختار الصبر مع أنه يوجد طريق آخر غير الصبر هؤلاء هم الصابرون الذين يوفون أجرهم بغير حساب، هؤلاء الصابرون الذين يوفون أجرهم وأجورهم بغير حساب الذين اختاروا الصبر مع وجود طريقٍ آخر، الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، في طريق السلوك إلى أهل البيت الوصول إلى أهل البيت، الهجرة إلى أهل البيت، في طريق الجهاد في سبيل إعلاء كلمة أهل البيت الإنسان يلقي ما يلقي، في بعض الأحيان تجري عليه الأمور المنعّصة فيصبر

قسراً لأنه لا طريق له إلا الصبر، وفي بعض الأحيان يكون أمامه طريقان طريق مريح وطريق فيه المُنْعَصَات ولكن في هذا الطريق تتحقق خدمة أهل البيت فيختار الصبر في هذا الطريق مع وجود اختيارات أخرى هذا هو الصبر الممدوح في جنب أهل البيت، هذا هو الصبر الذي أشارت إليه سورة العصر ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ وهو عصر الغيبة، هذا في روايات أهل البيت، العصر هو عصر الغيبة ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ ﴾ الحق هو إمام زماننا، في الروايات وتواصوا بالحق وتواصوا بالعترة ﴿ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ التواصي بالحق بالعترة بإمام زماننا، أوصيك بهذا كما قال مسلم بن عوسجة لَمَّا قال له حبيب بمن توصي، قال أوصيك بهذا وأشار إلى حُسين ﴿ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ ﴾ الحق هو إمام زماننا ﴿ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ الصبر الذي يختاره المؤمن في طريق أهل البيت مع وجود اختيارات أخرى، هذا هو الصبر الممدوح.

وهذا هو الصبر نفسه الذي جاء في آخر سورة آل عمران، الوصية القرآنية الخالدة لمحيي أهل البيت آخر آية، الآية مثنان من سورة آل عمران ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ اصبروا وصابروا، اصبروا: على الطاعات على طاعة أهل البيت وعلى ما تلقون في طريقهم، وصابروا: أعداءكم وربطوا: إمامكم، المرابطة، ليس هذا التأويل من عندي هذه كلمات أهل البيت هذه رواياتهم، اصبروا على الطاعة وصابروا أعدائكم وربطوا إمام زمانكم، المرابطة أعلى من المُصَابِرَة والمُصَابِرَة أعلى من الصبر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ بعد ذلك تأتي التقوى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ التقوى هنا هي ولاية عليّ، يعني بعد كُلِّ هذا حتى تستطيعون أن تصلوا إلى مرتبة ولاية عليّ إلى المعرفة النورانية، بعد الصبر على الطاعات وبعد مصابرة الأعداء والمرابطة، المرابطة الانتظار على الثغور على الحدود، ما المراد من المرابطة؟

إحياء أمر أهل البيت في هذا الزمن المُغْبِر المُظْلِم، في هذا الزمن الذي يكثر فيه الهجوم والاعتداء على أهل البيت من القريب ومن البعيد، اصبروا وصابروا وربطوا، المرابطة والمصابرة والصبر هو بالاستقامة في طريق أهل البيت، هو بإخلاص القلوب، هو أن نتوجه بقلوبنا إلى أهل البيت وبعيوننا إلى أهل البيت، حين نخاطب الإمام الحجة: أين وجهه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، إما أن نكون صادقين وإما أن نكون كاذبين، هل وجوهنا متجهة إليه أو لا؟ حين نقرأ في الزيارة الجامعة: من أراد الله بدأ بكم، هل نبدأ بأهل البيت في كل شيء نريد به الله أم نبدأ بكل الخزعبلات في هذه الحياة وبكل التفاهات، من أراد الله بدأ بكم في كل

شيء، يعني في كل شيء تريدون الله به أبدأوا بأهل البيت، وإلا ما معنى هذا الكلام من أراد الله بدأ بكم؟
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ .

أعود إلى الرواية - فمن صبر كرهاً - مجبر، ولكن - ولم يشكو إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستره - وما كشف ما هو عليه من الالم وأذى - فهو من العام - يعني من الصبر العام - ونصيبه ما قال الله عز وجل ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي بالجنة والمغفرة، ومن استقبل البلاء بالرحب - استقبل البلاء بالرحب يعني بالراحة، استقبله وهو فرح، هو يختار - وصبر على سكينه ووقار فهو من الخاص ونصيبه ما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ - وذلك ما أشرت إليه قبل قليل في ما جاء في سورة البقرة في الآية الثالثة والخمسين بعد المئة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ - ومن استقبل البلاء بالرحب وصبر على سكينه ووقار فهو من الخاص - من خواص شيعتنا - ونصيبه ما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .

أما صبر أهل البيت فذلك شيء آخر، صبر أهل البيت ذلك شيء آخر يمكننا أن نتلمسه في سورة المعارج ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ هذا هو الصبر الجميل ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ صبر أهل البيت هو الصبر الجميل الذي، هذا الجمال يتناسب مع أي معنى؟ هذا الجمال يتناسب مع الآية الرابعة من سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا هو الجمال، هذا الصبر ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ هذا الصبر الجميل من سورة المعارج ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ * فاصبر صبراً جميلاً ﴿ هذا الخطاب لإمام زماننا ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ * ويراها قريباً ﴿ فاصبر صبراً جميلاً﴾ هذا الصبر الجميل هو الصبر المتفرع على هذه الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخلق العظيم الذي لا نستطيع أن نصفه، الله وصفه بالعظمة، صاحب هذا الخلق العظيم هو صاحب هذا الصبر الجميل فكيف أستطيع أن أصف الصبر الجميل، الصبر الجميل صبر حسين، ولأصبر حتى يمل الصبر من صبري، وهذا الصبر الجميل هو المذكور في كتب المقاتل من أن الحسين عليه السلام كلما ازداد عطشه وكلما كثر القتل في أهل بيته وأصحابه وكلما ازدادت جراحاته وآلامه كان وجهه يزداد إشراقاً ونوراً، حتى قال هذا الذي تقدم كي يذبحه لقد شغلني نور وجهه عن الفكرة بقتله، هذا هو الصبر الجميل، أتريد مني أن أشرح هذا وأني لي بذلك، الصبر الجميل لا

يمكنني أن أشرحه، هناك في اللغة وحتى في الروايات تعريف للصبر الجميل، يمكنني أن أورد المعاني اللغوية والأحاديث فما هي ببعيدة عني، لكن تلكم المعاني وتلكم الإشارات ناظرة إلى حمل هذا المعنى على صبري وصبر غيري بنحوٍ من التجوز والمسامحة، الصبر الجميل صبرُ حسينٍ، الصبر الجميل صبرُ إمام زماننا، هذا الصبر المنفرد عن الخُلُق العظيم، فلا أعرف معنى الصبر الجميل ولا أعرف معنى الخُلُق العظيم، فحينَ نقرأ في الزيارة الجامعة: **وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ** - حينَ نقرأ هذا المعنى أيُّ صبرٍ؟ هل هو الصبر العاشورائي، نعم هو أحلى معاني الصبر، الروايات تقول بأن الحسين عليه السلام قُتِلَ قتلة لم يُقتل أحدٌ قبله ولا بعده مثلها، لذلك نحن لا نستطيع أن نتصور الطريقة التي قُتِلَ بها الحسين وما جرى على الحسين، هذا كلامُ الأئمة أن الحسين قُتِلَ قتلة لم يُقتل أحدٌ قبله ولا بعده مثل هذه القتلة، الآن ليس الحديث عن مقتل الحسين عليه السلام لكن هذه إشارة سريعة أنه قُتِلَ قتلة لم يُقتل أحدٌ لا قبله ولا بعده مثل هذه القتلة، وأيضاً صَبَرَ صبراً لم يصبر أحدٌ لا قبله ولا بعده مثل هذا الصبر، هذا هو الصبر الجميل، وهذا الصبرُ الأرضي لأهل البيت.

أما الصبر في المعاني السامية والعالية، حقيقة الصبر هي مشتقة من نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، في العوالم القادسة العليا، صبرُ أهل البيت هو في تحقيق إرادة الباري سبحانه وتعالى، الله تجلى فيهم، يا أحمد خلقتك لأجلي ولكن الحقيقة الأحمديّة، الحقيقة المُحمّديّة فاضت بهذا الخلق وتجلت بكل هذه المراتب، هذه المراتب الطبيعية، كُلُّ هذه المراتب، هذه المراتب الطبيعية هي مجالي للحقيقة الأحمديّة - **وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ** - حينَ نقرأ في الأحاديث: لا زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل، هذه الأحاديث التي جاءت عن نبينا عن أئمتنا الله سبحانه وتعالى يقول: حتى أكون رجلاً التي يسعى بها، الله يقول لهذا العبد الذي يتقرب إلى الله بالنوافل، هذا العبد القريب من الله، حتى أكون يدهُ التي يبطش بها ورجلهُ التي يمشي يسعى بها، الله يقول هكذا، قطعاً لا بمعنى التجافي، والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود، وهناك أنّ الله سبحانه وتعالى يجود بنفسه لعبده لكن لا بهذا المعنى الساذج، هنا الجود لا بمعنى الحلول والاتحاد، هذا بنحو التجلي والتشريف وبنحو النور الساطع، الإنارة الساطعة والتجلي والتشريف الأكمل، فكأن الله هنا يجودُ بنفسه لعبده، كنتُ رجلاً التي يسعى بها، عينه التي يُصبرُ بها، ويدهُ التي يبطشُ بها، كأن الله هنا يجودُ بنفسه لأجل عبده وهو أقصى الجود، الجود بالنفس أقصى غاية الجود، الحقيقة المُحمّديّة جادت بنفسها في سبيل تحقيق إرادة الله بأن تجلت في عالم الطبيعة في أسفل المراتب، وصبرُ الحقيقة المُحمّديّة هو هذا في تجليها في أسفل المراتب، وهذا صبر ليس صبراً من قبيل الصبر النفسي هذا صبر له معنى أعمق من كل هذه المعاني، حين تجلت الحقيقة المُحمّديّة في كل هذه المراتب هو هذا صبرها على مراد الله - **وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ** -

بذلتم أنفسكم أن أنوارهم سطعت، أنوار الحقيقة المُحَمَّدِيَّة سطعت حتى ظهرت في كل هذه المراتب في هذه المراتب العالية والسافلة من مراتب الوجود، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى أَحَبَّ أن يُعرف، كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف، ويا أحمد خلقتك لأجلي، خلقه لأجله لكنه جاد بنفسه، الحقيقة المُحَمَّدِيَّة جادت بنفسها فكان هذا الفيض - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ - هذا في البعد الأعلى أمّا في البعد الأرضي فما جرى على حسينٍ يكفي من المعنى - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنِّهِ - وهذه العبارات تشتمل على معانٍ أعمق وأعمق من كل هذه المعاني وكلُّ هذا موجودٌ في طوايا الآيات في طوايا الروايات لكن ماذا نصنعُ بسيف الوقت، سيف الوقت قاطع ولا ندري متى تنتهي ساعات حياة المرء، نحنُ في سباقٍ مع الزمن لذلك يلجأ الإنسان دائماً العاقل الذي يملك أدنى شيءٍ من الحكمة إلى هذه الحكمة النورية من كلمات عليٍّ ما لا يُدرِكُ كُلهُ لا يُتْرِكُ كُلهُ، كُلُّ هذه العبارات كُلُّ هذه العناوين في هذا المقطع تشتمل على نفس هذه السلسلة من المضامين والفحوى والمعاني - وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَاهَدْتُمُ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ - وَوَكَّدْتُمُ مِيثَاقَهُ وَأَحْكَمْتُمُ عَقْدَ طَاعَتِهِ - وكل العبارات الأخرى، لكنني أكتفي بهذه الأمثلة وأشير إلى قضية مهمة.

القضية المهمة التي أريد أن أشير إليها: عن الحكمة في أن العبارات في هذا المقطع وحتى في المقاطع الآتية لأنني هنا أريد أن أبين شيئاً بمثابة قاعدة، ما أشرتُ إليه في يوم أمس ما سميته بالطي والنشر، الآن هذه العبارات في هذه المقاطع في هذا المقطع الذي قسّمته إلى مقاطع، تخضع لقانون الطي والنشر، أنا أُقَرِّبُ المعنى ما المراد من الطي والنشر؟ وهذه قضية مهمة، ما المراد من الطي والنشر؟ الطي واضح يعني الجمع والنشر وهو عكسه وهو البث أن تبثه أن تفرّقه، يعني هناك جمع وتفريق، الطي جمع والنشر تفريق، أنا أُقَرِّبُ المعنى من حياتنا الشخصية، مثلاً الآن إنسان هو يقوم بنفسه يشتري أرضاً من ماله الخاص من ماله الذي جناه بجهده وتعبه فيشتري أرضاً، ثم هو يُصَلِّحُ هذه الأرض بنفسه بشخصه يُصَلِّحُ هذه الأرض وينفق عليها من ماله الذي هو قد اقتناه واحتناه بنفسه ويأتي بمحراثٍ هو يصنعه بيده يحراث الأرض، ثم يأتي بحبوبٍ يزرعها هذه الحبوب هو قد أنتجها من زراعةٍ سابقة ويسقي ويحرس ويحصد ثم يُنْقِي ويطحن ويخبز كل هذه الأمور يعملها بيده ثم يخبز الخبز ويشوي الخبز في التنور ويهيء الطعام ويُربي الأغنام يربي الدجاج في حقله وتنشأ هذه الأغنام والدواجن على حقله ومما يُطعمها من كده وجهده ويأكل خبزاً ولحماً هو يطبخه بيده ويضع هذا الطعام في أوانٍ صنعها بيده ويأكل الطعام فيلوك الطعام بأسنانه فيمرُّ إلى معدته، المعدة تضمم الطعام يتحول إلى مادة الكيموس، الدم يمتص هذه المادة ينقل هذه المادة خلاصة الأغذية إلى جميع أجزاء البدن إلى العضلات إلى الأعضاء، والعضلات تشتمل على أنسجة، والأنسجة تشتمل على

خلايا، والخلايا تشتمل كل خلية على نواة على نوى والنواة على نوية وهكذا، فيأتي هذا الإنسان فيقول أنا أطعمت نفسي هذا يسمى طي، فقد طوى كل هذه المعاني بكلمة واحدة فقال أنا أطعمت نفسي، مرة أخرى يقول أنا حرثت الأرض وأنا زرعت وأنا سقيت وأنا حصدت وبالتالي إلى أن يصل وأنا طبخت ثم يقول وأنا لكت الطعام وأنا بلعته في مريئي وأنا هضمته في معدتي وحولته إلى هذه المادة الحليبية مادة الكيموس وأنا الذي نقلته إلى جميع العضلات والأنسجة وجميع أعضاء البدن وإلى الخلايا وإلى النويات يقول هذا الكلام، هذا نشر، حين قال أطعمت نفسي طوى كل المعاني في هذه العبارة، بعد ذلك الكلام الأول صحيح لكنه محكوم بقانون الطي، والكلام الثاني صحيح لكنه محكوم بقانون النشر، في بعض الأحيان يكون النشر كلي وبعض الأحيان يكون النشر جزئي، النشر الكلي أن يبدأ من حراثة الأرض إلى وصول الطعام إلى النويات داخل الخلايا، أما النشر الجزئي قد يتناول جانباً يقول مثلاً أنا طحنت الحبوب وأنا عجنت وأنا طبخت وأنا أكلت، هذا الموجود من هذا القبيل وهذه القضية ليست فقط قضية لفظية حتى في الجانب التكويني، في الجانب التكويني الآن ما قام به البدن مثلاً من عملية الهضم في الفم في جوف الفم وعملية اللعاب وهذه عمليات الهضم ربما الكثير منكم درسها ويعرفها وتبدأ من الفم عمليات الهضم إلى المعدة بعد ذلك حينما يأتي الدم ويأخذ مادة الكيموس ينشرها مرة واحدة إلى البدن إلى الخلايا فكأنه هناك عملية طي وعملية نشر هذا في الجانب التكويني.

هناك مثال قد يُتَرَبَّ المعنى بشكل وبصيغة أخرى، ما جاء في سورة النمل في قصة آصف ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ * قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ إلى آخر الآيات ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ * أنا جئت بالقرآن كمثال حتى لا تُكذَّب الحقائق، هذه حقيقة قرآنية وإلا روايات أهل البيت مشحونة بمثل هذه المضامين، هنا طيٌّ للزمان والمكان، العرش كان في اليمن وسليمان وآصف كانا في فلسطين مسافة شاسعة ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ * قبل أن يرتد إليك طرفك يعني حين تنظر إلى شيء، يعني الآن نحن حينما ننظر إلى شيء مباشرةً ننظر إليه لا يوجد هناك وقت، قبل أن يرتد إليك طرفك حينما ننظر إلى أي شيء فإنك تراه، يعني هنا ينتهي الوقت ينتهي المكان، هناك عملية طي للزمان وللمكان، حينما نذهب إلى الروايات مثلاً:

هذا هو تفسير البرهان، الرواية عن جابر عن أبي جعفر عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر، قال: قلتُ

لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُ الْعَالِمِ ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ - قول العالم يعني قال الذي عنده علمٌ من الكتاب، الذي عنده علمٌ من الكتاب - فقال: يا جابر إن الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً فكان عند العالم منها حرفٌ واحد فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير - السرير هو العرش، انخسفت طويت، الانخساف هنا ليس هذا الخسف اللغوي، يعني المقصود الطوي - فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير والتفت القطعتان - أي قطعتان؟ يعني التفت فلسطين باليمن، يعني التفت قطعة الأرض التي كان يقف عليها آصف مع قطعة الأرض التي كان ينتصب عليها العرش - والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه - جعل من هذه على هذه يعني جعل هذا العرش من على أرض اليمن على أرض فلسطين - فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير والتفت القطعتان - اختلطت أرض اليمن بأرض فلسطين - وجعل من هذه على هذه - يأتي هنا سؤال: يعني هل أن أرض اليمن في تلك اللحظة انتقلت إلى أرض فلسطين؟ الرواية هكذا تقول - والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه - من هذه يعني من أرض اليمن، على هذه أرض فلسطين سأوضح المعنى، نستمر في قراءة الروايات.

الرواية عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ - عنده علمٌ من الكتاب - قال: ففرج أبو عبد الله أصابعه فوضعها على صدره ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله - إذا كان آصف عنده حرف فعندنا علم الكتاب كله، يعني حتى الحرف الثالث والسبعون الذي استثنى في بعض الروايات، مداراةً للسامعين استثنى وإلا يقول: وعندنا والله علم الكتاب كله.

عن زرارة قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما زاد صاحبُ سليمان - يعني آصف - على أن قال بأصبعه هكذا فإذا هو قد جاءَ بعرش صاحبة سبأ، فقال له حمران: كيف هذا أصلحك الله؟ فقال: إن أبي كان يقول: إن الأرض طويت له إذا أراد طواها - يعني إذا أراد آصف أن يطوي الأرض طواها، فهو طيٌّ للزمان والمكان، هناك أيضاً بحث في المعارف الإلهية في نشر الزمان والمكان نحن الآن لسنا بصدد كل هذه التفاصيل.

والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه - ابن عربي ومن يتذوق مشرب ابن عربي فسّر القضية بانقطاع الفيض، قال: بأن آصف قطع الفيض في اليمن وأوجدته في فلسطين، في كلام أهل البيت الكلام ليس هكذا، قطع الفيض باعتبار أنه ما من شيءٍ إلا وهو قائمٌ في وجوده بفيضٍ من وجود الله سبحانه وتعالى، فأصف بما أن عنده حرف واحد من علم الكتاب بسبب هذا الحرف الواحد عنده ولاية على الفيض

بحسب تصوير ابن عربي ومن يعتقد بقوله، فإنه قطع الفيض هناك ونقل الفيض، يعني هو ما نقل العرش وإنما كأنه أعدم العرش، قطع الفيض عن وجوده وأعاد وجوده ثانيةً في فلسطين في نفس اللحظة، أصلاً في أقل من اللحظة لأن الزمن قد طوي وكأنه انعدم، أما في روايات أهل البيت لا، الروايات هكذا تقول، تقول: فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير، يعني نفس السرير جاء، لم ينقطع الفيض وأعيد وجوده مرة ثانية، فانخسفت الأرض ما بينه وبين السرير والتفت القطعتان وجعل من هذه على هذه، وكأن أرض اليمن صارت أرض فلسطين وأرض فلسطين أرض اليمن وهذا هو الطي - إن أبي كان يقول: إن الأرض طويت له إذا أراد طواها - قبل قليل أنا أشرت إلى مثال الطي في الكلام، الطي والنشر وأيضاً الطي والنشر حتى في داخل عمليات المضم كمثل أخذنا هذه القضية وإلا بقية الأمور أيضاً يجري عليها قانون الطي والنشر في داخل الجسم البشري، وهذا تصرف من وليٍّ من أولياء الله من وصي نبيِّ عنده حرف واحد من الأسم الأعظم، حرف واحد من علم الكتاب، هذا هو البعد الرابع، هناك بُعدٌ رابع للأشياء والذي قد يصطلح عليه البعض هذا الاسم البعد الرابع أو البعد المُجرّد، البعد الرابع أو البعد المُجرّد فهناك، يعني الذين كانوا يعيشون في ذلك الزمان في اليمن أو في فلسطين هل أحسوا بأن أرض اليمن انتقلت إلى فلسطين؟

أبداءً، وإنما هناك البعد الرابع، هناك بُعدٌ رابع وهناك أكثر من البعد الرابع، أنا أُقرب الكلام، أُقرب الكلام بهذه الصورة: كيف المراد من البعد الرابع؟ الآن نحنُ مثلاً على سبيل المثال نأتي بقنينة ونأتي بقطعة ثلج كبيرة هل نستطيع أن ندخل قطعة الثلج في هذه القنينة؟ لا نستطيع لأنه فوهة القنينة ضيقة وإن كانت كبيرة يمكن أن تشتمل على كمية من الماء أكثر من الماء الموجود في قطعة الثلج، لكن قطعة الثلج لا يمكن أن تدخل عبر هذه الفوهة الصغيرة، فقطعة الثلج لا يمكن أن تمر عبر الفوهة الصغيرة إلى داخل القنينة، لكننا لو أذبنها وحولناها إلى ماء سائل فإننا نستطيع أن ندخلها، غَيَّرنا طبيعة المادة الطبيعية الخارجية للمادة، المادة لها طبيعة خارجية الشكل الخارجي الفيزيائي ولها طبيعة داخلية وهي الطبيعة الكيميائية التركيب الداخلي للجزيئات والذرات، هناك طبيعة كيميائية في المادة وهناك طبيعة فيزيائية، الآن هذه الطبيعة الفيزيائية قطعة الثلج إذا غَيَّرنا الطبيعة الفيزيائية لقطعة الثلج وحولناها إلى سائل نستطيع أن ندخل السائل في داخل القنينة، لو حولنا هذا السائل إلى حالة غازية هل نستطيع أن نحتفظ به في داخل القنينة؟ لا نستطيع، لو كان هناك يعني مثلاً شَبَّاكٌ ومُغلق هل نستطيع أن نُخْرِج الماء من خلال الشَبَّاك؟ لكن إذا تحول إلى حالة غازية يمكن للغاز أن ينفذ حتى من المنافذ التي لا نراها بأعيننا في بعض الأحيان، لا نُشَخِّصُها بالعين، المادة هنا بسبب ولايتي عليها غيرتها من الثلج إلى السائل فاستطعت أن أدخلها في داخل القنينة، وبولايتي عليها أنا مقتدر على تغييرها سلطت قوة النار عليها فحولت السائل إلى غاز إلى حالة بخارية وأخرجته من منافذ لا يمكن أن يخرج منها الماء، هذا الوضع الوجه الظاهري للمادة، هناك بُعد رابع غير هذه الأبعاد، غير هذا البعد

المحسوس البُعد الظاهري، ما يسمى بالبُعد المُجرّد، البُعد المحسوس للمادة، البُعد الجسمي البُعد المحسوس الذي يكون قابلاً للقسمة وللتجزئة، محكوم بقوانين وله طباع معينة، لكن هناك ما ورائية المادة وهو البُعد الرابع، البُعد المُجرّد، البُعد المُجرّد له سُلطة على المادة أكثر من سُلطة البُعد المحسوس، المتصرف في هذا البُعد الرابع يستطيع أن يتصرف بالمادة بأحاء أخرى، آصف جاء بعرش بلقيس لولايته على البُعد الرابع ولا تذهبوا بعيداً الآن توجد مؤسسات في الولايات المتحدة الأمريكية ومعاهد علمية لدراسة البُعد الرابع للعالم الدنيوي للعالم الأرضي، هناك من يفكر من يسيطر على البُعد الرابع وهذه من الدراسات المستقبلية من دراسات الغرب من دراسات الفكر الأمريكي لمستقبل العالم.

الإنسان الآن لَمَّا هو على الأرض، الإنسان على الأرض ليس هو كائن قائم بنفسه معزول عمّا حوله أبداً، يعني الآن الطاقة الموجودة في الأرض هذه القوة قوة الجاذبية، هذه قوة الجاذبية هي السبب في انتظام حياة الإنسان في جهة من الجهات، يعني الآن قوة الجاذبية لو زادت عن النسبة الموجودة في الأرض ربما الإنسان لا يستطيع الحركة إذا زادت زيادة عالية سيلتصق في مكانه لأنه سيكون ثقيلًا، ثقل ووزن الإنسان ووزن الأشياء متأّت من قوة الجذب، وزن الأشياء إنما هو في حقيقته هو مقدار قوة الجذب في الأرض وهذه قضايا علمية ثابتة ومعروفة ومن بديهيات العلم، لو زادت قوة الجذب في الأرض لثقلت الأجسام إلى درجة لا تستطيع أن تتحرك ولو قلت قوة الجذب لطارت الأجسام وصارت خفيفة، وهذه القضية صارت واضحة حينما صعد الإنسان على القمر لأن قوة الجذب في القمر تعدل سدس قوة الجذب في الأرض، لذلك وزن الإنسان على القمر يعادل واحد على ستة من وزنه على الأرض، قوة الجذب لها تأثير، القضية لا تقف عند قوة الجذب، الهواء المحيط بالإنسان له تأثير، درجة الحرارة، طبيعة الطعام والشراب، حتى المياه، المياه يختلف تركيبها من بلد إلى بلد، كُُلُّ هذه الأشياء المحيطة بالإنسان لها تأثير على الإنسان، أشعة الشمس لها تأثير على الإنسان، موجات الطاقة الآتية من الفضاء عبر الغلاف الغازي، الطاقة الشمسية يعني هي فقط لإنارة الأرض؟ هذا أحد فوائدها، الطاقة الشمسية مثل ما هي لها مدخلية في بناء الهيكل العظمي للإنسان، ولها مدخلية في تكون البشرة الظاهرة لأجسام الحيوانات والإنسان وغير الإنسان، ولها مدخلية في تكوين الطعام في النباتات وفي الحيوانات وفي الأرض وفي كل مكان، الطاقة الشمسية لها مدخلية أيضاً مثل ما قوة الجذب لها تأثير على ثقل الإنسان ووزن الإنسان واستقرار الإنسان الطاقة الشمسية لها تأثير على الحالة النفسية والذهنية والفكرية للإنسان، الطاقة الآتية من الأرض قوة الجذب لها تأثير في البُعد البدني وحتى التأثير على البُعد البدني له تأثير على البُعد الكيميائي الذي يتعاقب مع البُعد النفسي والروحي للإنسان.

الإنسان منظومة ما بين جانب مادي وبين تفاعلات كيميائية وحالات نفسانية وُبعد نوري معنوي وُبعد جبروتي أيضاً، الإنسان فيه صورة من عالم الجبروت كما فيه صورة من عالم الملكوت كما فيه صورة من عالم

الناسوت العالم الأرضي، الطاقة الآتية أشبه بطاقة الصواعق، طاقة الصواعق الآن مانعة الصواعق التي توضع على البنايات لها هيئة معينة حينما تنزل الصاعقة وهي طاقة، من جهة الغيوم مانعة الصواعق تمتص هذه الطاقة، الإنسان في بدنه هناك ممتصات للطاقة الآتية من الشمس لذلك إمامنا الحجة عليه السلام حين يتحدث عن الانتفاع به في غيبته قال: كانتفاح الناس بالشمس يُجللها السحاب، لأن الانتفاع بالشمس ليس فقط بوصول الضوء والأشعة فوتونات الضوء إلى الأرض، والغلاف الغازي بطبقاته التي تصل إلى ستة آلاف كيلومتر، هل تعلم بأن الغلاف الغازي، ارتفاع الغلاف الغازي المحيط بالأرض يصل إلى ستة آلاف كيلومتر وربما أكثر، هذا هو بمثابة مصانع وفلاتر ومعامل لتهيئة الطاقة النازلة من الفضاء ومن الشمس ومن القمر نازلة على الأرض وعلى الإنسان حتى الإنسان يمتص هذه الطاقة لتوازن الحياة النفسية والمادية والمعنوية، ولذلك هؤلاء العلماء يفكرون نتيجة البحث، نتيجة التجارب يقولون بأن الطاقة الآتية من الفضاء عبر الغلاف الغازي هي التي توجه المنظومة الفكرية للإنسان، ولذلك هذا الكلام له أصول، الكلام الذي يقوله المنجمون ويربطون الطبيعة البشرية بالأبراج هذا له شيء من الصحة لكن لا كما يقولون هم، هذه التقسيمات الموجودة والتنبؤات وكذب المنجمون ولو صدقوا، لأنهم بنوا على عقيدة خاطئة.

لكن هناك ترابط بين هذا الإنسان وبين سائر المنظومة في المجموعة الشمسية وفي سائر الكواكب الأخرى، هناك ترابط، مثل ما هناك ترابط بين قوة الجذب الموجودة في الأرض وبين الإنسان، وهناك ترابط بين قوة الجذب الموجودة في الأرض وبين القمر، وللقمر تأثيرات حتى على الحالات الفسلجية والبيولوجية، الآن المرأة وقضية العادة الشهرية أليس هناك علاقة فيما بين حركة القمر وبين العادة الشهرية للمرأة، وهناك مسائل أخرى كثيرة أنا لست بصدد الدخول في هذه التفاصيل، أريد أن أصل إلى هذه القضية أن هناك بُعد رابع للتصرف في الأشياء، هؤلاء العلماء تلمسوا شيئاً من أن هناك طاقة آتية من خارج الأرض عبر الشمس عبر الفضاء هذه الطاقة هي التي تنظم الحالة الفكرية في بعض اتجاهاتها، فيقولون بأن الذي يسيطر على هذه الطاقة ويتمكن من توجيهها سيسيطر على التوجيه الفكري للبشر سواء تمكنوا من ذلك أم لم يتمكنوا ففي كلامهم هذا الكثير من الصواب، هذا جانب من البعد الرابع، أنا أردت أن أقرب القضية، البعد الرابع أعمق من هذا.

البعد الرابع لا يكون إلا مع علم الكتاب مع حروف الأسم الأعظم وذلك شيء لا يستطيع الإنسان العادي أن يصل إليه بالأسباب الطبيعية إنما هو منحة وعطاء من الله، لأنه إذا استطاع الإنسان أن يصل إلى هذه الأعماق سيعبث بخلق الله، سيعبث بالوجود حينئذ، والإنسان لا يملك الحكمة الكاملة التي يستطيع إذا ما وصل إلى مثل هذه العلوم أن يتصرف بها بالشكل المناسب، هذه مسؤولية كبيرة ولا يستطيع الإنسان أن يتحملها، لأن هذه قضية خروج عن الحالة الطبيعية الموجودة في الحياة اليومية، لذلك مثلاً على

سبيل المثال: عمر بن حنظلة من أصحاب إمامنا الباقر والصادق هو يقول: قلت لأبي جعفر - للإمام الباقر - إنني أظن أن لي عندك منزلة، قال: أجل - لك منزلة عندي - قال: أجل، قال: قلت: فإن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: قلت: تعلمني الأسم الأعظم - يطلب الأسم الأعظم بالكامل، وهذا يدل على عدم معرفته بمعنى الأسم الأعظم - قلت: تعلمني الأسم الأعظم، قال: وتطبيقه؟ - تستطيع أنت تحمل هذه القضية - وتطبيقه؟ قلت: نعم - وهذا أكثر يدل على جهله المطبق بالأسم الأعظم - قال: فادخل البيت، قال: فدخلت - يعني أدخله إلى داخل الغرفة، هو جالس معه في البيت أدخله إلى غرفة خاصة - قال: فادخل البيت، قال: فدخلت، فوضع أبو جعفر عليه السلام يده على الأرض فأظلم البيت - لا بد أن يدخل في حالة أخرى، التعامل مع بُعد آخر - فأظلم البيت فأرعدت فرائص عمري - خاف، ظلام ليس كالظلام العادي يعني أن ينطفئ الضوء - فقال: ما تقول أعلمك؟ فقلت: لا، قال: فرفع يده فرجع البيت كما كان - الحديث هنا ومثل هذه الرواية روايات أخرى في مثل هذا المضمون أو قريبة من هذا المضمون تتحدث عن بُعد آخر.

هذا البعد الرابع الذي عمل به آصف أما أهل البيت لهم بُعد خامس وهو البعد الإحاطي ذلك بُعد آخر، ولذلك الإمام الصادق عليه السلام لَمَّا سئل عن آصف وضع يده على صدره قال: فَرَجَّ أصابعه وقال نحن عندنا علم الكتاب كله ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ آخر آية من سورة الرعد المباركة، هذا البعد الرابع هو الذي كانت فيه ولاية آصف بن برخيا، ربما هناك الكثير من الشباب من الشابات من أبنائي وبناتي من محبي أهل البيت أنا أقرب لهم مثال ربما البعض منكم شاهد مجموعة أفلام ماتركس، هذه مجموعة أفلام ماتركس هي تعبير عن قضية البعد الرابع وتمكّن الإنسان من التصرف في البعد الرابع لكنه في عالم التخيل في عالم السينما، وهذا إنما هو في السينما لأن هناك مؤسسات تبحث في هذه القضية كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ما في الجنان ما في القلب يظهر على فلتات اللسان، ولسان الحضارة الأمريكية والغربية هو هوليوود، ما في الجنان يظهر على فلتات اللسان، لسان الحضارة الأمريكية والحضارة الغربية هو هوليوود، هذه المجموعة مجموعة أفلام ماتركس تتحدث عن البعد الرابع ولذلك تلاحظون الحركة عبر الجدران المشي على الهواء، تجاوز البعد المحسوس للمادة والانتقال إلى ما وراءية المادة وهو البعد المُجرّد فانتقال العرش، هذا تقريب وهذه أمثلة، كل ما سُقتُه أمثلة والأمثلة تُقرب من وجهه وتُبعد من وجهه، نحن لا نستطيع أن نتصور المعنى الذي كان فيه آصف إلا أن نكون بدرجة آصف وإنما هذا هو اقتناص للمعاني من خلال الآيات والروايات من هنا ومن هناك، لذلك لا تستغربون إذا قرأتم في روايات الدجال بأنه يفعل هذه المعجزات الهائلة وإن شاء الله نتحدث عن الدجال في شهر شعبان في برنامج الحجة

تقول: فعظّمتم جلاله وأكبرتم شأنه، هذا الاختلاف بصيغ التعبير هو من جملة مصاديق الطي والنشر في اللفظ والذي يكشف عن طيٍ ونشر في الحقيقة، وإنما أنا أوردت هذه الأمثلة لأجل أن يتضح المقصود من مرادي، ما هو المراد من الطي والنشر. وإن شاء الله تنمّة الحديث تأتينا في الحلقة القادمة، يوم غد ما عندنا حلقة إن شاء الله اليوم ترون على شريط أخبار القناة موعد الحلقة القادمة ومواعيد البرامج الأخرى، إن شاء الله في الأسبوع القادم وسترون على شريط القناة موعد الحلقة القادمة، بالنسبة لبرنامج ملفّ العصمة سنشرُ فيه إن شاء الله في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، بقية الأيام من شهر رجب سأخصصها لشرح الزيارة الجامعة الكبيرة وأحاول أن أختصر الكلام حتى أتمّ الكلام بقدر ما أتمكن في هذا النص الشريف، وإذا كانت هناك مطالب مهمة بحاجة إلى توضيح أكثر إن شاء الله في مناسبات أخرى نتحدث عن هذه المطالب، ووالله ما هذا بشيءٍ من فضل أهل البيت، إنما هذا على قدرتي على قدرنا على قدر عقولنا، أهل البيت أكبر وأعظم وأسمى من كل هذه المعاني، هذه بضاعة كاسدة إذا ما قيست ببضاعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، لكننا ماذا نصنع؟ اللغة القاصرة والعقول المحدودة والوقت الضيق والأفهام المحدودة ماذا نستطيع أن نقول؟ هم قالوا، هذا هو الكافي، نذهب ونعود ونطوف ونرجع إلى الكافي هم قالوا، هذا إمامنا الرضا وهو يتحدث عن الإمام المعصوم يقول:

وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ أَوْ يُنَعَتُ بِكُنْهِهِ أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ.

الإمام الرضا يقول هكذا، فهل يستطيع أحد أن يدعي وأن يقول بأنه يفهم شيئاً من أمرهم؟ هو هكذا يقول، يقول: **وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ أَوْ يُنَعَتُ بِكُنْهِهِ أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ.** إذا كان الإمام الرضا يقول لا يستطيع أحد أن يفهم شيئاً من أمره فهل أستطيع أنا أن أدعي بأنني قد فهمت شيئاً من أمرهم، أنا أو غيري أو أيُّ أحد، إنما نحن ندور وندور في فلّك الحقيقة، نحن نتلمّس شيئاً من الحقيقة من خلال كتابهم ومن خلال حديثهم ما بين الكتاب والعترة.

أحباب عليّ وآل عليّ أعتدّ عن قصوري وتقصيري أسألكم الدعاء ألقاكم إن شاء الله في الأسبوع القادم في حلقة جديدة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، ألقاكم على مودّة إمام زماننا الحجة بن الحسن، دعائي لكم أن توفّقوا لمعرفة إمام زمانكم وألتمسكم الدعاء أن أوفّق لمعرفة إمام زمانني أسألكم الدعاء جميعاً في أمان الله.

الحلقة السادسة والعشرون

معنى أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . . . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ . . .

وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةُ الرَّاشِدُونَ

فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركاتٌ أحبابِ عليٍّ وآلِ عليٍّ، الحلقة السادسة والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، بعد أن تمَّ الكلام في المقاطع الخمسة التي تُفْتَحُ بها الزيارة الجامعة الكبيرة شرعاً في المقاطع التي تلي تلكم المقاطع، وتحدّثتُ فيما مضى في جوانبٍ من معاني ما جاء مذكوراً في الزيارة الجامعة الكبيرة وإن كان بنحوٍ موجزٍ ومُجْمَلٍ وذلك لضيق الوقت، وحينَ أقولُ ضيقُ الوقت مُرادي أننا محكومون بزمانٍ محدودٍ والزيارة الجامعة الكبيرة نصُّ طويلٌ إذا أردنا أن نقفَ عند كلِّ عنوانٍ عند كلِّ فقرةٍ عند كلِّ عبارةٍ طويلاً فهذا يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ، ولذا أحاولُ أن أسلِّطَ الضوءَ على أهمِّ المطالب التي تناولها هذا النصُّ الشريف.

المَقْطَعُ الَّذِي لَا زِلْنَا بِصَدَدِهِ، المَقْطَعُ الَّذِي يَبْدَأُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأَوْلُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وتقدم الكلام في هذا، ثم جاءت الشهادة الثانية: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. وجاء الكلام في الشهادة الثانية وما جاء في آخر الفقرة في آخر الآية من الإشارة إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه - لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ - ثمَّ جاءت الشهادة الثالثة: وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةُ الرَّاشِدُونَ. الراشدون الكاملون الذين إذا ما عملوا عملاً فإنهم يأتون به على أحسن وجهه، على أكمل وجهه، ولا يستطيع الإنسان أن يقوم بعملٍ كاملٍ ما لم يكن كاملاً ففاقدُ الشيء لا يُعْطيه - وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الْمَعْصُومُونَ الْمَكْرُمُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ - وأشرتُ إلى أن التقوى هنا ليست المعنى الذي يصدق علينا، التقوى في هذه المنازل في هذه المراتب لها دلالات ومعاني أعمق من هذا المعنى الذي يصدق علينا في قضية الإتيان بما يُريده الله سبحانه

وتعالى في التشريعات وكذلك الانتهاء عمّا لا يريدُه سبحانه وتعالى في مقام التشريع - الْمُقَرَّبُونَ الْمُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفُونَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ - الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ لا في مقام التشريع وإنما في مقام التشريع وفي مقام التكوين، في مقام عالم الشهادة وفي مقام عالم الغيب، في مقام عالم الطبيعة وفي مقام عالم الملكوت - الْقَوَامُونَ بِأَمْرِهِ، الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ - الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ نفسُ المعنى الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الزِّيَارَةِ الْمُطْلَقَةِ الْأُولَى بحسب ترتيب كتاب مفاتيح الجنان المروي عن إمامنا الصادق عليه السلام والتي رواها شيخنا الكليني في الكافي - إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهَيَّبُ إِلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ مِنْ بِيوتِكُمْ - الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ بِهذه الإرادة التي تهبط إليهم - الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ، الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ، اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ - وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ نفس المعنى الذي مرَّ في الشهادة الثانية: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنتَجَبُ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى - وَالْإِشَارَةُ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْجِنِّ، فِي الْآيَةِ السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ وَفِي الْآيَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ عَلَى الْغَيْبِ الْخَاصِّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَّسُولٍ﴾ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُنتَجَبُ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى - وَمَا كَانَ لِأَوْلَاهُمْ فَهُوَ لِآخِرِهِمْ - اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ - هُمُ الْحَقَائِقُ الَّتِي ارْتَضَاهَا الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَكُونَ خُرْآنَةً وَمَقَرًّا لِغَيْبِهِ - وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ، وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ - وَالْاجْتِبَاءُ أَخْصُ مِنَ الْاِخْتِيَارِ - وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاةِهِ - وَالْعِزَّةُ هُنَا لَا بِهَذَا الْمَعْنَى اللَّغَوِي وَالْأَدْبِي وَإِنَّمَا أَعَزَّهُمْ بِهُدَاةِهِ، أَعَزَّهُمْ جَعَلَ لَهُمُ الْعِزَّةَ وَهِيَ السُّلْطَةُ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ وَسَيِّئَاتِنَا فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ وَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، ذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَعَزَّهُمْ بِعِزَّتِهِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ ذَلِيلٌ أَمَامَ الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ لِأَنَّهُ أَعَزَّهُمْ بِعِزَّتِهِ فَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ - وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاةِهِ، وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ - الْبُرْهَانُ قَدْ يَكُونُ هُوَ الْقُرْآنُ، الْبُرْهَانُ قَدْ يَكُونُ هُوَ الْعِلْمُ، الْبُرْهَانُ قَدْ يَكُونُ هُوَ النُّورُ الْإِلَهِيُّ السَّاطِعُ فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي أَرْوَاحِهِمْ، الْبُرْهَانُ قَدْ تَكُونُ هِيَ الْوَلَايَةُ وَالْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْبُرْهَانُ لَهُ دَلَائِلُ وَمُصَادِقُ كَثِيرَةٌ - وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ، وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ - وَالانْتِجَابُ أَخْصُ مِنَ الْاجْتِبَاءِ، هُنَاكَ عِنْدَنَا اصْطِفَاءً، هُنَاكَ عِنْدَنَا اخْتِيَارًا، هُنَاكَ عِنْدَنَا اجْتِبَاءً وَهُنَاكَ انْتِجَابًا - وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ - فَهَمُ نُورُهُ وَهَمُ الَّذِينَ سَطَعَتْ فِيهِمْ أَنْوَارُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَمُ كَذَلِكَ رُوحُ اللَّهِ الَّذِينَ ظَهَرَتْ فِيهِمْ وَتَجَلَّتْ فِيهِمْ رُوحُ اللَّهِ - وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ، وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَجًا عَلَى بَرِيَّتِهِ، وَأَنْصَارًا لِدِينِهِ، وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ - كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَتَعَانَقُ فِيمَا بَيْنَهَا وَتَتَرَابُطُ رِبَاطًا وَثِيقًا - وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخُرْآنَةً لِعِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَرَاجِمَةً لَوْحِيهِ - لِأَنَّ وَحْيَهُ لِأَنَّ قُرْآنَهُ إِنْ كَانَ فِي

ظاهره أو إن كان في باطنه، حقائق الوحي تحتاج إلى ترجمان، والترجمان هم صلوات الله عليهم - وَتَرَاجِمَةٌ لَوْحِيهِ، وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ - هم أركان التوحيد إن كان الحديث عن علم التوحيد وعمّا يعتقدُهُ الناس فإن عقيدة التوحيد لا تتّم إلا بالأخذ عنهم ولا تتّم إلا بالاعتقاد بولايتهم وإمامتهم، أو أن المعنى يذهب إلى أبعد من ذلك كما جاء في دعاء شهر رجب: **فِيهِمْ مَلَأَتْ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** - وهذه هي أركان التوحيد الحقيقية - **فِيهِمْ مَلَأَتْ** - بحقيقتهم، حقيقتهم ساطعة في كُلِّ زاوية من زوايا هذا الوجود - **فِيهِمْ مَلَأَتْ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** - هذا الكلام هو نفسه الذي نجدُهُ واضحاً وصريحاً في دعاء كميل رضوان الله تعالى عليه الذي يرويه عن سيد الأوصياء: **وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا أَرْكَانُ كُلِّ شَيْءٍ مُلِئَتْ بِأَسْمَائِهِ، بِأَسْمَائِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَنْ أَسْمَائُهُ؟**

أَسْمَائُهُ هُمْ مَجَالِي الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي خَلَقَهُ، فَالْأَسْمَاءُ مَخْلُوقَةٌ، وَالْأَسْمُ الْأَعْظَمُ مَخْلُوقٌ، إِذَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ غَيْرُ اللَّهِ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ وَالْأَسْمُ الْأَعْظَمُ مَخْلُوقٌ إِذَا هُوَ غَيْرُ اللَّهِ - **وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْزَّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ** - الأسمُ الأعظم مخلوق وسائرُ الأسماء هي مجالي للأسمُ الأعظم فالأسماء مخلوقة - **وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ** - هو صادقهم يقول: **نَحْنُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالِدَعَاءِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ: فِيهِمْ مَلَأَتْ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ وَالْمُضَامِينِ الْوَاضِحَةِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي كَلِمَاتِهِمُ النَّوْرِيَةِ الْقُدْسِيَّةِ.**

إذا كان البعض من أشياع أهل البيت يستغرب من ذلك، فذلك لجهله بالحديث ولعدم مُمارسته الطويلة مع أدعية أهل البيت ومع زياراتهم ومع خُطبهم وأحاديثهم ورواياتهم وكلماتهم القصار، كُلُّ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَنْصَحُ بِهَذِهِ الْمَعَانِي، وَرَائِحَةُ هَذِهِ الْمُضَامِينِ الْعَالِيَةِ تَفُوقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَمِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ كَلِمَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِنْ كَانَتْ فِي الْأَدْعِيَةِ وَالزِّيَارَاتِ أَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْخُطْبِ وَالرُّوَايَاتِ وَفِي الْكَلِمَاتِ الْقَصِيرَةِ - **وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ، وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ، وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ** - المنار المكان الذي يعلو وتعلو أنواره فيكون سبباً لهداية الناس في ظلام الليل وفي الليالي الحوَالِكِ - **وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ، وَأَدِلَاءَ عَلَى صِرَاطِهِ** - هم صراطُ الله وهم أدلاء على صراط الله على صراطه في الدنيا وعلى صراطه في الآخرة، الصراطُ بمعنى جادة الشريعة، والصراطُ بمعنى الإمام المعصوم والصراطُ بمعنى صراط جهنم وكُلُّ ذَلِكَ أَهْلُ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ يَرْتَبِطُونَ بِهَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، لَوْلَاهُمْ لَمَّا يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَعْبُرُ عَلَى صِرَاطِ جَهَنَّمَ إِلَّا بِدَلَالَتِهِمْ، وَلَوْلَاهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَسِيرَ عَلَى صِرَاطِ جَادَةِ الشَّرِيعَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا بِدَلَالَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِي حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ هُوَ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ الْحَقِيقَةُ الْجَامِعَةُ وَالْحَقِيقَةُ الْقَوِيمَةُ وَالْمُسْتَقِيمَةُ، وَالْإِمَامُ الْمَعْصُومُ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فَالصِّرَاطُ

المستقيم هو أقصر خط بين نقطتين، أقصر طريق يوصلنا إلى الله هو الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، هذا الطريق الذي ليس فيه أي نوع من أنواع الانحناءات وأي نوع من أنواع التعرج وأي نوع من أنواع المتاهات، صراط مستقيم - أين السبب المتصل بين الأرض والسماء، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء - حين نتوجه إليهم فنحن قد توجهنا إلى الله فهم وجه الله الباقي بعد فناء الأشياء - وأدلاء على صراطه، عصمكم الله من الزل، وآمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً - وتلك هي عصمة آل محمد - عصمكم الله من الزل - الزل، الزل لذلك يُقال زلزال، والزلزال هو الاهتزاز الجسمي الكبير، الزل هو الخطأ الذي يقع فيه الإنسان بجوارحه، أفعال الإنسان وأقوال الإنسان الصادرة من جوارحه هو هذا الزل - عصمكم الله من الزل - الزل خطأ البدن، خطأ الجوارح، خطأ الأقوال والأفعال هو هذا الزل - عصمكم الله من الزل - فأنتم معصومون أنتم ملتجئون إلى الله، ملتصقون بالله، لا تسبوا علياً فإنه ممسوس في ذات الله، ذواتهم ممسوسة في ذات الله، فلائها ممسوسة في ذات الله فهي بعيدة عن الزل وعن الخط في القول وفي الفعل - وآمنكم من الفتن - الفتن هنا إنما هي ما يطرأ على قلب الإنسان وعلى عقل الإنسان وعلى خيال الإنسان، ما يجول في الجانب الجواني في قلوب الناس في قلوب العباد في عقولهم.

هناك للإنسان جارحة وهناك جانحة، جوارح الإنسان هي التي يصدر منها الزل وجوانح الإنسان هي التي تغوص في الفتن، الفتنة تبدأ من القلب، الفتنة تبدأ من العقل، الفتنة في أصلها مسألة جانحية وليست جارحية - وآمنكم من الفتن - من الفتن مما يدور في القلوب والعقول، فقلوبكم صافية مُصفاة، نقية مُنقاة وعقولكم كذلك - وطهركم من الدنس - الدنس النجاسة المادية، فكل شيء في أبدانهم طاهر، كل شيء يتعلق بذواتهم الجسمية طاهرة، دمائهم طاهرة، أبدانهم طاهرة، لحومهم طاهرة كل شيء فيهم طاهر ولا يصدر إلا الطهر وإلا الطهور - وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس - كل أنواع النجاسات المعنوية، كل أنواع النجاسات، لأن النجاسات المعنوية على درجات مثل ما النجاسات البدنية على درجات - عصمكم الله من الزل - الزل في القول والفعل ما يصدر من الإنسان من قول ومن فعل - وآمنكم من الفتن - أيضاً ما يصدر من الإنسان في مستوى النوايا، في مستوى الأوهام والخيال، في مستوى العقول والقلوب، ما يفعله الإنسان في داخله - وطهركم من الدنس - لوازم الدنس البدني الموجودة عند غيرهم - وأذهب عنكم الرجس - لوازم النجس والنجاسات المعنوية الموجودة عند غيرهم، ثم بعد ذلك - وطهركم تطهيراً - وهذا تطهير مؤكّد ومشدّد، هذا التطهير هو التطهير الإلهي أن كانوا موجودات ربانية موجودات إلهية، هذه طهارة ربانية طهارة إلهية لهذه الذوات المقدسة أولئك هم أهل البيت.

وأنا أُفِرُّ بذلك وأشهدُ بذلك وتلك عقيدتي يا آل مُحَمَّد - عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ - من كل خطأ في القول أو في الفعل يصدرُ من الناس من كل المخلوقات، من الإنس من الجن من الملائكة ومن كل أحد - وَأَمَنَكُم مِنَ الْفِتَنِ - من كل أنواع الفتن التي تجول في قلوب وعقول الخلائق من كل المراتب - وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ - من كل أنواع النجاسات المادية في ظواهر الأبدان وفي بواطنها، ما يتعلق بها وما يصدر منها - وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ - كل أنواع النقائص من الشك ومن الجهل ومن الغفلة ومن السهو ومن كل شيء من هذا القبيل، ممن ليس للإنسان مدخلية في إيجاده لأن الفتن كان الحديث عن نجاسات معنوية للإنسان مدخلية في إيجادها أما الحديث عن الرجس هنا عن نقائص موجودة في الإنسان، عن الشك عن الجهل هذه نقائص موجودة في الإنسان ويجب على الإنسان أن يُكَمِّلَهَا، أما هم فيهم فهي كاملة ولا نقص فيهم، وبعد كل ذلك الكمال يأتي - وَطَهَّرَكُم تَطْهِيراً - والفعل مُشَدَّدٌ هنا، طَهَّرَكُم يعني طَهَّرَكُم وَطَهَّرَكُم، وتطهيراً مفعولٌ مطلق من نفس لفظ الفعل، حينما يكون المفعول مطلق من نفس لفظ الفعل فهو يعني معنى الفعل، يعني هناك وَطَهَّرَكُم وَطَهَّرَكُم وَطَهَّرَكُم، تطهيرٌ للذات وتطهيرٌ للصفات وتطهيرٌ للأفعال، فذواتهم إلهية وصفاتهم إلهية وأفعالهم إلهية.

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى: هذا الرمي صادرٌ من ذات وصفات وأفعال ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ الرمي إذا أردنا أن نُحَلِّلَهُ مرجعيته إلى ذات الرامي إلى صفاته وإلى فعل الرامي ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ وذلك هو الإشراق الإلهي والتجلي الإلهي في هذه الذات الرامية في مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حين تتجلي الأنوار الإلهية في ذاتها فإنها تُطهرها في أعلى درجات التطهير ﴿ وَطَهَّرَكُم تَطْهِيراً ﴾ - عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَأَمَنَكُم مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ وَطَهَّرَكُم تَطْهِيراً - وأعتقد أن هذه العبارة تكفي لتبين لنا منزلة المعصوم في هذه الدنيا وتبين لنا جانباً من شؤونها، وذلك إنما هو بحسب ما نستطيع أن نتصوره أو أن نتفهّمه، وإلا إيماننا الرضا يقول: وكيف يُوصَفُ بِكُلِّه أو يُنَعَتُ بِكُنْهه أو يُفْهَمُ شيءٌ من أمره. سادتي آل مُحَمَّد: عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَأَمَنَكُم مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ وَطَهَّرَكُم تَطْهِيراً، فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ - وكيف لا يُعَظَّمُونَ جلاله وهم وجهه الباقي بعد فناء الأشياء - فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ - وأميرُ المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يقول: أنا قلبُ الله الواعي، أميرُ المؤمنين هو قلبُ الله الواعي، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ قَلْبُ اللهِ الْوَاعِي - فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ، وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ - إدامة الذكر هو وجودهم، ليس الحديث هنا عن إدامة

الذكر بالمعنى العبادي، قطعاً هذا المعنى متحقق فيهم صلوات الله عليهم، وليس بمعنى الذكر القلبي وليس بمعنى الذكر الفعلي أن الإنسان حين يريد أن يقدم على أمر يذكر الله فيذكر ما يريد منه الله، هذه كلها متحققة فيهم، أما إدامة الذكر هنا فإنها تشير إلى معنى أبعد من ذلك، وجودهم ووجود الكائنات بوجودهم هو هذا إدامة ذكره، هذه الكائنات المُسَبَّحة بذكر الله، هذه الكائنات قائمة بهم صلوات الله عليهم وتسيبها - بِكُمْ تُسَبِّحُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْمِلُ أَبْدَانَكُمْ - إدامة الذكر بمعنى عميق جداً وحتى هذا المعنى فهو بحسب ما نُدرِكُهُ وبحسب ما نفهمه من إشارات كلماتهم، وإلا القضية أعمق وأعمق وأعمق من ذلك بكثير - وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ، وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ، وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ - والمعاني كلها تلتقي في تلكم الجذور العميقة - وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ - في السر والعلانية، في السر والعلانية إشارة إلى مظاهرهم التي لا نهاية لها، لهم مظاهر في كل طبقة من طبقات هذا الوجود، هناك مظاهر تقع في أفق العلانية ومظاهر تقع في أفق السر، وحينما أقول في أفق العلانية ليس بالضرورة أن تكون منكشفة لنا وإنما هي في أفق العلانية بحسب كُلِّ عالمٍ من العوالم، وهي في أفق السر أيضاً بحسب كُلِّ عالمٍ من العوالم، ما يكون علنياً في هذا العالم يكون مناسباً لهذا العالم، وما يكون سرياً في هذا العالم يكون مناسباً لهذا العالم، في عوالم أخرى قد يكون العلني فيها بالنسبة لهذا العالم سرياً وهكذا كُلُّ مرتبةٍ بحسبها.

وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ. وبينت هذا المعنى - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ - ليس المراد القضية في حد الجهاد والشهادة وما يقوم به الإنسان في العالم الدنيوي هذه صورة مصغرة عن بذل أنفسهم في مرضاته، فهم بذلوا أنفسهم في مرضاته إشارة إلى المعنى في الحقيقة المُحَمَّدية التي جادت بكل جودها فكان هذا الوجود - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ - لأنه أحب أن يُعرف فجادت الحقيقة المُحَمَّدية بكل مجالي القدرة كي تُعرف قدرته وكي يتحلّى نوره سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا النور الذي أشرق في كل جانبٍ من جوانب الوجود، كان نوراً مُشرقاً من الحقيقة المُحَمَّدية الأولى - وَبَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ، وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنَبِهِ - وتقدم الكلام فيها - وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ - وكل هذه العبارات في وجهٍ من وجوهها تشير إلى المعنى الذي يتناسب مع العالم الأرضي، وفي الوجوه الأخرى تتناسب مع كل عالمٍ من العوالم الأخرى بحسبه - وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرَايِضَهُ - والفرائض هي الأمور المفروضة الواجبة، وهذه الفرائض قد تقع في دائرة التشريع وقد تقع في دائرة التكوين، فما المراد من التبيين؟ هل هو التبيين التشريعي أم التبيين التكويني؟

وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ - الحدود هي النهايات، والمراد من النهايات الجهات التي تنتهي عندها قوانينُ الباري سبحانه وتعالى - وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ - نهايات مرضاته ونهايات غضبه وسخطه وتلك هي قوانينه وآدابه وأعرافه وتشريعاته - وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصَرِّتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ - لأنكم أنتم صورته ولأنكم أنتم وجهه ولأنكم أنتم يده ولسانه وعينه الناظرة وأذنه الواعية ولأنكم أنتم نعمته السابعة ونعمته الدامغة كُلُّ هذه المعاني نحنُ نُحَاطِبُ بِهَا مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ فِي زياراتهم الشريفة - وَصَرِّتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا - حينَ تتحلون في مظهر النعمة السابعة فهذا من أوضح مصاديق معنى الرضا الذي وصلتكم إليه، وحين تتحلون في مظهر النعمة الدامغة فذلك أيضاً مصداقٌ آخر ما بينَ الجمالِ والجلال - وَصَرِّتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى - التصديقُ ليس محصوراً بالتصديق اللفظي الذي يتفرَّغ عن التصديق القلبي في العالم الأرضي، فيما بيَّنه لنا القرآن في حدوده اللفظية وما بينه لنا النبي الأعظم في سنته المفلوطة، في سنته المفلوطة أعني بذلك ما يُصطلح عليه في علم الأصول بالقول والفعل والتقرير، فالقول والفعل والتقرير كله جاءنا بطريقة اللفظ كيف وصل إلينا، مرادي من السنة المفلوطة بكل أركانها المعروفة بين المتخصصين في هذا الباب - وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى - والتصديقُ الذي أشرتُ إليه هو أول مظاهر التصديق أمَّا التصديقُ في المعنى الأعمق أنهم كانوا الحُجَّةَ والدليل والآية.

معاجز الأنبياء وكرامات الأنبياء إنما هي من فيض مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ والروايات في ذلك كثيرة جداً، معاجز الأنبياء إنما هي من الحقيقة العلوية، كنتُ مع الأنبياء باطناً، أدلتهم، معاجزهم، بيناتهم متفرعة من هذه الحقيقة وذلك هو من أوضح معاني التصديق، بل إننا نجدُ في رواياتنا إن الله سبحانه وتعالى حينَ يُجَاسِبُ الأنبياءَ فَإِنَّ الأنبياءَ شُهَدَاءُ عَلَى أُمَّهَم، حينَ يجاسب الأنبياءَ وحين ترفضُ الأممُ بأن تشهدَ لأنبيائها في مقطعٍ من مقاطع الحساب الله سبحانه وتعالى يطالب كُلَّ أُمَّةٍ بالشهادة لنبينا، فبعض الأنبياء ترفضُ أمهم أن تشهد لهم فيشهد لهم بذلك مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم والروايات في كتبنا موجودةٌ بهذا المعنى وبهذا المضمون، لا أريد الدخول في التفاصيل لضيق الوقت، فذلك هو صورةٌ أخرى من صور تصديقهم لهؤلاء الأنبياءِ ولهؤلاء الأولياء والأوصياء - وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى - إلى أن تستمر الزيارة في عباراتها - فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَالْمُقَصَّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ - الراغب عنكم الذي أعرض عنكم، أعرض عن إمامتكم، أعرض عن توحيدكم، أعرض عن ولايتكم، أعرض عن عقيدتكم، رغبتُ في الشيء يعني تعلقتُ فيه، رغبتُ عنه يعني أعرضتُ عنه وابتعدتُ عنه فلا أريدهُ - فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ - بعد كُلِّ هذه المقامات وبعد كُلِّ هذه الأوصاف وبعد كُلِّ هذه الحُجَجِ الزيارة هنا تحدّثت عن أوصاف

الأئمة وعن مقاماتهم وعن علاقتهم بالله، حين ابتدأت: **وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةُ الرَّاشِدُونَ**، بعد كُلِّ هذه الأوصاف - **وَرَضِيكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ** - الله سبحانه وتعالى جعلهم خلفاء في أرضه وحُججاً على بريته، ثُمَّ تستمر الزيارة فتقول: **عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَأَمَنَكُم مِّنَ الْفِتَنِ، إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ مِنَ الْكَلَامِ** وهي تتحدّث عن كمالهم، فكيف لا تتحقّق حجيتهم على الخلائق؟! **ثُمَّ أَتَمَّ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ** ماذا فعلوا؟ **فَعَظَّمْتُمْ جَلَالَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ،** وتقول الزيارة: **وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ،** وتقول: **حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ،** إلى آخر ما جاء مذكوراً في العبارات السابقة، بعد كل هذه البيانات وبعد كل هذه الأفعال وما أقامه آل مُحَمَّدٍ من الحُججِ فهناك من يرغب عنهم، الزيارة تقول: **فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ،** المارق: السهم حين يمرق يعني حين يخرج، مَرَقَ السهم حين يخرج من قوسه، المارق هو الخارج المُنفلت الذي لا يكون منضبطاً - **فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ** - مارق يعني خارج، يعني خارج من جادة الله من طريق الله من فطرة الله سبحانه وتعالى - **فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ** - هذا واضح، الحديث هنا عن المُخالفين عن النواصب بكل درجاتهم.

الروايات واضحة عندنا، حين يسألون الأئمة من هو الناصبي؟ لا أريد أن أدخل في التعاريف الفقهية، الفقهاء لهم تعاريفهم ويختلفون في هذه القضية، في حديث أهل البيت، أهل البيت وضعوا لنا ميزاناً واضحاً، الرواية في وسائل الشيعة وغير وسائل الشيعة، الروايات عن أهل البيت أنّه من فَضَّلَ الأول والثاني على عليٍّ، مَنْ فَضَّلَ غير عليٍّ على عليٍّ من الصحابة فهذا هو الناصب، هذا المعنى واضح في روايات أهل البيت، يأتي الفقهاء يجعلون النصب درجات، يُجَمِّلون هذا المعنى، يضيفون شيء، يحذفون شيء هذه قضية في كتب الفقه ويمكن أن نتناولها في مقام آخر لكن القضية الواضحة الصريحة الجليلة البينة أيُّ إنسان يُفَضَّلُ أي شخص من الصحابة على عليٍّ فهو ناصبي، هذا المعنى واضح في كلمات أهل البيت، لا يحتاج إلى جدال الروايات صريحة وأنا هنا لستُ بصدد إيراد الروايات، لكن هذا المعنى واضح في كلمات أهل البيت - **فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ** - من رَغِبَ عن أهل البيت فهو مَارِقٌ، والمارق هنا هو الذي خرج من طريق الله خرج من ساحة الله، هؤلاء هم الذين ابتعدوا عن أهل البيت - **وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ** - اللازم يعني المُلتصِقُ بكم المُلازم لكم، هذه المُلازمة تقتضي أن تكون مُلازمة عقلية وملازمة قلبية ووجدانية وملازمة بدنية ملازمة بالحواس وبالبدن، معنى التقوى، أمير المؤمنين ماذا يقول؟ **التقوى: أن يجِدَكَ اللهُ في مواضع طاعته، وما هي مواضع الطاعة؟ أليس مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ؟ وأن يفتقدك عن مواضع معصيته، أن تكون الأبدان بأفعالها والألسنة بأقوالها في ساحة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في خدمة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وتلك هي التقوى،** وحين نقول بأنَّ عليّاً إمام المتقين المتقون هم هؤلاء الذين يتصفون بهذا الوصف - **وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ** - لاحقٌ بكم وإلا

ليس منكم وإنما هو لاحقٌ مُلحقٌ بكم، فأنتم أنتم ونحن نحن، أهل البيت هم هم ونحن نحن، حين نلتزم أهل البيت فإننا سنلحقُ بهم سنكون ملاحق تابعه لهم - وَاللَّازِمُ لَكُمْ لِحَقِّ، وَالْمُقَصَّرُ - الْمُقَصَّرُ من هو؟ من شيعة أهل البيت، وإلا المخالفون لأهل البيت: فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، هؤلاء رغبوا عن أهل البيت، بأي درجة من درجات الرغبة، هناك من يبغض أهل البيت فلا يرغب في أهل البيت، وهناك من يبغض منهج أهل البيت يقول أنا أحب أهل البيت ولكنني أُعرض عن منهجهم يذهب إلى منهجٍ آخر، وهناك من يبغض أشياعهم، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ فِي النَّاسِ أَحَدًا يَقُولُ إِنِّي أَبْغَضُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، ليس الناصب من أبغض مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ، هكذا تقول رواياتهم، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ فِي النَّاسِ مِنْ يَقُولُ بِأَنِّي أَبْغَضُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ وَإِنَّمَا النَّاصِبُ مِنْ نَصَبِ الْعِدَاءِ لَكُمْ يَا شِيعَتَنَا وَهُوَ يَعْلَمُ بِأَنَّكُمْ تَتَوَلَّوْنَا وَتَتَبَرَّءُونَ مِنْ أَعْدَائِنَا، هذا المطلوب بحاجة إلى تفصيل أنا لا أريد الخوض فيه ربما سيأتينا في الحلقات القادمة الحديث عن قضية الولاية والبراءة - فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ - هذا الراغب عنكم بكل درجات الرغبة عنهم.

وَاللَّازِمُ لَكُمْ لِحَقِّ - المُلْتَصِقُ بكم، القول مني قول آل مُحَمَّدٍ فيما أسروا وما أعلنوا أنا ملتصق بهم، من أراد أن يستكمل الإيمان كُلَّ الإيمان فليقل القول مني ما قاله آل مُحَمَّدٍ فيما أسروا وما أعلنوا فيما بلغني عنهم وما لم يبلغني، أنا ملتصق بهم، فليقولوا ما يقولوا وليكن ما يكن أنا ملتصقٌ بهم مُلَازِمٌ لهم فيما أسروا وما أعلنوا فيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني، أنا حين أعرف أن مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ بهذه الصفة: عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَأَمَنَكُمُ مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُمُ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ وَطَهَّرَكُمُ تَطْهِيرًا، كيف لا ألتصق بهم؟! العقل يدفعني لذلك، الوجدان والضمير والقلب والفترة وكل ما هو منطقي يدفعني لأن أكون ملتزمًا بهم - وَاللَّازِمُ لَكُمْ لِحَقِّ وَالْمُقَصَّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ - الزاهق هو الباطل هو الخارج عن جادة الحق، هناك حق وهناك باطل والزاهق هو الباطل - وَالْمُقَصَّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ - أي أنه قد خرج عن الحق عن جادة الحق، دائماً صفة الزهوق تأتي صفةً للباطل إن كان في الكتاب الكريم أو في كلمات أهل البيت - وَالْمُقَصَّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ - من هو الْمُقَصَّرُ فِي حَقِّهِمْ؟

الْمُقَصَّرُ هو الذي لا يكون حاملاً لصفة اللازم، تقدم الكلام في معنى اللازم، الذي يكون ملاصقاً لهم بعقله وقلبه ووجدانه وببدنه وحواسه بكل ما يتمكن، الْمُقَصَّرُ فِي حَقِّهِمْ زَاهِقٌ، الْمُقَصَّرُ هو الذي يُقَصَّرُ في هذه اللازمية، ليس لازماً لهم في كل شؤونهم وأحوالهم، ومن مصاديق هذا المقصّر هناك الكثير من الشيعة ممن يرسعون حدوداً لأهل البيت بحسب ما يعتقدون هم لا بحسب ما يقول أهل البيت فيرفضون هذه المقامات وهذه المعاني، نحن الآن حين نقرأ في الزيارة الجامعة ونرى هذه المقامات الشائخة لأهل البيت، هم يُعَرِّفُونَا بأنفسهم، القلوب المؤمنة القلوب المُخَبِّتة هي التي تمتلئ فرحاً وسروراً كلما ازدادت معرفة بمقامات

أهل البيت، أولئك هم اللازمون لأهل البيت الملتزمون بهم، أمّا الْمُقَصَّرُونَ أولئك الذين يَزِنُونَ الأمور بمقاييس لا ندري من أين جاءوا بها، وكأنهم يقيسون بنفس مقاييس مُخالفي أهل البيت وأولاء كثير في وسطنا الشيعي، ماذا يقول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في حديث المعرفة بالنورانية؟ يقول وهو يخاطب سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري:

يا سلمان ويا جُنْدَب - وجُنْدَب هو أبو ذر - قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: من آمنَ بما قلتُ - وسأتي على كلامه الذي قاله، نفس المضامين التي مرت في الزيارة الجامعة وما يأتي منها - من آمنَ بما قلتُ وصدَّقَ بما بينتُ وفسَّرتُ وشرحتُ وأوضحْتُ ونوّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمن - من آمنَ بكل هذه التفاصيل - من آمنَ بما قلتُ وصدَّقَ بما بينتُ وفسَّرتُ وشرحتُ وأوضحْتُ ونوّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمن امتحنَ الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عارفٌ مستبصرٌ قد انتهى وبلغ وكمَّل - من أرادَ أن يستكمل الإيمان، كما مرَّ قبل قليل في الحديث - قد انتهى وبلغ وكمَّل - ومرَّ علينا في رواية أبي بصير، الإمام حين سأله: هل عرفت إمامك؟ قال: قبل أن أخرج من الكوفة، قال: حسبك إذاً - قد انتهى وبلغ وكمَّل ومن شكَّ وعندَّ وجحدَّ ووقفَ وتحيرَ وارتابَ فهو مُقَصَّرٌ وناصب - الكلام هنا: والمُقَصَّرُ في حَقِّكم زاهِقٌ، المُقَصَّرُ هو هذا، ممن هو في دائرة الشيعة لكن الحال هذا حاله - ومن شكَّ وعندَّ وجحدَّ ووقفَ - هذه درجات من الناس، هناك من يُشكِّك، هناك من يُعانِد، هناك من يجحد، هناك من يقف على أساس أنه محتاط الأخ - وتحيرَ - وهناك من هو متحير، وهناك من هو مرتاب على أساس مُحقق ومُدقق، فهو مُقَصَّرٌ وناصب - ومن شكَّ وعندَّ وجحدَّ ووقفَ وتحيرَ وارتابَ - على أساس مُجدِّد ومُنفتح على عصره، وهذا الفهم الذي يسود طائفة من الناس هذا الفهم الانفتاحي والفهم الحركي وسمي ما شئت من هذه التسميات، يبقى ما بين حركية وانفتاح وينفتح من جهةٍ إلى جهةٍ أخرى ولا ندري إلى أين سيذهب هذا الانفتاح، لأننا تارةً بحسب ما يقولون تارةً نفتحُ على القرآن وأخرى يفتح القرآن علينا، وتارةً نفتحُ على المخالفين لأهل البيت وأخرى هم يفتحون علينا، وتارةً نفتحُ على الإنسانية جمعاء وأخرى الإنسانية جمعاء تفتحُ علينا، وكل ذلك في حركيةٍ مستمرة ولا ندري إلى أين ستقودنا هذه الحركية وهذا الانفتاح.

إلى هذا يشير أمير المؤمنين - ومن شكَّ وعندَّ وجحدَّ ووقفَ وتحيرَ وارتابَ فهو مُقَصَّرٌ وناصب - والزيارة هنا تقول: والمُقَصَّرُ في حَقِّكم زاهِقٌ - الحديث ليس عن النواصب، لكن قد يصل إلى درجة النصب يقول: فهو مُقَصَّرٌ وناصب - وإلا النواصب مرَّ ذكرهم: فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، والمُقَصَّرُ في حَقِّكم زاهِقٌ - والإمام يستمر يقول: يا سلمان ويا جُنْدَب، قالوا: لبيك يا أمير

المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: أنا أحيي وأميت بإذن ربي، وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي وأنا عالمٌ بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا - لماذا؟ - لأننا كلنا واحد أولنا مُحَمَّدٌ وآخرنا مُحَمَّدٌ وأوسطنا مُحَمَّدٌ وكلنا مُحَمَّدٌ فلا تُفَرِّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله الويل لكل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عز وجل ومشيته فينا - إلى آخر كلامه سنأتي على ذكر مقاطع أخرى من حديث أمير المؤمنين المعروف من حديث المعرفة بالنورانية.

سادتي آل مُحَمَّد: فالرأغبُ عنكم والله مارق واللازم لكم والله لاحق والمُقَصِّرُ في حقكم والله زاهق - فَالرَّأِغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ - علينا أن نتفحص عقائدنا وأدياننا من أي صنّفٍ نحن، هل نحن من الراغبين عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ والويل لنا إن كُنَّا كذلك - فَالرَّأِغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ - أم نحن من اللازمين لهم - وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ - أم نحن من المقصرين في حقهم - وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ - الزيارة تقول بعد ذلك: وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ - لماذا لا نلتزمهم؟ لذلك الذين رغبوا عنهم مارقون والمقصرون في حقهم ممن يقولوا بأننا شيعة ونحب أهل البيت زاهقون، لماذا؟ الزيارة تقول: وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ - العبارة مستمرة - فَالرَّأِغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ - تلاحظون مجاورة كلمة الحق لكلمة زاهق، لأن هذا الزاهق هو الذي ابتعد عن الحق - وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ - يا آل مُحَمَّد - وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ - ما المراد من الحق؟ هل هو القرآن؟! نعم الحق معهم، علي مع القرآن والقرآن مع علي، علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار، هل الحق هو القرآن؟ نعم القرآن حق، في ظاهره وفي باطنه، هل الحق هو الإسلام والإيمان؟ نعم الإسلام والإيمان هو الحق، هل الحق هو النور الإلهي المتجلي في كل موجود؟ نعم هو هذا الحق معهم وفيهم وتحت سيطرتهم ودل كل شيء لكم، هل الحق هو النور الساطع في قلوبهم؟ نعم هذا هو الحق أيضاً، هل الحق هو تجلي الله سبحانه وتعالى في الحقيقة المُحمّدية والعلوية؟ نعم هذا هو الحق أيضاً.

الحق كل ما يرتبط بذات الحق، الحق في معناه الأصلي والحقيقي وفي أعماق معانيه هو الله سبحانه وتعالى، الحق هو الله، كل مجالي الله هي الحق - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ - وما رأيت شيئاً كما يقول سيد الأوصياء، إلا ورأيت الله معه، ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومع وفيه، وهم بالدرجة الأولى يرون أنفسهم وذواتهم، إذا كان أمير المؤمنين ما يرى شيئاً إلا ويرى الله قبله وبعده ومع وفيه فبالدرجة الأولى هم يرون

أنفسهم يرون ذواتهم - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ - هم أهل الله هم أهل الحق - وَمَعْدِنُهُ - وهم معدنُ الحق، كُلُّ معاني الحق في التشريع وفي التكوين، في عالم الطبيعة وفي العوالم العليا، في الملاء الأسفل وفي الملاء الأعلى عَبَّرَ ما شئت من العبارات، في العرش وفي الاستواء على العرش وما بعد العرش وفي حُجْبِ النور، كُلُّ مظهرٍ من مظاهر الحق هي معهم وفيهم وإليهم صلوات الله عليهم، ويظهرُ ذلك لهم وفيهم في كُلِّ عالمٍ من العوالم بحسب ذلك العالم - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَمِيرَاثُ النَّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ - ميراث النبوة كل النبوات، نبوة النبي هي النبوة الجامعة لكل النبوات وهم وَرَثَا هذه النبوة - وَمِيرَاثُ النَّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ - وميراث النبوة هو ميراث العلم والولاية هو ميراث الحقيقة - وَمِيرَاثُ النَّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ، وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ - إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم، هذا في عالم الدنيا وهذا في عالم الآخرة بل في كل عالمٍ من العوالم، الخلق هنا ليس مخصوصاً بالبشر أو بالجن أو بالملائكة وإنما بكل مراتب الخلق - وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ.

في سورة الغاشية في الجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب الكريم في الآية الخامسة والعشرين وفي الآية السادسة والعشرين ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ الحديث هنا عن البشر، حديث عن الإنس والجن لأن الآية تتحدث عن المجموعات التي مرَّ الكلام عنها ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهُ يَوْمٍ ذُرِّيَّتُهَا كَالْعَصَى * فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا * نَارُهَا خَالِدَةٌ * وَإِنَّا لَنَرَاهَا فِي صَدَقَاتٍ مُّطَوَّرَاتٍ * وَأَنفُسٌ يَخْتَضِعُ لَهَا خَاضِعِينَ * وَجُوهُ يَوْمٍ ذُرِّيَّتُهَا كَالْعَصَى * لَسَعِيَهَا رَاضِيَةً﴾ الحديث عن وجوه عاملة ناصبة وعن وجوه ناعمة لسعيها راضية، حديث عن البشر، حديث عن الجن عن الإنس والجن ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أما الحديث هنا في الزيارة الجامعة الكبيرة أوسع من ذلك، حديث عن كُلِّ الخلق - وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ - الزيارة هنا تصدق القرآن والقرآن يصدق الزيارة، أما أولئك الذين قد يتصورون أن تعارضاً بين القرآن والزيارة فهذا من قلة فهمهم للقرآن ومن قلة فهمهم لما قاله أهل البيت، نحن كيف نفهم القرآن؟ نفهم القرآن هكذا بمزاجية أو بمعلومات نتعلمها من هذا المنهج المخالف لأهل البيت أو من ذلك المنهج البعيد عن أهل البيت؟! أم نرجع إلى أهل البيت لنرى كيف يفهمون القرآن؟!

هذا هو الجزء الثامن من كتاب الكافي الشريف، وهذا هو حديث أهل البيت، الرواية عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام عن باقر العلوم قال: قال: يا جابر إذا كان يوم القيامة - الإمام يحدِّث جابراً الجعفي - يا جابر إذا كان يوم القيامة جمَعَ الله عزَّ وجلَّ الأولين والآخرين - الأولين والآخرين

من الجن والإنس والملائكة ومن كل ما يمكن أن يُحاسب في يوم القيامة - جَمَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الأولين والآخرين لفصل الخطاب - لفصل الخطاب يعني ل طرح القول الفيصل - جَمَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الأولين والآخرين لفصل الخطاب، دُعِيَ رسول الله ودُعِيَ أمير المؤمنين فيكسى رسول الله حُلَّةَ خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب ويكسى عليّ مثلها ويكسى رسول الله حُلَّةَ وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب ويكسى عليّ مثلها ثم يصعدان عندها - بعد أن يكسوان الحُلَّةَ الخضراء والحُلَّةَ الوردية - ثم يصعدان عندها - يصعدان إلى المقام المحمود - ثم يُدعى بنا - يُدعى بآل مُحَمَّد - فيدفع إلينا حساب الناس فنحن والله ندخل أهل الجنة وأهل النار، ثم يُدعى بالنبيين فيقامون صفين عند عرش الله عز وجل حتى نفرغ من حساب الناس فإذا دخل أهل الجنة وأهل النار النار بعث رب العزة علياً فأنزلهم منازلهم من الجنة - له الولاية في الدنيا وفي الآخرة، هو قسيم الجنة والنار - فأنزلهم منازلهم من الجنة وزوجهم - إمامنا الباقر يقول: فعليّ والله الذي يُزوج أهل الجنة في الجنة وما ذاك إلى أحدٍ غيره، كرامة من الله عز ذكره وفضلاً فضله الله به ومن به عليه، وهو والله يدخل أهل النار النار، وهو الذي يُغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها لأن أبواب الجنة إليه وأبواب النار إليه - يا قسيم الجنة والنار أدركني يا أبا الغيث يا عليّ أغثني، لكن ماذا نصنع للناس وما شأننا والناس.

رواية عن إمامنا الصادق مذكورة في نفس الصفحة في الجزء الثامن، لاحظوا الناس وهذا في كل زمان والتقية لها درجات، ماذا يقول إمامنا الصادق وهو يتحدث عن طبقات من الناس - إياكم - وماذا؟ - إياكم وذكّر عليّ وفاطمة - لا تذكروا علياً وفاطمة، لماذا؟ - فإن الناس ليس شيء أبغض إليهم من ذكر عليّ وفاطمة - وهذا يمكننا أن نتلمسه في المخالفين لأهل البيت في كل مكان، وكذلك يمكننا أن نتلمسه حتى في أشياع أهل البيت إذا ذكرنا علياً وفاطمة ليس وفقاً للصورة التي هم رسموها لعليّ وفاطمة، حين نذكر علياً وفاطمة بحسب الصورة التي رسمها أهل البيت لنا يرفضون علياً وفاطمة، فعليّ وفاطمة عندهم غير عليّ وفاطمة عندها، هناك من يرسم صورة لعليّ وفاطمة غير الصورة التي رسمها عليّ وفاطمة لأنفسهم، هذا هو القول البليغ الكامل، علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرت واحداً منكم فعلمه الإمام الهادي المعصوم العاشر من المعصومين صلوات الله وسلامه عليه ما يقوله مخاطباً لآل مُحَمَّد في هذا النص الشريف الذي بين أيدينا، عليّ وفاطمة، مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هذه صورتهم، أما أنتم أيها المُقَصِّرون من شيعة أهل البيت ترسمون صورة أخرى لعليّ وفاطمة، هذه الصورة من نسيج خيالكم لا من علم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد - وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم - إياب الخلق إليهم لماذا؟ وحسابهم عليهم لماذا؟ وهذا ليس

في عالم الآخرة فقط، هذا في عالم الدنيا وفي عالم الآخرة وفي كُلِّ عالمٍ من العوالم لماذا؟ لأنَّ لكلِّ موجودٍ زمامٍ وأزمنةً الموجودات هي بأيديهم، ومن يمسك أزمنةً الموجودات فإنَّه هو الذي سيرجعُ إليه كلُّ شأنٍ من شؤونها وسيكون الحساب على يديه وبإيديه، الذي يمسك بزمام الفرس هو الذي سترجعُ إليه الفرس، لأنَّ الزمام بيده وهو الذي سيكون متصرفاً بشأنها ويكون مُحاسباً لها في كلِّ أمورها، لأنَّ لكلِّ موجودٍ زمام، آخذٌ بناصيتها، هناك أخذٌ لناصية كلِّ موجود، آخذٌ بناصيتها، الله سبحانه وتعالى آخذٌ بناصية كُلِّ موجود، والأخذُ بناصية كُلِّ موجود هو الأخذُ بزمامه، الناصية ما هي؟

الناصية هي الجهة أو مُقدِّمُ الشعر الموجود في رأس الإنسان فحينما يؤخذُ بناصية الإنسان يُجرُّ من شعره، حينما نمسك بشعر الإنسان من مقدم رأسه ونجرُّه فهو بشكلٍ لا إرادي سيأتي معنا سينجرُّ باتجاهنا، ناصيةُ الموجود هو زمامه هو سنجية وجوده، أليس بين العلة والمعلول هناك سنجية، ما يسمى بقانون السنجية، وحدة السنجية بين العلة والمعلول، ناصية كُلِّ موجود هي سنجيته هي السنجية الموجودة فيه، يعني العلاقة التي تربطه بالعلة هناك شيءٌ ذاتي في المعلول وهو السنجية تربطه بالعلة هذه هي ناصية الموجود زمام الموجود، وهم يمسكون بأزمنةً الموجودات فلذلك القضية غير مرتبطة بيوم القيامة، قضية يوم القيامة هذا شأنٌ من شأنِ إيابِ الخلق إليهم، القضية أبعد من ذلك وأوسع - **وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ** - سيقولون هذا غلُّو فليقولوا، ليس مُهمّاً، هذا كلامُ آلِ مُحَمَّدٍ - **وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ** - فصل الخطاب: القول الفيصل، القول القاطع، القول البيِّن - **وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ** - آياتُ الله لديهم وهم آياتُ الله لكنَّ لهذه الآيات مظاهر سيأتينا الكلام عن المظاهر وتعدُّد المظاهر ربما في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى - **وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ** - العزائم قد تكون اسماً لمجموعة من السور في القرآن تسمى بسور العزائم، لها أحكام معروفة في الكتب الفقهية، السور التي وردت فيها آيات يجبُ إذا ما قرئت هذه الآيات يجب على قارئ هذه الآية أن يسجد، السجدة الواجبة في القرآن هناك أحكام شرعية مرتبطة بالسور العزائم، العزائم قد تُطلق على سور معينة في القرآن تسمى بالسور العزائم، والعزائم تُطلق كذلك على كُلِّ الآيات القرآنية الواضحة والصريحة وهي المُحكّمات التي بيّنت لنا الحدود الواجبة إن كان في جانب العقيدة أو في جانب الأخلاق أو في جانب الأحكام الشرعية.

العزائم يعني الفرائض، والعزائم في دلالةٍ أعمق وأبعد غوراً العزائم هو كُلُّ حقيقةٍ لا بد منها، كُلُّ شيءٍ ذاتي لا بد منه هو عزيمة - **وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ** - لأن الكلام كان قبل قليل عن أنهم يمسكون بأزمنةً الموجودات، يأخذون بنواصي الموجودات - **وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ** - عزائمه فيكم هي هذه الجهة التي بسببها الله سبحانه وتعالى وضع عزائمه أي وضع قدرته الواجبة التي تتعلق بها كُلُّ الأزمنة فتتقأد إليهم، ولذلك في الزيارة

الرضوية: بهم تَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتِ وَسَكَنَتِ السَّوَائِنَ، بهم سَكَنَتِ السَّوَائِنَ وَتَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتِ، وَحُنَّ نَزُورُهَا الْإِمَامَ الرِّضَا: بهم سَكَنَتِ السَّوَائِنَ وَتَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتِ، إشارة إلى أن أَرْزَمَةَ الْأَشْيَاءِ، سَوَائِنَ مُطْلَقٌ وَمَتَحَرِّكٌ مُطْلَقٌ، مُطْلَقُ الْمُتَحَرِّكَاتِ وَمُطْلَقُ السَّوَائِنَ، بهم سَكَنَتِ السَّوَائِنَ وَتَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتِ يَعْنِي أَنَّ أَرْزَمَةَ السَّوَائِنَ وَأَرْزَمَةَ الْمُتَحَرِّكَاتِ بِأَيْدِيهِمْ وَتِلْكَ هِيَ عَزَائِمُ الْبَارِي فِيهِمْ، أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَضَعُ فِيهِمْ الْحَقِيقَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ أَنْ تَنْقَادَ إِلَيْهِمْ - وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ - وَفِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ، أَنَا إِذَا وَقَفْتُ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ وَشَرَحْتُ كُلَّ كَلِمَةٍ فَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ جَدًّا لَكِنِّي أَعْتَمِدُ عَلَى ذِكَائِكُمْ يَا أَحِبَابَ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيِّ وَلَا يُوَالِي عَلِيًّا وَآلَ عَلِيِّ إِلَّا الْأَذْكَِيَاءَ، وَلَا يَعْرِفُ عَلِيًّا وَآلَ عَلِيِّ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا الْأَذْكَِيَاءَ الَّذِينَ نَوَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ، أَنَا أَعْتَمِدُ عَلَى ذِكَائِكُمْ فِي فَهْمِ بَقِيَّةِ الْمَعَانِي وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا سَنَحْتُ فُرْصَ أُخْرَى أَتَنَاوَلُ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ.

وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ - وَبِعِبَارَةٍ مَخْتَصِرَةً: وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ - كُلُّ هَذَا الَّذِي مَرَّ بِمَكْنٍ أَنْ نَخْتَصِرُهُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهَذَا هُوَ فَصْلُ خِطَابٍ فِي الزِّيَارَةِ، قَبْلَ قَلِيلٍ مَرَّ عَلَيْنَا: وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ - أَلَيْسَ هَذَا هُوَ كَلَامُ الْإِمَامِ الْعَاشِرِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ؟! مِنْ جُمْلَةِ فَصْلِ الْخِطَابِ هِيَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ: وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ - أَمْرُهُ كُلُّ أَمْرٍ إِلَيْكُمْ، أَمْرُهُ إِلَيْكُمْ، مَا تَقَدَّمَ كُلُّهُ تَفْصِيلًا، عِبَارَةٌ وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ هُوَ طَيِّ لِكُلِّ الْمَعَانِي الْمَتَقَدِّمَةِ، تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الطَّيِّ وَالنَّشْرِ وَلَمْ أُكْمِلِ الْحَدِيثَ أَحَاوَلُ أَنْ أُكْمِلَ الْحَدِيثَ فِي مَعْنَى الطَّيِّ وَالنَّشْرِ فِي قَانُونِ الطَّيِّ وَالنَّشْرِ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْحَلْقَةِ - وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ - أَمْرُهُ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ طَوَّتْ كُلَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَعَانِي، حِينَ نَقُولُ: وَمِيرَاثُ النَّبُوءَةِ عِنْدَكُمْ، وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ، وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ، وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ، وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ - كَيْفَ نَجْمَعُ هَذِهِ الْمَعَانِي؟ نَجْمَعُهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهَذَا هُوَ مُصَادِقٌ مِنْ مُصَادِقِ فَصْلِ الْخِطَابِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ - وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ - مِنْ فَصْلِ الْخِطَابِ اللَّفْظِيِّ، فَصْلُ الْخِطَابِ لَهُ مَعَانٍ، لَكِنْ مِنْ مُصَادِقِ فَصْلِ الْخِطَابِ اللَّفْظِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ هَذِهِ الْعِبَارَةُ: وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ، أَنَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَكْتَفِي فَأَقُولُ يَا آلَ مُحَمَّدٍ وَأَمْرُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَيَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ، كُلُّ الْمَعَانِي الْمَتَقَدِّمَةِ فَإِنَّمَا تُطَوَّى فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ: وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ، لِذَلِكَ بَعْدَ هَذَا النَّشْرِ وَالطَّيِّ فِي الْبَدَايَةِ نُشِرَتِ الْمَعَانِي ثُمَّ طُوِّتِ فَانْتَقَلَتِ الزِّيَارَةُ إِلَى حَقِيقَةٍ وَاضِحَةٍ - مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهُ - مَوْلَاتِكُمْ هِيَ مَوْلَاتُهُ وَمُعَادَاتِكُمْ هِيَ مُعَادَاتُهُ، فَأَنْتُمْ وَجْهُهُ وَعَيْنُهُ وَقَلْبُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهُ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهُ - أَمْرُهُ إِلَيْكُمْ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، هُمْ أَحِبَائِهِ وَهُمْ أَدْلَائِهِ وَهُمْ أَمْنَائِهِ وَهُمْ آيَاتِهِ وَهُمْ وَالْعِبَارَاتُ تَنْتَهِي وَفَضْلُ آلِ مُحَمَّدٍ لَا يَنْتَهِي، الْعِبَارَاتُ تَنْتَهِي وَأَنَا أَنْتَهِي وَأَنْتَ

تنتهي والخلائق تنتهي والعلم ينتهي والفضل ينتهي والدنيا تنتهي وكل شيء ينتهي وآل مُحَمَّد لا ينتهون ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وهم وجه ربك الباقي بعد فناء الأشياء - مَنْ وَالْأَكْم فَقَدَ وَالَى اللهُ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدَ عَادَى اللهُ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدَ أَحَبَّ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدَ أَبْغَضَ اللهُ - ثُمَّ تَأْتِي عبارة فتجمع هذا المعنى، نشرٌ وطي، هذا نشر: من والاكم، من عاداكم، من أحبكم - وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ - هذا الاعتصام، كيف نعتصم بشيء ونحن لا نُحِبُّهُ؟! كيف نعتصم بشيء ونحن نُبْغِضُهُ؟! كيف نعتصم بشيء ونحن لا نُحِبُّهُ؟! نحن لا نستطيع أن نعتصم بشيء إلا ونحن نُحِبُّهُ ونُحِبُّ من يُحِبُّه، ولا نستطيع أن نعتصم بشيء، اعتصام التصاق لجوء تمسك، لا نستطيع أن نفعل ذلك حتى نُحِبُّ ذلك الذي نعتصم به ونوالي ذلك الذي نعتصم به، نوالي أوليائه ونُعادي أعدائه ونُحِبُّ أحبته ونُبْغِضُ مبغضيه، لذلك هذا نشر: مَنْ وَالْأَكْم - آل مُحَمَّد - فَقَدَ وَالَى اللهُ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدَ عَادَى اللهُ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدَ أَحَبَّ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدَ أَبْغَضَ اللهُ، وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ - من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله لأنهم عينُ العصمة وحقيقة العصمة.

ليس العصمة يا أحباب أهل البيت أن نتحدث أن المعصوم يترك الأولى أو لا يترك الأولى، هل أنه يقع في مخالفة النهي الإرشادي أو النهي التنزيهي أو النهي التعريضي هذه معاني سطحية من العصمة، هذه هي عصمة أهل البيت، أن من أحبهم أحب الله، أهل البيت لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك، هذه هي عصمة أهل البيت، وسيتضح هذا الكلام في ملف العصمة إن شاء الله تعالى بعد أيام قلائل إن بقينا أحياء ووفقنا لبيان هذه الحقائق بتوفيق من إمام زماننا من بيده أزيمة الموجودات صلوات الله وسلامه عليه - وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ - ثُمَّ تُبَيِّن لنا الزيارة الشريفة - أَنْتُمْ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ - وفي بعض النسخ: أَنْتُمْ السَّبِيلُ الْأَعْظَمُ وَالصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشَفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ، دارُ الفناء ليس المراد منها الدنيا فقط وإنما هذا العالم فيه مراتب تسمى بدار الفناء وفيه مراتب تسمى بدار البقاء، هناك جانب من هذا العالم سيفنى وهناك جانب من هذا العالم سيبقى، جانب من الوجود سيفنى وجانب من الوجود سيبقى، فهم شهداء دار الفناء وهم شفعاؤ دار البقاء، حين أقول يفنى فإنه يتبدل ويتغير، هناك جزء من هذا الوجود سيفنى ذلك الجزء ليكون بشكلٍ آخر ليرتقى ويرتقي إلى شكلٍ آخر، تفنى مراتبه السابقة وتبقى مراتبه اللاحقة.

هم شهداء دار الفناء، المراتب الفانية هم شهدائها وهم شفعاؤ المراتب الباقية - وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ، وَشَفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ، وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ - الرحمة التي لا انقطاع لها، رحمتي سبقت غضبي وكان هذا الوجود

موجوداً برحمة الله سبحانه وتعالى، حين نقرأ في دعاء كميل، الدعاء المروي عن سيد الأوصياء: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**، نفس الدعاء يقول: **وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ**، نفس الدعاء يقول: **وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ** - وجهه هم - **وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ** - أسماء الله هم، ورحمة الله هم - **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** - هذه الرحمة الموصولة هم، وهم الذين ملئوا أركان كل شيء، بأسمائك - **وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ** - حتى صار الوجود مُشْرِقاً يسطعُ - **يَا نُورُ يَا قُدُوسُ** - هذا هو نداء الموجودات حين أضاءت بنور وجهك المُشْرِقِ - **وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ**، **يَا نُورُ يَا قُدُوسُ يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ** - هذا النور الذي أضاء في جنات الوجود فسبَّح الوجود بكُلِّه.

يَا نُورُ يَا قُدُوسُ - وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ - وَالْآيَةُ الْمَخْزُونَةُ - هم آية مخزونة في كل موجود، حين يقول عليُّ صلوات الله عليه: ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله وبعده ومعه وفيه، وقبل قليلٍ ونحْنُ نقرأ في الزيارة: **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ** - **وَالْحَقُّ هُوَ اللَّهُ - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ** - الحقُّ هو الله وكلُّ مجالي الله هو الحق، ما تجلَّى من الله فهو الحق، ليس هناك في هذا الوجود إلا مجاليه سبحانه وتعالى، هل يوجد له شريك؟ هل يوجد له نظير؟ هل يوجد له نِد سبحانه وتعالى؟ **كُلُّ شَيْءٍ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَكُلُّ شَيْءٍ عَائِدٌ إِلَيْهِ وَكُلُّ شَيْءٍ بِيَدِهِ**، وما من مخلوقٍ وما من موجودٍ إلا وهو أخذٌ بناصيته جلَّتْ قُدْرَتُهُ وتعالى شأنه وتقدَّس، وقد تجلَّتْ هذه القدرة في الحقيقة المُحمَّدية التي أشْرقت بكل هذه المعاني التي نتحسسها والتي لا نتحسسها، التي نعلمها والتي لا نعلمها، فكانت هناك دائرُ الفناء وكانت هناك دائرُ البقاء، فكان أهل البيت هم شهداءُ لدار الفناء وهم شفعاؤُ لدار البقاء، الآية المخزونة هي حقيقتهم المُتجلية في كلِّ موجود، فهم آية الله المَخْزُونَةُ في باطن الأشياء وأنا أتحدَّثُ عن نوريتهم الأولى لا أتحدَّثُ عن وجودهم الأرضي البشري الذي كان يدورُ في تأريخٍ معين.

أئمتنا الذين ولدوا في تواريخ معينة وتوفوا في تواريخ معينة استشهدوا، الذين وُلدوا من آباء معينين وأمّهات معينات هؤلاء هم الصورة الأسمى لتلكم الحقائق النورية، حقائقهم الأولى لا يمكن أن تكون في العالم الأرضي، العالم الأرضي عالم ضيق فحين أتحدَّثُ إني أتحدَّثُ عن الكلمة الأولى التي تجلَّتْ فيها كلُّ قدرة الباري، الله سبحانه وتعالى حين أحبَّ أن يُعرف فبأي شيءٍ يُعرف؟ لا بد أن يتجلى بما يتناسب وشأن الباري، الذي يتناسب وشأن الباري أن يتجلى بكل جماله، **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَمَالِكَ بِأَجْمَلِهِ وَأَجْمَلِ الْجَمَالِ أَيْنَ تَجَلَّى؟** هل تجلَّى فينا نحنُ أم تجلَّى في الحقيقة الأولى، أجمل الجمال تجلَّى في الحقيقة الأولى، ثمَّ الحقيقة الأولى الحقيقة المُحمَّدية تجلَّتْ بكل شيءٍ في كلِّ عالمٍ بحسبه، لا يذهبُ بكم التصور بأنني أتحدَّثُ

عن أجسام أرضية، الأجسام الأرضية أيضاً لها فضلها ومنزلتها وهي أبوابٌ توصلنا إلى هناك، الأجسام الأرضية أهل البيت في عالمهم الأرضي محكومون بهذا العالم الأرضي ومع ذلك فإنَّ الكثير من المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة تتحدث عن وجودهم في العالم الأرضي، لكنَّ وجودهم في العالم الأرضي إنما هو بابٌ يوصلنا إلى حقائقهم النورية الأولى والتي هي أسمُ الله الأعظم الذي خلقه فاستقرَّ في ظلِّه فلا يخرج منه إلى غيره - وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ، وَالآيَةُ الْمَخْرُونَةُ، وَالْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ - الأمانة المحفوظة أيُّه أمانة هذه؟

عهد الولاية أمانة محفوظة في رقابنا وفي أعناقنا، عهد النبوة والإمامة والولاءِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عقيدةٌ محفوظةٌ وأمانةٌ محفوظةٌ في قلوبنا، هم آيةٌ مخزونة وأمانةٌ محفوظة، هذه الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض وعُرضت على كُلِّ الوجود، هذه الأمانة عُرضت على السماوات والأرض فوجدت السماوات والأرض بسبب هذه الأمانة، هناك عرضٌ آخر للأمانة حين أُبينَ أن يحملنها، حين عُرضت الأمانة على السماوات والأرض وأبينَ أن يحملنها هذا عرضٌ متأخر، العرض الأول للأمانة على السماوات والأرض الذي كان سبباً لوجودها لولا أن السماوات والأرض قَبِلت بالأمانة لَمَا وُجِدت، هذه أمانة الوجود وتلك أمانةٌ محفوظةٌ في كل موجود - وَالآيَةُ الْمَخْرُونَةُ، وَالْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ، وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ - هم بابٌ أمتحنَ به الناس، امتحانٌ خيرٍ لا امتحان شر - وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ - الابتلاء ليس دائماً يُنظَرُ إليه في عنوان الضيق والأذى، نحن حين نتحدَّث مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة: بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأَحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ، جميل البلاء يعني جميل جمالمهم يعني جميل حُسنهم جميل فضلهم، ليس البلاء دائماً يُراد منه ما يكون عنواناً للأذى، هذا أحد معاني البلاء: كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأَحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ - وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ - الباب الجميل الذي يُمتحنُ به الناس لكن ماذا تصنع لأناسٍ يبحثون عن المزابيل، ذوقهم في المزابيل، ماذا تصنع لهؤلاء؟

ماذا تصنع لأناسٍ يتركون الرياحين والورود والرياض الغنَّاء فيذهبون إلى المراحيض، ماذا تصنع لهم، وكُلُّ جنسٍ لاحقٌ بجنسه، كُلُّ جنسٍ لاحقٌ بجنسه هذه قضية طبيعية يشهد بها الواقع، ومن باعُ دُرّاً على الفَحَّامِ ضَيَّعَهُ، أنت إذا تعطي درة إلى الفَحَّامِ ما إن يُمسكها بيده حتى يُسَخِّم هذه الدرة تصبح سوداء من السخام والسواد والوسخ الموجود بيده من الفحم، إذا وقعت على ثيابه اسودَّت الدرة، الدرة هي اللؤلؤة، اللؤلؤة البيضاء، إذا وقعت في دُكانه اسودَّت، إذا أمسكها بيده اسودَّت، إذا وقعت على ثيابه اسودَّت، إذا وقعت على الفحم الذي يعملُ به اسودَّت، إذا وقعت في أي جزءٍ من أجزاء هذا الفَحَّامِ ودُكانه ومحله ومعمله فإنَّ

الدُّرَّة ستضيع، من باع دُرّاً على الفَحَّام ضيّعه، ما أن يمسك بها حتى تصبح سوداء يتصور أنها فحمة صغيرة ليس لها قيمة - **وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ** - الباب الجميل باب الحُسن باب البهاء ولكن ماذا تصنع لأناسٍ هُم عديموا الذوق، لأناس يستأنسون بالروائح الكريهة لا يجُبُّون الروائح الطيبة، وللناس فيما يعشقون مذاهب ألا يقول هذا الشاعر:

إني أحبها شمطاء شاب وليدها

شمطاء يعني عجوز، عجوز قبيحة في غاية الثُبح، شمطاء شاب وليدها يعني وليدها يعني أصغر أطفالها هو شايب، إني أحبها شمطاء شاب وليدها، وللناس فيما يعشقون مذاهب، إذا كان إنسان ذوق (سز) ماذا تصنع له؟ - **وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ** - تستمر الزيارة بعد ذلك - **مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ** - هذا نتركه للحلقة القادمة في يوم غد، هذا بيان مختصر وموجز لهذه العبارات من الزيارة الجامعة الكبيرة وإلا المطلب بحاجة إلى توضيح أكثر من هذا لكنني أحاول أن ألمم أطراف الحديث حتى أصِلَ بكم إلى نهاية الزيارة مع نهايات ومع نهاية حلقات هذا البرنامج، في قابل الأيام إذا جرت الأمور بأسبابها وكان لنا توفيق أن نعود مرة ثانية لأن نفصل أكثر في الأجزاء التي لم يسمح المقام بتفصيل القول فيها أتمنى أن يكون ذلك وأفصّل القول أكثر وأكثر في الأجزاء التي طويْتُ كشحاً عنها.

قبل قليل أشرت وقلت بأنني سأجعل الجزء الثاني من البرنامج وإن كان وقت البرنامج كما تُشيرُ إليّ الساعة بأنه صار قريباً وشيكاً من النهاية ولكنني سأحاول بقدر ما أتمكن من الحديث في هذه المسألة وربما أتجاوز الوقت، هناك الكثيرون يقولون بأنني أطيل الكلام في براجي وهذه حقيقة وأنا أعلمُ بذلك ولكن ماذا نصنع للوقت وكيف نستطيع أن نُبين هذه الحقائق، إني لآسفٌ كثيراً على الكثيرين من شيعة أهل البيت أن يعيشوا في هذه الدنيا ولا يسمعون بمثل هذه المعاني وبمثل هذه المضامين التي وضعها لنا أهل البيت ونقلها لنا رواة حديث أهل البيت وسُفِكت دمائهم وطارت الرؤوس في سبيل هذه الأحاديث التي ضيّعت في هذا العصر والذين ضيعوها هم الشيعة أنفسهم.

كانَ الحديثُ في مسألة الطي والنشر ومرت مصاديق وهذا القانون قانون الطي والنشر يمكن أن نجد له مصاديق في حديث أهل البيت في زيارتهم في أدعيتهم في خُطبهم في كلماتهم في كلِّ ما جاءنا عنهم، أنا تحدثت عن مسألة الطي والنشر وذكرْتُ مثلاً بشكل سريع حتى يكون الكلام متسلسل، ذكرتُ مثلاً قولياً فقلتُ بأنَّ الإنسان الذي يبدأ بعملية الزراعة بنفسه وجميع المراحل حتى يصل إلى مرحلة الطبخ يطبخ الطعام ويأكله، يعني من بداية الزراعة إلى الطبخ كُلُّ هذه العمليات قام الإنسانُ بها بنفسه، فمرةً يقول الإنسانُ إنِّي أطعمتُ نفسي وهذا هو الطي، طوى كُلَّ المعاني في هذه العبارة ومرةً يقول: إني حرثتُ الأرض وزرعت وسقيت و... و... إلى أن يقول وطبخت وأكلت، وصببت الطعام في الإناء ثم أكلته ولِكتُهُ، وحتى يمكن

أن يقول وهضمت الطعام في معدتي إلى آخر ما يمكن أن يقول وهذا نشر، كما مرَّ قبل قليل علينا، مثلاً: من والاكم، من أحبكم، من عاداكم، من أبغضكم ثمَّ جُمع هذا الكلام: ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، أو ما مرَّ علينا قبل قليل: وأمره إليكم، هذه العبارة طوت جميع ما قبلها، وذكرت مثلاً تكوينياً بالنسبة للإنسان حينما ينزل الطعام في معدته وحتى يصل إلى مرحلة الكيموس وبعد ذلك يأتي الدم فيأخذ هذا الطعام فينشره يقوم بعملية نشر إلى كل خلية، فهناك طيٌّ وهناك نشر، ما قامت به المعدة بمثابة الطي وما قام به الدم بمثابة النشر، هناك طيٌّ ونشر في عالم التكوين، ثم تحدثت بعد ذلك عن قضية آصف بن برخيا أو برخيا في قضية نقله لعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين وكان الحديث عن طي الزمان والمكان، فهناك طيٌّ للزمان والمكان وهناك نشرٌ للزمان والمكان، طي الزمان والمكان هو تصرفٌ في البُعد المُجرد للمادة.

المادة لها أكثر من بُعد وذكرت مثال قضية قطعة الثلج التي لا نستطيع أن ندخلها في القنينة مع أن القنينة كبيرة لكن لأن فوهة القنينة صغيرة، ألا يقال في عنق الزجاج أن القضية وصلت إلى عنق الزجاج يعني في مكان ضيق، لكننا لو جئنا إلى قطعة الثلج فعرضناها للحرارة وحولناها إلى حالة سائلة حينئذٍ يمكننا أن ندخل الماء في هذه القنينة، لماذا؟ تعاملنا مع البُعد السائل، البُعد الأول كان البُعد الجامد للمادة حينما كان الماء ثلجاً، في بُعدها الجامد لا نستطيع أن نتعامل معها، بحكم الولاية التكوينية الموجودة عندنا، الله مكنا أعطانا القدرة تكوينياً على أن نُحوّل الماء الجامد إلى ماء سائل، فاستعملنا الولاية التكوينية الموجودة عندنا وبحسبنا، الولاية التكوينية على درجات، فنقلنا الماء من بُعدهِ الجامد إلى البُعد السائل أدخلناه في القنينة، الآن لو أردنا أن نُحوّل الماء من بُعدهِ حالته السائلة إلى الحالة الغازية فإنه سوف لن يكون محفوظاً وبقياً في القنينة، لماذا؟

لأنَّه نُحوّل إلى بُعدٍ آخر، أيضاً بولايتنا التكوينية حولناه إلى بخار إلى بخار ماء إلى غاز إلى حالة غازية، مثل ما علماء الفيزياء والكيمياء وصلوا في حال من الحالات إلى معرفة أسرار المادة في بُعدها الجزئي وفي بُعدها الذري ثم تطورت القضية إلى أن الإنسان ذهب إلى البُعد النووي للمادة ففجّر الطاقة النووية من الذرات ومن النواة والنوية من خلال تفجير طاقة محتويات الذرة بالكتروناتها وبروتوناتها ونيوتروناتها وسائر ما فيها من طاقة، الإنسان وصل إلى البُعد النووي تعامل مع البُعد النووي، الآن الإنسان وصل إلى البُعد النانوي، البُعد النانوي للمادة حين يصل إلى تقسيم المادة إلى نسبة واحد إلى مليار من المتر، حين نقسم المتر إلى مليار جزء، واحد من المليار هو هذا الذي يسمى النانوميتر، إذا نُقسّم المادة إلى هذا البُعد يستطيع الإنسان أن يغير المادة إلى نحوٍ آخر هذا بُعدٌ آخر، وهناك البُعد الليزري، البُعد الليزري الآن هو قيد الدراسة وهو حينما تخضع المادة لقدرة أشعة الليزر يمكن نقل المادة من مكان إلى آخر، يعني أن تضع شيئاً، أن تضع مثلاً صخرة أو حجراً أو إنساناً أو مخلوقاً فَتُسلط عليه حزمة من الضوء الليزري فيمكن أن يُنقل عن طريق الضوء

الليزري من هذا المكان إلى مكانٍ آخر، والقضية قيد الدراسة وهناك تجارب أُجريت لاقت شيئاً من نجاح في هذا الطريق والموضوع موضوع علمي معروف، البُعد الليزري وأبعاد أخرى في هذه المادة أنا هنا لا أريد الحديث عن الفيزياء أو عن الكيمياء أو عن النانو تكنولوجيا أو عن أي شيءٍ آخر، هذه أمثلة مُقَرَّبة، أريد أن أقول بأن المادة لها أبعاد كثيرة، مثل ما للمادة أبعاد مادية هناك أبعاد مجردة، يعني هذا البُعد النانوي والبُعد الليزري يكاد أن يكون بُعداً برزخياً بين المادة والبُعد المُجَرَّد، قريب من البُعد المُجَرَّد، هناك أبعاد مُجرَّدة البعض يصطلح عليها البُعد الرابع، وأنا الحقيقة لا أريد أن أقول البُعد الرابع يشيرون إلى البُعد المُجَرَّد لأن المادة فيها أبعاد كثيرة، هؤلاء الذين يقصدون بالبُعد الرابع في مقابل الطول والعرض والارتفاع، المادة فيها أكثر من هذه الأبعاد هذه أبعاد هندسية.

الطول والعرض والارتفاع أبعاد هندسية ونحن نتحدث عن المادة في كل أبعادها، البعد النووي بُعد في المادة، البُعد النانوي بُعد في المادة، البُعد الليزري وأبعاد أخرى، وهناك بُعد مُجَرَّد أبعاد مُجَرَّدة، عملية النشر والطي حدثت في البُعد المُجَرَّد في قصة آصف بن برخيا، لذلك الرواية ماذا قالت؟ التقت القطعتان، يعني أن أهل اليمن لم يكونوا قد انتقلوا إلى فلسطين ليست هناك قطعة من أرض يمانية انتقلت إلى فلسطين، يعني أن أهل اليمن ما أحسوا بشيء وأهل فلسطين ما أحسوا بشيء، قبل أن يترد إليه طرفه كان عرش بلقيس حاضراً، هذا تصرف في البُعد المجرد للمادة، عملية الطي والنشر تحدث في هذا البُعد، مثل عملية مثلاً مشي عيسى على الماء مشي الأنبياء والأولياء أصحاب الكرامات على الماء فإنَّ الماء لم يجمد، يعني لو مشى شخص آخر في نفس اللحظة التي مشى فيها عيسى سيغرق لماذا؟ لأنَّ الماء لم يكن قد جمَد لم يكن قد تحول إلى أرض يابسة، ولو أمسك شخص برجل عيسى فإنَّ رجل عيسى ما تحولت إلى سائل فسال على الماء، رجل عيسى على حالها والماء على حاله، إذاً أين كانت القضية؟ كانت القضية التعامل مع البُعد المجرد للمادة، مثل ما نحن تعاملنا مع البُعد الصلب فحوَّلناه إلى بُعد سائل فدخل في القينة انتقل إلى حالة تكوينية أخرى، البُعد الغازي بشكل آخر، البُعد النووي بشكل آخر، البُعد النانوي بشكل آخر، هناك بُعد مجرد، يعني الآن حينما نقسم المادة بالبُعد النانوي هل تبقى المادة كما هي؟ ستتقسم الأجزاء إلى شكل آخر، البُعد المُجَرَّد هو بُعد آخر للمادة فحينما يأتي النبي يأتي المعصوم يأتي الولي يأتي الوصي فيمشي على الماء أو يمشي على الهواء هذا تعامل مع البُعد المُجَرَّد، وهذا هو معنى أن الأنبياء عندهم حروف من الأسم الأعظم.

أمَّا أهل البيت فعندهم الحروف كاملة، علم الكتاب بكلمة، صحيح في بعض الروايات اثنان وسبعون حرف لكن روايات أخرى بينت لنا حتى هذا الحرف أُعطي لهم، والقرآن يصدق ذلك أنهم عندهم علم الكتاب كُلُّ الكتاب، لَمَّا عندهم علم الكتاب كُلُّ الكتاب يعني كل الحروف عندهم، فهم عندهم بُعد إحاطي

بالأشياء، أنا بينت هذه القضية لأي شيء؟ لأجل أن تُفهم الزيارة، في بُعدها اللفظي هناك طيٌّ ونشر وفي بُعدها المعنوي حينما نتحدث: وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ فِي الزَّيَارَةِ وَكُلِّ الْمَعَانِي مَتَفَرِّعَةٌ عَنِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ عَنِ قَاعِدَةٍ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، أَمُّ قَاعِدَةٍ مَوْجُودَةٌ فِي الزَّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ قَاعِدَةٌ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، هَذِهِ الْقَاعِدَةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُفْهَمَ إِلَّا بِهَذِهِ الْإِطَارِ بِهَذَا الْفَهْمِ وَهُوَ أَنَّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ بَعْدَ إِحْاطِي بِالْكَائِنَاتِ، بَعْدَ إِحْاطِي بِهَذَا الْوُجُودِ، وَهَذَا الْبُعْدُ الْإِحْاطِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي مَنْحَهُمْ إِيَّاهُ، أَلَيْسَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَمْنَحَ مَخْلُوقًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَيَّ شَيْءٍ؟ هُوَ قَادِرٌ، وَهَذَا الْمَخْلُوقُ أَقْرَبُ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَحَبُّ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ، أَلَيْسَ مِنَ الْمُنْطَقِيِّ أَنْ يَمْنَحَهُ كُلَّ شَيْءٍ، مَنْحَهُ هَذِهِ الْقُدْرَةَ وَأَعْطَاهُ هَذِهِ الْعِزَّةَ: وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاةِ، فِي مَقَابِلِ وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاةِ: وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ.

في بصائر الدرجات مرَّ علينا الرواية التي نتحدث عن هذا المعنى أعيد قراءتها حتى يترابط الموضوع: عن أبان بن تغلب قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجلٌ من أهل اليمن فقال: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ - والذي يبدو من القرائن الموجودة في الرواية أنَّ هذا الرجل كان على علمٍ ومن العلوم الخاصة ليس من هذه العلوم المتعارفة، ربما يسميها الناس بالعلوم الغريبة - يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسيرٌ في ليلة مسيرة شهرين يزجرُ الطير ويقفو الأثر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: - يزجر الطير ويقفو الأثر أي عنده من المقدرة على معرفة ما يقع في المستقبل وما يقع في الماضي، يزجر الطير إشارة إلى ما يقع في مستقبل الأيام، ويقفو الأثر إشارة إلى ما وقع فيما مر باعتبار أثر وقد وقع فيما مر من الأيام - قال: يسيرٌ في ليلة مسيرة شهرين يزجرُ الطير ويقفو الأثر، فقال أبو عبد الله عليه السلام: عالمُ المدينة أعلم من عالمكم - وهو يشير إلى نفسه صلوات الله عليه - قال: فما بلغ من علم عالم المدينة؟ قال: يسيرٌ في ساعة من النهار مسيرة شمسٍ سنة حتى يقطع اثني عشر ألف مثل عالمكم هذا، ما يعلمون أن الله خلق آدمَ ولا أبلِس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افترضَ عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا - البراءة من عدوهم لأنهم في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود يدينُ لهم الخلائق بالولاية والبراءة.

هذا هو البعد المُجَرَّد للوجود وهو البعد الإحاطي البعد الخاص بأهل البيت بولايتهم - يسيرٌ في ساعة من النهار مسيرة شمسٍ سنة حتى يقطع اثني عشر ألف مثل عالمكم هذا ما يعلمون أن الله خلق آدمَ ولا أبلِس، قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم ما افترضَ عليهم إلا ولايتنا والبراءة من عدونا - هذه رواية من الروايات التي نتحدث عن هذا المضمون عن قضية البعد المُجَرَّد للمادة وفيها إشارة أيضاً إلى البعد

الإحاطي لأهل البيت صلوات الله عليهم.

الرواية عن عبد الله بن سنان وهو من خيرة فقهاء أصحاب الإمام الصادق - عن عبد الله بن سنان قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام فقال: لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء - هذا التعبير إشارة إلى الشيء الكبير، صنعاء مدينة في اليمن معروفة وهي عاصمة اليمن في زماننا هذا، وبُصرة مدينة في الشام، مدينة عامرة كانت وهي حاضرة الغساسنة في زمانهم في الجاهلية - فقال: لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء - يعني ما بين الشام إلى اليمن تعبير عند العرب إشارة إلى سعة الشيء - فقال: لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء - حوض يعني مكان يجتمع فيه الماء وقد تكثر حوله الأشجار، العرب تقول حياض، حياض لغدران المياه التي تتجمع فيها المياه وتكثر حولها الأشجار - لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء أَتَحِبُّ أن تراه - أين هذا الحوض هل هو في البُعد العادي للمادة أم في البُعد المجرد؟!

في البُعد المجرد - لي حوض ما بين بُصرة إلى صنعاء أَتَحِبُّ أن تراه؟ قلتُ: نعم جُعِلْتُ فِدَاكَ، قال: فأخذَ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ثم ضرب برجله فنظرت إلى النهر يجري - إلى هذا الحوض - لا يُدركُ حافتيه - حوض واسع لا تُدركُ حافتاه - فنظرت إلى النهر يجري لا يُدركُ حافتيه إلا الموضع الذي أنا فيه - أنا أرى فقط هذا المكان - إلا الموضع الذي أنا فيه قائم فإنه شبيهة بالجزيرة فكنتُ أنا وهو وقوفاً فنظرتُ إلى نهرٍ يجري جانبه ماءً أبيض من الثلج - فيه ماء في هذا النهر - ومن جانبه هذا لبنٌ أبيض من الثلج وفي وسطه خمراً أحسن من الياقوت فما رأيتُ شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللبن والماء - من جهة اللون والجمال والصفاء - فقلتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ من أين يخرجُ هذا ومجراه؟ فقال: هذه العيون التي ذكرها الله في كتابه أنها في الجنة عينٌ من ماء وعينٌ من لبن وعينٌ من خمر تجري في هذا النهر ورأيت حافتيه عليهما شجر فيهنَّ حورٌ معلقات - معلقات يعني صاعدات على الشجر متعلقات بالشجر - برؤوسهنَّ شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهن وبأيديهن آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا فدنى من إحداهنَّ فأومى بيده تسقيه فنظرت إليها وقد مالت - لأنها على الشجرة - وقد مالت لتعرف من النهر فمالَ الشجرُ معها فاغترفت، فمالت الشجرة معها ثم ناولته فَشَرِبَ ثم ناولها وأوماً إليها - مرة ثانية أن تملأ القَدَحَ - فمالت لتعرف فمالت الشجرة معها ثم ناولته فناولني فشربتُ فما رأيتُ شراباً كان ألينَ منه ولا ألدَّ منه وكانت رائحته رائحة المسك فنظرتُ في الكأس فإذا فيه ثلاثة ألوانٍ من الشراب فقلتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ ما رأيتُ كالיום قَط ولا كنت أرى أن الأمر هكذا، فقال لي: هذا أقل ما أعدّه الله لشيئتنا، إنَّ المؤمن إذا توفي صارت روحه إلى هذا النهر - هذا ليس في الجنة هذا في عالم البرزخ هذا في عالم البُعد المُجَرَّد للمادة -

إذا توفي صارت روحه إلى هذا النهر ورغب في رياضه وشرب من شرابه وإن عدونا إذا توفي صارت روحه إلى وادي برهوت - وادي برهوت في حضرموت، موجود الآن معروف لكن إذا ذهبت إليه لا ترى إلا أرض يباب، لماذا؟ لأن القضية تتحدث عن البعد المُجرد للمادة - صارت روحه إلى وادي برهوت فأخِلدت في عذابه - ولا يعني أنَّ البعد المُجرَّد هو بعيد عن التذوق الحسي أبداً ولكنه بعيد عن التذوق الحسي المادي بالنحو المادي بأبعاده المادية المحسوسة - إذا توفي صارت روحه إلى وادي برهوت فأخِلدت في عذابه وأطعمت من زَقومه - إطعام - وأسقيت من حميمه فاستعينوا بالله من ذلك الوادي - نعوذُ بالله من ذلك الوادي، نعوذُ بعليِّ وآل عليِّ من ذلك الوادي، بِمَحَبَّةِ عليِّ وآل عليِّ نَحْتَمِي من ذلك الوادي، ومثل هذا كثيرٌ في روايات أهل البيت، هذا نموذج ومثال، هذا النموذج والمثال يُحدِّثنا عن البعد المُجرَّد وعن البعد الإحاطي طبعاً الأبعاد المجردة ليست محصورة في بُعد واحد الأبعاد المُجرَّدة بعدد حروف الأسم الأعظم، حروف الأسم الأعظم أيضاً ليست متساوية ربما يأتي حرف واحد فيكون أوسع من كل الحروف، الحرف الثالث والسبعون المذكور في الروايات بأنه مخزونٌ عند الله في عالم غيبه هذا الحرف هو أوسع من كل الحروف الباقية، وهذا الحرف أُعطي لآل مُحَمَّدٍ أيضاً وقد تقدم الحديث عن هذا المطلب في بيان قول الزيارة الجامعة: وَحُزَّانَ الْعِلْمِ، ذكرت الروايات التي تتحدث عن هذه الحقيقة.

الزيارة الجامعة الكبيرة بنصوصها وبألفاظها خاضعة لقانون الطي والنشر في طي المعاني وفي نشرها، وقانون الطي والنشر في بعض الأحيان هناك نشرٌ كلي وفي بعض الأحيان هناك نشرٌ جزئي، ما يُصطلح عليه بين العلماء بجانب المسكوت عنه من الحقيقة، حينما يتحدث الإنسان في بعض الأحيان عن موضوع ما ويسكت لمصلحة من المصالح عن جانب من هذا الموضوع والذي يسمى عنه بالجانب المسكوت منه من الحقيقة هذا الشيء موجود في تعابير البشر وفي طريقة الكلام عند كلِّ حكيمٍ، هذا موجود أيضاً في كلام أهل البيت، لذلك في بعض الأحيان يكون النشر كُلياً وفي بعض الأحيان يكون النشر نشرًا جزئياً، فهناك جانبٌ مسكوتٌ عنه من الحقيقة يمكننا أن نستجلي ذلك الجانب من نصوص أخرى من زيارات أخرى، لذلك تلاحظون بعض المعاني تحتاج إلى إيراد روايات وزيارات ونصوص أخرى لشرحها وتوضيحها بشكل أكثر، مع العلم أنَّ هذا النص هو القولُ البليغُ الكامل لكن حتى البلاغة في القول والكمال في القول هي قضية نسبية، ما زالت المعاني الواسعة نريد أن نحصرها في ألفاظ وفي قوالب فهذه قضية نسبية لأنَّ هذه قضية جمالية والقضية الجمالية في العالم الدنيوي قضية نسبية، ومع كل ذلك فإنَّ نص الزيارة الجامعة كما جاء في مقدمته بأنَّه قولٌ بليغٌ كامل يشتمل على أهم الحقائق وأهم المضامين. المعاني الموجودة هنا في الحديث عن أهل البيت هي أيضاً خاضعة لهذه الحقائق لقانون الطي والنشر ومسألة الأبعاد المجردة

ومسألة البُعد الإحاطي في ولاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
 إذا نذهب إلى حديث معرفة بالنورانية لنرى ماذا يقول سيد الأوصياء، في حديث المعرفة بالنورانية: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ - هذه الآية من سورة غافر أو من سورة المؤمن، في بعض المصاحف تُكتب سورة غافر وفي بعض المصاحف تُكتب سورة المؤمن - قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وهو رُوحُ الله - هذا الروح المُلقى على من يشاء من عباده وهو روح الله، ومرت الإشارة في ذلك إلى الزيارة الجامعة الكبيرة: وَأَيَّدُكُمْ بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ - وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ، وَأَيَّدُكُمْ بِرُوحِهِ.

وهو رُوحُ الله لا يُعطيه ولا يُلقى هذا الروح إلا على مَلِكٍ مُقَرَّبٍ أو نبي مُرسل أو وصي مُنتَجَب - وقطعاً هذه الروح ليست على مرتبة واحدة كُلُّ بحسبه - فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس - أبانه يعني جعله مختلفاً يختلف حتى في قدرته التكوينية في قدراته الخلقية في مواهبه في إبداعاته في حواسه، حاسة السمع مختلفة عنده، حاسة النظر مختلفة وهكذا - فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس - جعله مختلفاً عن الناس - وَفَوَّضَ إِلَيْهِ القُدْرَةَ وَأَحْيَا المَوْتَى - كما في عيسى عليه السلام - وأحيا الموتي وَعَلِمَ بما كان وما يكون - ولكن كُلُّ بحسبه، بحسب ما أعطاه من هذا الروح من حروف الأسم الأعظم - فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وَفَوَّضَ إِلَيْهِ القُدْرَةَ وَأَحْيَا المَوْتَى وَعَلِمَ بما كان وما يكون وسارَ من المشرقِ إلى المغربِ ومن المغربِ إلى المشرقِ في لحظة عين وَعَلِمَ ما في الضمائرِ والقُلُوبِ وَعَلِمَ ما في السماواتِ والأرضِ - وهذا هو البُعد الإحاطي.

هذا البُعد لم يكن متسنياً للأنبياء وللأوصياء من غير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وإنما جاء ذكر المَلِكِ المُقَرَّبِ والنبي المُرسل والوصي المنتجب لأجل تقريب المعنى إلى أذهان السامع وإلا هذه الأبعاد أبعادٌ خاصة لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وهذا هو البُعد الإحاطي - فَوَّضَ إِلَيْهِ القُدْرَةَ وَأَحْيَا المَوْتَى وَعَلِمَ بما كان وما يكون وسارَ من المشرقِ إلى المغربِ ومن المغربِ إلى المشرقِ في لحظة عين وَعَلِمَ ما في الضمائرِ والقُلُوبِ وَعَلِمَ ما في السماواتِ والأرضِ - ثم يستمر في بيان حقيقة أنه كانَ مع الأنبياء باطناً - يا سلمانُ ويا جُنْدَبَ: قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملتُ نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي، وأنا الذي أجريتُ أنهارها وفَجَّرتُ عيونها وغرستُ أشجارها بإذن ربي - هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي وهذه

صفحة خمسة من صفحات هذا الجزء وما بعدها، في الصفحة السادسة يقول: **إِنِّي لِأَسْمِعُ كُلَّ قَوْمِ الْجَبَارِينَ وَالْمَنَافِقِينَ بِلِغَاتِهِمْ** - حين نقول له: السلام عليك يا أذن الله الواعية ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾ كما يقول القرآن، وأهل البيت فسروا الأذن الواعية بعليّ بالإمام المعصوم، الأذن الواعية التي تسمع كل شيء - **إِنِّي لِأَسْمِعُ كُلَّ قَوْمِ الْجَبَارِينَ وَالْمَنَافِقِينَ بِلِغَاتِهِمْ وَأَنَا الْخَضِرُ عَالِمٌ مُوسَى** - هنا لا على نحو التناسخ ولا على نحو الاتحاد والحلولية وإنما هو معنى الإشراق كما مرّ علينا قبل قليل بأنّ أزمّة الموجودات وقياد الموجودات بأيديهم صلوات الله عليهم - **وَأَنَا الْخَضِرُ عَالِمٌ مُوسَى وَأَنَا مُعَلِّمٌ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُودَ وَأَنَا ذُو الْقَرْنَيْنِ وَأَنَا قُدْرَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَا سَلْمَانَ وَيَا جُنْدَبَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ مِنِّي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾** يا سلمان ويا جندب، قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين - الآيات التي جاءت في سورة الرحمن المباركة ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ **فَبِأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾** مرج البحرين، البحرين في رواياتنا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ، يلتقيان أنا من مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ مِنِّي ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ هذا البرزخ الحقيقة الرابطة بين النبوة والولاية فاطمة صلوات الله عليها ﴿فَبِأَيِّ آءٍ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ﴾ هذه آء الله وآياته ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين هكذا حدّثتنا كلمات أهل البيت.

يا سلمان ويا جندب: أنا مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ أَنَا وَأَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ مِنِّي، قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ يا سلمان ويا جندب: قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: **إِنَّ مِيتَنَا لَمْ يَمِتْ وَغَائِبْنَا لَمْ يَغِبْ وَإِنَّ قِتْلَانَا لَنْ يُقْتَلُوا** - غائبكم غائبٌ شاهد، إمام زماننا لم يغب هو مطّلع على كل صغيرة وكبيرة - **يَا سَلْمَانَ وَيَا جُنْدَبَ، قَالَ: لَبِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: إِنَّ مِيتَنَا لَمْ يَمِتْ وَغَائِبْنَا لَمْ يَغِبْ وَإِنَّ قِتْلَانَا لَنْ يُقْتَلُوا** - إن مينا، لا يعترض أحد فيقول إنك ميتٌ وأنهم ميتون هذا المعنى واضحٌ من البديهيات، نحن نتحدث عن البعد المجرد للمادة والبعد الإحاطي، الكلام هنا في البعد المجرد للمادة، فيما وراء المادة - **إِنَّ مِيتَنَا لَمْ يَمِتْ وَغَائِبْنَا لَمْ يَغِبْ وَإِنَّ قِتْلَانَا لَنْ يُقْتَلُوا، يَا سَلْمَانَ وَيَا جُنْدَبَ، قَالَ: لَبِيكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا أَمِيرُ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٌ مِمَّنْ مَضَى وَمِمَّنْ بَقِيَ وَأَيَّدَتْ بَرُوحَ الْعِظَمَةِ وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ لَا تَسْمُونَا أَرْبَابًا وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُمْ** - لماذا فُتِحَ لنا الباب، فُتِحَ لنا الباب بالقول - **وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ لَا تَسْمُونَا أَرْبَابًا وَقُولُوا فِي**

فضلنا ما شئتم - لماذا؟ - فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر - معشار العشر يعني واحد بالمئة، النسبة المئوية ما كانت معروفة، العشر هو واحد إلى عشرة، معشار العشر أن تُقسّم العشر إلى عشرة فتضرب عشرة في عشرة يساوي مئة، يعني واحد إلى مئة، إذا أردنا أن نحسب بالحساب الرياضي بالنسبة المئوية - وإنما أنا عبدٌ من عبيد الله لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر - ولا واحد بالمئة، قبل قليل المقطع الذي قرأته ومن شكَّ وعند هو يأتي بعد هذا المقطع - ومن شكَّ وعندَّ وجحدَّ ووقفَ وتحيرَ وارتاب فهو مُقصرٌ وناصب - هذا الكلام جاء بعد هذه المقاطع المتقدمة.

ثم يقول: يا سلمانُ ويا جُنْدَب، قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله - فماذا أعطاكم يا آلَ مُحَمَّد؟ حتى لو بيّن لنا الأمير فإننا لن ندرك فضلهم هو قال قبل قليل: فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعل الله لنا ولا معشار العشر، ما يوجد مقدار أصغر من معشار العشر لو وُجد لذكره لنا أمير المؤمنين، حينما قال: ولا معشار العشر يعني حتى أقل من واحد بالمئة نحن لا نُدرك، لكن هذا هو أقل مقياس موجود في لغة العرب - يا سلمانُ ويا جُنْدَب، قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله، قلنا يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظم وأجل من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ - ماذا أعطانا - قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ علمنا للأسم الأعظم - للأسم الأعظم بكلمة ما قال لبعضه، يعني للحروف الثلاثة والسبعين، للأسم الأعظم - علمنا للأسم الأعظم الذي لو شئنا - ماذا يفعلون؟ - لو شئنا خرقتُ أو خرقتنا السماوات والأرض والجنة والنار ونعرجُ به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغربُّ ونشرقُ وننتهي به إلى العرش - هذا بُعد إحاطي.

هذا حتى أوسع من الأبعاد المجردة للمادة التي يتعامل بها آصف بن برخيا وغيره من الأولياء والأنبياء - قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ علمنا للأسم الأعظم الذي لو شئنا نخرق السماوات والأرض والجنة والنار ونعرجُ به إلى السماء ونهبط به الأرض ونغربُّ ونشرقُ وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزَّ وجلَّ ويُطيعنا كُلُّ شيء - كُلُّ شيء يطيعنا، ويطيعنا كل شيء، هذه هي معنى أن أزمنة الموجودات بأيديهم - ويُطيعنا كُلُّ شيء حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنة والنار - هي مطيعة لهم - أعطانا الله ذلك كله بالأسم الأعظم الذي علمنا وخصنا به - يعني الأنبياء عندهم حروف تجليات من تجليات الأسم الأعظم - أعطانا الله ذلك كله - بل

هم الأسم الأعظم، وأسألك بالأسم الأعظم باسمك الأعظم الأعظم الأعز الأجل الأكرم الذي خلقتة، أنا أكرر هذه العبارات حتى تُحفظ، هذه قواعد وقوانين لعقيدتنا، الذي خلقتة فاستقرّ في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك هو هذا الأسم الأعظم - أعطانا الله ذلك كله بالأسم الأعظم الذي علّمنا وخصّنا به ومع هذا - الإمام يقول: - ومع هذا كُلّه نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا - هذا البُعد المحسوس للمادة، هذه الأبعاد المحسوسة - ومع هذا كُلّه نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عبادُ الله المُكْرَمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون - فهم عبيدٌ وعبادُ الله - وجعلنا معصومين مُطَهَّرين - هذا الكلام الآن في مقاماتهم في العالم الأرضي - ومع هذا كُلّه نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا - إلى أن يقول: - وجعلنا معصومين مُطَهَّرين وفضّلنا على كثيرٍ من عباده المؤمنين فنحن نقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وحقّت كلمة العذاب على الكافرين - من هم الكافرين؟ الإمام يقول: - أعني الجاحدين بكل ما أعطانا الله من الفضل والإحسان - الإمام هنا يسميهم بالكافرين، قبل قليل كانت التسمية مقصر وناصب، هذه تسمية أخرى لهم - وحقّت كلمة العذاب على الكافرين أعني الجاحدين بكل ما أعطانا الله من الفضل والإحسان، يا سلمانُ ويا جُنْدب: فهذه معرفتي بالنورانية فتمسك بها راشداً فإنّه لا يبلغ أحدٌ من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية - الشيعة المستبصرون هم الذين يعرفون عليّاً بالنورانية، أصحاب البصائر - فإنّه لا يبلغ أحدٌ من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم وارتقى درجةً من الفضل وأطلع على سرٍّ من سر الله ومكنون خزائنه.

ليس يدري بكنهه ذاتك ما هو يا ابن عمّ النبي إلا الله

هذا البيت من قصيدة للسيد باقر الهندي قصيدة جميلة جداً

ليس يدري بكنهه ذاتك ما هو يا ابن عمّ النبي إلا الله

ممكّن واجبٌ قديمٌ حديثٌ عنك تُنفى الأنداد والأشباهُ

إلى أن يقول:

قلْتُ للقائلين في أنّك الله أفيقوا فالله قد سوّاهُ

هو مشكاة نوره والتجلي سرُّ قُدسٍ جهلتمُ معناهُ

السيد علي النقي الهندي رضوان الله تعالى عليه أيضاً عنده قصيدة ميلادية جميلة يباري بهذه القصيدة قصيدة الشاعر اللبناني من شعراء المهجر الأمريكي إيليا أبو ماضي القصيدة اللادرية المعروفة، قصيدة

طويلة للسيد علي النقي الهندي، موجودة في كتاب الغدير لشيخنا الأميني موجودة في مصادر أخرى، أنا أشير فقط إلى هذين البيتين:

فيه قد حار العقول

كيف أدري وهو سرُّ

يتحدث عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

فيه قد حار العقول

كيف أدري وهو سرُّ

لم يزل أصل الأصول

حادثٌ في اليوم لكن

لا اتحاذُّ لا حلول

مظهرٌ لله لكن

بأنِّي لستُ أدري

غاية الإدراك أن أدري

أي والله لستُ أدري ...

بأنِّي لستُ أدري

غاية الإدراك أن أدري

من تسامى في عُلاه

وُلِدَ الطُّهْرُ عَلِيٌّ

هذه أيام الميلاد ...

من تسامى في عُلاه

وُلِدَ الطُّهْرُ عَلِيٌّ

وفريقٌ فيه تاه

فاهتدى فيه فريقٌ

أنَّه حقاً إله

ضَلَّ أقوامٌ فظنوا

لا يُجَازِي لستُ أدري

أم جنون العشقِ هذا

بأنِّي لستُ أدري

غاية الإدراك أن أدري

لستُ أدري يا أمير المؤمنين، القولُ مني ما قاله آلُ مُحَمَّدٍ فيما أسرَّوا وما أعلنوا فيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني، قولي هو قولُ آلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، علمت بذلك أم جهلتُ بذلك، كنتُ حياً أم كنتُ ميتاً، قولي هو قولُ آلِ مُحَمَّدٍ، من أراد أن يستكمل الإيمانَ كُلَّ الإيمانِ فليقل القولُ مني ما قاله آلُ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كان بودي أن أطيل أكثر لكن وقت البرنامج انتهى وزدت عليه شيئاً من الوقت، بقية الحديث إن شاء الله وهي بقيةٌ خيرٍ تأتينا يوم غد على شاشة قناة المودة الفضائية نفس البرنامج نفس الموعد نفس القناة الفضائية ونفس خادمكم، أسألكم الدعاء جميعاً ملتقانا غداً على محبة الزيارة الجامعة الكبيرة وعلى محبة من علَّمتنا الزيارة الجامعة الكبيرة إمامنا الهادي، غداً نلتقي على محبته ومودته أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة السابعة والعشرون

معنى مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ، إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركاتٌ أحبابِ عليٍّ وآلِ عليٍّ، الحلقة السابعة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، حلقاتنا متواصلة في هذه الأيام في نفس الوقتِ وفي نفس الموعد.

في الحلقة الماضية وصل بنا الكلامُ إلى قول إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه وهو يُعَلِّمنا كيفيةَ مُخاطبةِ أئمتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام - أَنْتُمْ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ - سادتي آلَ مُحَمَّدٍ - وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ وَالآيَةُ الْمَخزُونَةُ وَالْأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ - إلى هنا تَمَّ الكلامُ في الحلقة الماضية.

أتمُّ كلامي من حيثُ انتهيت تستمرُّ الزيارة الشريفة: مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ - هذا الكلامُ هو تفرُّعٌ لما مرَّ في البيانات المُتَقَدِّمة، فحُجٌّ حينَ نُحَاطِبُهُمْ بِأَنْتُمْ أَنْتُمْ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ وَأَنْتُمْ السَّبِيلُ الْأَعْظَمُ وبأنكم الآية المخزونة في كُلِّ جزءٍ من أجزاء هذا الوجود، وتقدِّمُ أيضاً في الحديثِ عن عصمتهم وطهارتهم الإلهية - عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الرَّكْلِ وَأَمْنَكُم مِّنَ الْفِتَنِ وَطَهَّرَكُم مِّنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُم تَطْهِيراً - هذه الأوصافُ وغيرها، ما تقدم من أمهات المعاني في المقاطع الخمسة التي افتتحت بها الزيارة الشريفة وما جاء بعد ذلك من غزير المعاني في المقاطع التي مرَّ الحديث عنها كُلُّ ذلك يتفرَّعُ عليه أنَّ مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا، أَتَاكُمْ نَجَا والمراد من الإتيان هنا الإتيان العقائدي وليس هو الإتيان البدني في انتقال البدن من مكانٍ إلى مكانٍ آخر، من أَتَاكُمْ نَجَا مَنْ أَتَاكُمْ بِقَلْبِهِ، حينَ يتعلَّقُ القلبُ بهم، وحينَ يُقَرُّ ويُدْعَنُ العقلُ لهم، وحينَ تعترفُ كُلُّ مداركِ الإنسانِ بجواسِهِ وعقلِهِ وقَلْبِهِ ووجدانِهِ وضميرِهِ وفطرته وفي الواقع الذي يعيشهُ أن تكون نيتهُ كاملةً معهم صلوات الله عليهم حينئذٍ يكون هذا الإتيانُ سبباً للنجاة - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ - وتلك هي النيةُ التي خَلَدَ بها أهلُ الجنانِ في جناحهم وخَلَدَ بها أهلُ النيرانِ في نيرانهم، فإنَّ أهلَ الجنانِ نيتهم ما داموا على وجه الحياةِ وما داموا أحياءٍ فإنهم على الطاعةِ حتى لو خُلِدُوا فإنهم سيخلدون على الطاعةِ لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، سيخلدون على البقاءِ في فناءِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأمَّا أهلُ النيرانِ فإنَّ نيتهم حتى لو خُلِدُوا في هذه الدنيا لو خُلِدُوا في هذه الحياةِ أو في كُلِّ مقطعٍ من مقاطع هذا الوجود

فإنهم باقون على اغترابهم وابتعادهم وهجرتهم لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكٌ - الإتيانُ بالعقول وبالقلوب والضمائر قبلَ الإتيانِ بالأبدان، نحنُ مطلوبٌ منا أن نأتي مُحَمَّدًا وآلَ مُحَمَّدٍ بالعقول والقلوب أولاً، وبالنيات والضمائر والوجدانِ والفترةِ قبلَ أن نأتيهم بأبداننا وأموالنا - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكٌ - ثُمَّ تُفَرِّغُ الزيارةُ أن النجاة والهلاك يدوران مدار هذه العناوين، أيُّ العناوين؟ - إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ - أنتم سببُ نجاتنا، لماذا؟ - إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تُدْعُونَ - دعوتكم لله سبحانه وتعالى حين تدعون الخلائق ولو كان الكلامُ في الأفق البشري، مرَّ علينا بأنَّ دعوةَ أهل البيت وبأنهم الدعوة الحُسنَى هي دعوةٌ في كُلِّ مراتب هذا الوجود، ولكن فليكن الكلامُ في الأفق البشري - إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تُدْعُونَ - إنَّ دعوتكم لله سبحانه وتعالى دعوةٌ موسومةٌ بالدلالة فأنتم تدلون عليه.

الدليل هو الذي يعرفُ الطريقَ بدقة، بعبارةٍ أخرى عندهُ من العلم والمعرفة وعندهُ من الإنارة ما يستطيع أن يصلَ إلى نهاية الطريق بأمنٍ وأمان - إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تُدْعُونَ - لأن الهداية والدلالة تشتملُ على مرتبتين: هناك مرتبةُ الإراءة وهناك مرتبةُ الإيصال، الدليل في معناه الحقيقي هو الذي يُوصل، الدليلُ الأضعف هو الذي يُري دلالتَهُ للآخرين، وأهل البيت يقومون بالدورين، هم يُروون الناس ويُرشدونَ الناس وفي الوقت نفسه هم يوصلونهم إلى الهدفِ وإلى الغاية، فالدلالةُ بحسب مقامها، هناك دلالةٌ في أفق الإراءة وهناك دلالةٌ في أفق الإيصال، تارةً تُهدي شخصاً نُريه الطريقَ وأخرى تُمسِكُ بيده ونوصله إلى الهدف - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكٌ إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تُدْعُونَ - دعوتكم مصحوبةٌ بالدلالة بدلالة الإراءة في بعض الأحيان بحسب ما يُناسبُ المقام وما يُناسبُ الأشخاص وما يُناسبُ المخلوق، وتارةً أخرى تكون هذه الدلالةُ بالإيصال وإنما تكون الدلالةُ بالإيصال عن طريق التوفيق، فقانون التوفيق والخُذلان هو بيد مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، التوفيقُ الإلهي إنما يصلُ إلى العباد من طريق هذا الباب، هم النعمة السابعة وهم النعمة الدامغة، فالخُذلان يأتي من هذا الباب والتوفيق يأتي من هذا الباب، ولا يأتي الخُذلانُ لشخصٍ إلا كان مستحقاً لذلك الخُذلان، ولا يأتي التوفيق لشخصٍ إلا بفضلٍ من الله سبحانه وتعالى - إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تُدْعُونَ وَبِهِ تُؤْمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ - وهذا الإيمان الذي قد تَشَرَّبَ فيكم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لسيد الأوصياء: والإيمانُ مُخَالِطٌ لِحَمَكِ وَدَمَكِ كما خَالَطَ لحمي ودمي، في واقعة الأحزاب في واقعة الخندق كلمة النبي الخاتم واضحةٌ صريحة، حين برز سيدُ الأوصياء إلى ابن عبد ود العامري ماذا قال خاتم الأنبياء؟

بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشَّرِكِ كُلِّهِ، هذا هو الإيمانُ الْمُتَحَرِّكُ عَلَى الأَرْضِ، وَالْإِيمَانُ مُخَالِطٌ لِحَمَكِ وَدَمَكِ كَمَا خَالَطَ لحمي ودمي - وَبِهِ تُؤْمِنُونَ - وهذا الإيمانُ هو التسليم، إيمانٌ مُشَبَّعٌ بالتسليم، إيمانٌ منقوعٌ بالتسليم

- وَبِهِ تُؤْمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ - كُلُّ هذه الصفات، كُلُّ هذه الأوصاف الْمُتَحَلِّيَّة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الصفات الواضحة التي تشير إليها الرواية الشريفة في الكافي الشريف، الرواية يرويها شيخنا الكليني بسنده: عن ابن صباح قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صَوْرَنَا وَجَعَلَنَا عَيْنَهُ فِي عِبَادِهِ وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ وَيَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَوَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ وَبَابَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ وَخَزَائِنَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ - إلى بقية الرواية.

والأحاديث في هذا المضمون كثيرة وفيرة جَمَعَ الشيخ الكليني الكثير منها في كتاب الكافي الشريف، كتب حديثنا نَعَجُ بهذه المضامين المنقولة عن مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ التي تُحَدِّثُنَا عن كَمَالِهِمْ وعن فضلهم وعن علو شأنهم وتمام رتبهم، بسبب كُلِّ ذلك هو الذي أوصلنا إلى هذه النتيجة: مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ وَبِهِ تُؤْمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ - فمن لم يكن تابعاً لهؤلاء الذين يتصفون بهذه الأوصاف فَإِنَّهُ هَالِكٌ لا محالة، لأنَّ الذي يتبع من يحمل هذه الأوصاف فهو الناجي وهو الفائز ولذلك تستمر الزيارة فتقول: سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ - السعيد هو هذا الذي يتبع أولياء وأئمة هي هذه أوصافهم: إلى الله يدعون وعليه يدلون وبه يؤمنون وله يُسَلِّمُونَ وبأمره يَعْمَلُونَ وإلى سبيله يُرْشِدُونَ وبِقَوْلِهِ يحكمون، من يتبع هؤلاء فهو السعيد حقاً، ولذلك في كلمات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالسَّعِيدِ كُلِّ السَّعِيدِ حَقَّ السَّعِيدِ إِنَّهُ مَنْ وَالَى عَلِيًّا فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُعْرِفُ لَنَا السَّعِيدَ حَقَّ السَّعِيدِ كُلِّ السَّعِيدِ هُوَ مَنْ وَالَى عَلِيًّا فِي حَيَاتِهِ فِي حَيَاةِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ - بنحو عام من لم يأتكم هلك إن كان بنحو العداة أو بنحو عدم العداة، هو ما أتاكم - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ - هذا هو حُكْمُ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ، إِنَّ مَنْ لَا يَأْتِي إِلَى أَنْاسٍ يَحْمِلُونَ هذه الأوصاف، والمراد لا يأتي بقلبه وعقله ووجدانه وضميره فهو هَالِكٌ بحكم المنطق والعقل، أمَّا الكلام هنا: سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ - فهو بحكم العقل والشرع، فمن عاداكم فهو هَالِكٌ - وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ - ومُعَادَاةُ أَهْلِ الْبَيْتِ لَهَا مَرَاتِبٌ وَمَرَاتِبُهَا كَثِيرَةٌ وَلرَبْمَا يَحْسَبُ الْبَعْضُ أَنَّهُ مِنْ شِيَعَتِهِمْ وَهُوَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَقَعَّ فِي خَانَةِ أَعْدَائِهِمْ وَلِذَا سَيُسَلَّبُ حُبُّهُمْ مِنْهُ حِينَ الْمَمَاتِ.

أليس هناك إيمان مستقر وإيمان مستودع، الإيمان المستقر هو الذي يُبْعَثُ مع الإنسان ويُحْشَرُ الإنسان عليه يوم القيامة، أمَّا الإيمان المستودع فهو الذي يُسَلَّبُ من الإنسان، قد يُسَلَّبُ حين الموت وقد يُسَلَّبُ كذلك في قبره، فهناك فتنة القبر وهناك رومان فتان القبور وهناك فتنة الدجال التي تدخل إلى القبور.

في سورة الغاشية في الجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب الكريم الآية الأولى بعد البسمة وما بعدها ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ والغاشية كما هو معروف من أسماء يوم القيامة، وإن كانت هناك لها دلالات أخرى في روايات أهل البيت ولكن هذه دلالة من دلالاتها ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ ﴾ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ: هذا الخشوع هو خشوع الخوف وخشوع الوحشة وخشوع المدلّة ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ هذه الوجوه ما هي أوصافها؟ ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ أولئك الذين ينصبون العداء لعلّي وكانوا يعملون في الحياة، في الحياة الدنيا ويتوقعون بأنهم سينجون بعملهم هذا.

في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا هو الجزء الثامن من أجزاء تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني ينقل الرواية عن تفسير القمي، في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ يعني قد أتاك يا مُحَمَّدٌ حديث القيامة ومعنى الغاشية أي تغشى الناس - تغشى الناس أي تكون محيطة بهم ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ الرواية تقول بحسب تفسير القمي، علي بن إبراهيم - نزلت في النَّصَابِ وهم الذين خالفوا دين الله وصلّوا وصاموا ونصبوا لأمر المؤمنين عليه السلام وهو قوله تعالى: ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ عَمَلُوا وَنَصَبُوا فلا يُقْبَلُ منهم شيءٌ من أفعالهم - الناصب الأمر بالنسبة له سيان صلى أم زنا لا تُقْبَلُ أعماله، هذه هي قاعدة أهل البيت التي علّموها لنا، صلى أم زنا لا فرق في ذلك، لأن جوهر قبول العمل مسلوب منه، ومسلوب منه ما سلبه أحدٌ منه إنما هو الذي استلب نفسه وهو الذي حَرَمَ نفسه من ذلك ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ تلك الوجوه التي تعمل وتعمل في هذه الحياة وهي تظنُّ بأنها ستنجو بأنها تفعلُ حَسَنًا، وهذا الوصف ينطبق على أكثر الذين يُقال عنهم بأنهم من أهل القبلة، أكثر الذين يتوجهون إلى القبلة في صلواتهم وفي عباداتهم تنطبق عليهم هذه الأوصاف بأنهم عاملة ناصبة، يَعْمَلُونَ ويتصورون بأنهم سينجحون في عملهم هذا سيوفقون في عملهم هذا ولكن النتيجة هو البُطْلَانُ ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ يعملون وهم يحملون النَّصْبَ لعلّي وآل عليّ - سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ - إنما هلك ببطلان عمله حتى لو كان مُحْسِنًا في تصوره وفي توهمه بأنه مُحْسِنٌ - وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ - والحياة هي المعنى الواضح المضاد للنجاح وللِفلاح - سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ

وَهَلْكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ - والجحد هو الإنكار - وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ - أمّا الذي فارقكم حتى لو كان معترفاً بكم بلسانه حتى لو كان عارفاً بشأنكم لكنه فارقكم، فارقكم بعمله، فارقكم بقوله، فارقكم بنيته، ليس مستعداً أن يتحمّل في طريق خدمتكم وفي طريق ولايتكم ما يكون سبباً لأذاه وسبباً لنكد العيش ولضييق العيش، وسبباً للبلايا التي تترا عليه في هذا الطريق ففارقكم لذلك فإنّه قد وقع في دائرة الضلالة، الذي يسعدُ هو من والاكم - سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ وَهَلْكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ - من هو الفائز؟ - وَفَارَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ - الذي يتمسكُ بكم هو الفائز هو الذي سيفوز وأمن من لجأ إليكم لأنكم الحصنُ الآمن ولأنكم الفناء الآمن - وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ - والأمانُ هنا الأمانُ من غضبِ الله سبحانه وتعالى وإلا ما قيمةُ الأمان أن يأمن الطواغيت في قلاعهم الحصينة وفي قصورهم العالية وفي أبراجهم الشاخنة وغضبِ الله سبحانه وتعالى مُحِيطٌ بهم من كل جانب، هذا أمانٌ دنيويٌّ محدود ينتهي بين لحظةٍ وأخرى.

ونحنُ نُشاهد طواغيت الدنيا يقعون الواحد بعد الآخر فلا نفعتهم قصورهم ولا أسلحتهم ولا أموالهم، كانوا يعيشون في ظل أمنٍ هم اصطنعوه لأنفسهم، وهذا كله في حدودٍ دنيويةٍ ضيقة، الأمنُ الحقيقي الأمان مع الله سبحانه وتعالى، الاطمئنانُ الحقيقي الاطمئنان مع الله، ألا بذكرِ الله تطمئنُ القلوب، وما ذكرُ الله إلا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم، الذكر اللفظي ما هو إلا مظهرٌ من مظاهر ولاية عليٍّ وآل عليٍّ، ألا بذكرِ الله تطمئنُ القلوب، الاطمئنان والإيمانُ ونحنُ نناجي الباري في مُناجياتنا: يا أمانَ الخائفين، هو أمان الخائفين، الله سبحانه وتعالى هو الجهة التي نَفِرُ إليها من كُلِّ خوفٍ بل نَفِرُ إليها منها، نحنُ نَفِرُ إلى الله من الله ونعوذُ بالله سبحانه وتعالى من سخطِ الله - وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ - من يلجأُ إليكم سادتي آلُ مُحَمَّدٍ فإنّه قد لجأ إلى الله، لجأ إلى الأمان والأمان إلى السلامة والسلام - وَفَارَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ - سَلِمَ من صدقكم التصديق هو الإذعان والإخبار، أن تُخْبِتَ العقول وأن تُدْعِنَ القلوب وأن تهش وتبش لحديثِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ولأمرِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ - وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ - هذه سلامة الدين، هذه سلامة القلوب، ألا من أتى الله بقلبٍ سليم، القلب السليم كما في كلمات إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه القلبُ الذي ليس فيه إلا الله هو هذا القلب السليم، ولا يمكننا أن نتصور قلباً بهذه الصفة ما لم يكن هذا القلبُ مرتبطاً ومشدوداً لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ - سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ - سادتي أهل البيت - وَهَلْكَ مَنْ عَادَاكُمْ وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَفَارَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ - من صدقكم هو السالم السليم، هو الذي يسلم قلبه لله سبحانه وتعالى، وهو الذي يُسَلِّمُ عقله لله سبحانه وتعالى، التسليمُ لله والسلامةُ لله لن تتحقق إلا بالتسليم

لإمام زماننا الحجة بن الحسن لأنه هو الحجة المطلقة على من في الأرض وعلى من في السماء بل على كل موجودٍ أوجدهُ الباري سبحانه وتعالى، كما مرَّ في يوم أمس بأنَّ أزمّة الموجودات بيد الحجة الذي ينصبهُ الباري سبحانه وتعالى الذي هو قلب عالم الإمكان هو روح عالم الإمكان، الذي هو يمثل حقيقة ملكوت عالم الإمكان، وعالم الإمكان هو كلُّ الوجود الذي صدرَ من الكلمة الأولى من الحقيقة الأولى، وحتى الحقيقة الأولى فهي في ضمنِ عالم الإمكان لكنَّ المُمْكِنَ على مرتبتين:

هناك المُمْكِنَ الأعلى وهي الكلمة الأولى.

وهناك المُمْكِنَ الأدنى وهو ما صدر عن الكلمة الأولى أي عن الحقيقة المُحَمَّدِيَّة.

وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ - وَمَرَّ الْكَلَامُ فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ - وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ - من اعتصم بكم من التجأ إليكم وجعل نفسه في حصنكم، من اعتصم بكم - **وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ -** كيف يعتصم الإنسان بهم؟ الاعتصام بهم أن نجعل عقولنا تفكر وفقاً للموازين التي يريد لنا أهل البيت أن نفكر وفقاً لها فتلك هي عصمة العقول، كيف تعتصم عقولنا؟ أن نربي عقولنا وأن نروض عقولنا على أن تفكر في ضمن الموازين التي يريد لنا أهل البيت أن نفكر فيها، أن تكون عقولنا تسبح في بحر أهل البيت، أن تكون عقولنا ترعى في خمائل أهل البيت وفي حقول أهل البيت، وأما عصمة القلوب فإن نجعل الولاية والبراءة، أن نجعل المحبة والبُغض، وحينَ أتحدثُ عن المحبة والبُغض لا أتحدث عن محبة أشخاصٍ فقط وإنما أتحدثُ عن محبةٍ كُلِّ ما يمكن أن يُحَبَّ، وعن بُغض كل ما يمكن أن يُبْغَض، إن كان ذلك في الأشخاص، إن كان ذلك في الحيوانات، إن كان ذلك في النباتات، إن كان ذلك في المطعومات والمشروبات وهكذا في كل شيءٍ يتعلّق به الحُبُّ والبُغض، هذا هو اعتصام القلوب.

أمّا اعتصام الحواس واعتصام الأبدان فذلك هو الإلتزام بأحكامهم الشرعية إلى أبعد حد، الإلتزام بالواجب والانتهاؤ عن المُحَرَّم، الواجب الذي بيّنه لنا أهل البيت والمُحَرَّم الذي بيّنه لنا أهل البيت، مُراعاة المندوبات والمكروهات، مُراعاة السُنن والآداب والأخلاق التي سنّها لنا أهل البيت صلوات الله عليهم هذا هو معنى الاعتصام بأهل البيت، فهو اعتصامٌ للعقول في مدارج تفكيرها واعتصامٌ للقلوب في مدارج عواطفها ومحبتها وبغضها وانفعالها، واعتصامٌ للحواس والأبدان وذلك بالإلتزام بفقههم وبأحكامهم الشرعية - **وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ -** من جعل عقله معتصماً بهذا النحو وقلبه وبدنه وحواسه فإنه قد ضَمِنَ الهداية كما تقول هذه الزيارة الشريفة - **وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ، مَنْ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ -** من اتبعكم من حَقَّقَ المعاني السابقة التي أشارت إليها الزيارة: **سَعَدَ مَنْ وَالِاكُمْ -** موالاتكم هي أول مراتب اتّباعكم - **وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ -** والتمسك - **وَأَمِنْ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ -** واللجوء إليهم - **وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ -**

والتصديق بهم ولهم، وهدي من اعتصم بهم، من اتصف بهذه الأوصاف الزيارة تقول: **مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنِ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ** - المأوى هو المكان الذي يهدأ فيه بال الإنسان، حين يكون الإنسان مُتعباً، حين يكون الإنسان قادماً من سفرٍ شاق أو من عملٍ مُتعبٍ فيأوي إلى بيتٍ مريح هو هذا المأوى، أمّا المَثوى فهو المكان الذي يمكث فيه الإنسان قد يكون مريحاً وقد لا يكون مريحاً، ولذلك لم تستعمل الزيارة كلمة المأوى هنا، وإن كان يمكن استخدامها أيضاً بحسب موازين الاستخدام العربي ولكن الزيارة أرادت أن تُفَرِّق بين هذين الاستعمالين بين المأوى والمَثوى - **فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ** - من هو هذا؟ - **مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنِ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَمَنِ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ** - من جحدكم أي من أنكركم، من أنكر وجودكم، من أنكر إمامتكم، من أنكر فضلكم، من أنكر مقاماتكم الغيبية بعنادٍ، هناك من أشياح أهل البيت ربما من ينكر المقامات الغيبية لأهل البيت لكن ليس عن عنادٍ وإنما لشبهةٍ، يتصور بأن هذه المقامات الغيبية هي درجة من درجات الغلو، الذي يكون على شُبْهَةٍ فهو معذور، معذور ما دامت هذه الشبهة مستحكمة في عقله وعليه أن يبحث عن الحقيقة - **مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنِ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ وَمَنِ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَمَنِ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ** - هذه أوصاف ومنازل ومراتب لأولئك الذين يُخالفون أهل البيت - **وَمَنِ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ** - هؤلاء الذين ستكون النار مَثْوَى لهم ما هي أوصافهم؟

الوصف الأول: **وَمَنِ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ**، الوصف الثاني: **وَمَنِ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ**، وقطعاً الشرك قد يكون في بعض الأحيان أشد من الكُفر، والكُفر في بعض الأحيان يكون أشد من الشرك، القضية هنا ليست على سبيل ما هو السيئ والأسوأ، السيئ والأسوأ تُشخِّصُه النوايا، يُشخِّصُه الفهم، تُشخِّصُه الحالة النفسية والوجدانية للإنسان، فقد يكون هناك كافر أسوأ من مُشرك وقد يكون هناك مُشرك أسوأ من كافر - **وَمَنِ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ وَمَنِ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ**، أشهدُ أن هذا سابقٌ لكم فيما مضى و**جَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ** - سابقٌ لكم فيما مضى في الأمم الماضية في القرون الأولى في القرون الخالية، في القرون الخالية يعني في كل مراتب الوجود، هذا الأمر هو جارٍ لأهل البيت لأنه ما من نبي نُبئ وما من رسولٍ أُرسِل وما من وصيةٍ نزلت إلى وصيٍ من الأوصياء إلا وهي تستندُ في حقيقتها إلى نبوة نبينا وولاية عليٍّ وآل عليٍّ، وهذه حقيقة واضحة بديهية في فكر أهل البيت وفي حديثهم وكلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ما نجدُه في رواياتنا وفي حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية يرويها شيخنا المجلسي وهذا هو الجزء السابع والعشرون الصفحة الخامسة والأربعون، عن **عجلان أبي صالح قال: سألتُ أبا عبد**

الله عليه السلام عن قبة آدم - المراد بقبة آدم، هذا العنوان يتحدثُ عنه أهل البيت، قبة آدم يعني هذه الدنيا التي نعيشُ فيها وهذه السماء المحيطة بهذه الدنيا هي قبة آدم، قبة آدم العالم الذي نحيا فيه - سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قبة آدم فقلتُ له: هذه قُبَّةُ آدم؟ فقال: نعم واللهِ قِبَابٌ كثيرة - يعني أنّ في هذا الوجود وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أوجد قِبَاباً كثيرة، هذا العالم الذي نعيشُ فيه هو عالم آيينا آدم - واللهِ قِبَابٌ كثيرةٌ أما إنَّ خلفَ مغربكم هذا - وخلف مغربكم هذا ليس الإشارة هنا إلى جهة المغرب بالنحو الدقي، وبالمناسبة فإنَّ الجهات هي مسألةٌ نسبية لا يوجد هناك مغربٌ بنحوٍ مُطلق ولا يوجد هناك مشرقٌ بنحوٍ مُطلق، ما يكون مغرباً في مكانٍ من الأمكنة لن يكون هو نفسه مغرباً لمكانٍ آخر، المغرب مسألةٌ نسبية، الجهات كلها، الجهات الفوق والتحت والمغرب والمشرق اليمين واليسار وكُلُّ الجهات الأخرى إنما هي قضيةٌ نسبية، المراد من المغرب أي ما وراء هذا العالم، مغرب الشيء هو ما وراء هذا الشيء - أما إنَّ خلفَ مغربكم هذا تسعةٌ وثلاثينَ مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنورنا لم يعصوا الله طرفة عين لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه يتبرؤون من فلانٍ وفلان - فلان وفلان هذه عناوين للطواغيت الذين يجبُ على المؤمن أن يتبرأ منهم - أما إنَّ خلفَ مغربكم هذا تسعةٌ وثلاثينَ مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنورنا - وهذا هو المعنى الذي أردده كثيراً في قضية وجود مظاهر لهم في كل طبقةٍ من طبقاتِ هذا الوجود - خلقاً يستضيئون بنورنا لم يعصوا الله طرفة عين لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه يتبرأون من فلانٍ وفلان، قيل له: كيف هذا؟! يتبرؤون من فلانٍ وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه؟! فقال للسائل: أتعرف إبليس؟ قال: لا إلا بالخبر، قال: فأمرت باللعنة والبراءة منه؟ قال: نعم، قال: فكذلك أمرُ هؤلاء.

الرواية الأخرى: عن جابرٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام - جابر هو الجعفي - قال: سمعته يقول: إنَّ من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس - عين يعني شمس بكاملها، حقيقة شمس يعني - إنَّ من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين شمسٍ إلى شمسٍ أربعين عاماً - والحديث هنا عن السنون لا بالمقاييس الأرضية - فيها خلقٌ كثير ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أو لم يخلقه وإنَّ من وراء قمركم هذا أربعين قمراً ما بين قمرٍ إلى قمر مسيرة أربعين يوماً فيها خلقٌ كثير ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أو لم يخلقه قد ألهموا كما ألهمت النحل لعنة الأول والثاني في كل وقتٍ من الأوقات وقد وُكِّلَ بهم ملائكة متى لم يلعنوهما عذبوا.

روايةٌ أخرى: عن سليمان بن خالد قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي ولا جني ولا ملكٍ في السماوات إلاَّ ونحنُ الحُجَجُ عليهم وما خلقَ الله خلقاً إلاَّ وقد

عَرَضَ وَلَايَتَنَا عَلَيْهِ وَاحْتَجَّ بِنَا عَلَيْهِ فَمُؤْمِنٌ بِنَا وَكَافِرٌ وَجَاهِدٌ حَتَّى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ -
الروايات في هذا المضمون كثيرة جداً.

وهذا نموذج آخر من رواياتهم ومن أحاديثهم، ينقله الشيخ المجلسي عن شيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه عن كتابه الخصال، عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِثْنِي عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ، كُلُّ عَالَمٍ مِنْهُمْ أَكْبَرُ مِنْ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعِ أَرْضِينَ، مَا يَرَى عَالَمٌ مِنْهُمْ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَالَمًا غَيْرَهُمْ وَإِنِّي الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ - إشارات واضحة وبينية في الروايات إلى أن لهم مظاهر في كل طبقة من طبقات هذا الوجود والزيارة تُشيرُ إلى هذا المعنى: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ، وهذا القانون يتضح في عالمنا الأرضي وفي عالمنا الترابي.

الرواية يرويها شيخنا المجلسي عن كنز الفوائد للمُحَدِّث الكراجكي بسنده: عن سليمان الأعمش عن جعفر بن مُحَمَّدٍ عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أنت أمير المؤمنين وإمام المُتقين، يا عليّ أنت سيد الوصيين ووراث علم النبيين وخير الصديقين وأفضل السابقين، يا عليّ أنت زوج سيدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين، يا عليّ أنت مولى المؤمنين والحُجَّة بعدي على الناس أجمعين، أستوجب الجنة من تولاك واستوجب دخول النار من عاداك، يا عليّ والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية لو أن عبداً عبد الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك وإنّ ولايتك لا تُقبل إلا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من وُلدك بذلك أخبرني جبرئيل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - هذا هو قانون الولاية والإمامة الذي أرادهُ الله ويريدهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - الميزان ولاية عليّ وآل عليّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ - سابق في كل طبقات الوجود في كل مراتب الوجود، هذا السبق ليس سبقاً زمانياً، السبق الزماني يدخل فيه ولكن الحديث هنا عن سبق في مراتب الوجود - وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ - فيما بقي ليس بالعنوان الزماني وإنما بعنوان مراتب الوجود وما يقع بالعنوان الزماني فهو منطوي ومنضوي تحت هذا العنوان.

السبق في مراتب الوجود يختلف عن السبق في المراتب الزمانية، حينما أقول الآن مثلاً، حينما أقول حَرَكْتُ هذا الخاتم في أصبعي حَرَكْتُهُ بيدي، من الجهة الزمانية حركة اليد وحركة الخاتم في نفس الوقت لكن من الجهة الوجودية فإنّ حركة اليد سابقة وأعلى رتبة من حركة الخاتم لأنّ حركة اليد هنا، اليد هي العلة والحركة في الخاتم هي المعلول والعلة سابقة وجوداً في مراتب الوجود في مراتب الفاعلية والتأثير على المعلول، الحديث هنا

في السبق إنما هو حديث عن السبق في المراتب الوجودية ليس الحديث في السبق عن المراتب الزمانية وإنما يدخلُ بضمنها، لأنَّ المراتب الزمانية إنما هي في وعاء الأرض في وعاء العالم الديوي، فالزمان ينشأ من حركة الأرض ومن حركة الشمس والقمر، من حركة الأفلاك في هذه المجموعة الشمسية حتى في هذه المجموعة الشمسية كُلُّ كوكبٍ من كواكب المجموعة له زمانه الخاص به، ليله نهاره يومه سنته فصوله تختلف عمًا عليه في الأرض، القمر نفس الشيء، الشمس نفس الشيء، وهكذا كُلُّ كوكبٍ كُلِّ جرمٍ سماوي له زمانه الخاص به، فحينما تقول الزيارة: **أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى، وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ -** الحديث عن المراتب الوجودية وبالضمن تدخل المراتب الزمانية - **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ وَطَهَّرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ -** هذا قانونٌ واضح وقانونٌ صريح - **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ -** الأرواح مظهرٌ من مظاهر وجودهم والنور مظهرٌ من مظاهر وجودهم والطينة مظهرٌ من مظاهر وجودهم، الطينة هي النورية الأولى التي أشرق منها نورهم في هذا الوجود، هذه العبارات هي لتقريب معنى أنهم حقيقةً واحدة، ولكن هذه الحقيقة لها مظاهر.

الكلمة الأولى حقيقةً بسيطة أقرب ما تكون إلى المعنى البسيط فهي الأسم الأعظم والأسم الأعظم أقرب ما يكون إلى معنى البساطة، بسيطُ الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى الذات المُنزَّهة عن كُلِّ تركيبٍ وعن كُلِّ نقص، الذات البسيطة هي ذاته سبحانه وتعالى التي ذاته عين صفاته وصفاته عين ذاته، الكُلمة الأولى أقرب ما تكون إلى البساطة لكنها مُركبة، مركبة من جهة أنها مخلوقة، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك، ما أشرق من الكلمة الأولى الكائنات كُلُّها مركبة، وكلما ابتعد الكائن وابتعد الموجود في دائرة القرب عن الله سبحانه وتعالى كلما اشتدت فيه صفات التركيب ودرجات التركيب، فكلما ابتعد الموجود في درجة القرب وفي درجة الشرافة وفي درجة المنزلة من الله سبحانه وتعالى كلما تعقد فيه التركيب وكان بعيداً وكان منفعلاً وضعفت فيه الفاعلية، الكلمة الأولى لها مظاهر ولها صور وفي كُلِّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود لها صور، والحديث هنا: **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ وَطَهَّرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ،** حين يقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: **حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ،** أو في روايةٍ أخرى: **أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مِنِّي،** وحين يقول سيد الأوصياء: **أَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ مِنِّي،** وحين يقول: **أَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ كَالضَّوءِ مِنَ الضَّوءِ،** وحين يخاطب سيد الأوصياء ولده الأكبر الحسن السبط: **وجدتك بعضي لا بل وجدتك كُلِّي،** وحين يقول سيد الأوصياء: **أولنا مُحَمَّدٌ أوسطنا مُحَمَّدٌ آخرنا مُحَمَّدٌ كُلُّنا مُحَمَّدٌ،** كُلُّ ذلك يشيرُ إلى هذه الحقيقة الواحدة إلى هذه الطينة الواحدة، هذه الطينة التي تميزت عن كُلِّ طينة، طينة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، ماذا يحدثنا أمير

المؤمنين عن هذه الطينة المقدسة؟

هذا هو الجزء الخامس من كتاب بحار الأنوار وهذه هي الصفحة السابعة والعشرون، الرواية طويلة وسأقرأ منها أيضاً مقطوعاً طويلاً لأنني إذا أردت أن أقرأ الرواية بتمامها هذا يحتاج إلى وقتٍ طويل، سأكتفي بموطن الحاجة وإن كان طويلاً أيضاً، أمير المؤمنين يقول:

كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ فَأَوْلُ مَا خَلَقَ نَوْرَ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْمَاءِ وَالْعَرْشِ -
الماء هو ماء الفيض، هو ما الوجود، خلق النبي صلى الله عليه وآله - قبل خلق الماء والعرش والكرسي
والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأربع مئة
ألف عام - وهذه الأرقام ليست أرقاماً بالنحو الحسابي والرياضي الذي يحسب به في عالمنا الدنيوي،
الحديث عن الخلقة الأولى قبل الزمان وقبل المكان وقبل الحسابات والأرقام - فلَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى نَوْرَ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَقِيَ أَلْفَ عَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - هذه طينة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، استمعوا
لأوصاف هذه الطينة - فلَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى نَوْرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَقِيَ أَلْفَ عَامٍ بَيْنَ
يَدَيْهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ واقفاً يسبحه ويحمده والحقُّ تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي أنت المرادُ
والمُرِيد - الله يخاطب نور مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يخاطب الطينة، الطينة المُحَمَّدِيَّة، الحقيقة المُحَمَّدِيَّة
- يا عبدي أنت المرادُ والمُرِيد وما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ - هذا الخطاب هو نفسه الذي كان في العالم
الأرضي هو صورةٌ وتجلٍ لذلك الخطاب في عالم النور الأول - يا عبدي أنت المرادُ والمُرِيد وأنت خيرتي
من خلقي وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبك أحبته - لولاك ما خلقت الأفلاك
الحديث هنا لا يشير إلى أن الأفلاك قد خُلِقَتْ وإنما ستخلق، ولكن هذا هو علم الله، علم الله لا يوجد فيه
لا شيء ماضي ولا حاضر ولا مستقبل - من أحبك أحبته ومن أبغضك أبغضته فتلاً نورهُ وأرتفع
شعاعهُ فخلق اللهُ مِنْهُ اثني عشر حِجَاباً - من هذا النور - أَوْلَاهَا حِجَابُ الْقُدْرَةِ ثُمَّ حِجَابُ الْعِزَّةِ ثُمَّ
حِجَابُ الْعِزَّةِ ثُمَّ حِجَابُ الْهَيْبَةِ ثُمَّ حِجَابُ الْجَبْرُوتِ - هذه الحجب التي مراراً أتحدّث عنها بأنها ما فوق
العرش - ثم حِجَابُ الرَّحْمَةِ ثُمَّ حِجَابُ النَّبُوَّةِ ثُمَّ حِجَابُ الْكِبْرِيَاءِ ثُمَّ حِجَابُ الْمَنْزِلَةِ ثُمَّ حِجَابُ
الرَّفْعَةِ ثُمَّ حِجَابُ السَّعَادَةِ ثُمَّ حِجَابُ الشَّفَاعَةِ، ثم إن الله تعالى أمر نور رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله أن يدخل في حِجَابِ الْقُدْرَةِ فدخل وهو يقول سبحان العلي الأعلى وبقي على ذلك اثني عشر
ألف عام، ثم أمره أن يدخل في حِجَابِ الْعِزَّةِ فدخل وهو يقول سبحان عالم السر وأخفى أحد
عشر ألف عام، ثم دخل في حِجَابِ الْعِزَّةِ وهو يقول سبحان الملك المنان عشرة آلاف عام ثم
دخل في حِجَابِ الْهَيْبَةِ وهو يقول سبحان من هو غنيٌّ لا يفتقر تسعة آلاف عام، ثم دخل في

حِجَابُ الجَبْرُوتِ وهو يقول سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام، ثم دخل في حِجَابِ الرَّحْمَةِ وهو يقول سبحان رب العرش العظيم سبعة آلاف عام، ثم دخل في حِجَابِ النَّبُوءَةِ وهو يقول سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون ستة آلاف عام، ثم دخل في حِجَابِ الكِبْرِيَاءِ وهو يقول سبحان العظيم الأعظم خمسة آلاف عام، ثم دخل في حِجَابِ المَنْزَلَةِ وهو يقول سبحان العليم الكريم أربعة آلاف عام، ثم دخل في حِجَابِ الرِّفْعَةِ وهو يقول سبحان ذي المُلْكِ والملَكُوتِ ثلاثة آلاف عام، ثم دخل في حِجَابِ السَّعَادَةِ وهو يقول سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول ألفي عام، ثم دخل في حِجَابِ الشِّفَاعَةِ وهو يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف عام - هذه طينة مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هذه الطينة التي تتحدث عنها الزيارة الجامعة الكبيرة، ويستمر أمير المؤمنين فيقول:

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَشْرِينَ بَحْرًا مِنْ نُورٍ - هذه هي المظاهر، هذه مظاهر الحقيقة المُحَمَّدِيَّةِ فِي عَالَمِ الحُجُبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى بِكَثِيرٍ وَأَرْقَى رَتْبَةً مِنْ عَالَمِ العَرْشِ - ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ عَشْرِينَ بَحْرًا مِنْ نُورٍ فِي كُلِّ بَحْرٍ عِلْمٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ لِنُورِ مُحَمَّدٍ أَنْزَلَ فِي بَحْرِ العِزَّةِ فَنَزَلَ ثُمَّ فِي بَحْرِ الصَّبْرِ ثُمَّ فِي بَحْرِ الخَشْوَةِ ثُمَّ فِي بَحْرِ التَّوَاضُعِ ثُمَّ فِي بَحْرِ الرِّضَا ثُمَّ فِي بَحْرِ الوَفَاءِ ثُمَّ فِي بَحْرِ الحِلْمِ ثُمَّ فِي بَحْرِ التَّقْوَى ثُمَّ فِي بَحْرِ الخَشْيَةِ ثُمَّ فِي بَحْرِ الإِنَابَةِ ثُمَّ فِي بَحْرِ العَمَلِ ثُمَّ فِي بَحْرِ المَزِيدِ ثُمَّ فِي بَحْرِ الهُدَى ثُمَّ فِي بَحْرِ الصِّيَانَةِ ثُمَّ فِي بَحْرِ الحَيَاءِ حَتَّى تَقْلُبَ فِي عَشْرِينَ بَحْرًا - بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَّصِرَ هَذِهِ المَعَانِي؟!

هذه مجرد إشارات ورموز لحقيقة الطينة المُحَمَّدِيَّةِ وَلَا يَقِفُ الحَدِيثُ عِنْدَ هَذَا الحُدِّ - فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ آخِرِ الأَبْحَرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا حَبِيبِي وَيَا سَيِّدَ رَسُلِي وَيَا أَوَّلَ مَخْلُوقَاتِي وَيَا آخِرَ رَسُلِي أَنْتَ الشَّفِيعُ يَوْمَ المَحْشَرِ فَخَرَّ النُّورَ سَاجِدًا ثُمَّ قَامَ فَفَقَطَّرَتْ مِنْهُ قَطْرَاتٌ كَانَتْ عِدْدُهَا مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَطْرَةٍ فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ نُورِهِ نَبِيًّا مِنَ الأنبياءِ - وهؤلاء الأنبياء هم مظاهره، مظاهر الحقيقة المُحَمَّدِيَّةِ - فَلَمَّا تَكَامَلَتْ الأَنْوَارُ صَارَتْ تَطُوفُ حَوْلَ نُورِ مُحَمَّدٍ - أنوار الأنبياء تطوف حول كعبتها الحقيقية - فَلَمَّا تَكَامَلَتْ الأَنْوَارُ صَارَتْ تَطُوفُ حَوْلَ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا تَطُوفُ الحُجَّاجُ حَوْلَ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ - وهذا هو أحد أسرار الحج - وهم يسبحون الله ويحمدونه ويقولون سبحان من هو عالم لا يجهل سبحان من هو حليم لا يعجل سبحان من هو عني لا يفتقر فناداهم الله تعالى تعرفون من أنا؟!

فَسَبِقَ نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ الأَنْوَارِ وَنَادَى أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ المُلُوكِ، فَإِذَا بَالِنْدَاءِ مِنْ قَبْلِ الحَقِّ أَنْتَ صَفِيي وَأَنْتَ حَبِيبِي وَخَيْرُ

خلقي، أُمَّتِكَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ - وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٌ هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَمَا بَيَّنَّتْ لَنَا أَخْبَارَهُمْ وَأَحَادِيثَهُمْ - أُمَّتِكَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ثُمَّ خَلَقَ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَوْهَرَةً وَقَسَمَهَا قَسَمِينَ فَنَظَرَ إِلَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ بَعَيْنِ الْهَيْبَةِ فَصَارَ مَاءً عَذْبًا - وَهَذَا هُوَ مَاءُ عَالَمِ الْإِمْكَانِ، الْمَاءُ الَّذِي أَشْرَقَ مِنْهُ الْوُجُودُ - فَنَظَرَ إِلَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ بَعَيْنِ الْهَيْبَةِ فَصَارَ مَاءً عَذْبًا وَنَظَرَ إِلَى الْقِسْمِ الثَّانِيِ بَعَيْنِ الشَّفَقَةِ فَخَلَقَ مِنْهَا الْعَرْشَ فَاسْتَوَى عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، فَخَلَقَ الْكُرْسِيَّ مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَخَلَقَ مِنْ نُورِ الْكُرْسِيِّ اللَّوْحَ، وَخَلَقَ مِنْ نُورِ اللَّوْحِ الْقَلَمَ وَقَالَ لَهُ أَكْتُبْ تَوْحِيدِي فَبَقِيَ الْقَلَمُ أَلْفَ عَامٍ سَكَرَانَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّي وَمَا أَكْتُبُ؟

قَالَ: أَكْتُبْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَلَمَّا سَمِعَ الْقَلَمُ اسْمَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَّ سَاجِدًا وَقَالَ سُبْحَانَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَكُتِبَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّي وَمَنْ مُحَمَّدٌ الَّذِي قَرَنْتَ اسْمَهُ بِاسْمِكَ وَذَكَرَهُ بِذِكْرِكَ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا قَلَمُ فَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ خَلْقِي إِلَّا لِأَجَلِهِ وَهُوَ بِشِيرٍ وَنَذِيرٍ وَسِرَاجٌ مِنْيرٌ وَشَفِيعٌ وَحَبِيبٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْشَقَ الْقَلَمُ مِنْ حَلَاوَةِ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ الْقَلَمُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَلَأَجَلَ هَذَا صَارَ السَّلَامُ سَنَةً وَالرَّدُّ فَرِيضَةً - وَتَسْتَمِرُّ الرِّوَايَةُ إِلَى أَنْ يَقُولَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي مَقْطَعٍ آخَرَ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ الطَّوِيلَةِ:

ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَرْشَ مِنْ ضِيَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا الْفَضْلُ وَالثَّانِي الْعَدْلُ ثُمَّ أَمَرَ الضِّيَاءَيْنِ فَانْتَفَسَا بِنَفْسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُمَا أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ الْعَقْلَ وَالْحِلْمَ وَالْعِلْمَ وَالسَّخَاءَ، ثُمَّ خَلَقَ مِنَ الْعَقْلِ الْخَوْفَ، وَخَلَقَ مِنَ الْعِلْمِ الرِّضَا، وَمِنَ الْحِلْمِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنَ السَّخَاءِ الْمَحَبَّةَ ثُمَّ عَجَنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فِي طِينَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ خَلَقَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالضِّيَاءَ وَالظَّلَامَ وَسَائِرَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ - الْحَدِيثُ عَنِ نُورِ مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ هَذَا الْوُجُودِ، حِينَئِذٍ يَأْتِي ذِكْرُهُ هُنَا فَهُوَ الْحَدِيثُ عَنِ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِهِ فِي طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ هَذَا الْوُجُودِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا - فَلَمَّا تَكَامَلَتِ الْأَنْوَارُ سَكَنَ نُورُ مُحَمَّدٍ تَحْتَ الْعَرْشِ - هَذِهِ مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِمُ وَالَّتِي أَشَارَتْ إِلَيْهَا الزِّيَارَةُ الْجَامِعَةُ الْكَبِيرَةُ: فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحَدِّقِينَ، هَذِهِ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْمَتَأَخَّرَةِ وَإِلَّا فَالْعَرْشُ مَتَأَخَّرٌ عَنِ الْحُجُبِ وَالْحُجُبُ مَتَأَخَّرَةٌ عَنِ نُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَصْلِ الطِينَةِ الْإِلَهِيَّةِ - فَلَمَّا تَكَامَلَتِ الْأَنْوَارُ سَكَنَ نُورُ مُحَمَّدٍ تَحْتَ الْعَرْشِ ثَلَاثَةَ وَسَبْعِينَ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أُنْتَقَلَ نُورُهُ إِلَى الْجَنَّةِ فَبَقِيَ سَبْعِينَ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَبَقِيَ سَبْعِينَ أَلْفَ

عام ثم أنتقل نوره إلى السماء السابعة ثم إلى السماء السادسة ثم إلى السماء الخامسة ثم إلى السماء الرابعة ثم إلى السماء الثالثة ثم إلى السماء الثانية ثم إلى السماء الدنيا فبقي نوره في السماء الدنيا إلى أن أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام - إلى آخر الرواية.

الرواية بهذا التفصيل الجميل تتحدث عن المظاهر التي لا حصر لها للحقيقة المُحمَّدية، والرواية هنا تحدثت عن جانبٍ من أوصاف هذه الطينة وهذه النورية الإلهية - وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ - هي هذه الطينة الإلهية المقدسة التي حدثنا عنها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه - وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهَّرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحَدِّقِينَ - محديقين أي محيطين وهذه مرتبةٌ من مراتبهم هي مرتبة إحاطتهم بالعرش، والروايات تحدثنا بأن العرش في هذه المرتبة الله سبحانه وتعالى زَيْنَةٌ بالحسن والحسين، زينة العرش الحسن والحسين، قرطا العرش كما تقول الروايات إن الله سبحانه وتعالى زين العرش بقرطين، والقرط واضحٌ معناه هو الحلي التي تلبسها المرأة وتضعها في أذنها، قرطا العرش الحسن والحسين، زينة العرش، وقنديل العرش كما في الروايات فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، قنديل العرش المشرق هي الزهراء، وأقراط زينة العرش حسنٌ وحسين، والأنوار المُحمَّدية والعلوية والمهدوية محدقةٌ ومحيطةٌ بالعرش هذا في طبقةٍ من طبقات الوجود وإلا فأنوارهم سبقت العرش وسبقت الحجب وأنوارهم هي النور الأول هو نور الأنوار الذي أشرقت منه كُُلُّ الأنوار.

وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ طَابَتْ وَطَهَّرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحَدِّقِينَ حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ - من علينا بكم في هذا العالم الأرضي، ومن قبل في عالم الدر عرضت ولايتهم وأنوارهم علينا - حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ - هذه البيوت بيوت النبي وآل النبي، وهذه البيوت في مظهرٍ من مظاهرها هي بيوتهم التي نسعى إليها ونستأذن للدخول فيها وإليها، ولكن المظهر الأعمق هم هذه البيوت المقدسة، هم بيوت الله العامرة، في رواياتنا إن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن يبني له بيتاً فبنى بيتاً، عمّر بيتاً، عمّر مسجداً، وثانيةً عمر وثالثةً ويأتي الأمر إلى إبراهيم أن يا إبراهيم عمّر لي بيتاً، قال يا ربي قد عمّرت بيوتاً، قال البيت الذي أقصده هو القلب قلب المؤمن، عمّر لي بيتاً، البيت الذي يريده الله سبحانه وتعالى الذي يطفح بالعمران هو القلب، ولذلك سماواتي وأرضي ما وسعتني ووسعني قلب عبدي المؤمن، البيوت الحقيقية هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولذلك في رواياتنا هذا هو المجلد الخامس من تفسير البرهان والحديث عمّا جاء في سورة النور المباركة، آية النور الله نور السموات والأرض، وهي الآية الخامسة والثلاثون ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةِ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نَوْراً عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ وتستمر الآية السادسة والثلاثون ﴿٢﴾ فِي بُيُوتِ أذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣﴾ هذه البيوت هي التي يحدثنا عنها أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية: عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت جالساً في مسجد الرسول فدخل رجلٌ فسلم فقال: من أنت يا عبد الله؟ فقلت: رجلٌ من أهل الكوفة فما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر مُحَمَّد بن علي؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه: قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها فما كان من حق أخذته وما كان من باطل تركته، قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحق والباطل؟! قال: نعم، قلت: فما حاجتك إليه؟! إذا كنت تعرف بين الحق والباطل، فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قومٌ ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر فأخبرني، فما انقطع كلامه حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج، فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريباً منه، قال أبو حمزة: فجلست حيثُ أسمع الكلام وحوله عالمٌ من الناس، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا ألفت إلى الرجل فقال له: من أنت؟

قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله عزَّ وجلَّ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حُجَجاً على خلقه فهم أوتادٌ في أرضه قُومٌ بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه أظلةً عن يمين عرشه قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام بن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحدٍ منهم ما اضطرب قدامك، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك؛ أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي بيوتِ أذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأنت ثم يا قتادة - يعني فأنت في هذه البيوت - ونحن أولئك - هذه البيوت نحن - ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين - هذه البيوت المذكورة في هذه الآية ما هي بيوت حجارة ولا طين - فقال له قتادة - قتادة ألفت إلى دقة المعنى في الآية، نحن أيضاً إذا التفتنا إلى الآية ﴿٤﴾ فِي بُيُوتِ أذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٥﴾ رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ﴿٦﴾ هذه البيوت

في حقيقتها ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ - قال: فأنت ثم يا فتادة - في هذه البيوت - ونحن أولئك، فقال له فتادة: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين.

الزيارة هنا تشير إلى هذه المضامين تشير إلى هذه المعاني - فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ - هذه البيوت في مظهر من مظاهرها هي بيوتهم التي نسعى إليها، وبيوتهم بالمعنى الأعمق كما تقول الروايات عن إمامنا الباقر عليه السلام إن مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ لَا يَجِدُونَ سَقْفًا لِبَيْوتِهِمْ غَيْرَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، تلك بيوت لها دلالة أخرى، قطعاً بيوتهم التي كانت في العالم الأرضي بيوت مستقفة بالقصب وبالأعمدة والطين والخشب واللبن ولكن هذه البيوت التي يتحدث عنها باقر العترة بأنهم لا يجدون لبوتهم سقفاً غير عرش الرحمن تلك دلالة أخرى أعمق وأبعد من كل هذه المعاني - فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ طَيِّبًا لِخَلْقِنَا، وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا، وَتَرْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا - هنا الحديث في الزيارة الجامعة عن آثار ولاية أهل البيت على نفوسنا وعلى أبداننا وعلى قلوبنا وعلى عواقب أمورنا - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ - الصلاة عليهم قد يراد منها الصلاة حينما نقول اللهم صل على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وقد يراد منها كل معاني التكريم والتبجيل والتقديس والتنزيه لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وقد يراد منها زيارتنا لهم من قريب ومن بعيد، زيارتنا باللفظ الظاهري وباللفظ الخفي، وقد يراد من هذه الصلاة النية الثابتة في قلوبنا للتسليم وللإستسلام وللسلامية لهم وللقطع ولليقين بأننا سنفي لهم بعقود الإمامة والولاية - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ - هذه الولاية في بعدها العقائدي القلبي وهذه الصلاة في بعدها اللفظي وفي بعدها العملي، لأن الصلاة ليست لفظاً فقط، الصلاة ألقاظ، الصلاة نوايا والصلاة عمل.

من لم يقدر على صلتنا كما في الروايات فليصل صالحنا، صلة أهل البيت وصلة صالحنا مواليتهم هي مصداق واضح من مصاديق الصلاة على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ طَيِّبًا لِخَلْقِنَا - هذه آثار تكوينية، هذا هو قانون التكوين والتشريع، العلاقة الوثيقة بين التكوين والتشريع - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ طَيِّبًا لِخَلْقِنَا - وإنما يطيب الخلق لأي شيء؟ يطيب الخلق لأجل أن تكون مادة هذا الخلق صالحة لأن تستقر في الجنان، وما معنى الشفاعة إلا هو نحو من أنحاء تطيب الخلقة للإنسان حتى يكون بإمكانه أن يدخل إلى عالم الجنان فعالم الجنان عالم له قوانين عالم له خصائص وشرائط، الطينة الطاهرة هي الطينة التي يمكن أن تكون في جنان رب العالمين، أما الطينة النجسة فهي التي لها محل آخر وهو محل النيران - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ

طيباً لِحَلَقِنَا، وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا - هذه الطهارة بنية الاستسلام والتسليم لأهل البيت - وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا وَتَرْكِيَةً لَنَا - التركية ما هو أعلى وأرقى من الطهارة - وَكَفَّارَةً لِدُنُونِنَا - المعنى الذي نقرأه في زيارة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ونحن نحاطب الإمام الحجة في زيارته الشريفة:

أَشْهَدُ أَنَّ بَوْلَايَتِكَ تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ، وَتُزَكَّى الْأَفْعَالُ، وَتُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ، وَتُمحَى السَّيِّئَاتُ فَمَنْ جَاءَ بَوْلَايَتِكَ وَأَعْتَرَفَ بِإِمَامَتِكَ قُبِلَتْ أَعْمَالُهُ وَصَدَّقَتْ أَقْوَالُهُ وَتَضَاعَفَتْ حَسَنَاتُهُ وَمُحِيتْ سَيِّئَاتُهُ وَمَنْ عَدَلَ عَن وِلَايَتِكَ وَجَهَلَ مَعْرِفَتَكَ وَاسْتَبَدَلَ بِكَ غَيْرَكَ كَبَّهَ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ وَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا وَلَمْ يُقِمِ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ مَلَائِكَتَهُ وَأَشْهَدُكَ يَا مَوْلَايَ بِهَذَا ظَاهِرُهُ كِبَاطِنُهُ وَسِرُّهُ كَعَلَانِيَتُهُ وَأَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ عَهْدِي إِلَيْكَ وَمِيثَاقِي لَدَيْكَ إِذْ أَنْتَ نِظَامُ الدِّينِ وَيَعْسُوبُ الْمُتَّقِينَ وَعِزُّ الْمُؤَحِّدِينَ وَبِذَلِكَ أَمَرَنِي رَبُّ الْعَالَمِينَ - هذه المعاني فُصِلت بنحو أكثر في زيارة الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ طيباً لِحَلَقِنَا، وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا، وَتَرْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِدُنُونِنَا، فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ - كنا عنده بعلمه وبعلم ملائكته وبعلم مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ - فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ - نحنُ نسلم لكم بعقولنا وبقلوبنا وبكلِّ ما هو في مداركنا وبكلِّ ما هو في وجودنا - فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ، وَمَعْرُوفِينَ بِتَصَدِيقِنَا إِيَّاكُمْ - معروفين في المألأ الأعلى.

الروايات تحدثنا عن الملائكة وكيف يتابعون أولياء أهل البيت، الروايات تحدثنا أن الملائكة تنزل إلى الأرض فتصعد، أفواج من الملائكة تنزل إلى الأرض فتصعد، فحينما يصعدون تهب منهم رائحة طيبة لم يعهدها أهل السماء، ملائكة آخرون يقولون من أين هذه الرائحة؟ يقولون لقد نزلنا إلى مجلسٍ جلس فيه أشياع أهل البيت وتحدثوا بفضلهم وذكروا شيئاً من مقاماتهم ومن مناقبهم كانوا يذكرون أهل البيت كان حديثهم في أهل البيت صلوات الله عليهم فتطينا من طيب تلکم المجالس، يقولون لهم أرشدونا في أي بقعة من الأرض؟ قالوا لقد تفرقوا، قالوا أرشدونا إلى المكان الذي كانوا قد اجتمعوا فيه لنذهب ونتطيب من نفس هذه الأمكنة، الروايات عن أهل البيت تحدثنا بأن أشياع أهل البيت يضيعون في الأرض للملائكة كما تُضيء هذه النجوم في السماء، أن الملائكة يرون نور أشياع أهل البيت، وهذا النور ليس للشيعه وإنما لما يحملونه من عقيدتهم بأهل البيت، هذا هو نور أهل البيت المُشرق في أشياعهم وفي أولياءهم - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ طيباً لِحَلَقِنَا، وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا، وَتَرْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِدُنُونِنَا، فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ، وَمَعْرُوفِينَ بِتَصَدِيقِنَا إِيَّاكُمْ - ثم تبدأ الزيارة ويبدأ الزائر بهذا الدعاء وهو مصداق من مصاديق الصلاة قبل قليل قرأنا - وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ - والصلاة في معنى من معانيها دعاءً

ورحة - فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمَكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ - لأن هذه المعاني هي أعلى ما نعرفه من المراتب - فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمَكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ، وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ - إلى أعلى المنازل، حينما نقول اللهم صل على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ هذه الكلمة تحدثنا وتعبّر عن أي معنى، عن أي دلالة؟ عن أنهم قد وصلوا إلى الله، وهم الصلة فيما بيننا وبين الله، هذه الفقرات هي تشرح معنى الصلاة على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ في وجه من وجوهها، لأن الزيارة قبل قليل قالت: وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ - الآن الزيارة تشرح مضمون هذه الصلاة في وجه من وجوهها - فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمَكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ - والمكرمون هم، والمقربون هم، وأعلى المنازل هم في هذه المنازل، لكننا لا نجد عبارات تعبر عن ما وراء هذه المعاني.

الزيارة هي قولٌ بليغٌ كاملٌ صادرٌ عن المعصوم عليه السلام لكن تبقى الألفاظ محدودة بقوانين الألفاظ، وتبقى اللغة والجمل والعبارات والكلمات محدودة بقوانين اللغة واللغة محكومة أيضاً بأعرافها اللغوية وبأعرافها المجتمعية وبأعرافها الثقافية، لكل لغة أعراف لغوية وأعراف مجتمعية وأعراف ثقافية تنشأ من نفس اللغة من نفس المجتمع الذي يتكلم بهذه اللغة ومن نفس الثقافة التي تسيطر على أبناء ذلك المجتمع، اللغة عبارة عن منظومة فيها مجموعة من القواعد مجموعة من الأعراف مجموعة من القوانين، منها ما يتعلق بنفس اللغة بما هي لغة، ومنها ما يتعلق بنفس المجتمع وأساليب الحياة في المجتمع، ومنها ما يتعلق بثقافة ذلك المجتمع - فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمَكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ - لا يلحقه لاحق نحن مر علينا في حلقة يوم أمس - فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ - وقلت بأن اللاحقية هنا بدرجة تتناسب وذلك المخلوق الذي يلحق بهم، الحقيقة نحن لا نستطيع أن نلحق بهم، هذه اللاحقية مجازية هنا - فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ - لذلك الزيارة تشير إلى هذه الحقيقة - حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ - من الذي يكون بدرجة مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ؟ - حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ - الفائق هو المتفوق، والمتفوق هو الذي يحمل الصفات النادرة، يحمل أجمل الصفات - وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ - أصلاً مهما أوتي الإنسان من قدرة على الطمع فإنه لن يستطيع أن يطمع في تلکم المنازل لأنه على وجه اليقين والقطع بأنه لن ينال شيئاً، لأن الطمع لا بد أن يكون له سبب أو مُبرر يجعل الإنسان يطمع في هذا الشيء، وإلا إذا كان الإنسان يطمع بشي لا يستطيع أن يصل إليه فذلك لا يقال له طمع وإنما هو ضرب من ضروب الجنون أو مرض نفسي.

فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَارْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ، حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صَدِيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا ذَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ - أَعْتَقَدُ أَنَّ الْعِبَارَاتِ وَالْكَلِمَاتِ هُنَا وَاضِحَةٌ لَكِنْ بَعْضُ الْأَلْفَافِ قَدْ تَكُونُ غَيْرَ وَاضِحَةٍ أَيْبِنُ مَعْنَاهَا - حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ - الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكُرُوبِيُّونَ، الْمَلَائِكَةُ الرُّوحَانِيُّونَ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ بِحَسَبِ مَا بَيَّنَّتْ لَنَا رَوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ - حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صَدِيقٌ وَلَا شَهِيدٌ - الصَّدِيقُ الَّذِي بَلَغَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ وَليْسَ بِنَبِيٍّ - وَلَا شَهِيدٌ - وَالْمُرَادُ مِنَ الشَّهِيدِ هُنَا لَيْسَ الَّذِي اسْتَشْهَدَ فِي مَعَارِكِ الْجِهَادِ، الْمُرَادُ مِنَ الشَّهِيدِ الَّذِي لَهُ مَرْتَبَةُ الشَّهَادَةِ عَلَى أُمَّتِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَوْلِيَاءُ، الْأَنْبِيَاءُ، الْأَوْصِيَاءُ وَمَنْ كَانَ فِي دَرَجَتِهِمْ - حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صَدِيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا ذَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ - الَّذِي هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ صِفَةَ الدَّنَاءَةِ وَصِفَةَ الدَّنَاءَةِ هِيَ الْحَقَارَةُ - وَلَا ذَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ - الْجَبَّارُ الْعَنِيدُ هَذَا الْاسْتِعْمَالُ إِنْ كَانَ فِي الْفَهْمِ الْقُرْآنِيِّ أَوْ فِي فَهْمِ حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ هُمُ أَوْلَئِكَ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ ادْعَوُا الْإِلَوهِيَّةَ وَأَمَرُوا النَّاسَ بِعِبَادَتِهِمْ، الطَّوَاغِيتُ - وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ - الْمَرِيدُ هُوَ الشَّدِيدُ الْمُرَادَةُ، وَالشَّدِيدُ الْمُرَادَةُ هُوَ الشَّدِيدُ الْحُبْتُ وَشَدِيدُ الشَّرِّ - وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، وَلَا خَلَقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ - هَذِهِ كُلُّ الْإِحْتِمَالَاتِ الْمُمْكِنَةِ بِحَسَبِ اللَّغَةِ بِحَسَبِ الْأَعْرَافِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَتْ الْإِحْتِمَالَاتُ مَفْتُوحَةٌ - وَلَا خَلَقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ - جَمِيعُ الْمَرَاتِبِ كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ مِنْ أَنَّهُمْ حُجَّجَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَمَا بَعْدَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صَدِيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا ذَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، وَلَا خَلَقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكَبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصَدَقَ مَقَاعِدِكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ، وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ - هَذَا هُوَ نَهَايَةُ الْمَقْطَعِ الَّذِي نَتَنَاوَلُهُ فِي هَذِهِ الْحَلْفَةِ، كُلُّ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْخَلْقِيَّةِ الَّتِي مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا وَالَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَهَا، وَكُلُّ الْمَرَاتِبِ الْخَلْقِيَّةِ الْأُخْرَى الَّتِي لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَصَوَّرَهَا وَإِنَّمَا جَاءَ ذِكْرُهَا - وَلَا خَلَقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ - وَلَا خَلَقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَشْهَدُ؟ يَشْهَدُ عَلَى حَقِيقَةِ مَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَوْجَدَهُ فِي أَصْلِ الْكَائِنَاتِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ مَا وَجَدَتْ إِلَّا لِأَنَّهَا أَشْرَقَ فِيهَا نُورُ مُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وآله وسلم - **إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ** - متى يكون هذا التعريف؟ هذا التعريف هو في باطن حقائق الأشياء، ولذلك هذه الأشياء حتى الخلق الذين يُظهرون المعصية بظاهر خلقهم هم في باطن حقائقهم ينقادون لولايتهم التكوينية، حتى أعداء أهل البيت صحيح في الطبقة الدنيوية وفي الطبقة الترابية للعالم البشري هناك عنادٌ من أعدائهم لكن بما أنهم موجودات هم ينقادون لولايتهم التكوينية، لو أراد أهل البيت أن يتصرفوا بولايتهم التكوينية في هذه الموجودات المعادية وهناك مصاديق كثيرة في حياتهم حدثت، وكتب الحديث والأخبار تتحدث عن مصاديق كثيرة تتناول هذا المعنى وتدور حول هذا المضمون.

هذا التعريف يكون في أصل الحلقة، وهذا التعريف سيكون في مقاطع من هذه الحياة وكُلِّ بحسبه، وهذا التعريف سيكون في يوم القيامة حين تتجلى الحقائق وتتكشف الأمور ويكون هذا التعريف في كُـلِّ عالم بحسبه وفي كُـلِّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود بحسب تلکم الطبقة - **إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ** - والخطر هو المنزلة والمكانة، والخطر في أصله هو وعاء، الخطر من جملة معاني الخطر هو الوعاء - **وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ** - وعظم وعاءكم، وعظم منزلتكم - **إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكَبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ** - ومر علينا في المقاطع الخمسة الأولى حينما سلّمنا عليهم - **وَالتَّامِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ** - وإنما كانوا تامين لتامة نور الله الظاهرة فيهم - **وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ** - هذه المقامات التي جاءت الإشارة إليها في دعاء شهر رجب:

أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كُـلِّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك - حين نقرأ هنا: **وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ** - ثبات هذه المقامات وهنا المشار إليه في هذا الدعاء الشريف المروي عن الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه - **أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها** - مقامات ثابتة، نقرأ هنا: **وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ** - ومقاماتك التي لا تعطيل لها - لا تعطيل لها يعني مقامات ثابتة، لا تعطيل لها في كُـلِّ مكان، وإنما هي ثابتة في كُـلِّ مكان - يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك - إلى أن يستمر الدعاء فيقول: **فيهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك** - هناك مقامات وعلامات لله سبحانه وتعالى، وتلك المقامات والعلامات هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومر علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَأَعْلَاماً لِعِبَادِهِ، وَمَنَاراً فِي بِلَادِهِ** - هناك علامات وهناك مقامات - **وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكِرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ، وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ** - نحن نقرأ في دعاء علقمة المروي عن إمامنا الباقر صلوات

الله وسلامه عليه والذي يُقرأ بعد زيارة عاشوراء، نقرأ في هذا الدعاء.

أسألك بحق مُحَمَّد خاتم النبيين وعليّ أمير المؤمنين وبحق فاطمة بنت نبيك وبحق الحسن والحسين فإنني بهم أتوجه إليك في مقامي هذا وبهم أتوسل وبهم أتشفع إليك وبحقهم أسألك وأقسم وأعزم عليك وبالشأن الذي لهم عندك وبالقدر الذي لهم عندك وبالذي فضلتهم على العالمين وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين - هذا الاسم الجامع للحروف الثلاثة والسبعين - وبأسمائك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين - لا يملكه أحد من الخلائق دونهم صلوات الله عليهم - وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين وبه أبتهم وأبنت فضلهم - يعني جعلتهم خلقاً أخرى، منزلةً أخرى - وبه أبتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين حتى فاق فضلهم فضل العلمين جميعاً - هو نفس هذا الكلام الموجود هنا: حتى لا يبقى ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسلٌ - إلى أن تقول الزيارة - وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعَظَمَ خَطَرِكُمْ وَكَبَّرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصَدَقَ مَقَاعِدِكُمْ، وَثَبَّتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلَّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ، وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ - هذه العبارة هنا: وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ، هذه تطوي كل المعاني التي نُشرت في العبارات السابقة، فهم لهم المنزلة القريبة وهم المنزلة الخفيفة وهم الدرجة الخاصة - وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ - حينما يُذكر الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون باعتبارهم النماذج التي نحن نعرفها بأنهم أفضل النماذج في خلق الله سبحانه وتعالى.

حين نقرأ في روايات وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إمامنا العسكري ماذا يقول؟ هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي، ماذا يقول إمامنا العسكري؟ - إن ولاية مُحَمَّد هي الغرض الأقصى والمُراد الأفضل ما خلق الله أحداً من خلقه ولا بعث أحداً من رسله إلا ليدعوهم إلى ولاية مُحَمَّد وعليّ وخلفائه ويأخذ به عليهم العهد ليقوموا عليه وليعمل به سائر عوام الأمم - الكلام واضح - إن ولاية مُحَمَّد هي الغرض الأقصى والمُراد الأفضل.

في الرواية عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه، الرواية طويلة أذكر منها موطن الحاجة وهو يتحدث عن قصة أبينا آدم، آدم عليه السلام بعد أن رأى الأشباح المقدسة، فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبرياتي، هذا مُحَمَّد وأنا الحميدُ المحمود في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطم السموات والأرضين فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمّا يعترتهم ويشينهم فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً

من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أئيب، فتوسّل إلي بهم يا آدم وإذا دهتك داهيةً فأجعلهم إلي شفعاك - إلى آخر الكلام - هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أئيب - وإلى هذا تشير الزيارة الجامعة الكبيرة - وخاصّتكُم لديهِ، وَقَرَبَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ.

الرواية عن إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه، الرواية طويلاً أخذ منها موطن الحاجة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية الإمام العسكري عليه السلام - لَمَّا بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ وَأَصْطَفَاهُ نَجِيًّا وَفَلَقَ لَهُ الْبَحْرَ وَنَجَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ وَالْأَلْوَابِحَ رَأَى مَكَانَهُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا رَبِّ لَقَدْ أَكْرَمْتَنِي بِكَرَامَةٍ لَمْ تُكْرَمْ بِهَا أَحَدًا قَبْلِي، فَقَالَ اللهُ جَلَّ جلاله: يَا مُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَفْضَلُ عِنْدِي مِنْ جَمِيعِ مَلَائِكَتِي وَجَمِيعِ خَلْقِي، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّي فَإِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَكْرَمَ عِنْدَكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ فَهَلْ فِي آلِ الْأَنْبِيَاءِ أَكْرَمَ مِنْ آلِي؟ قَالَ اللهُ جَلَّ جلاله: يَا مُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَضْلَ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَى جَمِيعِ آلِ النَّبِيِّينَ كَفَضْلِ مُحَمَّدٍ عَلَى جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّي فَإِنْ كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ كَذَلِكَ فَهَلْ فِي أُمَّةٍ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ عِنْدَكَ مِنْ أُمَّتِي؟ ظَلَمْتَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَالسَّلْوَى وَفَلَقْتَ لَهُمُ الْبَحْرَ، فَقَالَ اللهُ جَلَّ جلاله: يَا مُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَضْلَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ كَفَضْلِهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّي لَيْتَنِي كُنْتُ أَرَاهِمُ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَنْ تَرَاهِمَ فَلَيْسَ هَذَا أَوْانَ ظُهُورِهِمْ وَلَكِنْ سَوْفَ تَرَاهِمَ فِي الْجَنَانِ جَنَاتِ عَدْنِ وَالْفَرْدَوْسِ بِحَضْرَةِ مُحَمَّدٍ فِي نَعِيمِهَا يَتَقَلَّبُونَ وَفِي خَيْرَاتِهِ يَتَبَحَّحُونَ، أَفْتَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَكَ كَلَامَهُمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ إِلَهِي، قَالَ اللهُ جَلَّ جلاله: قُمْ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَشْدُدْ مِيزْرَكَ قِيَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مُوسَى، فَنَادَى رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ فَأَجَابُوهُ كُلَّهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ: لَبِّكَ اللَّهُمَّ لَبِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبِّكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمَلِكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَجَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْإِجَابَةَ شِعَارَ الْحَجِّ.

روايةً وأكتفي بها كي أختتم الحديث، الرواية عن إمامنا الرضا ينقلها شيخنا المجلسي عن الشيخ الصدوق بأسانيدِهِ: عَنِ الْإِمَامِ الرُّضَا عَنْ آبَائِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنْ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا رَبِّي اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ - لَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ يَعْنِي إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَإِلَّا فَمُوسَى مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أَشْيَاعِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ - إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ - لَا تَصِلُ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِ اللهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وأحاديث أهل البيت في هذه المضامين وفي هذه الفحوى كثيرة جداً، كتب الحديث إذا أردنا أن نراجعها على سبيل المثال إذا أردنا أن نراجع الكتب الأربعة الكافي، الفقيه، التهذيب، الاستبصار، فإننا سنجد الكثير من هذه المعاني في هذه الكتب الأربعة، إذا أردنا أن نراجع كتب الشيخ الصدوق، المجاميع التي كتبها الشيخ الصدوق مثل كتاب التوحيد، مثل كتاب الخصال، معاني الأخبار، كمال الدين وتمام النعمة وغير ذلك من كتبه، هناك مجموعة كبيرة من كتب الحديث جمعها الشيخ الصدوق وهي مشحونة بهذه الأحاديث، كتب الحديث التي جمعها الشيخ المفيد، ابن قولويه، ابن أبي زينب النعماني، الشيخ الطوسي وأضراجهم كوالد الشيخ الصدوق، كتب الحديث هذه كلها مشحونة بمثل هذه المضامين، المجاميع الحديثية مثل وسائل الشيعة، مستدرك الوسائل، الوافي للفيض الكاشاني، وحتى المستدرجات التي كتبت على مستدرك الوسائل، بحار الأنوار، مستدرجات بحار الأنوار، مثل سفينة البحار وما استدركه المحدث النماذ الشهرودي أيضاً، عوالم العلوم وسائر الكتب الحديثية الأخرى مثل المجاميع التفسيرية، مثل تفسير البرهان للمحدث السيد هاشم البحراني أو نور الثقلين للمحدث الحويزي العروسي رضوان الله تعالى عليه، وغير ذلك من كتب التفسير المعروفة كتفسير علي بن إبراهيم القمي أو تفسير العياشي أو تفسير فرات بن إبراهيم أو غير ذلك من كتب التفسير ومن كتب الحديث، المزارات كتب الزيارات وكتب الأدعية، الصحائف السجادية، الصحائف العلوية وسائر كتب المزارات التي جمعها علمائنا رضوان الله تعالى عليهم، كل هذه النصوص بما فيها نهج البلاغة ومستدرجات نهج البلاغة وخطب أمير المؤمنين المبنوثة والمنتشرة في الكتب المختلفة، كل ذلك مشحون بمثل هذه المعاني ويمثل هذه المضامين، هذه الروايات التي أوردتها والتي أوردتها ليست روايات يتيمة أو مفردة كتب الحديث وهذه المجاميع الحديثية مشحونة بمثل هذه الروايات، إذا كان هناك البعض يجهل بسبب عدم إطلاعهم على كتب الحديث هذه فما ذنبنا نحن؟ وما ذنب أهل البيت؟

أهل البيت صلوات الله عليهم تحدثوا الكثير الكثير عن مثل هذه المضامين - **إِلَّا عَرَفْتُمْ جَلَالََةَ أَمْرِكُمْ** - سادتي آل مُحَمَّد - **وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكَبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ، وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ** - بهذا يتم الكلام في هذه الحلقة وهي السابعة والعشرون، يوم غد إن شاء الله الحلقة الثامنة والعشرون أتناول مقطعاً جديداً من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة، أحباب علي وآل علي ألقاكم على محبة ومودة الزيارة الجامعة الكبيرة، ألقاكم على مودة ومحبة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم جميعاً أسألکم الدعاء، في أمان الله.

الحلقة الثامنة والعشرون

معنى **بِأبي أُنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي**

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركاتٌ أحباب عليٍّ وآل عليٍّ أشياخ الحُجَّةِ بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، بين أيديكم الحلقة الثامنة والعشرون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، أتناولُ في هذه الحلقة مقطعاً جديداً من زيارتنا الجامعة الكبيرة، إذا كان الكلام الذي تقدمُ يتناولُ جوانب من مقامات أهل بيت العصمة وشيئاً من شؤوناتهم الغيبية المقطع الذي سأتناوله في هذه الحلقة يتحدث عن شيعتهم وبعبارةٍ دقيقة المقطع هذا هوية التشيع، كما أنَّ الزيارة الجامعة الكبيرة قولٌ بليغٌ كامل في بيان منازل أهل البيت فإنها قولٌ بليغٌ كامل في توضيح معنى الشيعي، من هو الشيعي؟ الشيعي هو الذي يرسمُ هذا المقطع صورته الكاملة، لنستمع إلى الزيارة ولنتدبر في فقرات هذا المقطع:

بِأبي أُنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي، أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بَعْدُوكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةٍ مَن خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَلَاوِلْيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ، سَلِمٌ لِمَن سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَن حَارَبَكُمْ مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقَرٌّ بِفَضْلِكُمْ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ زَائِرٌ لَكُمْ لَائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ وَمُقَدِّمٌ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي، مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوْلَكُمْ وَآخِرِكُمْ وَمَفُوضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ، وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِي اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ وَيُرِدَّكُمْ فِي أَيَّامِهِ وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ وَيَمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَكُمْ وَوَبَّرْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَمَنْ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ الجَاهِدِينَ لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ وَالْعَاصِيِينَ لِإِرْتِكُمْ الشَّاكِينَ فِيكُمْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ وَمَنْ كُلِّ وَلِيَجَةِ دُونِكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ، وَمَنْ الْأَيْمَةَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، فَتَبَّتْني اللَّهُ أَبَداً مَا حَيَّتْ عَلَيَّ مُوَالَاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ وَوَقْفَتِي لِطَاعَتِكُمْ وَرَزَقَتِي

شَفَاعَتِكُمْ وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمْ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَيُحَشِّرُ فِي زُمْرَتِكُمْ وَيَكْرِ فِي رَجَعَتِكُمْ وَيُمَلِّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشْرِفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَيُمْكِنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَتَقْرُ عَيْنُهُ غَدَاً بِرُؤْيَتِكُمْ.

صلوات الله عليكم ولعنة الله على أعدائكم والشاكرين فيكم والمنحرفين عنكم ومن كل وليجة دونكم، سادتي آل مُحَمَّد سيدي بقية الله إمام زماني صلوات الله عليك هذا هو ديني ومعتقدي وهذه هي هويتي، هذه هي هوية التشيع، أيُّ شيعي لا يجدُ هذه المعاني في نفسه وفي قلبه فليراجع تشيُّعه، هذه صفةُ الشيعي، وهذه الصورةُ هي الصورةُ الشيعية الكاملة لا في أعلى الرُتب وإنما في أدنى الرُتب، أليس هناك صور تُرَكَّب من أجزاء، هناك الكثير من الصور واللوحات في حياة الناس تُرَكَّب من أجزاء وإذا لم تجتمع كُلُّ هذه الأجزاء ولم يكن كُلُّ جزءٍ في محلِّه الصحيح فإنَّ الصورة ستكون مُشوَّهة، الصورة الكاملة التي تجتمع أجزائها بشكلٍ هندسيٍّ صحيح بحيث يكون كُلُّ جزءٍ من أجزاء هذه الصورة في موقعه المُلائم والمناسب هي هذه الصورة الشيعية هوية التشيُّع، هوية التشيُّع هذه المعاني والأوصاف، يا أشياعَ الحُجَّةِ بن الحسن إذا أردتم أن تَزِنُوا تَشِيْعَكُمْ فهذه هي الزيارة الجامعة الكبيرة قولُ إمامكم الهادي وهذا هو القول البليغ الكامل في وصف الأئمة وفي وصف أشياعهم، إذا أردتم أن تَزِنُوا تَشِيْعَكُمْ فهذا هو الميزان، وهذه هي الصورة في حدها الأول، الدرجة الأولى المرتبة الأولى للتشيع هو هذه الصورة الكاملة وبعد ذلك تأتي المراتب الأرقى، حينَ نُسَلِّمُ على سلمانَ الفارسي فنقول: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ العَاشِرَةِ، وهي الدرجة العاشرة من درجات الإيمان، أولُ هذه الدرجات هي هذه الصورة الموجودة، إذا كان التشيع الذي نُحْمَلُهُ لا يتصفُ بهذه الأوصاف ولا يشتملُ على هذه الأجزاء فذلك تشيُّعٌ مثقوبٌ فذلك تشيُّعٌ معيبٌ فذلك تشيُّعٌ ناقصٌ، التشيع في صورته الكاملة وفي الدرجة الأولى في أقل المراتب هو هذه المعاني التي أشارت إليها الزيارة الجامعة الكبيرة.

نَحْنُ فِي يَوْمِ أَمْسٍ مَرَّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نُحَاطِبُ الأئمة: وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ - مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ هُوَ الفَائِزُ - وَأَمِنْ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ - الذي يلجأُ إليكم هو الآمن - وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ - هذه الأوصاف كيف تتحقق عملياً؟ عملية الفوز - وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ - كيف يتحقق معنى التمسُّك بهم حتى يترتب عليه معنى الفوز - وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ - التمسُّكُ أولاً يأتي بعده الفوز - وَأَمِنْ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ - اللجوءُ إليهم أولاً ثُمَّ يأتي الأمانُ والأمان - وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ - التصديقُ أولاً فتأتي السلامة والسلامية بعد ذلك - وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ - الاعتصامُ بهم أولاً وقرآناً في المقاطع التي قبل هذه العبارات: وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ - مرَّ كُلُّ ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، إذا كيف نتمسُّكُ بأهل البيت؟ وكيف نلجأُ إليهم وكيف نُصدِّقُهم وكيف نعتصمُ بهم، المقطع هنا الذي قرأته على مسامعكم

هو الذي يُفَصِّلُ لنا هذه المعاني، العبارة السابقة كانت عبارة عن طيٍّ للمعنى والمقطع هذا هو عبارة عن نشرٍ لتلك المعاني التي طويت في تلك العبارة المختصرة - **وَفَارَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهَدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ** - هذا طيٌّ نشره هو هذا الذي قرأته على مسامعكم، المقطع يتدئ: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي**، وسنلاحظ بأن ما بقي من الزيارة الجامعة الكبيرة هو عبارة عن مقطعٍ أتناوله اليوم وعن مقطعين أتناول الثاني غداً والمقطع الأخير أتناوله إن شاء الله تعالى في يوم السبت، كل مقطع من هذه المقاطع المتبقية يتدئ بهذه العبارة: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي**، هذا المقطع يتدئ بهذه العبارة، المقطع الثاني الذي سأشرع فيه في يوم غد أيضاً يتدئ بالعبارة: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي**، وكأن هذه العبارة فاصلة لبداية مقطعٍ جديد ولبداية حزمةٍ جديدة من المعاني، والمقطع الثالث أيضاً يبدأ: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي**.

المقطع الذي بين أيدينا: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي**، الكلام هنا عن الأب، عن الأم، عن الأهل والأهل هم الأسرة العائلة، ومالي وأُسْرَتِي، الأهل في بعض الأحيان تستعمل في الأسرة الخاصة يعني العائلة الصغيرة القريبة من الشخص عائلته الخاصة زوجته وأولاده، وفي بعض الأحيان تستعمل في أكثر من هذا المعنى في دائرة أوسع - **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي** - هنا يُراد من الأهل هم الأرحام من الدرجة الأولى - **وَمَالِي وَأُسْرَتِي** - الأسرة هي الأسرة الخاصة بالشخص وزوجته وأولاده، أما أهلي فهم أرحامي من الدرجة الأولى كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والأجداد والجندات هؤلاء الطبقة الأولى وما يتفرع عنهم بعد ذلك ستكون هناك طبقات، الكلام هنا لا عن طبقات الموارث، طبقات الموارث لها خصوصياتها، إنما أتحدث عن طبقات الأرحام في النسبة الاجتماعية والنسبة الرحمية - **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي** - يعني أرحامي - **وَمَالِي وَأُسْرَتِي** - مالي كلُّ شيءٍ أملكه، المال هنا لا تُطلق على الشيء المادي، تُطلق على الشيء المادي وحتى على الشيء المعنوي، فما عند الإنسان من جاهٍ ومن كرامةٍ وكذلك ما عنده من عافيةٍ وصحةٍ وسلامةٍ وما عنده وما عنده مما منَّ الله به عليه في جانب المادة أو في جانب المعنى كُلُّه يقع تحت هذا العنوان.

هذه هي الأشياء التي تعتمد عليها حياة الناس، وفي الغالب فإن الأشياء هي العلاقة الأولى الدرجة الأولى من العلاقات اليومية إنما تدور حول هذه العناوين: العواطف والاهتمام والحفظ والحماية والسعي لتحقيق كل هذه المعاني حول هذه العناوين: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي** - وواضح التقدير هنا أفديكم أئمتي وسادتي - **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي** - قطعاً هنا ليس مساواة بين الأئمة وبين الإنسان كيف يُعبّر عن حُبِّه لأهل البيت وعن استعداده بالتضحية بكلِّ غالٍ ونفيس فهو يحتاج إلى ألفاظٍ ويحتاج إلى معانٍ تعارف عليها الناس، تعارف الناس على أن يُقدِّوا العزيز الأعز بما هو عزيزٌ وغالٍ عندهم، وأعزُّ ما

عند الإنسان هي هذه العناوين: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي** - وهذا الخطاب هو خطاب التفدية الذي يكشف عن عِزَّة أهل البيت وعن غلاء أهل البيت عند هذا الزائر الذي يُخاطبهم وذلك يكشف عن حُبِّهم، هذا خطابٌ إنما ينشأ ويتفرَّع عن الحُبِّ وعن الرحمة، فهناك حُبٌّ في قلوب الأولياء أولياء أهل البيت اتجاه أهل البيت وهناك رحمةٌ، هناك حُبٌّ هناك مودَّةٌ هناك رحمةٌ اتجاه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأننا أيضاً نستشعرُ مودَّة أهل البيت لنا ونستشعرُ حُبَّ أهل البيت لنا ونستشعرُ رحمة أهل البيت لنا وعطف أهل البيت لنا وشفقة أهل البيت علينا، كلُّ هذه المعاني نحن نستشعرها وإنما هم يبادلونها بما هو أعظم وما هو أكبر مما في نفوسنا الضيقة ومما في عواطفنا المحدودة.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ، لماذا أشهدُهم؟ لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي قرَنَ شهادتهم بشهادته ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الله سبحانه وتعالى هو الذي قرَنَ شهادتهم بشهادته ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الله سبحانه وتعالى قرَنَ رؤيته لأعمالنا برويتهم صلوات الله عليهم ولذلك قرَنَ شهادته بشهادتهم، الشاهد لا بد أن يكون حاضراً، لا بد أن يكون عالماً، لا بد أن يكون رانياً وسامعاً، ولذلك هم في هذه المنزلة في هذا المقام هم في مقام من لا تشبهُ عليه الأصوات، وإلا كيف نُشهدُهم؟

حين نخاطبهم: **أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ**، هذا الخطاب أوجهه إلى رسول الله إلى أمير المؤمنين إلى الزهراء وأولاد الزهراء إلى ابن الزهراء في أيامنا هذه إلى الحُجَّة بن الحسن - **أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ** - لأنني أُفِرُّ وأوقِنُ بأنكم تسمعون كلامي بل تعلمون به قبل أن يصدرَ من لساني، سادتي آل مُحَمَّد، إنكم تعلمون ما أريد أن أقول، إنكم تعرفون وتُحيطون بكل نية أنا أنويها - **أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ** - رؤيتكم مُحيطَةٌ ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى

اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ لو لم تكن رؤيتكم مُحيطَةٌ لصار كلامُ القرآن لغواً، كيف يُخاطبنا القرآن بأنَّ المؤمنين هؤلاء سيرون أعمالنا مع الله ومع رسوله، لو لم تكن رؤية رسول الله ورؤية هؤلاء المؤمنين رؤية إحاطية، كيف يُخاطبنا القرآن بهذا الخطاب، إن لم تكن كذلك فإنَّ كلام القرآن سيكون لغواً حينئذٍ وحاشا

للقرآن أن يكون كذلك، لهذه الرؤية الإحاطية كانت هناك الشهادة ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ

عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ذلك الذي مرت الروايات في الحلقات الماضية التي حدَّثتنا بأن الذي عنده علم الكتاب ذلك الذي عنده الأسم الأعظم بكل خصائصه وبكل أسرارِهِ وذلك أمرٌ خاصٌّ بهم بل هم في المحلى الأصلي وفي المحلى الأول هم الأسم الأعظم، لكننا حين نقول بأنهم يملكون الأسم الأعظم وبأنَّ

عندهم الأسم الأعظم إنما نتحدث عن وجودهم في العالم الأرضي وعن مقام إمامتهم الأرضية - أشهد الله وأشهدكم - سادتي آل مُحَمَّد - أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ - قدرته الإدراك الموجودة عندي متعلقة بكم، قدرته الإدراك، إن كان ذلك في عقلي، إن كان في عقلي الذي هو في مقام الحجة وإن كان هو في مقام العقل التحريبي وإن كان ذلك في قلبي ووجداني وضميري وإن كان ذلك في بصيرتي وإن كان ذلك فيما أملكه من حواسٍ ومن أي نوعٍ من أنواع الإدراك، من علمٍ حصوليٍّ أو من علمٍ حضوريٍّ بنفسي وما يدور في نفسي، كلُّ هذه تُقَرُّ وتدعُن لكم وبكم وإليكم وعليكم، تُقَرُّ عليكم بتوكلي عليكم وبعتمادي عليكم وبلجوني إليكم، أنا حين أُحاطِبُ إمام زماني صلوات الله وسلامه عليه، كيف أُحاطِبُهُ؟ أُحاطِبُ إمام زماني:

فَلَوْ تَطَاوَلَتِ الدَّهْرُ وَتَمَادَتِ الأَعْمَارُ لَمْ أزدْ فِيكَ إِلَّا يَقيناً وَلَكَ إِلَّا حُبّاً وَعَليكَ إِلَّا تَوَكُّلاً وَعَتماداً وَلظهورَكَ إِلَّا تَوَقُّعاً وَانتظاراً وَلجهادي بَينَ يَدَيكَ إِلَّا تَرَقُّباً فَأبذِلْ نَفسي وَمالي وَوَلدي وَأَهلي وَجميع ما حَوَّلني رَبِّي بَينَ يَدَيكَ وَالتَّصَرُّفِ بَينَ أَمرك وَنهيكَ، مَولاي فَإِن أَدركتُ أَيامَكَ الزَّاهِرَةَ وَأَعلامَكَ الباهِرَةَ فَها أَنَا ذَا عَبدِكَ المُتَصَرِّفِ بَينَ أَمرك وَنهيكَ، أَرجو بِهِ الشَّهادَةَ بَينَ يَدَيكَ وَالفَوزَ لَدَيدِكَ، مَولاي فَإِن أَدركني المَوتَ قَبلَ ظَهورِكَ فَإِنِّي أَتوسَّلُ بِكَ وَبِأَبائِكَ الطاهِرِينَ إِلى اللَّهِ تَعالى وَأَسألهُ أَن يُصليَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَن يَجعلَ لِي كَرامةً فِي ظَهورِكَ وَرَجعَةً فِي أَيامِكَ لِأَبلَغَ مِن طاعَتِكَ مُرادِي.

أَشهدُ اللَّهُ وَأَشهدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِما آمَنتُم بِهِ، إِنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ آلِ مُحَمَّدٍ وَبِما آمَنتُم بِهِ، أَنَا مُسَلِّمٌ لَكُمْ، القَولُ مِنِّي قَولُكُمْ فِيمَا بَلَغني عَنكُمْ وفِيمَا لَمْ يَبلغني، فِيمَا أُسرَرتُم وفِيمَا أعلَنتُم - أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِما آمَنتُم بِهِ - حَتى لو لَمْ أَعلمَ بِأَي شَئٍ آمَنتُم بِهِ، لِأَنني لا أَستطيعُ أَن أؤمنَ بِكُلِّ ما آمَنتُم بِهِ، أَيُّ قَلبٍ وَأَيُّ عَقلٍ يَستطيعُ أَن يؤمنَ بِكُلِّ ما تَؤمَنونَ بِهِ، لَكنني أُسَلِّمُ بِعَقلِي وَبِقَلبي لِما تَؤمَنونَ - أَشهدُ اللَّهُ وَأَشهدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِما آمَنتُم بِهِ - عَلمتُ بِذلكَ أَم لَمْ أَعلمَ، أَستطاعَ عَقلِي وَقَلبي وَمدارِكي أَن تُحيطَ عَلماً بِهِ فِي يَومٍ مِن الأَيامِ أَم لَمْ أَستطعَ ذلكَ - أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِما آمَنتُم بِهِ - لِأَنني عَلى يَقينٍ بِأَنَّكُمْ وَجَّهُ اللَّهُ لِأَنني عَلى يَقينٍ بِأَنَّ مَن أَرادَ اللَّهُ فلا بُدَّ أَن يَبدأ بِكُمْ، وَمَن قَصدَ اللَّهُ سَبحانَهُ وَتَعالى فلا بَدَّ أَن يَتَوجَّهُ بِكُمْ، وَمَن أَرادَ اللَّهُ سَبحانَهُ وَتَعالى وَوحدَهُ فلا بَدَّ أَن يَقَبَلَ مِنكُمْ، أَنتُم البَابُ الَّذي فَتَحَهُ اللَّهُ لَنا وَأَنتُم النورُ الإلهي الَّذي يُرشدنا فِي كُلِّ زاوِيَةٍ مِن زاوِيا حَياتنا، إِليكم أَنظارنا وَإِليكم قَلوبنا وَإِليكم عَقولنا، نُسَلِّمُ لَكُمْ وَنُدعُن لَكُمْ وَنَعتذِرُ إِليكم مِن قَصورنا وَتَقصيرنا فِي حَبنَا لَكُمْ وَفي مَعرِفَتنا بِكُمْ، مَهما أَحَببناكم فَحُبُّنا قَاصرٌ، وَمَهما عَرفناكم فَمَعرِفَتنا قَاصِرةٌ، وَمَهما سَعيَنا إِلى التَقَرُّبِ إِليكم فَإِنا مَقصرونَ سادِتي آلِ مُحَمَّدٍ.

وينزلُ الركبُ بمَغانِهِمُ

قالوا غداً نأتي ديارَ الحِمى

فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعاً لَهُمْ
 قَلْتُ: فلي ذنبٌ فما حيلتي
 قالوا: أليسَ العفو من شأنهم
 فجئتهم أسعى إلى بابهم
 أصبح مسروراً بلقيائهم
 بأيّ وجهٍ أتلقاهم
 لا سيما عمّن ترجاهم
 أرجوهم طوراً وأخشاهم

أشهدُ اللهَ وأشهدُكم أني مؤمنٌ بكم وبما آمنتم به كافرٌ بعدوكم وبما كفرتم به مُستبصرٌ بشأنكم - كافرٌ بعدوكم وبما كفرتم به، كافرٌ بكلِّ ما هو مُخالفٌ لشأنكم ولطريقتكم من الجنِّ من الإنسِ من الشجرِ من الحجرِ من أي شيءٍ - كافرٌ بعدوكم وبما كفرتم به - سواء كنتُ عالماً بهذا الذي كفرتم به أم لم أكن عالماً، إني مؤمنٌ بكم وبما آمنتم به وكافرٌ بعدوكم وبما كفرتم به، أنتم الإيمانُ كُلُّه وأغياركم الكُفْرُ كُلُّه، برزَ الإيمانُ كُلُّه إلى الشركِ كُلُّه، أنتم الإيمانُ كُلُّه وأغياركم في أي درجةٍ من درجاتِ العيرية والأغيارية هم الشركُ كُلُّه والكفرُ كله والنجاسةُ كُلُّها، إنكم الطهارةُ كُلُّها فأغياركم النجاسةُ كُلُّها - بأيّ أنتم وأُمِّي وأهلي ومالي وأسرّي، أشهدُ اللهَ وأشهدُكم أني مؤمنٌ بكم وبما آمنتم به كافرٌ بعدوكم وبما كفرتم به مُستبصرٌ بشأنكم - وإلّا كيف أكونُ شيعياً إن لم أكن مستبصراً بشأنكم، الاستبصارُ المعرفة التي تُخبِت لها القلوب.

في الجزء السادس والعشرين من بحار الأنور وفي حديث المعرفة بالنورانية والذي قرأتُ أجزاءً منه في الحلقات الماضية، سيّد الأوصياء وهو يُخاطب سلمان وأبا ذر - قال سلمان: قلتُ: يا أبا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟ قال: نعم يا سلمان، تصديق ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فالصبرُ رسول الله والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولم يُقل وإنهما لكبيرتان لأن الولاية كبيرةٌ حملها إلا على الخاشعين والخاشعون هم الشيعة المستبصرون - هذا كلامٌ عليّ - والخاشعون هم الشيعة المستبصرون - الشيعة المستبصرون الذين يعرفون أئمتهم بالمعرفة النورانية.

مُستبصرٌ بشأنكم وبضلالةٍ من خالفكم موالٍ لكم ولأوليائكم - ومَرَّ علينا الكلامُ في الزيارة الجامعة الكبيرة: مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللهُ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللهُ، إلى آخر ما جاء فيها، الزيارة هنا في تحديد هوية الشيعي لتفعيل المعاني العقائدية النظرية المتقدمة، كيف تُفَعَّل؟ تُفَعَّل بهذه الطريقة: مُستبصرٌ بِشأنكم وبضلالةٍ من خالفكم موالٍ لكم ولأوليائكم - سابقاً كان العنوان العام: مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللهُ وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللهُ - الحديث الآن ننقله إلى الواقع العملي وما سميتُه قبل قليل بهوية الشيعي

- **مُوَالٍ لَكُمْ وَأَوْلِيَائِكُمْ** - وحذاري يا أشياع عليّ من أن تُبغضوا أولياء عليّ حذاري وحذاري، روايات أهل البيت تُحدّثنا بأننا إذا أبغضنا أولياء عليّ ونحن نعلم بأنهم يُحبّون عليّاً ويتبرءون من أعدائه إذا علّمنا بذلك فعاديانهم وأبغضناهم وفُلنا فيهم ما فُلنا حذاري فإنّ هذا يكون سبباً لسلب الإيمان عند الموت، هناك إيمانٌ مستقر وهناك إيمانٌ مستودع، مُعادة أولياء عليّ يا أشياع عليّ في أجواء السياسة المقيّنة وفي أجواء القيل والقال وفي أجواء التجارة بكرامة أشياع أهل البيت وسمعة أهل البيت وسمعة أشياعهم في مثل هذه الأجواء تكونُ الشبهات، حذاري من هذا الأمر فإنّ ذلك يقوّد الإنسانَ في أحيانٍ كثيرة إلى أن يُسلب منه الإيمان عند موته، ويمكن أن تُسلب حَبَّةُ أهل البيت عند الموت، ولذلك نحنُ نقرأ في أدعية أهل البيت:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا أَجَلَ لَهُ دُونَ لِقَائِكَ - إيماناً يُتَبَرَّعُ مع الإنسان، يُحشَرُ مع الإنسان، يُبَعَثُ مع الإنسان - **أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا أَجَلَ لَهُ دُونَ لِقَائِكَ** - لأنّ هناك من الإيمان ما له أجل يُسلبُ من الإنسان ولذلك ندعو بهذا الدعاء، وما معنى العديلة حينما نقول: وأعوذُ بِكَ من العديلة عند الموت، العديلة عند الموت أنّ الإنسان يعدلُ عن أهل البيت إلى غيرهم، ما يسمى بدعاء العديلة هو تلقينٌ، مضمون هذا الدعاء هو تلقينٌ للمُحتَضِرِ بعقائد أهل البيت وحبّ أهل البيت، لماذا؟ لأنّ الإنسان عند الموت عند الاحتضار يمكن أن يعدل عن أهل البيت، ولذلك نقرأ في الأدعية: **وأعوذُ بِكَ من العديلة عند الموت** - أحد أسباب هذه العديلة هو مُعادة أولياء أهل البيت، لا تستعجلوا على أشياع أهل البيت فلربما زلت لهم قدمٌ فثبتت لهم قدمٌ أخرى، ولكن الحديث عن أشياع أهل البيت لا عن الذين يدعون التشيع بقلقة اللسان، الحديث عن أولياء أهل البيت.

نحنُ نقرأ في أدعية شهر رمضان، الدعاء الذي يُقرأ في كُلِّ يوم الذي يسمى بدعاء الحج من أدعية شهر رمضان التي تقرأ كُلَّ يوم: **وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِهَوَانٍ مِّنْ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِكَ وَلَا تُهَيِّ بِكَرَامَةٍ أَحَدٍ مِّنْ أَوْلِيَائِكَ** - عبارة دقيقة جداً وعميقة - **وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي** - يعني إذا أهانني أيُّ أحدٍ فإنها كرامةٌ لي إذا كان ذلك البلاء بإرادتك يا ربي، وإذا كان ذلك البلاء يكونُ في محل أن أكون سبباً في إهانة أحد أولياء أهل البيت - **وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِهَوَانٍ مِّنْ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِكَ** - أكرمني بهذه الإهانة بدلاً من أن أكون أنا مُهيناً لأحد أولياء أهل البيت - **وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُكْرِمَنِي بِهَوَانٍ مِّنْ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِكَ وَلَا تُهَيِّ بِكَرَامَةٍ أَحَدٍ مِّنْ أَوْلِيَائِكَ**.

مُسْتَبَصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةٍ مِّنْ خَالَفِكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَأَوْلِيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ - نحنُ نقرأ في زيارة عاشوراء ونحنُ نُخاطِبُ سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه: **فَأَسْأَلُ اللهَ الذي أكرمني بِمَعْرِفَتِكُمْ ومعرفة أوليائِكُمْ** - هذه كرامة، معرفة أولياء أهل البيت كرامة، نحنُ إمّا أن نكون صادقين مع سيد الشهداء

أو كاذبين، هكذا نُحاطب سيد الشهداء في زيارته في زيارة عاشوراء: فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم ومعرفة أوليائكم.

مُسْتَبَصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَأَوْلِيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ - كما أن مداركي بأكملها بعقلي وقلبي ووجداني وضميري تُعلنُ الإيمانَ والمحبةَ لأهل البيت فإنها في نفس الوقت تُعلنُ الكفرَ بأعداء أهل البيت وتُعلنُ البغضَ والحقدَ عليهم - مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ - سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ، أي سِلْمٌ لِأَوْلِيَائِكُمْ، من الذين يُسألون أهل البيت؟ ما المراد سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ؟ والمعنى الواضح أن المُسلم من سَلِمَ الناس من لسانه ويده، هذه أول درجات السالمية، هل سلموا أولياء أهل البيت منا من ألسنتنا وأيدينا؟ سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ - هذه العبارات بحاجة إلى شرحٍ وبسطٍ في القول لكن المقام لا يسنح بتفصيل كل شيء وإنما أمرٌ عليها مروراً سريعاً أشيرُ إلى أهم النقاط - مُبْغِضٌ لِأَعْدَائِكُمْ وَمُعَادٍ لَهُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقَّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ - حربٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ على جميع المستويات وخصوصاً في زماننا هذا على المستوى الفكري والعقائدي، الحربُ في أيامنا هذه ليست حرباً بالسيوف، الحربُ حربُ الإعلام والحربُ حربُ الثقافة والفكر والحربُ حربُ الكلمة والمنطق واللسان - وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ مُحَقَّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ - محققٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُثَبِّتٌ لِمَا أَثْبَتْتُمْ، أي شيءٍ تقولون عنه بأنه حق فإني أقول بأنه حق، وأي شيءٍ تقولون عنه بأنه باطل فإني أقول وبكل تفكيري ووجداني وضميري بأنه باطل - مُحَقَّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ - بقدر ما أتمكن وإلا سادني آل محمد فإني قاصرٌ ومُقَصِّرٌ في هذه الجهة، مُطِيعٌ لَكُمْ بقدر ما أتمكن - عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقَرَّرٌ بِفَضْلِكُمْ - وجزءٌ من معرفتي بحقهم هو معرفتي بهذه الزيارة بالزيارة الجامعة الكبيرة.

حينَ نقرأ هذه الزيارة ونتبصَّرُ في معانيها ونؤمنُ بالذي جاء فيها فذلك هو جزءٌ من معرفتي بفضلهم - مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ مُقَرَّرٌ بِفَضْلِكُمْ مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ - محتملٌ لعلمكم أي مُسَلِّمٌ، الذي يحتمل الشيء الذي يحمله ولا يحمل الشيء حتى يقتنع به حتى يكون مُحِبًّا له، مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ أي أنني مُسَلِّمٌ ومُقَرَّرٌ ومُدْعِنٌ لعلمكم الذي علمتموني إياه سمعتُ به أم لم أسمع به، ما أسررتم ما أعلنتم، ما كان من علومكم التي يمكن أن تظهر في هذا العالم وما كان من علومكم التي لا يمكن أن تظهر في هذا العالم، لأنها لا تتناسب وهذا العالم الضيق، الدنيا سجنُ المؤمن، هذا العالم هو سجن، سجنُ المؤمن من هو المؤمن؟ المؤمن عليٌّ، الدنيا سجنُ المعصوم، هذا عالمٌ ضيق، هذه زنازةٌ ضيقة، فهناك الكثير من الحقائق التي سوف لن يبينها المعصوم صلوات الله عليه لأنها لا تتناسب وهذا العالم الضيق وهذا السجن الضيق - مُحْتَمِلٌ

لِعِلْمِكُمْ - لعلمكم بكل مراتبه التي أنتم تعلمونها لا أنا، وإنما أنا مُقَرَّرٌ لكل ما تعلمون، فإني عبدكم والعبُدُ وما في يده لمولاه، ونحن وما في عقولنا وما في قلوبنا لموالينا، فهم أولياء نعمتنا.

في بدايات الزيارة الجامعة الكبيرة ونحن نُسَلِّمُ عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: **وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ** - هم أولياء نعمتنا صلوات الله عليهم - **مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ** - محتجبٌ بدمتكم إن لم أكن محتجباً بدمتكم فبذمة من احتجب؟! بدمتكم يعني بجنابكم، بدمتكم يعني بشأنكم الخاص، بدمتكم يعني بساحة فضلكم - **مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ** - وذمة أهل البيت هي ذمَّةُ الله سبحانه وتعالى، ذمَّتُهُم هي ذمَّةُ الله، هم جنبُ الله، هم وجهُ الله، نحنُ نأخذُ بِحُجْرَتِهِمْ وهم يأخذون بِحُجْرَةِ اللهِ وَهُمْ حُجْرَةُ اللهِ، هم وجه الله الباقي بعد فناء كُلِّ الْأَشْيَاءِ - **مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ** - أنا أحتمي أحتجبُ بكم، أحتجبُ بكم فراراً من جهلي وأحتجبُ بكم فراراً من شكوكي ووساوسي أنتم سببُ اليقين، أنتم المرآة الصافية التي أرى فيها كُلَّ فضيلةٍ وكُلَّ جمال، احتجبُ بكم عن كل قبيحٍ من قبائح هذه الحياة، احتجبُ بكم عن الضلالة، أنتم الحجابُ الذي احتجبُ به عن الضلالة وعن الشرك وعن الكفر وعن كُلِّ جهلٍ وعن كُلِّ نجاسةٍ ودنيةٍ ورجاسة، احتجبُ بكم من بلاء الدنيا ومن بلاء الآخرة، احتجبُ بكم من ساعات الاحتضار وما يجري فيها، احتجبُ بكم ليلة الوحشة في قبوري، احتجبُ بكم في كل مقامٍ من مقاماتي وفي كل مقالٍ من مقالاتي، وأنا أقرأ في أدعية شهر رجب في الزيارة الرجبية، أقرأ في الزيارة الرجبية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائِهِ فِي رَجَبٍ وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِمْ مَا قَدْ وَجَبَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُتَنَجِّبِ وَعَلَى أَوْصِيَائِهِ الْحُجُبِ - أنا محتجبٌ بهؤلاء الحُجُبِ - **وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُتَنَجِّبِ وَعَلَى أَوْصِيَائِهِ الْحُجُبِ** - هم حُجُبٌ عن الضلال وحُجُبٌ عن الشرك والكفر وحُجُبٌ عن الجهل وحُجُبٌ عن نار جهنم وحُجُبٌ عن أن نقع من على صراطِ جهنم في أعماق جهنم الغائرة، هم حُجُبٌ عن كل نقص - **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَمَالِكَ بِأَجْمَلِهِ** - هم أجمل الجمال، هم الحجابُ الأجل الذي نحتجبُ به عن أقبح القبائح، هم الخيرُ بكله، نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرَعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - هي هذه العبارة لوحدها تكفي - **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرَعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - أنا أحتجبُ بهذه الحُجُبِ عن كُلِّ شرٍّ، عن أول الشر وأصله وفرعه ومعده ومأواه ومنتهاه - **وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُتَنَجِّبِ وَعَلَى أَوْصِيَائِهِ الْحُجُبِ** - الإشارة إلى نفس المعنى: **مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ**.

في أدعية التعقيب في صلاة الفجر دعاء جميل جداً من المستحبات التي قد يغفل عنها الكثير بعد صلاة الفجر أن يقول الإنسان: **اللَّهُمَّ أَحْيِي عَلِيَّ مَا أَحْيَيْتَ عَلَيْهِ عَلِيَّ بن ابِي طَالِبٍ وَأَمِتْنِي عَلِيَّ مَا مَاتَ**

عليه علي بن أبي طالب، أن يُكْرَر هذه العبارة بعد صلاة الفجر، هذا في المفاتيح، أذهب إلى تعقيب صلاة الصبح ستجد في جملة التعقيبات هذا التعقيب: **اللَّهُمَّ أَحْيِنِي عَلَى مَا أَحْيَيْتَ عَلَيْهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمِتْنِي عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.**

في تعقيب صلاة الفجر لنقرأ هذا الدعاء من الأدعية التي تُقرأ بعد صلاة الفجر: **أَصْبَحْتُ اللَّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمَامِكَ الْمَنِيعِ الَّذِي لَا يُطَاوُلُ وَلَا يُحَاوِلُ مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ، الْغَاشِمُ هُوَ الظَّالِمُ، وَالطَّارِقُ هُوَ الْآتِي بِالشَّرِّ الَّذِي لَا يَكُونُ مُتَوَقَّعاً - أَصْبَحْتُ اللَّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمَامِكَ الْمَنِيعِ الَّذِي لَا يُطَاوُلُ وَلَا يُحَاوِلُ مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ مِنْ سَائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَمَا خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ فِي جَنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ - هَذِهِ كُلُّ مَعَانِي الْخَوْفِ كُلِّ مَعَانِي الشَّرِّ فِي هَذَا الدَّعَاءِ - مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ مِنْ سَائِرِ مَنْ خَلَقْتَ - مِنْ سَائِرِ مَنْ خَلَقْتَ يَعْنِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَمَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْعَاقِلَةِ - مِنْ خَلَقْتَ وَمَا خَلَقْتَ - مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ غَيْرِ الْعَاقِلَةِ بِمَا فِي ذَلِكَ الْجَرَائِمِ الْفَائِرُوسَاتِ الْحَيَوَانَاتِ وَكُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَوَقَّعَ - مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ مِنْ سَائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَمَا خَلَقْتَ مِنَ خَلْقِكَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ - بِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَمِي؟ - فِي جَنَّةٍ - الْجَنَّةُ هُوَ الدَّرْعُ - فِي جَنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ بِلِبَاسٍ سَابِغَةٍ سَابِغَةٍ وَوَلَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ - هَذِهِ اللَّبَاسُ السَّابِغَةُ وَوَلَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ هُوَ هَذَا الْحِجَابِ، أَنَا مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِهِمْ - بِلِبَاسٍ سَابِغَةٍ وَوَلَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ مُحْتَجِباً مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ لِي إِلَى أَذِيَةِ بَجْدَارِ حَصِينٍ - مَا هُوَ هَذَا الْجِدَارِ الْحَصِينِ؟ - الْإِخْلَاصُ فِي الْاعْتِرَافِ بِحَقِّهِمْ وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِهِمْ مَوْقِناً أَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ - نَفْسُ أَلْفَاظِ الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ.**

تلاحظون الأدعية والزيارات كلها، والحق معهم مرر علينا نفس هذه الألفاظ مرت علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة - **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ - مَوْقِناً أَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ -** تلاحظون الوحدة المتكاملة حتى تعرفوا بأن هؤلاء الذين يُشككون في زيارتنا من داخل الوسط الشيعي إنما يغطون في نوم عميق وقد ذهبوا في سبات من الجهل وعدم المعرفة - محتجباً من كل قاصد لي إلى أذية بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقهم والتمسك بحبلهم موقناً أن الحق لهم ومعهم وفيهم وبهم، أولي من والوا وأجانب من جانبوا فأعذني اللهم بهم من شر كل ما أتقيه - إلى آخر ما جاء في الدعاء، هذا مصداق واضح من مصاديق الأدعية التي تؤكد هذا المعنى الذي أشارت إليه الزيارة الجامعة الكبيرة ومراراً وتكراراً يأتي في الأدعية والزيارات مثل هذه المعاني - **مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ -** محتجب بدمتكم في هذه اللحظة سادتي آل محمد وفي كل لحظة، في الحياة وفي القبر وما بعد القبر وفي مواقف يوم القيامة، إن لم أحتجب بدمتكم فبذمة من سأحتجب - **مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ**

مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ - مؤمنٌ بإيابكم بإياب أهل البيت صلوات الله عليهم، قد يُرادُ المعنى من إياهم هو ظهور إمام زماننا فإنَّ الأمر سيؤوبُ إليهم، وقد يُرادُ المعنى الآخر من الإياب وهو الأوبة، الأوبة التي ستكون بعد الرجعة وإِنَّمَا ذُكِرَتْ قَبْلَ الرجعة لتأكيد العقيدة بأننا نعتقدُ بالأوبة كذلك نعتقدُ بالرجعة بل نعتقدُ بالأوبة قبل أن نعتقد بالرجعة، لأن لهم رجعة وبعد الرجعة لهم أوبة ولهم كَرَّاتٌ، وعليُّ هو الذي يقول: أنا صاحبُ الكَرَّاتِ، لهم كَرَّاتٌ وكَرَّاتٌ وهذا التفصيل مذكور في رواياتهم الشريفة - مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ مُعْتَرِفٌ بِكُمْ مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ - مصدقٌ برجعتكم إنما أصدقُ برجعتكم لأنَّ القرآن قد تحدَّثَ كثيراً عن رجعة أهل البيت، قد تحدَّثَ كثيراً عن عقيدة الرجعة، لو نتصفَحَ القرآن وبنحوٍ سريع لا بنحوٍ أطليل الوقوف عند الآيات.

مثلاً الآية الثامنة والعشرون من سورة البقرة ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وكنتم أمواتاً أي قبل أن تُخلقوا ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ﴾ وهي الموتة الأولى ﴿ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هذه حياة ثانية، هذا الترتيب ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ما موجودة هنا ثُمَّ ﴿ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ أي كنتم أمواتاً قبل أن تُخلقوا ﴿ فَأَحْيَاكُمْ ﴾ فجعلكم أحياءً ﴿ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ﴾ وهو الموت الذي يموتهُ الإنسان كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت ﴿ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ﴾ في الرجعة ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية واضحة ولا تحتاج إلى تطويلٍ في الكلام.

إذا نذهب إلى سورة غافر، الآية الحادية بعد العاشرة ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ فمتى ماتا مرتين ومتى أحييا مرتين ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ الموتة الأولى أو الميتة الأولى كانت حين نهاية عمر الإنسان، والموتة الثانية كانت عند الرجعة ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ الحياة الأولى هي هذه الحياة التي نحيها والحياة الثانية هي حياة الرجعة ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ أصلاً الرجعة موجودة في حياتنا في كل يوم.

إذا نذهب إلى سورة الزمر الآية الثانية والأربعون ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ أي يُمَيِّتُهَا فِي مَنَامِهَا أَنْ يَتَوَفَّاها فِي مَنَامِها، فالنوم هو صورةٌ تقريبيةٌ من صور الموت ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾

وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٠﴾ أصلاً هذه صورة قريبة من الرجعة، صور تُقَرَّبُ لنا معنى الرجعة، لا أريد أن أستدل بهذه الآية على الرجعة ولكن لتقريب معنى الرجعة.

الآية في سورة القصص، الآية الخامسة والثمانون ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ في روايات أهل البيت هذه الآية لها أكثر من معنى، من جملة معاني هذه الآية هي رجعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى أي معادٍ؟ المعاد هذا الذي تتحدث عنه الآيات بأنه مبعوثٌ إلى كل البشر.

إذا نذهب إلى سورة سبأ وإلى الآية الثامنة والعشرين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهل تحقق هذا المعنى في حياة النبي؟ لم يتحقق هذا المعنى، الآية صريحة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ في روايات أهل البيت إنَّ هذا المعنى يتحقق في رجعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

لذلك حين نذهب إلى سورة النمل، الآية الثالثة والثمانون ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ هذا هو ليس يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ مجموعة من كل أمة، لأن عقيدتنا في الرجعة أنَّ الراجعين هم من محضوا الإيمان ومن محضوا الكفر، وإلا إذا كان الحديث عن يوم القيامة فذلك يأتي واضحاً في سورة الكهف في الآية السابعة والأربعين ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ وهذه من أحداث يوم القيامة ﴿وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ هذا هو يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ لم تُغادر منهم أحداً الجميع يحشرون، أمّا هذه الآية الثالثة والثمانون في سورة النمل ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا﴾ وآياتنا هنا أهل البيت، مرَّ علينا في الحلقات الماضية بحسب أحاديث أهل البيت بأنَّ الآيات المذكورة والآية والآيات المذكورة في القرآن هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا﴾.

إذا نذهب إلى سورة البقرة، نذهب إلى الآية الخامسة والخمسين وما بعدها ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ماتوا، وهذا المعنى واضح في رواياتنا وروايات غيرنا بأنهم ماتوا لما أخذتهم الصاعقة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ والقرآن يقول، الآية التي بعدها ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أليس هذه رجعة؟! ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه القضية حدثت في زمان النبي موسى فماتوا ثم بعثهم الله أحياء بعد الموت فهذا مصداق من مصاديق الرجعة.

إذا نذهب إلى الآية الحادية والسبعين وما بعدها من سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريك آياته لعلكم تعقلون ﴿هذا ميت قُتِلَ وَقِصَّتُهُ مَعْرُوفَةٌ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، ضَرَبُوهُ بِذَيْلِ الْبَقْرَةِ فَرَجَعَ حَيًّا وَبَقِيَ حَيًّا، كَتَبَ التَّفْسِيرُ مُحَدِّثُنَا بِأَنَّهُ بَقِيَ حَيًّا إِلَى فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، رَجَعَ وَتَزَوَّجَ بِنْتِ عَمِّهِ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ﴾ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ﴿ذَيْلُ بَقْرَةٍ أَرْجَعُ هَذَا الْإِنْسَانَ الْقَتِيلَ الْمَيِّتَ أَرْجَعُهُ حَيًّا فَمَا بِالكَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا كَانَتْ مَتَعَلِّقَةً بِأَهْلِ الْبَيْتِ.

إذا نذهب إلى الآية الثالثة والأربعين بعد المتين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ قصة الطاعون، المدينة التي أصابها الطاعون فخرج أهلها فراراً منها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ذلك عاشوا مرة ثانية، كتب التفسير تذكر لنا بأن عظامهم بقيت على قارعة الطريق حتى كنسها الناس المارة وضعوها جانباً، الله أحياهم من جديد، حين مرَّ نبي من الأنبياء على تلك الآثار وطلب من الله أن يُعيدهم فأعادهم الله وهذه رجعة واضحة لقوم ومدينة كاملة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ وما جرى في الأمم الماضية يجري في هذه الأمة كما قال النبي صلى الله عليه وآله حذو النعل بالنعل، حذو القُدَّة بالقُدَّة.

إذا نذهب إلى الآية 259 من سورة البقرة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي

هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦٠﴾ بعد مئة عام، هذه ليس رجعة لإنسان وحتى لحمار، حمار رجع أيضاً ورجعة لطعام، الله أرجع طعامه وحماره وأرجعه، النبي عُزير القصة معروفة.

في الآية: 260، نفس سورة البقرة بعد هذه الآية مباشرة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ هذه رجعة للطيور، رجعة للحمار، رجعة للطعام، رجعة لمدينة كاملة أصيبت بالطاعون، آيات القرآن واضحة، الله يحشر من كل أمة فوجاً، هؤلاء الذين يُنكرون الرجعة لا عقل لهم، لا معرفة لهم بالقرآن، لا يفهمون القرآن، والله هناك آيات كثيرة أخرى أيضاً تؤيد هذا المعنى أتناولها إن شاء الله في وقتٍ آخر، آيات كثيرة أكثر من هذه الآيات.

ماذا جاء في قصة إبراهيم؟ في قضية الطيور التي ذبحها لقرأ ماذا جاء في قصة إبراهيم عليه السلام، الرواية: عن معروف بن خربوث قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَوْحَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَنْ خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ عَمَدَ إِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَ النِّعَامَةَ وَالطَّاوُوسَ وَالْوَزَةَ وَالِدِيكَ - وهي طيور مختلفة لا تتشابه لا في الحجم ولا في الألوان ولا في الخصائص - عَمَدَ إِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَ النِّعَامَةَ وَالطَّاوُوسَ وَالْوَزَةَ وَالِدِيكَ فَتَنَفَّ رِيشَهُنَّ بَعْدَ الذَّبْحِ ثُمَّ جَمَعَهُنَّ فِي مَهْرَاسَةٍ - المهراسة يعني مثل الهاون كبير يُدَقُّ فِيهِ اللَّحْمُ فَيُفْرَمُ فَرْمًا - ثُمَّ جَمَعَهُنَّ فِي مَهْرَاسَةٍ فَهَرَسَهُنَّ - هذه اللحوم خُلِطَتْ فِيهَا بَيْنَهَا - ثُمَّ فَرَقَهُنَّ عَلَىٰ جِبَالِ الْأُرْدُنِّ وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ عَشْرَةَ جِبَالٍ - جبال متباعدة لأنَّ لكل جبلٍ رَأْسٌ وَإِنَّمَا وَضَعَ هَذَا اللَّحْمَ الْمَفْرُومَ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِكَيْ تَكُونَ هَذِهِ الْقَطْعُ مَتْبَاعَةً - فَهَرَسَهُنَّ ثُمَّ فَرَقَهُنَّ عَلَىٰ جِبَالِ الْأُرْدُنِّ - جبال متباعدة - وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ عَشْرَةَ جِبَالٍ فَوَضَعَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا - من هذا اللحم المهروس من كل الطيور - ثُمَّ دَعَاهُنَّ بِأَسْمَائِهِنَّ فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ سَعْيًا - يعني مسرعات - فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - رجعة للطيور، رجعة للطعام، رجعة للحمار لحمار النبي عُزير، رجعة ورجعة ورجعة.

وحتى إذا ذهبنا إلى قصة أهل الكهف فإنها رجعة بعد 309 سنوات، إذا كان عُزير رجع بعد مئة فأهل الكهف رجعوا بعد 309 سنوات وسيرجعون مع إمام زماننا، الروايات تقول بأنَّه حينَ يمر على كهفهم فإنَّه سيستجيبون له سيخرجون من كهفهم وأولهم تَمْلِيخَا وهو كبيرهم وسيدهم يخرج رافعاً رايته ورافعاً سيفه ويده

لنصرة الإمام الحجة، في سورة الكهف في الآية الخامسة والعشرين ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ الله سبحانه وتعالى أرجعهم في الآية التاسعة بعد العاشرة ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ إلى آخر ما جاء في قصتهم في سورة الكهف، وكما قلت قبل قليل هناك آيات كثيرة جداً تتحدث عن هذه العقيدة عن عقيدة الرجعة. إن شاء الله في وقتٍ آخر سأحدث عن الآيات الأخرى وأحاول أن أجمع كل الآيات في الكتاب الكريم التي تتناول موضوع الرجعة.

مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ، مُعْتَرِفٌ بِكُمْ، مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ - منتظرٌ لِأَمْرِكُمْ لِأمر الحجة بن الحسن حين يصدر أمره - مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ - والروايات تقول بأن أشياعه سيجدون منشوراً تحت وسائدهم في الصباح مكتوبٌ عليها طاعةٌ معروفة - مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ - وهذا الأمر ينتظره أولياء أهل البيت صباح مساء - مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ - لأنهم هم أخبرونا قالوا لنا توقعوا الفرج صباح مساء نحن نتوقع أمره، نتوقع فرجه في كل لحظة في كل ثانية، سادتي آل مُحَمَّد هذه هي حالتي هي حالة أولياء عليٍّ وآل عليٍّ - مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ، مُعْتَرِفٌ بِكُمْ، مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِذَوْلَتِكُمْ - هذه العبارة - مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ - ليس منتظراً لِمَا يكون سبباً لراحة نفسي من منافع الدنيا وإنما منتظرٌ لتحقيق إرادتكم لتحقيق ما تريدون - مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِذَوْلَتِكُمْ - المرتقب هو المنتظر أيضاً ولكنه ينتظر بشوقٍ أكثر، مرتقب ستكون اليوم أو غداً بين لحظةٍ وأخرى مع الشوق - مُنْتَظِرٌ لِأَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِذَوْلَتِكُمْ، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ - آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ بالدرجة الأولى في عقيدتي وفكري، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ في معنى القرآن أفسر القرآن بقولكم لا أفسر القرآن بهذه المناهج التي جاءنا بها الناس من شرقٍ ومن غرب فعاد القرآن يفسر وفقاً لمناهج لا تمت إلى أهل البيت بصلة ويقول المفسرون بأنها مناهج أهل البيت، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ بقدر ما أتمكن - آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ - هذه الكلمات هل هي حقيقية في حياتنا؟ هل نحن نتصفُ بهذه الأوصاف؟

نأخذ بأقوالهم نعمل بأوامرهم - آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ، مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ، زَائِرٌ لَكُمْ، لَائِدٌ عَائِدٌ بِقُبُورِكُمْ - هذا هو حال أشياع أهل البيت، نحن نستجير بهم، العبارة التي مرت قبل قليل - مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ - هذه العبارة تطوي كل هذه المعاني - مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ - هذه العبارة عبارةٌ طويت فيها كل المعاني، كل هذه المعاني تدخل تحت هذا العنوان: مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ، إنما أحتجب بدمتكم متى؟ حين أعترف بكم، حين أؤمن بإيابكم، حين أصدق برجعتكم، حين أنتظر أمركم، حين أترقب دولتكم، حين

أخذ بقولكم، حين أعمل بأمركم، وحين أستجير بكم - مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ - محتمي بكم، بمن أحتمي وبمن أستجير إن لم أستجر بكم - مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ - ولذا الشيعة تستجير بعليّ، تستجير بعليّ في الحياة وعند الموت، نحن نستجير بعليّ ففي كل شدةٍ ننادي يا عليّ، وهذه الكلمة تخرج من أفواهنا ومن قلوبنا قسراً لا ندرى كيف تخرج، عند كل شدةٍ ننادي يا عليّ وعند الموت ننادي يا عليّ وإذا دفنا فإننا نريد أن ندفن عند عليّ وإذا حُشِرنا فإننا نبحت عن عليّ، في يوم القيامة كل مجموعة تبحث عن إمامها، نحن في يوم القيامة نبحت عن عليّ، عليّ يعيش معنا ونحن نعيش مع عليّ ونغوت مع عليّ ونبعث مع عليّ، نحن مستجرون بعليّ صلوات الله وسلامه عليه ووالله فاز ونجح وانتصر ووصل إلى ما يريد من استجار بعليّ صلوات الله وسلامه عليه.

نحن نقرأ في زيارة سيد الأوصياء وما عَجَبُ ذلك في زيارات أمير المؤمنين وزياراته مشحونةً بهذه المعاني الجليلة الفاضلة، نقرأ في زيارته في الزيارة المطلقة السادسة من زيارات سيد الأوصياء: **السَّلَامُ عَلَيَّ صَاحِبِ الدِّلَالَاتِ وَالآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَاتِ وَالْمُنْجِي مِنَ الْهَلَكَاتِ**، عليّ هو المنجي من الهلكات، هذه زيارته، هذه زيارات مروية عن الأئمة صلوات الله عليهم هكذا نسلم على عليّ صلوات الله عليه - **السَّلَامُ عَلَيَّ صَاحِبِ الدِّلَالَاتِ وَالآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَاتِ وَالْمُنْجِي مِنَ الْهَلَكَاتِ** الذي ذكّره الله في مُحْكَمِ الآيات فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ .

وعليّ عليّ ومن استجار بعليّ فهو عليّ - **وَالْمُنْجِي مِنَ الْهَلَكَاتِ - مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ** - أنا استجير بعليّ وآل عليّ من الهلكات - **زَائِرٌ لَكُمْ** - أزورك من بعيدٍ ومن قريب، أزورك باللفظ ومن دون اللفظ، أزورك بالقلب وبالعقل، الزائر هو القاصد، أنا قاصدٌ إليكم، أزورك في يقظتي في منامي، أزورك في صحتي وفي مرضي، أزورك في حياتي وفي حمّامي، أولياء أهل البيت يزورون أهل البيت حتى بعد الموت.

الروايات تحدثنا بأن أولياء أهل البيت يزورون الحسين يزورون علياً صلوات الله عليه كما يزورون بيوتهم يزورون أئمتهم - **زَائِرٌ لَكُمْ**، **لَائِدٌ عَائِدٌ بِقُبُورِكُمْ** - لاحظوا الزيارة هذه هوية التشيع، نحن نلوذ ونعوذ بقبورهم لا كما يتحدث المتحدثون على المنابر، مراراً أسمع بعض الخطباء من خطباء الشيعة بعض المشايخ بعض الشخصيات المعروفة بعض الخطباء المعروفين يتحدثون على المنابر يقولون إننا لا نزور جثثاً بالية أو عظماً نخرة نحن حين نزور النجف أو نزور كربلاء إنما نزور الموقف، هذا كلامٌ وهابي لا يوجد عندنا في نصوصنا الشرعية زيارة للمواقف، ما معنى زيارة المواقف أو نحن نزور الرسالة، نحن نقدر الرسالة لا نقدر الرسول، كلامٌ وهابي واضح جداً، لا أدري كيف لا يلتفت إليه هؤلاء المتحدثون، نحن نخاطب الأئمة حين نخاطب سيد الشهداء نخاطبه بأنني أنا عبدك وابن عبدك، أخاطب الحسين أخاطب علياً بنفسه، الزيارة

تقول: نلوذ ونعوذ بقبورهم، هؤلاء لماذا نخشى من كلام هؤلاء البدو الجهلة، هم لهم حريتهم أن يقولوا ما يقولوا هؤلاء الجهلة، وأنتم تلاحظون على القنوات التلفزيونية وعلى مواقع الإنترنت في كل يوم تُكشَفُ عن فضيحةٍ لمطعونٍ في عجانه ولغيره من الذين يهاجمون أشياع أهل البيت والحوادث موجودة راجعوا الأخبار راجعوا الإنترنت تابعوا البرامج على القنوات واسمعوا وشاهدوا، ما تشاهدون، لماذا نخشى من هؤلاء؟ الزيارة هي تقول لنا، هذه زاوية التشيع نحن نلوذ ونعوذ بالقبور - لا ئد عائد بقبوركم - لماذا نخاف من أن نطرح عقائدنا الحقّة، نحن نلوذ بقبر عليّ، نحن نلوذ بترابٍ يكون قريباً من قبر عليّ، نحن لا نلوذ بعليّ نحن نلوذ بقبر عليّ فليرضى من يرضى وليغضب من يغضب هذه عقائدنا - زائر لكم، لا ئد عائد بقبوركم.

الروايات الواردة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هذا هو وسائل الشيعة وهذا هو الجزء الخامس من وسائل الشيعة، الرواية فيها تفصيل صاحب الوسائل ينقلها عن الشيخ الطوسي، أوردها الشيخ الطوسي في كتابه التهذيب أحد الأصول الأربعة أخذ موطن الحاجة، الرواية منقولة عن الإمام الصادق ينقلها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، النبي يخاطب عليّاً صلوات الله عليه فيقول له: فابشر وبشر أولياءك ومحبّيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - هذه بشارة من خاتم الأنبياء يقول لعليّ: فابشر وبشر أولياءك ومحبّيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكن - هذا كلام رسول الله أيها الخطباء المتحدثون - ولكن حثالة من الناس يعيرون زوّار قبوركم - ما قال زوراكم، نحن نزور القبور برغم أنوفهم، هذه قبور أئمتنا، هذه قبور مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ هذه قبور تختلف عن قبور الخلق، نحن هكذا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: بِأبي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ - إلى أن تقول الزيارة - وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحَلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ - قبورهم مميزة ليست كبقية قبور الخلق، قبوركم ما هي قبور موتى، نحن قرأنا في حديث المعرفة بالنورانية يا أشياع عليّ وآل عليّ، هذا عليّكم هو الذي يقول: يا سلمان ويا جندب، قالاً: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغيب - نحن ما نزور قبور موتى لا كما يقول هذا المتحدث أو ذاك بأننا لا نزور جثثاً بالية.

أنا أقول لهذا المتحدث أيها المتحدث أنت أبوك جدك وأنا وأبي وجدي إذا متنا نكون جثثاً بالية، ليس الحسينُ يكون جثّةً بالية فنزور موقفاً من المواقف، أنت وجدك وأبوك وأجدادك إلى، إلى المالا نهاية، وأنا وأبي وجدتي إلى المالا نهاية نكون عظاماً نخرة في قبورنا أمّا الحسين فليس بعظامٍ نخرة - إن ميتنا لم يمت - هذا قول عليّ صلوات الله وسلامه عليه وهو قول القرآن ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قول عليّ هو قول القرآن

﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ - ولكن حثالة من الناس يعيرون - الحثالة هؤلاء الذين تتحدث القنوات الفضائية عن أبنيتهم هؤلاء هم الحثالة - ولكن حثالة من الناس يُعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرارُ أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي - نحن زوار قبور آل مُحَمَّد، لماذا نخشى من ذلك؟ - ولكن حثالة من الناس يُعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرارُ أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي - هؤلاء زوار القبور ما هو جزاءهم؟ - فابشر وبشر أولياءك ومحببيك من النعيم وقرّة العين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - نحن نلوذ ونعوذ بقبور آل مُحَمَّد من قريبٍ ومن بعيد، نحن هنا ومن هذا الغرب نلوذ ونعوذ بقبورهم، لأن هذه القبور نُسبت إليهم، نحن لا نلوذ ونعوذ بهم نلوذ ونعوذ بقبورهم صلوات الله عليهم، هذه مرتبة أرقى أن نلوذ وأن نعوذ بهم، أما نحن فنعتقد بأننا نلوذ ونعوذ بقبورهم وهذه زيارتهم الجامعة الكبيرة تصرّح بذلك، وكل زيارات أهل البيت تُصرّح بذلك - زائرٌ لكم، لا نذ عائدٌ بقبوركم - هذا التأكيد لا نذ وعائدٌ بقبوركم، أنا ألوذ بقبوركم وأعوذ بها من قريبٍ ومن بعيد.

هذا هو الجزء الحادي بعد المئة من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه، والشيخ المجلسي هنا ينقل الرواية عن كامل الزيارة لابن قولويه - ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد الله - لإمامنا الصادق - ما ألقى من قومي ومن بني إذا أنا أخبرتهم بما في إتيان قبر الحسين من خير إنهم يكذبون ويقولون إنك تكذب على جعفر بن مُحَمَّد - حين يحدثهم عن فضيلة زيارة قبر الحسين، الإمام ماذا يقول له؟ - قال: يا ذريح دع الناس - إن كانوا أبناءك إخوانك ليس مهماً هذا - يا ذريح دع الناس يذهبون حيث شاءوا - وأنتم يا أشياع أهل البيت تعالوا إلى قبورنا هو هذا مقصود الإمام - يا ذريح دع الناس يذهبون حيث شاءوا والله إن الله ليباهي بزائر الحسين - إلى آخر الحديث الشريف.

وفي حديث آخر أيضاً ذكره نقلاً عن كامل الزيارة الحديث منقول عن إمامنا الصادق يرويه عبد الله بن حماد البصري ماذا يقول الإمام؟ - ثم قال: - يسأله - بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة - يأتون قبر الحسين - وناساً من غيرهم ونساء - من الرجال والنساء من شيعة أهل البيت - يندبونه وذلك في النصف من شعبان - والزيارة الشعبانية على الأبواب - فمن بين قارئٍ يقرأ وقاصٍ يقص ونادٍ يندب وقائلٍ يقول المراثي فقلتُ له: نعم - وهذا هو حال أشياع أهل البيت، هذا الكلام في زمان الإمام الصادق - بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم - من غير أهل الكوفة - ونساء يندبونه وذلك في النصف من شعبان فمن بين قارئٍ يقرأ وقاصٍ يقص ونادٍ يندب وقائلٍ يقول المراثي فقلتُ له: نعم جعلتُ فداك قد شهدتُ بعض ما تصف، فقال: الحمد لله الذي جعل في

النَّاسِ مَنْ يَفِدُ إِلَيْنَا وَيَمْدَحُنَا وَيَرِثِي لَنَا وَجَعَلَ عَدُوَّنَا مَنْ يَطَعُنُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِنَا أَوْ غَيْرِهِمْ - يعني هناك من أعداءنا من هم من الهاشمين - مِنْ قَرَابَتِنَا - من السادات - وَجَعَلَ عَدُوَّنَا مَنْ يَطَعُنُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِنَا - لذلك لا تتعجبوا أن تجدوا من يلبسون العمائم السوداء أن يقوموا بهذا الدور، هذا ليس غريباً، هذا هو كلام إمامكم الصادق - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي النَّاسِ مَنْ يَفِدُ إِلَيْنَا وَيَمْدَحُنَا وَيَرِثِي لَنَا وَجَعَلَ عَدُوَّنَا مَنْ يَطَعُنُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَابَتِنَا أَوْ غَيْرِهِمْ يَهْدِرُونَهِمْ - يهدرون دماءهم - وَيَقْبَحُونَ مَا يَصْنَعُونَ - ودعاء الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه الذي ينقله معاوية بن وهب دعاء معروف وكان الإمام في حالة سجود ودموعه تجري على وجهه الشريف ويقول، في جملة ما قاله في هذا الدعاء: اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ - إلى زيارة القبور - اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ فَلَمْ يُنْهَهُمْ ذَلِكَ - ما نعبأ نحن بهؤلاء، لماذا تعبئون أيها الذين تصعدون على المنابر أيها المتحدثون في الفضائيات لماذا تعبئون بهذه الحثالات؟

اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ فَلَمْ يُنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ النَّهْوِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلَافاً عَلَيْهِمْ - نحن نتقرب إلى أهل البيت بالخلاف على أعداءهم لعنة الله عليهم، ثم يقول الإمام: فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهُ - هذه الوجوه التي عاب عليها الأعداء، الإمام يدعو لها - فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهُ الَّتِي غَيَّرْتَهَا الشَّمْسُ - نحن هنا نتحدث والآن وفود الشيعة متجهة إلى الكاظمية، الأعداد الكثيرة الضخمة متجهة إلى الكاظمية في حرارة هذا الصيف اللاهب، هذه أصداء هذا الدعاء الشريف تتجلى في أشياع أهل البيت وهم يتوجهون الآن إلى الكاظمية - فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهُ الَّتِي غَيَّرْتَهَا الشَّمْسُ وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَارْحَمْ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي جَرَّتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزَعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرَخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الْأَنْفُسَ وَتِلْكَ الْأَبْدَانَ - هذه الأنفس والأبدان التي جاءت في ذلك الحر اللاهب تسعى إلى قبور أهل البيت، نحنُ إما أن نصدق مع أهل البيت وإما أن نكذب على أهل البيت، حين نقول: زَائِرٌ لَكُمْ، لَائِدٌ عَائِدٌ بِقُبُورِكُمْ، أَنَا زَائِرٌ لَكُمْ لَكِنْ مِنْ جَمَلَةِ مَرَامِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ أَنْ أَلُودَ وَأَعُوذَ بِقُبُورِكُمْ، الزِّيَارَةُ لَكُمْ، لَكِنْ مَرَامِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ كَيْفَ تَكُونُ؟ أَنِّي أَلُودَ وَأَعُوذَ بِقُبُورِكُمْ - مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ، زَائِرٌ لَكُمْ، لَائِدٌ عَائِدٌ بِقُبُورِكُمْ - هذه المحاولات التي يحاولها البعض من الفصل بين حُبِّ أهل البيت وطاعتهم فيخرج علينا خارج فيقول بأن طاعة أهل البيت واجبة، هذا الكلام في الوسط الشيعي أنا لا أعبأ بأقوال النواصب، أتحدث عن الذين يتحدثون في الوسط الشيعي ومن أصحاب العمائم.

يخرج علينا خارج فيقول إن حب أهل البيت ليس بواجب أمرٌ مستحب وإنما طاعتهم واجبة، ويخرج خارج

آخر فيقول إننا لا نقدر الرسول في شخصه وإنما نقدر الرسول في رسالته، نقدر الرسالة، إننا لا نقدر البطل، بطل الخط وإنما نقدر خط البطل هكذا يقولون هذا الكلام كلامهم، ويخرج خارج آخر فيقول إننا نزور الموقف ولا نزور القبر، لا نحن نزور القبر برغم أنفك أيها القائل وبرغم أنف من لا يقبل بهذا، هذا إمامنا الهادي يقول: زائرٌ لكم - فكيف أزور؟ ألوذ وأعوذ بقبوركم - زائرٌ لكم، لائذ عائدٌ بقبوركم، مُستشفعٌ إلى الله عزَّ وجلَّ بكم - الشفيع هو الثاني الشفيع كلمة الشفيع تعني الثاني، الثاني الذي يكون سبباً لتكميل نقص الأول، هناك شفيع وهناك مُشَفِّع فيه، الذي يكون مشفِّعاً فيه هو الأول والشفيع هو الثاني الذي يكون سبباً لتكميل نقص ذلك الذي يحتاج إلى شفاعته، ونحن في كل أحوالنا في حالة نقص، نحن في كل أحوالنا نحتاج إلى أهل البيت - مُستشفعٌ إلى الله عزَّ وجلَّ بكم - في جميع الأحوال ليس فقط في يوم القيامة في كل الأحوال حتى حينما نصلي حينما نصوم في أفضل الطاعات هذه الطاعات ناقصة، نحن ناقصون وأعمالنا ناقصة تحتاج إلى مُكَمِّل المُكَمِّل هو الإمام المعصوم - مُستشفعٌ إلى الله عزَّ وجلَّ بكم - أعمالنا باطلة ما لم نجعل الإمام الحجة هو الشفيع في كل عملٍ نقوم به، ما لم نجعل الإمام الحجة نصب أعيننا في كل عمل في كل طاعة، لا بد أن ترتبط الأعمال ارتباطاً مباشراً بإمام زماننا حتى تكون هذه الأعمال صحيحة - مُستشفعٌ إلى الله عزَّ وجلَّ بكم، ومُتَقَرَّبٌ بكم إليه - وكذلك تقربني لن يكون بعلمي، مَنْ أنا حتى أكون متقرباً إلى الله، النقص الذي يحيطني.

نحن نقرأ في دعاء كميل ماذا نقرأ في دعاء كميل؟ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصْمَ - ذُنُوبٌ تَهْتِكُ الْعِصْمَ - اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقْمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْسِبُ الدُّعَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا.

وحين نذهب إلى دعاء أبي حمزة الثمالي الذي يُقرأ في أسحار شهر رمضان: أَنَا يَا رَبِّي الَّذِي لَمْ أَسْتَحْيِكَ فِي الْخَلَاءِ - فِي الْخَلَاءِ حِينَ لَا يَكُونُ أَحَدٌ لَا اسْتَحْيِي مِنْكَ - أَنَا يَا رَبِّي الَّذِي لَمْ أَسْتَحْيِكَ فِي الْخَلَاءِ - وهذه حقائق في حياتنا - ولم أراقبك في الملاء - وإذا كنت في الناس فإني أراقب الناس، عملي لأجل الناس - أَنَا صَاحِبُ الدَّوَاهِي الْعُظْمَى أَنَا الَّذِي عَلَي سَيِّدِهِ اجْتَرَى أَنَا الَّذِي عَصَيْتُ جَبَّارَ السَّمَاءِ أَنَا الَّذِي أُعْطِيتُ عَلَى مَعْاصِي الْجَلِيلِ الرُّشَى - ندفع الأموال وتكون الأموال إلى المعاصي - أَنَا الَّذِي أُعْطِيتُ عَلَى مَعْاصِي الْجَلِيلِ الرُّشَى أَنَا الَّذِي حِينَ بُشِرْتُ بِهَا خَرَجْتُ إِلَيْهَا أَسْعَى أَنَا الَّذِي أَمَهَلْتَنِي فَمَا ارْعَوَيْتُ وَسَتَرْتَ عَلَيَّ فَمَا اسْتَحْيَيْتُ وَعَمِلْتُ بِالْمَعْاصِي فَتَعَدَيْتُ وَاسْقَطْتَنِي مِنْ عَيْنِكَ فَمَا بَالِيَتْ - هذه وغيرها هل يستطيع الإنسان وهو بهذه الأوصاف أن يتقرب إلى الله؟ نحتاج إلى وسيلة

إلى واسطة - مُسْتَشْفَعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرَّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ، وَمُقَدَّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي - مُسْتَشْفَعٌ فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي هَذَا الْكَلَامَ مُتَعَلِقٌ بِمَا قَبْلَهُ، مُسْتَشْفَعٌ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي، مُتَقَرَّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي، مُقَدَّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي، فِي كُلِّ أَحْوَالِي الْأَحْوَالِ هِيَ الْحَالَاتُ النَّفْسِيَّةُ، وَأُمُورِي مَا يَتَعَلَقُ بِجَمِيعِ مَا يَرْتَبِطُ بِوَقَعِ الْحَيَاةِ الَّذِي يَحِيطُ بِي، فِي كُلِّ حَالَاتِي النَّفْسِيَّةِ، فِي كُلِّ أَفْكَارِي، فِي كُلِّ نِيَّةٍ أَنْوِيهَا، فِي كُلِّ هَوَاجِسِي، فِي كُلِّ قَرَارٍ أَتَّخِذُهُ، فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِي أُرْبِطُهُ بِكُمْ سَادَتِي أَهْلَ الْبَيْتِ، هَلْ نَحْنُ كَذَلِكَ؟ هَذِهِ هِيَ هَوِيَّةُ الشَّيْعِ، وَهَذِهِ هَوِيَّةُ الشَّيْعِ فِي دَرَجَتِهَا الْأُولَى، هَذِهِ هِيَ أَقْلُ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ الشَّيْعِ، وَحِينَ أَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ أَقُولُهُ عَنْ عِلْمٍ مِنْ خِلَالِ مُتَابَعَةٍ فِي رَوَايَاتٍ وَأَحَادِيثٍ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَوْ أُرَدْتُ أَنْ أَثْبِتَ هَذَا مِنْ خِلَالِ الرِّوَايَاتِ سَوْفَ أُرَدُّ أَعْدَادًا هَائِلَةً وَضَخْمَةً مِنْ أَحَادِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ لَكِنِ الْوَقْتُ لَا يَسَعُ لِكُلِّ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ.

مُسْتَشْفَعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرَّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ، وَمُقَدَّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي - مُقَدَّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي الْطَلْبَةُ هِيَ الْغَايَةُ الْأُولَى، وَالْغَايَةُ الْأُولَى هِيَ النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ هُوَ مَجَاوِرَةٌ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَشَيْعَتِكَ يَا عَلِيٍّ وَجُوهَهُمْ مُبِيضَةٌ عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ وَهُمْ جِيرَانِي فِي الْجَنَّةِ، الْبَحْثُ عَنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مَجَاوِرَةٌ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْجَنَانِ هَذِهِ الطَّلْبَةُ - وَمُقَدَّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي - حَوَائِجِي الْأُخْرَى، حَوَائِجِ الدُّنْيَا، حَوَائِجِ الدِّينِ، حَوَائِجِ الْآخِرَةِ - وَإِرَادَتِي - إِرَادَتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَقُ بِهِ قَلْبِي مِنْ أَمْنِيَّةٍ، مِنْ فِكْرَةٍ، مِنْ عَقِيدَةٍ، مِنْ عِلْمٍ، مِنْ فَهْمٍ، مِنْ هَاجِسٍ، مِنْ نِيَّةٍ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ - وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي - إِيَّيْ أُرْبِطُهَا بِكُمْ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مُرَبَّوطةً بِكُمْ سَتَكُونُ وَبِالْأَعْلَى، الرِّوَايَاتُ تَقُولُ تَأْتِينَا بِمِثَالِ إِنْ النَّاسَ وَإِنْ الْإِنْسَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا خَلِيًّا مِنْ ذَكَرِ أَهْلِ الْبَيْتِ سَيَكُونُ وَبِالْأَعْلَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَيُّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ وَيَتَحَدَّثُ فِيهِ يَكُونُ خَلِيًّا مِنْ ذَكَرِ أَهْلِ الْبَيْتِ سَيَكُونُ وَبِالْأَعْلَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا مِثَالُ بَقِيَّةِ الْأُمُورِ أَيْضًا، بَقِيَّةِ الْأُمُورِ فِي صِغَائِرِهَا فِي كِبَائِرِهَا كُلِّ جِزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَيَاةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُرْتَبِطًا بِأَهْلِ الْبَيْتِ يَكُونُ وَبِالْأَعْلَى عَلَى الْإِنْسَانَ، فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ لَنْ يَنْتَفِعَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ شَيْئًا سَيُخْرَجُ وَهُوَ صِفْرٌ الْيَدَيْنِ.

مُسْتَشْفَعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرَّبٌ بِكُمْ - إِلَى اللَّهِ - وَمُتَقَرَّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ، وَمُقَدَّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي - وَتَسْتَمِرُّ الزِّيَارَةُ - مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوْلِكُمْ وَآخِرِكُمْ - بِكُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِكُمْ - مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ - بِسِرِّكُمْ فِي هَذَا الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ، بِسِرِّكُمْ الَّذِي هُوَ سِرُّ حَقِيقَتِكُمْ، مُؤْمِنٌ بِهَذَا السِّرِّ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ عَبْدٌ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، بِهَذَا السِّرِّ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ، فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ؟ قَالُوا

من شئنا، بهذا السر الذي لا يحتمله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، فقيل لهم من يحتمله؟ قالوا نحن نحتمله
 - **مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ** - أنا عبدكم وكل ما في ذاتي فهو لكم، فهو منكم وإيكم - **مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ
 وَعَلَانِيَتِكُمْ** - علانيتكم أنتم يا آل محمّد، في أجسادكم، في إمامتكم الأرضية، علانيتكم التي أراها في كل
 صقع من أصقاع الوجود، أنتم يا أسماء الله التي أشرقت في كل مخلوق، أنتم يا من بأيديكم أزمة كل
 الموجودات - **مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوْلِكُمْ وَأَخْرِكُمْ، وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ
 إِلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ، وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ** - أنا ليس لي رأي، رأيي هو رأيكم، وإذا
 قلت رأيي فهذه نسبة مجازية، رأيي هو رأيكم، ليس لي من رأي، ما الدين إلا الحُبُّ والبغض والحديث عن
 الحب والبغض ليس في دائرة العاطفة فقط وإنما في دائرة الفكر والعلم والعقيدة وفي دائرة كل شيء يرتبط
 بحياة الإنسان - **وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ، وَيَرُدُّكُمْ فِي أَيَّامِهِ**
 - وأيام الله هي أيام إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه - **مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ**
 - وإمام زماننا هو الإمام الشاهد الغائب صلوات الله وسلامه عليه، إذا كان الحديث عن غيبة بهذا المعنى
 الساذج الذي نفهمه فنحن غائبون وهو الحاضر، إذا كان الحديث بهذا المعنى الساذج فوالله نحن الغائبون وهو
 الحاضر، لأننا نجهل أنفسنا ونعمل وننسى أعمالنا أما هو:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هو حاضر متى غاب - **مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ
 وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوْلِكُمْ وَأَخْرِكُمْ، وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ** - وأولكم وآخركم هو محمّد، أولكم
 محمّد أوسطكم محمّد آخركم محمّد كلكم محمّد - **وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ** - وإنما أطلب ذلك بتوفيق
 منكم أنا لا أستطيع أن أكون بهذه الأوصاف إلا بتوفيق منكم، أنا أطلب التوفيق منكم سادتي آل محمّد
 حتى أفوض أمري إليكم - **وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ** - وكيف لا أسلم وأنا أعرف
 هذا الفضل من فضلكم، كل هذه المعاني التي مرت في الزيارة الجامعة الكبيرة كيف لا أسلم لكم، أجنون أنا
 أم معتوه؟! الذي يعرف هذه المعاني كيف لا يسلم؟! أجنون أم معتوه؟! أم هو سوء الحظ والخيبة؟!

وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ، وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ، قَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ، قَلْبِي وَرَقَةٌ بِيضَاءٌ هَكَذَا أتمنى أنا حينما أتحدث لا
 أتحدث عن شخصي فمن أنا؟! وإنما هو حديث الزيارة هكذا، الذي يفترض بالشيوعي أن يكون هكذا، أنا
 لا أتحدث عن نفسي، عن نفسي فلان بن فلان، وإنما أتحدث عن الزيارة المعاني الموجودة في الزيارة هذه هي
 هوية الشيوعي ولا بد أن يكون الشيوعي كذلك - **وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ** - إني أجعل من قلبي ورقة، ورقة بيضاء
 وأنتم أكتبوا فيها ما تشاءون، ما كان فيها من حسن فهو منكم وما كان فيها من قبح فهو مني - **وَقَلْبِي
 لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ** - الرواية الجميلة

المنقولة عن سلمان وعن أبي ذر حين خرج أبو ذر وسلمان مع سيد الأوصياء، أبو ذر سأل أمير المؤمنين ما الذي فعله سلمان حتى بلغ ما بلغ من هذه المراتب العالية وصل إلى العاشرة ونحن نتحدث هنا في درجة الأولى، قال: يا أبا ذر أرجع وأنظر في آثارنا، فلمَّا رجع أبو ذر ونظر في الآثار وجد آثاراً لرجلين وجد آثار عليٍّ وآثار أبي ذر، أين آثار سلمان؟ رجع أبو ذر متحيراً أين آثار سلمان؟ فقال له سيد الأوصياء إن سلمان كان يضع قدمه حيثُ أضعُ قدمي - **وَرَأَيْ لَكُمْ تَبَعٌ** - هو هذا المراد، أن لا رأي لي، رأيي هو رأيكم - **وَرَأَيْ لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصِرْتِي لَكُمْ مُعَدَّةً** - نصرتي بكل ما أتمكن بجسدي بصحتي وعافيتي بقوتي وحواسي بنظري وسمعي بلساني وعقلي وفهمي بعواظي بكل إبداع يكون عندي بكل ما أتمكن من قدرة مادية أو معنوية بمالي بسلطتي برعايتي برعيتي بكل ما عندي بكل ما يحيط بي بكل ما أستطيع أن أتصرف فيه، ولذلك قرأنا قبل قليل في زيارة الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه:

فَهَا أَنَا ذَا عَبْدِكَ الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ فَابْدُلْ نَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَجَمِيعَ مَا خَوَّلَنِي رَبِّي بَيْنَ يَدَيْكَ - والتصرف بين أمرك ونهيك، وما خولني ربي، في الأفق المادي في الأفق المعنوي في جميع الآفاق - **وَنُصِرْتِي لَكُمْ مُعَدَّةً حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ، وَيُرِدِّكُمْ فِي أَيَّامِهِ** - أيام إمام زماننا - **وَيُظْهِرْكُمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمَكِّنْكُمْ فِي أَرْضِهِ** - ثم ماذا؟ هذه العبارة تجمع كل ما تقدم - **فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ** - ومن غيركم حتى أكون معه؟! - **فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ** - معكم بقلوبنا بعقولنا معكم بوجودنا معكم بكل شيء يتعلق بنا، ولا أجد ألفاظاً تشرح هذه العبارة والله لا أجد ألفاظاً ولا كلاماً أشرح فيه هذه العبارة - **فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ** - لا أجد ألفاظاً إلا أن أقول بأن أنصار الحسين هم المصداق الواضح لهذه العبارة، ولا أملك شيئاً آخر لشرحها، تبصروا في أحوال أنصار الحسين هم مصداق هذه العبارة - **فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ** - لا أعلم أصحاباً كما قالها سيد الشهداء، هذه العبارة تنطبق على أصحاب الحسين تمام الإنطباق أما على غيرهم على أمثالنا فإنها لا تنطبق إلا بحدود لقلقة الألفاظ - **فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ** - هذه العبارة تحتاج إلى أن الإنسان إذا أراد أن يدقق فيها أن يدقق في كل زاوية من زوايا قلبه، هل هو في كل شيء مع أهل البيت؟

القلب يحتوي على أشياء كثيرة على أفكار هواجس نوايا أمنيات تخطيط للمستقبل تفكير بالماضي تفكير بالحاضر اهتمامات دنيوية أخروية حتى الاهتمامات الأخروية إن لم تكن مرتبطة بأهل البيت لا ينطبق عليها هذا المعنى، حتى اهتماماتنا الأخروية واهتماماتنا الدينية لا بد أن تكون مرتبطة بهم، وحين أقول مرتبطة بهم مرتبطة بإمام زماننا الحجة بن الحسن - **فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ** - ومن غيركم؟ - **آمَنْتُ بِكُمْ** - أنا آمنت بكم - **وَتَوَلَّيْتُ أَحْرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَكُمْ** - ما كان لأولكم فهو لآخركم وما كان لآخركم فهو

لأولكم وإن لم تكن العقيدة كذلك فهي عقيدة باطلة، هذا هو الفهم الصحيح لمعرفة أهل البيت - آمَنْتُمْ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُمْ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوْلَكُمْ، وَبَرَّيْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ - من كل أعداءكم الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم، من كل ما تريدون، أي معنى لا تريدونه فإني لا أريده، أعرفه أو لا أعرفه - وَبَرَّيْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ - والجبت والطاغوت عنوان معروف عند أهل البيت للأول والثاني من أعداء أهل البيت للأرقام الأولى والثانية، والجبت والطاغوت هو كل ما يُعبد من دون الله وهو كل حقيقة شيطانية تحرفُ الناس عن طريق الهدى وتقودهم إلى الضلال - وَبَرَّيْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ - الشياطين الذين يدورون حول الجبت والطاغوت، الجبت والطاغوت هم الآلهة المنحرفون، هم الأصنام والعجول التي عبدها أعدائكم - وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ - الشياطين هؤلاء الذين يُنظِّرون ويشرحون ويكتبون، وسائل الإعلام المعادية لكم، علماء الضلالة وكتب الضلالة هؤلاء هم الشياطين، ولذلك في قنوت أمير المؤمنين حين يلعن أهل السقيفة يلعن أعداء أهل البيت يلعن الناهضين باحتجاجهم، من جملة المعونين في قنوت أمير المؤمنين هو يلعن الناهضين باحتجاجهم، الذين ينهضون باحتجاجهم وبالذفاح عنهم، وهؤلاء هم الشياطين.

وَ بَرَّيْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ - علماء السوء، وسائل الإعلام الناصبي - وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ - أعوانهم - وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ، الجاحدين لِحَقِّكُمْ، وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ - ومر علينا: فَالزَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، هؤلاء هم الذين رغبوا عن أهل البيت - وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ، الجاحدين لِحَقِّكُمْ، وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ وَالغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ الشَّاكِينَ فِيكُمْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ وَليجَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ، وَمِنَ الْأَيْمَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ - هذه مصاديق، هذه مجموعات وأحزاب من أعداء أهل البيت، العنوان الأول الجبت والطاغوت، وعندنا روايات أن من شك في كفرهما فهو كافر - وَبَرَّيْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ - علماء السوء - وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ، الجاحدين لِحَقِّكُمْ، وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ، وَالغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ - الغاصبين جاءت وصفاً لحزب الجبت والطاغوت، لأنهم على طول التاريخ وإلى يومنا هذا هم غاصبون لإرث أهل البيت.

حين نقرأ في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية عن إمامنا الصادق والرواية في الكافي الشريف في الجزء الثاني، الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: لَعَنَ اللَّهُ الْقَدْرِيَةَ لَعَنَ اللَّهُ الْخَوَارِجَ لَعَنَ اللَّهُ الْمُرْجئةَ لَعَنَ اللَّهُ الْمُرْجئةَ، المُرْجئة هم المخالفون لأهل البيت، هم أشياع السقيفة ومن يوالي السقيفة - قَالَ: قَلْتُ: لَعَنَتْ هَؤُلَاءِ مَرَّةً، مَرَّةً وَلَعَنْتَ هَؤُلَاءِ مَرَّتَيْنِ - أي لعنت القدرية، والقدرية

هم بنو أمية، والخوارج لعنتهما مرة مرة ولكنك لعنت المُرجئة مرتين؟ - قال: إن هؤلاء يقولون - المُرجئة الذين يتظاهرون بالاحتياط وابتاع سنة النبي وأنهم لا يجيدون عن سنة النبي ولا يعملون إلا بالصحاح من الأخبار بهذه الأساليب العنكبوتية التي يضللون بها الناس - قال: إن هؤلاء يقولون إن قتلنا مؤمنون فدماءنا متلخخة بشيابههم إلى يوم القيامة، ثم يشير إلى الآية من سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا الْأُتْمَانِ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُتِمَ فَلَِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الإمام يقول: كان بين القاتلين والقائلين خمسمئة عام فالزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا - لأن هؤلاء كانوا يتحدثون في زمان النبي صلى الله عليه وآله ومع ذلك القرآن يخاطبهم: فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ، لذلك إمامنا الصادق يقول إن هؤلاء بخصوص المُرجئة - يقولون إن قتلنا مؤمنون فدماءنا متلخخة بشيابههم إلى يوم القيامة - ولذلك هذا الوصف ينطبق على كل الأجيال وإلى يومنا هذا وإلى ما بعد يومنا هذا.

وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ - إن كان في عصر الظلم الذي وقع وفي العصور الآتية وإلى يومنا هذا - وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمَنْ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشَّيَاطِينِ وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ، الجاحدين لِحَقِّكُمْ - وإلا الذي باشر غصب الخلافة وغصب الإرث والذي ظلم فاطمة هم الأول والثاني وليس الذين كانوا معهم في عصرهم أو الذين جاءوا من بعدهم، وإنما هم في نفس المرتبة في نفس الدرجة والزيارة تشير إلى هذه الحقيقة، نسبت غصب الإرث والانحراف إلى الأجيال الآتية من بعدهم - وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمَنْ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ - انتهت هذه الفقرة - وَالشَّيَاطِينِ وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ، الجاحدين لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ، وَالغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ الشَّاكِينَ فِيكُمْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ وَلِيحَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ، وَمِنْ الْأَثَمَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ - كل هذه العناوين إلى أين تؤدي؟ تؤدي إلى النار، لأن في كُلِّ هذه المجموعات هناك أئمة، وهؤلاء أئمة نار أئمة كفر، وهذه العبارة عبارة تطوي كل المعاني المتقدمة - وَمِنْ الْأَثَمَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ - هذه العبارة تشمل الجب، الطاغوت، الشياطين، وَحَزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمْ، الجاحدين لِحَقِّكُمْ وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلَايَتِكُمْ، وَالغَاصِبِينَ لِإِرْثِكُمْ الشَّاكِينَ فِيكُمْ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ، وَمِنْ كُلِّ وَلِيحَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ. من كل وليحة كأن الزيارة تريد الإشارة إلى ما جاء في سورة التوبة في الآية السادسة بعد العاشرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الرواية في تفسير البرهان ينقلها عن تفسير العياشي: عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا بعني يا رسول الله، قال: على أن تقتل أباك، قال: فقبض الرجل يده، ثم قال: يا بعني يا رسول الله، قال: على أن تقتل أباك، فقال الرجل نعم على أن أقتل أبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن لم تتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة، إنا لا نأمرك أن تقتل والديك ولكن نأمرك أن تكرمهما - الوليعة هو أن الإنسان يتخذ باباً وجهةً وإماماً من دون رسول الله ومن دون عليٍّ وآل علي.

عن أبان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: يا معشر الأحداث اتقوا الله - الأحداث يعني الشباب - ولا تأتوا الرؤساء دعوهم حتى يصيروا أذناً لا تتخذوا الرجال ولائج من دون الله - لا تنصبوهم أئمةً فيما بينكم وبين الله - أنا والله خير لكم منهم ثم ضرب بيده إلى صدره.

الرواية عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو جعفر - إمامنا الباقر صلوات الله عليه - يا أبا الصباح إياكم والولائج فإن كل وليجة دوننا فهي طاغوت - الولائج الأبواب الجهات الأحزاب الجمعيات العناوين الأسماء المسميات الوزراء الحُكَّام العلماء الفقهاء أي جهة تُنصب من دون أهل البيت فهي وليجة - وَمِنْ كُلِّ وَلِيَجَةٍ دُونَكُمْ وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ - وكل هذه المعاني تجمع في هذا العنوان: وَمِنَ الْأَيْمَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ - براءتي من كل هؤلاء، براءتي من كل أعداءكم ومن كل من ينصب العداء لكم - فَشَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ عَلَى مُوَالَاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ - موالاتكم، محبتكم، دينكم، موالاتهم هي محبتهم ومحبتهم هي دينهم، هذه الألفاظ قد تدل كل عبارة منها كل لفظة منها على جهة من جهات المعنى لكنها بالنتيجة تلتقي في حقيقة واحدة هي حقيقة المعية مع أهل البيت معكم لا مع غيركم - فَشَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ عَلَى مُوَالَاتِكُمْ - أبداً ما حييت يعني إلى آخر لحظة من لحظات الحياة أحياناً عليها وأموت عليها - فَشَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَدًا مَا حَيَّيْتُ عَلَى مُوَالَاتِكُمْ وَدِينِكُمْ، وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ، وَرَزَقَنِي شَفَاعَتِكُمْ، وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مُوَالِيكُمْ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ - إلى أي شيء دعوا صلوات الله عليهم؟ دعوا الناس إلى الله، دعوا الناس إلى الوصول إلى الله، وهم الباب الذي من خلاله نصل إلى الله - وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ، وَرَزَقَنِي شَفَاعَتِكُمْ، وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مُوَالِيكُمْ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَضُ آثَارَكُمْ - يقتض آثاركم كقصة سلمان مع سيد الأوصياء، يقتصها يعني يبحث عنها، يبحث عن كل أثر يقوده إليهم، يقتض آثاركم الذي يقتض الأثر الذي يبحث عن الآثار كي يصل إلى المؤثر - وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَضُ آثَارَكُمْ - وآثارهم بيننا آثارهم حديثهم، آثارهم هي هذه الزيارة الجامعة الكبيرة.

أن تصرفوا وقتاً يا أشياع عليٍّ في قراءة هذه الزيارة وفي تدبر معانيها وفي تتبع شروحها إن كان من خلال

هذا البرنامج أو من خلال أي برنامجٍ آخر أو من خلال أي كتابٍ ينفعكم في هذا، اقتصوا آثار أهل البيت، أبحاثوا عن أقوال أهل البيت، العمر قصير، الحياة قصيرة، لا تصرفوا هذه الحياة في أشياء لا تنفع، خصصوا وقتاً من حياتكم أن تقتصوا آثار أهل البيت، اقتصوا آثارهم، الآثار التي بين أيدينا الآن ونستطيع أن نقتصها حديثهم كلماتهم أيها الشباب أيها المثقفون لا تصرفوا الوقت يميناً وشمالاً أبحاثوا عن أئمتكم أعرّفوا إمام زمانكم - وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمْ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ، وَيَهْتَدِي بِهَدَاكُمْ وَيُحَشِّرُ فِي زُمْرَتِكُمْ، وَيَكْرِهُ فِي رَجْعَتِكُمْ، وَيُمَلِّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ، وَيُشَرِّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ، وَيُمَكِّنُ فِي أَيَّامِكُمْ، وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَتِكُمْ - ولا تفر العيون إلا برؤيتكم - وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَتِكُمْ - نحن تفر عيوننا برؤية حسينٍ وآل حسين.

نحن نقرأ في دعاء الغيبة وهو من الأدعية المهمة جداً التي تُقرأ في زمان الغيبة ماذا نقول فيها؟ - اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِنْ خُصْمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ - هنا الزيارة تقول: وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَتِكُمْ، كيف تفر عيوننا برؤيتهم؟ لا بد أن نحتجب بدمتهم - مُحْتَجِبٌ بِدَمَّتِكُمْ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِنْ خُصْمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا تَجْعَلَنِي مِنْ أَعْدَائِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَا تَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعَيْظِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ذَلِكَ فَأَعِزَّنِي وَأَسْتَجِيرُ بِكَ فَأَجْرِنِي، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلَنِي بِهِمْ فَائِزاً عِنْدَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِنْ خُصْمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ - خصماء آل محمد أولئك الذين حُذِّثْنَا عَنْهُمْ زِيَارَةَ عَاشُورَاءَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتَ بِهِ بَنُو أُمِّيَّةٍ - في أي يوم تبركوا؟ في يومٍ قُطِّعَتْ أَشْيَاءُ الْحُسَيْنِ فِيهِ، هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَبَرَّكَتَ بِهِ بَنُو أُمِّيَّةٍ - اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتَ بِهِ بَنُو أُمِّيَّةٍ وَابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ اللَّعِينِ ابْنِ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِكَ وَلِسَانِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ فِيهِ نَبِيُّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَذَا يَوْمٌ فَرِحْتَ بِهِ آلُ زِيَادٍ وَآلُ مَرَّوَانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ فَضَاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ مِنْكَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي مَوْقِفِي هَذَا وَأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ وَاللَّعْنَةَ عَلَيْهِمْ وَبِالْمَوْلَاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ - هؤلاء الذين فرحوا بآلام الحسين وتبركوا بآلام الحسين، هؤلاء الذين فرحوا بعطش الحسين وبغربة الحسين وبسهمٍ نَبَتْ فِي قَلْبِ الْحُسَيْنِ حِينَ أَخْرَجَهُ مِنْ ظَهْرِهِ أَخْرَجَ مَعَهُ ثَلَاثَ الْقُلُوبِ، وَبِحَجْرِ صَكِّ جَبِينِ الْحُسَيْنِ فَسَالَ الدَّمُ كَالْمِزَابِ، هؤلاء الذين فرحوا حين نادى بن سعد: يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرَكِي وَدُوسِي صَدْرَ الْحُسَيْنِ، فداست الخيول صدر الحسين وظهر الحسين، والقضية مستمرة إلى يومنا هذا.

هناك من يفرح ويسر بمظلومية أهل البيت، مرت علينا الرواية قرأتها على مسامعكم في الكافي الشريف:

إِيَّاكُمْ وَذَكَرَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ - لا تذكروا علياً وفاطمة لماذا؟ - فَإِنَّ النَّاسَ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ - هذه القضية كانت موجودة في زمان إمامنا الصادق ولا زالت موجودة إلى يومنا هذا، والقضية نسبية لربما تجد الكثيرين من هؤلاء أيضاً في وسطنا الشيعي ما ذلك بشيء غريب أبداً والله، الذي يتفحص ويدقق في الوسط الشيعي سيجد نماذج كثيرة، نعم مصبوغة من الخارج بصنع، لكن إذا أردنا أن ندخل إلى واقع الأمور تتجلى الأمور بشكلٍ آخر.

هذا رجال الكشي وهذا مقطوع من رسالة الإمام الصادق إلى زرارة، حين لعن الإمام الصادق زرارة بن أعين وهو من خاصة أصحابه وتبرأ منه، الإمام يقول لعبد الله بن زرارة: أقرأ مني على والدك السلام وقُلْ لَهُ إِنِّي إِنَّمَا أَعْيَبُكَ دِفَاعاً مِنِّي عَنْكَ فَإِنَّ النَّاسَ وَالْعَدُوَّ يُسَارِعُونَ إِلَى كُلِّ مَنْ قَرَّبْنَا وَحَمَدْنَا مَكَانَهُ لِإِدْخَالِ الْأَذَى فِي مَنْ نُحِبُّهُ وَنُقَرِّبُهُ وَيَرْمُونَهُ - يَرْمُونَهُ بِالسُّوءِ - لِمَحَبَّتِنَا لَهُ وَقُرْبِهِ وَدَنُوهِ مِنَّا وَيُرُونَ إِدْخَالَ الْأَذَى عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ - كانوا يريدون قتل زرارة لذلك الإمام تبرأ منه ولعنه، تلاحظون مدى المظلومية، تلاحظون هذه العبارات كيف تنضح ظلماً وأذىً - أقرأ مني على والدك السلام وقُلْ لَهُ إِنِّي إِنَّمَا أَعْيَبُكَ دِفَاعاً مِنِّي عَنْكَ فَإِنَّ النَّاسَ وَالْعَدُوَّ يُسَارِعُونَ إِلَى كُلِّ مَنْ قَرَّبْنَا وَحَمَدْنَا مَكَانَهُ لِإِدْخَالِ الْأَذَى فِي مَنْ نُحِبُّهُ وَنُقَرِّبُهُ وَيَرْمُونَهُ - يَرْمُونَهُ بِالسُّوءِ - لِمَحَبَّتِنَا لَهُ وَقُرْبِهِ وَدَنُوهِ مِنَّا وَيُرُونَ إِدْخَالَ الْأَذَى عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ وَيَحْمَدُونَ كُلَّ مَنْ عَيْنَاهُ - أي شخصٍ نعيبه يحمده، وهذا هو منهج أعداء أهل البيت، دققوا في الفضائيات، دققوا في كثير من الكتب، دققوا في ثقافة الكثيرين من المتحدثين ستجدون شيئاً من ذلك واضحاً وصريحاً، هذه ظلامه أهل البيت وهذه مظلومية آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وَرَزَقَنِي شَفَاعَتِكُمْ، وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمْ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ، وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ، وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَيُحَشِّرُ فِي زُمْرَتِكُمْ، وَيَكُرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ، وَيُمَلِّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ، وَيُشْرِفُ فِي عَافِيَتِكُمْ، وَيُمَكِّنُ فِي أَيَّامِكُمْ، وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَيْتِكُمْ.

أسألکم الدعاء جميعاً تنمة الحديث إن شاء الله تعالى في يوم غد في الحلقة التاسعة والعشرين، وإني وإن كنتُ غير راضٍ عن هذه البيانات المختصرة، بودي أن يطول الحديث ويطول في هذه المعاني المهمة التي ترسم لنا صورة التشيع لأهل البيت، هذه هويتنا نحن شيعة أهل البيت وهذه هوية التشيع كما يرسمها لنا إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه، ألقاكم نفس الموعد نفس القناة نفس الشاشة نفس البرنامج وأنا نفس خادمكم، في أمان الله.

الحلقة التاسعة والعشرون

معنى **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي**

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركاتٌ أحبابِ عليٍّ وآلِ عليٍّ أيُّها المُنتظرون إمامهم صلوات الله عليه، هذه الحلقة التاسعة والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، المقطعُ الذي أتناوله في هذه الحلقة أتله على مسامعكم: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي**

المقطع السابق كان قد انتهى في قول الزيارة: **وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ وَيُحَشِّرُ فِي زُمْرَتِكُمْ وَيَكْرِزُ فِي رَجْعَتِكُمْ وَيُمَلِّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ وَيُشْرَفُ فِي عَافِيَتِكُمْ وَيُمْكِنُ فِي أَيَّامِكُمْ وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَتِكُمْ**، ثمَّ تستمرُّ الزيارة في هذا المقطع الذي سأتناوله في هذه الحلقة:

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، مَوَالِيٍّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمَنْ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَحُجَجُ الْجَبَّارِ، بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ يُنْزِلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمَسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَبِكُمْ يُنْفَسُ الْهَمُّ وَيَكْشَفُ الضَّرُّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَإِلَى جَدِّكُمْ (وَإِذَا كَانَتْ الزِّيَارَةُ تَتَوَجَّهُ بِهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَنَقُولُ: وَإِلَى أَحْيِكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ) بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، طَاطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ وَفَارَ الْفَائِزُونَ بِوِلَايَتِكُمْ، بِكُمْ يُسَلِّكُ إِلَى الرِّضْوَانِ، وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَا يَتَّكُمُ غَضَبُ الرَّحْمَنِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ، فَمَا أَحْلَى أَسْمَائِكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسِكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنِكُمْ وَأَجَلَّ خَطَرِكُمْ وَأَوْفَى عَهْدِكُمْ وَأَصْدَقَ وَعْدِكُمْ، كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمْ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمْ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمْ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمْ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمْ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ، إِنْ ذَكَرَ الْخَيْرَ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلَهُ وَفِرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ.

المقطع المتبقي من الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون من حصة الحلقة الأخيرة من حلقات هذا البرنامج في يوم غد إن شاء الله تعالى، هذا المقطع، قبل أن أشرع بتفاصيله هناك ميزتان في هذا المقطع:

الميزة الأولى: أن هذا المقطع أيضاً جاء بحسب قانون الطيّ والنشر، المقطع من بدايته بعد التنفيذ: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي** - من هنا: **مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ بِكُمْ**، إلى أن وصلنا إلى قول الزيارة الشريفة: **وَرَأَيْكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ**، كل هذه المعاني هي نشر، نشر في وجه من وجوه المعاني لقانون أو عبارة طوت كل هذه المعاني، العبارة التي طوت كل هذه المعاني آخر عبارة في هذا المقطع: **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرَعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ**، هذه العبارة طوت كل المعاني التي جاءت مذكورة في هذا المقطع بنحو تفصيلي، كل المقاطع التي تقدمت لم تكن قد جاءت بلسان النشر التام، قلت هناك طي وهناك نشر، والنشر على نوعين: نشر تام ونشر ناقص ليس بتام، المقاطع التي تقدمت وما بقي من كلام في الزيارة الجامعة الكبيرة جاءت بنحو النشر الناقص، النشر الناقص يعني النشر الجزئي، ليس نشرًا كليًا للمعاني، وإلا إذا كانت القضية تقع في هذا الأفق في أفق النشر الكلي فهذا يعني أن الزيارة الجامعة الكبيرة سوف لن تنتهي ألفاظها لن تكون محدودة الألفاظ، حين نقرأ في هذا المقطع - **مَوَالِي لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمَنْ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - القضية لا يمكن أن تُحصَر بالألفاظ، إذا ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة وفقاً لقانون الطي والنشر في الألفاظ والمعاني فما جاء في مقام النشر هو في مقام النشر الجزئي لا في مقام النشر الكلي، لأن مقام النشر الكلي يقتضي أن الزيارة سوف لن تنتهي ألفاظها وستدخل في دائرة المالا نهايات واللغات لا يمكن أن تتصف بهذا الوصف، اللغات اللغة العربية وسائر اللغات الأخرى هي واقعة في حيز النهايات لا في حيز المالا نهايات، ولذلك اللغات غير قادرة على الإحاطة بتلك المعاني المحيطة بهذا الكون، المعاني المحيطة بهذا الكون معاني تتجاوز النهايات، اللغات لا تستطيع أن تُحيط بها، كقضية الإبريق والبحر فإن الإبريق لن يستطيع أن يحيط بالبحر، البحر يُحيط بالإبريق وبسائر الأوعية الأخرى وبكل الأباريق.

معنى أهل البيت معني يُحيط بلغة العرب وبكل اللغات وبكل الألسنة، كل الكائنات سبحت بتسبيحهم، لغة الوجود تنتهي عندهم، ولغة الوجود لها نهاية، لغة الموجودات لغة التسبيح لها نهاية، هذه النهاية تقف عند حدودهم عند أبوابهم، أما حقيقتهم النورية الأولى فهي محيطة بكل تسبيح ومحيطه بكل الألسنة، لذلك قانون الطي والنشر هنا في حدود الألفاظ والمعاني حينما يأتي الكلام عن النشر فإنما يأتي عن النشر التجزيئي عن النشر الجزئي، العبارة هذه الموجودة في آخر هذا المقطع - **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرَعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - هذه طي لكل التفاصيل التي بدأت من قول المقطع - **مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ**

بِكُمْ - إلى قوله - وَرَأَيْكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ - هذه العبارة الموجودة في آخر هذا المقطع - **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفِرْعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - إذا جمعناها مع عبارة أخرى أيضاً جاءت بلسان الطي جاءت بطريقة الطي - **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** - هذان هما المفتاحان الرئيسان في الزيارة الجامعة الكبيرة، هاتان الجملتان، هاتان العبارتان تجمعان كل المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ**، هذا المفتاح الأول. المفتاح الثاني: **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفِرْعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ**، إذا جمعنا بين هذين المفتاحين فإننا قد جمعنا كل المعاني التي جاءت في الزيارة الجامعة الكبيرة، كل المعاني تتفرع عن هذين المفتاحين، هذه النقطة الأولى التي أردت الإشارة إليها بخصوص المقطع الذي سأتناوله في هذه الحلقة.

النقطة الثانية: هذا المقطع يتحدث عن حالة الترقى الفكري والعقائدي لمن كان قد تلبس بلباس الدرجة الأولى من درجات الإيمان، المقطع الذي تحدثت عنه في الحلقة الماضية كما عبرت عنه هو هوية التشيع، وقلت بأن هذه المعاني والحقائق التي ذكرت في المقطع المتقدم هي عبارة عن أجزاء إذا ما رُكبت وجمعت بشكل صحيح ووضعت هذه الأجزاء في مواضعها الصحيحة ارتسمت عندنا وتشكلت عندنا صورة الشيعي في الدرجة الأولى من درجات الإيمان، إذا وصل الإنسان إلى هذا الحد إلى هذا الأفق، إلى أفق الدرجة الأولى من درجات الإيمان وتجمعت في نفسه في روحه في قلبه بتجمعت هذه الحقائق التي ذكرتها الزيارة الجامعة وفتح له باب التوفيق فإنه سيقوى وترقى المؤمن وهو في الدرجة الأولى لا يعني أنه سينال أجزاء جديدة في صورة جديدة للدرجة الثانية من درجات الإيمان، نفس الأوصاف التي جاءت مذكورة في المقطع المتقدم والتي عبرت عنها بهوية التشيع نفس هذه الأجزاء ستبقى ثابتة لكنها تتعمق لكنها تترقى، حين نقول: **كَلَامُكُمْ نُورٌ**، نورية كلامهم ستكون أشد، نورية عقيدتهم ستكون أشد في نفس تلكم الأجزاء في نفس تلكم البيانات التي تقدم الكلام عنها، والإيمان بكل أجزائه يدور مدار هذه الأجزاء وهذه الأوصاف وهذه الحالات التي تحدثت عنها المقطع المتقدم من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة.

المقطع هذا الذي نحن بصددده إنما هو تأكيد عميق للترقي الذي ترتقي إليه نفوس المؤمنين في معرفة أهل البيت، لذلك بعد أن اتصف المؤمن بالصفات المتقدمة إلى أن قال في دعائه - **وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَيْكُمْ** - وقرار العين وقرة العين إنما يكون بالاطمئنان لأن النفوس التي لا تحمل معنى الاطمئنان، الإنسان حينما يكون في حالة فرح في حالة جزع في حالة هزاع حينما يكون في مثل هذه الحالات فإن عينه لن تكون مستقرة، إذا ما نظرت في عين إنسان خائف أو وجل أو مضطرب إذا نظرت في بؤبؤه في بؤبؤ العين ستجد اضطراباً في عينه، قرار العين واستقرارها واستقرار بؤبؤ العين واستقرار إنسان العين وهو سوادها هذا القرار

إنما يأتي من اطمئنان النفس، هذا القرار والاستقرار إنما يأتي من هدوء النفس من سكينتها ومن وقارها، وسكينته النفس ووقار النفس إنما يأتي من التعلق بالله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ حين تتعلق القلوب بذكر الله فإنها تطمئن ويأتيها الخطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ حين تتعلق القلوب وترجع القلوب إلى الله حينئذ يكون قد حلَّ فيها الاطمئنان، إذا حلَّ الاطمئنان فيها فإن ذلك يقود إلى قُرَّةِ العين - وَتَقَرُّ عَيْنُهُ غَدًا بِرُؤْيَيْكُمْ - فيبدأ المقطع الجديد:

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي - هذه التفدية تحدتت عنها في يوم أمس لكن هذه التفدية تختلف عن التفدية السابقة، التفدية السابقة كيف بدأت؟ - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي - هذه التفدية تختلف فيها زيادة - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي - لم يكن قد ذكّر الزائر نفسه في المقطع المتقدم، في المقطع المتقدم - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي - جميع ما يمكن أن يتعلق بالإنسان، وهو قد ذكّر نفسه في الجملة لأنَّ نفسه متعلقة بكلِّ هذه الأجزاء - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي - هذه جميع الأجزاء المتعلقة بحياته فهي نفسه لكنه لتأكيد المعنى ولتعميق المعنى لأن المقطع الآتي مقطع أعمق من المقطع المتقدم، لتعميق الصورة لذكر كلِّ المظاهر ذكر نفسه - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي - لأنَّ أهلي ومالي وأسرتي كلُّ هذه المعاني منطوية في نفسي أمّا أبي وأمّي فهما الأصل وأنا الفرع لذلك سيأتينا بعد قليل - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي - تكرر لنفس هذه التفدية لأنها في ضمن هذا المقطع، في ضمن هذا المقطع المعرفي.

لكن بعد أن ينتهي هذا المقطع يأتينا التفدية بشكلٍ آخر - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي - لأنَّ نفسي هنا هي قد طوت المعاني المتبقية، نفسي هي التي جمعت المتعلقات الأخرى وأبي وأمّي لأنهما هم الأصل - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - هذه العبارات كلها تشير إلى حقيقة واحدة وإن اختلفت التعابير - مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ - هذا تعبير - وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ - هذا تعبيرٌ ثاني - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - هذا تعبيرٌ ثالث، هذه تعابير مختلفة، لكن كلُّ هذه التعابير تتحدث عن حقيقة واحدة، تتحدث عن مضمون واحد، المضمون الواحد الذي تتحدث عنه هذه التعابير هو صلتنا بالله سبحانه وتعالى، موقفنا بين يدي الله سبحانه وتعالى، تكليفنا، علاقتنا، عقيدتنا بالله، عبّر ما شئت، توحيدنا لله، عبادتنا لله، عقيدتنا بالله، علاقتنا بالله، صلتنا بالله، حُبُّنا لله، قُلْ مَا شئت من العبارات، هذه المقاطع القصيرة المختصرة الموجزة وهي من ورائع الحكيم وتدخّل فيما تقدم في قولنا ونحن نخطبهم - وَفَصَلِّ الْخِطَابَ عِنْدَكُمْ - هذه مصاديق من فصل الخطاب، قولٌ فيصل،

قول قاطع - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - كُلُّهَا تَحْمَلُ مَعْنَى واحداً أننا لا نستطيع أن نصل إلى الله إلا من طريقهم، كلُّ هذه العبارات، وإنما نتحدث عن مقامات للنفس البشرية - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ - إذا كانت النفس البشرية وإذا كان القلب البشري في هذا المقام أنه يريد الله في مقام الإرادة أن القلب بكل نيته، أن القلب بكل محتواه تعلقت إرادته بالوصول إلى الله، كيف يستطيع هذا القلب أن يحقق هذه الإرادة؟ كيف يستطيع أن يحقق هذا الهدف؟ كيف يستطيع أن يصل إلى هذه الغاية؟ - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ - لماذا من أراد الله بدأ بكم؟ لقانون ثابت.

هذا القانون يذكره شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه في كتابه الكافي الشريف، هذا القانون عن أبان بن تغلب، هذا الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف باب أن الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام، أبان بن تغلب ينقل عن إمامنا الصادق، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ - الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَمَعَ الْخَلْقِ وَبَعْدَ الْخَلْقِ - يعني أن الموجود لا يمكن أن يتحقق وجوده إلا بوجود الحجّة، فالحجّة قبل الخلق قبل وجوده قبل وجود هذا الإنسان، والحجّة مع الخلق حين تكوّن، والحجّة بعد الخلق حتى بعد أن يُعدم، لو فرضنا أن يُعدم أو يتحول أو ينتقل من عالم إلى عالم فإنّ الحجّة ثابتة، الكلمة هنا تُشير من وراء ستارٍ رقيق إلى نفس كلمة سيد الأوصياء - ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله وبعده ومعهُ وفيه - مضامين عميقة جداً، نفس هذه الكلمة كما قلتُ تشير من وراء ستارٍ رقيق إلى نفس هذه الحقيقة - الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَمَعَ الْخَلْقِ وَبَعْدَ الْخَلْقِ - من أراد الله بدأ بكم، إذاً الحجّة مُحيطَةٌ بنا، فإذا أردنا أن نتوجه إذا أردنا الله سبحانه وتعالى كما قلت إذا كان القلب في هذه الحالة النفسية في حالة إرادة الله سبحانه وتعالى فعليه أن يبدأ بالحجّة وإنما يبدأ بالحجّة لأنّ الحجّة كانت وقبله ومعهُ وبعده القضية أبعد من مسألة الزمان والمكان، الحجّة قبل الخلق، قبل الخلق الزمان والمكان إنما هو من أجزاء الخلق والحجّة سابقة على الزمان والمكان، الحجّة قبل الخلق ومع الخلق، مع الخلق إنّها مُمازجةٌ للخلق.

نحن نقرأ في صفات التوحيد أنّه سبحانه وتعالى داخلٌ في الأشياء لا كشيءٍ في شيء، لا بنحو المُلامسة ولا بنحو المُمازجة وهذا المعنى يتجلى في أسمائه الحُسنى بالنحو الذي يتناسب مع المقام الحدوثي والمقام الخلقى للأسماء الحُسنى، المعنى الذي يتوجه به النبي الخاتم إلينا صلى الله عليه وآله فيقول: تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ، نحنُ أيضاً نتخلَّقُ بِأَخْلَاقِ اللهِ نتصفُ بصفات الله تكويناً وتشريعاً، تكويناً صفته العلم وصفته السمع وصفته البصر من أين جئتُ بما أنا أو من أين جئتُ بما أنت؟ أليست هذه مجالي لعلم الله ولسمع الله ولبصر الله سبحانه وتعالى؟! هذا في الجانب التكويني، وفي الجانب التشريعي يُطالبنا التشريع بالكرم بالصدق بالطهارة كلُّ هذه المعاني أليست هي من صفات الله سبحانه وتعالى؟! نحنُ نتصفُ بصفات الله تكويناً

وتشريعاً ولكن بحسبنا، إلهي أنا أنا وأنت أنت، أنا أنا في مقامي المحدود الضيق وأنت أنت في مقامك الذي لا تُدرِكُهُ العقول، أنت الباقي وأنا الفاني، أنت الدائم وأنا الزائل، أنت الحي وأنا الميت، أنت الربُّ وأنا المربوب، وأنت العظيم وأنا الصغير، وأنت الكبير وأنا الحقيق، هذه المعاني التي تتردُّ كثيراً في مناجيات وأدعية أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الحُجَّةُ قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله عليه في رواية الكافي لشيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه.

مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ، البداية منكم والكلام هنا ليس عن حديث في جانب الفكر والعلم، البداية علمياً منهم، نحن في كل خطوة من خطواتنا إذا أردنا أن نُدرِكَ الصواب وإذا أردنا أن نفوزَ بالحقيقة فعلينا أن نأخذَ بما قالوا وبما بيّنوا وبما شرحوا وفصّلوا وشرّعوا، لكن القضية هنا أعمق من ذلك، القضية هنا قضية حقائق الموجودات، القضية هنا تتحدث عن توجه القلب، القضية هنا تتحدث عن مكنون بواطن الضمير الإنساني وهذه ليست خاصة بالإنسان فقط، مع كل الموجودات، لكننا لا نريد الحديث عن غير الإنسان كلامنا عن أنفسنا فهو هذا الذي يتعلّق فيه مصيرنا وترتبطُ به حياتنا - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ - البداية مع أهل البيت والنهاية معهم أيضاً، سيأتينا - بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - القضية لا تقف عند البداية، الحُجَّةُ قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ - بدأ بكم لأنَّ الإنسان لا بد أن يبدأ من نقطة ما، فإذا بدأ من نقطة ما فإن البداية بهم، وهم معه وقبله وبعده. فالحُجَّةُ، هذا قانون أحفظوه: الحُجَّةُ قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.

مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ - ومن وَحَدَهُ من طلب توحيد الله، من أراد أن يعرف كيف يُوحِّدُ الله سبحانه وتعالى لا بد أن يأخذ عنهم - وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ - قَبْلَ عَنكُمْ في المستوى العلمي والفكري والعقائدي، وقَبْلَ عَنكُمْ في المستوى العبادي والروحاني والنوراني، التوحيد لا يمكن أن يصدق إلا بالاعتقاد بهم وإلا بالتمسك بعروثهم وهذا هو التوحيد، أمّا أولئك الذين يدعون بأنهم على التوحيد وهم لا يتمسكون بهم إنهم في أظلم ظلمات الشرك، أولئك هم الكافرون، أولئك هم المشركون، الذين تركوا التمسك بعليّ وآل عليّ، التوحيد من هنا يبدأ والتوحيد هنا ينتهي - بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - العبارات كلها متساوية في الدلالة لكنها تتحدث عن مقامات وعن حالات روحانية ونفسية لوجدان الإنسان لقلب الإنسان لضمير الإنسان، مرةً يكون القلب في مقام إرادة الله فتقول الزيارة: مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ، ومرةً يكون القلب في مقام طلب التوحيد تقول الزيارة: وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنكُمْ، والذي يُريدُ الله يُوحِّدُ الله، والذي يُوحِّدُ الله يُريدُ الله - وَمَنْ قَصَدَهُ - والذي يقصدُ الله ويريدُ الله ويُوحِّدُ الله وكذلك الذي يوحِّدُ الله ويريدُ ويقصده، والذي يريدُ يوحِّدُهُ

ويقصده، المعاني متداخلة فيما بينها، الفوارق جداً دقيقة في المقامات القلبية وفي المقامات المعنوية لنفس الإنسان - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - من قصد، من نوى، من عزم، من أراد، من تعلق قلبه بذلك المقصد فكيف يصل؟ - تَوَجَّهَ بِكُمْ - هذه الباء باء السببية - تَوَجَّهَ بِكُمْ - توجه بكم أي أن البوصلة الاتجاه إذا أردنا أن نأخذ البوصلة كمثال، البوصلة هم، والجهة التي تشير إليها البوصلة هم، والسهم المتحرك في داخل البوصلة هم أيضاً، هذه الباء باء السببية - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - من قصد الله سبحانه وتعالى مادة التوجه هم، توجه بهم، من دونهم لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى الله.

أُقَرَّبُ المعنى، المُصَلِّي حين يقف للصلاة تارة يصلي وهو لا يدري ماذا يصنع يتذكر، قد يتذكر وقد لا يتذكر أنه ابتداء بتكبير الإحرام لا يشعر إلا وهو قد دخل في التسليم وهذا حال الكثيرين من أمثالنا، يعني في أحسن أحواله يتذكر أنه كَبَّرَ تكبيرة الإحرام ما يشعر إلا وهو قد دخل في التسليم، لأن الصلاة تحريمها التكبير وتحليلها التسليم، بدايتها التكبير ونهايتها السلام، فالمُصَلِّي، وفي بعض الأحيان حتى ينسى تكبيرة الإحرام، ينسى أنه قد كَبَّرَ حينما يريد أن يستحضر لا يتذكر بأنه قد كَبَّرَ أو لم يكن قد كَبَّرَ، هو كَبَّرَ لكنه لا يتذكر لأنه كان في غفلة عميقة في سبات في أثناء الصلاة، تارة المُصَلِّي هذا حاله يتذكر تكبيرة الإحرام ويلتفت إلى أنه الآن في مقام التسليم، ومرة أخرى في حال أحسن أن المُصَلِّي يلتفت إلى أنه يُصَلِّي ويصلي صلاة الظهر مثلاً على طول الصلاة هو يستحضر هذه الفكرة أنه الآن هو يصلي وصلاة الظهر فقط هذه الفكرة موجودة عنده، كحال البناء الذي يبني حائط وهو أثناء ما يبني يعلم بأنه الآن هو يبني حائطاً، أو كحال النجار حين يصنع كرسيًا فهو يعلم في حال صناعته للكرسي هو يصنع كرسيًا في هذا الحال، وهذا حاله أحسن من الأول، وهناك حالة أفضل من هذه الحالة وهو أن يلتفت إلى أنه هو يقرأ مثلاً يلتفت إلى أنه قرأ الفاتحة قرأ التوحيد وصل إلى الركوع السجود ذكر ذكر الركوع وذكر السجود وسائر التفاصيل الأخرى ملتفت إلى أنه يأتي بهذه الأشياء، لكن دون أن يلتفت إلى معانيها، وهناك مرتبة أعلى وهو أنه يلتفت إلى ما يقول، وهؤلاء أيضاً على درجات كل واحد بحسبه كل شخص يلتفت إلى معاني ما يقول بحسب مداركه بحسب فهمه، هناك من يتعلق بالعبارات المحضة وهناك من يذهب إلى ما هو أبعد من العبارات إلى الإشارات إلى المعاني العميقة في هذه الألفاظ، بعبارة أخرى يفكر في أسرار العبادة في أسرار الصلاة، في أسرارها الفعلية وفي أسرارها القولية، وهناك من يكون أعمق من ذلك وهو أنه لا يلتفت إلى الألفاظ ولا يلتفت إلى الأفعال وإنما يلتفت إلى المحض الإلهي أنه في محض الله، وهذه قضية أعمق، لأن الالتفات إلى الألفاظ سيجعل الإنسان مُعْرِضاً عن المحض الإلهي وإن كان هو في المحض الإلهي لكنه سيكون مُعْرِضاً عن المحض الإلهي بسبب التفاته إلى الألفاظ وتعلقه بالمعاني المرتبطة بالألفاظ والأقوال وبالأفعال، الحالة الأعمق أنه يكون ملتفتاً إلى المحض الإلهي.

وهناك حالات أعمق من هذا، وهذه أمور مذكورة في مضامها لا أريد الحديث عن هذا الموضوع لكنني وصلت إلى هنا: وصلت إلى أن المصلي ملتفت إلى نفسه وإلى صلاته وهو في المحضر الإلهي، هناك حالات أعمق أنه لن يلتفت إلى نفسه وإلى صلاته وإنما لا يجد من حوله إلا المحضر الإلهي هو في محضر الله سبحانه وتعالى، وتلك حالات خاصة للأولياء لأصحاب المراتب العالية في المعرفة والإيمان من خواص خواص أصحاب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لكن في هذه الدرجة والإنسان ليس ملتفتاً إلى أسرار الألفاظ وإلى أسرار الأفعال وإنما هو ملتفت إلى وجوده وإلى صلاته في محضر الله سبحانه وتعالى، هذا الشعور وهذا الإحساس هذه الحالة النفسية المُحيطة به، هي هذه التي يمكن أن نسميها بمعنى الصلاة، هي هذه الصلاة، الصلاة هي هذه، حين يُعَبَّرُ عن الصلاة في كلمات المعصومين بأئمة معراج المؤمن، معراج المؤمن بهذا المعنى، هذه أول درجات المعراج أول درجات العروج حينما يكون العبد ملتفت إلى محضر الله سبحانه وتعالى، ملتفت بعقله بقلبه بوجدانه بإحساسه، في كل عبادة، في كل عملٍ من الأعمال ما لم نستحضر هذا المعنى أننا في جو المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أننا في دائرة نورية المعصوم فإن الأعمال ستكون ناقصة، هذا المراد: **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** - أننا حين نقصد الباري سبحانه وتعالى لا بد أن نكون في لباسٍ سابغة كما مرَّ علينا في يوم أمس في تعقيبات فريضة الفجر والداعي يدعو مستعيذاً بالله سبحانه وتعالى:

مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ مِنْ سَائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَمَا خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ فِي جَنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ بِلِبَاسٍ سَابِغَةٍ وَوَلَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ، لباس سابغة، اللباس السابغة، اللباس التي تغطي جميع الإنسان، وهنا الحديث عن لباس سابغة ليس لباس كلباس الثياب التي تغطي الأجزاء التي يجب أن تُغطى من البدن، يجب شرعاً أو عرفاً أو ذوقاً قل ما شئت، الإنسان يغطي أجزاء بدنه من هذه الأجزاء ما يجب تغطيتها شرعاً، منها ما يجب تغطيتها عرفاً، منها ما يجب تغطيتها ذوقاً، ومنها ما يجب تغطيتها بحملاً وتَحْسُنًا طلباً للتحمل، لكن الحديث في هذا الدعاء عن لباس سابغة تغطي وجود الإنسان من شر كل غاشمٍ وطارقٍ من جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى، من شر كل صامتٍ وناطقٍ كما قال الدعاء، نحن بحاجة إلى لباسٍ سابغة، مثل ما نحن بحاجة إلى لباسٍ سابغة من شر كل غاشمٍ وطارقٍ تغطي كل وجودنا نحن بحاجة إلى لباسٍ سابغة، هذه اللباس السابغة، هذا اللباس السابغ الذي يغطي لنا لأجل أي شيء؟ لأجل أن يغطي نقائصنا، لأجل أن يغطي ظلمتنا، لأجل أن يغطي جهلنا، نحن بحاجة إلى نورية، هذه النورية تحيط بنا إذا أحاطت بنا هذه النورية بواسطة هذه النورية نستطيع أن نتوجه إلى الله، كما مرَّ علينا مثلاً في سورة الحديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَهْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ نوراً

فُسِّرَتْ فِي رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلِيًّا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِمَامًا مَعْصُومًا، الْحُجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ هَذَا الْمَشِي لَيْسَ الْمَشِي الْجَسَدِي، هَذَا الْمَشِي مَشِي الْعَقْلِ مَشِي الْقَلْبِ مَشِي الْوَجْدَانِ مَشِي الْحَقِيقَةِ، هَذَا لَيْسَ نُورًا لِلْمَشِي الْجَسَدِي حَتَّى يَكُونَ هَذَا النُّورُ نُورًا حَزْئِيًّا لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا النُّورُ نُورًا كَلِيًّا مَحِيطًا بِعَقُولِنَا مَحِيطًا بِقُلُوبِنَا مَحِيطًا بِوُجُودِنَا حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَمْشِيَ بِهِ أَنْ تَتَحَرَّكَ حَقِيقَتُنَا فِي جَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - لَا بَدَّ أَنْ تَتَّصَلَ الْقُلُوبُ بِهَمْ وَالْعُقُولُ بِهَمْ حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ.

لِذَلِكَ قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ الَّذِينَ لَا يَتَمَسَّكُونَ بِهَمْ فَإِنَّهُمْ مَا هُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّوْحِيدُ بَرَاءٌ مِنْهُمْ، التَّوْحِيدُ هُوَ هَذَا، تَوْحِيدُ اللَّهِ لَا يَكُونُ بِحَسَبِ مَزَاجِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ مِثْلًا أَوْ بِحَسَبِ ذَوْقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَوْ بِذَوْقِ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ فِي هَذَا الْوُجُودِ، لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ بِحَسَبِ مُوَازِينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمُوَازِينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَبِينُهَا أَوْصِيائُهُ وَهَذَا بَيَانُ أَوْصِيَائِهِ - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - التَّوْحِيدُ هُوَ هَذَا، لَا بَدَّ أَنْ نَكُونَ مُحَاطِينَ بِنُورِيَّةٍ هِيَ نُورِيَّةُ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ نَحْنُ نُحَاطِبُ الْإِمَامَ الْحُجَّةَ فِي زِيَارَتِهِ الشَّرِيفَةِ، هَذِهِ زِيَارَةٌ مِنَ الزِّيَارَاتِ الَّتِي يُزَارُ بِهَا إِمَامُ زَمَانِنَا وَهِيَ خَرَجَتْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ، هَذِهِ الزِّيَارَةُ مَعْرُوفَةٌ بِزِيَارَةِ التُّدْبَةِ غَيْرَ دَعَاءِ التُّدْبَةِ لَا يَشْتَبَهُ عَلَيْكُمْ، هَذِهِ زِيَارَةُ التُّدْبَةِ خَرَجَتْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِيرِيِّ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَيَسْتَحَبُّ أَنْ تُقْرَأَ فِي السَّرْدَابِ الْمُقَدَّسِ فِي سَامِرَاءَ، هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الثَّانِي بَعْدَ الْمَعْتَمَةِ مِنْ كِتَابِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ نُحَاطِبُ الْإِمَامَ الْحُجَّةَ فَمَاذَا نَقُولُ؟

يَا وَقَايَةَ اللَّهِ - وَقَايَةَ، يَا وَقَايَةَ اللَّهِ، هَذَا النُّورُ الْمَحِيطُ بِنَا الَّذِي يَقِينَا مِنْ ظُلْمَتِنَا وَمِنْ جَهْلِنَا وَمِنْ ذُنُوبِنَا وَمِنْ كُلِّ نَقْصٍ - يَا وَقَايَةَ اللَّهِ وَسْتَرَهُ - وَهَذَا السِّتْرُ الَّذِي يَسْتَرُ عَيْبُونَا، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَفُوزَ بِوَقَايَةِ اللَّهِ تَوَجَّهْ إِلَى الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَفُوزَ بِسِتْرِ اللَّهِ تَمَسَّكْ بِالْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ - يَا وَقَايَةَ اللَّهِ وَسْتَرَهُ - بَعْدَ الْوَقَايَةِ وَالسِّتْرِ - وَبِرَكَتِهِ - وَتَأْتِي الْبَرَكَةُ هُنَاكَ، يَأْتِي الْفَضْلُ وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالرَّحْمَةُ وَالْمَحَبَّةُ، فَهُوَ أَعْطَفُ عَلَيْنَا وَأَبْرُّ مِنَّا وَأَرْأَفُ بِنَا مِنَ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ هَكَذَا تَصَفُّهُ الرُّوَايَاتُ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، مَاذَا نَقُولُ لَهُ - يَا وَقَايَةَ اللَّهِ - أَنْتَ وَقَايَتِي - وَسْتَرَهُ - وَأَنْتَ سِتْرِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ - وَبِرَكَتِهِ - وَأَنْتَ بَرَكَتِي - يَا وَقَايَةَ اللَّهِ وَسْتَرَهُ وَبِرَكَتِهِ أَغْنِي - فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى - أَغْنِي - أَغْنِي الْمَعَانِي مُتَقَارِبَةً - أَغْنِي أَدْنِي - أَدْنِي إِلَيْكَ لِأَنِّي إِنْ دَنَوْتُ إِلَيْكَ فَقَدْ دَنَوْتُ إِلَى اللَّهِ: وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - أَدْنِي أَدْرِكُنِي - يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صِلْنِي بِكَ وَلَا تَقْطَعْنِي - لِأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَصِلْنِي بِكَ فإِلَى أَيْنَ سَأَذْهَبُ؟ سَأَذْهَبُ إِلَى تَوْحِيدِ الْقَوْمِ، إِلَى

أولئك الذين يعبدون شيئاً لا يعرفون ما هو، يعبدون شيئاً صنعتُهُ أوهامهم وعقولهم، المصباح المنير في هذا الوجود هُم مُحَمَّدٌ وَأَلُّ مُحَمَّدٌ وسفينَةُ النجاة هُم مُحَمَّدٌ وَأَلُّ مُحَمَّدٌ، سفينة التوحيد هُم، مصباح التوحيد هُم، برهان التوحيد هُم، قرآن التوحيد هُم، حقيقة التوحيد هُم - يا وقايةَ الله وستره وبركته أغثني - يا ابن رسول الله - أدنني أدركني صِلني بِكَ ولا تقطعني - لأنك إن لم تَصِلني فأنا مقطوع لا أستطيع الوصول إلى الله، لا يمكن أن أصلَ إلى الله إلا بِكَ يا ابن رسول الله، هذه عقيدتي وهكذا تعلمت من آبائك وأجدادك: مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، بِكَ صِلني لا تقطعني يا ابن رسول الله، هو هذا: وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، هذه العبارات كلها تشير إلى هذا المضمون إلى مضمون حقيقة التوحيد - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - والعبارات بحاجة إلى شرح أكثر من ذلك لكنني أرى الوقت يجري سريعاً وهناك مطالب أخرى عديدة لا بد من الإشارة إليها.

مَوَالِي: وأنتم أولياء نعمتي، موالِي يعني سادتي يعني أوليائي، تقدم عندنا في أول الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقَادَةَ الْأَمَمِ - أَنْتُمْ قَادَتِي - وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ - أَنْتُمْ أَوْلِيَائِي، أَنْتُمْ أَوْلِيَاءِ نَعْمَتِي - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ - وَأَنْتُمْ سَاسَتِي - وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ - وَأَنْتُمْ الْبَابُ الَّذِي أُطْرَقُهُ دَائِماً وَأَطُوفُ حَوْلَهُ وَأَقْضِي عَمْرِي فِي خِدْمَتِهِ، أَنْتُمْ أَبْوَابُ الْإِيمَانِ وَأَنْتُمْ أَمْنَاءُ الرَّحْمَنِ وَأَنْتُمْ الْأُئِمَّةُ الدُّعَاةُ وَالْقَادَةُ الْهُدَاةُ وَالسَّادَةُ الْوَلَاةُ وَالذَّادَةُ الْحُمَاةُ، أَنْتُمْ ذَادَتِي وَحُمَاتِي، وَأَنْتُمْ بَقِيَّةُ اللهِ، وَأَنْتُمْ نُورُهُ وَبِرْهَانُهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْكُمْ - مَوَالِي - سَادَتِي أَوْلِيَائِي - لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمَنْ الْوَصْفِ قَدْرُكُمْ - لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ، الإحصاء هو العد، والعد بحاجة إلى حواس منتبهة حتى يستطيع الإنسان أن يعد وأن يحصي بجواسه وبحاجة إلى عقلٍ متوقد منتبه حتى لا يخطأ في الإحصاء - لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ - الثناء هو ذكرٌ للجميل، أنا هنا لم أقل لا أحصي جميلكم وجمالكم، أنا لا أحصي ثنائكم لأنَّ جمالكم أصلاً لا يوجد له ثناء وإنما يوجد شيءٌ من الثناء لشيءٍ من جمالكم وهذا الشيءُ من الثناء إني لا أستطيع أن أحصيه، الثناء هو مديح هو شكر، والمديح والشكر والثناء لأي شيءٍ؟ يأتي متفرعاً عن وجود شيءٍ جميل، فجمالكم لا حدود له، وما يوجد من ثناءٍ في العقول في القلوب في الألسنة ما هو إلا ثناءٌ لبعضٍ من جمالكم ومع ذلك هذا الثناء الذي هو لبعضٍ من جمالكم أنا لا أستطيع أن أحصيه. كما يقول الجواهري:**

تعداد مجد المرء منقصة له إذا فاقت مزاياه عن التعداد

إذا كانت الكمالات لا حدود لها.

لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ - أنا لا أستطيع أن أحصي ثنائكم على لسان الخلائق، كُلُّ الخلائق تثنى عليكم، كُلُّ جمالٍ في هذا الوجود هو منكم، وكل جمالٍ وكل حياةٍ هي منكم، الحياة جمال وكل حياةٍ هي منكم، كُلُّ

جمالٍ هو منكم، وكلُّ خيرٍ هو منكم، أعودُ إلى قانونِ الطي - **إِنْ ذَكَرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرَعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - أنا لا أحصي ثنائكم - **وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ** - أما الكُنه فهو حقيقة الشيء وإدراك حقيقة الشيء بحاجة إلى عقلٍ مُسلَّحٍ بمعرفة عميقة، بحاجة إلى بصيرةٍ ثابتة - **لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ** - بحواسي المتقدمة وبعقلي المتوقد فإنني لا أحصي ثنائكم، وبعقلٍ متعمِّقٍ وبصيرةٍ ثابتة لو كنتُ أملكها فإنني لا أبلغُ من المدحِ كُنْهَكُمْ، لن أستطيع أن أقولَ ما أقولُ ولن أستطيع أن أرسمَ ما أرسمُ في تخيلتي وفي ذهني من جمال حقيقة كُنْهَكُمْ - **وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - الوصف يكونُ ممكن في الأذهان، يمكن للإنسان أن يَصِفَ الأشياءَ في ذهنه لنفسه - **وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - ويمكن أن يَصِفَ باللسان ويمكن أن يَصِفَ بالرسم، والإنسان إنما يَصِفُ معتمداً على خياله، يعني مهما أوتينا من قدرةٍ في الخيال فإننا لن نستطيع أن نَصِفَ شيئاً من قدركم - **مَوَالِيٍّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ** - هذا استسلامُ العقل واستسلامُ القلب واستسلامُ الخيال كل القدرات تستسلم هنا أمام نورية مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وما ذلك بشيءٍ غريبٍ.

الشمس هذه التي هي ليست بشيءٍ نحنُ لا نستطيع أن نملأَ عيوننا منها عند الضحى، والشمسُ حتى لا تُعدُّ بذرةٍ إذا ما قيست بهذا الوجود الواسع، وهذا الوجود الواسع كُلُّ نوريته إنما هي من نوريتهم، إنما هي جزءٌ يسيرٌ من نوريتهم صلوات الله وسلامه عليهم - **مَوَالِيٍّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - كيف أستطيع أن أصِفُكُمْ؟ أميرُ المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزء السادس والعشرون في جانبٍ من حديث المعرفة بالنورانية ماذا يقول؟ يقول: اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزَّ وجلَّ وخليفته على عبادته لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كُنْه ما فينا - نفسُ المعنى الموجود هنا: **وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ** - كلام أهل البيت، أحاديثهم، زياراتهم بعضها يشدُّ البعض الآخر.

أسفي على تلك العقول التي لا تتلذذُ بهذه المعاني ولا تعرف قيمتها وهم يقولون بأنهم من أشياع عليٍّ وآل عليٍّ - **مَوَالِيٍّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - وقولوا في فضلنا ما شئتم، الباب مفتوح لماذا؟ فإنكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبرَ وأعظمَ مما يصفه واصِفُكُمْ - **لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبرَ وأعظمَ مما يصفه واصِفُكُمْ أو يخطر على قلب أحدكم، حتى خطور لا يخطر، الخيال يتوقف - **فَإِذَا عَرَفْتُمُونَا هَكَذَا فَانْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ** - إذا عرفتم بأنَّ جميع القدرات الموجودة عند البشرية عند الإنسان هي عاجزة ولذلك نحنُ نصدع بعقولنا بقلوبنا بألستنا: **مَوَالِيٍّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أَبْلُغُ مِنَ**

الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ، تلاحظون الكلام في حديث المعرفة بالنورانية فيه تفاصيل لكن الزيارة وهي القول البليغ الكامل تختصر المعاني في كلمات قصيرة.

هذا بصائر الدرجات رواية جميلة جداً في بصائر الدرجات، وبصائر الدرجات أسم على مسمى كتاب شيخنا أبي جعفر الصفار من أصحاب إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه، والرواية عن المفضل بن عمر من أبرز عارفي أهل البيت ومن خواص أصحابهم، المفضل بن عمر ينقل عن إمامنا الباقر - قال أبو جعفر عليه السلام: **إِنَّ حَدِيثَنَا صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ ذَكَوَانٌ أَجْرَدٌ لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا عَبْدٌ اِمْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبُهُ لِلْإِيمَانِ، أَمَّا الصَّعْبُ فَهُوَ الَّذِي لَمْ يُرْكَبْ -** يعني لم يصل إليه أحد - **أَمَّا الصَّعْبُ فَهُوَ الَّذِي لَمْ يُرْكَبْ بَعْدَ -** لم تركبه العقول لم تصل إليه العقول شيء بعيد، بعيد المنال، هو - قال: **حَدِيثَنَا صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ ذَكَوَانٌ أَجْرَدٌ لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا عَبْدٌ اِمْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبُهُ لِلْإِيمَانِ، أَمَّا الصَّعْبُ فَهُوَ الَّذِي لَمْ يُرْكَبْ بَعْدَ وَأَمَّا الْمُسْتَصْعَبُ فَهُوَ الَّذِي يُهْرَبُ مِنْهُ -** هذا الشيء أعمق - **فَهُوَ الَّذِي يُهْرَبُ مِنْهُ -** تَحْتَلُّ عِنْدَهُ الْعُقُولُ - **فَهُوَ الَّذِي يُهْرَبُ مِنْهُ إِذَا رُئِيَ وَأَمَّا الذَكَوَانُ فَهُوَ ذَكَاءُ الْمُؤْمِنِينَ -** يعني بصيرتهم - **وَأَمَّا الْأَجْرَدُ فَهُوَ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾** فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمل أحد من الخلائق أمره - أحسن الحديث الكلام هنا ليس عن ألفاظ، الحديث هنا إشارة إلى حقيقة أهل البيت، وحتى لو صاغه أهل البيت بصياغة الألفاظ فإن أوصافه هي هذه - فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله - لا يستطيع مهما أوتيت هذه المخلوقات، الملائكة بعقولها لو دنوت أمثلة لاحتقرت، جبرئيل، عقل العقول في عالم الملائكة جبرئيل - لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله - من ذا الذي يستطيع أن يحتمل أمر مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ بكماله!؟

حتى يَحُدُّهُ - يَحُدُّهُ بِمَحْدُودٍ عَقْلُهُ لِأَنَّهُ مَحْدُودٌ، فَإِذَا حُدَّهُ انْقَلَبَ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، إِذَا لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ إِدْرَاكِ لِحَقِيقَتِهِمْ - لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يَحُدُّهُ لِأَنَّهُ مِنْ حَدِّ شَيْءٍ فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ - العبارة تحتمل الوجهين هو أكبر منه يعني العقيدة أكبر منه أو أن الإنسان يكون أكبر من الشيء الذي يحده في داخله والمعنى واحد، موطن الشاهد هنا - **حَدِيثُنَا لَا يَحْتَمِلُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ أَمْرَهُ بِكَمَالِهِ حَتَّى يَحُدَّهُ -** إذا أراد أن يعرف شيئاً عنا لا بد أن يجد أمرنا بمحدود عقله، إذا حُدَّهُ بِمَحْدُودٍ عَقْلِهِ فَهَذِهِ مَعْرِفَةٌ أَطْفَالِيَّةٌ، مَعْرِفَةٌ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ سَتَكُونُ حَيْثُذِ، فِي غَايَةِ الْجَهْلِ عَنِ حَقِيقَةِ الْحَقِيقَةِ، مَعْرِفَةٌ مَحْدُودَةٌ حَيْثُذِ سَتَكُونُ لِأَنَّهَا إِذَا حَدَدْنَاهَا تَحَوَّلَ الْأَمْرُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، كَالَّذِي يَمْلَأُ إِبْرَيْقاً مِنَ الْبَحْرِ وَيَقُولُ هُوَ هَذَا الْبَحْرُ، أَهَذَا هُوَ الْبَحْرُ؟! الْإِنْسَانُ الْآنَ يَأْتِينَا بِقِنِينَةٍ مِثْلًا هَذِهِ قِنَانِي الْمَاءِ الَّتِي نَشْرِبُهَا يُكْتَبُ عَلَيَّ بَعْضُهَا أَنَّهُ جِيءَ

بهذا الماء من جبال سويسرا من جبال فرنسا أو من أي جبلٍ آخر أو من أي مكانٍ آخر، حينما تأخذ هذه القنينة وتجد مكتوب عليها أنّ هذا الماء جيء به من العيون الفلانية في الدولة الفلانية، هل هذه القنينة تعطيك صورة عن تلك العيون؟!!

أبدأ، معرفتنا بأهل البيت كمعرفة هذا الذي يشرب من قنينةٍ كُتِبَ عليها جيء بهذا الماء من جبال سويسرا وهو لم يكن قد رأى جبال سويسرا ولا تلك العيون الجبلية ولا شيئاً من ذلك، معرفتنا بأهل البيت هكذا، هذا الحديث يقول هكذا: **حَدِيثُنَا لَا يَحْتَمِلُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ أَمْرَهُ بِكَمَالِهِ حَتَّى يَحُدَّهُ** - ولذلك الزيارة صريحة وواضحة - **مَوَالِيٍّ لَا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ** - من أنا حتى أحصي ثنائكم؟! - **وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** - ثم تعود الزيارة فتعطينا أوصافاً تتناسب مع ألفاظنا مع المعاني التي يمكن أن نتحسسها - **وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَحُجَجُ الْجَبَّارِ** - نور الأخيار هو مظهرٌ من مظاهر نوريتهم، الأخيار جمعٌ لحَيٍّ، ونورُ الأخيار النور الذي نفذ في قلوب الأخيار، نور الأخيار دينهم، قرآنهم، عقيدتهم، بصيرتهم، حقيقتهم، أصلُ التسيح في وجودهم، نور وجودهم، كلُّ ذلك يعودُ إلى أهل البيت، الآن لو نتصفَح الزيارة من بدايتها لنجد مظاهر النورية متكررة وهكذا في بقية العناوين، تعدد المظاهر، مظاهرُ أهل البيت في كل جانبٍ من جوانب الوجود، وهذه النصوص الصادرة عن أهل البيت إنما هي تتحدث بشكلٍ وبآخر عن صورة التكوين، مثل ما نقول بأنَّ الكتاب التدويني المصحف التدويني هو صورةٌ للمصحف التكويني، هذه النصوص الصادرة عن المعصومين كنص الزيارة الجامعة وهو قولٌ بليغٌ كامل هو صورةٌ عن عالم التكوين أيضاً، من جهةٍ ومن حيثيةٍ تتناسب مع المضمون الذي نُسِجَت لأجله هذه الزيارة. إذا نذهب مع الزيارة من البداية، لنقرأ في المقطع الثاني: **وَمَصَابِيحِ الدُّجَى**، والمصايح هي مصادر النور، هذا مقامٌ من مقاماتهم، هذا مظهر من مظاهرهم مصابيحُ الدُّجَى.

في موطنٍ آخر في المقطع الخامس، مصابيح الدجى في المقطع الثاني من المقاطع الأولى التي افتُتِحَت بها الزيارة، في المقطع الخامس: **وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ**، هم نور الله سبحانه وتعالى، هذا مظهرٌ آخر. مظهرٌ ثالث: **وَأَنْتَجَبُكُمْ لِنُورِهِ وَأَيِّدُكُمْ بِرُوحِهِ**.

مظهرٌ رابع: **وَمَنَاراً فِي بِلَادِهِ**، المنار هي العلامت العالية التي يستنير النور عليها ويستنيرُ بها الناس. في موطنٍ آخر: **وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ** - مرٌّ قبل قليل أنتم - **وَصِرَاطِهِ وَنُورِهِ** - أنتم نور الله، هنا - **وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ** - هذا مظهرٌ آخر. مظهرٌ آخر من مظاهرهم: **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِبْتَكُمْ وَاحِدَةٌ**.

مظهرٌ آخر: **خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بَعْرَشَهُ مُحَدِّقِينَ**، هذه كلها مظاهرٌ لنوريتهم صلوات الله عليهم.

وهنا: وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ، وبعد ذلك يأتي في الزيارة أيضاً: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ، ويأتي أيضاً في الزيارة الشريفة: كَلَامُكُمْ نُورٌ، كُلُّ هَذَا مَظَاهِرُ لَهُمْ - كَلَامُكُمْ نُورٌ - الْكَلَامُ النُّورِيُّ هُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِهِمْ - وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ - إِشْرَاقُ الْأَرْضِ بِنُورِهِمْ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِهِمْ - وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ - مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِهِمْ - وَمَنَاراً فِي بِلَادِهِ - هُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِهِمْ، وَبَقِيَّةُ الْمَظَاهِرِ، وَحَتَّى الْعِبَارَاتُ الْأُخْرَى: وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَحُجَّجُ الْجَبَّارِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَفَحَّصَ الزِّيَارَةَ الْجَامِعَةَ وَلَكِنْ ضَيْقُ الْوَقْتِ يَحُولُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْأَمْرِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَصَفَّحَ الزِّيَارَةَ الْجَامِعَةَ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا فَإِنَّا سَنَجِدُ مَظَاهِرَ هُدَاةِ الْأَبْرَارِ فِي كُلِّ صَفْحٍ مِنْ أَصْقَاعِ الْوُجُودِ، وَمَظَاهِرَ حُجَّجِ الْجَبَّارِ، يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا مِنْ أَوَّلِ الزِّيَارَةِ إِلَى آخِرِهَا مَا جَاءَ بِلَفْظِ الْهُدَايَةِ وَالْهُدَى وَمَا جَاءَ بِلَفْظِ الْحُجَّةِ وَالْحُجَّجِ وَالْبُرَاهِينَ وَالْأَدْلَةَ وَالْآيَاتِ، كُلُّ هَذِهِ مَظَاهِرُ: لِحُجَّجِ الْجَبَّارِ، وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ، نُورُ الْأَخْيَارِ النُّورُ الَّذِي اهْتَدَى بِهِ الْأَخْيَارُ.

نَحْنُ حِينَ نَقْرَأُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْآيَةِ السَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ وَمَرَّ عَلَيْنَا فِي يَوْمِ أَمْسٍ مِنْ جَمَلَةِ شَرَائِطِ هَوِيَّةِ الشَّيْخِ: وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَمَنْ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، الطَّاغُوتُ هَذَا هُوَ الطَّاغُوتُ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الَّذِينَ يُولُونَ الطَّاغُوتَ هُمْ كَافِرُونَ كَمَا قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ التَّوْحِيدَ وَمِنْ قَصْدِهِ تَوَجُّهُ بِكُمْ، تَلَاخِظُونَ التَّمَازِجَ الْوَاضِحَ وَالتَّعَانُقَ الْوَاضِحَ بَيْنَ آيَاتِ الْكِتَابِ، بَيْنَ الرِّوَايَاتِ، بَيْنَ نَصِّ الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ، بَيْنَ الْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ وَهَذَا هُوَ دَلِيلُ الْحَقِّ، التَّوْفِيقُ التَّامُ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ بَيْنَ الْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ - وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَمَنْ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ - وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنَّا وَمَنْ قَصْدُهُ تَوَجُّهُ بِكُمْ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ، أَمَا أَوْلِيَاءُ الطَّاغُوتِ الْقُرْآنُ يَقُولُ عَنْهُمْ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هُنَاكَ مَجْمُوعَتَانِ: مَجْمُوعَةُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَلِيَّهُمْ يَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، الَّذِينَ كَفَرُوا الطَّاغُوتَ وَلِيَّهُمْ يَخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، فَهَلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ نُورٍ حَتَّى يُخْرِجَهُمُ الطَّاغُوتُ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أَيُّ نُورٍ هَذَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا؟!

هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْبُرْهَانِ وَهَذَا هُوَ تَفْسِيرُ أَهْلِ الْبَيْتِ، هَذَا هُوَ كَلَامُ أَهْلِ الْبَيْتِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ - الرِّوَايَةُ طَوِيلَةٌ أَخَذَ مِنْهَا مَوْطِنَ الْحَاجَّةِ، الْإِمَامُ الصَّادِقُ يُخَاطِبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ - أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِ

الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ إِلَى نُورِ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ - لِمَاذَا؟ - لَوْلَايَتِهِمْ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ - الإِمَامُ الْعَادِلُ هُوَ الإِمَامُ الْمُعْصُومُ، غَيْرُ الْمُعْصُومِ لَا يَكُونُ عَادِلًا، لِأَنَّ الْعَادِلَ الَّذِي لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِيمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَذِهِ هِيَ صِفَةُ الْعِصْمَةِ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أَي ظُلُمَاتِ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا؟ - يُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ إِلَى نُورِ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ لَوْلَايَتِهِمْ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ قَالَ: قُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ عَنَى بِهَا الْكُفَّارَ؟ - يَعْنِي الْكُفَّارَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ حِينَ قَالَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا - قَالَ: فَقَالَ: وَأَيُّ نُورٍ لِلْكَافِرِ وَهُوَ كَافِرٌ - لِأَنَّ الْآيَةَ تَقُولُ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَعْفُورٍ يَفْهَمُ الْآيَةَ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِثْلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ فِي الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى الإِمَامُ يَقُولُ: - وَأَيُّ نُورٍ لِلْكَافِرِ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَخْرَجَ مِنْهُ إِلَى الظُّلُمَاتِ إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ بِهَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى نُورِ الإِسْلَامِ فَلَمَّا أَنْ تَوَلَّوْا بَعْدَ النَّبِيِّ كُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فَخَرَجُوا بِوَلَايَتِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ نُورِ الإِسْلَامِ إِلَى ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ فَأَوْجِبَ لَهُمُ النَّارَ مَعَ الْكُفْرِ فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى ارْتِدَادِ الْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ارْتَدَتْ الْأُمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ لِأَنَّهَا تَرَكَتْ عَلِيًّا صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، الْآيَاتُ وَاضِحَةٌ صَرِيحَةٌ، الإِمَامُ يَقُولُ: وَأَيُّ نُورٍ لِلْكَافِرِ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَخْرَجَ مِنْهُ إِلَى الظُّلُمَاتِ إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ بِهَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى نُورِ الإِسْلَامِ - فِي زَمَانِ النَّبِيِّ - فَلَمَّا أَنْ تَوَلَّوْا بَعْدَ النَّبِيِّ كُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فَخَرَجُوا بِوَلَايَتِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ نُورِ الإِسْلَامِ إِلَى ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ - وَالْقَضِيَّةُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا - فَأَوْجِبَ لَهُمُ النَّارَ مَعَ الْكُفْرِ فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ - الْأَخْيَارُ هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ عَنْهُمْ ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ مِنْ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ مِنْ ظُلُمَاتِ النِّقْصِ إِلَى نُورِ الْوَلَايَةِ إِلَى نُورِ التَّوْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَى نُورِ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى نُورِ مَجَاوِرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يَا عَلِيُّ وَشِيعَتِكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورِ مُبَيَّضَةٍ وَجُوهِهِمْ وَهُمْ جِيرَانِي فِي الْجَنَّةِ، مُبَيَّضَةٌ وَجُوهِهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ؟ بِنُورِ الْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ - وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَحُجَجُ الْجَبَّارِ - بَقِيَّةُ الْعَنَاوِينَ يُمْكِنُ أَنْ تَقْيِسُوا الْمَعَانِي فِيهَا عَلَى مَا جَاءَ فِي نُورِ الْأَخْيَارِ - وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ وَحُجَجُ الْجَبَّارِ، بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ

يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنْقَسُ الْهَمُّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ - كل هذه المعاني على سبيل النشر ولكن النشر الجزئي، لأن هذه المعاني لا تعني جميع شؤون الكون وجميع شؤون الكون مرتبطة بهم صلوات الله عليهم - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - هذا عنوان عام، هذا طي للمعاني، البداية عندهم والنهاية عندهم أيضاً، نفس المعنى الموجود هنا - إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - في أصل الحلقة، في التكوين، في التشريع، في عوالم الطبيعة، في عوالم الشهادة، في عوالم الغيب، في الملاء الأعلى، في الملاء الأسفل، في كل جزء من أجزاء الوجود - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثَ - الغيث هذا شأن جزئي من شؤون العالم الدنيوي - وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثَ - إذا أريد من الغيث المطر وإذا أريد من الغيث الفيض سيكون المعنى أوسع من ذلك يعني ما يغاث به الناس، والناس يغاثون بالمطر وبكل نحوٍ من أنحاء الرزق المادي والمعنوي - وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثَ.

الله سبحانه وتعالى مثلما جعل ملك الموت سبباً لتفعيل معنى الموت في حياة الناس لا يعترض أحد على ذلك لكن حينما يكون الكلام عن أهل البيت تأتي الاعتراضات، الله سبحانه وتعالى لحقائق أهل البيت الأولى النورية، للمخلوق الأول، للكلمة الأولى الله سبحانه وتعالى أعطاهما القدرة وأعطاهما الإمكانية على أن تتصرف في هذا الوجود، فهي تنزل الغيث وهي تُمسك السماء أن تقع على الأرض، مثلما أعطى ملك الموت القدرة على الإماتة على أن يميت أي مخلوق من الحيوانات من الجن ومن الإنس، بل إن الذين يقومون بدور الإماتة هم أعوانه هم جند ملك الموت، مثل ما الله سبحانه وتعالى أعطانا القدرة على أن نتصرف وأن نصنع وأن نتحرك بأيدينا وأرجلنا ونحن متمكنون من ذلك ولا نشعر بأن أحداً يتصرف فينا، نحن الآن نستطيع أن نجلس أن نقوم أن ننام أن نأكل أن نشرب أن نصنع ما نريد أن نصنع ولا نشعر بأن أحداً يجبرنا على ذلك ولا نتوجه إلى الله بالدعاء أيضاً يعني الآن حينما نجلس على كرسي ونريد أن نقوم هل ندعو الله سبحانه وتعالى يا ربي مكني بحق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ بحق أنبياءك أن أقوم؟! هل ندعو الله سبحانه وتعالى فووض هذه القدرة عندي

بحسبي وبحدودي الله سبحانه وتعالى فووض قدرة أوسع عند الحقيقة المحمّدية، فما هو الفارق بين هذا التفويض وهذا التفويض؟ هذا تفويض محكومٍ بحكم الله ولا يكون إلا بإذن الله وذلك تفويض محكومٍ بحكم الله ولا يكون إلا بإذن الله، والقوة عندي في هذا التفويض من الله، والقوة في الحقيقة المحمّدية قوة من الله، الفارق في السعة والضيق، مثل ما أن الله سبحانه وتعالى سلطني على بدني وأعطاني قدرات وولاية أستطيع أن أتصرف ببديني، وأعطاني قدرة وولاية على أن أتصرف وأؤثر في كثيرٍ من الأشياء المحيطة بي

لكن بحدودي، الدائرة ضيقة لأن حكمتي ولأن قدرتي وقابليتي وعلمي وفهمي محدود، حينما العلم والفهم والقدرة والحكمة واسعة في الحقيقة المحمّدية ستكون الدائرة واسعة، الملاك الذي حصلت به على هذه القدرة هو نفس الملاك الذي حصلت به الحقيقة المحمّدية على قدرتها، لكن ماذا نصنع لهذه العقول البائرة - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمَسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ - وهذه مصاديق من الشؤون الكونية.

كما قلت بأن قانون النشر في الزيارة هو نشرٌ تجزيي جزئي لأننا لا يمكن أن نحيط بكل شؤونات الكون إنما هي نماذج - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمَسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ - هذا في البعد المادي، بكم ينزل الغيث، بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه - وَبِكُمْ يُنْفَسُ الْهَمُّ - هذا في البعد المعنوي - وَبِكُمْ يَكْشِفُ الضَّرَّ - الضّرّ قد يكون مادياً وقد يكون معنوياً، هذه نماذج من كل أشكال وشؤونات الكون - وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمَسِكُ السَّمَاءَ - ينزل الغيث بخصوص عالم الأرض - وَبِكُمْ يُمَسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ - هذا للسماء لما هو خارج الأرض وكلها مصاديق مادية - وَبِكُمْ يُنْفَسُ الْهَمُّ وَيَكْشِفُ الضَّرَّ - همّ للجانب المعنوي، الضّرّ قد يكون مادياً قد يكون معنوياً وقد يكون برزخياً بين المادة والمعنى وقد يكون خليطاً من المادة والمعنى، الإنسان يصاب بمرض مادي وآثاره نفسيه، هذه مصاديق، نماذج، أمثلة لشؤونات الكون التي لا تتحرك ولا تكون إلا بهم صلوات الله عليهم - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمَسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنْفَسُ الْهَمُّ وَيَكْشِفُ الضَّرَّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ - هبطت به ملائكته من الأوامر من القواعد من السنن، ونزلت به رسله الرسل هم أيضاً ملائكة لكنهم ينزلون بشأن أعلى رتبة من بقية الملائكة، كنزول جبرئيل أو نزول ميكائيل على الأنبياء - وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ - على من؟

على كل الأنبياء، على كل الأوصياء، على كل الأولياء، ما كان بنحوٍ جليٍّ وما كان بنحوٍ خفيٍّ، الملائكة تنزل على الأنبياء بنحوٍ جليٍّ، وقد تنزل على الأوصياء والأولياء بنحوٍ خفيٍّ بنحوٍ غير واضح غير محسوس - وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ - يعني أنكم تحيطون بشؤون العالم وبشؤون الأرض في الجانب التكويني وفي الجانب التشريعي، نزول الغيث، الإمساك بالسماء أن تقع على الأرض، تنفيس الهمّ، كشف الضر قضايا تقع في الجانب التكويني - وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ - في الجانب التشريعي، وأن الديانات كلها بأيديكم كل الأديان التي نزلت من السماء، هو الدين واحد، الدين عند الله هو الإسلام، لا يوجد هناك دينٌ آخر، الدينٌ واحد منذ آدم وإلى يوم القيامة، لكن التشريعات

تكون بحسب كل زمانٍ ومكان حتى نزلت الديانة الخاتمة، كل الديانات قائمة على نبوة نبينا وولاية عليٍّ وآل عليٍّ وهذا المعنى صرّحت به مجموعات كبيرة ووفيرة وعديدة من كلمات النبي وآل النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ - في التكوين والتشريع - وَإِلَى جَدِّكُمْ (وإذا كانت الزيارة لسيد الأوصياء: وَإِلَى أَخِيكَ) وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ - الروح الأمين اسمٌ معروفٌ لجبرئيل، وقد يقال أنه عنوانٌ لمعنى آخر إلى الروح الذي ينزل في ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ في الروايات أن هذا الروح خلقٌ أعظم من الملائكة، لَمَّا يسألون الأئمة هل الروح المذكور في سورة القدر هو جبرئيل؟ قالوا لا، جبرئيل من الملائكة، الملائكة تنزل والروح فيها جبرئيل داخلٌ في الملائكة يتنزل هو أيضاً لكن الروح خلقٌ أعظم من الملائكة فقد يكون هذا العنوان عنوانٌ للروح الأعظم، وعلى أي حالٍ المشهور أن الروح الأمين هو جبرئيل - وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ - والحديث عن بعثة نبوة، هذا المقطع هنا يتحدث عن النبوة، نحن هنا بحاجة لأن نتحدث عن النبوة وعن الإمامة وعن الولاية لكنني سأترك هذا الكلام إلى برنامج ملف العصمة.

بعد أيام قلائل سأشرع في برنامج ملفُ العصمة سأحدث عن النبوة والإمامة والولاية، لأن النبوة لها مقامان: هناك مقام الحُبِّ وهناك مقام العبودية، النبيُّ عبدٌ وحيبٌ، هو عبد الله وهو حبيب الله، والإمامة أيضاً لها مقام الحب ومقام العبودية، عليٌّ عليه السلام حبيب الله وعبد الله، الولاية هي مقام النور، الولاية أعلى رتبةً من النبوة والإمامة، فالنبوة والإمامة من فروع الولاية، اللهم إلا إذا أردنا أن نطلق النبوة ونقصد منها الولاية فتكون النبوة هي الولاية، أو نطلق الإمامة ونقصد منها الولاية، وحتى الرسالة، الرسالة لها مقامان مقام الحب ومقام العبودية، النبيُّ صلى الله عليه وآله رسولٌ حبيبٌ ورسولٌ عبد، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله في مقام الرسالة تارةً يكون في مقام الحب وأخرى في مقام العبد في مقام العبودية، وفي النبوة كذلك، وفي الإمامة كذلك، النبيُّ صلى الله عليه وآله، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله نبيُّ رسولٌ إمام وهو وليٌّ، مقام ولايته أوسع من كل هذه المقامات، وعليٌّ وصيٌّ وإمام ومقام ولايته أوسع من كل هذه المقامات، وهنا يأتي كلام أن الروح الأمين بُعثَ إلى النبي صلى الله عليه وآله فهل كان النبيُّ محتاجاً بذاته إلى الروح الأمين؟ أبداً حاجة النبي إلى جبرئيل كحاجته للطعام وللشراب، النبي صلى الله عليه وآله كان في العالم الدنيوي بحسب الحياة التي كان يجيهاها بين الناس كان محتاجاً إلى الطعام والشراب، لكن يأتي هنا سؤال هل كان بإمكان النبي بحكم منزلته التكوينية وولايته التكوينية أن يكون مستغنياً عن الطعام والشراب؟

نعم الزيارة تقول: **وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ**، وذلَّ كل شيءٍ لكم أي أنهم لا يحتاجون شيئاً فلا يحتاجون طعاماً ولا شراباً إذا أكلوا وإذا شربوا فإنما هو بحكم وجودهم في هذا الوعاء الدنيوي، ومع ذلك كان النبي صلى

الله عليه وآله يصوم صوم الوصال وإن كانت هذه القضية قضية ظاهرية وأنا أتحدث عن معنى أعمق ولكن لتوضيح المطلب، كان النبي صلى الله عليه وآله يصوم صوم الوصال وصوم الوصال أن يوصل صيام ليله بنهاره وصيام هذا اليوم باليوم الذي يأتي بعده بدون أكلٍ أو شرب وهو محرّمٌ على الأمة، صوم الوصال محرّمٌ، المراد من حرمة صوم الوصال ليس أنه حرمة عدم الأكل وإنما المراد من حرمة نية صيام الوصال وهذه مسألة فقهية، فكان النبي صلى الله عليه وآله يوصل ليله بنهاره فحينما يقولون له يا رسول الله هل نصوم مثلك صيام الوصال؟

قال: إن معي ربي يطعمني ويسقيني، هناك طعامٌ وسقيٌّ للنبي صلى الله عليه وآله، إن معي ربي يطعمني ويسقيني لذلك كان يصوم من دون أن يأكل من دون أن يشرب يريد أن يشير إلينا بأنه لا حاجة له بالطعام والشراب، لا ولاية للطعام على النبي، الطعام له ولايةٌ عليّ، أنا إذا تركت الطعام أموت، إذا تركت الشراب أموت، نحن إذا تركنا الطعام والشراب نموت، نتحمل يوم يومين ثلاثة إلى وقت معين بعد ذلك يصيبنا الهزال ثم المرض والموت، النبي صلى الله عليه وآله، ودلّ كل شيءٍ لكم، لا يحتاج إلى الطعام والشراب، حاجته إلى الطعام والشراب بحسب الظرف الوعائي الدنيوي، فهل كان يحتاج جبرئيل؟ أبدأً، جبرئيل كان يأتي فيجلس بين يديه جلسة العبد، والملائكة خدامنا وخدام شيعتنا، ما كان محتاجاً لجبرئيل، حاجته لجبرئيل كحاجته للطعام وهو مستغنٍ عن الطعام، لكنه يأكل ويشرب وينام، حاجته للنوم يحتاجه لكنه تنام عيناه ولا ينام قلبه أي نومٌ هذا؟! ومع ذلك حتى هذا النوم هو لا يحتاجه صلى الله عليه وآله، هي هذه إشارة إلينا أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، أي أنه يستطيع مثل ما يصوم صوم الوصال إن معي ربي يطعمني ويسقيني فهو ينام تنام عيناه ولا ينام قلبه، ولذلك حينما جاء أبو ذر في يوم من الأيام وكان النبي نائماً في بستان في حائط من الحوائط، حائط يعني بستان، في حائط من حوائط المدينة فأبو ذر كان عنده حاجة عند النبي ما أراد أن يوقظ النبي بشكلٍ مباشر، وإنما أخذ عرقاً يابساً ووقف جانباً وبدأ يُكسّر حتى يحدث صوت لعل النبي يستيقظ، النبي خاطبه وهو في نومه قال يا أبا ذر لا تفعل ذلك فإنني أسمع وأرى، لست بحاجة إلى أن تفعل هذا الفعل إنني أسمع وأرى يا أبا ذر، النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه وهل هو هذا نوم؟ ليس بنوم، النبي ليس محتاجاً للنوم، ليس محتاجاً للطعام والشراب، إنما ينام يأكل الطعام يشرب الشراب بسبب وجوده في هذا الوعاء الدنيوي.

نحن محكومون بهذا الوعاء الدنيوي، النبي صلى الله عليه وآله كما تقدم في الحديث عن البعد المجرد للمادة وفي البعد الإحاطي الذي هو عند أهل البيت هم فوق المادة وهم يتصرفون فيما وراء المادة - ودلّ كلُّ شيءٍ لكم - حتى وجودهم وكيانهم المادي هو تحت قدرتهم النورية، ودلّ كل شيءٍ لهم، كل شيءٍ ذل لأهل البيت، ذل لمحمّد وآل محمّد حتى وجودهم المادي فهم تحت ولايتهم تحت سيطرتهم وبذلك

يستغنون عن هذه المعاني كلها، فالنبي مستغنى عن جبرئيل، جبرئيل محتاج للنبي صلى الله عليه وآله، الملائكة سبحت بتسبيحهم، هم علموا الملائكة، جبرئيل تعلم من محمدٍ وعليٍّ والروايات مرت علينا، لكن الحديث هنا عن المقام الدنيوي للنبوّة خصوصاً وأن الكلام عن الجانب التكويني في العالم الأرضي - **وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ - إِلَى أَنْ - وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ -** العبارة التي تأتي بعد هذه العبارة تشرح المعنى واضحاً - **آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ -** آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، أنتم متفردون في كل شيء، كل شيء الله سبحانه وتعالى أعطاه لكم فهو خاصٌ بكم - **آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ -** لأنه أعطاكم القدرة الواسعة، أعطاكم الرحمة الواسعة، أعطاكم الجمال الواسع، أنتم أجمل الجمال، أكمل الكمال، أجلّ الجلال، أنتم القدرة المستطيلة التي استطال بها على كل شيء، أنتم الكلمات الأتم، الرحمة الأوسع، أنتم ... أنتم ... لأنه لا فرق بينكم وبينه إلا أنكم عباده وخلقه كما في دعاء الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه.

آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ طَاطًا كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِبَطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ - هذا هو جمعٌ لما تقدم في الزيارة الجامعة الكبيرة مر علينا - **حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صَدِيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ -** كل المراتب الخلقية الصالحة والطالحة - **إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعَظَمَ خَطْرِكُمْ، وَكَبَّرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصَدَقَ مَقَاعِدِكُمْ -** إلى آخر ما جاء في الزيارة الشريفة كل هذه الموجودات الله سبحانه وتعالى سيَعْرِفُهَا وهذه الموجودات في أصل وجودها تعرف هذه الحقيقة وإلا لما وجدت - **طَاطًا كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ -** وكل شريفٍ هو خاضعٌ لولايتكم، وكل متكبرٍ هو خاضعٌ لولايتكم، وكل جبارٍ هو خاضعٌ لولايتكم.

ولو أردنا أن نقرأ سيرة المعصومين وما ظهر من المصاديق العملية في ولايتهم التكوينية على الطواغيت الذين عاشوا في أيامهم هناك حوادث كثيرة موجودة مبثوثة في كتب الحديث ليس من مجالٍ لذكرها وتفصيل القول فيها - **طَاطًا كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ -** بجمع أي خضع وذل - **طَاطًا كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِبَطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ -** وهذه المعاني لها صور ومقامات، لها مقاماتٌ في أصل الحلقة فكل الحلقة في أصلها خاضعةٌ لهم، ولها مقاماتٌ في يوم القيامة فهم الحاكمون في يوم القيامة، عليٌّ قسيم الجنة والنار هو الذي يدخل أهل الجنان إلى جناتهم وأهل النيران إلى نيرانهم، وهو الذي يغلق أبواب الجنان ويغلق أبواب النيران، وهو الذي يزوج أهل الجنان في جناتهم، وهو الذي ينادي في أهل الجنان خلودٌ

خلود وينادي في أهل النيران خلودٌ خلود، وهو صاحب الأعراف صلوات الله وسلامه عليه، لهذا أيضاً مظاهرٌ في العالم الدنيوي عند ظهور إمام زماننا في الرجعة والأوبة والكرات العلوية تتحقق هذه المعاني - **طَاطًا كُلُّ شَرِيفٍ لَشَرَفِكُمْ وَيَخَعُ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لَطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ** - وحتى في زمان الغيبة وفي زمان الهدنة وفي حياة الأئمة هذه المعاني تتحقق بشكلٍ نسبي، هذا الخضوع وهذا البخوع لعلمهم لفضلهم لقدرتهم ولولايتهم التكوينية إن أرادوا تنفيذها وتفعيلها - **طَاطًا كُلُّ شَرِيفٍ لَشَرَفِكُمْ وَيَخَعُ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لَطَاعَتِكُمْ وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ** - وهذا القانون الواضح - **وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ** - كل هذه المعاني تقع تحت هذا القانون، هذه قاعدة القاعدة الأم في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ**.

هم ذلوا لله فذل كل شيءٍ لهم صلوات الله عليهم، أليس الأحاديث تقول: إذا خاف العبد من الله أخاف الله منه كل شيء؟ إذا خاف العبد من الله وهذه هي الخيفة الحقيقية أخاف الله منه كل شيء، هذا المعنى يطبقونه على بعض مشايخ الصوفية يكون صحيح، لكن حين نطبقه على أهل البيت لن يكون صحيحاً - **وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ** - هم ذلوا لله، هم في أقصى درجات المذلة بين يدي الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى ذلل لهم كل شيء - **وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ** - ذل كل شيءٍ لكم لا بالدعاء، مثل ما نحن تذلل لنا الكثير من الأمور في حياتنا وتكون تحت سلطتنا، الكثير من الأمور الآن مثلاً الحشرات الصغيرة أليس بإمكاننا أن نقتلها؟ أليس بإمكاننا أن نتصرف فيها؟ أن نصنع ما نصنع فيها؟! الله سبحانه وتعالى ذللها لقدرتنا، وأشياء كثيرة، الطبيعة الموجودة الآن، الله سبحانه وتعالى ألم يذلل الطبيعة يذلل الأرض لنا؟ ألم يسمي الأرض ذلول لماذا سميت الأرض ذلول؟ لأن الله ذللها كي يستطيع الإنسان أن يتصرف فيها، أن يعمرها، أن يحيا فيها، أن ينشأ فيها، أن يتناسل، أن تتواصل الحياة فيها، فذلل الأرض لنا فكانت ذلولاً.

الله سبحانه وتعالى ذلل كل شيءٍ للحقيقة المُحَمَّدِيَّة - **وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ** - من دون دعاء، من دون حاجة إلى التوسل والابتهال، الله سبحانه وتعالى أعطاهم القدرة لأن تذلل الأشياء بين أيديهم - **وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ** - وهذا الإشراق بكل المعاني إن كان المراد بمعنى الإشراق الشمسي أن الشمس تشرق ونور الشمس من نورهم، الروايات تقول هكذا، نور الشمس من نورهم صلوات الله عليهم، نور الشمس من نور الحسن صلوات الله عليه هكذا في الروايات، الشمس والقمر نورهما من نور أبي مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه، من نور إمامنا الحسن - **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ** - إن كان المراد النور الحسي وهو نور الشمس فهو من نورهم، أو كان المراد من النور هو نور الهداية فالهداية بهم ومنهم صلوات الله عليهم، وإذا كان المراد أن الأرض تشرق بنورهم بنور العدالة حين ظهور إمام زماننا فإمام زماننا منهم وبهم وإليهم، وإن كان المراد من إشراق النور هو نور الوجود الله نور السموات والأرض فهم نور الذي جاء في هذه الآية في

آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ والمشكاة محمد صلى الله عليه وآله - وَأَشْرَقَتْ
الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوِلَايَتِكُمْ - بماذا فازوا؟ فازوا بالمعرفة وبالعلم وبالفضل وبالنقاء وبالطهارة، مر
علينا ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة: وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ طَيِّبًا لِيَخْلِقَنَا، وَطَهَارَةً
لأنفُسِنَا، وَتَرْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا.

حين نقرأ في الكتاب الكريم في سورة الجن الآية السادسة بعد العاشرة ﴿وَأَلِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ساروا السيرة المستقيمة، قطعاً حينما يسرون السيرة المستقيمة لابد أن تكون
الطريقة طريقة مستقيمة ﴿وَأَلِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ لابد أن تكون الطريقة مستقيمة حتى يستطيع
الإنسان أن يستقيم عليها، إذا كانت الطريقة معوجة كيف يستطيع الإنسان أن يستقيم عليها ﴿وَأَلِ
اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ هذا ماء الفيض ﴿مَاءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق الماء المتوافر
المتواصل الماء الغيداق، يقال عينٌ غيداقه، العين الغيداقه التي تفور بالماء النقي ﴿وَأَلِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ماذا يقول أئمتنا؟ في الكافي هذا هو الجزء الأول والرواية عن إمامنا الباقر صلوات
الله وسلامه عليه، أصلاً هناك عنوان أحد أبواب الجزء الأول باب أن الطريقة التي حُثَّ على الاستقامة
عليها ولاية عليٍّ عليه السلام، الرواية الأولى في هذا الباب: عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه
في قوله تعالى: ﴿وَأَلِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال: يعني لو استقاموا على ولاية
عليٍّ بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيتهم لأسقيناهم ماءً
غدقاً - ما هو هذا الماء؟ يقول - لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية عليٍّ والأوصياء
- وألوا استقاموا على الطريقة، الطريقة هي الإيمان بولاية عليٍّ والأوصياء، لأسقيناهم ماءً غدقاً.

هو نفس الكلام الذي مر علينا في الزيارة الرجبية، مر علينا في الزيارة الرجبية بعد أن يزور الزائر أئمته ماذا
يقول؟ - وأن يُرْجِعَنِي مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرَ مَرْجِعٍ - إلى أهله يرجع - إلى جنابِ مَمْرِعٍ وَخَفِضٍ مُوسِعٍ
وَدَعَةٍ وَمَهْلٍ إِلَى حِينِ الْأَجْلِ وَخَيْرِ مَصِيرٍ وَمَحَلٍ فِي النَّعِيمِ الْأَزَلِّ - هذا الجناب الممرع يعني
الساحة التي تكثر أشجارها وخمائلها ورياضها النظرة وتفور فيها المياه فوراناً، هذه هي الحياة المعنوية ﴿وَأَلِ
اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ هذا هو الجناب الممرع - إلى جنابِ مَمْرِعٍ وَخَفِضٍ مُوسِعٍ

وَدَعَةٍ وَمَهْلٍ إِلَى حِينِ الْأَجَلِ - هذا هو العيش المعنوي بكل معانيه مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

العبارة التي بعدها توضح المعنى بشكلٍ أكثر - وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ - هو هذا الفوز بهذا الماء الغيداق بهذا الماء الطهر بهذا الإيمان الحقيقي الذي تتشرب به قلوب المؤمنين - وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ بِكُمْ يُسَلِّكُ إِلَى الرِّضْوَانِ - بكم يسلك إلى الرضوان، إلى الرضوان في العالم الدنيوي وإلى الرضوان في العالم الآخروي - وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ، بِكُمْ يُسَلِّكُ إِلَى الرِّضْوَانِ - أي رضوانٍ هذا؟ رضوان البارئ سبحانه وتعالى الذي لا نستطيع أن نتصور معانيه، في رواياتنا في أحاديثنا عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - عن الحسين بن علي، عن سيد الشهداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أَلْزَمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يُوَدِّنَا - هذا كلام رسول الله ينقله إلينا سيد الشهداء، وهذا هو الجزء الثامن والستون من كتاب بحار الأنوار - أَلْزَمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يُوَدِّنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - النبي يقول - والذي نفسي بيده لا ينفَعُ عَبْدًا عَمَلُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - من قصده من دون التوجه بكم لا عبادة له ولا عمل ولا توحيد - والذي نفسي بيده لا ينفَعُ عَبْدًا عَمَلُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا.

عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يخاطب مصقلة الطحان يقول: مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تَشْهَدُوا عَلَيَّ مِنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - من أن تشهدوا من أن تقطعوا بقطع اليقين، أشهدوا وقروا بذلك بأن من مات منكم يا شيعة علي علي ولاء علي وآل علي فإنه من أهل الجنة، الإمام يقول هكذا إمامنا الصادق، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن تفسير العياشي رضوان الله تعالى عليه - مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تَشْهَدُوا عَلَيَّ مِنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَبِجَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا - ما هو هذا الحق؟ - نَجَاةَ الْمُؤْمِنِينَ - ونجاة المؤمنين بدخولهم الجنان.

رواية جميلة عن سُماعة أو سَمَاعَةَ بن مهران - دخل سُماعة بن مهران على الصادق عليه السلام فقال له: يا سُماعة من شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله - الإمام الصادق يسأل سُماعة، من شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله، سَمَاعَةَ يريد أن يشير إلى معنى آخر - قال: فغضب - الإمام - حتى احمرَّت وجنتاه - الإمام أيضاً هو يعرف مقصوده لكن أراد أن يبين حقيقة - فغضب حتى احمرَّت وجنتاه ثُمَّ استوى جَالِسًا وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: يا سُماعة من شرُّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله - الإمام بدل السؤال بطريقة تتناسب فهم ما يريد، هو يعلم بما يريد سُماعة، السؤال بالبداية يا

سُماعة من شر الناس؟ سماعه أراد أن يستغل هذا السؤال وأراد أن يوجه الكلام إلى جهة أخرى، الإمام وجه الكلام إلى هذه الجهة التي أرادها سماعه - يا سُماعة من شر الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله نحن شرُّ الناس عند الناس لأنهم سمونا كفاراً ورافضة، فنظر إليَّ ثمَّ قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة وسيق بهم إلى النار فينظرون إليكم ويقولون مالنا لا نرى رجلاً كُنَّا نعدُّهم من الأشرار، يا سماعه بن مهران إنه من أساء منكم إساءةً مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنشفع والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجلٌ واحد، فتنافسوا في الدرجات وأكمدوا عدوكم بالورع - نفس الرواية التي تقدمت قبل قليل أنه أشهدوا على من مات منكم على أنه قد دخل الجنة، أصلاً المعاني تذهب إلى أعمق من ذلك وإلى أبعد من ذلك.

رواية جميلة يرويها البرقي في المحاسن الشيخ المجلسي ينقلها هنا في الجزء الثامن والستين - عن موسى بن بكر قال: كُنَّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجلٌ في المجلس: أسأل الله الجنة - يدعو يطلب الجنة - فقال أبو عبد الله: أنتم في الجنة الآن فاسألوا الله أن لا يخرجكم منها فقالوا: جُعِلنا فداك نحن في الدنيا! فقال: أَلستم تقرون إمامتنا؟ قالوا: نعم، فقال: هذا معنى الجنة الذي من أقر به كان في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم - أنتم في الجنة، الجنة أنتم يا آل مُحَمَّد، الجنة ولايتكم، هو نفس المعنى، نفس المضمون الذي نبده في مناجاة المحبين ونحن نناجي الباري سبحانه وتعالى ومَرَّ قبل قليل في زيارة الإمام الحجة - بِكَ صَلَني عَنكَ لا تَقْطَعي - بك صلني لا تقطعي يا ابن رسول الله - ولا تَقْطَعي عَنكَ - من وصلهم فقد وصل الله، من والاهم فقد والى الله - ولا تَقْطَعي عَنكَ ولا تَبْعدني مِنكَ يا نَعِمي وَجَنَّتِي وَيَا دُنَيَّيْ وَآخِرَتِي - هذا مظهرٌ من مظاهر الجنة ومعنى من معانيها - ولا تَقْطَعي عَنكَ ولا تَبْعدني مِنكَ يا نَعِمي وَجَنَّتِي وَيَا دُنَيَّيْ وَآخِرَتِي - هذه مناجاة المحبين المنقولة عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه.

ورواية إمامنا الصادق يقول أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم هذه النعمة، نحن في ولاية عليٍّ وآل عليٍّ نحن في الجنة، أمير المؤمنين كان يقول: جلوسي في المسجد أحبُّ إليَّ من جلوسي في الجنة، لماذا يا أمير المؤمنين؟ يقول: لأن جلوسي في المسجد فيه رضا ربي وجلوسي في الجنة فيه رضا نفسي، ولايتي لعلِّي في الدنيا أحبُّ إليَّ من الجنة، هو هذا المعنى نفس المعنى الذي يشير إليه إمامنا الصادق، لأننا ونحن في ولاية عليٍّ نحن في أقرب القربات إلى الله - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - هو هذا التوجه، هذا معنى من معاني

الرضوان في العالم الدنيوي، وهذا الرضوان الدنيوي سيتحول إلى رضوانٍ آخر.

هذا هو الجزء السابع والسبعون من بحار الأنوار الرواية عن أمير المؤمنين، الرواية طويلة جداً في مناجاة الباري مع النبي في المعراج ماذا قال له؟ - يا أحمد إن في الجنة قصراً - أيتها الجنة؟ هذه جنة خاصة، فأدخلي في نعيمي وجنتي - يا أحمد إن في الجنة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة - أي قصرٍ هذا؟ - من لؤلؤة فوق لؤلؤة - يعني قصر بكامله مبني من لؤلؤة واحدة وفوقها لؤلؤة، وهذه رموز - يا أحمد إن في الجنة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة، ودرّة فوق درة ليس فيها قصمٌ ولا وصل - يعني لا توجد فيها خطوط لا توجد فيها تقطيع، الآن مثلما ما بنى الجدران من الطابوق من الأحجار من الخشب من الحديد من الزجاج قطع يتصل بعضها ببعض الآخر وهناك فواصل - إن في الجنة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة ودرّة فوق درة ليس فيها قصمٌ ولا وصل، فيها الخواص - خواص أولياء أهل البيت - أنظر إليهم - الله ينظر إليهم - كل يوم سبعين مرة وأكلمهم، كلما نظرت إليهم أزيد في ملكهم سبعين ضعفاً وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكرى وحديثي - معي ربي يطعمني ويسقيني هذا مظهر آخر من مظاهر ولاية محمّد وآل محمّد - وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكرى وحديثي قال: يا ربي ما علامة أولئك؟ قال: هم في الدنيا مسجونون - بأي شيء سجنوا؟ - قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام - فضول الكلام الذي هو غير هذا الكلام الذي سيأتي ذكره كلامهم نور، فضول الكلام هناك كلامٌ نور وهناك كلامٌ ظلمة وهو كلام أعداء أهل البيت، وهناك فضول الكلام وهو ما بين الكلامين، هؤلاء سجنوا ألسنتهم لا ينطقون لا يتكلمون لا يفكرون كل تفكيرهم لأن الكلام هو صورة عن التفكير، جعلَ اللسان على الفؤاد دليلاً، اللسان يفصح عمّا في الجنان - سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام - وماذا؟ - وبطونهم من فضول الطعام - الطعام هو العلم هنا.

الرواية جميلة جداً هنا في الجزء الثامن والستين من بحار الأنوار، الرواية عن إمامنا أبي الحسن الثالث، يعني الإمام الهادي عن صاحب الزيارة الجامعة الكبيرة - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب أمير المؤمنين: يا عليّ إن الله عزّ وجلّ قد غفر لك ولشيعتك ولمُحبي شيعتك ومُحبي شيعتك فابشر فإنك الأنزع البطين - يا عليّ إنك الأنزع البطين، موطن الشاهد هنا: منزوعٌ من الشرك بطينٌ من العلم - بطنٌ وعلّم، منزوعٌ من الشرك، الأنزع البطين هو المنزوع من الشرك هو البطين من العلم - قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام وبطونهم من فضول الطعام - لأن الطعام منه ما هو حلالٌ طيب وهو علم أهل البيت ومنه ما هو حرامٌ خبيث وهو فكر وعلم وحديث المخالفين لأهل البيت ومنه ما هو فضولٌ ما هو بينهما، هؤلاء الأولياء الذين ينظر إليهم الباري كل يوم سبعين مرة ويكلمهم - كلما نظرت

إليهم أزيد في مُلكِهِم سبعين ضعفاً وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكرى وحديثي - ما هي علاماتهم؟ - قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام - كما قلت فضول الكلام ما يقع بين الكلام النور والكلام الظلمة - وبطونهم من فضول الطعام - ما يقع بين الطعام الحلال الطيب والطعام الحرام الخبيث، وما أكثر ما ننشغل بمثل هذا، نحن أشياعهم ومحبوهم ما أكثر ما ننشغل بفضول الطعام وبفضول الكلام.

هؤلاء هم الذين يحدثنا إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزء الثاني والخمسون من بحار الأنوار هذه رواية مهمة جداً، جداً، جداً، جداً الإمام يحدث أبا خالد الكابلي، إمامنا السجاد فيقول: تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبتة القائلون بإمامته - نحن نقول بإمامته - المنتظرون لظهوره - نحن نتظر ظهوره - أفضل أهل كل زمان - فهل نحن من هؤلاء؟! هل نحن أفضل أهل كل زمان؟! تبين الرواية - لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة - من هم هؤلاء الذين الله سبحانه وتعالى أعطاهم العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة؟ أولئك الذين سجنوا ألسنتهم عن فضول الكلام، والحديث هنا ليس عن ألفاظ يعني سجنوا عقولهم عن الفكر الزائد ليس عن الفكر المظلم، عن فضول الكلام شيء زائد عن ما هو الأفضل وما هو الأكمل، وسجنوا بطونهم عن فضول الطعام، هناك علم حلال طيب طعام حلال طيب وطعام حرام وفضول بينهما، وهناك كلامكم نور وكلامهم ظلمة وفضول ما بينهما، الذين سجنوا عقولهم وقلوبهم على هذا العلم النوري وعلى هذا الحديث النوري، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا أن نكون من خدام هؤلاء من الذين سجنوا ألسنتهم وسجنوا عقولهم إلا عن أهل البيت صلوات الله عليهم لعنا أن نكون في حواشي هؤلاء - لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة - هذا هو التلذذ هذه هي اللذة التي مر الحديث عنها وهذه هي الجنة التي نسأل الله أن لا يسلبها منا، هذه جنة أهل البيت، يا نعيمى وحنى ويا دنيائى وأخرتى، تركت للناس دنياهم ودينهم سيدي يا بقية الله:

فاسْتَجِمَعْتَ مُذْ رَأَيْتَكَ العَيْنَ أهوائى

كانت لقلبي أهواءً مفرقةً

مذ رأيتك عين قلبي وعين بصيرتي وعقلي ...

حبّاً لذكرك يا ديني ودنيائي

تركت للناس دنياهم ودينهم

لأنَّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة

المُشَاهِدَةُ وَجَعَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
بِالسَّيْفِ أَوْلِيكَ الْمُخْلِصُونَ حَقًّا وَشِيعَتَنَا صِدْقًا وَالدُّعَاةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرًا - هؤلاء هذه
أوصافهم فهل نحن منهم؟ - أَوْلِيكَ الْمُخْلِصُونَ حَقًّا وَشِيعَتَنَا صِدْقًا وَالدُّعَاةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرًا -
هذا هو الفوز وهذا هو الرضوان - وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوِلَايَتِكُمْ - هذا هو الفوز - بِكُمْ يُسَلِّكُ إِلَى الرِّضْوَانِ
- وهذا هو الرضوان، رضوان الدنيا والآخرة - وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَايَتِكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ - ومن يجحد
ولايتكم فعليه غضب الرحمن، واضح إنما تستبان الأشياء بأضدادها، مثل ما هناك رضوان في الدنيا وجنة في
الدنيا مع عليٍّ وآل عليٍّ مع الحجة بن الحسن هناك كذلك في هذه الدنيا مع الجبت والطاغوت جهنم
غضب الباري سبحانه وتعالى.

رواية واحدة ثم أنتقل إلى مطلبٍ آخر هذا هو الجزء الثامن من الكافي الشريف، الرواية عن إمامنا الصادق
صلوات الله وسلامه عليه: لو أن غير وليِّ عليٍّ - الحديث دائماً عن عليٍّ، عليٌّ هو النقطة نقطة البداية
ونقطة النهاية، بكم يفتح الله بكم يختم، بعليٍّ البداية وبعليٍّ النهاية، إمامنا الصادق يقول: لو أن غير وليِّ
عليٍّ - يعني شخص مخالف لأهل البيت ناصبي جاحدٌ للولاية، وعلى من جحدكم جحد ولايتكم غضب
الرحمن - لو أن غير وليِّ عليٍّ أتى الفرات - جاء إلى نهر الفرات - وقد أشرفَ ماءه على جنبيه - كاد
أن يفيض - وهو يزخ زخيخاً - المياه متدافعه جاريه، هل هناك أطهر من هذا الماء؟ ماءٌ كثيرٌ جاري، هذا
هو الماء الذي نسميه بالماء المعتصم، الماء المعتصم الذي لا يتنجس بالملاقاة، هو الماء الطهور الطاهر،
ماء كثير جاري - لو أن غير وليِّ عليٍّ أتى الفرات وقد أشرفَ ماءه على جنبيه - يكاد النهر أن يفيض
- وهو يزخ زخيخاً - جاري بسرعة متدافع متدفق - فتناول بكفه - هذا الناصبي المخالف لأهل البيت
- وَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ - حسب المستحبات - فلماً فرغ قال: الحمد لله - حسب المستحبات، الإمام يقول
- كَانَ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ - هذا هو غضب الرحمن، هذه صورة واضحة إذا كان يأتي إلى هذا
الفرات الطاهر الطهور ويفتح بسم الله ويختم بحمد الله - كَانَ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ - وهذا
الكلام ليس مجازياً، فعلاً يكون دماً مسفوحاً ويكون لحم خنزير كما يقول إمامنا الصادق، لأن حقائق
الأعمال موجودة في هذه الحياة، ولأن حقائق الجنة والنار موجودة في هذه الحياة، الجنة والنار فاعليتها تأتي
من واقع هذه الحياة، ولذلك قال إمامنا الصادق أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلب منكم هذه الجنة.

وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوِلَايَتِكُمْ بِكُمْ يُسَلِّكُ إِلَى الرِّضْوَانِ وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَايَتِكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ - ثم تقول
الزيارة: بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي - بعد كل هذه المعاني، أنا ماذا أستطيع أفديكم بمالي ونفسي وأهلي وأبي وأمي
وبكل شيءٍ آخر تصل إليه يدي - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي - هذا كل ما عندي ماذا أصنع

سادتي أهل البيت - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ وَأَثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ - المعنى الأول لهذه العبارة هي تشير إلى خصوصية أهل البيت، أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ذكرهم مميز في الذاكرين لا يشبه ذكر ذكرهم، إن كان في العوالم الأولى أو في هذه العوالم أو في العوالم السفلية في أي جزء من أجزاء الوجود، ذكرهم لا يشابهه ذكر، ذكرهم شاخصٌ مميزٌ واضحٌ - ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ - وأسماءكم كذلك، لذلك بعد ذلك تقول الزيارة: فَمَا أَحَلَّى أَسْمَاءُكُمْ - لأنها أحلى الأسماء لأنها أجمل الأسماء لأن ذكركم أجمل الذكر - فَمَا أَحَلَّى أَسْمَاءُكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسُكُمْ - لأن أنفسكم هي أكرم النفوس - ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ - الأجساد في لغة العرب قد يقصد منها الأجسام في بعض الأحيان وقد يقصد منها الأجسام من دون الأرواح لذلك الروايات تقول أنه خلق الأرواح ثم خلق الأجساد، يعني الأجساد من دون الأرواح.

يقال هذا جسدٌ مُسَجَّى ولا يُقال جسدٌ مُسَجَّى، الجسم إذا كان جسماً حيوانياً لا بد أن تكون فيه الحياة، لكن يقال جسدٌ مُسَجَّى ويمكن أن يقال كذلك للجسم الذي فيه روح يمكن أن يقال جسد، الجسم والجسم في جهةٍ بمعنى واحد وهناك اختلاف في معنى اللفظتين، لا أريد أن أذهب بعيداً في تفصيلات اللغة - ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ وَأَثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ - وهذا تأكيد للمعنى المتقدم - زَائِرٌ لَكُمْ، لَائِدٌ عَائِدٌ بِقُبُورِكُمْ - قبوركم تختلف عن قبور غيركم، قبوركم يقال لها قبور هي شمسٌ ساطعة هي معنى الحياة هي معنى الحقيقة، نحن نلوذ ونعوذ بقبوركم، وليخسأ أولئك الذين يقولون ما يقولون بأننا نعبد القبور، نحن لا نعبد القبور، نحن نعبد الله بتوجهنا لهذه القبور، هم طلبوا منا أن نزورهم، هذه تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نحن لماذا نعبد بكتب المخالفين، لماذا نعبد بكتبهم؟!

هذه كتب ضلال، هذه كتب انحراف عن أهل البيت، هذه كتب شرك وكتب كفر، كتب التوحيد هي كتب أهل البيت، كتب المخالفين لأهل البيت كتب ضلال وانحراف وكفر وشرك وبدعة، الحقيقة والشريعة والتوحيد والسنة والإيمان والهدى عند عليٍّ وآل عليٍّ، أمّا عند غير عليٍّ وعند غير آل عليٍّ فليس هناك إلا الضلال - وَفَارَ الْفَائِزُونَ بِوَلَايَتِكُمْ بِكُمْ يُسَلِّكُ إِلَى الرِّضْوَانِ وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلَايَتِكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ وَأَثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحَلَّى أَسْمَاءُكُمْ - وهذا الكلام يمكن أن يستمر فنقول فما أحلى ذكركم في الذاكرين وما أشرف أجسادكم

وأرواحكم وأنفسكم - فَمَا أَحَلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَ خَطْرَكُمْ - خطركم يعني منزلتكم - وَأَوْفَى عَهْدِكُمْ - أنتم تفون بالعهود على أتم الوجوه مع الله ومع شيعتكم ومع سائر الخلق - وَأَصْدَقَ وَعْدِكُمْ - كل هذه المعاني تدور حول هذه الشؤون، ذكركم في الذاكرين، أسماءكم في الأسماء أجسادكم في الأجساد، أرواحكم في الأرواح، أنفسكم في النفوس، آثاركم في الآثار، قبوركم في القبور - فَمَا أَحَلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَ خَطْرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ - هذا المعنى الأول في هذه العبارات.

والمعنى الثاني يكون الحديث فيها عن مظاهر أهل البيت، هناك لأهل البيت مظاهر في عالم الذكر وعالم الذكر هو عالم ما قبل الخلق، كما تشير الآية الأولى بعد البسملة من سورة الإنسان أو من سورة الدهر ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ لم يكن شيئاً مذكوراً: إشارة إلى عالم الذكر الذي هو يسبق عالم الخلق، الآية هنا تتحدث فتقول بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً يعني لم يكن في عالم الذكر، هناك عالم الذكر قبل عالم الخلق، وفي البداية تظهر صورة المخلوق في ذلك العالم ثم يُخلق المخلوق - ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ - هو تجلي أهل البيت في ذلك العالم - وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ - في عالم الأسماء وأولها عالم الأسماء الحسنى هم الأسماء الحسنى هم الصفات العليا صلوات الله عليهم - وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ - مظاهرهم في عالم الأجساد - وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ - مظاهرهم في عالم الأرواح - وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ - مظاهرهم في عالم النفوس - وَأَثَارُكُمْ فِي الْأَثَارِ - مظاهرهم في عالم الآثار في كل ما يصدر عن المخلوقات، في كل ما هو موجود في عالم الطبيعة - وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ - وقبوركم في القبور أيضاً مظاهرهم في عالم القبور، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم في عالم القبور وهو عالم البرزخ لهم مظاهرهم ولهم إمامتهم وولايتهم، عالم القبور ليس هو هذا العالم الذي يتصوره الناس في البناء والطابوق، عالم القبور هو عالم البرزخ وهو عالم وسيع أوسع من عالم الدنيا.

في الكافي الشريف الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُورَنَا وَجَعَلَنَا عَيْنَهُ فِي عِبَادِهِ وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ وَيَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ وَبَابَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ وَخُزَّانَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ بِنَا أَنْثَمَتِ الْأَشْجَارَ وَأَيَّعَتِ الشِّمَارَ وَجَرَّتِ الْأَنْهَارَ وَبِنَا يَنْزِلُ غَيْثُ السَّمَاءِ وَيَنْبُتُ عُشْبُ الْأَرْضِ وَبِعِبَادَتِنَا عُجِدَ اللَّهُ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا عُجِدَ اللَّهُ.

عن الإمام الباقر عليه السلام: نَحْنُ الْمَثَانِي الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَحْنُ وَجْهَ اللَّهِ نَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَيَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ بِالرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِهِ

عَرَفْنَا مَنْ عَرَفْنَا وَجْهَنَا مَنْ جَهِلْنَا - نَحْنُ وَجْهَ اللَّهِ نَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ: كيف يتقلبون في الأرض؟ يتقلبون في الأرض وفي السماء الحديث عن الأرض، الأرض هنا مصداق، مصداق من المصاديق، يتقلبون بمظاهرهم، لهم مظاهر، لهم صور في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، مظاهرهم في عالم التشريع في عالم التكوين، كما أن مظاهرهم لا حصر لها في كتاب الله كذلك مظاهرهم في عالم التكوين لا حصر لها.

نقرأ في روايات أهل البيت الرواية: عن داوود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنت الزكاة وأنتم الحج؟ فقال: يا داوود نحن الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ﴾ ونحن الآيات ونحن البيئات وعدونا في كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغي والخبز والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبث والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير - قبل قليل قرأنا بأن الذي يشرب ماء الفرات يكون دماً مسفوحاً أو لحم خنزير لأنه يرتبط بهذه الأصول بهذه الجذور المعاني مترابطة - يا داوود إن الله خلقنا وأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض - كيف يكون خزان على ما في السماوات وما في الأرض لا بد أن يكون لهم مظهر في كل طبقةٍ من طبقاتها - وجعل لنا أصدقاءً وأعداءً فسمَّانا في كتابه وكنى عن أسماءنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنيةً عن العدو، وسمى أصدقاءنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسماءهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين - كل هذه إشارات وعناوين إلى مظاهرهم الكثيرة التي لا تُعدُّ ولا تحصى في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، في كل مرحلةٍ من مراحل هذا الخلق.

وأحاديث أهل البيت كثيرةٌ وفيرةٌ في هذا المعنى وفي هذا المضمون وهنا الزيارة نتحدث عن هذه الحقيقة، نتحدث عن مظاهرهم وعن إمامتهم وعن ولايتهم وعن أسماءهم وعن أسماء أسماءهم، حين أتحدث عن أسماءهم لا أتحدث عن ألقاب، أسماء أهل البيت حقائق نورية موجودة في باطن هذه الكائنات - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ وَأَثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ - على المعنى الثاني هو عالم البرزخ - فَمَا أَحَلَّى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَّ خَطْرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ - هذه العبارات بحاجة إلى شرح لكنها تحتاج إلى وقتٍ طويلٍ وأين هو الوقت!

كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ - كلامكم نور هذه العبارة نقف عندها إن شاء الله في وقتٍ آخر نتحدث عنها بالتفصيل - كَلَامُكُمْ نُورٌ - كلامهم نور في أفق العلم، في أفق الصدق، في أفق الهداية، في أفق

البصيرة، وفي أفق التكوين، فإن التكوين من كلمات الله سبحانه وتعالى، والكلمة الأتم هم، ومن الكلمة الأتم اشتقت بقية الكلمات، فكلامهم نور - كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ - والرُّشْدُ هو مضادٌ للغواية مضادٌ للضلالة - كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمْ التَّقْوَى - إذا ما وصيتم فإنكم توصون الناس بالتقوى وتقودون الناس إلى الخير - وَوَصِيَّتُكُمْ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمْ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمْ الْإِحْسَانُ - لا يصدر منكم إلا الإحسان، العادة هو الفعل المتكرر الذي يصبح اعتيادياً بحيث لا يعرف الإنسان غيره - وَعَادَتُكُمْ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمْ الْكَرَمُ - السجية هي الطبيعة وليس التطبع.

هناك من الأخلاق ما هو سجية ما هو طبيعة، وهناك منها ما هو تطبع يحاول الإنسان أن يتكسبه - وَسَجِيَّتُكُمْ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمْ الْحَقُّ وَالصَّدْقُ وَالرَّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلُهُ وَفِرْعَهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ - بعض الكلمات بحاجة إلى بيانات لغوية إن شاء الله أبينها بشكلٍ موجز في الحلقة القادمة والحلقة القادمة يوم غد هي الحلقة الأخيرة لأن وقت البرنامج وقت هذه الحلقة صار طويلاً جداً، أكتفي بهذا القدر وإن كان في بالي وكان بودي وفي نيتي أن أتحدث عن موضوعات أخرى تلاحظون هناك العديد من المصادر ما فتحتها ولا قرأت فيها لأن هذا المقطع من أهم المقاطع في الزيارة الجامعة الكبيرة وكما قلت في بداية الحديث بأنه يمثل مرحلة الترقى ما بعد وصول الإنسان إلى الدرجة الأولى من درجات التشيع.

الشيعة الحقيقي هو الذي تنطبق عليه المواصفات التي مرت علينا في المقطع السابق من الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا المقطع يمثل مرحلة ترقى ما بعد تلکم المرحلة، بقية الكلام إن شاء الله تأتينا في يوم غد في الحلقة الأخيرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة وهي الحلقة الثلاثون إن شاء الله تعالى، أعتذر إليكم من الإطالة أسألکم الدعاء وأتمنى لكم التوفيق في معرفة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَالتمسكم الدعاء أن أوفق لمعرفة إمام زماني صلوات الله وسلامه عليه ألقاكم غداً نفس الموعد نفس البرنامج وأنا نفس خادمكم، في أمان الله.

الحلقة الثلاثون والأخيرة

معنى فما أحلى أسمائكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجل خطركم

سلام من الله عليكم ورحمة وبركات أحباب علي وآل علي أيها الزهرايون أيها المهديون، هذه الحلقة الثلاثون وهي الحلقة الأخيرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، كان الكلام في الحلقة الماضية حيث وصلنا إلى أخريات المقطع الذي اخترته للحلقة التاسعة والعشرين: فما أحلى أسمائكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجل خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم، كلامكم نورٌ وأمركم رشدٌ - والرشد هو الهدى، والرشد نقيض الغي، نقيض الجهل، نقيض السفه، نقيض الحمق - وأمركم رشدٌ ووصيتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان وسجيتكم الكرم وشأنكم الحق والصدق والرفق - شأنكم هو ديدنكم في الحياة، سنتكم اليومية في ليلكم ونهاركم، لا يصدر منكم إلا الحق ولا تكونون إلا على الحق والحق معكم وأنتم مع الحق يدور معكم حيثما تكونون، وقد مررنا في المقاطع المتقدمة: والحق معكم وفيكم ومنكم وإيكم وأنتم أهله ومعدنه.

وشأنكم الحق والصدق - شأنكم الحق في علمكم، شأنكم الحق في فعلكم، شأنكم الحق في قولكم، والحق هو الصدق ولكن الصدق ما يتحسسه الآخرون، ربما لا يتحسس الناس الحق بسبب الشبهات، بسبب الأراجيف والدعايات، بسبب ما يقوم به الظالمون وما يقوم به أهل الضلالة وشياطين الإنس والجن في تضليل الناس إلا أن الصدق أمر ملموس، الصدق في القول، الصدق في العلم لمطابقته للحقيقة والواقع، والصدق في الأفعال وفيما يصدر عن الإنسان - وشأنكم الحق والصدق والرفق - أنتم على الحق ومع الحق وفي الحق، وأنتم على الصدق دائماً على منهج الصدق ومع الصدق وفي الصدق، وفي كل ذلك يحوطكم الرفق، والرفق هي الرحمة، والرفق هو الرأفة، والرفق هو السلامة والدمائة والحسن، وما كان الرفق في شيء كما قال صلى الله عليه وآله إلا زانه، الرفق زينة الأفعال وزينة الأعمال وزينة الأقوال، والرفق زينة العقول وزينة الرجال وزينة النوايا وزينة كل عمل وكل حركة يتحركها الإنسان إذا كان يرجع إلى حكمة وإلى فهم يقوده الهدى وتدفعه المعرفة الواضحة - وشأنكم الحق والصدق والرفق وقولكم حكماً وحثماً - الحكم هو ما كان فاصلاً وواضحاً وبيئاً ولا يكون الحكم كذلك ما لم يكن مستنداً إلى وضوح إلى برهان

جلي - وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ - والحتم هو القطع الذي لا تردد فيه الذي لا شبهة فيه ولا غبار عليه، حينَ تقولون فإنَّ قولكم حُكْمٌ وإمَّا كان قولكم حُكْمًا لَأَنَّهُ قَوْلٌ قاطع، فصلُّ الخطاب كما مرَّ علينا في المقاطع المتقدمة من الزيارة: وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ - وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ - ورأيكم عِلْمٌ واضحٌ صريحٌ مصحوبٌ بالحلم.

فالعِلْمُ والحلم قرينان في صفات الله سبحانه وتعالى وفي صفات العلماء والأنبياء والأوصياء والأولياء، العِلْمُ قرينٌ للحلم وإلَّا كَانَ الْعِلْمُ مَعِيْبًا، الْعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِلْمِ، وَلِذَلِكَ فِي أَدْعِيَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي مَنَاجِيَاتِهِمْ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ دَائِمًا يَقْرَنُونَ صِفَةَ حِلْمِهِ إِلَى صِفَةِ عِلْمِهِ جَلَّ تَعَالَى شَأْنُهُ وَتَقَدَّسَ - وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ - والحلم هو الحكمة - عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ - الحزم هو أن تكون الأمور في غاية منافعها وفي غاية ما تكون بعيدة عن مضارها، ربما يسميه الناس الاحتياط ولكنه احتياط ينشأ على حكمة واضحة حليّة لا على الاحتمالات، علم أهل البيت علم قطعي، وحلمهم حِلْمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْوَضُوحِ وَعَلَى الْبَصِيرَةِ السَّاطِعَةِ فَحَزْمُهُمْ كَذَلِكَ، مَا يَسْمِيهِ النَّاسُ بِالْإِحْتِيَاظِ الْإِحْتِيَاظُ يَكُونُ مَبْنِيًّا عَلَى الْإِحْتِمَالَاتِ، الْإِحْتِيَاظُ فِي الْحَيَاةِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شَأُونَاتِ الْحَيَاةِ، أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَحْتَاطًا فِي قَرَارَاتِهِ، مَحْتَاطًا فِي تَصَرُّفَاتِهِ، وَالْإِحْتِيَاظُ هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِحْتِمَالَاتِ عَلَى الظنون على الشكوك على الوسوس في بعض الأحيان، أمَّا الْحَزْمُ هُنَا الَّذِي ذُكِرَ فِي رَأْيِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَهَذَا حَزْمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْبَصِيرَةِ الْوَاضِحَةِ عَلَى الْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ - وَفِعْلُكُمْ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمْ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمْ الْكِرْمُ وَشَأْنُكُمْ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ، إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلُهُ وَفِرْعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ - الْخَيْرُ هُوَ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ، الْخَيْرُ يَسَاوِي الْوُجُودَ، الْوُجُودُ يَسَاوِي الْخَيْرَ، وَكُلُّ شَيْءٍ هُوَ يَسْبُحُ فِي بَجْرِ الْوُجُودِ أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى كُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ عَلَى صَفْحَةِ الْوُجُودِ.

هناك صفحة يمكن أن نسميها بصفحة الوجود، كلنا حروف وكلمات نُقِشَتْ عَلَى صَفْحَةِ الْوُجُودِ ﴿﴾ ن وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿﴾ الْخَيْرُ هُوَ الْوُجُودُ وَالْوُجُودُ هُوَ الْخَيْرُ لِذَا يَقُولُ الْحُكَمَاءُ بَأَنَّ الْوُجُودَ هُوَ مَحْضُ الْخَيْرِيَّةِ، بَأَنَّ حَقِيقَةَ الْوُجُودِ هِيَ مَحْضُ الْخَيْرِيَّةِ وَمَحْضُ الْخَيْرِيَّةِ يَعْنِي الْجَمَالَ، يَعْنِي الْكَمَالَ، يَعْنِي الرَّحْمَةَ، يَعْنِي النُّورَ، يَعْنِي الْهُدَى، الْهُدَى بِكُلِّ مَعَانِيهِ بِالْمَعَانِيِ التَّكْوِينِيَّةِ وَبِالْمَعَانِيِ الْوُجُودِيَّةِ وَبِالْمَعَانِيِ الشَّرْعِيَّةِ - إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلُهُ وَفِرْعُهُ - فَانْتُمْ أَوْلُ الْوُجُودِ - كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلُهُ - وَأَنْتُمْ الْكَلِمَةُ الْأُولَى الَّتِي تَفْرَعُ مِنْهَا كُلُّ الْكَلِمَاتِ، أَنْتُمْ نُورُ الْأَنْوَارِ الَّذِي أَشْرَقَتْ مِنْهُ كُلُّ الْأَنْوَارِ، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا فِي الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْزِيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ - وَعَنْصَرِ الْأَبْرَارِ - وَالْعَنْصَرُ جَمْعٌ لِعَنْصَرٍ وَالْعَنْصَرُ هُوَ الْأَصْلُ وَالْمَحْضُ، وَإِنَّمَا ذُكِرَ الْأَبْرَارُ لِخُصُوصِيَّةِ فِيهِمْ لَشَرَفَةِ مَنَزَلَتِهِمْ وَإِلَّا فَمُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ هُمْ عَنْصَرُ الْعَنْصَرِ، هُمْ عَنْصَرُ الْعَنْصَرِ فِي هَذَا

الوجود وهذا هو معنى نور الأنوار، نورهم هو نور الأنوار ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ هذه المشكاة هي نور الأنوار منها سطعت الأنوار هي عنصر العناصر - **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ** - وإنما هي مظاهر ومراتب، نور الشمس كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره، كاشفيتها عن نفسه بدرجة وكاشفيتها عن غيره بدرجة، ونور هذه المصايح التي نستنيرُ بها في بيوتنا نورها كاشفٌ عن نفسه بدرجة وكاشفٌ عن غيره بدرجةٍ أخرى، ونورُ الشمعة، هذه الشمعة الصغيرة كاشفٌ عن نفسه بدرجةٍ ما وكاشفٌ عن غيره بدرجةٍ ما أيضاً، وهكذا كلُّ نور، هم في مقاماتهم النورية لهم في كل مرتبة، لهم في كل مدرجٍ من مدارج النور كاشفيةٌ عن أنفسهم وكاشفيةٌ عن غيرهم، هم النور وهم حقيقة الطهور، حقيقة طهوريتهم أنهم طاهرون في ذواتهم مُطَهَّرُونَ لغيرهم، طهوريتهم ونوريتهم بمعنى واحد أنهم يُنَوِّرُونَ ذواتهم وَيُنَوِّرُونَ غيرهم، يُطَهَّرُونَ ذواتهم وَيُطَهَّرُونَ غيرهم، نوريتهم هي طهوريتهم، وطهوريتهم هي نوريتهم صلوات الله عليهم.

تلك هي محض خيريتهم - **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - ومعْدِنُهُ، المعدن: الجهة التي تجتمع فيها حقيقة الشيء - **وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - والمأوى والمنتهى الجهة التي تعود إليها البدايات، نفس الكلمة التي مرت: **بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ** - أنتم أول الخير وأنتم منتهاه، أنتم الأول والآخِرُ والظاهر والباطن، ما جاء في بعض كلمات أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والتي نقلها شيخنا المفيد رضوان الله تعالى عليه: أنا الأول والآخِرُ والظاهر والباطن - **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - وكما قلتُ في الحلقة الماضية هذه الكلمة وكلمة أخرى تقدّمت: **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** - هاتان الكلمتان تجمعان جميع المعاني التي دُكرت في الزيارة الجامعة الكبيرة على سبيل قانون الطي والنشر، كل المعاني التي نُشرت في الزيارة الجامعة الكبيرة وبنحو النشر التحريفي لا بنحو النشر التفصيلي الكلي لعجز اللغة عن ذلك، هاتان الكلمتان تطويان كل المعاني وحتى المعاني التي لم تُذكر في الزيارة الجامعة الكبيرة لأن الحديث هنا عن محض الخير وعن محض الحق، ومحض الحق هو كلُّ شيء، ومحض الخير هو كلُّ شيء، فهم المبتدى وهم المنتهى - **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** - وبهذا ينتهي المقطع الذي شرعنا فيه في الحلقة الماضية وما بقي عندنا إلا المقطع الأخير خاتمة الزيارة الجامعة الكبيرة، أقرأ المقطع المتبقي على مسامعكم:

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأَحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الدُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ

النَّعْمَةُ وَاتَّالَفَتِ الْفُرْقَةُ، وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمْ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالِدَرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ
وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْمَكَانِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَاهِ الْعَظِيمِ وَالشَّأْنِ الْكَبِيرِ وَالشَّفَاعَةَ
الْمَقْبُولَةَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا، يَا وَلِيَّ اللَّهِ - إذا
كان الخطاب مع أحدهم صلوات الله عليهم، وإذا كان الخطاب مع الجميع يا أولياء الله - يا أولياء الله إِنَّ
بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوبًا لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ فَبِحَقِّ مَنْ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرَاعَكُمْ أَمْرَ
خَلْقِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ، لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شَفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ، مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ
أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ، اللَّهُمَّ
إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شَفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَيْمَةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتَهُمْ شَفَعَائِي،
فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجِبَتْ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمْرَةِ
الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا
وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ - وهنا تنتهي الزيارة الجامعة الكبيرة.

هذا المقطع الأخير الذي أتناوله في هذه الحلقة بمثابة جُمَاعٍ وَجَمَعٍ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَطَالِبِ وَمِنَ الْمَعَانِي وَمِنَ
المضامين من أول الزيارة الجامعة الكبيرة إلى آخر كلامٍ في آخر مقطعٍ وهو قول الزيارة: إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ
أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ وَمَعْدَنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ - من بداية الزيارة إلى هذه الكلمات كُلُّ هذه المعاني جُمِعَتْ فِي
هذا المقطع الأخير الذي هو بمثابة الخاتمة للزيارة الجامعة الكبيرة، يبدأ المقطع: بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي -
المقاطع المتقدمة التي ذَكَرْتُ التَّفْذِيَّةَ ذَكَرْتُ وَأَهْلِي وَمَالِي وَأَسْرِي، الآن هذا المقطع: بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي
- التركيز هنا بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كما قلتُ فِي يَوْمِ أَمْسٍ لِأَنَّ الْأَبَ وَالْأُمَّ يُمَثِّلَانِ الْأَصْلَ، أما نفسي فهي
الجامع لكل المعاني المتقدمة لأنني حين أفنديكم بنفسي فإنني أفنديكم بكل ما عندي، أفنديكم بمالي وأهلي
وأسرتي وبكل شيءٍ، أمَّا ذِكْرُ الْأَبِ وَالْأُمَّ فَلِأَجْلِ الْإِشَارَةِ إِلَى قَضِيَّةِ الْأَصْلِ، دائماً القرآن يقرن بين التوحيد
وبين الإحسان إلى الوالدين والقضية يشير فيها القرآن إلى هذه المسألة إلى مسألة الأصل، التوحيد هو عبادة
الأصل الرجوع إلى الأصل إلى الله سبحانه وتعالى، الإحسان إلى الوالدين هو مظهر من مظاهر الرجوع إلى
الأصل لأنَّ أَصْلَ الْأَوْلَادِ إِلَى آبَائِهِمْ وَإِلَى أُمَّهَاتِهِمْ، ولذلك القرآن دائماً يقرن في آياته بين التوحيد وبين
عبادة الله وبين الإحسان إلى الوالدين، وهنا بقي ذِكْرُ الْوَالِدَيْنِ مَعَ ذِكْرِ النَّفْسِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لِلتَّأْدَبِ
بِالْأَدَبِ الْقُرْآنِيِّ عَلَى نَفْسِ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ، لأنَّ الْأَبَ وَالْأُمَّ يُمَثِّلَانِ الْأَصْلَ وَأُمَّا وَنَفْسِي فَهِيَ جَمْعٌ مَا أَمْلِكُ
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَالِي وَأَهْلِي وَأَسْرَتِي هُوَ يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِي - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ

وَأَحْصِي جَمِيلَ بِلَائِكُمْ - بعد كُلِّ هذا الذي تقدّم:

مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - قمة المعاني، قمة الجمالية في البعد العقائدي في هذه الزيارة هو في هذه القواعد في هذه القوانين - مَنْ أَرَادَ اللهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - ولذلك مباشرة - مَوَالِي لا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ وَلَا أْبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ وَمَنْ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ - ومرّ الكلام في هذا، كأنّ الزيارة هنا تُقَرَّرُ هذه المعاني، كما قلت قبل قليل بأنّ هذا المقطع هو جُمَاعٌ للمعاني المتقدمة، جمعٌ وتلخيص، كأنّ هذا المقطع يطوي ما نُشِرَ في المقاطع المتقدمة، كأنّ المقاطع المتقدمة نشرت فكرها وعلمها وما جاء فيها من مضامين جُمعت كُلُّها وطُويت في هذا المقطع - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأَحْصِي جَمِيلَ بِلَائِكُمْ - الثناء هو مديحٌ هو شُكْرٌ لِجَمَالٍ في الذي يُمدحُ أو في الذي يُثنى عليه، هناك جمالٌ، هناك فضلٌ، هناك كمالٌ يتفرَّغُ عليه ثناءً، حينما يكون الجمالُ في غاية الغايات سيكون الثناء أيضاً جميلاً، الثناء على الجميل جميل، حين يكون الجمالُ في أرقى صورهِ فسيكون الثناء أيضاً في أرقى الصورة لأنه تجلٌّ عن ذلك الجمال، الزيارة هنا تقول: كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ - ما قالت الزيارة كيف أصفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وإِنَّمَا: كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ - يعني جمالكم وبعد الجمالِ يأتي الثناء على جمالكم وبعد الثناء يأتي حُسْنُ هذا الثناء وأنا متحيرٌ كيف أصفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ - في المقاطع المتقدمة: لا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ - العبارة هنا أبلغ وأدق وأعمق - لا أَحْصِي ثَنَائِكُمْ - جمالٌ فثناءً، جمالٌ وسيع فثناءً وسيع وإني لا أحصي هذه السعة أمّا هنا: كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ - جمالٌ فثناءً فَحُسْنُ لثَنَائِكُمْ للثناء على جمالكم.

أنا متحيرٌ متردّدٌ لا أعلمُ كيف أستطيع أن أصفَ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأَحْصِي جَمِيلَ بِلَائِكُمْ - البلاء كما ذكرتُ في الحلقات الماضية منه ما هو مريحٌ حَسَنٌ، ومنهُ ما هو مؤذٍ شاق كما يقول العلماء البلاءُ على نحوين: إما أن يكون مِنحَةً وإما أن يكون مِحْنَةً، البلاءُ في النصوص الدينية تارةً يأتي بمعنى المِنحَةِ، الهبة، العطاء، الفيض، وأخرى يأتي بمعنى المِحْنَةِ والذي يدخلُ تحت عنوان الامتحان وتحت عنوان الفِتنة وتفاصيل ذلك موكولٌ إلى محلِّه، المرادُ من البلاء هنا الحُسْنُ والجمال الذي هو مِنحَةٌ وعطاءٌ وفيضٌ من الله - كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأَحْصِي جَمِيلَ بِلَائِكُمْ - لماذا عبّرَ هنا عن حُسْنِهِم عن جمالهم عن عطاء الله لهم بالبلاء، حينما يكونُ العطاءُ في أعلى درجاتِهِ يُقالُ عنه بلاءٌ، حينما يكونُ الفضلُ في أعلى درجاتِهِ يُقالُ عنه بلاءٌ، وهو من الاستعمالات المتضادّة في لغة العرب، عندنا فصلٌ في لغة العرب للمتضادات نفس اللفظة تحمل معاني متضادة.

وهذه الألفاظ في لغة العرب التي تحمل المعاني المتضادة فإنّها في الطرفين تحمل المعنى في أعلى درجاتِهِ،

فحينما يكون البلاءُ منحةً فإنَّه في أعلى درجات المنحة في أعلى درجات العطاء وحينما يكون البلاءُ محنةً فإنَّه يكون أيضاً في أعلى درجات المحنة في أشد درجات المحنة - يَا بِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ - وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ، وهذا البلاءُ وهو المنحةُ والعطاءُ والفيضُ له جمالٌ وإني عاجزٌ عن إحصاءِ جميلِ بلائِكُمْ - كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ - وهذا هو نفسه الذي مرَّ علينا في المقاطع المتقدمة: فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُتَقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ - إلى آخر ما جاء في فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة.

يَا بِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنَ النَّارِ - أخرجنا الله من الذل، من أيِّ ذُلٍّ؟ من كل معاني الذل، وأشدُّ معاني الذل في الحياة الدنيوية أشدُّ معاني الذل هو ذل الضلالة والجهل، الضلالة والجهل تقوِّد الإنسان بعيداً عن الله، تُدْخِلُهُ فِي دَائِرَةِ الشَّرْكِ فِي دَائِرَةِ الْكُفْرِ فِي دَائِرَةِ الْإِلْحَادِ عِبْرَ مَا شِئْتَ، كما هو شأنُ المخالفين لأهل البيت خرجوا من دائرة التوحيد وهم يحسبون أنفسهم أنهم على التوحيد، التوحيد مع عليٍّ وآل عليٍّ - مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبْلَ عَنَّا وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - هذا هو التوحيد، نحن بهم خرجنا من ذل الشرك ومن ذل الكفر ومن ذل الإلحاد ومن ذلك التشكيك ومن ذل الجهل بكل معانيه، لذلك ولايتنا لعليٍّ وآل عليٍّ هي توحيدنا لله سبحانه وتعالى، وتوحيدنا لله سبحانه وتعالى هو ولايتنا لعليٍّ وآل عليٍّ، وولايتنا لعليٍّ وآل عليٍّ هي ولايتنا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَا شَيْءَ وَرَاءَ ذَلِكَ.

في دعاء علقمة المروي عن إمامنا الباقر: لَيْسَ لِي وَرَاءَ اللَّهِ وَوَرَاءَكُمْ يَا سَادَتِي مُنْتَهَى، هذا هو التوحيد في أوضح صورهِ وفي أوضح معانيهِ، الدعاء المروي عن إمامنا باب الحوائج موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه موجودٌ في مفاتيح الجنان في أدعية الفرج: اللَّهُمَّ إِنِّي أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَلَمْ أَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْكُفْرُ فَاعْفِرْ لِي مَا بَيْنَهُمَا - أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ هُوَ التَّوْحِيدُ، أَبْغَضُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ هُوَ الْكُفْرُ وَحِينَ نَسْتَمِرُّ فِي الدُّعَاءِ يَتَجَلَّى هَذَا الْمَعْنَى - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْوَحْدَانِيَةِ الْكُبْرَى - هذه الوحدانية الكبرى هل هي معزولة عن المعاني الأخرى؟! أم هناك معانٍ مُلْحَقَةٌ بِهَا؟! - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْوَحْدَانِيَةِ الْكُبْرَى وَالْمُحَمَّدِيَةِ الْبَيْضَاءِ وَالْعُلُوبِيَةِ الْعُلْيَا وَبِجَمِيعِ مَا احْتَجَجْتَ بِهِ عَلَيَّ عِبَادِكَ وَبِالْأَسْمِ الَّذِي حَبَبْتَهُ عَن خَلْقِكَ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ - هذا هو التوحيد، نحن حين نَخَاطِبُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: اللَّهُمَّ إِنِّي أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَلَمْ أَعْصِكَ فِي

أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْكُفْرُ - الدعاء يأتي بين لنا معنى هذا التوحيد - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْوَحْدَانِيَةِ الْكُبْرَى وَالْمُحَمَّدِيَةِ الْبَيْضَاءِ وَالْعُلُوبِيَةِ الْعُلْيَا وَبِجَمِيعِ مَا احْتَجَجْتَ بِهِ عَلَى عِبَادِكَ وَبِالْأَسْمِ الَّذِي حَجَبْتَهُ عَنْ خَلْقِكَ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ - ولذلك الرواية في الكافي الشريف عن إمامنا أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه، الرواية ينقلها أبو حمزة الثمالي، الإمام يقول: إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهُ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ أَمَا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلَالًا - يتصور البعض بأنه يعبد الله، يعتقد بأنه يعبد الله، إنما يعبد الله من يعرف الله أما من لا يعرف الله فإنما يعبدُهُ هَكَذَا ضَلَالًا - جُعِلَتْ فِدَاكَ: مَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ - إمامنا الباقر صلوات الله عليه بين لنا هذا القانون - قَالَ: تَصَدِّقُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَتَصَدِّقُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَالِدَهُ عَلِيًّا وَالإِثْمَامُ بِهِ وَبِأَتَمَةِ الْهُدَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْبِرَاءَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرِفُ اللَّهُ وَهَكَذَا يُعْبُدُ اللَّهُ - نفس المضمون الموجود هنا في هذا الدعاء الشريف: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْوَحْدَانِيَةِ الْكُبْرَى وَالْمُحَمَّدِيَةِ الْبَيْضَاءِ وَالْعُلُوبِيَةِ الْعُلْيَا وَبِجَمِيعِ مَا احْتَجَجْتَ بِهِ عَلَى عِبَادِكَ وَبِالْأَسْمِ الَّذِي حَجَبْتَهُ عَنْ خَلْقِكَ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ - وتلك هي الحقيقة المُحَمَّدِيَّة، وكأن الدعاء يشير إلى مظاهر هذه الحقيقة - وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهَ مِنَ الدُّلِّ - من دُلِّ الشِّرْكِ ومن مهانة الكفر ومن دُلِّ الخروج عن دائرة الفطرة وعن ريقه الدين الذي يقود الإنسان إلى العاقبة الحسنى - وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهَ مِنَ الدُّلِّ - هذا الذل في الدنيا، وأما الذل الأشد هو دُلِّ الآخرة في يوم القيامة، هناك ستتضح الأمور بنحو أوضح، وهناك العزة الواضحة وهناك المذلة الواضحة.

إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه نحن نتأججه في دعاء التذبة: أَيْنَ مُعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ وَمُذِلُّ الْأَعْدَاءِ، هذه صورة أخرى من صورة عزتنا بأهل البيت ومن صور خروجنا من المذلة والمهانة - أَيْنَ مُعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ وَمُذِلُّ الْأَعْدَاءِ - وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهَ مِنَ الدُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ - أَيُّ مَذَلَّةٍ أَنْ نَتَمَسَّكَ بِأَنَاسٍ أَمْهَاتِهِمْ مَعْرُوفَةٌ تَأْرِخُهَا أَسْوَدٌ بِأَنَاسٍ يَغْطُونَ فِي جَهْلٍ لَا أَوَّلَ لَهُ وَلَا آخِرَ لَهُ بِأَنَاسٍ نَشَأَتْ لِحُومِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ مِنَ الْحَرَامِ وَعَلَى الْحَرَامِ، وُلِدُوا حَرَامًا وَعَاشُوا حَرَامًا وَمَاتُوا حَرَامًا، أَيُّ مَذَلَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ نَتَمَسَّكَ بِنَمَاذِجٍ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَأَيُّ عِزَّةٍ أَوْضَحَ وَأَجْلَى وَأَبِينَ مِنْ أَنْ نَتَمَسَّكَ بِعَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ بِحَقِيقَةِ الطُّهْرِ بِكُلِّ مَعْنَاهُ وَبِحَقِيقَةِ الْفَخْرِ بِكُلِّ مَعْنَاهُ وَبِحَقِيقَةِ الشَّرَفِ وَالْعِفَّةِ بِكُلِّ مَعْنَاهَا، هذه هي العزة والكرامة وتلك الذلَّة والمهانة - وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهَ مِنَ الدُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ - غمرات يعني شدائد، والكروب جمع لكرب والكرب هو الضيق المحنة العم الأذى الذي يحوط الإنسان، قد يكون مادياً قد يكون معنوياً وقد يشترك المعنيان فيه مادي ومعنوي في نفس الوقت - وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهَ مِنَ الدُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ - الهلكات جمع لهلكة ولمهلكة، والهلاك هو الموت هو الفناء، والهلاك هو الضلال،

الهلاكُ هو كُلُّ ما يعودُ بالأذى والضررِ على الإنسان - وَأَنْقَدْنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ - كأنَّ الهلكاتِ كأنها بئر كأنها حفرة عميقة مُظلمة لها جُرْف والجُرْف هو حافة هذه الحفرة، وشفا الجُرْف هو الحافة الحادة والحافة النهائية - وَأَنْقَدْنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ - شفا مثل الشِّفَّة، يُقال شِفَّةٌ لأنها نهاية الفم، الشِّفَّة هي نهاية الفم حدود الفم الخارجية، شفا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ يعني حدود فتحة البئر، حدود فتحة هذه الحفرة الْمُظْلِمَةُ التي هي حُفْرَةُ الْهَلَكَاتِ - وَأَنْقَدْنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنْ النَّارِ - الإنقاذُ من النار إن كان ذلك في الحياة الدنيوية فمعناهُ مرت الإشارة إليه.

في الحلقة الماضية ذكرْتُ الرواية عن الإمام الصادق حين سأل أحدهم في الدعاء: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، فماذا قال له الإمام الصادق؟ قال أنت في الجنة، أنت على ولايتنا أنت في الجنة وهذه هي الجنة، أنتم سلوا الله أن لا يسلب منكم هذه النعمة هذه الجنة، الجنة مضمونة لكم، يا نعيمي وجنتي ويا دُنياي وآخرتي، جنتنا في عليٍّ وآل عليٍّ، وإذا كان في الآخرة فنجاتنا من النارِ بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه المعاني: أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الدُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَدْنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنْ النَّارِ، تنطبق في الحياة الدنيوية وتنطبق في الحياة الأخروية، وقد مرت الإشارة إلى ذلك في الزيارة الشريفة في المقاطع المتقدمة: مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ، وهنا الزيارة تشير إلى هذا المعنى: بكم أنقذنا الله من شفا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ - قلتُ قبلَ قليلٍ بأنَّ هذا المقطع يجمع المعاني المتقدمة: مَنْ أَتَبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ - وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ - أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ - وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الدُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ وَأَنْقَدْنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ وَمِنْ النَّارِ - هذه المعاني تصدق في الحياة الدنيوية وتتجلى بنحوٍ واضح في الحياة الأخروية، حين ترتفع راياتنا عزيزة تأتي الرايات يوم القيامة رايات ورايات، رايات الهدى ورايات الضلال، صوتُ الهدى وناعقُ الضلال أيضاً يأتي يوم القيامة، رايه عليٌّ ورايات آخرين، رايه عليٌّ تتجهُ إلى الجنان ورايات آخرين تتجهُ إلى النيران، إذا أردنا أن نتصفح الكتاب الكريم ونحْنُ ما بين رياض الكتاب والعترة:

في سورة عبس وتولى، الآية الثالثة والثلاثون وما بعدها ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ والصاححة من أسماء يوم القيامة، اليومُ المَهولُ اليومُ الشديد ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ *يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * صاحبتَه يعني زوجته ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ *يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿ في مثل هذه الأحوال ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ مُسْفِرَةٌ مُضِيئةٌ، يُقال

أسفرت الشمس أشرقت ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ * ضاحكةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿ مستبشرةٌ بولايتها لعلِّي وآل عليّ
﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ هذه الوجوه ﴿ ضاحكةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ لأنها قد تعزّزت بعزّي وآل عليّ
﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ * ترهقها قترَةٌ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴾ هذه الوجوه العزيزة وتلك هي الوجوه
الذليلة، هذا هو عزّ أهل البيت ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ * ضاحكةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ *
ترهقها قترَةٌ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴾ .

في سورة المُطَفِّفِينَ في الآية الثانية والعشرين وما بعدها ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ والأبرار شيعةُ عليّ هكذا في
رواياتهم ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ نظرة النعيم يعني
روعة النعيم جمال النعيم حلاوة النعيم ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ هذا الرحيق رحيق آل مُحَمَّد، هذا هو الرحيق الذي
نشره في الدنيا، كما في سورة النحل المباركة، كما في سورة النحل المباركة ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ
لِّلنَّاسِ ﴾ هذا الشراب المختلف الألوان الذي يأتينا من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذا شرابٌ في الدنيا، هذا الشراب

صورتُهُ في الآخرة هنا ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ أليس أصلُ العسل هو الرحيق رحيقُ الأزهار؟!

هذه الصورة الأخروية لرحيق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿ مَخْتُومٌ لَمْ يَبْعَثْ بِهِ أَحَدٌ، أَصِيلٌ فِي غَايَةِ النِّقَاءِ فِي غَايَةِ
الصفاء في غَايَةِ الطُّهْرِ ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ * خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴿ بِمَاذَا نَحْتِمُ؟ نَحْتِمُ بِالْمِسْكِ ﴾ * وَفِي ذَلِكَ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿ وَمَرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ مَرَجٌ بِالتَّسْنِيمِ وهو شرابٌ إلهيٌّ خاصٌّ بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذا
شرابٌ إلهيٌّ خاصٌّ بهم لكنه لشيعتهم يُمرِّجُ بشراهم، التسنيم شرابٌ خاصٌّ بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ولا يستطيع أن
يشربه أحدٌ غيرهم صلوات الله عليهم، لكنه يُمرِّجُ لشيعتهم مع الرحيق المختوم ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ *
خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿ وَمَرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ هذا التسنيم عينٌ خاصة ﴿ عَيْنًا

يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿﴾ الْمُقَرَّبُونَ هُمُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ فَقَطْ، أَمَّا الْكَلَامُ السَّابِقُ كَانَ عَنِ الْأَبْرَارِ وَالْأَبْرَارِ شِيعَتُهُمْ ﴿﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿﴾ ﴿﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿﴾ هَذَا الرَّحِيقُ يَمْرُجُ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ التَّسْنِيمِ لِأَنَّ التَّسْنِيمَ خَاصٌّ بَعَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ ﴿﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿﴾ هَذِهِ عَيْنٌ خَاصَةٌ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَتِلْكَ هِيَ الْعِزَّةُ، هَذَا الشَّرَابُ الْإِلَهِيُّ سِنْدُوقٌ شَيْئًا مِنْهُ نَحْنُ شِيعَتُهُمْ.

﴿﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴿﴾ تَسْتَمِرُّ الْآيَاتُ ﴿﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿﴾ فِي الدُّنْيَا، يَضْحَكُونَ عَلَيْنَا فَلْيَضْحَكُوا ﴿﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ * هَؤُلَاءِ الْمَجْرُمُونَ ﴿﴾ انْقَلَبُوا فَكَيْنَ ﴿﴾ لِأَنَّ الدُّنْيَا جَاءَتْ مَسْتَوْسِقَةً مَعَهُمْ ﴿﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ ﴿﴾ رَأَوْا أَشْيَاعَ عَلِيٍّ ﴿﴾ قَالُوا إِنَّا هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿﴾ لِأَنَّ الْأُمُورَ مَسْتَوْسِقَةً لَهُمْ وَيَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقُولُوا بَيْنَ النَّاسِ فَيُصَدِّقُهُم النَّاسُ ﴿﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿﴾ فِي هَذَا الْيَوْمِ ﴿﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿﴾ وَيَوْمَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ ﴿﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿﴾ يَنْظُرُونَ مَاذَا يَجْرِي عَلَى الْكُفَّارِ، يَشْرَبُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ الَّتِي يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ وَهِيَ الْعِزَّةُ إِلَّا ذَلِكَ. حِينَ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ فَنَقُولُ: وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهُ مِنَ الدُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ، غَمْرَاتِ الْكُرُوبِ مَوَاقِفُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ - وَأَنْقَذْنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ - حِينَ الْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ وَتَسَاقُطِ الْأَمَمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَيَنْجُو شِيعَةُ عَلِيٍّ بِصُكِّ الْبِرَاءَةِ بِأَيْدِيهِمْ - وَمِنَ النَّارِ - كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ وِلَايَةِ عَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ.

فِي سُورَةِ الْغَاشِيَةِ ﴿﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿﴾ وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حِينَ يَغْشَى الْعَذَابُ وَالْخَوْفُ وَالْأَلَمُ يَغْشَى النَّاسَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿﴾ خَاشِعَةٌ ذَلِيلَةٌ، هَذَا هُوَ الذَّلُّ الَّذِي نَجُونَا مِنْهُ وَسَنَجُو مِنْهُ بِوِلَايَةِ عَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ ﴿﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿﴾ يَعْنِي ذَلِيلَةٌ ﴿﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ

* لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * شِيعَةٌ عَلِيٍّ وَاضِحِ الْكَلَامِ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * نَوَاصِبٌ،
 وَجُوهٌ نَوَاصِبٌ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تَسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ
 إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * هَذَا هُوَ الْعِزُّ * لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ
 عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً: اللغو والسخافات والكلام الفارغ الذي يهدرُ به أعداءُ
 أهل البيت في الدنيا سيهدرون به أيضاً في يوم القيامة * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً * لِأَنَّ النيرانَ تسمع فيها
 اللاغية، وهم هؤلاء الذين يلغون الآن في فضائياتهم وعلى منابرهم في عداة أهل البيت وفي عداة شيعتهم
 * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُورٌ
 مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ.

والصورة تتجلى أكثر وضوحاً في سورة الأعراف المباركة لنذهب إلى الآية الثالثة والأربعين وما بعدها
 * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ * هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ إِلَى الْجَنَّةِ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ، لِأَنَّ
 الجنان عالمٌ له شرائطه وقوانينه، الداخولون لابد أن يُنَقِّوا الشوائب الموجودة في النفوس وفي القلوب تُنقى من
 قلوب أشياع عليٍّ وآل عليٍّ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَيْنًا بِالْحَقِّ * هذه الكلمة كما في رواياتنا متى
 يقولها أشياعُ عليٍّ وآل عليٍّ؟ في يوم القيامة، حين تُحشَرُ الخلائق وترى الناس سُكَّارِيَّ وما هم بسُكَّارِيَّ،
 هذا الدهول حين تذهل المرصعة عما أرضعت، هل يمكن أن تذهل المرصعة عن رضيعها بشكلٍ طبيعي؟!
 الشيء المنطقي أن المرصعة لا يمكن أن تذهل عن رضيعها إلا إذا كانت هناك طامة كبرى، تلك هي
 القارعة، تلك هي العاشية، تلك هي الصاخة، تلك هي الجاثية، فحين يكونُ الناس سُكَّارِيَّ وما هم
 بسُكَّارِيَّ ولكن عذاب الله شديد، حين تجتمع الخلائق فيأتي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ فَيُنصَبُ لهم المقام الأعلى
 المقام المحمود، كما مرَّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة:

حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ
 وَلَا مُؤْمِنٌ وَلَا صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مُرِيدٌ وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا
 عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعَظَمَ خَطَرِكُمْ وَكَبَّرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصَدَقَ مَقَاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَشَرَفَ

مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ وَقَرَبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ. هذا في يوم القيامة في أجلى معانيه في يوم القيامة، حين يفر المرء من أمه وأبيه، حين لا يجد المرء ملاذاً في هذا الوقت تتبين هذه المعاني وتتضح منزلة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، في تلكم الأجواء يلوذ شيعَةُ أهل البيت بأهل البيت، فيقولون حين يرون منزلة أهل البيت يقولون: الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمدُ لله الذي هدانا لولاية عليٍّ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، يقولها أشياعُ أهل البيت في ذلك الظرف في ذلك الجو حين لا يجد الإنسان نصيراً ولا حامياً ولا شفيعاً ولا مُدافعاً والناس حيارى لا يعرفون إلى أين يلتجئون إلى أي جهة يتجهون، وهناك يُنصبُ المقام المحمود لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فيلتجئ أشياعهم إليهم وهم يقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وحين يدخلون إلى الجنان يقولون هذا الكلام أيضاً، كما تبين الآية هنا في سورة الأعراف:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الذي يناديهم؟ عليٌّ صلوات الله عليه، هو الذي يُدخلهم إلى الجنان، هو الذي يُروجهم، هو الذي يغلق أبواب الجنان، وهو الذي يُنادي خلودَ خلود، هو المؤذّن في الدنيا وهو المؤذّن في الآخرة ﴿ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بما كنتم تعملون بولاية عليٍّ وآل عليٍّ ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ أشياع عليٍّ نادوا أصحاب النار، نادوا أشياع فلانٍ وفلانٍ ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾ عليٌّ يقول: والله أنا ذلك المؤذّن، عليٌّ هو المؤذّن.

مثلاً مرّ في سورة براءة في سورة التوبة والتي أولها ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الآية التي بعد هذه الآية ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ عليٌّ يقول: أنا ذلك الأذان، هو الذي أذّن بسورة براءة، والتأريخ والتفسير معروفٌ وواضح، عليٌّ يقول أنا أذانٌ في الدنيا يشير إلى سورة براءة، وأنا ذلك المؤذّن في الآخرة يشير إلى هذه الآية ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ في رواياتنا أن لعنة الله على أعداء عليٍّ وآل عليٍّ الذين ظلموا عليّاً وآل عليٍّ ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ

يَطْمَعُونَ ﴿﴾ يطمعون أن يدخلوا الجنة ودخلوها بشفاعه هؤلاء الذين على الأعراف ﴿﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ ﴿﴾ أهل الجنة، شيعة علي ﴿﴾ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ ليس الذين على الأعراف الذين على الأعراف لا يقولون هذا الكلام، الذين على الأعراف هم أصحاب الولاية، المفسرون الآن يفسرون هذا الكلام وكأنَّ الرجال الذين على الأعراف يقولون هذا الكلام، هذا الكلام كما في روايات أهل البيت هو كلام أشياع أهل البيت في يوم القيامة ﴿﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿﴾ إلى هناك إلى المذلة ﴿﴾ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ نحن أشياع هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف أجعلنا معهم ﴿﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴿﴾ هؤلاء أين؟ في جهنم ﴿﴾ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿﴾ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ ﴿﴾ كنتم تقولون عن شيعة علي بأنهم على ضلال ﴿﴾ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴿﴾ ثم يلتفتون إلى أشياعهم يقولون ﴿﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿﴾ تلاحظون المشهد مشهد جميل جداً لكن ربما الكثير يقرأونه لا يلتفتون إلى هذه الحوارات الجميلة في هذه الآيات أو يقرأون كتب التفسير التي يحاول المفسرون أن يُدَبِّجُوا الكلام بأي نحوٍ يلقونه على عواهنه، هكذا فسّر أهل البيت هذه الآيات من سورة الأعراف ﴿﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴿﴾ فلان وفلان وفلان ﴿﴾ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿﴾ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴿﴾ هؤلاء الذين قلتم بأن أشياع علي لن تنالهم الرحمة؟! ثم يلتفتون إلى أشياعهم ﴿﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿﴾ أنتم في ضمانتنا أدخلوها، الجنة جنة محمد وآل محمد ﴿﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴿﴾ ما نادوا أصحاب الأعراف نادوا أصحاب الجنة.

هذه مذلتهم لأنهم لا يستطيعون أن يكلموا أصحاب الأعراف، ما هو شأنهم ما هي قيمتهم حتى يُكَلِّمُوا أصحاب الأعراف ﴿﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴿﴾ هذا الماء الذي منعه عن حسين وآل حسين سيعطشون يعطشون ﴿﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ

أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴿ فَمَاذَا قَالَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ؟ ﴾ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ هذا حرامٌ عليكم
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ من هم هؤلاء الكافرون؟ القرآن يبين ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾
 الدين مفسرة في روايات أهل البيت الإمام المعصوم، الدين ولاية عليّ الدين هو ولاية عليّ صلوات الله
 وسلامه عليه، اليوم أكملت لكم دينكم، بماذا أكمل الدين؟ بولاية عليّ، يعني أن الدين ولاية عليّ
 ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
 يَجْحَدُونَ ﴾ الآيات هم أهل البيت وهذا المعنى واضح جداً في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه
 عليهم أجمعين.

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لكنهم فسروا القرآن بحسب ما يشتهون
 وما رجعوا إلى العترة، وحتى هناك من الشيعة في زماننا هذا من يفسر القرآن برأيه ويجمع حشواً من كتب
 المخالفين ولا أدري من أين يأتي بالبقية الباقية من الحشو الذي يحشوه ويقول هذا هو تفسير القرآن على
 منهج أهل البيت ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾
 هل ينتظرون حتى تأتي حقائق القرآن حتى يؤمنوا ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي حَقِيقَةُ
 القرآن متى؟ رواياتنا تقول في ظهور المهدي صلوات الله وسلامه عليه ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ ينتظرون، هم
 ينتظرون حتى تأتي حقائق القرآن ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي
 تَأْوِيلَهُ ﴾ حين يظهر إمامنا ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا
 أَوْ نَزِدُّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ وتلك هي عِزَّةُ أهل البيت
 وعزتنا بعزة أهل البيت وكرامتنا بكرامة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهل هناك من عِزَّةٍ ومن فرجٍ ومن رحمةٍ إلا هذه المعاني التي يصدع بها قرآننا وتفسرها لنا روايات أئمتنا
 صلوات الله وسلامه عليهم - وَبِكُمْ أَخْرَجْنَا اللَّهُ مِنَ الدُّلِّ - هذه هي العِزَّةُ - وَفَرَّجَ عَنَّا غَمْرَاتِ
 الْكُرُوبِ - في الدنيا والآخرة - وَأَنْقَذَنَا مِنْ شَفَا جُرْفِ الْهَلَكَاتِ - في الدنيا والآخرة - وَمِنَ النَّارِ -
 الجنة في ولاية عليّ صلوات الله وسلامه عليه - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي - هذا التكرار لأنني لا أملك شيئاً
 أقدمه بين أيديكم أعزُّ شيءٍ أقدمه بين أيديكم وليس له من قيمة يا آل محمد، فما أقدمه لكم هو منكم

هو منحة منكم - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا - وَمَرَّ عَلَيْنَا فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ: إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ - وَمَرَّ عَلَيْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ - كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمْ التَّقْوَى - وَمَرَّ عَلَيْنَا - وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ - كُلُّ هَذَا يَشَخَّصُ لَنَا مَعَالِمَ دِينِنَا - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا - مَعَالِمَ الدِّينِ هِيَ مَشَخَصَاتُ الدِّينِ هِيَ الْجِهَاتُ الْوَاضِحَةُ هِيَ أَصُولُ الدِّينِ هِيَ حَقَائِقُ الدِّينِ - بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا - إِذَا فَسَدَ دِينُ الْمَرْءِ فَسَدَتْ دُنْيَاهُ، إِذَا تَصْلَحَ دُنْيَا الْمَرْءِ بِصَلَاحِ دِينِهِ.

نحن نقرأ في الكافي الشريف رواية جميلة جداً قصيرة لكنها في غاية الحسن والجمال، هذا الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُوا إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ - لِمَاذَا؟ الإِمَامُ يَعْطِي هَذَا الْقَانُونَ - إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُوا إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ - لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِنْ إِمَامٍ - كَيْ مَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئاً رَدَّهْمُ وَإِنْ نَقَصُوا شَيْئاً أَتَمَّهُ لَهُمْ - لِأَنَّ الإِمَامَ هُوَ الَّذِي يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَ مِنْ دُنْيَانَا وَمِنْ دِينِنَا، مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ وَالنَّاسُ وَشَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ - كَيْ مَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئاً رَدَّهْمُ وَإِنْ نَقَصُوا شَيْئاً أَتَمَّهُ لَهُمْ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي بِمُؤَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ - تَمَّتْ كَلِمَةُ الْحَقِّ، تَمَّتْ كَلِمَةُ الْقُرْآنِ، تَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، تَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ، تَمَّ كُلُّ خَيْرٍ بِمُؤَالَاتِكُمْ، تَمَّتْ كَلِمَةُ الْحَقِيقَةِ، تَمَّتْ الْحَقِيقَةُ، بِعِبَارَةٍ مُوجِزَةٍ: تَمَّتْ الْكَلِمَةُ أَي تَمَّتْ الْحَقِيقَةُ - وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا - تَمَّتْ الْحَقِيقَةُ بِصِدْقِهَا وَبَعْدْلِهَا وَبِتِمَامِ وَجْهِهَا كَمَا هِيَ - وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ - وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي - تَمَّامُ النِّعْمَةِ فِي عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ - وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ - وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمَ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَيِّ بَابٍ؟! مِنْ بَابِ عَلِيٍّ، عَلِيُّ هُوَ سَفِينَةُ النِّجَاةِ - وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ - أَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعْنَا قَلْبٌ يَتَلَهْفُ لِلْحِجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ وَيَتَقَطَّعُ حَزْناً لِحُسَيْنِ وَآلِ حُسَيْنٍ وَيَذُوبُ حَسْرَةً وَأَسْفَافاً وَكَمْدَافاً لِتِلْكَ الَّتِي قَتَلُوهَا بَيْنَ الْبَابِ وَالْجِدَارِ، أَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ نَمْلِكَ قُلُوباً وَوُجْدَاناً بَيْنَ جِوَانِحِنَا تَتَأَجَّجُ فِيهِ سَاجِرَةٌ جَمْرَةٌ وَوَلَاءِ عَلِيِّ وَجَمْرَةُ حُبِّ عَلِيٍّ ...

أهواك حتى في حشاشة مهجتي ناز تشب على هواك وتلدغ

وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَاتَّسَلَفَتِ الْفُرْقَةُ، أَيُّ فُرْقَةٍ ائْتَلَفَتْ بِمُؤَالَاتِكُمْ؟ فُرْقَةُ عَقُولِنَا، فُرْقَةُ قَلْبِنَا ...

كانت لقلبي أهواءً مفرقةً فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

قلوبنا المتفرقة، عقولنا المتفرقة، ونحن أشياخٌ عليّ الذين تفرقنا الدنيا إذا أردنا أن نأترف لا يؤلفنا إلا ولاء عليّ، إذا نظر بعضنا إلى البعض الآخر للعلائق الدنيوية نختلف ونتصارع ونتفرق، لكن إذا اجتمعنا ونحن ننظر إلى جهةٍ واحدة إلى ولاء عليّ فإن هذه الفرقة ستجتمع - **وَأَتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ** - ولاء عليّ يجمع العقول يجمع القلوب ويجمع الأشخاص ويجمع المتفرقين - **وَأَتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ** - بمواليتكم - **وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ وَأَتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ** - الطاعة الواجبة لن تقبل وإن كانت واجبة ونأتي بها بشرائطها الفقهية والشرعية لكنها لا تقبل من دون إمضاءك يا إمام زماني لن تقبل، الأعمال لا بد أن تكون في ساحة وفي فناء إمام زماننا حتى تقبل، تبقى صلواتنا ناقصة، ويبقى صيامنا ناقصاً، ويبقى حجنا ناقصاً، من تمام الحج لقاء الإمام من كمال الحج لقاء الإمام، الصلاة هذه التي تلاحقنا منذ أول لحظةٍ للتكليف وحتى آخر لحظةٍ في حياتنا لن تقبل من دون عليّ.

الناصب سيان عند الله صلى أم زنا، الصلاة في حقيقتها عليّ صلوات الله عليه هو يقول أنا صلاة المؤمنين وصيامهم - **وَبِمُؤَالَاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ وَلَكُمْ الْمَوْدَّةُ الْوَاجِبَةُ** - هذه المودة يوجبها العقل يوجبها القلب يوجبها الوجدان توجبها الفطرة يوجبها رسول الله هذا هو حق رسول الله، قل لا أسألكم عليه أجراً، هذا الأجر يجب أن يُدفع حين كان يقول رسول الله على المنبر لعن الله من منع الأجير أجره وأنا أجيركم، كان يردد هذه الكلمة: لعن الله من منع الأجير أجره، ودائماً يقول أنا أجيركم، أنا أجيركم يعني أنا أطلبكم أجراً وأجري واضح، لعن الله من منع الأجير أجره يفسرون الحديث في أنك إذا أجرت عاملاً فاتفقت معه على أجره معينة وما أعطيته أجره فلعن الله من منع الأجير أجره، قطعاً هذا أمرٌ مذموم لكن ما قيمة هذا الأمر إلى هذا الأجر الذي يقصده رسول الله، لعن الله من منع الأجير أجره، ولعن الله من انتسب إلى غير أبيه، لا يقصد أنه الانتساب أن شخصاً ينتسب إلى أبّ ثانٍ إلى رجلٍ ثانٍ، الأب هو عليّ، يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة، لعن الله من انتسب إلى غير عليّ، الأب هو الإمام هنا، لعن الله من انتسب إلى غير عليّ، لعن الله من منع الأجير أجره هذه هي المودة الواجبة - **وَلَكُمْ الْمَوْدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالدرجاتُ الرَّفِيعَةُ** - درجاتٌ رفيعة لا أعلم عددها ولا أعرف علوها - **وَالدرجاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ** - وحتى ما جاء في رواياتنا في أوصاف المقام المحمود في يوم القيامة إنما هو شيءٌ تقريبي، المقام المحمود ثابتٌ للنبي قبل الدنيا وفي الدنيا وبعد الدنيا، النبي صلى الله عليه وآله ما فارق المقام المحمود حتى يكون المقام المحمود فقط له في يوم القيامة، المقام المحمود هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، النبي صاحب المقام المحمود ولكن المقام المحمود هو النبي صلى الله عليه وآله، فكل فضلٍ في هذا الوجود هو من مظاهر

الحقيقة المحمدية - وَالذَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - المكان المعلوم بالنسبة لنا معلوم بالجملة وإلا نحن هل نعرف منزلة أهل البيت عند الله؟ لا نعرف منزلتهم لكننا نعرف بأنهم هم الرقم الأول، هذا الذي نعرفه، التفاصيل إنما هي بقدر عقولنا، نحن نعرف بأنهم هم الرقم الأول عند الله سبحانه وتعالى، نحن نعرف بأنهم هم نقطة البداية، النقطة كما قال عليّ وأنا النقطة، هم النقطة نقطة البداية ونقطة النهاية كما قالت الزيارة: **وَبِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ -** هم يعلمون مكانتهم، نحن لا نعلم مكانتهم، التفاصيل وما جاء في الزيارة الجامعة مع أنها قولٌ بليغٌ كامل لكن الإمام صلوات الله وسلامه عليه يخاطبنا يخاطب عقولنا، القول البليغ لا يكون بليغاً حتى يكون مناسباً لعقل ولفهم وإدراك الذي يخاطب به، لا يتصور البعض من أن الزيارة الجامعة الكبيرة تمثل حقيقة مقامات أهل البيت، ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة وهو قولٌ بليغٌ كامل لكن القول البليغ لا يكون بليغاً حتى يكون مناسباً لعقل المُخاطَب، فهي مناسبة لعقولنا ولفهمنا.

وَلَكُمْ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالذَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ - كل هذه أوصافٌ تدور من قريبٍ أو من بعيد حول المنزلة الأولى لأهل البيت والتي نحن لا نعرف حقيقتها وما ندركه فهو بقدر عقولنا بقدر مداركنا المحدودة، فأين الثرى وأين الثريا، وأين التراب وأين رب الأرباب، لكن هذه التعابير تتحدث عن علو منزلتهم - **وَلَكُمْ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ -** وإنما كانت مودتهم واجبة لأنهم قد جمعوا كل كمال هم أكمل الكمال - **وَلَكُمْ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالذَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ -** شفاعتهم مقبولة شفاعتهم في الدنيا، شفاعتهم عند الاحتضار، شفاعتهم في القبر والبرزخ، شفاعتهم في يوم القيامة، شفاعتهم في الجنان، في كل صقعٍ من أصقاع الوجود.

نماذج من حديث أهل البيت: وهذا هو الجزء الثامن من بحار الأنوار الشريف، الرواية عن معاوية بن وهب يرويها البرقي في المحاسن - **سَأَلْتُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا**

مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ الْمَأْذُونُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْقَائِلُونَ صَوَابًا. ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ لا يتكلمون في يوم القيامة كل الخلائق لا يتكلمون، هذه في الجزء الثلاثين

من الكتاب الكريم في سورة النبأ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ والروح خلقٌ أعظم من الملائكة أعظم من

جبرئيل وميكائيل ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ الروح كما يقول الكثير من العرفاء والأولياء أن الروح هو

التجلي الأول للحقيقة المحمدية ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الجميع لا يتكلمون لا يؤذن لهم ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ إمامنا الصادق يقول: نحنُ والله المأذونُ لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً، قلتُ: جعلتُ فداك وما تقولون؟ قال: نُمجِّدُ رَبَّنَا ونُصَلِّي على نبينا ونَشْفَعُ لِشِيعَتِنَا فلا يَرُدُّنا رَبَّنَا.

الرواية عن إمامنا الرضا عن سيد الأوصياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمتها فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ حَكَمنا فيها فأجابنا ومن كانت مَظْلَمَتُهُ بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوهبت لنا ومن كانت مظلمتها فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح، والروايات وفيرة.

الرواية عن أبي بصير عن أبي عبد الله صلوات الله عليه إمامنا الصادق: شيعتنا من نور الله خلِقوا وإليه يعودون والله إنكم لملحَقون بنا يوم القيامة وإنا لنشفع فنشفع، والله إنكم لتشفعون فتشفعون وما من رجلٍ منكم إلا وسُترُفِع له نارٌ عن شماله وجنَّةٌ عن يمينه ويدخل أحباءه الجنة وأعدائه النار.

الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد فتغشاهم ظلمةٌ شديدة فيضجون إلى ربهم ويقولون: يا رب أكشف عنا هذه الظلمة قال فيقبل قومٌ يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرضَ القيامة فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله؟ فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع هؤلاء ملائكة؟! فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء؟! - الشهداء المراد ليس الذين قتلوا في المعارك، الشهداء الذين يشهدون على الخلائق - هؤلاء شهداء؟! فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء، فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء يا أهل الجمع سلوهم من أنتم؟ فيقول الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون - الأئمة المعصومون، نحن العلويون، نحن أولاد عليٍّ - نحن العلويون نحن ذُرِّيَةُ مُحَمَّدٍ رسول الله نحن أولادُ عليٍّ وليِّ الله نحنُ المخصوصون بكرامة الله نحنُ الآمنون المطمئنون، فيجيئهم النداء من عند الله عزَّ وجلَّ اشفعوا في محبيكم وأهل مودتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفعون.

حديثٌ آخر به أختتم الكلام في هذه المجموعة من أحاديث الشفاعة، الرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، أخذ منها هذا المقطع: ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو محتاجٌ إلى شفاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يوم القيامة - يعني حتى الأنبياء، حتى الملائكة، حتى الرسل، هذا كلامٌ قاطع واضح - ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو محتاجٌ إلى شفاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يوم القيامة -

لأن الشفاعة على مراتب على درجات، والشفاعة لها أنحاء عديدة، الشفاعة ليس فقط الخلاص من النار، هناك شفاعة حتى في الذين يدخلون إلى النار أن يخفف العذاب عليهم، هناك شفاعة حتى في الذين يدخلون إلى النار أن لا يكونون من الخالدين في النار، هناك مجموعة تخرج من أهل النار وتذهب إلى الجنة بعد فترة من العذاب في النار تسميهم الروايات بالجهنميين، الشفاعة تكون حتى في الجنان لرفع الدرجات في الجنان، الشفاعة لها مراتب كثيرة ومعانٍ كثيرة - ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو محتاجٌ إلى شفاعة محمدٍ صلى الله عليه وآله يوم القيامة، ثم قال أبو جعفرٍ عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته ولنا شفاعةٌ في شيعتنا ولشيعتنا شفاعةٌ في أهاليهم، ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر وإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول يا ربي حقُّ خدمتي كان يقيني الحرُّ والبرد - والروايات في هذه المضامين كثيرةٌ جداً عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وَالشَّانُ الْكَبِيرُ وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ - شفاعتهم مقبولة في كل طبقات الوجود ليس فقط في يوم القيامة ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ كأن الزيارة الشريفة تشير إلى ما جاء في سورة آل عمران في الآية الثالثة والخمسين ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ والآية هذه جاءت في سياق قصة الحوارين ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ من هم الشاهدون؟ من هؤلاء الشاهدون الذين تتحدث عنهم الآية؟ الشاهدون الذين يشهدون على كل الأمم، الذين يشهدون على كل الخلائق. الرواية عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه هذا هو تفسير البرهان الرواية ينقلها عن ابن شهر آشور المازندراني رضوان الله تعالى عليه عن إمامنا الكاظم عن باب الحوائج: ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ قال: نحن هم - الشاهدون هم محمدٌ وآل محمد - نشهدُ للرسول على أممها. ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ مع محمدٍ وآل محمد، لذلك الزيارة هنا تريد أن تشير إلى هذه الحقيقة ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ ﴾ بما أنزلت على محمدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أكتبنا مع محمدٍ وآل محمد صلوات الله عليهم.

الآية هنا في سورة آل عمران ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ هي الآية الثالثة والخمسون تتعاقب في معناها مع الآية الثالثة والتسعين بعد المئة من سورة آل عمران ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا

يُنَادِي لِلإِيمَانِ ﴿ وَالْمَنَادِي هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الْمَنَادِي عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، الْمَنَادِي هُوَ الْحَجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ، الْمَنَادِي مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ الأبرار هم شيعة عليٍّ ومر علينا الكلام قبل قليل، هؤلاء هم الذين تخاطبهم سورة آل عمران في آخر آية من آياتها ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ هؤلاء الذين قالوا ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ هؤلاء هم الذين تخاطبهم سورة آل عمران ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ إذا كنتم تقولون إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا فأنتم اصبروا وصابروا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ماذا تقول روايات وأحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟

الرواية: عن إمامنا الباقر قال: اصبروا على أداء الفرائض وصابروا عدوكم ورابطوا إمامكم المنتظر - رباطوه انتظروه، المرابط هو الذي يركب فرسه، يلبس درعه، يده على سيفه، عيونه مفتوحة ويقف على الثغور على الحدود لحماية الثغور والحدود هذا هو المرابط - اصبروا على أداء الفرائض وصابروا عدوكم ورابطوا إمامكم المنتظر.

رواية أخرى: اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم ممن يخالفكم ورابطوا إمامكم واتقوا الله فيما أمركم به وأفترض عليكم - الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه - اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم ممن يخالفكم ورابطوا إمامكم واتقوا الله فيما أمركم به وأفترض عليكم.

ورواية أخرى: اصبروا على الأذى فينا - هذا الاختلاف في ألفاظ الروايات لأن الناس تختلف ظروفهم تختلف درجات الناس مختلفة ظروف الناس مختلفة كل واحد تواجهه مجموعة من الامتحانات - اصبروا على الأذى فينا قلت: وصابروا؟ قال: على عدوكم مع وليكم، قلت: ورابطوا؟ قال: المَقَامُ مع إمامكم واتقوا الله لعلكم تُفْلِحُونَ - والزيارة الجامعة الكبيرة هي زيارة أولئك الذين يصبرون ويصابرون ويرابطون، يرابطون مع إمام زمانهم.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، رَبَّنَا لَا تُزِغْ: الزيغ هو الميل، لا تجعل قلوبنا منحرفة مائلة عن أهل

البيت، بك صلي عنك لا تقطعني يا بقية الله، بك صلي عنك لا تقطعني يا ابن رسول الله، القلوب إذا زاغت مالت - رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا - أنت الذي هديتنا، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ربنا لا تزغ قلوبنا عن علي وآل علي بعد إذ هديتنا لهم - وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ سُبْحَانَ رَبَّنَا - سبحان يعني إني أسبحه، أقدس، أنزهه، أسبحه تسبيحاً، أسبحه سبحاناً - سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً - سبحان بمعنى تسبيحاً مفعول مطلق، أسبحه تسبيحاً - سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً - وعده في أي شيء؟ وعده في الاستجابة للدعاء، وعده في نصرة محمد وآل محمد، وعده في ظهور إمام زماننا، وعده في أن أولياء أهل البيت مصيرهم إلى جنانه وإلى حلوده - سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً - ثم يتوجه الزائر - يَا وَلِيَّ اللَّهِ - إذا كنا نزور واحداً منهم، وإذا كنا نزورهم جميعاً: يا أولياء الله، هذه العبارة وليُّ الله، وليُّ الله المتلبس بالولاية، والولاية هي كل المعاني المتقدمة.

الآن العبارات التي مرت علينا: الدرجات الرفيعة، المقام المحمود، المكان المعلوم عند الله عز وجل، الجاه العظيم، الشأن الكبير، الشفاعة المقبولة، كل هذه المعاني تكون مجموعة في معنى الولاية، المعاني المتقدمة أيضاً: من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم، وذل كل شيء لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن، كل هذه هي معنى الولاية، يا وليُّ الله يا أولياء الله هم الذين تشرق فيهم هذه المعاني، ما جاء في حديث أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مع طارق بن شهاب، ماذا قال أمير المؤمنين برواية طارق بن شهاب؟

هذا هو الجزء الخامس والعشرون الكلام طويل ومفصل أخذ جانباً منه - يا طارق الإمام - والإمام هو وليُّ الله نحن نخاطبه يا وليُّ الله يا أولياء الله - يا طارق الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء - يجعل فيه ما يشاء أي أنه يعطيه ما يشاء، يعطيه إلى الملائكة - ويوجب له بذلك - بذلك العطاء - يوجب له الطاعة والولاية على جميع خلقه فهو وليه - هو وليُّ الله - فهو وليُّه في سماواته وأرضه - نحن نخاطبه الآن يا وليُّ الله يا أولياء الله هؤلاء هم أولياء الله - يا طارق الإمام كلمة الله وحجة الله ووجه الله ونور الله وحجاب الله وآية الله يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه فهو وليه في سماواته وأرضه أخذ له بذلك العهد على جميع عبادته فمن تقدم عليه كفر بالله من فوق عرشه فهو - أي وليُّ الله - فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء - يعني أن مشيئة الله مشيئته، وأن مشيئته مشيئة الله سبحانه

وتعالى - فهو يفعل ما يشاء وإذا شاء الله شاء - الكلام طويل وفي عدة صفحات، كلام علي صلوات الله وسلامه عليه في بيان صفات الإمام في بيان صفات أولياء الله - والإمام يا طارق بشر ملكي - نسبة إلى الملك - بشر ملكي - نفس الشيء في الصديقة الطاهرة حوراء أنسيه، أنسيه حوراء، المعاني واحدة، حين نقول عن الصديقة بأنها حوراء أنسيه، نفس الكلام بشر ملكي - والإمام يا طارق بشر ملكي وجسد سماوي - ومر علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة - وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ - وتحدثت عن مظاهر أجسادهم في كل العوالم - وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ - والإمام يا طارق بشر ملكي وجسد سماوي وأمر إلهي - لذلك مر علينا قبل قليل في التسليم قلت بأنه شراب إلهي، الشراب الإلهي لا يكون إلا للأمر الإلهي - والإمام يا طارق بشر ملكي وجسد سماوي وأمر إلهي وروح قدسي ومقام علي ونور جلي وسر خفي فهو ملك الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عالم بالمغيبات خصاً من رب العالمين ونصاً من الصادق الأمين، ثم يقول: وهذا كله - كل هذه المعاني - لآل محمّد لا يشاركونهم فيه مشارك - خاص بهم.

نفس الشيء الذي قرأناه في الزيارة الجامعة الكبيرة: آتَاكُمْ اللَّهُ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وهذا كله لآل محمّد لا يشاركونهم فيه مشارك - ويستمر في كلامه إلى أن يقول: - فهم سر الله المخزون وأوليائه المقربون وأمره بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون - الكلام هنا عن مظاهر - أمره بين الكاف والنون - هذا مظهر من مظاهر أهل البيت - لا بل هم الكاف والنون - هذا مظهر آخر، هذه مظاهر القدرة - إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون - أليس هذه نفس نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة - إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعزّ الأولياء في عزهم - وذل كل شيء لهم لماذا؟ لأن عندهم من العزة ما لا يملكها أحد - علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعزّ الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر - الذرة في لغة العرب تطلق على ذرة التراب حبة التراب الصغيرة، أو تطلق على ذرة الهباء، هذه الذرات التي نراها متحركة في حزمة الضوء الداخلة من النوافذ والكوى، حينما يدخل ضوء الشمس من النوافذ والكوى ألا نرى شيء يتحرك في داخله؟ هذه تسمى بالذرة ذرة الهباء لا وجود لها إذا أردت أن تمسك بها لن تمسك بها لا وجود لها مادي لها محسوس، فقط نراها بأعيننا، وفي رواياتنا هذه بقايا الجبل الذي تجلى له النور المحمّدي حينما طلب موسى من الله سبحانه وتعالى أن ينظر إليه، ألم يتجلى نور في الروايات نور كروي من الكربيين وهم قوم من شيعتنا من الخلق الأول، أصلاً لم يكن من نور محمّد مباشرة، من نور مجالي محمّد، تجلى للجبل فخرّ موسى صعباً فمات موسى والجبل تفتت، الروايات تقول بقايا جبل موسى هي

هذه الذرات التي نراها في ضوء الشمس.

على أي حال - علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعزُّ الأولياء في عزهم كالثقيرة في البحر والذرة في القفر - وهناك من معاني الذرة النملة الصغيرة، النملة الصغيرة جداً يقال لها ذرة أيضاً في لغة العرب - كالثقيرة في البحر والذرة في القفر، والسموات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها - يقال كيده من راحته، أو كراحته من يده، هذا الاستعمال يستعمله العرب كيده من راحته أو كراحته من يده - يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برها من فاجرها ورطبها ويابسها لأن الله علم نبيه علم ما كان وما يكون وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون آل محمّد، ومن أنكر ذلك فهو شقيّ ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون - وفي الروايات اللاعنون الذين ذكروا في القرآن هم محمّد وآل محمّد - ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون، وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السموات والأرض، وإن الكلمة من آل محمّد تنصرف إلى سبعين وجهاً وكل ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية يذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي - الذي نخطبه في الزيارة - يَا وَلِيَّ اللَّهِ - لأنه جنب الله ووجه الله يعني حق الله وعلم الله وعين الله ويد الله فهم الجنب العلي - هم أولياء الله.

والوجه الرضي والمنهل الروي - المنهل المكان الذي يقصده الناس كي ينهلون منه كي يشربون الماء العذب - والمنهل الروي والصراط السوي والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه - نحن تحدثنا عنهم بأنهم الرحمة الموصولة - وَشَفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ، وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ، وَالْآيَةُ الْمَخْرُوجَةُ - هم الرحمة الموصولة - والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه - ويستمر سيد الأوصياء فيقول: سر الواحد والأحد - آل محمّد، سر الواحد والأحد: يعني أن الواحدية والأحدية تتجلى فيهم - سرُّ الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسرُّ الديان وكلمته وباب الإيمان وكعبته وحبّة الله ومحبته وأعلام الهدى ورايته وفضل الله ورحمته وعين اليقين وحقيقته وصراط الحق وعصمته ومبدأ الوجود وغايته - وهذه عبارة جامعة - ومبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته.

هذا الكلام كله مرّ في الزيارة الجامعة الكبيرة - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - هذه العبارة تجمع كل هذه المعاني - إن ذِكْرَ الْخَيْرِ كُنْتُمْ أَوْلَاهُ وَأَصْلُهُ وَفَرَعُهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ - كأن هذا الحديث يشرح هذه الفقرات من الزيارة الجامعة الكبيرة - ومبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخزنة الوحي

وَحَفَظْتُهُ وآية الذكر وتراجمته - يعني هم آية الذكر وهم تراجمته، هم القرآن بنفسه وهم تراجمة القرآن هذه مظاهرهم - وآية الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته - من هم إذأ؟! - فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية أو فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية - والقراءة واحدة والمعنى واحد - فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية - هي حجة على الحجج، هي مشرقة على الحجج ومشرقة في الحجج فاطمة - فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المحمّدية والأغصان النبوية النابتة في دوحه الأحمديّة والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية - هؤلاء آل محمّد فجئني بمثلهم - والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية والذرية الزكية والعترة الهاشمية الهادية المهديّة أولئك هم خير البرية - عليّ وآل عليّ هنيئاً لنا بهم.

ويستمر سيد الأوصياء - اسمهم مكتوب على الأحجار - كتابه تكوينية كتابة التكوين، بكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم آل محمّد، بكم تسبح الكائنات - اسمهم مكتوب على الأحجار وعلى أوراق الأشجار وعلى أجنحة الأطيّار وعلى أبواب الجنة والنار وعلى العرش والأفلاك وعلى أجنحة الأملاك وعلى حُجُب الجلال وسُرَادِقَات العِز والجمال وباسمهم تسبح الأطيّار وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار وإن الله - الحيتان هو اسم لكل الحيوانات البحرية ليس مخصوصاً بنوع معين وفي لغة العرب تطلق الحيتان على الأسماك.

ما نسميه اليوم بالحوت العرب تسميه النون لذلك النبي يونس ما عبّر القرآن عنه بذي الحوت، قال بذي النون، عبّر عنه بذي النون - وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار وإن الله لم يخلق أحداً إلا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية والولاية للذرية الزكية والبراءة من أعداءهم وإن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور - نحن نخاطب الأئمة في الزيارة الجوادية نخاطب الإمام الرضا: وبهم - يعني الأئمة - سكنت السواكن وتحركت المتحركات - وإن العرش لم يستقر - لم يسكن، بهم سكنت السواكن وتحركت المتحركات - وإن العرش لم يستقر حتى كُتِب عليه بالنور - ماذا كتب عليه بالنور؟ - لا إله إلا الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله - الشهادة الثالثة أشهد أن علياً وليّ الله حقاً وصدقاً صدقاً - وإن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور لا إله إلا الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله - هذا هو الوليّ الذي نخاطبه في الزيارة الجامعة - يَا وَلِيَّ اللَّهِ - أيّ وليّ هذا؟!

يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ - أنتم إذا رضيتم انتهى، فاطمة يرضى الله لرضاها، إذا رضيت فاطمة الله يرضى - يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لَا يَأْتِي

عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ فَبِحَقِّ مَنْ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ - هذا هو السر هذه هي أسرارهم كما في حديث طارق بن شهاب عن سيد الأوصياء عن العليّ الأعلى أمير المؤمنين - فَبِحَقِّ مَنْ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرَعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ - هو جعلكم رعاة على خلقه - وَاسْتَرَعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَقَرْنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ - مطيع بقلبي لا بأعمالي، أعمالي كلها نقائص لكنني مطيع هواي ومودتي لكم مطيع في قبول ولايتكم، كما مر علينا في دعاء الإمام باب الحوائج صلوات الله وسلامه عليه: اللَّهُمَّ إِنِّي أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ - يعني ولاية عليّ، أنا مطيع لكم من هذه الجهة - وَلَمْ أَعْصِكُمْ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكُمْ - وهو ولاية أعداءكم - وهو الكفر - أنا مطيع من هذه الجهة - فَأَغْفِرْ لِي مَا بَيْنَهُمَا - وهناك ذنوب كثيرة عندي بين هذا وذاك.

يَا وَلِيَّ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوبًا لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا رِضَاكُمْ فَبِحَقِّ مَنْ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ وَاسْتَرَعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ وَقَرْنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ - سادتي آل مُحَمَّد - مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ - قلتُ قبل قليل هذا المقطع يجمل المعاني المتقدمة، وهذه المعاني تقدمت مر علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة - مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَ اللَّهَ - إلى آخر ما جاء فيها - فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ - مطيع في هذه الجهة مطيع في ولايتكم وإلا فذنوبي كثيرة - فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَحَبَّكُمْ - يا آل مُحَمَّد - فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَبْرَارِ - إني ما وجدت غيرهم والزيارة هنا أشارت إلى هذا المعنى - حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ - كل الكائنات مقررة وستقر بأنه لا فضل كفضل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، الفضل كله مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ كما قال سيد الأوصياء المعاني التي مرت في حديث طارق بن شهاب كل ذلك لهم لا يشاركهم أحد في ذلك، هو خاصٌّ بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ - هذا هو التوحيد، نحن نتوسل بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ لأن الله جعلهم كذلك، غايتنا الله، غايتنا ليس مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ، غايتنا مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ لأنهم يوصلونا إلى الله، هذا هو التوحيد الحقيقي.

كل هذه المعاني التي مرت في منازل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وكل هذه العقيدة الصارخة بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ لأنها باب التوحيد من أراد الله بدأ بكم، غايتي هو الله سبحانه وتعالى لكنني لم أجد أحداً يوصلني إليه إلا هم - اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ - هو أوجب لهم هذا الحق وإلا ليس لهم حق على الله، لا مُحَمَّد ولا

آل مُحَمَّد ولا أي مخلوق له حقُّ على الله، الله سبحانه وتعالى من فضله من كرمه من جوده، كما يخاطبنا فمن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، هو أعطانا وهو منحنا هو أوجدنا وأعطانا كل شيء بعد ذلك يأتي فيستقرض منا، من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، الله يستقرض، يستقرض مني ومنك، من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، هو فرض هذه الفريضة من جوده وسخاءه وكرمه وإلا حتى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ليس لهم حقُّ على الله، حقهم العظيم هذا الكلام الذي قرأناه قبل قليل: **وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّانُ الْكَبِيرُ** - كل هذا الحق هو فضلٌ من الله عليهم، وهذا هو توحيدنا، كل شيءٍ عائدٌ وراجعٌ إلى الله سبحانه وتعالى - **فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجِبَتْ لَهُمْ عَلَيْكَ** - أنت أوجبت هذا الحق من فضلك ومن جودك - **أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي** - هذه هي الغاية من الزيارة الجامعة الكبيرة - **أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِحَقِّهِمْ.**

أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ - هذا هو النصّ المعرفي، هنا تتبين حقيقة هذا النصّ، هذا النصّ نصٌّ معرفي ونصٌّ تعريفي وتعليمي، نصٌّ هداية وإنارة وإشراق لبيان منازل مُحَمَّد وآل مُحَمَّد بحسب مداركنا لا بحسبهم هم - **فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجِبَتْ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ** - العارفين بهم منزلة أعلى من العارفين بحقهم، لأن من يدخل في دائرة معرفتهم هم يكون أعلى رتبةً من دائرة، من يدخل في دائرة معرفة حقهم، هناك معرفة لحقهم وهناك معرفة لهم، وكل ما نعرفه هو نزرٌ يسير من معرفة حقهم - **أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ** - في الدنيا والآخرة نحن نحتاجون لشفاعتهم في كلِّ آن مع كل نفس من أنفسنا - **وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** - كل شيءٍ يعود إلى هذا الاسم الشريف أرحم الراحمين، كل هذه المعاني منطوية في رحمته الواسعة - **إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** - النهاية والبداية مع الله نبتدئ بالله وننتهي إلى الله سبحانه وتعالى، إنا لله وإنا إليه راجعون - **وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** - حسبنا الله ونعم الوكيل كفايتنا هو الله سبحانه وتعالى.

نحن نقرأ في أدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تعقيبات صلاة الصبح - **حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ حَسْبِيَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَسْبِيَ مَنْ هُوَ حَسْبِي، حَسْبِيَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ مَنْ كَانَ مُدْكُنْتَ لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** - بهذا تأتي على ختام هذه الحلقة وهي الحلقة الثلاثون من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، كان بودي أن تكون الحلقات أكثر وأن تكون الأحاديث أكثر

تفصيلاً وأكثر عمقاً لكن الظروف والأسباب المُحيطة بي شخصياً، الظروف الحياتية، الإلتزامات، الملابس اليومية، والمشاكل والمشاكل هي التي دفعتني إلى أن أحصر الحديث في هذه الحلقات الثلاثين التي تجاوزت الستين ساعة، ستون ساعة وشيئاً قليلاً أكثر منها ليست بالشيء الكثير على من يريد أن يعرف أهل البيت، هذه الحلقات الثلاثون مشحونة ليس بحديثي ما قيمتي وما قيمة حديثي، مشحونة بحديث أهل البيت، ثلاثون حلقة أكثر من ستين ساعة مشحونة بحديث أهل البيت، أمنيقي لا لمصلحة شخصية أن ينتفع أبنائي وبناتي من مُحبي أهل البيت وإخواني وأخواتي من أولياء أهل البيت أن ينتفعوا منها وأن تكون باباً لهم لمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ فإن معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ لا تقتصر على هذا الحد المحدود والضيق من الحديث ولا تقتصر على معرفة شخصٍ مثلي معرفته محدودة بأهل البيت لا تساوي شيئاً، معرفتي والله معرفة محدودة وما ذكرته كان محدوداً في جميع الاتجاهات، في الاتجاه المعنوي، في الاتجاه اللفظي، ومن جهة العمق ومن جهة الحقيقة لكنه ما لا يُدرك كله لا يترك كله.

إن شاء الله ألقاكم في مناسبات أخرى في برامج أخرى وفي أحاديث أخرى عن أهل بيت العصمة، وقريباً برنامج ملفُ العصمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، أتمنى لكم التوفيق في معرفة إمام زمانكم وألتمسكم الدعاء أن أوفق لمعرفة إمام زمانني الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ألقاكم على خير، ألقاكم على محبة وولاء ومعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرايون.

مع التحيات

المُتَابَعَة

زهرايون

1433 هـ

الفهرست

- 1 شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : القسم الثالث
- 3 يا زهراء
- الحلقة الحادية والعشرون: معنى السَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ
- 5 وَالْأَدْلَاءُ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالْمُسْتَقْرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ
- الحلقة الثانية والعشرون: معنى وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ
- 27 وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ
- الحلقة الثالثة والعشرون: معنى السَّلَامُ عَلَى الْأَيْمَّةِ الدُّعَاةِ وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ
- 49 وَالسَّادَةِ الْوُلَاةِ..... وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
- الحلقة الرابعة والعشرون: معنى أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ...
- 72 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ... وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةَ الرَّاشِدُونَ...
- الحلقة الخامسة والعشرون: معنى أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ...
- 94 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ... وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةَ الرَّاشِدُونَ...
- 119 الحلقة السادسة والعشرون: معنى فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ
- 148 الحلقة السابعة والعشرون: معنى مَنْ آتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ
- 171 الحلقة الثامنة والعشرون: معنى بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي
- 199 الحلقة التاسعة والعشرون: معنى بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي
- 230 الحلقة الثلاثون والأخيرة: معنى فَمَا أَحَلَى أَسْمَائِكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ
- 258 الختام
- 259 الفهرست

من أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح

الزيارة الجامعة الكبيرة

عبد الحليم الغزي

منشورات موقع زهرايئون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضه قناة المودة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءً من تاريخ: 2010 / 06 / 10

القسم الثاني: من الحلقة الحادية عشر الى الحلقة العشرين

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ أَلِ اللَّهِ

وَاللَّعْنُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ شِيَعَتِهِمْ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ لِقَاءِ اللَّهِ

الحلقة الحادية عشر

معنى وقادة الأمم وأولياء النعم

السَّلَامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الحادية بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، لازلت أقرأ الزيارة من كتاب مفاتيح الجنان لشيخنا المُحَدَّث القُمي رضوان الله تعالى عليه، مرَّ علينا في الحلقات الماضية قَوْلُهُ صلوات الله وسلامه عليه، أعني إمامنا الهادي: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُزَّانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ**، كلامنا في الحلقة الماضية وصل إلى هنا. اليوم أتناول عنواناً جديداً من عناوين الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقَادَةَ الْأُمَمِ**، هناك عنوانٌ يأتي بعده: **وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ**، وهنا يوجد تعانقٌ وتوافقٌ واتساقٌ وارتباطٌ بين هذين العنوانين سيوضح ذلك من خلال ما أورده من نصوص وما أبينه من مطالب، في هذه الحلقة نقفُ في أجواء قولِ الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ**.

قادة الأمم القادة هي جمعٌ لقائد، والقائد هو الذي يقودُ المُقَاد، وعملية القيادة هي عملية جذب وعملية جر وعملية سحب، القائد حينما يقودُ شيئاً إن كان إنساناً أو إن كان دابةً من الدواب فإنما يجره خلفه، إذا كان المَقود إنساناً فإن الإنسان قطعاً لا يُرَبَطُ بجبل وإنما الرباط يكون رباطاً معنوياً، يكونُ رباطاً عقائدياً ربما، رباطاً رحيماً ربما، رباطاً قانونياً سلطوياً، هناك نوعٌ من الرباط بين القائد وبين المُقَاد إذا كان المُقَاد إنساناً، أما إذا كان المُقَاد حيواناً فالمتعارفُ والمُعْتَادُ أن يُرَبَطَ بجبل، أن يُرَبَطَ بزمام، والقائدُ يقودُ الناقة إذا قادها من زمامها، بالنتيجة القائد هو الذي يصدرُ منه فعلُ الجذب، فعلُ السحب، فعلُ الجر، والمَقودُ هو الذي يتبع القائد، فالقيادة تطلقُ على العلاقة فيما بين القائد والمُقَاد، وقد نطلقُ أيضاً القيادة على نفس القائد، قد تطلقُ على المَلَكَةِ والقدرة التي يمتلكها القائد لقيادة غيره - **وَقَادَةَ الْأُمَمِ** - هذا معنى القادة ومعنى القيادة بشكلٍ مجمل كما وقع في كلام العرب.

الأمم جمعٌ لأُمَّة والأُمَّة بنحوٍ عام هي المجموعة، مجموعة من البشر أو مجموعة من غير البشر، فالقرآن أستعمل هذا العنوان حتى في الحيوانات، جاء في الكتاب الكريم في سورة الأنعام في الآية الثامنة والثلاثين ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مِثْلَكُمْ﴾ الدابة تُطلقُ على كل ما يدبُّ على

الأرض، من الحشرات، من الديدان، من الهوام، من الطيور أيضاً، من الحيوانات وحتى من البشر، كل ما يدب على الأرض، لكن الكلام هنا جاء استعمال الدابة في الحيوانات لأن الآية تقول:

﴿إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّتُكُمْ﴾ يعني هناك تشبيه بين أُمَّ الحيوانات وأُمَّ الطيور وبين أُمَّ الإنسان، إذاً المُراد من

الدابة هنا الحيوانات وإن كان يمكن إطلاقها على الإنسان لأنه يدب على الأرض ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ

وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّتُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ إذاً هذه الحيوانات

وهذه الطيور هي أُمَّمٌ وبعد ذلك تُحشر الآية صريحة ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ

أُمَّتُكُمْ﴾ الحديث هنا عن الطائر الذي يطير بجناحيه، لماذا هذا التشخيص؟ لأنه توجد هناك أنواع من

الطيور أشكالها أشكال الطيور وهي محسوبة في عداد الطيور إلا أنها لا تطير، النعامة مثلاً، وغير ذلك من

الدواجن التي تُربي في البيوت ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ إذاً تلكم الطيور داخله

تحت عنوان الدابة ﴿إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّتُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ كل شيء إنما هو تحت دائرة التنظيم

تحت دائرة التقنين ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فإذاً هناك أُمَّمٌ وهناك حشر وهذا تشابه واضح وأكد بين

الحيوانات وبين الطيور وبين الإنسان، ما المراد من الأُمَّة؟!!

الأُمَّة مجموعة قد تكون من الناس قد تكون من الطيور قد تكون من الحيوانات كما هو في التعبير القرآني،

هذه الأُمَّة تتشابه فيما بينها، إذا كانت في الحيوانات تتشابه في غرائزها في طباعها في منافعها في مضارها

إلى غير ذلك، وإذا كانت في الإنسان هناك توافق في الأهداف في الآمال في الطموحات في المصالح وفي

المنافع وفي المضار أيضاً وفي التفكير وفي أنحاء مختلفة من أنحاء الحياة، ولكل أُمَّة هناك من يقودها وهذه

قضية طبيعية، حينما تقول أُمَّة الأُمَّة بحاجة إلى قيادة وهذه قضية ضرورية، قطعاً هناك القيادات العرفية،

القيادات الاجتماعية، القيادات الدينية، القيادات السياسية هذه موجودة عبر التاريخ، لكن الزيارة هنا

تتحدث عن نحوٍ من أنحاء القيادة ليس هي هذه القيادة السطحية، تتحدث عن نحوٍ من أنحاء القيادة

العميقة جداً ولذلك قلت هناك ترابط، هناك توافق، هناك توافق بين هذين العنوانين: وَقَادَةَ الْأُمَّمِ، وَأَوْلِيَاءَ

النَّعَمِ، قيادتهم منشأها وجذرها من كونهم يملكون ولاية النعم - وَقَادَةَ الْأُمَّمِ، وَأَوْلِيَاءَ النَّعَمِ - وإنما هم

قادة لكل هذه الأمم التي جاءت في الكتاب الكريم.

النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والعالمون هذا العنوان ليس محصوراً في الأرض

فقط وإنما في كل ما خلق الله، والذين في الأرض ليس الكلام محصوراً في الإنس فقط، هناك الجن وهناك الحيوانات هذه الأمم ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ لماذا يحشرون؟! هناك حساب، كيف يكون الحساب مع هذه الطيور مع هذه الحيوانات، كيف يكون الحساب؟! القرآن صريح، نحن حينما نذهب مثلاً إلى سورة التكويد ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ متى تُكوّر الشمس؟ هي من علامات يوم القيامة ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ هذه أوصاف يوم القيامة ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ هناك إذا حشر، الوحوش هم غير الآدميين، يعني من الحيوانات، من الطيور، هذه الأمم التي جاء ذكرها في سورة الأنعام ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ هذا الحشر الذي جاء مذكوراً في سورة الأنعام هو نفسه الذي جاء مذكوراً في سورة التكويد ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ لماذا تُحشر؟ الأمم تُحشر، هناك قانون، وهناك قائد لهذا القانون، سورة فاطر الآية الرابعة والعشرون، ماذا تقول؟

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ الخطاب لمن؟! للنبي الأعظم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ - يعني ولا توجد أمة - إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وبحسب التعبير القرآني ﴿ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَثَلُكُمْ ﴾ ويحشرون، يعني هذه الحيوانات، هذه الطيور أممٌ أمثالنا ثم إلى ربهم يحشرون، الحشرٌ للحساب، الحساب لا يكون إلا بوجود قانون وبوجود مشرف على هذا القانون، بوجود قائد، لابد من وجود قيادة، الآية هنا تقول: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ يعني إلا كان فيها نذير، وقطعاً كلُّ أمةٍ يكون النذير بحسبها، لو أردنا أن نستمر في قراءة آيات سورة فاطر نجد أن السورة تُقرّنا من هذه الأجواء، القرآن فيه أساليب، القرآن فيه أساليب الإيحاء، فيه أساليب التلقين، فيه أساليب الدفع للتفكير، فيه أساليب الإثارة، هناك أنحاء مختلفة من الأساليب في الكتاب الكريم، الآية السابعة والعشرون وما بعدها من نفس السورة من سورة فاطر هذه الآية ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ الآية الرابعة والعشرون، الآية السابعة والعشرون، الثامنة والعشرون ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ

وَحُمْرٌ مُخْتَلَفٌ لَوَانُهَا وَغَرَائِبٌ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالِدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلَفٌ لَوَانُهُ - الحديث في هذا الجو - كَذَلِكَ

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿﴾ هناك جو تريد هذه الآيات أن تثيره، جو تريد هذه الآيات أن تشير إليه وهو أن هذه الأمم من الحيوانات، هذه الأمم في نظامها تتناغم مع الأمم البشرية، ولذلك في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه النظام الأممي لهذه الحيوانات سيتغير، وما جاء في الروايات من إشارات إلى أن الذئب والشاة معاً يأكلان في الحقل في المراعي وغير ذلك، وأن الصبيان تلعب بالأفاعي والحيات ولا يضرها شيء، كل ذلك يشير إلى أن المنظومة الأُممية لهذه الحيوانات هي أيضاً ستتغير، لأن هذه الأمم أيضاً محكومة بقيادة، وبرنامج القيادة سيتغير عند ظهور الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

وأنا لا أريد أن أدخل في كل هذه التفاصيل وفي كل هذه الجزئيات فقط أشير إشارات، إذاً حين نخطب الأئمة - وَقَادَةَ الْأُمَمِ - هم قادة لكل الأمم، إذا كانوا قادةً لهذه الأمم من الحيوانات ومن الطيور فهم من باب الأولى هم قادة الأمم من البشر ومن الجن ومن الملائكة ومن كل ما خلق الله ﴿﴾ وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿﴾ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿﴾ وهذا هو معنى ﴿﴾ الْإِمَامُ أُمَّتُكُمْ ﴿﴾ هي أمم تُحْشَرُ لها نُذْرٌ إِذَا هِيَ فِي دَائِرَةِ الْقِيَادَةِ وَسَتَتَّغِيرُ أَنْظَمَتَهَا حِينَ الظهور الشريف، حينما تعيش السباع في الحقول وترعى في الحقول، وقد حدثتنا الروايات عن تفاصيل أكثر عن طبائع الحيوانات في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه.

الآن تحققت لنا صورة مُجْمَلَةٌ لمعنى: قَادَةَ الْأُمَمِ، هم قادة الأمم، هذا المعنى المعنى المجمل، هم قادة لكل هذه الأمم، وهذه الأمم من دون قيادتهم ينفرط عقدها، الحديث هنا ليس عن القيادة السياسية، القيادة السياسية هي مظهر من مظاهر قيادتهم للأمم لكنها في أسفل السلم، قيادتهم للأمم أولاً هم قادة في عالم الهداية والهداية على مراتب، هناك الهداية التكوينية فهم قادة للأمم في هداية الأمم التكوينية من الجانب التكويني، وهم قادة للأمم في الهداية العلمية والمعرفية هم مصدر العلم والمعرفة، وهم قادة للأمم في الهداية الأخلاقية في الأخلاق والآداب والخصال، وهم قادة للأمم في العبادات والروحانيات، وهم قادة للأمم في الدين وما يتفرع على الدين من أحكام وقوانين وحدود، وهم قادة للأمم في نَظْمِ أمور الناس في جانبها السياسي الاجتماعي الاقتصادي كما قلتُ قبل قليل قيادتهم السياسية هي في أسفل سلم قيادتهم للأمم، هم قادة إلهيون، هم قادة الفيض الإلهي وقادة التكوين الإلهي، ولهذا القيادة مظاهر تتجلى، ولذلك هذا التأكيد وهذا الحث على قيادة الأئمة صلوات الله عليهم وعلى الارتباط بهذه القيادة هو لأجل التوافق فيما وضعه الله سبحانه وتعالى في قوانين فطرة الوجود، في قوانين فطرة الوجود هناك قادة يقودون هذا الوجود، نحن نقرأ في دعاء شهر رجب المنقول عن إمامنا الحجة صلوات الله وسلامه عليه: أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ وَمُنَادَةٌ

وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد - هذه الأوصاف هي أوصافُ القادة التكوينيين، أوصاف قادة الفيض الإلهي - أعضاء وأشهاد ومناة وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - هذا الظهور ليس ظهوراً لفظياً، هذا ظهور الفيض، الوجود هو عنوان لا إله إلا الله، الوجود كله يشهد أن لا إله إلا الله، لا إله إلا الله هو عنوانٌ لفيض الوجود الإلهي، هم قادةٌ لذلك المعنى الأعمق كما يقول الدعاء الشريف: أعضاء وأشهاد ومناة وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - من هنا جاء الحث والتأكيد على الالتصاق بهذه القيادة في كل مظاهرها، لأننا إذا التصقنا بهذه القيادة في كل مظاهرها فإننا قد مشينا قد اتجهنا بنفس الاتجاه الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في فطرة هذا الوجود، في أصل هذا الوجود.

هناك رواية جميلة جاءت في تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه، هما روايتان رواية عن الحسن السبط ورواية عن الحسين السبط عن سبطي رسول الله أما حسنا صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟! من دَفَع فضل أمير المؤمنين عليه السلام على جميع من بعد النبي - من دفعه يعني من أنكره، من دفعه يعني من رفضه - من دَفَع فضل أمير المؤمنين عليه السَّلَام على جميع من بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كَذَبَ بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المُنزلة - لماذا؟ لأن هذه القيادة قيادة لكل الأمم، هم قادة الأمم، هذه القيادة جاءت مذكورة، هذه القيادة أمر الله بها جميع الأنبياء، وقد صرَّح الأنبياء للأمم إما بالجملة وإما بالتفصيل - من دَفَع فضل أمير المؤمنين عليه السَّلَام على جميع من بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كَذَبَ بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المُنزلة فإنه ما نزل شيءٌ منها - فإنه ما نزل شيءٌ من هذه الكتب من كل الكتب السماوية - فإنه ما نزل شيءٌ منها إلا وأهم ما فيه - ما نزل شيءٌ من السماء - إلا وأهم ما فيه بعد الأمر بتوحيد الله تعالى والإقرار بالنبوة - ما هو الشيء هذا الأهم؟ - الاعتراف بولاية عليٍّ والطيبين من آلِهِ عليهم السلام - هذا أهم شيءٍ ليس في القرآن فقط وإنما في كل الكتب المُنزلة.

أما ما حدَّثنا به حسيننا السبط صلوات الله عليه، ماذا يقول سيد الشهداء؟!

إن دفع الزاهد العابد - إذا كان هناك من زاهدٍ ومن عابد، الدفع هو الإنكار والرفض - إن دفع الزاهد العابد لفضل عليٍّ على الخلق كلهم بعد النبي - لأن القيادة لكل الخلق لمن؟! لعليٍّ بعد النبي، ليس في هذه الأمة، الحديث هنا عنوان أكبر أوسع - إن دفع الزاهد العابد لفضل عليٍّ على الخلق كلهم بعد النبي صلى الله عليه وآله ليصيرُ - يعني هذا الدفع - ليصيرُ كشعلة نارٍ في يوم ربحٍ عاصفٍ وتصيرُ سائر أعمال الدافع لفضل عليٍّ - ذلك الزاهد العابد تصيرُ - كالحلفاء - الحلفاء واضح هذا العشب

الذي ينمو في الصحارى، ينمو في الحقول وحينما يصيبه اليبس فإذا ما وقعت فيه شرارةٌ من نار فإنه يستعر سعيراً شديداً وسريعاً، بسرعة يحترق - وتصيرُ سائر أعمال الدافع لفضل عليٍّ كالحلفاء وإن امتلأت منه الصحاري - حتى لو امتلأت الصحاري من الحلفاء - واشتعلت فيها تلك النار وتغشاها تلك الريح حتى تأتي عليها كلها فلا تبقى لها باقية - الروايتان جميلتان جداً والمعاني فيهما واضحة ولا أريد أن أطيل الوقوف عند النصوص لكثرة المطالب التي أريد الإشارة إليها، فهذا التأكيد في كل الكتب المنزلة هو بيانٌ بوجهٍ من الوجوه لمعنى قيادتهم للأمم، الأئمة هم قادة الأمم، وهذه القيادة لها ظهورات، هذه القيادة لها جذور في باطن العمق التكويني البشري.

مثلاً في نفس تفسير الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه، هناك حديثٌ جميل مروى عن سيدة النساء، عن فاطمة صلوات الله عليها: وقالت فاطمة عليها السلام لبعض النساء: أرضي أبوي دينك مُحَمَّدًا وعلياً بسخط أبوي نسبك ولا تُرضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك - المعنى واضح - أرضي أبوي دينك مُحَمَّدًا وعلياً بسخط أبوي نسبك - طبعاً هذا في أي حال؟ في حال إذا كان آباء النسب لا يريدون من أبنائهم أن يكونوا مع آباء الدين مع مُحَمَّد وعلِيٍّ، وإلا لو كانوا من شيعتهم ومن أوليائهم فلا يكون هذا المعنى - أرضي أبوي دينك مُحَمَّدًا وعلياً بسخط أبوي نسبك ولا تُرضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما مُحَمَّد وعلِيٌّ بثواب جزئٍ من ألف جزئٍ من ساعةٍ من طاعاتهما - من طاعاتهما يعني من طاعات مُحَمَّد وعلِيٍّ، فكيف لا يرضيان - فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما مُحَمَّد وعلِيٌّ بثواب جزئٍ من ألف جزئٍ من ساعةٍ من طاعاتهما وإن أبوي دينك مُحَمَّدًا وعلياً إن سخطا لم يقدر أبوا نسبك أن يرضياهما لأن ثواب طاعات أهل الدنيا كلهم لا يفي بسخطهما - الرواية واضحة ولا تحتاج إلى كثير شرح أو إلى كثير توضيح، منشأ القيادة مظهرُ القيادة أحد مناشئه هو هذه الأبوة، كانوا قادةً للأمم لأن لهم الأبوة، الأبوة لكل الأمم، وما عليٌّ أبو تراب إلا فيه إشارة إلا فيه تلويح، تلويح من بعيد وإشارة من بعيد إلى مثل هذه المضامين، والتراب هنا ليس فيه الإشارة إلى تراب الأرض فقط، التراب هنا فيه الإشارة إلى المادة التي نشأت منها الأشياء، هذه المعاني لا تُفهم هكذا من اللغة فقط وإنما لابد من الجمع بين هذه النصوص وبين هذه الروايات الكثيرة جداً وبين المضامين والإشارات والتلويحات التي جاءت في الكتاب الكريم وبين كلمات أئمتنا وبين زياراتهم الشريفة، من كل ذلك تُستنتج هذه المعاني وإلا من الخطأ الواضح ومن الاشتباه الفاضح أن نستنتج المعنى من كلمة واحدة فقط، لأننا إذا اعتمدنا على كلمة واحدة فقط فإننا سنقع في دائرة الخطأ، لابد من الإحاطة ومن الجمع بكل ما جاء عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كي ترسم الصورة كاملة وكي يتضح

المعنى جلياً واضحاً بيّناً، هذه الأبوة هي جذرٌ ومظهرٌ في تكوين قيادتهم للأمم، ولذلك ما جاء في رواياتنا التي تتحدث عن نبوات الأنبياء السابقين وعن أساس الديانات، وهذه نماذج:

الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر: ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء - ومرت علينا قبل قليل الرواية التي تتحدث عن أن أهم شيء جاء مكتوباً في التوراة والإنجيل والزبور وفي سائر كتب الله المنزلة ولاية عليّ، هذه الرواية عن إمامنا الكاظم - ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله نبياً إلا بنوة مُحَمَّدٍ وولاية وصيه عليّ عليه السلام - الروايات هذه من كتاب بصائر الدرجات لشيخنا الصفار من أصحاب إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه.

رواية ثانية: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة - في عالم الأظلة - حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم.

الرواية الثالثة: عن مُحَمَّد بن مُسلم قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية عليّ وأخذ عهد النبيين بولاية عليّ عليه.

ورواية أخرى: عن إمامنا الصادق: ما نبيء نبي قط إلا بمعرفة حقنا وفضلنا عن سوانا.

ورواية أخرى: عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث الله نبياً قط إلا بها.

ورواية أخرى: عن أبي بصير عن إمامنا الصادق عليه السلام: ما من نبي نبيء ولا من رسول أرسل إلا بولايتنا وفضلنا على من سوانا.

ورواية أخرى: عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم: أني ربكم ومُحَمَّد رسولي وعليّ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعد ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني - إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم: ما هو الميثاق؟! - أني ربكم ومُحَمَّد رسولي وعليّ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعد ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني.

رواية أخرى: عن جابر الجعفي عن الباقر صلوات الله عليه قال: سألته عن تعبير الرؤيا عن دانيال - عن النبي دانيال أهو صحيح؟! - قال: نعم، كان يوحى إليه وكان نبياً وكان مما علّمه الله تأويل الأحاديث وكان صديقاً حكيماً وكان والله يدين بمحبتنا أهل البيت، قال جابر: بمحبتكم أهل البيت؟! قال: إي والله وما من نبي ولا ملك إلا وكان يدين بمحبتنا - هم قادة الأمم، للملائكة، للأنبياء، للجان ولكل الأمم.

وهناك رواية عن إمامنا العسكري: إن ولاية مُحَمَّد هي الغرض الأقصى والمراد الأفضل ما خلق الله أحداً من خلقه - من خلقه مطلقاً - ما خلق الله أحداً من خلقه ولا بعث أحداً من رسله إلا ليدعوهم إلى ولاية مُحَمَّد وعليّ وخلفائه وبأخذ به عليهم العهد ليقيموا عليه ويعمل به سائر عوام الأمم.

رواية أخرى: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَمَّا عُرِجَ بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوتٍ أحمر فقال لي جبرئيل: يا مُحَمَّد هذا هو البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل خلق السماوات والأرضيين بخمسين ألف عام، قُمْ يا مُحَمَّد فصلي إليه، قال النبي صلى الله عليه وآله: وجمع الله إليّ النبيين عند البيت المعمور فصفهم جبرئيل عليه السلام ورائي صفاً فصليتُ بهم، فلَمَّا سلمتُ أتاني آتٍ من عند ربي فقال لي: يا مُحَمَّد ربك يقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ماذا أرسلتهم من قبلك؟ فقلتُ: معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي من قبلي؟ فقالت الرسل: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب وهو قوله تعالى:

﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ هذه آية من آيات الكتاب الكريم، وهي الآية الخامسة والأربعون من سورة الزخرف. ومثل هذه الروايات كثيرٌ وكثير في كتب الحديث، في الكافي الشريف، في البصائر، في البحار، في كل مصادرنا الحديثية، هناك الكثير، الكثير من هذه النصوص التي تتحدث عن معنى وعن مضمون قيادتهم للأمم السالفة للأنبياء للملائكة ولكل ما خلق الله، وهذا وجهٌ آخر ومظهرٌ آخر من مظاهر قيادتهم للأمم ولكل ما خلق الله سبحانه وتعالى.

هناك رواية في الكافي الشريف ينقلها أيضاً السيد هاشم البحراني في تفسيره، الرواية في بيان معنى الآية الخامسة والخمسون من سورة المائدة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الرواية عن أحمد بن عيسى يرويه الشيخ الكليني بسنده: عن أحمد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ - ماذا يقول إمامنا الصادق؟ - قال: إنما يعني أولى بكم -

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ - منهم الذي آمنوا؟ - ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَاكِعُونَ﴾ - الآية الخامسة والخمسون من سورة المائدة، ما المراد من الولاية هنا؟ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ إمامنا

الصادق يقول - إنما يعني أولى بكم، أي أحق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم - إنما وليكم الله:

المراد من الولاية هنا هو هذا المعنى - إنما يعني أولى بكم، أي أحق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم

الله ورسوله والذين آمنوا، قال: يعني علياً وأولاده الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة - هم قادة

الأمم، ما المراد من القيادة؟ هذا مظهرٌ آخر من مظاهر القيادة، فهم أحقُّ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم إلى يوم القيامة، هذا مظهرٌ آخر من مظاهر القيادة.

مرت علينا روايات تتحدث عن معنى أبوتهم، ومرت علينا روايات تتحدث عن معنى العهود والمواثيق التي أخذت على كل الأنبياء وعلى أولي العزم منهم وعلى كل الرسل في كل الديانات في كل الأمم الماضية وعلى الملائكة وعلى كل الكائنات، مرت علينا الروايات، وهذه الرواية تفصلُ جانباً آخر، وجهاً آخر من قيادتهم للأمم، فهم أحق بنا وبأمورنا وأنفسنا وأموالنا إلى يوم القيامة، أنا قلتُ في بداية الأمر بأنهم هم قادة في الفيض كما مر علينا في دعاء شهر رجب المنقول عن إمامنا الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليهما، المضامين في كلمات أهل البيت كثيرة جداً التي تأتي في هذا السياق، حين نسلم عليهم: **وَقَادَةَ الْأُمَمِ** - هذا جزءٌ يسيرٌ من معنى قيادتهم للأمم، هناك جهات أخرى تحدّثت عنها روايات أهل البيت، كلمات أهل البيت، على سبيل المثال وليس على سبيل الاستقصاء، هم لهم القيادة المطلقة في كل طبقات الوجود، لذلك هناك الكثير من النصوص لا يمكن أن تُفهم إلا في ضوء هذا العمق من التفكير.

هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي، وهذا هو حديثٌ معرفتهم بالنورانية، لربما تُفرد وقتاً إذا سنح المجال إن شاء الله في أيام شهر رمضان أتحدّث فيه عن هذا الحديث لا لشرحه فإن شرح هذا الحديث يحتاج إلى وقتٍ طويل، وإنما نقرأ الحديث ونسبُرُ غوره بشكلٍ مُجمل، إذا ما سنح الوقت إن شاء الله في أيام شهر رمضان فإني أعدكم بذلك فإن لم يسنح الوقت إن شاء الله أتحدّث عنه بعد شهر رمضان، حديثُ المعرفة بالنورانية حديثٌ ينقله لنا سلمان وأبو ذر عن سيد الأوصياء، أقتطف هذه المقاطع التي تحدّثنا عن معنى قيادتهم للأمم، ماذا يقول سيد الأوصياء؟

يا سلمانُ ويا جُنْدَب - جندب هو اسمُ أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه - يا سلمانُ ويا جُنْدَب قالوا: لبيك صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: أنا أميرُ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي - ممن مضى على وجه الإطلاق، وهذا الوصف يشمل الأنبياء يشمل الأوصياء - أنا أميرُ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ - هذا يشمل الجميع من الأناس، من الملائكة، من الجنان، ومن كل ما خلق الله - أنا أميرُ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي - أليس هذا من أجلى معاني قيادة الأمم؟ هذا المعنى واضح - أنا أميرُ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي وأيدتُ بروح العظمة - وهذا هو سرُّ القيادة لكل الناس - وأيدتُ بروح العظمة وإنمّا أنا عبدٌ من عبيد الله، لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر - ولا يوجد في لغة العرب مقدار أصغر من هذا المقدار - وإنمّا أنا عبدٌ من

عبيد الله، لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر - لماذا يا سيد الأوصياء؟! هو يقول - لأننا آيات الله ودلائله وحجج الله وخلفائه وأمنائه وأئمته - وأنتم كذلك - لأننا آيات الله ودلائله وحجج الله وخلفائه وأمنائه وأئمته - وبعد - ووجه الله وعين الله ولسان الله، بنا يعذب الله عباده، وبنا يثيب، ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا وتلك هي القيادة الكونية ولو قال قائلٌ لِمَا وكيف وفيما لكفر وأشرك لأنه لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون - أستمر في كلام سيد الأوصياء فيني عالمٌ أنه يُدخِل السرور والبهجة على قلوبكم أنتم، أنتم يا أحباب عليّ - يا سلمانُ ويا جُندب قالاً: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: من آمن بما قُلتُ وصدق بما بيّنتُ وفسّرتُ وشرحتُ وأوضحْتُ ونوّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمنٌ ممتحنٌ امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام، وهو عارفٌ مستبصرٌ قد انتهى وبلغ وكَمُل، ومن شكَّ وعندَّ وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مُقَصَّرٌ وناصب، يا سلمانُ ويا جندب قالاً: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: أنا أحيي وأميت ياذن ربي، وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم ياذن ربي، وأنا عالمٌ بضمائر قلوبكم، والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأننا كلنا واحد أولنا مُحَمَّدٌ وآخرنا مُحَمَّدٌ وأوسطنا مُحَمَّدٌ وكلنا مُحَمَّدٌ فلا تُفَرِّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويلُ كلُّ الويلُ لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزَّ وجل ومشيئته فينا، يا سلمانُ ويا جندب قالاً: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجلُّ وأعظمُ وأعلى وأكبرُ من هذا كله، قلنا: يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظمُ وأجلُّ من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ علمنا للاسم الأعظم - للاسم الأعظم بكله حتى المستأثر، وإلا فحروفٌ من الاسم الأعظم عند الأنبياء، العلم الأعظم هو ذلك الحرفُ المُستأثر ومر الكلام بخصوصه عند بيان معنى: وخزان العلم - قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ علمنا للاسم الأعظم الذي لو شأنا خرقنا السماوات والأرض والجنة والنار ونعرجُ به إلى السماء ونهبطُ به الأرض ونُغرِّبُ ونُشرِّقُ - وتلك هي القيادة المُطلقة في كل طبقات الوجود، إذا كان مُحَمَّدٌ قد بُعث لكل العالمين كيف يتواصل مع كل العالمين؟! كيف يتواصل إذا كانت الرسالة لكل العالمين، كيف يتواصل مُحَمَّدٌ مع كل العالمين؟! إذاً لابد لمُحَمَّدٍ من وسيلةٍ ومن طريقٍ يتواصل به مع كل العوالم، وتكون له الظهورات في كل العوالم - قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ علمنا للاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقنا

السموات والأرض والجنة والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونُعْرَبُ ونُشْرَقُ وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزَّ وجلَّ ويطيعنا كل شيءٍ حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجرُ والدواب والبحار والجنة والنار، أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي عَلَّمنا وخصنا به، ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عباد الله المُكْرَمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون - الحديث طويل أنا اقتطعت مقاطع من هذا الحديث الشريف المروي والمنقول عن سيد الأوصياء برواية سلمان وأبي ذر رضوان الله تعالى عليهما، وهذه الكلمات كلها بحاجةٍ إلى شرح، لكنني أكتفي بما يظهر منها بالجملة، كل هذه المضامين تتحدث عن أي شيءٍ؟ تتحدث عن قيادتهم لهذا الوجود، عن قيادتهم للأُمم، الأُمم بكل طبقاتها، ليس في طبقةٍ واحدة أو في مظهرٍ واحد، هذه النصوص وهذه الكلمات كُلُّها تكشف لنا شيئاً من هذا المعنى ومن هذا المضمون الذي ذكره إمامنا أبو الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه في الزيارة الجامعة الكبيرة حين يقول: وَقَادَةَ الْأُمَمِ.

العنوان الذي بعد هذا العنوان: وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ - وهما يرتبطان رباطاً وثيقاً فيما بينهما، فقيادتهم مردها إلى ولايتهم على كل النعم - وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ - هم لهم الولاية علينا ولهم الولاية على غيرنا ولهم الولاية على كل ما خلق الله سبحانه وتعالى - وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ - الأولياء جمعٌ لولي والولي تحمل معنيين، تحمل معنى القريب وتحمل معنى المُتَسَلِّط، وهم يحملون هذين المعنيين، هم القريبون إلى الله وهم القريبون من كل شيء، فما من شيءٍ إلا وقد خُلِقَ من نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، من نور الحقيقة المُحَمَّدية، تلکم الحقيقة التي هي أقرب إلى كل شيء من نفس الشيء إلى نفسه، هل هناك شيء أقرب إلى أي شيءٍ من نفس الشيء إلى نفسه؟ الحقيقة المُحَمَّدية لأن نورها نافذ في كل شيء، الله سبحانه وتعالى أشتق جميع الأشياء من نور الحقيقة المُحَمَّدية، الولي هو القريب ولقربه هذا تكون له السلطة، إنما هو تَسَلَّطٌ وأحاط بالأشياء من داخلها ومن خارجها، لأي شيءٍ؟ لأنه قريبٌ إليها، أولياء جمع ولي والولي قريبٌ إلى الله، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك، وقريبٌ إلى المخلوقات فإن المخلوقات اشتقت من أنوارهم، فهم قريبون منها وأقرب إليها من أنفسها إلى أنفسها، وتلكم معانٍ عميقة تحتاج إلى تدبير، تحتاج إلى تفكير، نحن حين نتبصر في معنى الأولياء وفي معنى النَّعْمِ، والنَّعْمِ جمعٌ لنعمة، والنعمة هي ما تكون سبباً لكمال الإنسان لرقبه، النعم تأتي لسد النقص يكون المخلوق عنده نقص وهذا الشيء يكمل هذا النقص، ما يكمل هذا النقص هو النعمة، أو ما يكون سبباً لزيادة كماله، نورٌ على نور، هو هذا نعمةٌ أخرى، النَّعْمِ إما أن تكون لإكمال النقص وإما أن تكون كمالاً فوق كمال، وكل ما في هذا الوجود من فيضه سبحانه وتعالى إما أن

يكون إكمالاً لنقص وإما أن يكون كمالاً فوق كمال، لذلك نحن نقرأ في سورة إبراهيم عليه السلام الآية الرابعة والثلاثون ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ آتاكم من كل ما سألتموه، هذا السؤال هنا ليس سؤالاً لفظياً، قد يدخل السؤال اللفظي ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى لا يعطينا كل ما نسأله بالسؤال اللفظي وإنما هذا هو السؤال التكويني ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من جهة التكوين من جهة السؤال التكويني أن الله سبحانه وتعالى آتانا وآتى الكائنات كل ما يحتاجه تكوينها، طبعاً هذا في أفق من أفق الآية، وإلا إذا كانت الآية في خطابها موجّهة لمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ فذلك يعني كما لهم الذي وهبه الله إليهم ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ كل شيء سألهُ آل مُحَمَّدٍ إن كان بلسان التكوين، إن كان بلسان التشريع، إن كان بلسان العبادة ولفظ القول، وإن كان بلسان الفيض، وإن كان بلسان الفناء، وإن كان بلسان القرب وقرب القرب فإن الله سبحانه وتعالى قد أعطاهم إياه ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ نعمه لا تُعد ولا تحصى، وهي إما أن تكون إكمالاً لنقص أو كمالاً فوق كمال، هذا بالنسبة لعالم المخلوقات في عالم الخلق الثاني ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ وهم أولياء النعم، كل هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى هم أوليائها، يعني هم أصحابها وهم الذين لهم السُلطة والحكومة عليها.

في سورة لقمان في الآية العشرين من سورة لقمان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ هذه النعم الظاهرة والباطنة هل هي متجلية لنا بالوجه الحقيقي؟ هناك شيء من التجلي لنعم الله، يعني هذه الآية لَمَّا تقول ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نحن هل رأينا حقيقيةً، هل رأينا التسخير في عالم السماوات، نحن ماذا رأينا من السماوات؟ هل رأينا التسخير في عالم الأرض؟ قطعاً الكلام هنا في حقيقته مُوجّه لأولئك الذين يملكون الرؤية الإحاطية، إذا كان يوجه إلينا فهو عَرَضاً يوجه إلينا، لأن هذه الرؤية إذا كان الكلام موجّهاً إلينا فهي الرؤية القلبية أو الرؤية العقلية، لكن الرؤية الحقيقية المذكورة في الآية هي الرؤية الإحاطية، يعني هناك من خلق الله من لهم الإحاطة، الرؤية الإحاطية بحيث يطلعون على كل هذه التفاصيل، فهم محيطون بكل التسخير الموجود في السماوات وفي الأرض أما نحن نملك رؤية عقلية رؤية قلبية نقول بأن الله سخر السماء والأرض مجرد صورة

ذهنية ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ الآية هنا تتحدث عن نِعَمَ ظاهرة وعن نِعَمَ باطنة، الآية تتحدث عن تسخير لكل ما في السماوات وما في الأرض وهذا المعنى نفسه يمكن أن نجد في سورة النحل، في الآية السادسة والتسعين ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ - وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ الحديث هنا عن أي شيء؟ عن العطاء الذي لا ينفد، عن هذه النِعَمَ الظاهرة والباطنة التي لا انقطاع لها ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾ ما عندكم يعني ما حُسِبَ لكم بحسب وعاء تَقَبَّلَ الفيض، الله سبحانه وتعالى يَهَبُ المخلوق عطاءً بحسب قابليته لقبول ذلك العطاء، ومع ذلك فهذا العطاء لا يملكه المخلوق وإنما مرده إلى الله ﴿ إِنْ أَلَّ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ .

وفي الآية التاسعة بعد المئة من سورة الكهف المباركة ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جُنَّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ جئنا ببحر آخر، وكل هذا يشير إلى العطاء المتواصل الذي لا انقطاع له، في سورة لقمان أيضاً في الآية السابعة والعشرين ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قطعاً في روايات أهل البيت هذه الآيات في وجه من وجوها إنها في فضائل علي صلوات الله وسلامه عليه، إنها في فضائله ومناقبه والآيات لها وجوه ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ في سورة ص في الآية الرابعة والخمسين آية قصيرة تجمع كل هذه المعاني ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ هذه الآية جاءت في سياق آيات تتحدث عن الجنان ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة، إلى أن تقول في الآية الرابعة والخمسين ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ هذا الرزق الذي لا نفاذ له، وهذه النعم التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، هذه مظاهر، هناك نِعَمَ ظاهرة وباطنة، هناك نِعَمَ لا تُعَدُّ ولا تُحصى، هناك رزق لا نفاذ له، ما عند الله باقٍ وما عندكم ينفد، كل هذا حديث عن مراتب وعن مظاهر لتلك النِعَمَ التي أشار إليها إمامنا الهادي

صلوات الله وسلامه عليه، حين نخاطب أئمتنا بما جاء في زيارته الشريفة زيارة إمامنا الهادي الجامعة الكبيرة - وَقَادَةَ الْأُمَّمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ - الأولياء هم القريبون المُتَسَلِّطُونَ، هم أصحاب الولاية، والنعم كل هذا الفيض الذي تمت الإشارة إليه في آيات الكتاب الكريم التي عشنا في أجواءها شيئاً من دقائق نتبصر في معانيها وفي مضامينها.

أما لو رجعنا إلى كلمات المعصومين لوجدنا الكثير من ذلك في كلماتهم القدسية، في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة سيأتينا نقرأ فيها ونحن نخاطبهم صلوات الله وسلامه عليهم: بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ. وهذه الباء هذه باء السببية باء الواسطة، هم السبب في ذلك، الله سبحانه وتعالى هو مُسَبِّبُ الأسباب من غير سبب، لكن هذه الأسباب هي تتجلى بتمام حقيقة معناها فيهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذه الزيارة الجامعة هنا تتحدث على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، لا يعني أن هذه الأمور فقط المذكورة في الزيارة هي التي تأتي بسببهم وإنما هذه أمثلة - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ - هذا عنوان عام - وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ - ما من شيءٍ إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه، يعني ما من شيءٍ إلا والفتح فيه من جهتهم والختم فيه من جهتهم - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ - فتح في كل شيء، وبكم ختم الله في كل شيء، ما من شيءٍ إلا وفاتحته منهم وخاتمه إليهم - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَبِكُمْ يَكْشِفُ الضُّرَّ - هذه أمثلة ونماذج كما أن الزيارات والروايات والأدعية هي الأخرى أيضاً تتحدث عن نماذج أخرى، حينما نتدبر ونتبصر بجميع هذه الأمثلة نستنتج صورة، تتجلى لنا صورة بينة وواضحة.

مثلاً في الزيارة الرجبية التي يُسْتَحَبُّ أَنْ يُزَارَ بِهَا الْأئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، ماذا نخاطب الأئمة صلوات الله عليهم - أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض فبكم يُجبر المهيض - المهيض يعني المكسور - فبكم يُجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض - هذا من الزيارة الرجبية التي يستحب أن يزار بها الأئمة في شهر رجب، وهذه نماذج، هذه صور، لقطات، مثل ما مرّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة لقطات، هذه لقطات أخرى في الزيارة الرجبية - أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض - فأنتم أولياء النعم الأولياء الذين فوضت إليهم الأمور - فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض - أنتم الأولياء، الولي هو الذي تُفَوِّضُ إليه الأمور ويكون بيده التعويض - أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض فبكم يُجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض - تغيض يعني تنقص، وهذه مجرد مصاديق وأمثلة، الكلام هنا ليس من باب

الاستقصاء والإحاطة، إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، هذه المعاني لا تحصى ولا تُحصر ولا تُعد بالألفاظ، مثلاً في زيارة سيد الشهداء، الزيارة المطلقة الأولى من زيارات سيد الشهداء بحسب ترتيب مفاتيح الجنان، وهذه الزيارة ينقلها المُحدّث القمي عن كتاب الكافي الشريف، ماذا نخاطب سيد الشهداء في هذه الزيارة؟ وبكم تُنبتُ الأرضُ أشجارها وبكم تُخرجُ الأرضُ ثمارها وبكم تُنزلُ السماءُ قطرها وريزقها وبكم يكشفُ الله الكرب وبكم ينزلُ الله الغيثُ - وهذه نماذج صور لقطات، لا تتصوروا أن هذه النصوص على سبيل الحصر، المُطلّع على بقية النصوص يعرف هذه الحقيقة التي أنا أقولها - وبكم تُنبتُ الأرضُ أشجارها وبكم تُخرجُ الأرضُ ثمارها وبكم تُنزلُ السماءُ قطرها وريزقها وبكم يكشفُ الله الكرب - في القضايا المادية والمعنوية - وبكم يُنزلُ الله الغيثُ - في عالم السماء وفي عالم الأرض، في العوالم الظاهرة وفي العوالم الباطنة، في عالم المادة وفي عالم المعنى، أليس هذه الصور نماذج من كل هذه الطبقات، وما ذلك بشيءٍ غريب. نحن على سبيل المثال نقرأ مثلاً في زيارة النُدبة وهي زيارة للإمام الحجة، زيارة النُدبة هي غير دعاء النُدبة، هذا هو البحار الجزء: 102، هذه الزيارة تُسمى بزيارة النُدبة أو تسمى بزيارة آل ياسين غير المشهورة، هذه غير مذكورة في المفاتيح موجودة في البحار، ونحن نخاطب الإمام الحجة صاحب الأمر:

ومن تقديره - يعني من تقدير الله - منائح العطاء بكم - منائح العطاء من الله، منائح جمع لمنحة - ومن تقديره منائح العطاء بكم إنفاذه محتوماً مقروناً - ثم تبين الرواية هذا القانون، قانون واضح - فما شيءٌ مِنّا - يا صاحب الزمان - إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل - ولذلك نحن نخاطبه في دعاء النُدبة - أين السبب المتصل بين الأرض والسماء - تلاحظون الأدعية والزيارات والنصوص المعصومية، الأحاديث، الآيات القرآنية كلها يعضد بعضها بعضاً، ألا يكشف ذلك عن منظومة واحدة، لو كانت هذه الأحاديث ضعيفة كيف اتسقت فيما بينها؟ لو كانت هذه الأحاديث ليست مُفسّرة للقرآن كيف تعاضد القرآن مع هذه الأحاديث؟ ألا يا أصحاب العقول، ألا يا أصحاب الأفكار، فكروا، هذه الأحاديث وهذه الزيارات لم توضع في زمانٍ واحد ومن كان عنده خبرة بكتب الحديث يعرف والقارئ قائمة، هذه أحاديث منها ما جاء مروياً عن النبي، منها ما جاء مروياً عن سيد الأوصياء، وهكذا عن بقية الأئمة، كل هذه النصوص تُنتج حقيقةً واحدة ألا يدل ذلك على أن هذه النصوص وهذه المضامين كل ذلك صحيح؟ مثل ما تكون عندنا صورة مُقسّمة إلى قطع، فحينما نجمع فيما بينها وتظهر عندنا صورة كاملة هذا يكشف لنا عن أن هذه الأجزاء أجزاء الصورة كلها صحيحة بدليل أنها اجتمعت فيما بينها فأوجدت لنا صورة كاملة - ومن تقديره منائح العطاء بكم إنفاذه محتوماً مقروناً فما شيءٌ مِنّا - وليس منا فقط لكن لأن الزيارة هي زيارة إنسان يزور الإمام - فما شيءٌ مِنّا - فما شيءٌ من الوجود - إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل - وهذا المعنى

هو الذي يتردد في الزيارات التي قرأها على مسامعكم قبل قليل، لذلك حيناً نقرأ في دعاء العديلة الذي يستحب قراءته عند المُحتَضِرِ إلى أن يقول الدعاء:

ثم الحُجَّةُ الخَلْفُ القائمُ المُنتَظَرُ المهدي المُرجى الذي بقاءه - هذه أيضاً باء السببية - الذي بقاءه بقيت الدنيا ويُمنه رُزْقُ الورى وبوجوده ثَبَّتِ الأرضُ والسماء. هذه أوصاف لمن؟ لقائدٍ سياسي؟ أم لقائد التكوين، لولي النعمة الحقيقي في هذا الوجود - الذي بقاءه بقيت الدنيا ويُمنه رُزْقُ الورى وبوجوده ثَبَّتِ الأرضُ والسماء - وهذه المعان ليست في نص واحد أو في كلمة واحدة أو في رواية واحدة هذه مئات من النصوص، وما عرضه بين أيديكم يا أحباب عليٍّ والله ما هو إلا أمثلة، إذا أردت أن أتناول كل النصوص فإن الوقت لا يكفي وحتى العمر لا يكفي، هذه نماذج وأمثلة، ومثل هذه النماذج ومثل هذه النصوص هناك الكثير الكثير الكثير، ويأتينا بعض الجهلة وبعض المتحذقين ممن لا يحسنون لا أقول آيتين لا يحسنون آيةً، لا يحسنون فهم آيةٍ من آيات الكتاب فيريدون منا أن نضرب بكل هذا عرض الجدار، وليس لهم من هدفٍ إلا تسطيح الفكر، أهل البيت هم أصحاب الفكر العميق، وهذه النصوص كلها تقودنا إلى الفكر العميق.

نحن نقرأ في حديث الكساء الشريف، ماذا نقرأ وأنتم تعرفون هذا، فقط أخذ هذا المقطع: **فهبط الأمين جبرئيل وقال: السَّلَامُ عليك يا رسول الله العليُّ الأعلى يُقرئك السَّلَامَ ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً - وهذه أيضاً نماذج لا على نحو الإحصاء التام ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ القرآن هكذا قال فالألفاظ حتى لو جاءتنا من طريق الوحي الألفاظ محدودة، الله هو الذي يُصَرِّحُ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ليس الله عاجزاً عن الإحصاء لكن اللغة عاجزة، النقص هنا في اللغة، فاللغة لا تتمكن من إحصاء ومن عد النعم، فهذه نماذج من النعم - وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور لا بحراً يجري ولا فلکاً يسري إلا لأجلکم ومحبتکم - وهذه إلا لأجلکم ومحبتکم ليست قضية اجتماعية، مثل ما أقول أنا جئت بهذه الهدية وما جئت بها من ذلك المكان البعيد وهي ثقيلة إلا لأجلکم، إلا لأجلک يا فلان، هذه قضية اجتماعية وعاطفية، الله هنا سبحانه وتعالى يُكَلِّمُ الحقائق الأولى، إلا لأجلکم ومحبتکم لا تُفهم بهذا المعنى الاجتماعي السطحي الساذج، وإنما هذه المعاني يعضد بعضها بعضاً، هذه المعاني هي التي أشارت إليها الزيارة، الزيارة الجامعة الكبيرة بأنهم أولياء النعم، لهم الولاية المطلقة ولهم القرب المطلق وهم محيطون بهذه النعم التي لا تعد ولا تحصى وهم متصرفون فيها، ومن هنا أيضاً نشأ معنى القيادة الكونية - وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النَّعْمِ - نحن نتناول**

نصوصاً من هنا ومن هناك تكشف لنا عن شيءٍ من معنى ولايتهم للنعم.

هذه الرواية في الكافي الشريف، الرواية عن أبي بصيرٍ عن إمامنا الصادق قلت له، أبو بصير يسأل الإمام الصادق - قلت له: أما على الإمام زكاة؟ - سؤال يتناسب مع عقولنا - أما على الإمام زكاة؟ فقال: أَحَلَّتْ يا أبا مُحَمَّد - أَحَلَّتْ يعني ذهبت في طريقٍ ليس سديداً، أَحَلَّتْ يعني كأنك قلت المستحيل، ذهبت في طريقٍ هذا الطريق ليس سديداً - أَحَلَّتْ يا أبا مُحَمَّد أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزٌ له ذلك من الله، إن الإمام يا أبا مُحَمَّد لا يبيت ليلةً أبداً والله في عنقه حقٌ يسأله عنه - يعني الإمام شيءٌ آخر، موطن الشاهد هنا - أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزٌ له ذلك من الله - هذه هي المعاني التي تتألف فيما بينها في كلمات المعصومين، هذه الرواية تعطينا خلاصة، خلاصة موجزة - أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزٌ له ذلك من الله - الله هو الذي أجاز له ذلك، الله هو الذي وهب له ذلك، وهذا هو مظهر أيضاً من مظاهر ولايتهم للنعم وإلا فهم أصل النعم، بهم فتح الله وبهم يختم الله سبحانه وتعالى، وكل شيءٍ خُلِقَ من أنوارهم فمرد النعم بتمامها إليهم، كلمات المعصومين من هذا النحو كثيرة جداً.

في أحد التوقيعات الصادرة من الناحية المقدسة من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزء الثالث والخمسون من بحار الأنوار الشريف، رسالة الإمام يكتبها إلى أشياعه جاء فيها - لأن الله معنا - الإمام يقول إمام زماننا - لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره - فلا فاقة فلا حاجة، وإنما الكلُّ يحتاجون إليهم - لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحقُّ معنا فلن يوحشنا من قعد عنا ونحن صنائع ربنا والخلق بعدُ صنائعنا - العبارة واضحة وصريحة - ونحن صنائع ربنا - يعني ما عندنا من النعم فمن ربنا - والخلق بعدُ صنائعنا - وكل ما من صنيعَةٍ يعني من نعمةٍ من حُسنٍ من فضلٍ من معروفٍ من خيرٍ من كمالٍ فهو منا - ونحن صنائع ربنا - يعني ما عندنا من فضلٍ فهو من ربنا - والخلق بعدُ صنائعنا - وما في الخلق من صنيعَةٍ أي من فضلٍ فهو منا - فكل النعم مردها إلينا - كل هذه النصوص تتحدث في هذه الأجواء وتتحدث في هذه الظلال.

لذلك ليس غريباً أن نقرأ في حديث المعرفة بالنورانية أيضاً، أن نقرأ هذا المعنى - يا سلمان ويا جُنْدَب قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بأذن ربي، وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست

أشجارها بأذن ربي - هذه المعاني هي مظاهرٌ في طبقةٍ من طبقات الوجود لولايتهم على النعم على مُطلق النعم، هذه صور هذه أمثلة لنعم مادية وإنما ذكر الأنبياء لأن الأنبياء هم أشرف الخلق هم أفضل الخلق وهم أوضح مظاهر النبوة والولاية في هذه الكائنات، فجاء ذكر الأنبياء لا أن الأمر مخصوصٌ بالأنبياء فقط، ذكر الأنبياء هنا لعلو مراتبهم، فإذا كانت نعمة أهل البيت جارية على الأنبياء الذين هم الأفضل والأشرف بين الخلق فمن باب الأولى أن نعمة أهل البيت جارية على غيرهم، القضية هنا على سبيل الأمثلة وعلى سبيل النموذج، وإلا المسألة أوسع وأكبر من ذلك.

مرّ علينا قبل قليل الدنيا والآخرة هي بيد الإمام يعطيها إلى من يشاء ويمنعها عن من يشاء وذلك عطاءً من الله إليه، لذلك أمير المؤمنين يخاطب أبا ذر في نفس الحديث - **إعلم يا أبا ذر أنا عبد الله - لا يذهب الذهن بعيداً فيشط في الفهم، أنا قلت سابقاً هذه المعاني نحتاج في فهمها إلى قاعدتين: قاعدة حفظ المقامات حفظ مقام العبودية مع حفظ مقام الربوبية، وقاعدة الحثيات، تعدد الحثيات، لا بد أن نفهم هذه النصوص وفقاً لهاتين القاعدتين: حفظ المقامات وتعدد الحثيات، لذلك سيد الأوصياء يقول - **إعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزّ وجلّ وخليفته على عباده لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته - لماذا؟ الإمام يقول - **فإن الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم - يعني حتى قوى الخيال لا تستطيع أن تصل إلى ذلك الفناء الطاهر - **فإن الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون - وأعيد وأكرر بأن هذه المطالب وهذه المعاني وهذه المضامين يحتاج فهمها إلى الالتزام بهاتين القاعدتين الذهبيتين: القاعدة الأولى حفظ المقامات، كل مقام نحفظ له خصوصياته. والقاعدة الأخرى وهي قاعدة تعدد الحثيات، حينما ننظر إلى جهةٍ لا يعني أننا ننكر الجهات الأخرى، وحينما تتجه عقولنا وقلوبنا وأفكارنا باتجاه جهةٍ معينة لا يعني أن هذه العقول والقلوب والأفكار حُصرت فقط في هذه الجهة، هناك حثيات متعددة في هذا الوجود، وهناك مقامات ولا بد من حفظ خصوصية كل مقام لذلك المقام، وإلا سنقع في خبطٍ وخلط.********

يمكن أن يتجلى من كل هذه المضامين معنى أنهم أولياء النعم ومعنى أنهم قادة الأمم، هناك بعض النصوص هذه النصوص تتجلى في طقوس الحياة اليومية، هي أيضاً تشير من بعيدٍ إلى هذه المضامين الواسعة، هناك جملة من النصوص وردت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليه أجمعين، مثلاً: هذه الرواية في الكافي الشريف - **عن ابن بكير، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فأطعمنا ثم رفعنا أيدينا فقلنا الحمد لله، فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد أن رفع يده من الطعام: اللهم هذا منك ومن مُحَمَّد رسولك**

اللهم لك الحمد صلي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد - هذا الدعاء يستحب أن يُقرأ، هذا الذكر يستحب أن يذكر بعد أن يتناول الإنسان طعامه، الرواية في الكافي الشريف - اللهم هذا منك ومن مُحَمَّد رسولك اللهم لك الحمد صلي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد - وما ذلك بغريبٍ فعندنا في الأحاديث من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق وهذا المعنى واضح ولا أعتقد أن أحداً ينكر هذا المضمون، هذا المضمون عقلاً مقبول، شرعاً مقبول، المنطق، الفطرة تقبل كل هذه المعاني.

عندنا في رواياتنا على سبيل المثال مثلاً: هذه رواية يرويها زرارة عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، الرواية عن أمير المؤمنين، ماذا قال أمير المؤمنين؟ - ضاقت الأرض بسبعة - مقصود من ضيق الأرض إشارة إلى علو منزلتهم وأن لهم منزلة لا تسعهم الأرض هذا المراد ضاقت الأرض، يريد الإمام هنا أن يتحدث عن عظمة منزلتهم ودرجتهم قال - ضاقت الأرض بسبعة بهم تُرزقون وبهم تُنصرون وبهم تمطرون - من هؤلاء؟ الإمام يقول - منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة - رحمة الله عليهم - وكان عليُّ عليه السلام يقول وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة عليها السلام - إذا كانت هذه المعاني يمكن أن تتجلى في أولياء أهل البيت فما بالك بأهل البيت، وروايات عديدة في هذا المضمون أنا هنا جئت بنموذج، أنا قلت قبل قليل أنا لا أستطيع في هذا الوقت الضيق وفي هذه العجالة والتي قد يراها البعض أنها وقتٌ طويل، يعني برنامج يصل إلى ساعتين أو أكثر من ساعتين قد يراها البعض مملة وأنا أعذرهُ في ذلك لكنني لا أجد وقتاً لبيان هذه المطالب الكثيرة والطويلة، مع ذلك أنا فقط أتي بنماذج، وهذا يشير إلى قضية واضحة، هذا ينبئنا بشيء، ينبئنا بمظلومية أهل البيت، بمظلومية حديث أهل البيت، بمظلومية فكر أهل البيت، مؤسساتنا الشيعية غافلة عن هذا الفكر، غافلة عن هذا الحديث، قنواتنا الفضائية غافلة عن هذا الفكر، منابرنا حسينيّاتنا غافلة عن هذا الفكر، ولو أردنا أن نختبر وأن نحص ما يقال في مؤسساتنا الإعلامية، في قنواتنا الإعلامية، في صحفنا، في مجلاتنا، على منابرنا لوجدنا أن الكثير مما يقال لا علاقة له بأهل البيت، وحديث أهل البيت مركونٌ على جانب، لذلك إنني لا أجد وقتاً لطرح كل أحاديثهم وإنما أقتبس من هنا ومن هناك، وهذه الرواية نموذج من روايات كثيرة ماذا تقول الرواية؟ ضاقت الأرض بسبعة بهم - هذه الباء باء السببية - بهم ترزقون وبهم تُنصرون وبهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة، وكان عليُّ يقول: وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

رواية أخرى، أيضاً من الكافي الشريف - يونس بن ضبيان يقول: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فحضر وقت العشاء - وقت العشاء هو وقت الطعام، ووقت العشاء هو وقت صلاة العشاء، لذلك

عندنا في الروايات أنه إذا حضر العشاء والعشاء فقدم العشاء على العشاء، العشاء هو طعام العشاء وقت طعام العشاء، والعشاء هو وقت صلاة العشاء، إذا حضر العشاء مع العشاء فقدموا العشاء على العشاء، احتراماً للنعمة، وهذا هو جزء من حديثنا وفيه إشارة لطيفة وتلويحة جميلة جداً - كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فحضر وقت العشاء فذهبت أقوم، فقال: أجلس يا أبا عبد الله فجلست حتى وُضِع الخوان - الخوان هي السفرة - فسمى حين وُضِع، فلما فرغ قال: الحمد لله هذا منك ومن مُحَمَّد صلى الله عليه وآله - هذه الرواية في الكافي الشريف في وسائل الشيخ الحر العاملي وفي محاسن البرقي وفي مصادر حديثية عديدة أخرى.

هناك رواية أيضاً منقولة عن إمامنا الكاظم صلوات الله عليه ينقلها عن أبيه الصادق - وكان الصادق عليه السلام إذا قُدِّم إليه الطعام يقول: بسم الله وبالله وهذا من فضل الله وبركة رسول الله - هذا حين يُقَدَّمُ إليه الطعام، غير الروايات التي مرت وحدثنا عمّا يقوله بعد انتهاء الطعام - وكان الصادق عليه السلام إذا قُدِّم إليه الطعام يقول: بسم الله وبالله وهذا من فضل الله وبركة رسول الله وآل رسول الله، اللهم كما أشبعتنا فأشبع كل مؤمنٍ ومؤمنة وبارك لنا في طعامنا وشرابنا وأجسادنا وأموالنا - الرواية موجودة في البحار في نواذر الراوندي وفي مستدرک الوسائل لشيخنا المُحدِّث النوري رحمة الله.

هناك رواية ينقلها المحدث الكراچكي رحمة الله عليه في كتابه كنز الفوائد، الرواية منقولة عن إمامنا الصادق وعن أبي حنيفة، ماذا تقول الرواية؟ اقرأ عليكم نص الرواية: إن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام، فلما رفع الصادق عليه السلام يده من أكله قال: الحمد لله رب العالمين اللهم إن هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله، فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أ جعلت مع الله شريكاً - وهذا الكلام هو هو القديم الحديث - فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أ جعلت مع الله شريكاً - إمامنا الصادق ماذا قال؟ بعد أن أكمل الطعام - قال: الحمد لله رب العالمين اللهم إن هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله - أبو حنيفة قال - يا أبا عبد الله أ جعلت مع الله شريكاً - ماذا قال له الإمام الصادق؟ - فقال له: وبيك فإن الله تعالى يقول في كتابه:

﴿ وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أُغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ - هذه هي الآية الرابعة والسبعون من سورة التوبة -

﴿ وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أُغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ - الآية تقول هكذا أن الذي أغناهم الله ورسوله - فقال

له: وبيك فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أُغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ويقول في

موضعٍ آخر - وهي الآية التاسعة والخمسون من سورة التوبة - ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴿﴾ فقال أبو حنيفة: والله لكأني ما قرأتها من كتاب الله ولا سمعتها إلا في هذا الوقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى قد قرأتها وسمعتها ولكن الله تعالى أنزل فيك وفي أشباهك ﴿﴾ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿﴾ وقال: ﴿﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿﴾ - هذه الرواية موجودة في وسائل الشيعة لشيخنا الحر وموجودة كذلك في الجزء السادس والستين من بحار الأنوار، وموجودة في مصادر عديدة أخرى، هذه الرواية آخر رواية قرأتها على مسامعكم تبئنا عن واقع قديم جديد، نفسه الواقع الذي نعيشه في أيامنا هذه.

بعد هذه الجولة في هذه النصوص التي اخترتها من هنا ومن هناك حتى أتمكن من أن يكون حديثي متناسباً مع حيثيات المطالب، فحينما أقول: وَقَادَةَ الْأُمَمِ، قيادتهم للأمم لها حيثيات متعددة، لها مظاهر متعددة لذلك جئت بالروايات من هنا ومن هناك، وَلَمَّا كَانَ الْكَلَامَ عَنْ أَنَّهُمْ: أولياء النعم، أيضاً جئت بالروايات وبالأحاديث من هنا ومن هناك لتعطينا صوراً لتعطينا لقطات لتعطينا بيانات عن مقامات وعن حيثيات هذا المضمون العظيم الذي أشارت إليه الزيارة الجامعة الكبيرة.

في ختام حديثي أقول: السلام عليكم سادتي يا قادة الأمم ويا أولياء النعم، سادتي آل مُحَمَّدٍ فما شيءٌ منا، كما قرأت قبل قليل في زيارة الندبة، فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل، ما بنا من نعمةٍ فمنكم، ما بنا من فضلٍ فمنكم، ما بنا من كمالٍ ومن حُسنٍ فإليكم يعود، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله بكم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هديتمونا أنتم، وكل هذه المعاني صحيحة وواضحة ومتصلة ويشد بعضها بعضاً، فنحن منكم وإليكم، ما عندنا من حسن فهو منكم وإليكم، وما عندنا من قبحٍ ومن عثارٍ ومن زلةٍ فهي عائدةٌ إلينا.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُرَّانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ.

أَشْهَدُ أَنَّكُمْ كَذَلِكَ، مَا كَانَ لِأَوْلِيكُمْ فَهوَ لِأَخْرِكُمْ، وَمَا كَانَ لِأَخْرِكُمْ فَهوَ لِأَوْلِيكُمْ، أَوْلِيكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَخْرِكُمْ مُحَمَّدٌ بَلْ كُتُّكُمْ مُحَمَّدٌ، أَوْلِيكُمْ عَلِيٌّ وَأَوْسَطُكُمْ عَلِيٌّ وَأَخْرِكُمْ عَلِيٌّ بَلْ كُتُّكُمْ عَلِيٌّ. وأنتم يا أحباب عليٍّ سلامٌ عليكم أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الثانية عشر

معنى وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ

السلام عليكم جميعاً يا أحباب فاطمة وآل فاطمة ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الثانية بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، مفاتيح الجنان بين يدي وها هي الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، مرَّ علينا في الحلقات الماضية قول الزيارة الشريفة:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخِرَانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ.

العنوان الذي نتناوله اليوم: وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ. وهذان العنوانان متعانقان كما مر التعانق بين العناوين السابقة - وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ - وكذلك ما مر في الحلقة الماضية - وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ - هناك تعانق وهناك ترابط بين هذين العنوانين - وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ - وسيتجلى بعض هذا المعنى من خلال ما أبينه وأوضحه. الزيارة نخاطب بها أئمتنا - وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ - العناصر في لغة العرب جمع عنصر، والأبرار جمع لبر أو بار، العناصر جمع عنصر والعنصر في لغة العرب هو الأصل، وإذا أردنا أن نبين المعنى بنحوٍ دقيق فإن العنصر في لغة العرب هو الأصل الصافي الذي لا تشوبه شائبة، ولذلك في علم الكيمياء أخذ هذا اللفظ وأُسْتُعْمِلَ على المواد الأساسية الموجودة في الطبيعة التي سميت بالعناصر، هناك في علم الكيمياء هناك العناصر وهناك المركبات، المركبات لو أردنا أن نحللها لو أردنا أن نحزئها فإنها سوف تُحلل وتُحزئ إلى أكثر من عنصر، ربما إلى عنصرين، ثلاثة، أكثر من ذلك، المركبات ركبت من مجموعة عناصر، أما العناصر، العناصر إذا حللت فإنها ستتحول إلى ذرات إلى أجزاء صغيرة، فإن العنصر إنما هو متكوّن من نفسه بنفسه، العنصر متكوّن من ذراته التي باجتماعها تشكل هذا العنصر فلا يوجد وراء العنصر أجزاء أخرى تركبت كما يوجد وراء المركبات أو وراء المركب أجزاء تركبت وولدت المركب، العنصر هو الأصل، لذلك في لغة العرب العنصر هو الأصل الصافي الذي لا تشوبه شائبة - وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ - الأبرار جمع لبار، والبار قد يأتي بمعنى الخير الذي يعمل البر الذي يتصف بالبر، وما البر في لغة العرب إلا الخير، والبار يأتي بمعنى الصالح والصالح هو الخير بمعنى

واحد، ويأتي بمعنى الرحيم الذي تملأ الرحمة قلبه، وله دلالاتٌ أخرى لكن جميع هذه الدلالات هي ترجعنا إلى الخيرية، ترجعنا إلى البر، والبار أيضاً تعني الصادق، والصدق والرحمة والخير والفضل كلها تعود إلى جذرٍ واحدٍ إلى حقيقة الجمال، كل هذه المعاني معاني جميلة فتعود إلى حقيقة الجمال - وَعَنَّاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ - فبما أن عنوان الأخيار قد جاء مذكوراً فإدراك الأبرار هنا قد يراد منها الصالحون وقد يُراد منها الصادقون والمعاني كلها صحيحة واضحةً وبيّنة، الذين شرحوا الزيارة الجامعة الكبيرة من علمائنا المُتقدمين رضوان الله تعالى عليهم قالوا بأن الأبرار هنا هم الصادقون وكلامهم صحيح، ولو قلنا الصالحون الكلام صحيح، ولو قلنا الفاضلون الكلام صحيح، ولو قلنا ولو قلنا، نحن أيضاً وفقاً لِمَا مَرُوا عَلَيْهِ ولما ذكروه من أن الأبرار هنا هم الصادقون فنقول هم الصادقون إذاً، وذلك لا يعني أن كلمة الأبرار بالضرورة أن تكون محصورةً في هذا المعنى، وإلا فالأبرار هم الأخيار ولكن لأن وصف الأخيار جاء مذكوراً بعدها فلذلك قال علمائنا بأن الأبرار هنا هم الصادقون وقد صدقوا في قولهم هذا - وَعَنَّاصِرَ الْأَبْرَارِ - الأبرار في حقيقة المعنى هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الأبرار في المظهر الأتم في الصورة الأكمل هم صلوات الله عليهم، لكن العبارة هنا تقول - وَعَنَّاصِرَ الْأَبْرَارِ - تقول بأنهم هم الأصل الصافي الذي لا تشوبه الشائبة والذي تفرَّغ عنه الأبرار.

الأبرار هنا هم فرعٌ من تلكم العناصر، المراد من الأبرار هنا الأنبياء، المراد من الأبرار هنا أولياء أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم الذين بلغوا المراتب العالية في المعرفة واليقين والذين وصلوا إلى الحد الأقصى في دائرة القرب الإلهي، الزيارة تصف أن هؤلاء الأبرار يعودون إلى تلكم العناصر الطاهرة الطيبة، فهم عناصر الأبرار، وأهل البيت على وجه الحقيقة إذا أردنا أن ننظر إلى العقيدة الواضحة التي تحدتت عنها الأعداد الهائلة من النصوص المروية عن النبي وعن الأئمة والتي تُنبئنا بأنهم أول ما خلق الله، حقائقهم القادسة الأولى من نورها صدر النور الذي خلقت منه كل الكائنات، ذلك النور تشقق إلى أنوار، فإن الكائنات على مراتب، تلكم الأنوار التي تشقت من النور الذي صدر من حقائقهم القادسة هي تلكم العناصر، وإنما جاء ذكر الأبرار هنا لأن الأبرار هم أرقى مرتبة وأوضح صورة وأجلى مظهر من مظاهر الولاية، ومرادي من الولاية هو الرابطة التي تربط الموجودات بالله سبحانه وتعالى، هناك شيءٌ يربط بين الوالد والولد، هناك رابطة تربط بين الوالد والولد، وأعني بالرابطة التي تربط بين الوالد والولد ما وراء الرابطة الرحمية، ما وراء رابطة اللحمية النسبية، ما وراء رابطة تكوين النطفة وما ترتب عليها، هناك رباطٌ بين الوالد والولد من جهةٍ يمكن أن نسميه بالوالدية، ومن جهةٍ يمكن أن نسميه بالبنوة، هذه الرابطة التي لها وجهان من جهةٍ الوالدية ومن جهةٍ البنوة، نحن لا نستطيع أن نشخصها بدقة إنما ندركها بالوجدان، حينما أقول نحن لا نستطيع أن نشخصها بدقة أعني لا نستطيع أن نشخصها بالألفاظ إنما ندركها

بالوجدان، العلاقة بين الوالد والولد، العلاقة بين الوالدة والولد هذه العلاقة علاقةٌ تدرك بالوجدان، أما ما يبدو على السطح في الحياة من الرابطة النسبية ومن رابطة اللحمية ومن رعاية الوالد أو من رعاية الأم لأولادها فتلك هي مظاهر عملية واقعية على الأرض لتلكم الرابطة الحقيقية التي لا نتلمسها بالحس البصري أو بالحس السمعي وإنما نتلمسها بالوجدان، هناك رابطة بين الوالد والولد هي رابطة الوالدية هي رابطة البنوة سمي ما شئت من التسميات وأنحت ما شئت من الاصطلاحات فكما يقولون لا مشاحة في الاصطلاح، القضية ليست في الألفاظ ولا القضية في التصور الخارجي المادي والتمظهر الموجود على واقع الأرض، القضية في العمق الوجداني، في العمق الوجداني الحقيقي الذي يدرك الحقائق.

الذي يذهب بعيداً في غور الواقع وفي غور خلجات النفس الإنسانية، الوجدان ينبئنا عن تلكم العلاقة، علاقة الولاية بين الله وبين الخلق هي علاقةٌ يمكن أن تكون علاقة الوالدية تقرب لنا معناها بوجهٍ من الوجوه وتُبَعِّد لنا المعنى أيضاً بوجهٍ من الوجوه، فالأمثلة في مثل هذه المعاني وفي مثل هذه المقامات تُقَرِّب من وجهٍ وتبعُد من وجهٍ لكنني أريدُ أن أنظر إلى الوجه المُقَرَّب كي تتضح الصورة عند المشاهد وعند المُسْتَمِع - وَعَنَّاصِرِ الْأَبْرَارِ - هناك رابطةٌ بين هذه العناصر وبين الأبرار الذين تتجلى فيهم أجلى مظاهر الولاية، الولاية التي تحدثت عنها قبل قليل وهي رابطة الكائنات بالله وهي سرٌ وجود الكائنات، من دون هذه الولاية، من دون هذه الرابطة فإن الكائن يُعدم لا وجود له، سر وجود الكائن ارتباطه بالله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ أنتم الفقراء هناك رابطة تربطكم بالغني الحميد، رابطة الافتقار ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ رابطة الافتقار هي هذه رابطة الوجود، هي هذه رابطة الولاية، افتقار الكائنات للغني الحميد هو سر وجودها وهو سر ثباتها، وفي ميدان افتقارها تقترب الكائنات من دائرة القرب، وللكائنات مراتب ومظاهر ومن أجلى وأوضح وأنظف وأنقى المرايا التي تتجلى فيها الولاية هي مراية الأبرار، لذا جاء الذكر للأبرار هنا لسبيين:

السبب الأول لأن الزيارة هذه مصبوبةٌ لبني آدم، الذين يوصفون بهذه الأوصاف ولمن كان مثلهم من الجن أو غيرهم. ومن جهةٍ أخرى وهو المعنى الأعمق أن الأبرار هم المظهر الأكمل للولاية بين الكائنات وبين الله، لأن الأبرار تتمظهر فيهم الولاية بكل أنحاءها، تتمظهر فيهم الولاية الكونية وتتمظهر فيهم الولاية الشرعية، والولاية الشرعية فيها جانبٌ اختيارٍ وجانبٌ إبداعٍ من نفس الأبرار، الولاية التكوينية ليس للأبرار من يدٍ في تعلقها بهم فذلك أمرٌ له ﴿الْأَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فالخلق والأمر إليه سبحانه وتعالى وتقدس ذاته عما يقول الظالمون. - وَعَنَّاصِرِ الْأَبْرَارِ - هم عناصر الأبرار، هم الأنوار الأولى التي

تشققت منها سائر بداياتٍ ومقدماتٍ وجذورٍ هذه الكائنات، فهم العناصر الأولى، من أنوارهم القادسة تشققت الأنوار فكانوا هم العناصر الأولى وكانوا صلوات الله عليهم الماء الأول، الطينة الأولى، وقد حدثنا روايات أهل البيت عن مظاهر من هذا المعنى من معنى العناصر ومن معنى التعنصر ومن معنى هذه الاشتقاقات، على سبيل المثال ما جاء في كتاب بصائر الدرجات أمر على طائفة من الأحاديث والروايات، ولا أريد أن أشرح هذه الروايات لأن الدخول في تفاصيلها يحتاج إلى بسطٍ في القول ويحتاج إلى سعةٍ من الوقت والمقام لا يسع ذلك، أنا أتلو على مسامعكم النصوص وما يحتاج إلى بيانٍ بنحو الاضطرار أبيته ولكنني أعتمدُ على الفهم العام الذي يمكن أن يفهم من كل هذه النصوص.

الرواية: عن بشر بن أبي عقبة عن أبي جعفرٍ وأبي عبد الله - عن الإمامين، عن الباقرين، عن الصادقين صلوات الله عليهما - إن الله خلق مُحَمَّدًا من طينةٍ من جوهرةٍ تحت العرش - هذه الرواية ناظرة إلى مرتبةٍ من مراتب خلقه صلى الله عليه وآله وإلا مر علينا في الروايات السابقة العرشُ من نوره، الحديث هنا في أفق الخلق الثاني، الحديث هنا في أفق ما بعد تشقق الأنوار وما بعد تولد العناصر - إن الله خلق مُحَمَّدًا من طينةٍ من جوهرةٍ تحت العرش وإنه كان لطينته نضح - تنضح الطينة بحسب المعنى المُتعارف وإلا هذه رموز، تنضح الطينة ما يند منها، ما يخرج منها من ماءٍ وما يخرج منها من شيءٍ يشابه مزاجها - وإنه كان لطينته أو لطينه نضح فَجَبَلٌ طينة أمير المؤمنين عليه السلام - فَجَبَلٌ: جَبَلٌ يعني خلق، يعني أوجد - فَجَبَلٌ طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فَجَبَلٌ طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين - هذا الكلام كلام الأئمة من ولده - فَجَبَلٌ طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام وكان لطينتنا نضح فَجَبَلٌ طينة شيعتنا من نضح طينتنا فقلوبهم تحنُّ إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تَعَطَّفَ الوالد على الولد - قبل قليل أنا جئت بمثال العلاقة بين الوالد والولد، وفي ذلك إشارة أيضاً إلى هذا المعنى - فقلوبهم تحنُّ إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تَعَطَّفَ الوالد على الولد ونحنُ لهم وهم خيرٌ لنا ورسول الله صلى الله عليه وآله لنا خيرٌ ونحنُ له خير.

رواية جميلة جداً، ورواية تتحدث عن حقيقةٍ في هذا الوجود، لكن هذه الرواية لا أستطيعُ أنا ولا يستطيع غيري أن نُدرك أغوارها الحقيقية، كل ما نفهمه من هذه الرواية أن فيها مجموعة من المصطلحات نفهمها هكذا فهماً سطحياً بعيداً عن غور الحقيقة، لكنها تنبئنا وتوحي إلينا بعض شيءٍ من معنى أنهم عناصر الأبرار، عناصر الأبرار هم الطينة التي اشتقت منها طينة الأبرار، كما قال إمامنا الباقر وإمامنا الصادق - وكانت لطينتنا نضح فَجَبَلٌ طينة شيعتنا من نضح طينتنا - والدليل الباقي، الأثر الباقي -

فقلوبهم تحن إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تَعَطَّفَ الوالد على الولد - وأعتقد أن الرواية تنبئ بشيء من هذا المعنى من معنى عناصر الأبرار، ولكن كما قلتُ في أفقٍ من الآفاق.

رواية أخرى، الروايات كثيرة سأقتطف بعضاً منها لتتضح لنا صورة مُجملة عن هذا المعنى، الرواية: عن أبي الحجاج قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الحجاج إن الله خلق مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ من طينة عليين وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك - القلوب هي العقول، القلوب هي الأرواح، القلوب هو الجانب الأعلى عند الإنسان - إن الله خلق مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ من طينة عليين وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك، وخلق شيعة من طينة دون عليين وخلق قلوبهم من طينة عليين فقلوب شيعة من أبدان آل مُحَمَّدٍ - أبدان آل مُحَمَّدٍ من طينة عليين وعقولهم من فوق ذلك، شيعة آل مُحَمَّدٍ أبدانهم من طينة دون عليين أما عقولهم فمن طينة عليين من فاضل الطينة التي خُلقت منها أبدان آل مُحَمَّدٍ، وكل ذلك رموز كل ذلك إشارات - وإن الله خلق عدو آل مُحَمَّدٍ من طين سجين وخلق قلوبهم من طين هو أخبث من ذلك وخلق شيعة منهم - شيعة عدو آل مُحَمَّدٍ - من طين دون طين سجين وخلق قلوبهم من طين سجين فقلوبهم من أبدان أولئك وكل قلب يحن إلى بدنه - أنا لا أريد أن أدخل في هذه الروايات وأتناول موضوع الجبر وموضوع الشقاء والسعادة الذي عادة ما يتناول حين إيراد مثل هذه الروايات فليس المقام لطرح هذا البحث، الحديث هنا في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، وقد وصلتُ إلى هذا العنوان - وَعَنَّا صِرَ الأبرار - من خلال هذه الروايات أريد أن أكون صورة عامة ومُجملة لمعنى التعنصر ولمعنى أنهم عناصر الأبرار، قد أتناول هذا المعنى في وقتٍ آخر لأنني إذا دخلتُ فيه فإنني سأترك الأصل وسأتشعبُ في الفروع.

الرواية التي بعدها: عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعة مما خلقنا منه - إن الله خلقنا من أعلى عليين: أعلى مرتبة - وخلق قلوب شيعة مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا أو تهوى إلينا لأنها خُلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأبرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ - والحديث هنا: وَعَنَّا صِرَ الأبرار. تلاحظون التوافق والتناسق بين هذه الروايات وبين الآيات وبين الزيارات - ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأبرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ المَقْرَبُونَ﴾. الكتاب ليس هو أوراقاً، الكتاب الحقيقة الجامعة، الكتاب هو الصورة الناطقة مما كتب القلم من مدادٍ أخذه من نون ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الكتاب المرقوم هو مما كتبه القلم الأعلى، مما كتبه القلم الأول بالمداد

الأول بالماء الأعلى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيٍّ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الكتاب المرقوم يعني الكتاب المكتوب بكامله فقد رُقمَ فقد كتب، كتابٌ مرقوم، فقد كتب هذا الكتاب، فقد رُقمَ هذا الكتاب ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ويستمر إمامنا الصادق فيقول: وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾.

عند المماتِ وتُغسلني وتكفيني

ولايتي لأمير النحل تكفيني

في حُبِّ حيدرَ كيف النارُ تكويني

وطينتي عُجنت من قبل تكويني

الرواية عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه: إن الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم - النبيون هم من شيعتهم لذلك خلقت قلوب النبيين من طينة عليين التي هي الطينة التي خلقت منها أبدان آل مُحَمَّد - إن الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم - فالنبيون كما في هذه الرواية خلقت قلوبهم وأبدانهم من طينة عليين، ماذا أصبح لدينا؟! أصبح لدينا مراتب، أهل البيت، آل مُحَمَّد خلقت أبدانهم من طينة عليين وقلوبهم يعني حقائقهم من فوق طينة عليين، أما شيعتهم فقد خلقت أبدانهم من طينة دون عليين وعقولهم من طينة عليين، وأما النبيون وهم على مراتب، وأما النبيون فقد خلق عقولهم وأبدانهم من طينة عليين أي من طينة أبدان آل مُحَمَّد كما تقول هذه الرواية وروايات أخرى تدل على غير ذلك فكل ذلك يتحدث عن المراتب - إن الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر وولد الكافر المؤمن، ومن ها هنا يصيب المؤمن السيئة ومن ها هنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه - وهذه الروايات لا تدل على الجبر على الكفر أو على الإيمان أبدأ، هذه الروايات بيانات ولها شروح تأتي عليها في وقتٍ آخر، أنا هنا فقط أورد هذه الروايات لأجل بيان معنى قول الزيارة وعناصر الأبرار.

الرواية: عن جابر الجعفي قال: كنتُ مع مُحَمَّد بن عليٍّ عليه السلام - يعني الإمام الباقر صلوات الله عليه - فقال: يا جابر خلقنا نحن ومُحَبَّبونا من طينة واحدة بيضاء نقية من أعلى عليين فخلقنا نحن

من أعلاها وخلق محبونا من دونها فإذا كان يوم القيامة ألتفت العليا بالسفلى وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلى حجرة نبينا - إلى حجرة إلى عروة إلى جهة نبينا - وضرب أشياعنا بأيديهم إلى حجرتنا فأين ترى يُصَيِّرُ الله نبيه وذريته؟! - أي وذرية النبي - فأين ترى يُصَيِّرُ الله نبيه وذريته؟! وأين تُرى يُصَيِّرُ ذريته ومحبيها؟! فـضرب جابرٌ يده على يده فقال: دخلناها ورب الكعبة ثلاثاً، دخلناها ورب الكعبة، دخلناها ورب الكعبة - الرواية جميلة جداً - فإذا كان يوم القيامة ألتفت العليا بالسفلى - العليا كما قال - خُلقنا نحن ومحبونا من طينةٍ واحدة بيضاء نقية من أعلى عليين فَخُلقنا نحن من أعلاها وخلق محبونا من دونها فإذا كان يوم القيامة ألتفت العليا بالسفلى - إلى آخر الرواية - فقال جابر، جابر الجعفي - فـضرب جابرٌ يده على يده فقال: دخلناها ورب الكعبة - دخلناها دخلنا إلى جنان الله إلى رحمة الله إلى رضوان الله، لأننا من سافل هذه الطينة من سفلاها، والإمام قال: فإن أعلاها سيلتف بسفلاها.

روايةٌ أخرى عن إمامنا الصادق: إن الله عجن طينتنا وطينة شيعتنا فخلطنا بهم وخلطهم بنا فَمَنْ كَانَ فِي خَلْقِهِ شَيْءٌ مِنْ طِينَتِنَا حَنَّ إِلَيْنَا فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَّا - وهذا هو سرُّ ما نجده في قلوبنا باتجاه مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، القضية أعمق من المعاني النسبية وأعمق من المعاني الاجتماعية وأنا هنا لا أريد الخوض في هذا المعنى نتناوله في وقتٍ آخر، فقط أورد الروايات لكي تتضح الصورة لمعنى الزيارة حين تقول: وعناصر الأبرار، وأعتقد أن المعنى بدأ يتجلى واضحاً، أن الأبرار عنصرتهم الأصلي هو تلكم الطينة.

الرواية أيضاً عن صادق العترة: عن الفضل بن عيسى الهاشمي قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام أنا وأبي عيسى - الفضل وأبوه عيسى دخلوا على الإمام الصادق - فقال له - عيسى الهاشمي قال له - أَمِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: سَلِمَانَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟! - هذا عيسى الهاشمي يسأل الإمام - أَمِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: سَلِمَانَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟! فقال: نعم، فقال: أي من ولد عبد المطلب؟! - هو هذا عباسي، حينما نجد لفظ الهاشمي في الروايات يعني عباسي من بني العباس - عن الفضل بن عيسى الهاشمي - دخل هو وأبوه عيسى الهاشمي، والعباسيون يفكرون بمنطق معين، كانت هذه قضية الانتساب للعباس قضية تعتبر من أساسيات الفكر الذي أنشئوا عليه دولتهم، على أي حال الكلام الآن ليس في هذا الجانب، فسأل - أَمِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ: سَلِمَانَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟! فقال: نعم، فقال: أي من ولد عبد المطلب؟! - الإمام ماذا قال؟ - فقال: منا أهل البيت، فقال له: أي من ولد أبي طالب؟! - باعتبار أن الإمام الصادق من ولد أبي طالب، في البداية قال من ولد عبد المطلب؟ باعتبار هو هذا عباسي والإمام طالبي

العناصر عناصر الأبرار - لم يجعل لأحدٍ في مثل الذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا وأبدانهم من طينةٍ مخزونةٍ مكنونةٍ أسفل من ذلك الطينة، ولم يجعل الله لأحدٍ في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلا الأنبياء والمرسلين - لأن الأنبياء والمرسلين هم من شيعتهم، ولكن الإمام هنا يذكر هذا الكلام لأجل أن يفهم المُستمع فلربما يتصور المُستمع أن الأنبياء والمرسلين لهم مرتبة غير هذه المرتبة - ولم يجعل الله لأحدٍ في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلا الأنبياء والمرسلين فلذلك صرنا نحن وهم الناس - الناس نحن وشيعتنا مع الأنبياء فالأنبياء من شيعتهم - وصار سائر الناس همَجاً في النار وإلى النار - أعتقد أن هذه الروايات التي تلوتها على مسامعكم وهي بمجموعها من كتاب بصائر الدرجات لشيخنا الصغار رضوان الله تعالى عليه من أصحاب إمامنا الحسن العسكري عليه أفضل الصلاة والسلام، هذه الروايات بِمُجمَلها تتحدث بخطوط عامة عن معنى أنهم عناصر الأبرار ولكن في أفقٍ من الأفاق، وإن كانت الرواية الأخيرة أشارت إلى الخلق الأول وأن الله خلقهم من نور عظمته ثم تحدّثت عن الطينة المكنونة المخزونة عند العرش وأن الله أودع ذلك النور في تلكم الطينة، ثم كان الذي كان من خلق الأنبياء والمرسلين ومن خلق أشياعهم، ومن هنا كانت هذه الرابطة، لذلك من جملة المعاني التي نفهم بها معنى التشيع، صحيح في اللغة أن التشيع من المشايعة وهو المتابعة، لكن هناك معانٍ وإشارات وردت في الروايات أن التشيع وأن الشيعة إنما هم شيعة لأنهم خُلِقوا من شعاع أنوارهم، الشيعة من الشعاع فكانوا شيعةً لأنهم خُلِقوا من شعاع أنوارهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا هو معنى التعنصر، معنى أنهم صلوات الله عليهم عناصر الأبرار، فالأبرار أشياعهم، والأبرار أوليائهم من الأنبياء والمرسلين ومن أمثال سلمان رضوان الله تعالى عليهم.

روايةً في كتاب الكافي الشريف في الجزء الثاني من أصول الكافي، الرواية أحببت أن أوردتها فلربما تشرح شيئاً من المعاني والمضامين التي مرت في الروايات السابقة التي تلوتها على مسامعكم من بصائر الدرجات - الرواية: عن حمزان بن أعين عن إمامنا الباقر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى حيثُ خلق الخلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً - الماء الأجاج الذي يكون شديد الملوحة - حيثُ خلق الخلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان فأخذ طيناً من أديم الأرض - الأديم هو وجه الأرض تراب الأرض - فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً - الكلام هنا عن الماء العذب، عن الماء الأجاج، عن أديم الأرض، هذه كلها مصطلحات وعناوين ورموز تتحدث عن عناصر الخلقة، ليس الحديث هنا عن ماءٍ كهذا الماء الذي نشربه وكذلك بقية العناوين - إن الله تبارك وتعالى حيثُ خلق الخلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه

عركاً شديداً فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون - يتحركون، كالذر، المراد من الذر ليس هذا المعنى اللغوي لكلمة الذر، وإنما المراد من الذر هو أساس الخلقة، العنصر الأول الذي تكوّن منه الخلق، وربما يكون قريباً من معنى الذرات في المصطلح الكيميائي في المصطلح الفيزيائي، إنما أقول قريباً بوجه من الوجوه لأن الحديث هنا عن عوالم ما قبل المادة الطبيعية - فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون إلى الجنة بسلام وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي ثم قال: أأست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين - يعني هذه الشهادة وهذا الإقرار أخذ منهم حتى لا تقولوا - أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال: أأست بربكم وأن هذا مُحَمَّدٌ رسولي وأن هذا عليٌّ أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ومُحَمَّدٌ رسولي وعليٌّ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعده ولاية أمري وخزّان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأُعبَد به طوعاً وكُرهاً، قالوا: أقررنا يا ربي وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يُقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي - يعني أن العزم هو ولاية إمام زماننا، أولوا العزم هم الذين عزمت عقائدهم وقلوبهم ونواياهم على ولاية وطاعة إمام زماننا - ولم يجحد آدم ولم يُقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي ولم يكن لآدم عزمٌ على الإقرار به وهو قوله عزّ وجل:

﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال: إنما هو فترك - ففسي بمعنى فترك - ثم أمر ناراً فَأَجَّجَتْ - الله أمر ناراً فَأَجَّجَتْ - فقال لأصحاب الشمال - والحديث ليس عن نارٍ حسيّة - ثم أمر ناراً فَأَجَّجَتْ فقال لأصحاب الشمال: أدخلوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: أدخلوها فدخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا ربي أقلنا، فقال: قد أقلتكم أذهبوا فادخلوها فهابوها فتمت الطاعة والولاية والمعصية - الرواية عميقة جداً وفيها الكثير من الرموز لكنها تكشف عن جانب من جوانب سر التكوين، وكيف كان الناس على أنحاء، وكيف كانت النبوات على الولاية، وما معنى أولوا العزم، وكل ذلك يتعاضد مع المعاني التي مرت علينا في الروايات التي تلوتها على مسامعكم من كتاب بصائر الدرجات.

هذا هو المعنى المُجمل أو المعنى العام الذي يمكن أن نستقيه من طائفةٍ من النصوص المعصومية التي تحدثنا عن معنى عناصر الأبرار، الأبرار هم أوليائهم والعناصر هي الأصول وأئمتنا آلُ مُحَمَّدٍ هم عناصر الأبرار من الجهة التكوينية كما مرت النصوص، وهم عناصر الأبرار من الجهة الشرعية ومن الجهة المعنوية، وعنوان الأبرار في أصله هو عنوانهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم أبرار الأبرار وهم

عناصرُ الأبرار، كلمة العناصر هنا أيضاً تأتي بمعنى الأبرار وفقاً لإطلاق هذا العنوان على ذواتهم المقدسة، فقد أطلق القرآن هذا العنوان عليهم، حينما نقرأ في الكتاب الكريم في سور الإنسان أو في سورة الدهر، حينما نقرأ هذه الآيات والسورة بكاملها في عليّ وآل عليّ لكنني ألتقط لقطات، أفق وقفات هنا وهناك، وهناك تلويحات وإشارات عميقة جداً في هذه السورة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ هنا جاءت التسمية صريحة واضحة في من هم الأبرار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أنا لا أريد أن أشرح الآيات، الكافور معروف معناه في لغة العرب، الكافور هو الشراب الرائق، الشراب الذي يكون مزاجه رائقاً، رائق يعني صافياً مع طيب العطر والرائحة، مع حلاوة المذاق، مع خفته، ومع ذلك فإن الكافور هنا ليس هو هذا، مجرد عنوان هنا ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ما فيها من شراب هذا الشراب مزاجه كافور، بأي شيء مزج؟ الآية هكذا تقول ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ هذا الكأس فيه شراب ما هو هذا الشراب؟ الجواب: لا أدري، لكن هذا الشراب مزج بالكافور ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ما هو هذا الكافور؟ الجواب: لا أدري.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هناك كأس مزاجه كافور وهناك عين يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً، هم يفجرونها، هنا في هذه السورة جاء الشراب في ثلاثة تجليات، في ثلاث تجليات جاء الشراب: الشراب الأول هو هذا ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ هذا شرابهم ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هذه عين يشرب منها عباد الله يفجرونها تفجيراً، هذه العين شرابها لعباد الله لأولياء هؤلاء الأبرار، أما الأبرار شرابهم خاص، يشربون من تلكم الكأس، يشربون من كأس وعادة يقدم الكأس لمن؟ يقدم الكأس للضيف للمالك، للمالك الدار يأتي الخادم يأتي أهل البيت يقدمون له الكأس أو يقدم صاحب الدار لضيافة الكأس ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ * عَيْنًا﴾ هذه العين هم يفجرونها تفجيراً ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ وهنا الذات والصفات والأفعال، الشراب هنا من هذا الكأس الذي مزاجه الكافور هو في مرحلة الأفعال هو في تحلي الأفعال هو في عالم الأفعال لذلك يفجرونها تفجيراً ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ طبعاً إذا أردنا أن نرجع إلى كتاب الكافي الشريف، هذا

هو الجزء الثاني من كتاب الكافي الشريف الرواية عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام، عن إمامنا موسى بن جعفر - في قول الله عزَّ وجل: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ - ما هو هذا النذر؟ ماذا يقول إمامنا الكاظم - قال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الذي أخذ عليهم من ولايتنا - فهل أخذت العهود بالولاية عليهم على نفس أصحاب الولاية؟ لذلك قلت بأن هذه العين يشرب بها عباد الله هم أشياعهم أوليائهم ﴿يُنَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ آيات القرآن لها أفاق، هذه كلمة الإمام موسى بن جعفر، في قول الله عزَّ وجل ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الذي أخذ عليهم من ولايتنا - النذر هنا في وجه من وجوهه ولاية علي وآل علي ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب من؟

صحيح قال المفسرون على حب الله ولكن بحسب القواعد في لغة العرب الضمير يعود على الأقرب فلا يوجد ذكرٌ لله هنا بحسب هذه القاعدة الضمير يعود على الأقرب ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ ويُطعمون الطعام على حب الطعام، الضمير يعود إلى الطعام لا يعني أن المعنى الأول ليس صحيحاً، الآيات لها أفاق متعددة ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب الله إنما يفهم التقدير هنا من جملة المضامين ومن جملة الموضوع، العرب في كثيرٍ من الأحيان تحذف الأسماء أو تحذف الكلمات التي حينما تُحذف يوجد هناك من الآثار المعنوية أو من الآثار اللفظية الذي يدل على حذفها ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب الله، ولكن لو أردنا نحن والألفاظ الظاهرة فإن الضمير يعود على الأقرب، وأقرب الأسماء إلى الضمير هو الطعام في الآية ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حب الطعام، وفي ذلك إشارة إلى ما قاله سيد الأوصياء فإنه ما رأى شيئاً ألا ورأى الله قبله وبعده ومعه وفيه وتلك هي الإحاطة، هذه الآيات تتحدث عن معنى عميق ولكن كل ذلك في أفق الأفعال، ثم تأتي الآية فتقول ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ والنصوص واضحة في الكتاب وفي الروايات هم وجه الله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أنا لا أنفي المعاني الظاهرية، إن قوماً آمنوا بالظاهر كما تقول الروايات وكفروا بالباطن فما كانوا على شيء، وإن قوماً كذلك كفروا بالظاهر وآمنوا بالباطن قادهم ذلك إلى الضلال ما كانوا على شيء أيضاً، وإنما الإيمان إيماناً بظاهرٍ وباطن هكذا نخاطب الأئمة في زيارتهم: إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم بسرکم وعلانيتكم. هناك أفاق السر وهناك أفاق العلانية، وهناك أفاق الظاهر

وهناك أفاق الباطن ﴿ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لُوجِهَ اللَّهِ ﴾ فوجه الله يُطَعِمُ لوجه الله، ولا غرابة في ذلك، لو رجعنا إلى القرآن لوجدنا في سورة الأنفال الإشارة صريحةً جليةً ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ إذاً من الذي قتلهم؟ في بدر من الذي خاض غمار الحرب في بدر؟ هل غيرُ علي! ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ إذاً من الذي قتلهم؟ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ من الذي قتل وقتل وقتل في بدر ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ الخطاب لنبينا حين أخذ حفنة من الحصباء حفنة من التراب ورماها في وجوههم وقال شأهت الوجوه الحادثة المعروفة ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ إذاً من الذي رمى؟ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ وما رميت هنا نفي، إذ رميت إثبات، ولكن الله رمى تحويل، وما رميت هنا الآية تنفي أنه رمى، إذ رميت تُثَبِّتُ أنه رمى، ثم تُحوّل المعنى يتجلى بشكل آخر ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ هذا عليّ هنا ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ هذا مُحَمَّدٌ هنا ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾، ﴿ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لُوجِهَ اللَّهِ ﴾ فوجه الله يُطَعِمُ لوجه الله، المعاني دقيقة جداً وأنا الحقيقة لا أريد أن أطيل الوقوف أكثر في هذه المطالب فقط أردت أن أشير إشارات سريعة لأنني إذا بقيتُ أتبع هذه الإشارات في الكتاب الكريم فذلك سيحتاج إلى وقتٍ طويل. فهذا الشراب الأول ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ هذا في مرحلة الأفعال.

الشراب الثاني وهو في مرحلة الصفات ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ الزنجبيل أكثر نقاءً وأكثر رقة وشفاءً من الكافور ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ العين ليست لهم، لعباد الله يفجرونها تفجيراً، شربوا كأساً مزاجها كافوراً، وشربوا كأساً مزاجها زنجبيلاً ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ ﴾ هم يشربون، هنا ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا ﴾ الأبرار يشربون في مرحلة الفعل هم يفعلون، الأفعال صادرة منهم، لكن في مرحلة الصفات هناك تجلي، تجلى الله فيهم ولذلك يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا، في مرحلة الأفعال ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ ﴾ هم يشربون، في مرحلة الصفات ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا ﴾ هناك تجلي ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿ هُنَا تَأْتِي الْآيَةُ فَتَقُولُ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ وهذا هو المعنى الذي أشارت إليه الآية ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ

إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿﴾ المُلْكُ العظيم ما هو؟ الإمامة الكونية إمامة الفيض وهذا واضح في روايات أهل البيت ﴿﴾ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿﴾ فهنا في مرحلة تحلي الصفات في ذواتهم في حقائقهم جاء الحديث عن المُلْكِ الكبير فلَمَّا تحلت فيهم الأسماء الحسنى فاضت الأسماء الحسنى من مراتهم الكبرى فكان المُلْكُ الإلهي - اللهم إني أسألك من مُلْكِكَ بِأَفْخَرِهِ - في دعاء البهاء - من مُلْكِكَ بِأَفْخَرِهِ - هذا المُلْكُ الأفخر هو هذا المُلْكُ الكبير ﴿﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿﴾ . هنا تأتي المرتبة الثالثة وهو مرتبة ذواتهم لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك ﴿﴾ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿﴾ سقاهم ربهم، الآية السابقة يُسْقُونَ، هو أيضاً يُسْقُونَ من الذي يسقيهم؟

الله يسقيهم ولكن يُسْقُونَ لأنه تجلي في مرتبة من مراتب التحلي، أما حينما يكون الفناء هو بنفسه يأتي التعبير، التعبيرات تُقَرَّبُ المعنى لا تتحدث عن الحقائق ﴿﴾ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿﴾ شراب وطهور، والطهور هو الطاهر في نفسه المطهَّرُ لغيره، فأَيُّ شرابٍ هذا؟ وأيُّ طهورٍ هذا؟ الله أنتم يا آل مُحَمَّدٍ ﴿﴾ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿﴾ إلى أن تقول السورة ﴿﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكُرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿﴾ هذه تذكرة لنا ﴿﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكُرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿﴾ ابحثوا عن سبيلٍ يوصلكم إلى ربكم ﴿﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكُرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿﴾ والسبيلُ نحن قد شخَّصناه وعرفناه حينما نقرأ في دعاء الندبة الشريف ونحن نخاطب إمام زماننا: أين السبيل بعد السبيل. السبيل واضح لديكم، ثم تقول هذه الآية وهي الآية الثلاثون ﴿﴾ وَمَا تَشَاوُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿﴾ في الروايات الشريفة هذه الآية تخاطب مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ الخطاب هنا لآل مُحَمَّدٍ ﴿﴾ وَمَا تَشَاوُرُونَ ﴿﴾ يعني أن مشيئتهم مشيئة الله، وأن مشيئة الله مشيئتهم، وأنهم مظاهر مشيئة الله، وأن مشيئتهم متفرعة عن مشيئة الله ﴿﴾ وَمَا تَشَاوُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿﴾ المشيئة أولاً لله، وهذا هو المعنى الذي جاء في الرواية في الكافي الشريف - أول ما خلق الله المشيئة بنفسه - فهذا هو ما يشاءه الله - ثم خلق الأشياء بالمشيئة - فذلك ما صدر عن المشيئة وهم المشيئة ﴿﴾ وَمَا تَشَاوُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿﴾ هذا بعض شيءٍ عشناه في فناء هذه السورة الشريفة سورة الدهر، ربما لو سححت لنا فرصة لشرحت وفسرت بقية الآيات في هذه السورة

الكريمة المباركة لكنني أكتفي بهذه الومضات باعتبار أن الكلام هنا في شرح وفي توضيح معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، من كل ذلك يتضح لنا:

أولاً: أن الأبرار في أصل المعنى هم، كما في سورة الإنسان في سورة الدهر، وقد ظهرت لنا بعض التلويحات من خلال هذه الآيات، من خلال هذه الومضات، وأنهم هم عناصر الأبرار وتجلت لنا بعض شيء من المعاني من خلال الروايات التي تلوتها على مسامعكم من بصائر الدرجات أو من الكافي الشريف. بعد ذلك تأتينا الزيارة فتقول: **وَعَنَّاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ**. الدعائم جمعٌ لدعامة والدعامة في الغالب تستعمل في البناء، ما يُدعم فيه البيت، والعرب قديماً كانوا يسكنون الخيام، العمود الكبير الذي يكون أساساً لثبات الخيمة هو هذا الدعامة، الدعامة ما يدعم به البناء، ما تُدعم به الخيمة، ما يُدعم به الفسطاط، الدعامة هي كل شيء يتوقف على وجودها وجود شيء آخر بحيث لا يمكن أن يثبت إلا بوجود هذه الدعامة - **وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ** - أما الأخيار فهي جمعٌ لخيرٍ، والخير هو الذي يؤمل صدور الخير ويؤمن صدور الشر منه هو هذا الخير، الأخيار جمعٌ لخيرٍ والخير الذي تصفه الروايات بأنه مأمول الخير مأمون الشر، نتأمل خيره ونتوقع خيره ونستبعد صدور الشر منه فنأمن منه من هذه الجهة - **وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ** - الأخيار إنما قيل لهم أخيار لأنهم قد تلبسوا بصفة الخيرية، فحين قلنا الأخيار نظرنا إلى هذه الجهة إلى جهة الخيرية، حينما نصف موصوفاً بوصف ونوجه النظر إلى ذلك الوصف يعني أن المقصود الأول عندنا في الكلام هو هذه الجهة، فحين نقول الأخيار فإن النظر متوجه إلى الخيرية فيهم، إلى الخيرية الظاهرة الساطعة فيهم، فحين أقول - **وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ** - أي أن هذه الدعائم هي أساس الخيرية عند هؤلاء الأخيار، حين أقول أخيار فإن نظري مصوبٌ إلى خيريتهم، وحين أقول دعائم الأخيار فإن نظري مصوبٌ إلى أن هذه الدعائم هي أساس الخيرية، من دون هذه الدعائم فلا خيرية عند هؤلاء الأخيار، وأعتقد أن المعاني التي بينتها في معنى عناصر الأبرار تتعاقد مع هذا المعنى.

هم أصل البر في الأبرار وهم كذلك دعامة الخير في الأخيار، قد يتجلى هذا المعنى أكثر وأجلى وأبين حين أتصفح الروايات الشريفة والآيات الكريمة، إذا بقي عندنا وقت سأذهب إلى الكتاب الكريم وسأسلط الضوء على بعض الآيات، وإذا تم وقت البرنامج فإن شاء الله في وقتٍ آخر قد أتناول هذه المعاني والمضامين، بالنتيجة ستأتينا الكثير من المطالب والتي تتعاقد في المعنى مع هذه المعاني، لكنني أقوم بجولة في أحاديث أهل البيت وهذا هو الجزء الرابع والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رحمة الله عليه، أقرأ على مسامعكم هذه الرواية:

الرواية: عن محمد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله، يعني كان من مواليه، يعني كان خادماً عنده -

عن محمد بن سليمان الديلمي مولى ابي عبد الله، عن سليمان قال: سألت أبا عبد الله - سليمان أبوه - عن محمد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله عن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى﴾ - سدرة المنتهى التي جاء ذكرها في القرآن في سورة النجم أو التي جاء ذكرها في زيارات أهل البيت أو التي جاء ذكرها في الأحاديث المروية عن النبي الأعظم والأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بالنتيجة السؤال عن سدرة المنتهى - قال الإمام: أصلها ثابت وفرعها في السماء، ثم قال: رسول الله صلى الله عليه وآله جذرها - هو الأصل، هو الدعامة، هو الأساس - فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله جذرها وعليّ عليه السلام ذروها - يعني أعلاها - وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها - المراد من ذروها أعلاها، يعني الساق الذي نبت على الجذر هذا المراد - وفاطمة فرعها - الفروع الخارجة من الساق - والأئمة أغصانها - الفروع التي خرجت من الفرع الكبير في هذه الشجرة - وشيعتهم أوراقها - الورق الذي يتفرع عن الأغصان، قال عن سدرة المنتهى - أصلها ثابت وفرعها في السماء، ثم قال: رسول الله صلى الله عليه وآله جذرها وعليّ عليه السلام ذروها وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها وشيعتهم أوراقها، قال: قلت: جعلت فداك فما معنى المنتهى؟ قال: إليها والله انتهى الدين من لم يكن من الشجرة فليس بمؤمن وليس لنا شعبة - لأن هذه الشجرة هي الدعامة، أصلها ثابت، فرعها في السماء، رسول الله جذرها، عليّ ساقها، فاطمة فرعها، الأئمة أغصانها، شيعتهم أوراقها، هذه الأوراق أين هي قائمة؟ أين ثابتة؟ دعامة هذه الأوراق على الأغصان، ودعامة الأغصان على الفروع الكبيرة، والفرع دعامة على الساق، والساق دعامة على الجذر - جعلت فداك فما معنى المنتهى؟ قال: إليها والله انتهى الدين من لم يكن من الشجرة فليس بمؤمن وليس لنا شعبة - فالشجرة هي دعامة هذا الدين، هي دعامة هذه الخيرية، حين نقول أنهم دعائم الأخيار، هذه الخيرية بأي شيء تقوم؟ تقوم بهذه الرابطة المعنوية التي أساسها تلك العناصر، تلك الطينة المخزونة المكنونة عند العرش والتي كانت منها قلوب المحبين ولهذا السبب تحن إليهم، تحن وتعود وتريد الرجوع إليهم، وهذا هو معنى حب الوطن من الإيمان، هم وطننا الذي تحنُّ إليه، وهم أصلنا الذي نؤوب إليهم وإياب الخلق إليكم، إياب إلى الوطن، إياب إلى الأصل.

في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من الأصول، نمر مروراً سريعاً على طائفة من النصوص تصب في هذا المعنى، الرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله عليه في قول الله عزَّ وجل: ﴿وَالْوَاوِسْتَقَامُوا عَلَيَّ الطَّرِيقَةَ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ماءً غدقاً، الماء الغيداق هو الماء الصافي، الماء الطاهر، الماء العذب المتفجر

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ كما مر علينا في سور الدهر ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، ﴿وَالْوَاسِقَاتُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُنَّ مَاءً غَدَقًا﴾ يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي ولاية علي بن أبي طالب والأوصياء عليهم السلام. ﴿وَالْوَاسِقَاتُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُنَّ مَاءً غَدَقًا﴾ لأشربنا قلوبهم الإيمان - وهل الخيرية إلا هذا؟! حينما نقول الأخيار يعني أن الخيرية قد أشربت فيهم قد دخلت فيهم، قد تشربت في قلوبهم، فواحدهم مأمول الخير مأمون الشر - لأشربنا قلوبهم الإيمان والطريقة ﴿وَالْوَاسِقَاتُ عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ والطريقة هي ولاية علي بن أبي طالب والأوصياء - هذه كلمات الباقر، وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، يكفيننا ويكفيكم إن شاء الله تعالى، أحاديث آل مُحَمَّد تكفيننا للدنيا وللاخرة.

رواية أخرى - عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى - كله قرآنٌ وعتره، هنياً لنا ونحن نعيش أجواء القرآن والعتره، كله هذا قرآنٌ وعتره ما بين القرآن وما بين العتره، فهل هناك من موطنٍ آخر نبحت فيه عن الحق والهدى؟ الحق والهدى هنا ما بين القرآن والعتره، صموا أسماعكم عن كل صوتٍ لا يصدر من القرآن والعتره، صموا أسماعكم، طهروا أسماعكم، طهروا قلوبكم بصوت القرآن والعتره، لأن صوت القرآن والعتره ولا أعني به صوتي أبداً لا والله وإنما أقصدُ صوت مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، أقصد صوت الله في القرآن، وأقصد صوت مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في حديثهم، هذا الصوت يحتاج إلى وعاءٍ طاهر، أنت حينما تأتي بماءٍ بلبنٍ كي تشربه عند إفطارك فهل تذهب إلى آنيةٍ وسخة أو آنية نجسة تضع فيها هذا الشراب؟! قطعاً تبحت عن إناءٍ نظيفٍ إناء طاهر تضع فيه الشراب، تضع فيه هذا العصير، هذا اللبن، هذا الماء، كي تسقي ظمأك عند وقت الإفطار تضع هذا الماء البارد في إناءٍ نظيفٍ، ولربما تتألق فتأتي بإناءٍ زجاجيٍ شفافٍ كي تلمح فيه صفاء الماء وقطع الثلج وهي تتحرك فيه لتلمس جمال الماء وعضوبة الماء في شكله قبل أن تتناوله، كما يقول صاحب بن عباد رضوان الله تعالى عليه من شعراء الشيعة المبدعين:

قَعْقَعَةُ الثَّلْجِ بِمَاءٍ عَذْبٍ تُخْرِجُ الهم من أقصَى القلبِ

يعني حين ترى الثلج في هذا الماء فأنت تحتاج إلى إناءٍ، وأنتم في هذا الجو الحار يا شيعة علي في بلاد الرافدين، في هذا الجو الحار الخانق تبحثون عن ماءٍ عذبٍ في إناءٍ عذبٍ، في إناءٍ نظيفٍ، في إناءٍ طاهرٍ، وهذا الحديث حديث آل مُحَمَّد هو هذا الماء العذب يحتاج إلى أسماع نظيفة، يحتاج إلى قلوب نظيفة.

عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾ -
واحدة فقط، أنا أعظمكم بشيء واحد فيه نجاتكم، فيه سلامتكم، فيه مستقبلكم، فيه كل خير لكم،
لعوائلكم لأولادكم ﴿إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾ فقط واحدة، ماذا يقول باقر العترة؟ - فقال: إنما أعظمكم
بولاية عليّ هي الواحدة التي قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾ - لأنها هي الدعامة،
دعامة الخيمة واحدة، دعامة البيت واحدة، هي دعامة الحقيقة - ﴿إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾ قال: إنما
أعظمكم بولاية عليّ هي الواحدة - هي الواحدة التي فيها نجاتنا لا في غيرها ﴿إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ﴾
قال ولاية عليّ هي الواحدة، هي هذه الدعامة، الخيرية من هنا تأتي، الخيرية لن تتدعم إلا بهذه الواحدة،
الروايات والأحاديث كثيرة جداً وإني والله أقتطف منها نماذج لأنني إذا أردت أن أفي الموضوع بكامله
فلا بد أن أقرأ كل هذه الصفحات، لكنني أقتطف نماذج من هنا ومن هناك، وفي بعض الأحيان تصيبي
الحيرة لكثرة النصوص، فأبني النصوص أختار! النصوص كثيرة والكثير منها يحتوي على عظيم المعاني،
وإني والله يؤذيني أن يكون من شيعة أهل البيت أن يعيش يعيش وهو لم يكن قد سمع بكل هذه
المعاني وبكل هذه الحقائق، وربما يموت ويذهب وهو خالي الوفاض من كل هذه الحقائق.

الرواية عن صادق العترة في قوله عز وجل: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً﴾ -
هناك عقبة هذه العقبة إذا تجاوزتها قد فككت رقبتك ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ فك رقبة من أي شيء؟ فك رقبة
من الضلال، فك رقبة من الخسران، فك الرقبة هو عتق الرقبة، هذه العقبة إذا تجاوزتها فقد تخلصت من
عبودية الهوى من عبودية الدنيا من عبودية الطواغيت ولكن إذا كانت بمعناها الحقيقي - في قوله عز
وجل: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً﴾ - إمامنا الصادق يقول - يعني بقوله - الله
يعني بقوله: فك رقبة - ولاية أمير المؤمنين فإن ذلك فك رقبة - هذه العقبة إذا ما تجاوزناها فقد
فكّت الرقاب، ولا تُفكُّ الرقاب حقيقة إلا بولاية عليّ صلوات الله وسلامه عليه، ونحن في هذه الأيام في
أيام شهر رمضان نلح في الأدعية على أن تُفكَّ الرقاب، أن تُفكَّ رقابنا من نار جهنم، شهر رمضان الشهر
الذي تُفكُّ فيه الرقاب، فكُّ الرقاب الحقيقي في التمسك بعليّ وآل علي، فكُّ الرقاب الحقيقي في أن
نعرف مقامات عليّ وآل علي.

الرواية عن صادق العترة أيضاً في قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي بشارة

هذه؟ ما أعظم هذه البشارة: ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ماذا يقول إمامك الصادق - قال: ولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه - من هنا تعرفون لماذا هذه الحملات الكبيرة والكثيرة، ولما هذا التشويه بكتاب الكافي الشريف، ودوماً يرددون بأن الكافي فيه غثٌ وسمين، هذا هو الغث الذي يقصدونه، الغث الذي يقصدونه هو هذا، إذا كان هو هذا الغث فوالله ما أحلى هذا الغث، فليأخذوا هم لهم السمين نحن لا نريد السمين، إذا كان هو هذا الغث الذي يقصدونه فوالله هو هذا الغث الذي نحن لا نريد سواه.

وأما عن هوى ليلي وتركي زيارتها فأني لا أتوب

﴿بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: ولاية أمير المؤمنين.

ورواية أخرى: عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق - بولاية علي وآل

علي - ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق - صلوات الله

عليكم سادتي، ورضوان الله تعالى عليك شيخنا أبا جعفر الكليني، رضوان الله تعالى عليك ونور وجهك بولائك لعلي وآل علي وصبب الله تعالى شآبيب رضوانه ورحمته وقدسه على ثراك الطاهر يا أبا جعفر، الحديث طويلٌ وطويل وطويل ومهما طولنا وعرضنا فإننا لا زلنا على الشواطئ لأن البحر هذا الذي نريد أن نخوض فيه هذا بحر علي ومن ذا الذي يقدر على أن يخوض في بحر علي.

نماذج من روايات وأحاديث أخرى توضح لنا شيئاً من المعنى، هذا هو الجزء الثالث والعشرون من بحار

الأنوار الشريف، والرواية عن سعد بن طريف - عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وآله: يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط - لأي شيء؟

حتى لا يجوز الأشرار، فقط الأخيار، نحن بصدد بيان معنى ودعائم الأخيار، لماذا يقعد مُحَمَّدٌ وعليٌّ

وجبرئيل على الصراط؟ كي لا يجوز الأشرار فقط الأخيار، فهم دعائم الأخيار في كل طبقات الوجود - يا

علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط ولم يَجْزُ أحد - لا يجوز أحد، لا يعبر

- ولم يَجْزُ أحد إلا من كان معه كتابٌ فيه براءةٌ بولايتك - صك، لا بد من وجود صك، هذه هي

بوليصة التأمين، فلنؤمن على ديننا، ولنؤمن على حياتنا وعلى مستقبلنا - ولم يَجْزُ أحد إلا من كان معه

كتابٌ فيه براءة بولايتك - صك الولاية العلوية.

الرواية: عن مُحَمَّد بن المثنى الأزدي أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن السبب بينكم وبين الله عزَّ وجل - والسبب أيضاً تعطي معنى الدعامة - نحن السبب بينكم وبين الله عزَّ وجل.
ورواية: عن عبد الله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر صلوات الله عليه فقال كلاماً - إلى أن ذكر هذا الكلام أنا أقتطف هذه السطور، كان سؤال عن الحسن البصري - فالإمام قال: فليذهب الحسن - يعني الحسن البصري - فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا - الإمام يشير إلى هذا البيت إلى بيت مُحَمَّد وآل مُحَمَّد - فليذهب الحسن يميناً وشمالاً - في رواياتٍ أخرى صرحت الرواية بأن الإمام أشار إلى صدره - فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا - إلا في صدور الباقر والصادق - وكان عليه السلام يقول: محنة الناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا - لأنه لا توجد دعامة للأخيار إلا هم - محنة الناس علينا عظيمة - في رواية أخرى بلية الناس - إن دعوناهم لم يجيبونا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.

عن بُريدٍ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بنا عُبد الله وبنا عُرف الله وبنا وُحِد الله ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله حجاب الله - حجاب الله يعني فيما بين الخلق وبين الله.
عن الشمالي عن أبي جعفر مُحَمَّد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال: من دعا الله بنا أفلح ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك - هم الدعامة، هم السبب، هم الواسطة، هم الوسيلة - من دعا الله بنا أفلح ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك.

هذه الرواية عن أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه، عن رافع مولى أبي ذر، مولى يعني خادم كان خادماً لأبي ذر - عن رافع مولى أبي ذر قال: رأيت أبا ذر رحمه الله أخذ بحلقة باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني أنا جندب الغفاري ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قاتلني في الأولى - قاتلني في الأولى يعني في أيام رسول الله - وقاتل أهل بيتي في الثانية - يعني في زمان سيد الأوصياء وفي زمان الإمام الحسن - حَسْرَهُ الله في الثالثة - يعني في زمان إمام زماننا الحجة بن الحسن - مع الدجال - أبو ذر الغفاري يقول - سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قاتلني في الأولى - في زمان النبي - وقاتل أهل بيتي في الثانية - في زمان عليّ وسبط رسول الله الإمام الحسن - وقاتل أهل بيتي في الثانية حَسْرَهُ الله في الثالثة - في أيام إمام زماننا - مع الدجال، إنما مثَلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوحٍ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثَلُ بابِ حِطَّةٍ من دخله نجا ومن لم يدخله هلك - وأعتقد أن هذا الحديث وأمثاله معروفٌ

وواضح وصريح في الدلالة والمعنى.

هناك رواية ينقلها شيخنا الطوسي بإسناده عن الإمام الصادق - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا ميزان العلم وعليّ كفتاه والحسن والحسين حباله وفاطمة عُلّاقته والأئمة من بعدهم يزنون المُحِبِّين والمبغضين الناصبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - والأئمة من بعدهم يزنون المحبين بهذا الميزان - قال: أنا ميزان العلم وعليّ كفتاه والحسن والحسين حباله وفاطمة عُلّاقته - العُلّاقَة هي التي تكون السبب في توازن الميزان - والأئمة من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين الناصبين الذين عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - الروايات كثيرة، وهذه آخر رواية أتلوها على مسامعكم وهي مسك الختام وهي تجمع بين المعنيين بين معنى عناصر الأبرار ودعائم الأخيار، فنحن في هذه الحلقة قد تحدثنا في معنى عناصر الأبرار ودعائم الأخيار.

الرواية: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن ابي طالب: يا عليّ أنا مدينة الحكمة وأنت بابها ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغضك لأنك مني وأنا منك، لحمك من لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك سريرتي وعلانيتك علانيتي - وهذا هو العنصر، هذا هو الأصل الصافي الذي لا تشوبه شائبة، العنصر هو الأصل البسيط، لماذا لا تشوبه شائبة؟ ليس مركباً - لحمك من لحمي، دمك من دمي، روحك من روحي، سريرتك سريرتي وعلانيتك علانيتي وأنت إمام أمّتي وخليفتي عليها بعدي سعد من أطاعك - هنا دعائمهم للأخيار - سعد من أطاعك وشقي من عصاك وريح من تولاك وخسر من عاداك وفاز من لزمك وهلك من فارقك مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثلك سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثلكم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة - الرواية واضحة والمعاني صريحة وجليّة وبينة.

لا المعاني تنتهي ولا أحاديث أهل البيت تنتهي ولا مقامات أهل البيت تنتهي.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُرَّانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ، وَعَنَّاصِرِ الْأَبْرَارِ،
وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ.

وَأَنْتُمْ يَا شَيْعَتَهُمُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَسْأَلُكُمْ الدَّعَاءَ جَمِيعاً وَفِي أَمَانِ اللَّهِ.

الحلقة الثالثة عشر

معنى وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ

كلامنا متواصل في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، أقول أسعد الله أوقاتكم وتقبل الله أعمالكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصل بنا الكلام في هذه الزيارة الشريفة إلى قوله عليه السلام: **وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ**. وهذان العنوان متعانقان أيضاً كما مر في العناوين السابقة، مرّ علينا الكلام مثلاً في قول الزيارة: **وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النَّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ**. كل هذه العناوين كانت متعانقة فيما بينها، هذان العنوانان متعانقان أيضاً فيما بينهما - **وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ** - ما المراد من الساسة؟

في لغة العرب الساسة جمعٌ لسائس والسائس قد تأتي بمعنى القائد وهنا لا يُقصد هذا المعنى فقد مرّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة - **وَقَادَةَ الْأُمَمِ** - والسائس أيضاً تأتي بمعنى المُدَبِّرِ المُرَبِّي، والمراد من الساسة هنا هو هذا المعنى - **وَسَاسَةَ الْعِبَادِ** - هم المدبرون لأمر العباد المربون لهم، الراعون للعباد وأمورهم، العباد جمعٌ لعبد والعبد هو المملوك الذي يملكه سيده، وكما تقول الروايات العبد وما في يده لمولاه - **وَسَاسَةَ الْعِبَادِ** - المُشار هنا في هذا العنوان من الزيارة الجامعة الكبيرة إلى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في العباد، وتدير أمور العباد إنّما ذكر بهذا العنوان في الزيارة بعنوان سياسة العباد فالعباد هم المظهر الأجلّي من المخلوقات التي يسوسها مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ، وسياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ للعباد لها مظاهر ومراتب وهذا ما سأأتي على بيانه.

نلقي نظرةً إجمالية على بعض من آيات الكتاب الكريم فنذهب إلى سورة القلم، في الآية الرابعة الخطاب للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أنا لست هنا في مقام شرح هذه العبارة، هذه الكلمة التي لا تستطيع لغة العرب بكل ما فيها أن تشرح معناها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وإنّما نفهم من معانيها ما يرشح في فناء الآيات، الآية هنا تتحدث عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وآله، والمراد من الخُلُقِ الجنبية النفسية والجنبية العملية التي تكون جهة ارتباطه بالمخلوقات، الأخلاق ما هي؟ الأخلاق هي التصرفات، التصرفات الفعلية والقولية التي تنشأ من حالة نفسية، الإنسان حينما يصدق في

قوله فهو يتصرف بتصرف فعلي وقولي لكن هذا الصدق منشئه من أين أتى؟ منشأ الصدق في نيته الداخلية، هو صادقٌ فيما بينه وبين نفسه، في داخله صدق هذا الصدق يُترجمُ إلى قولٍ وإلى فعلٍ في الحياة، فالأخلاق هي جنبه قولية وفعلية منشئها ومردّها إلى جذورٍ نفسية إلى جذورٍ معنوية في باطن خلجات النفس البشرية، وهي الجهة التي يتعامل بها الإنسان أو يرتبط بها الإنسان مع غيره، خُلِقَ الإنسان ليس فقط مع الإنسان حتى مع الحيوان حتى مع الجماد، كيف يتعامل الإنسان مع الجماد، كيف يتعامل الإنسان مع البيئة التي يعيش فيها، كيف يتعامل الإنسان حتى مع الحيوانات، لكن المنظور بالدرجة الأولى هو تعامل الإنسان مع الإنسان، كيف يتعامل الإنسان مع الله وهذا أيضاً من مراتب خُلُقِ الإنسان في التعامل مع الله.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخُلُقُ العظيم بالدرجة الأولى مع الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى يصف نبيه بأنه على خلق عظيم حين يتعامل مع الله، فالنبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رسول والرسول له جهة يتعامل بها مع مُرسله، وله جهة يتعامل بها مع من أُرسِلَ إليه، وله جهة يتعامل بها مع نفس الرسالة، هناك مُرسِلٌ وهو الله وهناك رسالة يحملها الرسول وهناك جهة أُرسِلَ إليها الرسول، حينما يخاطبه الباري ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخُلُقُ العظيم مع الله مع الرسالة مع الذين أُرسِلَ إليهم، وهذه هي مادة السياسة، هذه هي المادة التي يسوس مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ بها العباد ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ الخُلُقُ العظيم هو مادة هذه السياسة، سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ مادتها وطينتها وجوهرها هو هذا المعنى الذي جاء في هذه الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا المعنى لم يتجلى لنا ولم يتجلى لكل الكائنات بتمام حقيقته، لماذا؟ لأن كل الكائنات دونهم في الفضل، وإمّا هم يتعاملون مع الكائنات بحسب حاجة الكائنات، يتعاملون مع العباد بحسب حاجة العباد، هذه الآية حاكمةٌ على كل المعاني التي جاءت في الكتاب الكريم تحدثنا عن أخلاق رسول الله، هذه الآية هي الآية الحاكمة، هي الآية العليا التي لها اليد المبسوطة على سائر الآيات الأخرى، مثلاً ما جاء في سورة آل عمران، الآية التاسعة والخمسون بعد المئة وهي تخاطب النبي الأعظم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنفَضُّوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ كل هذه مظاهر سياسة النبي مع أمته مع أصحابه مع العباد، ولكن هذا المعنى هو داخلٌ في تلكم الآية، الآية معناها أوسع، الآية في سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه هي الآية الحاكمة،

كل هذه المعاني داخله في جوف تلکم الآية ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا﴾ الفظ هو القاسي الشديد، الفظ هو الجافي ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فاعف عنهم، استغفر لهم، شاروهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل، وما كنت فظاً وما كنت غليظ القلب وإنما كنت معهم في غاية الرحمة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ كنت ليناً وكلمة النبي الأعظم تصك مسامعنا دائماً تتردد في أذاننا دائماً: ما كان الرفق في شيء إلا زانه. الرفق هو اللين، هذا شعار من أهم شعارات رسول الله صلى الله عليه وآله في سياسته للعباد - ما كان الرفق في شيء إلا زانه - إلا زانه يعني إلا زينته، جملة، حسنة.

كذلك ما يأتي في الآية الثامنة والعشرين بعد المئة من سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ما عنتم ما أصابكم من العنت وهو الشدة والتعب والكد والألم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه مصاديق، مظاهر، صور من سياسة النبي الأعظم وهي سياسة علي وآل علي، هذه هي سياسة محمد وآل محمد لكنها تمت إلى تلکم الآية الكبيرة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه الأوصاف إن كان في آية سورة آل عمران ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعز عليه أن يصيبكم الألم، أن يصيبكم الأذى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ الحرص الذي يكون فكره مشغولاً بكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا الحرص وهذه الرأفة وهذه الرحمة كلها من مصاديق الخلق العظيم، لكن تبقى آية سورة القلم هي الآية الحاكمة والآية الوسيعة. كما قلت في أول حديثي بأن اللغة العربية بكل اشتقاقاتها وبكل قواميسها، وبكل بلغاتها لن تستطيع أن تتحدث عن جانب يسير من تلکم الآية، الله هو الذي يصفها بالعظمة، الله سبحانه وتعالى هو الذي وصف هذا الخلق بالعظمة، الشيء الذي يصفه الله سبحانه وتعالى بالعظمة هل تستطيع اللغات والألسنة وهل يستطيع مثلي وأمثالي أن يكشفوا عن حقائق هذه العظمة؟! حقائق هذه العظمة؟!!

وأيضاً ما جاء في سورة الجمعة في الآية الثانية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ هذه صورة أخرى، مظهر آخر من سياسة العباد، من السياسة المُحَمَّدِيَّة، هذه هي السياسة المُحَمَّدِيَّة يا سائلاً عن سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، هذه سياسة عليٍّ وآل عليٍّ، ليست السياسة الأكاذيب والاحتيال، ليست السياسة التزوير، ليست السياسة الوعود الكاذبة، ليست السياسة أن تجمع الأموال وأن تكس الذهب والفضة، السياسة هي هذه سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كل هذه مظاهر ومصاديق لهذه الآية في سورة القلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا الخُلُق العظيم هو مادة السياسة، مادة السياسة هذه هي سياسة الخلق طراً، وإنما جاءت الزيارة تتحدث عن العباد عن البشر بنحو خاص، وإن كان الملائكة من العباد والجان من العباد لكن المتبادر إلى الأذهان دائماً والسبب في ذلك أن الإنسان ناظرٌ إلى نفسه فقط مشغولٌ بحاله وهذا نتيجة ضعفه ونتيجة جهله ونتيجة محدودية عقله ونتيجة ضيق الأفق الذي يعيش فيه، الإنسان دائماً مشدودٌ إلى نفسه كما قال صلى الله عليه وآله: صاحب الحاجة أعمى لا ينظر إلا إلى حاجته. والإنسان حاجته نفسه، يسعى دائماً ويدور حول نفسه فلذلك لا يرى إلا نفسه، فهو أعمى، أعمى عن الحقائق لا يرى إلا نفسه، ولو ادعى بعضنا بأنه يرى شيئاً خارج نفسه فإتماً يرى ذلك على سبب العشو فهو يعشو، يراها أشباحاً من بعيد لأننا ننظر إلى الدين من خلال أنفسنا، وحتى ننظر إلى الله من خلال أنفسنا، وننظر إلى كل شيءٍ من خلال أنفسنا، قطعاً هذا لا يتعارض مع المعنى الكبير الذي أشارت إليه الأحاديث من عرف نفسه فقد عرف ربه أنا لا أتحدث عن هذه الجهة هذه الجهة الواسعة في النفس الإنسانية

أترجم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

من عرف نفسه فقد عرف ربه، تلك الجهة الأوسع الحديث ليس هنا عن الجهة الأوسع، حديثي عن الجهة الضيقة، عن الجهة التي نحس أنفسنا دائماً فيها، الدنيا سجن المؤمن، ودنيانا أنفسنا، هذا الحبس المظلم الذي نعيش فيه فلا ننظر إلى الأشياء إلا من خلال أنفسنا، الناظور الذين ننظر فيه إلى الأشياء حتى إلى الله سبحانه وتعالى من خلال أنفسنا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه مادة السياسة ولذلك هذا الخُلُق العظيم يتناسب مع الآية الكريمة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا الملك العظيم يحتاج إلى سياسة عظيمة ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ الملك

العظيم يحتاج إلى سياسة عظيمة، والسياسة العظيمة أين هي مادتها؟ مادتها في قول الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذه هي مادة السياسة العظمى والسياسة العظمى هي سياسة ذلك المُلْك العظيم، الله سبحانه وتعالى أتى آل إبراهيم آتاهم الكتاب والحكمة ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلْك العظيم ليس مقصوراً على نفسي وعلى أسرتي وعلى أقربائي وعلى شؤوبي وعلى جمعٍ محدودٍ من البشر، ليس محدوداً على بلدٍ من البلدان أو على مدينة من المدن، هذا المُلْك العظيم ليس محصوراً بشيعة أو بسنة أو بيهود أو نصارى أو بوذيين، ليس محصوراً بياسة وبماء، بشمسٍ أو بقمراً، هذا هو المُلْك العظيم، الله سبحانه وتعالى يصفُ هذا المُلْك بالمُلْك العظيم في الوقت الذي الدنيا بكلها وبكل ما فيها وبكل أسرارها وبكل كنوزها المودعة في باطن الأرض وفي باطن البحار فإنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، أيُّ مُلْك عظيم إذاً؟!!

هذا هو الملك الواسع الذي لا حدود له، والذي نسأل الله سبحانه وتعالى به في دعاء البهاء: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ مُلْكِكَ بِأَفْخَرِهِ** ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ هذا المُلْك الأفخر، هذا المُلْك الأعظم يحتاج إلى سياسةٍ أعظم، السياسة الأعظم أين هي؟ السياسة الأعظم عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ومادتها في هذه الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأنا قلت لا تستطيع عربيّ ولا عربية غيري ولا قواميس اللغة لا في لغة العرب ولا في غيرها أن تتحدث عن جانبٍ يكشف عن نزرٍ يسير من معنى قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ كل الذي أفهمه بكل قدرة الخيال التي أملكها وبكل قدرات التصور التي أملكها وبما عندي من معلومات قليلة في اللغة في أوفي غيرها بكل الإشارات الذهنية، بكل الخطرات القلبية، بكل الخيالات، كل هذه المعاني أجمعها جميعاً وأركمها البعض فوق البعض الآخر كي أتصور شيئاً من بعيدٍ أن هذه الآية تتحدث عن شيءٍ عظيم ما هو؟ لا أدري، وغاية الإدراك أن أدري بأني لست أدري. فالحديث هنا عن مُحَمَّدٍ، لأن هذا الخُلُق كما قلت قبل قليل الخُلُق في الإنسان العادي تصرف قولي وفعلي جذره في القلب، الخُلُق هنا جذره في قلب مُحَمَّدٍ فمن ذا الذي يستطيع أن يعرف ماذا يدور في قلب مُحَمَّدٍ، ثم من ذا الذي يستطيع أن يعرف سعة قلب مُحَمَّدٍ، ذلك القلب الذي قال عنه سبحانه وتعالى: **ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ووسعتني قلب عبدي المؤمن**. أتظن أن هذا القلب هو قلبي وقلبك، قلوبنا هذه التي ملئت بالذنوب والمعاصي، قلوبنا هذه التي أظلمت بالجهل والغفلة، هي هذه القلوب التي وسعت الله؟!!

ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ووسعتني قلب عبدي المؤمن. الكلمة التي تشرح المعنى صريحاً في الأحاديث الشريفة: **قلب المؤمن عرش الرحمن**. يعني أن الرحمن استوى على هذا القلب، الرحمن أليس

هو المستوي على العرش فقلب المؤمن عرش الرحمن، فالرحمن هو المستوي على هذا القلب ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ هذه الرحمة هي صورة، صورة من استواء الرحمانية على قلب مُحَمَّد، بل الرحمانية تتجلى من قلب مُحَمَّد، وقلب مُحَمَّد مرآة الرحمة والرحمانية، وذلك شيء من معنى سياسة العباد، المعاني في هذا العنوان وفي العناوين الأخرى التي مرت علينا تتعاقق وتتسق في كثير من جهاتها.

وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، لا زال الكلام في هذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة، لنبين معنى العباد ثم نعود إلى سياسة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، العباد جمع لعبد ونحن عبادٌ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ونحن عبيدٌ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، والعبودية لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ على مظاهر، هناك عبودية الطاعة، عبودية الطاعة التي جاء ذكرها في هذه الرواية في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، عن مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ الطَّبْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عَلَى رَأْسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخِرَاسَانَ وَعِنْدَهُ عِدَّةٌ مِّنْ بَنِي هَاشِمٍ - مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حِينَئِذٍ تَسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَفِي جَوْ خِرَاسَانَ وَعِنْدَ الْإِمَامِ الرِّضَا فِي الْغَالِبِ يُرَادُ مِنْهُمْ الْعَبَّاسِيُّونَ - وَعِنْدَهُ عِدَّةٌ مِّنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِمْ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَيْسَى الْعَبَّاسِيُّ فَقَالَ: - الْإِمَامُ يَخَاطَبُ إِسْحَاقَ الْعَبَّاسِيَّ هَذَا - فَقَالَ: يَا إِسْحَاقُ بَلِّغْنِي أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّا نَزَعِمُ أَنَّ النَّاسَ عِبِيدٌ لَنَا، لَا وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا قَلْتُهُ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُهُ مِنْ آبَائِي قَالَهُ وَلَا بَلِّغْنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْ آبَائِي قَالَهُ - يَعْنِي أَنَّ الْأَئِمَّةَ مَا قَالُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ النَّاسَ عِبِيدٌ لَنَا - وَلَكِنِّي أَقُولُ النَّاسَ عِبِيدٌ لَنَا فِي الطَّاعَةِ مَوَالٍ لَنَا فِي الدِّينِ فَلْيَبْلِغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ - الَّذِينَ يَعْرِفُونَ لِحْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَيَعْرِفُونَ الطَّرِيقَةَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا الْأَئِمَّةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ تَشَوِّبُهَا التَّقِيَّةُ هِيَ فِي جَوْ مِنْ التَّقِيَّةِ، وَالتَّقِيَّةُ عَلَى مَرَاتِبٍ، الْإِمَامُ هُنَا بَيِّنٌ جَانِبًا وَسَكَتٌ عَنْ جَانِبٍ آخَرَ، الْإِمَامُ هُنَا أَثْبَتَ لَنَا عَبُودِيَّةَ الطَّاعَةِ - وَلَكِنِّي أَقُولُ النَّاسَ عِبِيدٌ لَنَا فِي الطَّاعَةِ - لَكِنِ الْعَبُودِيَّةُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ لَا تَقْفُ عِنْدَ هَذَا الْمَعْنَى، الرِّوَايَةُ هُنَا فِي الْكَاثِبِ الشَّرِيفِ ثَبَّتَ هَذَا الْمَعْنَى، ثَبَّتَ أَنَّ النَّاسَ هُمْ عِبِيدٌ لِأَهْلِ الْبَيْتِ فِي الطَّاعَةِ، هُمْ عِبِيدٌ طَّاعَةٌ.

ولكننا مثلاً نقرأ في الاستئذان لزيارة الأئمة صلوات الله عليهم لزيارة النبي والأئمة، ماذا نقرأ في الاستئذان، هذا الاستئذان موجود في مفاتيح الجنان وها هو بين يدي صفحة 313: اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات - أي عرصات؟ المراد المشاهد المُشْرِفَةُ الْمُكْرَمَةُ ونحن نقف على أبوابهم فنقول - اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات - هناك استعبادٌ - استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا - بأي شيء؟ - بذل العبودية وفرض الطاعة - فهناك عبودية وهناك فرض الطاعة، فرض الطاعة هي عبودية

الطاعة التي أشار إليها إمامنا الرضا في الحديث الذي قرأته على مسامعكم من كتاب الكافي الشريف، معي مع هذا النص المشحون بالمعاني - فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة حتى نُقَرَّ بما يجب لهم من الأوصاف ونعترف بأنهم شفعاء الخلائق - إلى آخر الاستئذان - حتى نُقَرَّ بما يجب لهم من الأوصاف - ما هي هذه الأوصاف التي نُقَرُّ بها ونحن نطلب من الله أن يرسل دموعنا بخشوع المهابة وأن يذل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة، هذه الأوصاف أننا نصفهم هم السادة ونحن العبيد، ما هي هذه الأوصاف التي نُقَرُّ بها؟ هم الموالي ونحن عبيدهم، رحمة الله على الشيخ الحر العاملية وهو يخاطب سيد الأوصياء:

وإني له عبدٌ وعبدٌ لعبدِهِ وحاشاه أن ينسى غداً عبدهُ الحرَّ

موطن الشاهد - وذل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة - الاستئذان هنا يتحدث عن فرض الطاعة وهو عبودية الطاعة، وأما العبودية ما هي؟ فهي المعنى الأوسع، في زيارة سيد الشهداء، في زيارة أبي عبد الله الحسين والزيارة هذه مروية عن إمامنا الصادق وهي من أجمل الزيارات الحسينية، هذه هي الزيارة السابعة في الزيارات المطلقة من زيارات الحسين عليه السلام في مفاتيح الجنان، ماذا نخاطب سيد الشهداء ونحن نقف في حضرته، وأنا أحاطبه من هنا، أحاطبه من هذا المكان البعيد، نحن هكذا نعتقد في زيارات أئمتنا في الاستئذان حينما نستأذن لنزور ماذا نقول في الاستئذان؟ نقول - اللَّهُمَّ إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته كما أعتقدها في حضرته - فألَّ مُحَمَّدٌ غائبون شاهدون، شاهدون غائبون، وما غاب آلُ مُحَمَّدٍ - اللَّهُمَّ إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته كما أعتقدها في حضرته - هذا في الاستئذان موجود في المفاتيح صفحة: 311 - وأعلم أن رسولك وخلفائك عليهم السلام أحياءٌ عندك يرزقون يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردون سلامي وأنتك حجت عن سمعي كلامهم - سمعي هو المحجوب، سمعي هو الغائب، هم ليسوا بغائبين أنا الغائب - وأنتك حجت عن سمعي كلامهم - ولكن - وفتحت باب فهمي بلذيد مناجاتهم - وتلك منةٌ كيف أشكرها يا ربي - وأنتك حجت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيد مناجاتهم - وكلما قلت لك الحمد يجب عليّ أن أقول لك الحمد، فكيف أشكرك يا ربي، فأنا أحاطب الحسين كما تحاطبه أنت أيها الزائر - السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله - قلت هذا في الزيارة السابعة المطلقة عن صادق الآل - السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين - يا حسين - عبدك وابن عبدك وابن أمتك - لستُ أنا عبداً وحدي أنا عبداً وأبي عبداً وجددي

عبدٌ وأمِّي أُمَّةٌ وكلنا عبيدٌ لك يا ابن رسول الله - عبدك وابن عبدك وابن أمتك المُقرُّ بالرق - هذه عبودية الرق، ذل جوارحنا بأي شيء؟ مرَّ علينا: بذل العبودية وفرض الطاعة، هذه العبودية هنا شُخصت ومُيّزت في زيارة الحسين - عبدك وابن عبدك وابن أمتك المُقرُّ بالرق والتارك للخلاف عليكم والموالي لوليكم والمُعادي لعدوكم قصد حرمك - ناداك من هذا المكان البعيد وأنا أعلم علم اليقين أن التضاريس الأرضية لا تحول بيني وبينك أبا عبد الله - عبدك وابن عبدك وابن أمتك - موطن الشاهد هنا - المُقرُّ بالرق - أعود إلى الزيارة الجامعة الكبيرة - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ - إذا المراد من العباد هذا المعنى وهذه صورة من معنى العبودية، العباد جمعٌ لعبد والعبد هو المملوك، العبد هو المتلبس بصفة العبودية من هو العبد؟ العبد هو المتلبس بصفة العبودية، والمتلبس بصفة العبودية هو المملوك، والحديث هنا عن عبودية لا بمعنى عبودية الرق العرفي، ربما يذهب صاحب الأموال إلى سوق النخاسة فيشتري عبداً بأمواله ويقال له في الفقه بأنه يملك العبد وما في يده وهذا صحيح، لكن هذه الرقية هذه رقيةٌ عرفية، الرقية هنا أن المعصوم عليه السلام أن النبي الأعظم هو أولى منا بأنفسنا، أولى منا بأنفسنا يعني هو مالكٌ لوجودنا ليس مالكاً للجانب الشخصي كما في الرقية العرفية، الرقية العرفية هي ملكٌ للجانب الشخصي وإلا نحن عندنا في باب العتق والانتعاق في الفقه الشرعي أن المولى إذا نكَّلَ بعبدٍ فإن العبد يعتق، هناك العتق في الفقه وهناك الانتعاق، العتق أن المولى هو برغبته يعطي لعبده الحرية، أما الانتعاق هناك حالات العبد يكون حراً رغم أنف المولى سواء رضي أم لم يرضى، متى؟

إذا نكَّلَ المولى بعبدٍ، كما كان مثلاً يفعلون في الأزمنة القديمة بأن المولى يُنكِّلُ بعبدٍ مثلاً يعاقبه مثلاً يقطع عضوٍ من أعضائه كأن يقطع أصبعاً من أصابعه، كأن يقطع أنفه، كأن يقطع أذنه، كأن يقطع مذاكيره وهكذا كان يفعلون بالعبيد فهذا يسمى بالتنكيل، فإذا نكَّلَ المولى بعبدٍ أنعتق، حينئذ لا يملكه وصار العبد حراً رغم أنف المولى، فإذا المالكية هي مالكية للشخصية وليس للعبد بحقيقته، إنما هو مالكٌ لشخصية العبد، يعني في إطار تصرفاته، في إطار قوته البدنية، في إطار ما يمكن أن ينفعه وهذا هو الجانب الشخصي من العبد، أما العبد كموجود لا يملكه المولى، فهذه الرقية رقية عرفية، رقية تسالم عليها الناس ورتبوا عليها آثاراً وحينما جاءت الشرائع السماوية فأقرتها أقرت هذا الجانب العرفي الجانب المجتمعي البعد الشخصي، أما الحديث هنا عن رقية بمعنى أوسع، عبودية أوسع، رقية أوسع، هو أولى منا بأنفسنا، والمعنى مع ذلك أوسع وأوسع لكنني أكتفي بهذه الإشارات - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ - والحديث هنا عن البشر كما قلت لأن النظر في الزيارة بالدرجة الأولى للبشر للناس ولأن الإنسان يمثل الصورة الأمثل فيما بين المخلوقات خصوصاً ونحن نتحدث عن العالم الأرضي الذي استُخْلِيف فيه الإنسان - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ - تحدثت عن جانبٍ من معنى

السياسة هذه وتناولت آيات من الكتاب الكريم وتحدثت بنحو موجز عن معنى العباد والعبودية وما معنى عبوديتنا للنبي وآل النبي، في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين هناك سطوراً في غاية الوضوح تتحدث عن جوانب من السياسة العملية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ لأئمتنا، سياسة أهل البيت منها ما هو خفي وهي سياستهم الكونية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا﴾ وهناك سياسة جليلة ظاهرة وهي سياستهم للعباد أمثالنا، في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين وهي من الزيارات الجميلة جداً وللأسف فإن الكثير من المؤمنين لا يقرءونها مع أنها موجودة في المفاتيح وربما ما قرءوها ولو مرة واحدة، ماذا في هذه الزيارة؟

وأشهد أنكم - نخطب الأئمة صلوات الله عليهم - وأشهد أنكم قد وفيتم بعهد الله وذمته وبكل ما اشترطه عليكم في كتابه ودعوتكم إلى سبيله - هذه هي سياستهم في العباد - وأشهد أنكم قد وفيتم بعهد الله وذمته وبكل ما اشترطه عليكم في كتابه ودعوتكم إلى سبيله وأنفذتم طاقتكم في مرضاته وحملتكم الخلائق على منهاج النبوة ومسالك الرسالة وسرتم فيه بسيرة الأنبياء ومذاهب الأوصياء سادتي فلم يُطع لكم أمر ولم تُصغى إليكم أذن فصلوات على أرواحكم وأجسادكم - هذا جانب من سياستهم في المجتمع البشري، في المجتمع الإيماني، ثم تنكب على القبر وتقول حينما تزور أحد الأئمة - بأبي أنت وأمي يا حُجَّةَ الله لقد أَرْضَعْتَ بثدي الإيمان وفُطِمْتَ بنور الإسلام وغُدِّيت ببرد اليقين وألبست حُلل العصمة واصطفيت وورثت علم الكتاب ولقنت فصل الخطاب وأوضح - هنا تبدأ السياسة - وأوضح بمكانك معارف التنزيل وغوامض التأويل وسُلِّمَتْ إليك راية الحق وكَلِّفْتَ هداية الخلق ونُبِّدَ إليك عهد الإمامة وألزمت حفظ الشريعة وأشهد يا مولاي أنك وفيت بشرائط الوصية وقضيت ما لزمك من حد الطاعة ونهضت بأعباء الإمامة واحتذيت مثال النبوة في الصبر والاجتهاد والنصيحة للعباد وكظم الغيظ والعفو عن الناس وعزمت على العدل في البرية والنصافة في القضية ووكدت الحُجَجَ على الأئمة بالدلائل الصادقة والشريعة الناطقة ودعوت إلى الله بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة فَمُنِعَتْ - بأبي أنت وأمي - فَمُنِعَتْ من تقويم الزيف وسد الثلم وإصلاح الفاسد وكسر المعاند وإحياء السنن وإماتة البدع حتى فارقت الدنيا وأنت شهيد - وكلهم شهداء كلهم قُتِلُوا من رسول الله وإلى إمامنا الزاكي العسكري - وأنت شهيد ولقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت حميد صلوات الله عليك تترادف وتزيد - إلى آخر الزيارة الشريفة.

هذه العبائر وهذه الجُمَل وهذه البيانات في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين تُحَدِّثُنَا عن جانبٍ من سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا يؤكد ما أقوله دائماً من أن الزيارات هي كنوز للمعارف وللعقائد وللحكمة وللحقيقة وبابٌ واسعٌ فتحه لنا أهل البيت لمعرفةهم وللعيش في أجوائهم كي نتفياً في

أفيائهم الوارفة الشريفة، كي نتلمس شيئاً من عطرهم، كي نشرب شيئاً من مائهم العذب الزلال، زيارتهم وأدعيتهم ومناجياتهم كلها تصبُّ في هذا المجرى الشريف - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - هم ساسة العباد وهم أركان البلاد أيضاً، في زيارة أئمة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يجتمع هذان المعنيان أنهم أركان البلاد وأنهم ساسة العباد، وأنا قلت في أول البرنامج بأن هذين العنوانين متعانقان، وهذه زيارة أئمة البقيع وفي المفاتيح أيضاً، نخطبهم: أشهد أنكم قد بلغتكم ونصحتكم وصبرتم في ذات الله - هذه هي سياستهم - أشهد أنكم قد بلغتكم ونصحتكم وصبرتم في ذات الله وكذبتكم وأسيئ إليكم فغفرتكم - وأقول وهُدِّمَتْ قبوركم وأسيئ إلى حرمتكم حتى وأنتم غائبون عن هذه الدنيا - أشهد أنكم قد بلغتكم ونصحتكم وصبرتم في ذات الله وكذبتكم وأسيئ إليكم فغفرتكم وأشهد أنكم الراشدون المهتدون وأن طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وأنكم دعوتكم فلم تُجابوا وأمرتم فلم تُطاعوا وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض لم تزالوا بعين الله ينسخكم من أصلاب كل مطهر وينقلكم من أرحام المطهرات لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ولم تشرك فيكم فتن الأهواء طبتم وطاب منبتكم مَنْ بكم علينا ديان الدين فجعلكم في بيوتِ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجعل صلواتنا عليكم، وجعل صلاتنا عليكم رحمةً لنا وكفارةً لذنوبنا إذ أختاركم الله لنا وطيب خلقنا بما مَنْ علينا من ولايتكم وكنا عنده مسمين بعلمكم معترفين بتصديقنا إياكم - موطن الشاهد هنا في قول الزيارة:

أشهد أنكم قد بلغتكم ونصحتكم وصبرتم في ذات الله وكذبتكم وأسيئ إليكم فغفرتكم - إلى آخر الفقرات الأخرى لكن هذه الكلمات هي التي تتحدث عن سياسة آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في هذا المجتمع الإنساني وهنا - وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض لم تزالوا بعين الله - إلى آخر الزيارة، فهم دعائم الدين وهم أركان الأرض وقرئنا في الزيارة الجامعة الكبيرة - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - وتلاحظون الزيارات تتعاضد في المعنى تتوافق في المضمون - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - وهنا نفس هذه المضامين وإن أُخِذَتْ من جهةٍ أخرى، ونحن في أجواء الزيارة الجامعة لأذهب إلى سورة البقرة وفي الآية السابعة والخمسين بعد المثنتين، ونحن هكذا نخرج من الكتاب فنذهب إلى العترة، ونخرج من العترة فنذهب إلى الكتاب، نحن نسعى بين الكتاب والعترة ألا يسعى الحُجَّاج بين الصفا والمروة؟! ألا يسعى زوار الحسين بين حسينهم وعباسهم، فنحن نسعى بين الكتاب والعترة، نتردد بين الكتاب والعترة، ألهُوَى في نفوسنا أم لأن مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: تَمَسَّكُوا بِمَا بِالْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِمَا فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِمَا بِالْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا، فَحَنَنْسَعِي مَا بَيْنَ الْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ، وَالْكِتَابُ وَالْعِتْرَةُ وَاحِدٌ، الْكِتَابُ هُوَ الْعِتْرَةُ وَالْعِتْرَةُ هُوَ الْكِتَابُ وَلَكِنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْكِتَابُ وَالْعِتْرَةُ هِيَ

العترة، في الآية السابعة والخمسين بعد المئتين من سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا عنوان للسياسة الإلهية، وهذه السياسة الإلهية أين تتجلى؟ تتجلى في سياسة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كيف يسوسهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية تتحدث عن سياستين عن سياسة إلهية وعن سياسة طاغوتية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم﴾ وقلنا السياسة هي التدبير، السياسة هي التربية، كيف يدبر الباري سبحانه وتعالى الذين آمنوا؟ هو وليهم، هو الذي يتولى أمورهم، هو الذي يدبر أمورهم ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ إذاً نحن نملك هنا في هذه الآية صنفين من السياسة، السياسة الأولى تُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، والسياسة الثانية تُخرج أولياء الطاغوت من النور إلى الظلمات ثم تقودهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الظلمات تستمر إلى النار.

فهناك سياستان إذاً، سياسة الإخراج من الظلمة إلى النور وسياسة الإخراج من النور إلى الظلمة، فسياسة الإخراج من الظلمات إلى النور يعني أن الذين أُخرجوا إلى النور كانوا يعيشون في الظلمات، وأما سياسة إخراج أولياء الطاغوت من النور إلى الظلمات هذا يعني أن أولياء الطاغوت كانوا يعيشون في النور، فأين نورٍ كان يعيش فيه أولياء الطاغوت؟ سؤال، ألا نتدبر في القرآن، هذه آية من آيات الكتاب العزيز، السياسة الأولى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا واضح، الذين آمنوا كانوا في ظلمات فأخرجهم الله إلى النور، في ظلمات ما قبل الإيمان ما قبل الولاية لله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني ما قبل عالم الولاية لله الظاهرة وإلا الولاية الباطنة موجودة في كل الموجودات، كانوا في الظلمات فانتقلوا إلى النور، أما أولياء الطاغوت كيف يخرجونهم من النور إلى الظلمات؟ فهل إن أولياء الطاغوت كانوا في النور، أي نورٍ هذا وهم أولياء الطاغوت! البيان يأتي هنا: الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير شيخنا العياشي رحمه الله عليه، والحديث ينقله عبد الله بن أبي يعفور عن إمامنا الصادق، أقتطف منه موطن الحاجة لضيق الوقت ولكثرة المطالب التي أود أن أشير إليها، الإمام يقول - أما تسمع لقول الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل

إمام عادل من الله - هذا هو قرآن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وهذا هو تفسير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ فحكموا وجدانكم، هل هناك من تفسير أجمل وأرق وأكثر بياناً من هذا التفسير ومن هذه الدقة ومن هذا العمق، تفسير ينساب إلى القلوب إنسياباً، ينساب مع الفطرة انسياباً، يدخل إلى العقل هكذا من دون استئذان، يقتحم العقل اقتحاماً - أما تسمع لقول الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ لاحظوا المقطع الأول ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هم مؤمنون ما هي ظلماتهم؟ الكلام يقول - يخرجهم من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة - لماذا؟ - لولايتهم كل إمام عادل من الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ قال: قلت: أليس الله عنى بها الكفار حين قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟ قال: فقال الإمام: وأي نورٌ للكافر وهو كافر؟ - سؤال في غاية الدقة وفي غاية النباهة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ السائل يسأل يقول - أليس الله عنى بها الكفار حين قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟ - الإمام يقول - وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأخرج منه إلى الظلمات؟ - يعني الكافر وهو كافر كان في نور وأخرج إلى الظلمات؟ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ الطاغوت عنوان واضح تعرفونه، الطاغوت عنوان أعداء الزهراء صلوات الله وسلامه عليها - وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأخرج منه إلى الظلمات؟ إنما عنى الله بهذا أنهم - هؤلاء أولياء الطاغوت - كانوا على نور الإسلام - عندهم شيء من الإيمان بِمُحَمَّدٍ، بالقرآن، بالله - إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار فقال: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - ألا يدل هذا على أن القرآن قرآنهم وأن التفسير تفسيرهم صلوات الله وسلامه عليهم، هذه الآية لوحدها لو أن الإنسان وقف عندها لكانت سبباً لهدايته، فقط هذه الآية، قف عند هذه الآية وتدبر في معناها ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وأي نورٌ للكافر وهو كافر فأخرج منه إلى الظلمات؟ إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أن تولوا كل إمام جائر - يعني الطاغوت - ليس من الله خرجوا

بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر - والمعاني واضحة.

هذا جوهر سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ مع أتباعهم مع أوليائهم ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يتجلى لنا من كل ذلك شيءٌ من معنى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ.

وبقيت عندنا بقية في هذا الباب في نفس الاستئذان الذي قرأت منه شيئاً من عباراته قبل قليل، هناك عباراتٌ جميلة جداً وواضحة تشخص لنا معنى سياسة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، ونحن نقف مستأذنين فنقول - **اللَّهُمَّ** إن هذه بقعةٌ طهرتها - نحن عبيد وجئنا نستأذن على ساستنا على موالينا، هو هذا الاستئذان هنا، نحن عبيدهم ونحن الآن نقف على أعتابهم فنستأذن هم ساستنا هم ساسة العباد يا ساسة العباد - **اللَّهُمَّ** إن هذه بقعةٌ طهرتها - حين تقفون على أعتاب عليٍّ يا زوار عليٍّ وحين تقفون على أعتاب حسينٍ يا زوار حسينٍ - **اللَّهُمَّ** إن هذه بقعةٌ طهرتها وعقوةٌ شرفتها ومعالم زكيتها حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد وأشباح العرش المجيد الذين اصطفيتهم - هم أدلة التوحيد في العوالم العليا وهم أشباح العرش المجيد - الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام ﴿وَأَتَيْنَاهُم مُلْكًا عَظِيمًا﴾ الذي يؤتى المُلْكُ ماذا يُقال له؟ يُقال له مَلِكٌ ﴿وَأَتَيْنَاهُم مُلْكًا عَظِيمًا﴾ الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام - تلاحظون التعانق بين الآيات بين الروايات بين الزيارات، وهذا يكشف عن صحتها، وإلا كيف تتعانق هذا التعانق الواضح، وكيف يشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص، فتأتي الحقائق بينة واضحة جزلة، وتأتي تصك مسامع أهل الحق فتفرحهم وتصك مسامع أهل الباطل فتغيضهم - الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام - هذا الاستئذان موجود في المفاتيح لكن الكثير لا يقرءونه - الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام.

وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ ... وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النَّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ - المعنى واحد - الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام وبعثتهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة ثم مننت عليهم باستنابة أنبياءك لحفظ شرائعك وأحكامك فأكملت باستخلافهم رسالة المُنذرين كما أوجبت رياستهم في فِطْرِ المُكَلِّفِينَ - ونحن عندنا في الروايات كما يسألون الإمام الصادق ما معنى فطرة الله؟ ما هو الشيء المودع في الفطرة قال: لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ، رسول الله، عليٌّ ولي الله - الفطرة التوحيد الإيمان بالله، الإيمان بِمُحَمَّدٍ الإيمان بعلي، هكذا جاء في رواياتنا - كما أوجبت رياستهم في فِطْرِ المُكَلِّفِينَ - إلى أن يقول الاستئذان - الحمد لله الذي منَّ علينا

بِحُكَامٍ - هؤلاء هم أنفسهم الملوك والرؤساء الذين مرَّ ذكرهم - الحمد لله الذي منَّ علينا بِحُكَامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان ولا إله إلا الله الذي شرفنا بأوصياء يحفظون الشرائع في كل الأزمان، والله أكبر الذي أظهرهم لنا بمعجزاتٍ يعجز عنها الثقلان - إلى أن نقول - اللَّهُمَّ فلك الحمدُ والثناء العلي كما وجب لوجهك البقاء السرمدى وكما جعلت نبينا خير النبيين ومُلوكنَا - مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ - ومُلوكنَا أفضل المخلوقين واخترتهم على علم على العالمين وفقنا للسعي إلى أبوابهم - نحن عبيدهم نسعى إلى أبوابهم - وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين وأجعل أرواحنا تحنّ إلى موطىء أقدامهم ونفوسنا تهوى النظر إلى مجالسهم وعرضاتهم حتى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم فصلى الله عليهم من سادةٍ غائبين ومن سلالَةٍ طاهرين ومن أئمة معصومين - هؤلاء هم سادتنا وهم أوليائنا، هم ساسة العباد وهم أركان البلاد، لهم الطاعة الواجبة نعترف لهم ونقر لهم بذل العبودية وبفرض الطاعة، نحن عبيدكم وأبناء عبيدكم وأبناء إمائكم المقرّون بالرق كما مر علينا في الزيارة السابعة المطلقة من زيارات سيد الشهداء في المفاتيح - نحن عبيدكم وأبناء عبيدكم وأبناء إمائكم المُقرّون بالرق والتاركون للخلاف عليكم - وهذا هو الكافي كافيكم وهذه الأحاديث أحاديثكم.

الرواية: عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجراً واحداً؟! قال: نعم - هم كلهم سادةٌ ولذلك الزيارة تخاطبهم بنفس الوصف بنفس الخطاب - وساسة العباد - يعني أنهم كلهم في نفس هذه المرتبة - عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله - هذا هو الجزء الأول من الكافي الشريف - قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجراً واحداً؟! قال: نعم - ومن قبل روى زرارةٌ - عن أبي جعفرٍ عليه السلام فقال: ذروة الأمر - إمامنا الباقر يقول - ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته - فهناك طاعةٌ وهناك معرفة وهذا هو الذي يدفعنا للحديث وللتبصر وللتدبر وللتفكر في الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا هو الذي يدفعنا، هذا إمامكم الباقر هو الذي يقول، ماذا يقول؟

ذروة الأمر - أعلى شيء - ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته - من هنا نحن نقضي هذه الأوقات ونحن نتدبر في كلمات إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - والمعاني متعاقبة، الاختلاف في اللفظ، والاختلاف في اللفظ شيءٌ يسير، شيءٌ مئونه يسيره، المعاني كلها تشيرُ إلى تلكم الحقيقة الواسعة إلى حقيقة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ والتي ظهرت مجاليها في كل جزءٍ من أجزاء هذا الوجود، فهم مجلى أسماء الله الحسنى وهم المرأة الأولى والمرأة الأعظم التي تجلى الله سبحانه وتعالى فيها - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ -

الأركان جمع لركن والركن في لغة العرب هو الجانب العظيم الجانب القوي، حين تقول أركان البناء، أركان البناء هي الجهات القوية، الجهات الأساس التي يقوم عليها البناء، كما نقول أركان الصلاة، أركان الصلاة هي الأجزاء الفقهية التي لو حدث فيها خلل لَمَا بقي منها بقية تسمى صلاة، يعني لو أن الإنسان جاء بصلاته فأخل بالأركان أليس هناك في الأحكام الشرعية ما يسمى عندنا في الصلاة، الصلاة التي هي عمود الدين، أليس فيها أركان؟ هذه الأركان إذا حدث فيها خلل، حينما يحدث الخلل في الأركان فإن الخلل سيتسرب إلى كل الصلاة فتنتهي صورة الصلاة، لذلك لا بد من إعادتها، والأحكام الشرعية واضحة في هذا المعنى إنما جئت بهذا المعنى على سبيل المثال، البناء أيضاً إذا ما هُدت أركانه فإنه لن يبقى أي أثرٍ من ذلك البناء ينتهي البناء.

الأركان جمع لركن والركن هو الجانب القوي هو الجانب المتين هو الجانب العظيم - وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - والبلاد جمع لبلد أو لبلدة قد يراد منها المدن والقرى، وقد يراد منها جميع الأرض، فحتى الأرض الخالية من الناس يقال لها في لغة العرب بلد وبلاد، البلاد هي الأرض، هذه الأرض التي نعيش عليها هي هذه البلاد - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - البلاد هنا جاء ذكرها باعتبار مر في العنوان الذي قبل هذا العنوان - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ - فأين يعيش العباد؟ ألا يعيشون في البلاد؟ وإلا فأهل البيت هم أركان الأرض، أهل البيت هم أركان الوجود، نحن مثلاً حين نقرأ في الكافي الشريف في الجزء الأول أن الأئمة هم أركان الأرض، باب أن الأئمة هم أركان الأرض الرواية: عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه - ماذا يقول إمامنا الصادق؟ - يقول: ما جاء به عليّ عليه السلام أخذ به وما نهى عنه أنه انتهى عنه، جرى له من الفضل مثلما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله، ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله عز وجل المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمُتَعَقَّبِ عَلَى اللَّهِ - يعني المتعقب الذي يشكل على أحكام عليّ على قول عليّ - المُتَعَقَّبِ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ كَالْمُتَعَقَّبِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ وَالرَّادِ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشَّرْكِ بِاللَّهِ، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض - هم أركان الأرض والبلاد هنا - وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - البلاد هنا هي الأرض ببرها وبيحرها، بسهلها وجبلها، بغورها وبنجدها، بمائها وبترابها - وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها - أن تميد أن تميل، يعني أن يختل نظامها، أن تميد بأهلها يعني أن يختل نظامها الكوني، ميدان الأرض هو الاختلال الكوني - أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله

بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم - إلى آخر كلماته الشريفة موطن الشاهد هنا - جعلهم الله - جعل الأئمة - أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى - ركنية الأرض هنا هي حجيتهم، وهذه الحجية أوسع من الكلام ومن البحث في قضية حجية شرعية بإقامة أدلة أو براهين قوليه ولفظية لإثبات الحق، هذه حجية واسعة ومطلقة، هذه الحجية في نفس الفطرة، قبل قليل قرأنا - وجعلت رياستهم في فطر المُكَلِّفين - هي هذه الحجية الحقيقية لأهل البيت، وهذا هو معنى ركنيتهم للأرض وأنهم أركان الأرض، في نفس الكافي الشريف هناك نصوص كثيرة اقتطف بعضاً منها.

الرواية: عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أتبقى الأرض بغير إمام؟! قال: لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت - الحديث هنا ليس عن إمامةٍ سياسية كما يفهمها الناس، الحديث هنا عن إمامةٍ كونية، أن الأرض تسيخ هذا أثرٌ تكويني وليس أثراً اجتماعي وليس أثراً أخلاقياً - أتبقى الأرض بغير إمام؟! لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت - والمراد هنا بقيت الأرض بغير إمام ليس المراد الجانب الجسدي الشخصي للإمام وإنما ارتباط الأرض ارتباطاً بالإمامة الكونية لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو قلبُ هذا الكون، وكل المكونات تمدُّ إليه بصلةً بارتباط، هذه الصلة الكونية من الفيض الإلهي ليس هم السبب المتصل بين الأرض والسماء، هم قلبُ الكون ومنهم تمتد الأسباب لثبات هذا التكوين، إذا انقطعت الصلة بين كل مُكوِّن من هذه المُكوِّنات وبين كل مُكوِّن من هذه المُكوِّنات فإن ذلك المكون سيسيخ سينتهي، وهذا هو المعنى، ليس القضية هنا ساخت الأرض في البعد السياسي، الحديث عن أرض تسيخ وسيخان الأرض مسألة كونية مادية - أتبقى الأرض بغير إمام؟! - هذه الإمامة الكونية - قال: لو بقيت بغير إمامٍ لساخت.

عن مُحَمَّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام - والروايات من الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلتُ له: أتبقى الأرض بغير إمام؟! قال: لا، قلتُ: فإننا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمامٍ إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى إذاً لساخت - الحديث عن إمامة كونية، لا يمكن أن تتصور الأرض من دون وصول الفيض الكوني من الإمام الكوني.

عن أبي هراسه عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: لو أن الإمام رُفِع من الأرض ساعة - الإمام باللحاظ الكوني لا بلحاظ الإمامة الدينية لبيان الأحكام الشرعية، هذا جانب من جوانب الإمامة - لو أن الإمام رُفِع من الأرض ساعة لَمَاجت بأهلها كما يموج البحر بأهله - هذا هو معنى أنهم أركان الأرض، أنهم

أركان البلاد في البعد التكويني، وإلا ما معنى أن الأرض تسيخ؟ ألم يقتل الأئمة؟ قتلوا وجرى عليهم ما جرى لماذا لم تسخ الأرض؟ ما ساخت الأرض وما ماجت لأي سبب؟ لأن الإمامة الكونية لا تُقتل، الإمام يقتل ظاهراً يقتل في هذه البنية البشرية الظاهرة، أما الإمامة الكونية التي هي جوهر ثبات الكون هذه الإمامة ثابتة وما أهل البيت إلا مظاهر بشرية لجوهرهم الأصلي للنور الأول فلذلك القتل يجري عليهم، لكن الأرض ما ساخت، لأن إمامتهم الكونية لا تُقتل وإنما تصل السيوف، تصل السيوف وبرغبتهم، تصل السيوف وبارادتهم، هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت:

إن كان دينٌ مُحَمَّدٍ لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

هذا الكلام وإن قاله شاعرٌ من شعراء أهل البيت، ربما الكثير يتصورون أن هذا البيت لسيد الشهداء، هذا البيت لأحد الشعراء المتأخرين للشيخ محسن أبو الحب من أدباء محبي أهل البيت ومن شعراء الحسين، لكن هذا المعنى هو قراءة وإدراكٌ من قِبَل الشاعر للحقيقة التي كانت في الطفوف، لو لم تكن حقيقة الحسين تقول يا سيوف خذيني لَمَا استطاعت السيوف أن تدنو منه، وهذا في كل الأئمة، الحديث هنا في هذه الأحاديث عن الإمامة الكونية لا عن الإمامة البشرية الظاهرة لا عن المقامات الدنيوية التي يمكن أن تُسلب كما سلبت الخلافة من عليٍّ، لكن هل يستطيع أحدٌ أن يسلب الإمامة الكونية؟ هذا غير ممكن، هذا من المستحيلات العقلية، لا يمكن أن نتصور أن أحداً يستطيع أن يسلب الإمامة الكونية فذلك يؤدي إلى فساد التكوين، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي وهب إليهم الإمامة الكونية، وهذه الروايات تتحدث عن جهةٍ عن جانب من هذه المعاني - لو أن الإمام رُفِع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله.

عن الوشاء قال: سألتُ أبا لحسن الرضا عليه السلام هل تبقى الأرضُ بغير إمام؟ قال: لا، قلتُ: إنا نروي أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله عزَّ وجلَّ على العباد؟ قال: لا، لا تبقى إذاً لساخت - وهذا هو معنى كونهم أنهم أركان الأرض، هم أركان الأرض وأركان السماء، هم أركان الوجود، هم أركان كل شيء، هم أركان الحقيقة بكاملها ولا غرابة في ذلك، نحن نقرأ في دعاء شهر رجب ومراراً قرأتُ منه نصوصاً لأنه من أمهات أدعية أهل البيت العميقة، ماذا نقرأ في هذا الدعاء الشريف؟ - اللهم إني أسألكُ بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على شرك - من هم هؤلاء؟ - المأمونون على شرك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعنون لعظمتك أسألكُ بما نطق فيهم - في هؤلاء - من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك - هم أركان التوحيد، ما قيمة أن نقول أنهم أركان الأرض؟ ما قيمة أن نقول أنهم أركان البلاد؟ وإنما جاء ذكر البلاد كعنوان يشير إلى معنىٍ أوسع، وإنما جاء

هذا العنوان متناغماً مع العبارة التي قبلها وساسة العباد، ولأن الزيارة تريد أن تحدث الإنسان بما هو إنسان على وجه الأرض، وإلا المعاني فيها إشارات أعمق وأعمق وأعمق، فما قيمة أن نقول أنهم أركان الأرض وهنا العبارة صريحة - فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك - هم أركان التوحيد وأركان كل شيء وفي نفس الدعاء - أعضاء وأشهاد - هم آل مُحَمَّد - ومُنَاة وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك - هم أركان الوجود، هم ليس أركاناً للبلاد فقط، هم ليس أركاناً للأرض فقط - فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - وهذا معنى أنهم أركان التوحيد، وهذا معنى قول عليّ صلوات الله عليه: ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله وبعده ومعه وفيه. وهنا معانٍ عميقة لا يسع المجال لذكرها لأنني لو ذكرتها وتركتها يُساء فهمها، ولو أردتُ أن أدخل فيها فأنا بحاجةٍ إلى وقتٍ طويلٍ لشرحها ولكنني أكتفي بالإشارة إليها فقط من بعيد، فأقول هذا المعنى الموجود هنا - فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - هذا هو معنى - فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك - وهو نفس المعنى الذي تقرأونه في دعاء كميل بن زياد رضوان الله تعالى عليه، دعاء سيد الأوصياء، ماذا نقرأ فيه؟ العبارات الأولى من الدعاء:

اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء - فبهم ماذا ملأت؟ ملأت سماواتك وأرضك - اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء وبعزتك التي لا يقوم لها شيء وبِعِظْمَتِكَ التي ملأت كل شيء - فبهم ملأت سماواتك وأرضك، فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - وبِعِظْمَتِكَ التي ملأت كل شيء وبسلطانك الذي علا كل شيء وبوجهك الباقي - وهم وجهه - بعد فناء كل شيء، وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء - وهم أركان كل شيء، ألم نقرأ: فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك، وأركان التوحيد هي أركان كل شيء - وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء وبعلمك الذي أحاط بكل شيء وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء يا نورُ يا قدوس يا أول الأولين ويا آخر الآخرين - فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - وهذا شيءٌ يسيرٌ يسيرٌ يسيرٌ يسيرٌ مما جاء في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووالله لو بقيتُ أتصفح زياراتهم وأدعيتهم وأحاديثهم وكلماتهم لانقضى العمرُ وما قضيتُ شيئاً من ذلك، كل هذا إلى أي شيءٍ يشير؟

يشيرُ أولاً إلى عِظْمَتِهِم.

ويشيرُ ثانياً إلى عجزنا عن إدراك حقائقهم.

ويشيرُ ثالثاً إلى تقصيرنا في عدم السعي لمعرفةهم وفي عدم العيش معهم ليل نهار، في أجوائهم وفي أفياء ظلالهم وأنوارهم وإنما أتحدثُ عن معرفتهم، أتحدثُ عن علومهم، أتحدثُ عن حديثهم، أتحدثُ عن كل ما يوصلنا ويربطنا بهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأيضاً ينبئنا عن حسرة وحقارة ونجاسة ولؤم أعداءهم، وأيضاً ينبئنا ذلك عن مظلوميتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

سادتي آل مُحَمَّد أنتم قادة الأمم وأنتم أولياء النعم وأنتم عناصر الأبرار وأنتم دعائم الأخيار وأنتم ساسةُ العباد وأنتم أركان البلاد وأنتم وأنتم وأنتم، وكل ذلك قليلٌ في حقكم، وكل ذلك نزرٌ يسيرٌ في لا أقول في فناءكم وإنما أقول في جوار فناءكم صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا هو سرُّ ارتباطنا بكم، وهذا هو سرُّ قبول أعمالنا، وهذا هو سرُّ توقف الهداية والدين عليكم فالهداية والدين جزءٌ من سياستكم، نحن نعيشُ في الأرض، حاكم الأرض الحاكم الذي يحكم في دولة من الدول، الملك الذي يحكم في دولة من الدول حين يصدرُ قراراً هذا القرار كل من يخالفه مهما جاء من عملٍ ومهما جاء من أمرٍ فإن ذلك لا يقبله ذلك الملك ولا تقبله الحكومة إلا أن يكون تحت يافطة القرار الملكي، هذا الناس تقبله لكن وأنتم ملوك الخلق حينما نقول بأن أعمال العباد لا تقبل إلا بولايتكم وهذا هو قانونكم وهذه هي سياستكم لا يقبل ذلك أحدٌ منا، وذلك من سوء توفيقهم - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - قانونكم سياستكم هي هذه، أن هذه الأعمال لا تقبل إلا بولايتكم، وهذا هو الجانب الذي يهمننا من سياستهم، نحن الآن نتحدث عن أنهم ساسةُ العباد وأنهم أركان البلاد فبيننا صوراً جوانب من معاني هذه السياسة ومن معاني هذه الركنية التي أشارت إليها الزيارة، لكن الذي يتعلق بنا، ما هو هذا الشيء الذي يتعلق بنا من سياستهم للعباد؟ أقتطف نصوصاً بحسب ما يسنح به المقام.

الرواية عن مُحَمَّد بن جعفر بن مُحَمَّد بن أَبِيه - مُحَمَّد هو من أبناء إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء السابع والعشرون من بحار الأنوار، ينقل مُحَمَّد عن أبيه الصادق عليه السلام عن آبائه - قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا مُحَمَّد السلام يُقرئك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع ومن عليهن وما خلقتُ موضعاً أعظم من الركن والمقام ولو أن عبداً دعاني هناك مُنذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية عليٍّ لأكبته في سقر.

الرواية عن إمامنا الصادق - إن علياً عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجلٌ

يزداد كل يوم إحساناً ورجلاً يتدارك سيئته بالتوبة وأنى له بالتوبة والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت.

الرواية عن إمامنا أبي جعفر يرويهما الحارث بن يحيى في قول الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ - هذه الآية تحتاج إلى وقفة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ تاب وآمن وعمل صالحاً وهو غير مهتدي ثم اهتدى، الآية تحتاج إلى وقفة، تلاحظون: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يعني هو تاب وليس بمهتدي، وآمن وليس بمهتدي، وعمل صالحاً وليس بمهتدي ثم اهتدى، أيّة هداية هذه؟ قطعاً هو حين تاب وحين آمن وحين عمل صالحاً كان مهتدياً ولكن مرتبة من مراتب الهداية ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ - يقول إمامنا الباقر: ألا ترى كيف أشرت؟! - يعني كيف أن الله أشرت الهداية ثم اهتدى - ولم تنفعه التوبة أو الإيمان والعمل الصالح - التوبة ما نفعت ولا الإيمان ولا العمل الصالح - ألا ترى كيف أشرت؟! ولم تنفعه التوبة أو الإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل - لو بذل كل الجهد - والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدي، قال: قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا - ثم اهتدى إلينا، وإلا ماذا ينتفع من توبته ومن إيمانه ومن عمله الصالح - والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدي، قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا.

هذي سطور من كتاب أمير المؤمنين إلى أهل مصر وربما هناك من إخواني الآن في مصر يستمعون إلي، هذه كلمات عليّ إلى أبناء مصر، فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام مع مُحَمَّد بن أبي بكر رضوان الله تعالى عليه إلى أهل مصر، هذا كتاب سيد الأوصياء مع مُحَمَّد بن أبي بكر حين ولاه على مصر، هذه رسالة من سيد الأوصياء إليكم أبناء النيل ماذا يقول سيد الأوصياء؟ - يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته - بهذين الشرطين - يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عُبد وذكرتموه بأفضل ما ذُكر وشكرتموه بأفضل ما شُكر وأخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم أفضل الاجتهاد - كلمات جميلة في غاية الجمال، أعيدُ قرأتها على مسامعي أولاً وعلى مسامعكم ثانياً - يا عباد الله إن اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهل بيته - بهذا الشرط - فقد عبدتموه بأفضل ما عُبد وذكرتموه بأفضل ما ذُكر وشكرتموه بأفضل ما شُكر وأخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم - الاجتهاد هنا غاية العبادة، غاية العمل الصالح - واجتهدتم أفضل الاجتهاد وإن كان

غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً - بحسب ظاهر الأمر - وإن كان غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً فإنكم اتقى الله منه - التقوى، قلت التقوى ولاية علي - فإنكم اتقى الله منه وأنصح لأولي الأمر - إذاً العبادة الأفضل والذكر الأفضل والشكر الأفضل أين هو؟ في ولاية علي - فقد عبدتموه بأفضل ما عُبد وذكرتموه بأفضل ما ذُكر وشكرتموه بأفضل ما شُكر.

الروايات كثيرة ولا يسع المجال لتناولها لكنني مثلاً أقرأ هذه الرواية: عن يونس بن عبد الجبار عن علي بن الحسين - عن زين العباد - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا وإذا ذكر عندهم آل مُحَمَّد اشمأزت قلوبهم - اللهم إنا نعوذ بك في هذا الشهر الشريف أن نكون من هؤلاء، رسول الله يقول - ما بال أقوام إذا ذُكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا وإذا ذُكر عندهم آل مُحَمَّد اشمأزت قلوبهم والذي نفس مُحَمَّداً بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً - هذا مُحَمَّد يُقسم ولست أنا، والذي ينقلُ عنه ابنه السجاد - والذي نفس مُحَمَّداً بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبلَ الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي.

عن أبي حمزة الشمالي قال: قال لنا علي بن الحسين زين العابدين: أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أن رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً - النصوص كثيرة جداً والأحاديث وفيرة جداً ولكن المقام لا يسع لذكر حتى الجزء اليسير منها.

عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عبَدَ الله حبرٌ من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخلال - وكأنه عود، الخلال هذا العود الذي تنظف به الأسنان، قيل له خلال لأنه في غاية الدقة، لأنه في غاية الرفع بحيث نستطيع أن ندخله بين الأسنان وبين تجاويف الأسنان - عبَدَ الله حبرٌ من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخلال - مثل هذا العود الذي نخلل به أسناننا - فأوحى الله عز وجل إلى نبي زمانه قل له: وعزتي وجلالي وجبروتي - أي قَسَمَ هذا؟ الله يقسم - وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر - الألية واضح معناها قطعة الشحم التي توجد في آخر جسم الخروف، التي تقوم مقام الذنب في سائر الحيوانات، الغنم الحرفان العربية ليست لها أذنان وإنما لها ألية - وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قبلتُ منك حتى تأتني من الباب الذي أمرتك - هذا هو السر، السر هنا - وعزتي وجلالي

وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قبلتُ منك حتى تأتني من الباب الذي أمرتك.

الرواية: عن المعلى بن خنيس عن إمامنا الصادق يقول: يا معلى لو أن عبداً عبد الله مئة عامٍ ما بين الركن والمقام يصوم النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه وتلتقي تراقيه هرمًا - التراقي يعني ينطبق هذا الجانب على هذا الجانب، حتى لو وصل حاله هكذا، التراقي هي هذه عظم الترقوة هو هذا العظم - لو أن عبداً عبدَ الله مئة عامٍ ما بين الركن والمقام يصوم النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه وتلتقي تراقيه هرمًا جاهلاً لحقنا لم يكن له ثواب - طال بنا الوقت وإن شاء الله في مناسبات أخرى أتم الحديث فالحديث عن آل مُحَمَّدٍ لا ينتهي ولن ينتهي، وتنتهي أيامنا وتنتهي حياتنا ولا ينتهي الحديث عن آل مُحَمَّدٍ، لكننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن تنتهي حياتنا ونحن نُردد في القلوب، في العقول، في الوجدان، في الشفاه نرددُ مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّدٍ.

الرواية: عن ميسر أو مُيسر بياح الزبطي، قال: دخلتُ على أبي عبد الله - دخل على إمامنا الصادق - فقلتُ له: جُعِلتُ فداك إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته - يعني ينتبه مثلاً على وقت السحر، وقت الإمساك، أو على وقت الصلاة عند الصباح، عند الظهر - إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته إما تالياً كتابه يكرره ويكي ويتضرع وإما داعياً، فسألت عنه في السر والعلانية فقل لي إنه مجتنبٌ لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر أو يا مُيسر يعرف شيئاً مما أنت عليه؟! - تتبهون للوصف ميسر هذا يقول للإمام - إن لي جاراً لست أنتبه إلا بصوته - عند السحر عند الفجر عند أوقات الصلوات - إما تالياً كتابه يكرره ويكي ويتضرع وإما داعياً فسألت عنه في السر والعلانية فقل لي إنه مجتنبٌ لجميع المحارم، قال: فقال: يا ميسر يعرف شيئاً مما أنت عليه؟! - من ولاية عليٍّ - قال: قلتُ: الله أعلم - تقية لا يستطيع أن يفتحه بشيء - قال - هو ميسر يقول - فحججت من قابل - يعني السنة القادمة - فسألتُ عن الرجل فوجدته لا يعرف شيئاً من هذا الأمر فدخت على أبي عبد الله - يعني لَمَّا رجع إلى أهله سأل عن الرجل فأخبروه بأنه لا يعرف شيئاً من هذا الأمر، ليس على ولاء عليٍّ، في السنة القادمة يقول دخلت على الإمام - فأخبرته بخبر الرجل، فقال لي مثلما قال في العام الماضي يعرف شيئاً مما أنت عليه؟! قلت: لا، قال: يا ميسر أيُّ البقاع أعظم حرمة؟ قال: قلتُ: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: يا ميسر ما بين الركن والمقام روضةٌ من رياض الجنة وما بين القبر والمنبر - يعني في المدينة ما بين قبر النبي - يا ميسر ما بين الركن والمقام روضةٌ من رياض الجنة، وما بين القبر والمنبر روضةٌ من رياض الجنة ولو أن عبداً عمَّره الله فيما بين الركن والمقام وفيما بين القبر والمنبر

يعبده ألف عام ثم ذُبح على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبش الأملح - ذُكر هنا الكبش الأملح لأن الكبش الأملح حين يراد ذبحه يكون هادئاً لا يدفع ذابحه كبقية أنواع الكباش أو الكبوش - ثم ذُبح على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبش الأملح ثم لقي الله عزَّ وجلَّ بغير ولايتنا لكان حقيقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يكبه على منخريره في نار جهنم - فقط هذه الرواية، أنا قلت أكتفي برواية ميسر، هذه الرواية مر علينا حديث يشابهها لكنني أختتم الحديث بها:

عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عن آباءه عليهم السلام قال: مرَّ موسى بن عمران برجلٍ رافعٍ يده إلى السماء يدعو فأنطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة أيام ثم رجع إليه وهو رافعٌ يديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا موسى لو دعاني حتى يسقط لسانه - ليس سبعة أيام - لو دعاني حتى يسقط لسانه ما استجبتُ له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به - وهذا هو السر في هذا المعنى وإن كانت هناك مطالب أخرى كان بودي أن أذكرها وأن أشرح مضامينها ولكنني أكتفي بهذا القدر وأقول سادتي آل مُحَمَّد:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهِيْطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخَزَانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ، وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانِ الْبِلَادِ.

إنما أكرر هذه العناوين لأنها نِعَمٌ من نِعَمِ الله علينا أن وفقنا أن نعيش في أجواء هذه العناوين كل عنوان من هذه العناوين وكل دقيقة من الدقائق التي صرفناها ونحن نعيش في ظلال هذه العناوين نعمة لا نستطيع أن نشكرها ولا نستطيع أن نؤدي حقها.

سلامٌ عليكم سادتي آل مُحَمَّد يا ساسة العباد ويا أركان البلاد.

وسلامٌ عليكم أنتم يا أشياعهم ويا أولياءهم، ولقاءنا يتجدد دائماً على مودّة عليّ وآل عليّ.

أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

الحلقة الرابعة عشر

معنى وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن

السلام عليكم جميعاً أحباب عليّ وآل عليّ ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الرابعة بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، وصل بنا الكلام إلى قول الزيارة الشريفة في الحلقة الماضية: **وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ**. اليوم نتناول عنواناً جديداً: **وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ**. وهذان العنوانان أيضاً كما مرّ في بعض العناوين التي تعانق بعضها مع البعض الآخر هذان العنوانان أيضاً يتعانقان في المعنى وفي المضمون وفي الدلالة، **وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ**.

أقف أولاً على هذا العنوان - **أَبْوَابَ الْإِيمَانِ** - الأبواب جمع لباب ولا أعتقد أن الكلمة تحتاج إلى بيان فهي واضحة معروفة لديكم، الباب هو المَنفَذُ الذي يُدخِلُ منه ويخرج منه، أمّا الإيمان، الإيمان موضوع طولٌ عريض لكنني سأتحول ما بين آيات الكتاب وما بين كلمات المعصومين نتلمس شيئاً من معاني الإيمان ونتذوق شيئاً مما جاء في قرآنا ومما أتخفتنا به العترة الطاهرة - **وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ** - أصل الإيمان وباب الأبواب في الإيمان هو مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبعد ذلك تفتتح أبواب الإيمان في عترته الطاهرة صلوات الله عليها، والإيمان هنا له مراتب له ظهورات إن كان ذلك في العالم الأرضي أو كان ذلك في العوالم العلوية، بنحوٍ مجمل مثلاً ما جاء في الصلوات المروية عن إمامنا الحسن الزاكي العسكري صلوات الله عليه والموجودة أيضاً في مفاتيح الجنان المعنونة بعنوان الصلاة على الحُجَجِ الطاهرين، أول مقطوعةٍ منها الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، جاء فيها هذه العبارات: **وَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا بَعَثْتَهُ بِخَيْرِ الْأَدْيَانِ** - فهو المبعوث بخير الأديان، وخير الأديان هو الإسلام - **وَأَعَزَّزْتَ بِهِ الْإِيمَانَ** - الإيمان المظهر الأكمل للدين، الجوهر الأعمق للدين، وإلا لو كان الدينُ بـكله هو الإيمان بـكله وما في الدين من مراتب لَمَا احججتنا إلى ذكر الأديان وذكر الإيمان - **وَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا بَعَثْتَهُ بِخَيْرِ الْأَدْيَانِ وَأَعَزَّزْتَ بِهِ الْإِيمَانَ وَتَبَّرْتَ بِهِ الْأَوْثَانَ** - موطن الشاهد هنا - **وَأَعَزَّزْتَ بِهِ الْإِيمَانَ** - فالإيمان هنا عنوان، مصطلح للمرتبة الأعلى في ديننا، وبعبارةٍ أخرى جوهر الحقيقة في ديننا، وهذا ما يفصح عنه ما جاء في دعاء الندبة الشريفة هناك - **وَأَعَزَّزْتَ بِهِ الْإِيمَانَ** - عنوانٌ عام لمرتبةٍ خاصة، هنا في دعاء الندبة شيءٌ من تفصيل، ثم

قال يعني النبي صلى الله عليه وآله، أقتطف عبارات من هذا الدعاء، ثم قال مخاطباً سيد الأوصياء: أنت أخي ووصي ووراثي لحمك من لحمي ودمك من دمي وسلمك سلمي وحربك حربي والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي - مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ هُم حَقَائِقُ الْإِيمَانِ، حتى الأبدان منهم، حتى أبدانهم هي إيمان في إيمان - والإيمان مُخالطٌ لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي - الإيمان عند مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ فِي كُلِّ وَجُودِهِمَا، أصلاً أن وجود مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْإِيمَانُ، وما عند الخلائق إنما هو رشحاتٌ من ذلك الإيمان لذلك كانوا أبواب الإيمان، لأن الإيمان يدخل إليهم ويخرج منهم، لأنهم هم القصر والمكان والمدينة التي أستقر فيها الإيمان - والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وأنت غداً على الحوض خليفتي وأنت تقضي ديني وتنجز عدااتي وشيعتك على منابر من نورٍ مبيضة وجوههم حولي في الجنة وهم جيرانني ولولا أنت يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي وكان بعده هدىً من الضلال ونوراً من العمى وحبل الله المتين وصراطه المستقيم - موطن الشاهد هنا - والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي - وهنا في الفقرة الثانية وهو مظهرٌ من مظاهر الإيمان - ولولا أنت يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي - ميزان الإيمان عليّ صلوات الله عليه - ولولا أنت يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي - لماذا؟ كما قال صلى الله عليه وآله - والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك - هذه حقيقة الإيمان وشبيه الشيء منجذبٌ إليه، هذا هو قانون الطبيعة، شبيه الشيء منجذبٌ إليه، فإذا كان هذا الوجود هكذا يصفه رسول الله والإيمان مخالطٌ لحمه ودمه، فلذلك أي شيء سينجذب إليه؟ ستنجذب إليه النفوس والأرواح التي يتحلى في مرآئها شيءٌ من ذلك الإيمان - ولولا أنت يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي وكان بعده هدىً من الضلال ونوراً من العمى - إلى آخر الدعاء الشريف، هذه ومضةٌ خاطفةٌ ونحن نقف على أعتاب هذه الأبواب - وَأَبْوَابُ الْإِيمَانِ - هذه ومضة خاطفة، هذه قبسة عجلانٍ على أعتاب أبواب الإيمان وأمناء الرحمن.

في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف الرواية: عن مدرك بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الإسلام عريان فلباسه الحياء وزينته الوقار ومروته العمل الصالح وعماده الورع ولكل شيءٍ أساس - هذه هي طبيعة التكوين وطبيعة التشريع لكل شيءٍ أساس، هذه هي طبيعة الحياة المادية بموادها واشتقاقاتها، وطبيعة الحياة المعنوية بكل تجلياتها - لكل شيءٍ أساس وأساس والإسلام حينا أهل البيت - هذا قانون، هذا تصريح وبيان جلي ومختصر من رسول الله صلى الله عليه وآله - ولكل شيءٍ أساس وأساس والإسلام حينا أهل البيت - من هنا يبدأ الإسلام ومن هنا يبدأ الإيمان والإسلام هنا هو الإيمان، الإسلام هنا هو التسليم والتسليم

هو الإيمان، وأساس هذا الإيمان وأساس هذا التسليم وأساس هذا الإسلام هو حبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قد نجد تفصيلاً لمظاهر هذا الحب ولما ظهر هذا الإيمان قد نجد تفصيلاً لمظاهر هذا الأساس - لكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت.

أيضاً الرواية في الكافي: عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبو عمر الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به - هو هذا أفضل الأعمال، السؤال: - أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به - أساس قبول العمل - قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسنها حظاً، قال: قلت: ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عملٌ كله والقول بعض ذلك العمل - الإيمان عملٌ كله والقول إنما هو جزءٌ من ذلك العمل، فقد عدّ القول من العمل والقول هو في الواقع جزءٌ من العمل - فقال: الإيمان عملٌ كله والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بين في كتابه - بفرض من الله بين في كتابه أو بين في كتابه - واضح نوره ثابتة حجته يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه قال: قلت: صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه - الحديث هنا عن الإيمان - فقال: الإيمان عملٌ كله والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بين أو بين في كتابه وهو واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه، قال: قلت: صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه! قال: الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازل فمنه التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه - إذاً هناك درجات للإيمان، مراتب، وهم أبواب الإيمان، هم أبواب لكل مراتب الإيمان في العوالم العلوية وفي العوالم السفلية - الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازل، فمنه التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، قلت: إن الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟! قال: نعم، قلت: كيف ذلك؟! قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها فليس من جوارحه جارحةٌ إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي ألباه من قبله - ألباه يعني الجنس - ولسانه الذي ينطق به ورأسه الذي فيه وجهه فليس من هذه جارحةٌ إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تبارك اسمه - الرواية طويلة، الرواية موجودة في الصفحة التاسعة والخمسين، في الصفحة الستين، في الحادية والستين، في الثانية والستين وفي الثالثة والستين، الرواية طويلة ولا

يسع المجال لقراءة كل تفاصيلها لكنني أكتفي بما قرأته من سطورٍ من هذه الرواية، المعنى المستخلص من هذه الرواية: أولاً: الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازل، فمنه التام المنتهى تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، هذا أولاً، إذاً الإيمان على مراتب، ما بين المرتبة الكاملة إلى أضعف المراتب. النقطة الثانية: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بن آدم، الإيمان مفروضٌ على جميع الجوارح ومن هنا جاء في الحديث من صام صامت جوارحه لأن الصيام هو مظهرُ النبوة المُحمَّدية.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الصبر هنا جاء في روايات أهل البيت بمعنى الصيام وبمعنى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وبمعنى النبوة، فالصيام هو المظهر العبادي للنبوة المُحمَّدية ولذلك من صام صامت جوارحه والنبوة المُحمَّدية هي العنوان الأكمل للإيمان، والرواية هنا تقول - لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بن آدم - وفي الرواية إشارة واضحة لمعنى التسليم ولمعنى السالمية، فإن التسليم كلما كان أعمق وكلما كان أرقى كلما كانت جوارح الإنسان بكلها وبكل آثارها في مقام الطاعة لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، لأن الإيمان مبنوث مفروضٌ على كل الجوارح، فكلما صامت هذه الجوارح عن غير مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ كلما كانت هذه الجوارح في المقام الأعمق في المقام الأرقى للتسليم لهم ولولايتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الإيمان مبنوثٌ على جميع الجوارح والصيام مطلوب من جميع الجوارح، والصيام هنا هو الإيمان، هو مظهر النبوة والنبوة هي الإيمان، النبوة هي الإيمان وفي باطنها الولاية، جوهر النبوة الولاية، الولاية هي العنوان الفسيح تتمظهر بالنبوة وتتمظهر بالإمامة، فجوهر النبوة الولاية وجوهر الإمامة الولاية، ومن صام صامت جوارحه، تصوم الجوارح عن كل جهةٍ تتنافى مع الولاية عن كل جهةٍ تتنافى مع النبوة والإمامة، والناس على مراتب، وصيام الجوارح على مراتب ليس كل الناس ليس كل المؤمنين بنفس المرتبة في صيام جوارحهم وفي قيام جوارحهم بفروض الإيمان والطاعة.

هناك رواية في الكافي الشريف، رواية جميلة جداً تتحدث عن مراتب الإيمان، ماذا تقول هذه الرواية؟ الرواية: عن شهابٍ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو عَلِمَ الناسُ كيفَ خَلَقَ اللهُ تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً - الكلام بحاجة إلى تدبر إلى تَعَمُّقٍ في الفهم - لو عَلِمَ الناسُ كيفَ خَلَقَ اللهُ تبارك وتعالى هذا الخلق لم يُلْمَ أحدٌ أحداً، فقلتُ: أصلحك اللهُ فكيف ذلك؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق أجزاءً بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً - التسعة والأربعون هم حاصل سبعة في سبعة، وهذا الرقم له خصوصية في أساس التكوين وحتى في أساس التشريع - إن الله تبارك وتعالى خلق أجزاءً بلغ بها تسعة وأربعين جزءاً ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار - يعني إذا أردنا أن نعرف الناتج فلنضرب تسعة وأربعين في عشرة، الناتج 490 - ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة

أعشار - الآن عندنا 490 عُشر، لأن الأجزاء كانت تسعة وأربعين فجعل في كل جزءٍ عشرة أعشار، ثم قَسَّمَهُ بين الخلق - ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار ثم قَسَّمَهُ بين الخلق فجعل في رجلٍ عُشر جزء - يعني واحد على 490 - فجعل في رجلٍ عُشر جزء وفي آخر عُشري جزء حتى بلغ به جزءاً تاماً - يعني عشرة على 490 - وفي آخر جزءاً وعُشر جزء وآخر جزءاً وعُشري جزء وآخر جزءاً وثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامين - يعني اثنين على تسعة وأربعين أو عشرين على 490 - ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعةً وأربعين جزءاً - يعني من واحد على 490 إلى 490 على 490 - فمن لم يجعل فيه إلا عُشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العُشرين، وكذلك صاحب العُشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار، وكذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين ولو عَلِمَ الناسُ أن الله عزَّ وجلَّ خلق هذا الخلق على هذا لم يَلْمَ أحدٌ أحداً - في ذلك إشارة من بعيد إلى ما جاء في الأحاديث الشريفة - لو عَلِمَ أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله أو لترحم على قاتله أو لكفره - وكان أبو ذر من أصحاب الثامنة من أصحاب الدرجة الثامنة، وكان سلمان من أصحاب الدرجة العاشرة.

الرواية تريد أن تحدثنا عن مثل هذه المضامين والمقام لا يسمح للتفصيلات في كل هذه الجزئيات إنما أنا أحاول أن أعرض الخطوط الرئيسة، أحاول أن أعرض المطالب المهمة التي ينتفع منها المؤمنون والمؤمنات إن شاء الله تعالى، هذه ومضةٌ أخرى في معنى الإيمان وفي مراتب الإيمان ودرجات الإيمان، هم أبواب الإيمان، الإيمان هم، والإيمان يتجلى منهم، والإيمان يصلُ إلينا من خلالهم، مرَّ علينا أن قلوبنا خلقت من فاضل طينة أبدانهم لذلك هذه القلوب تحنُّ إليهم، مرَّ علينا في الحلقة الماضية مثل هذه المعاني، قلوبنا تحنُّ إليهم، ليس في الحلقة الماضية وإنما في الحلقة التي قبلها حين وقفنا عند قول الزيارة - وَعَنَّاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ - إذ كانت الحلقة الماضية في قول الزيارة - وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ - حين شرحت معنى وعناصر الأبرار ذكرت جملةً من الأحاديث ومن الروايات التي بيّنت أن قلوبنا خلقت من فاضل طينة أبدانهم لذلك هذه القلوب تحنُّ إليهم، فالإيمان صادرٌ منهم إلينا والإيمان ثابتٌ في قلوبنا وفي قلوب غيرنا حتى في قلوب الأنبياء والأوصياء السابقين، وفي قلوب الملائكة المقربين، ثباته بسبب إيمانهم لأنهم هم حقيقة الإيمان، والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك، واللحم والدم هنا قد يكون في العالم الأرضي لكن في العوالم العلوية اللحم والدم له دلالة وإشارةٌ أخرى، وهذه المعاني تتجلى كثيراً لنا حتى في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة يعني حينما نتبع كلمات الزيارة الجامعة الكبيرة فنراها جليلة واضحة من أولها إلى آخرها تتحدث عن هذه المضامين - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكْ، إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدْلُونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ

تُسَلِّمُونَ، وَيَأْمُرُهُ تَعْمَلُونَ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ - هذا مثال نموذج وإلا فعبارات الزيارة الجامعة الكبيرة كلها تصب في هذه الجهة، لكن هذا مثال أنا اقتطعته من الزيارة الجامعة الكبيرة، المؤمنون يحدّثنا عنهم القرآن فماذا يقول؟ من هم المؤمنون؟ ما هي صفاتهم؟ ما هي أوصافهم؟ المؤمنون هم الثابتون هم الواقفون على أعتاب هذه الأبواب، ألسنا نخاطبهم: وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، المؤمنون هم الثابتون على هذه الأبواب.

في سورة الأحزاب الآية السادسة والثلاثون ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ هنا يتجلى لنا معنى أن الإيمان مبثوث على الجوارح مُقَسَّمٌ على الجوارح ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ فالمؤمنون والمؤمنات مُسَلِّمُونَ بكل جوارحهم وبكل جوانحهم وهذا هو الإيمان ومن دون ذلك فلا إيمان، فالإيمان هو التسليم والتسليم هو الإسلام ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ ليس لهم الخيرة من أمرهم مطلقاً، الإيمان يقتضي أن الجوارح تستجيب لإيمانها، وإنما تستجيب الجوارح إذا صامت، صامت عن غير إرادة رسول الله، لأن هذه الجوارح متوجهة إلى إرادة رسول الله وهي صائمة عن غير إرادة رسول الله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ﴾.

في آية أخرى في سورة النور في الآية الحادية والخمسين ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سمعنا يعني الأذن، الإيمان مبثوث على الجوارح، وأطعنا الطاعة بالقلب والعقل وباليد وبالرجل ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. في سورة النساء التصريح واضح وجلي، في الآية الخامسة والستين ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الآية صريحة وواضحة في آثار الإيمان وفي دلائل الإيمان في حياة المؤمنين ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ - فيما اختلفوا فيه - فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا - النفوس

مُسَلِّمَةُ الْإِيمَانِ مَبْثُوثٌ عَلَى الْجَوَارِحِ - ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١٠﴾ .

هذه الآيات تتحدث عن آثار الإيمان والذي هو ارتباط برسول الله ارتباط بأهل البيت، الآيات صريحة، الآيات تتحدث عن الإيمان بمعنى التسليم، والتسليم إنما هو فرع الاعتقاد بالولاية، التسليم إنما هو فرع الاعتقاد بالمحبة والنصرة، كيف يتحقق معنى التسليم ما لم تجتمع هذه الأجزاء، المحبة، النصرة، المعرفة، الولاية، التولي، التبري، كلُّ هذه المعاني، الولاية والبراءة، المحبة والمعرفة، النصرة، الخدمة، هذه المعاني مجموعها هي التي ينشأ منها التسليم، والآيات واضحة وصريحة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى﴾ آخر الآية ماذا قالت؟ ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُسلموا تسليماً، والتسليم هو فرع المحبة والمعرفة والولاية والبراءة، وهذا هو معنى أنَّ الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليٍّ، أنا هنا لست بصدد بحثٍ فقهي كي أثبت بالأدلة الفقهية والأدلة النقلية وبالأحاديث المتواترة تواتراً معنوياً عن أهل بيت العصمة من أن الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليٍّ ولا غير ﴿فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ من أبتغى وراء ذلك فأولئك هم المنكرون هم المرتدون عن دين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ الروايات هكذا حدثتنا، الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليٍّ، وأنا هنا كما قلت لست بصدد إثبات هذه المسألة من الوجهة الفقهية فذلك أمرٌ موكول إلى مضانهِ، ولست بصدد إيراد أقوال علمائنا الأجلاء من العُصْرِ الأولى وإلى يومنا هذا في إثبات هذه القضية، أنا هنا بصدد بيانٍ وشرح معاني الزيارة الجامعة الكبيرة لإخواني ولأخواتي ولأبنائي وبناتي من مُحِبِّي أهل البيت، نحن نعيش في أفياء هذه المعاني وفي أجواء المحبة المُحَمَّدِيَّة العلوِيَّة، لست بصدد الجدل والإثبات، ولكن أدنى تبصر في هذه الآيات، أدنى تبصر في هذه النصوص التي قرأت بعضاً منها وسأقرأ البقية الباقية بحسب ما يسمح به الوقت، أدنى تبصر، أدنى تفكر يوصلنا إلى هذه النتيجة الصُّرَاح، النتيجة البينة الجلية أن الإيمان هو ولاية عليٍّ وآل عليٍّ، هو الولاية المُحَمَّدِيَّة العلوِيَّة.

وقد مرَّ علينا في الحلقة الماضية جملة من الأحاديث التي كانت تصرح بأن الأعمال لن تقبل من العباد من دون ولاية عليٍّ وآل عليٍّ وهي جزءٌ من هذا المعنى، لأن الأعمال لن تقبل إلا بقيد الإيمان كما مرَّ علينا قبل قليل في رواية الكافي حين سأل السائل إمامنا الصادق أخبرني عن أي الأعمال أفضل؟ قال: أفضل الأعمال العمل الذي لا يقبل الله من العباد أيَّ عملٍ من دونه وهو الإيمان، وما تلكم الروايات التي مرت علينا إلا شرح وبيان لهذه الحقيقة، أتناول أمثلة ونماذج أخرى تصبُّ في هذا الباب، تصب في هذا الاتجاه.

في محاسن البرقي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو أن عبداً عبد الله ألف عام ما بين الركن والمقام ثم ذُبح كما يُذبح الكبش مظلوماً لبعثه الله مع النفر

الذين يقتدي بهم ويهتدي بهداهم - هذا هو القانون والقضية منطقية وواضحة - لو أن عبداً عَبَدَ الله ألف عام ما بين الركن والمقام ثم ذُبِحَ كما يُذبح الكبش مظلوماً لبعثه الله مع النفر الذين يقتدي بهم ويهتدي بهداهم ويسير بسيرتهم إن جنَّةً فجنة وإن ناراً فنار - وهذا هو القانون وهذه هي القاعدة التي يقبلها المنطق وتقبلها الفطرة.

الرواية عن عبد الرحمن بن كثير قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما صرنا في بعض الطريق صعدَ على جبلٍ فأشرف، أشرفَ من جهةٍ عالية فنظر إلى الناس فقال: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج، فقال له داوود الرقي: يا ابن رسول الله هل يستجيب الله دعاء هذا الجمع الذي أرى؟ قال: ويحك يا أبا سليمان إن الله لا يغفر أن يُشرك به، الجاحد لولاية عليٍّ كعابد وثن فكيف يُغفر له - فإنه يعبد أوثاناً.

عن الثمالي قال: خَطَبَ أميرُ المؤمنين عليه السلام فَحَمَدَ الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله اصطفى مُحَمَّدًا بالرسالة وأنبأه بالوحي فأنال في الناس وأنال، وفينا أهل البيت معاقل العلم وأبواب الحكمة وضياء الأمر، فمن يحبنا منكم نفعه إيمانه ويُقبل منه عمله ومن لم يحبنا منكم لم ينفعه إيمانه ولا يُقبل منه عمله - النصوص في هذا المضمون في هذا المعنى النصوص كثيرة جداً، أما أولئك الذين لا حظ لهم في معرفة حديث أهل البيت فيقولون بأن هذه الأحاديث تتعارض مع نصوص الكتاب، فقد سمعتم في الحلقات الماضية وفي هذا اليوم وفي برامج أخرى النصوص الكثيرة الواضحة التي تتحدث عن هذه الحقيقة، واعتماداً على ألفاظها من دون الرجوع إلى الروايات الشارحة، أما إذا أردنا أن نرجع إلى الروايات الشارحة للنصوص فإن القرآن من أوله إلى آخره يدور في هذا المعنى ويدور في هذا المضمون.

الرواية: عن ابن مسكان عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام وأنا جالسٌ عن قول الله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا﴾ - سئل عن هذه الآية وكان السؤال هكذا - يجري لهؤلاء - لهؤلاء يعني للمخالفين - يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر - ولاية عليٍّ وآل عليٍّ، يعني هذه القاعدة هذا القانون: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا﴾ يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الأمر؟ فقال: لا إنما هذه للمؤمنين خاصة، قلت له: أصلحك الله أرايت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف - لا يعرف علياً وآل عليٍّ - ولا ينصب العداة فقال: إن الله يُدخل أولئك الجنة برحمته - لا باستحقاقٍ منهم وإنما يدخلهم الجنة برحمته.

عن أبي بصيرٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا

وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿١﴾ في الصلاة والزكاة والصوم والخير - الإمام يبين المعنى بعد أن قرأ الآيات - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ - الإمام مستمر - في الصلاة والزكاة والصوم والخير إذا تولوا الله ورسوله وأولي الأمر منا أهل البيت قَبَلَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ - هذه الأوصاف هذه المعاني مشروطة بهذا الشرط. الرواية: عن الحارث بن المغيرة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا فدخل عليه داخل فقال يا ابن رسول الله: ما أكثر الحاج العام - يعني هذا العام - فقال: إن شاءوا فليكثروا وإن شاءوا فليقلوا والله ما يقبل الله إلا منكم ولا يغفر إلا لكم - هذا الرجل ماذا يقول؟ - يا ابن رسول الله: ما أكثر الحاج - المحجاج عددهم كثير هذا العام - فقال: إن شاءوا فليكثروا وإن شاءوا فليقلوا والله ما يقبل الله إلا منكم ولا يغفر إلا لكم - السرُّ هو في الإيمان والإيمان في الحقيقة هو الولاية لعلِّي وآل عليٍّ. عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن آيةً في القرآن تشككني - تثير عندي الشكوك تثير عندي التساؤلات - قال: وما هي؟ قلت: قول الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ - وأنا قلت فيما سلف في هذا البرنامج وفي البرامج الأخرى التقوى ولاية عليٍّ، والمتقون في القرآن هم المعتقدون بولاية عليٍّ وهذا المعنى واضح في كلمات المعصومين - ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ قال: أيُّ شيءٍ شككت فيها؟ قلت: من صلى وصام وعبَدَ الله فُيَلِّبُ منه؟ قال: إنما يتقبل الله من المتقين العارفين - العارفين بإمام زمانهم، العارفين بولاية عليٍّ وآل عليٍّ - ثم قال: أنت أزهدي في الدنيا أم الضحاك بن قيس - الضحاك بن قيس رجل كان معروف بالزهادة - قلت: لا بل الضحاك بن قيس - لأنه قد ألتزم بمظاهر الزهد - قال: فذلك لا يتقبل منه شيء مما ذكرت - لماذا - لأنه ليس من المتقين العارفين وإنما يتقبل الله من المتقين - إنما تفيد الحصر، التقبل من المتقين والمتقون هم الذين إمامهم إمام المتقين عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

النصوص كثيرة جداً أكتفي بهذا النص وأنقل الحديث إلى جهةٍ أخرى. هذا النص ينقله إمامنا الزاكي العسكري عن إمامنا الصادق ماذا يقول إمامنا الصادق؟ أعظم الناس حسرةً رجلٌ جمع مالا عظيماً بكدٍ شديد ومباشرة الأهوال وتعرض الأخطار ثم أفنى ماله صدقات ومبرات - المبرات هو عمل الخير - وأفنى شبابه وقوته في عباداتٍ وصلواتٍ وهو مع ذلك لا يرى لعلِّي بن أبي طالبٍ حقه ولا يعرف له

من الإسلام محلة ويرى أن من لا يُعشره ولا يُعشرُ عشير معشاره أفضل منه - يعتقد بأن أناساً لا يُعشرون عليّ، أي لا يصلون إلى عُشر عليّ، بل ولا يُعشر عشير معشاره، المعشار هو عُشر العشر، وهذه الكسور وهذه الأجزاء هي أقل ما يمكن ذكرها في لغة العرب، وهو مع ذلك مع كل عباداته وصلواته وأمواله التي أنفقها في المبرات - لا يرى لعلّي بن أبي طالبٍ حقه ولا يعرف له من الإسلام محلة ويرى أن من لا يُعشره ولا يُعشرُ عشير معشاره أفضل منه يُواقفُ على الحُجج - على الحجج التي تثبت ولاية عليّ - فلا يتأملها - هكذا يمر عليها - يُواقفُ على الحُجج فلا يتأملها ويحتجُّ عليها أو ويحتجُّ عليها بالآيات والأخبار - ويحتجُّ عليها الذين إذا ما حاججوه، أو هو يحتجُّ عليها بالآيات والأخبار بحسب فهمه - يُواقفُ على الحجج فلا يتأملها ويحتجُّ عليها بالآيات والأخبار فيأبى - يأبى الحجج والأخبار المُقامة عليه - إلا تمادياً في غيّه فذاك أعظم حسرةً من كل من يأتي يوم القيامة وصدقاته ممثلةً له في مثال الأفاعي تنهشه، وصلواته وعباداته ممثلةً له في مثال الزبانية تتبعه حتى تدعه إلى جهنم دعا، يقول: يا ويلي ألم أك من المصلين، ألم أك من المزكين، ألم أك عن أموال الناس ونسائهم من المتعطفين، فلماذا دهيت بما دهيت، ما الذي أصابني؟ فيقال له: يا شقي ما نفعك ما عملت وقد ضيعت أعظم الفروض بعد توحيد الله والإيمان بنبوة مُحَمَّدٍ رسول الله صلى الله عليه وآله ضيعت ما لزمك من معرفة حق عليّ ولي الله وألتزمت ما حرم الله عليك من الإلتزام بعدو الله فلو كان لك بدل أعمالك هذه عبادة الدهر من أوله إلى آخره وبدل صدقاتك الصدقة بكل أموال الدنيا بل بملء الأرض ذهباً لما زادك ذلك من رحمة الله إلا بعداً ومن سخط الله إلا قريباً - الرواية واضحة لماذا كل هذا؟! الكلام يمكن أن يقع في جهتين:

الجهة الأولى هذه العبادات عبادات إبليسية، إبليس لم يرفض السجود لله رفض السجود لآدم، والأحاديث تخبرنا أن إبليس قال يا ربّي أعفني من هذه السجدة وسأسجد لك سجدةً خمسة آلاف سنة، قال يا إبليس أنا أريد أن أُعبد وأن أُطاع من حيث أريد لا من حيث تريد أنت، الله سبحانه وتعالى يريد أن يُعبد وأن يُطاع من حيث هو يريد لا من حيث يريد الناس، مثلاً أبو بكر، أبو بكر خليفة على المسلمين لكنه خليفة نصبه الناس، هو خليفة الناس، عليّ خليفة على المسلمين نصبه رسول الله في الغدير، الله نصبه في الغدير، الله يريد الخلافة من حيث هو نصبها لا من حيث نصب الناس الخليفة، عليّ إمام من الله وغيره إمام من الناس، لذلك هذه التسمية بأن فلان خليفة رسول الله متى نصبه رسول الله حتى صار خليفةً لرسول الله؟! إذا المقصود صار خليفةً لرسول الله بعد رسول الله من الجهة الزمانية نعم، من الجهة الزمانية هو خليفة رسول الله بعد رسول الله من الجهة الزمانية وهو عاصٍ لرسول الله في هذه القضية في نفس الوقت، الله سبحانه

وتعالى يريد أن يُطاع من حيث هو يريد لا من حيث نحن نريد، هذه الرواية هذا الذي قضى عمره في العبادة وأنفق أمواله في المبرات فصارت صدقاته أفاعي وصارت عبادته زبانية تدعه إلى الجحيم دعاً لأنه جاء بعبادة من الباب الذي لا يريدُه الله، القضية واضحة، إبليس كان هو أفضل الجان لذلك رفعه الله إلى عالم الملائكة، إبليس عابد كان عابداً وكان أفضل أمته من الجان فجعله الله في مصاف الملائكة وكان عالماً، هو عالم بكل الخير وبكل الشر لذلك هو ينهى عن كل خير ويأمر بكل شر، وإلا كيف ينهى عن كل خير ويأمر بكل شر ما لم يكن عالماً بالاثنتين، فهو عالم وعابد حتى هذه الرواية أنه طلب من الله أن يسجد له سجدة خمسة آلاف سنة هو عابد في غاية العبادة لكن هذه العبادة وهذا العلم وهذه الخيرية وهذا القرب ما جاء من الباب الذي يريده الله، السر هنا.

هؤلاء أناس عبادتهم إبليسية دينهم إبليسي عقيدتهم إبليسية، إنهم ذهبوا من الباب الذي لم يفتحه الله لهم، نحن نقول - **وأبواب الإيمان** - هذه هي الأبواب المفتوحة التي يدخل من خلالها الإيمان ويخرج منها الإيمان، فيخرج الإيمان من هذه الأبواب إينا وأعمالنا التي هي صورٌ لإيماننا تدخل من خلال هذه الأبواب، فأئني إيمان آخر لا يخرج من هذه الأبواب هو إيمان إبليسي، وأي عملٍ يصدر عن إيمان العبد ما لم يدخل من هذه الأبواب فهو عملٌ إبليسي وإيمان إبليسي القضية هنا، القضية ليست مسألة مزاجية أو مسألة طائفية أو مسألة تعصب لأشخاص نحن نحبهم، هناك عبادة إلهية وهناك عبادة إبليسية، العبادة الإلهية العبادة التي تأتي من خلال الأبواب والجهات التي فتحها الله.

لنفترض أن أشخاصاً حينما غيرت القبلة إلى الكعبة فلنفترض أن أشخاصاً لم يُغيروا وبقوا يصلون إلى بيت المقدس ويقولون هذه هي القبلة الأولى ونحن نصلي ونتعبد لله هل تُقبل صلاتهم؟ لا تُقبل صلاتهم لأن الله أراد أن العبادة تأتي من جهة الكعبة في التوجه البدني والجسدي والجغرافي، وأنا قلت في برنامج قرآنا بأن تغيير الكعبة هذا الموضوع له رابطة ارتباط بقضية بيعة الغدير، وشرحتُ في حينها، وبينت العلاقة بين تغيير الكعبة وبين بيعة الغدير بين ولاية عليٍّ في ذلك رمزية واضحة، الله سبحانه وتعالى فتح لنا أبواباً يريد منا أن نأخذ من هذه الأبواب، ما يخرج من هذه الأبواب نحن نأخذُه فنسلم به ونعمل به، وأعمالنا أيضاً تصل إلى الله من خلال هذه الأبواب، هم أبواب الإيمان، هذه النقطة الأولى.

النقطة الثانية: إنما تُقبل الأعمال بولاية عليٍّ وولاية علي هي الإيمان، هذه الأعمال لها مادة، نحن قد نرى الأشياء المادية في الحياة، لكن الأشياء المعنوية نحن لا نراها، على سبيل المثال مثلاً حينما يسألون الأئمة أن الملائكة كيف يعلمون بنية الشخص إذا كانت نيته حسنة أو سيئة، يعني إذا نوى نيةً حسنة أو نوى نيةً سيئة، الأئمة هكذا يخبرونا الإمام الصادق وغيره صلوات الله عليهم بأن الإنسان حين ينوي نيةً حسنة تنبعث منه رائحة طيبة تشمها الملائكة وحين ينوي نيةً سيئة تنبعث منه رائحة كريهة، فالملك يعرف بأن هذا

الشخص قد نوى نيةً حسنة أو نوى نية سيئة، هذه الروائح نحن لا نشمها لأنها ليست من سنخية الروائح الدنيوية التي نشمها بهذه المشام الموجودة عندنا، لا بد أن تتطور هذه المشام الموجودة عندنا حتى تستطيع أن تشم هذه الروائح، ولو تمكن إنسان أن يشم هذه الروائح فليس بهذه الحواس وإنما بالبصيرة، هذه الأعمال لها مادة نحن نقرأ في الروايات أن عمل الإنسان يأتيه إما بصورة شابٍ جميل أو بصورة إنسان قبيح المنظر في قبره، هذه الأعمال لها مادة، أصل هذه المادة هي ولاية عليّ، هذه الأعمال تتكون من مادة، المادة هي ولاية عليّ، فنحن إذا جئنا فصنعنا الأعمال بولاية عليّ هذه الأعمال تُقبل، يعني الآن نأخذ شخصين، نطلب من شخصين نقول لهما يا فلان ويا فلان ليصنع كل واحد منكما قالباً من الكيك أو أرغفةً من الخبز أصنعوا لنا أرغفةً من الخبز أخبزوا لنا خبزاً، واحد يذهب فيأخذ من كيس الطحين مقداراً من الطحين وتبدأ العملية بممازجة الماء مع الطحين فالعجين ثم بعد ذلك يخبز ويأتينا بالخبز، وشخص آخر يذهب فيأخذ تراباً يمازجه بالماء ويصنع عجينة من الطين شبيهة بعجينة الطحين ثم يصنع لنا أرغفةً من هذا الطين وأيضاً يضعها في التنور وتفخر، فهذا يأتينا بخبزٍ قد نضج واستوى من طحين جاء به من كيس الطحين، وهذا يأتينا بأشياء تشبه الخبز، بنحت، فقد صنع عجينةً من طين ثم خبز أرغفةً من طين ثم فخرها في النار، نحن بحاجة إلى خبز سنأخذ الخبز نضعه في مكانه ونأخذ هذه الأحجار نلقيها خارج البيت لماذا؟

لأن هذا الذي صنع الخبز صنع الخبز من المادة المطلوبة التي يُصنع منها الخبز، وذلك صنع شيئاً يشبه الخبز ليس خبزاً فنحن لا نريده نلقي به خارجاً، مادة العمل هي ولاية أهل البيت، هذه الولاية لها وجود لها تصور، صحيح نحن لا نتلمسه باليد لكن هذه الروايات التي تتحدث عن الطينة وأن هذه العقول خُلقت من فاضل طينة أبدانهم وهناك رباط وأنا هنا لا أريد الدخول في حديث الطينة بالنحو الذي قد يفهمه البعض بنحو الجبر فلا جبر في أحاديث الطينة وأتي على شرحها في الوقت المناسب، هذه الولاية ولاية عليّ لها مادة، سمها ما شئت، مادة معنوية، مادة نورانية، مادة ملائكية، مادة ملكوتية، قل ما شئت لها مادة لها حقيقة، نحن بالولاية هذه نصنع أعمالنا، الآخرون الذين والوا غير عليّ أيضاً عندهم مادة يصنعون منها الأعمال، فهؤلاء الذين والوا عليّاً صنعوا الخبز من الطحين، وأولئك الذين والوا غير عليّ صنعوا الخبز الذي صنعوه من تراب، فهنا يكون الفارق والقضية أعمق من هذا وإن شاء الله نتناولها.

أما إذا سمعتم من فلان وفلان كلاماً في غير هذا الأفق فذلك ينم عن جهلٍ بحديث أهل البيت، هذا أولاً، وعن سطحية في الفهم هذا ثانياً، وعن مرضٍ في القلب يشده إلى من يُضاضد عليّاً صلوات الله عليه، فهناك جهلٌ وهناك سطحيةٌ وهناك مرضٌ والقضية هنا، هناك مرض هذه قلوب مريضة ونفوس مريضة، السرُّ هنا إذاً، سرُّ قبول الأعمال بسبب ولاية عليّ صلوات الله وسلامه عليه أن ولاية عليّ هي مادة العمل الذي يريده الله، فولاية عليّ هي ولاية الله، في بعض الأحاديث القدسية وقد رأيت هذا الحديث ليس في

كتب الشيعة فقط في كتب الشيعة وفي كتب غيرهم - من أطاعني وعصى علياً أدخلته النار ولا أبالي، ومن عصاني وأطاع علياً أدخلته الجنة ولا أبالي - الحديث هنا فيه إشارة وإلا لا يوجد هناك فارق بين طاعة الله وبين طاعة علي، لا يوجد هناك فارق بين معصية الله ومعصية علي - من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله ومن أطاع الله فقد أطاعكم ومن عصى الله فقد عصاكم - لكن الحديث يريد أن يشير إلى نكتة دقيقة، النكتة الدقيقة هو أنه لا فارق بين طاعة علي وبين طاعة الله، لكنه صُبَّ بهذا التعبير لبيان منزلة سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، طاعة علي هي طاعة الله، ولاية علي هي ولاية الله، من والاكم فقد والى الله ومن عاداكم فقد عادى الله، معرفة علي هي معرفة الله.

حين نقرأ في حديث المعرفة بالنورانية وهو من أجمل الأحاديث التي تشتمل على كثير من الإشارات وعلى كثير من التلويحات وعلى كثير من المضامين العالية في عمقها ومعناها، أقرأ السطور الأولى من هذا الحديث: سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي رضي الله عنهما يا أبا عبد الله - أبا عبد الله كنية سلمان - يا أبا عبد الله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال: يا جُنْدَب فامضي بنا حتى نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجد، قال: فانتظرناه حتى جاء، قال صلوات الله عليه: ما جاء بكما؟ قالوا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية، قال صلوات الله عليه: مرحباً بكما من وليين متعاهدين لدينه لستما بمُقصرين لعمري - الإمام هنا يُقسِم - لعمري أن ذلك الواجب على كل مؤمن ومؤمنة، ثم قال صلوات الله عليه: يا سلمان ويا جندب، قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية - انتبهوا لهذه الكلمة، كلمة خطيرة جداً - إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً مستبصراً ومن قَصَّر عن معرفة ذلك فهو شاكٌّ ومرتاب، يا سلمان ويا جندب قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ - معرفته، معرفة علي معرفة الله - معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة الله عزَّ وجلَّ معرفة علي بالنورانية - الكلمة جداً مهمة وعميقة جداً - يا سلمان ويا جندب قالوا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة الله عزَّ وجلَّ معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ﴾ - مخلصين له، هذا هو الإخلاص - ﴿ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ - موطن

الشاهد هنا - معرفتي بالنورانية معرفة الله عزَّ وجلَّ ومعرفة الله عزَّ وجلَّ معرفتي بالنورانية وهو الدينُ الخالص - هذه النورانية هي مادة العمل، هذه المعرفة بالنورانية هي مادة العمل، بقدر ما تشرق هذه النورانية في القلوب بقدر ما تحصل الأعمال على الدرجات، إنما الأعمال بالنيات وما النيات في حقيقتها إلا هي هذه النورانية، إنما الأعمال بالنيات يعني إن العمل حقيقته في نيته والنية إنما هي هذه النورانية في المعرفة، مثل ما رغيف الخبز مادته الطحين، مادة العمل هي النية إنما الأعمال بالنيات، ولذلك في الروايات نية المؤمن خيرٌ من عمله لماذا؟ نية المؤمن لأنها هي المادة التي يخلق منها العمل، وهذه النية لها بُعد مادي لكن لا كهذا البُعد المادي المحسوس ولها رائحة لذلك الملائكة تشم الرائحة، قبل قليل أشرت إلى الرواية بأن المؤمن حينما ينوي النية الحسنة الملائكة تشم رائحةً جميلة، وحينما ينوي نيةً سيئة الملائكة تشم رائحةً قبيحة رائحة كريهة، هذه الرائحة منبعثة من المادة، المادة لها رائحة، نية المؤمن خيرٌ من عمله لأن هذه النية هي مادة ولكنها مادة ملكوتية، هذه المادة التي يُصنع منها الخبز أو يُصنع منها تمثال الطين هذه مادة أرضية، هناك مادة ملكوتية، الأعمال تنشأ من مادة ملكوتية، وهذه مادة لها واقع لكن هذه الحواس لا تدركها، كم من الأشياء في الأرض لا تدركها حواسنا.

فهناك مادة للعمل هذه المادة أساسها هي هذه النورانية، كلما كانت النورانية أشد كانت المادة أكثر صفاءً، كانت رائحة فكلمة كانت المادة أكثر صفاءً كان العمل أكثر جمالاً أكثر نقاءً وهذا هو الإخلاص، الإخلاص الصفاء، منشأ الصفاء ومنشأ الإخلاص هو من طهارة هذه المادة من عمق هذه المادة، فكلمة كانت هذه المادة نقية نقائها يأتي من عمق المعرفة النورانية كانت الأعمال الصادرة أعمال في غاية المراتب العالية، أما أولئك الذين هم في حقيقتهم قذارات، ولايتهم عبارة عن قذارات عن مادة شيطانية، المادة الشيطانية ماذا تنتج؟ المادة الإبلية ماذا تنتج؟ المادة الإبلية في غاية القذارة أقدر من كل القذارات الطبيعية، مثل ما تكون المادة الملكوتية أظهر من كل المواد الطاهرة في الأرض، أظهر شيء الماء، المادة الملكوتية أظهر وأنقى من الماء، المادة الإبلية أيضاً أكثر قذراً من كل القذارات الموجودة، افترض أي قذارة موجودة أي نجاسة، المادة الإبلية أكثر نجاسة أكثر قذارة فمن تلكم المادة الإبلية تُخلق أعمالهم ومن هذه المادة الملكوتية تُخلق أعمال أولياء عليّ وهذا السبب في قبول العمل هذه هي الحقيقة.

المعاني أوضح وأعمق وأوسع من كل هذا ولكنني أكتفي بالقليل الذي أذكره، فما لا يُدرك كله لا يُترك كله، وإلا هذه مباحث عميقة، هذه مباحث فلسفية عميقة، هذه المادة الملكوتية إذا أردنا الحديث عنها فإننا نحتاج إلى تتبع في الكتاب الكريم وفي الكتاب الكريم هناك حشدٌ كبير عشرات وعشرات من الآيات لو قرأناها بتدبر لوصلنا إلى هذه النتيجة، فضلاً عن مئات من النصوص، لا أقول عشرات، مئات من النصوص تتحدث عن هذه الحقيقة، وحين أقول ذلك لا أقوله على أساس المبالغة أبداً، وأنتم لاحظتم في

البرامج السابقة حينما أتحدث عن موضوع ما فإني أحشد له النصوص من الكتاب الكريم ومن كلمات المعصومين ومع ذلك فالوقت لا يسمح بحشد كل النصوص وإنما بقدر ما يسمح به المقام.

فنحن حين نقف على أعتابهم ونقول: **وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ**. إنما نتحدث عن هذه الأبواب الإلهية التي فتحها الله سبحانه وتعالى لكل خلائقه ونحن من ضمنهم نحن نقف على هذه الأعتاب ننتظر فيضهم، فيضهم في كل أبعاده، فما عندنا من إيمان فهو منهم، وما عندنا من ولاية فهي منهم، وما عندنا من حُسنٍ فمردة إليهم، فإذا كانت أعمالنا حسنة فهي تتشكل من مادتهم من ولايتهم، في الحقيقة هي راجعة إليهم، إذا كان في أعمالنا نقص هذا النقص ليس مردة إلى مادة الولاية هذا النقص مردة إلى الوعاء الذي نحمله إلى المرآة الكدرة التي نحملها لأن المرآة حينما تكون كدرة لا تستطيع أن تعكس النور أن تعكس الضوء صافياً شديداً، كلما كانت المرآة صافية ونقية كلما عكست النور والضوء بنحوٍ أشد، فإذا كانت قلوبنا التي هي مرآتي أنفسنا كدرة فحينما تسطع عليه الأنوار العلوية فإنها تردها تعكسها بنحوٍ ضعيف لأن هذه المرايا كدرة لو كانت صافية لعكست النور بنحوٍ أشد، الجمال موجودٌ في هذا النور لكن النقص في نفس المرايا الكدرة العاكسة لهذا النور، فأعمالنا إذا كان فيها نقص النقص من المرايا الكدرة، وإذا كان هناك حُسن فالحسن من جمال الأنوار الساطعة علينا من جمال المادة الملكوتية، والحقيقة هذا الموضوع موضوع جميل، موضوع تهش إليه قلوب المحبين، هذا الموضوع يتناغم مع القلوب المُعبقة بعطر الولاية، هذا الموضوع يطرب النفوس والعقول التي تعيش وتتقلب في فناء عليٍّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولكن الوقت لا يعطينا مجالاً أن نذهب بعيداً فإني أتحول إلى العنوان الآخر:

وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ. وقلْتُ هناك تعانقٌ بين هذين العنوانين - **وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ** - أمناء جمعٌ لأمين والأمين هو الذي يُستأمنُ على الأمر، وإنما يُستأمنُ على الأمر لأمانته لصدقه ولكفاءته، الأمين يحتاج إلى أمرين: الأمر الأول الأمانة التي تستبطن معنى الصدق والطهارة. والأمر الثاني الكفاءة، الكفاءة التي تستبطن معنى التكبير والحكمة.

وإلا كيف يكون الأمين أميناً ما لم يكن صادقاً وطاهراً في نفسه وما لم يكن كفؤاً مدبراً وحكيماً حتى يستطيع أن يحفظ الأمانة، الأمين إذاً هو الصادق الطاهر وهو الكفؤ الذي يمتلك القدرة على التدبير والحكمة - **وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ** - وقطعاً الأمين تعلق رتبته بعلو من أستأمنه، مرةً الأمين يكون أميناً للملك، ومرةً الأمين يكون أميناً لرئيس الشرطة، وفارقٌ بين رئيس الشرطة وبين الملك، مرةً يكون الأمين أميناً للوزير لرئيس الوزراء، ومرةً يكون الأمين أميناً لرئيس الطبّاحين في المطبخ، وفارقٌ بين هذا وهذا، الأمين إذاً هو الصادق الطاهر في نفسه وهو الكفؤ المدبر الحكيم، وتعلق رتبة الأمين بعلو رتبة من أستأمنه.

فمن هم هؤلاء الأمناء؟ هؤلاء أمناء الرحمن، الرحمن هو الذي أستأمنهم، ومن هو الرحمن؟! من هو الرحمن الذي أستأمنهم؟! الرحمن هو الذي أخبرنا القرآن عنه في سورة طه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ هو المستوي على العرش ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهم أمناءه على هذه المعاني - وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ - من هو الرحمن؟! جلَّت قدرته وتعالى شأنه وتقدس، الرحمن هو يخبرنا في سورة طه في الآية الخامسة وفي الآية السادسة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهم أمناء على كل هذه الاستوائية، على كل هذا المعنى، هم أمناء الرحمن.

وأمناء الرحمن في سورة الحج، في سورة الحج ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ والخطاب هنا قطعاً لمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ليست لي ولا لغيري متى رأيت ذلك أنا؟! ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من منا رأى ذلك؟ هذا الكلام عن الرؤيا الإحاطية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ هذا الكلام هو شرح وتفريع لما جاء في سورة طه التي قرأناها قبل قليل، في سورة طه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ هذه الآية تشرح ما مر في الحديث عن السماوات والأرض وما فيهما ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ حين استوى سجد له كل شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ هذه كلها تسجد لله إلا الناس ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ لَمَّا وصل الحديث إلى بني آدم ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ في الروايات كثير من الناس الذين والوا عليّاً، وكثير حق عليه العذاب الذين خالفوا عليّاً ﴿وَمَنْ يُنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ عندنا رواية تتحدث عن هذا المضمون، هذه الرواية ينقلها سليمان بن خالد عن إمامنا الصادق سليمان يقول: سمعت أبا عبد الله عليه

السلام - هذه الرواية ينقلها شيخنا ابن إدريس الحلي رحمة الله عليه في كتابه السرائر، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ - ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي - قد تقول ما الفارق بين الآدمي والإنسي؟ سأأتي على بيانه - سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي ولا جني ولا ملك في السموات إلا ونحن الحُججُ عليهم وما خلق الله خلقاً إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه، فمؤمنٌ بنا وكافرٌ وجاحد حتى السموات والأرض والجبال - إلى آخر الآية والقمر والنجوم والدواب كل هذه الكائنات عرضت ولايتهم عليها - ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي - قد تقول ما الفارق بين الآدمي والإنسي، الإنسي هو الإنسان أما الآدمي قد يكون الإنسان وقد يكون معنىً آخر، الإشارة إلى ما جاء في الأحاديث إن قبل آدمكم هذا ألف ألف آدم، وإن قبل عالمكم هذا ألف ألف عالم، ففي هذه الرواية مصطلح آدم هنا ليس المراد منه مصطلح آدم البشري وإنما هناك هذا المصطلح عنوان للاستخلاف في كل تكلم العوالم، والمراد إن قبل آدمكم هذا ألف ألف آدم ليس القبليّة الزمانية هذه القبليّة في المراتب الوجودية قبليّة فلسفية هذه وليست قبليّة زمانية، كما أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح، في الجهة الزمانية حركة يدي وحركة المفتاح في نفس الوقت لكن حركة يدي متقدمة على حركة المفتاح من جهة أنها هي الفاعل هي العلة وحركة المفتاح هي المعلول.

فإن قبل آدمكم هذا ألف ألف آدم، وقبل عالمكم هذا ألف ألف عالم، الحديث هنا عن الأوامم المذكورة في تلكم العوالم - سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إنسي ولا جني ولا ملك في السموات إلا ونحن الحجج عليهم وما خلق الله خلقاً إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه فمؤمنٌ بنا وكافرٌ وجاحد - هؤلاء من الناس، هؤلاء من الجن، وقد أشارت الآية إلى هذا المعنى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ حتى السموات والأرض والجبال والشجر والدواب عرضت الولاية عليها وهذا هو معنى أمناء الرحمن، أمناء الرحمن ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ استوى على العرش، فحين استوى على العرش كانت الاستوائية تظهر في هذا المعنى ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ طبعاً لو أردنا أن نستمر في الآيات لبيّنت الآيات لنا كثيراً من الحقائق، بنحو سريع أمر على الآيات، الآن الآية عن أي شيءٍ تحدثت؟ تحدثت عن سجود كل شيءٍ إلا الناس ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ الآية التي بعدها ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ يعني

هناك مجموعتان، كثيرٌ من الناس سجدوا وكثيرٌ حق عليه العذاب ﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ هذي المجموعة الأولى هذي التي مادة عملها من المادة الإبلسية.

المجموعة الثانية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ هذي هي المجموعة الثانية، لاحظ ما هو وصفهم؟ ﴿ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ الطيبُ من القول هو ولاية عليّ، المادة الطيبة، الطيبُ من القول مرده إلى النية الطيبة، المادة الطيبة ﴿ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ والصراط صراط الله، الصراط الحميد، صراط الحميد، الصراط المستقيم، كل هذا مفسرٌ في عليّ وآل عليّ، قبل قليل قرأنا في دعاء الندبة: ولولا أنت يا عليّ لم يُعرف المؤمنون بعدي، وكان بعده هدىً من الضلال ونوراً من العمى وحبل الله المتين وصراطه المستقيم ﴿ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ هناك مجموعتان: مجموعة هي مجموعة الضلال هي المجموعة الجهنمية، ومجموعة ثانية هي المجموعة الجنانية مجموعة الهدى ما هي صفتهم؟ ﴿ وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ أدنى تدبر في هذه الآيات، أدنى تدبر في هذه المضامين أين يقودنا؟

يقودنا إلى هذه الحقيقة الجامعة المانعة، إلى حقيقة الولاية بمظهرها النبوي وبمظهرها الولوي - وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن - الرحمنُ جلت قدرته وتعالى شأنه فقد استوى جبروته ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ جبروته استوى، بعلوه استوى، بسلطانه استوى، وهذا الاستواء كان على كل شيء ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ الآية ما قالت الله على العرش استوى لأن الاستوائية كانت في عالم تجلي الأسماء، فتجلى الرحمن فاستوت رحمانيته على كل شيء، جولة سريعة في مجموعة من الروايات التي نخبرنا عن العرش، فالرحمن على عرشه استوى ونحن نخاطبهم - وأمناء الرحمن - فهم أمناء على عرشه وهم أمناء على هذه الاستوائية على العرش.

في حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وهذا هو الجزء الثامن والخمسون من بحار الأنوار، والرواية

منقولةً في كتب الشيعة وغيرهم، هنا الشيخ المجلسي ينقلها عن كتاب الخصال للشيخ الصدوق، وعن كتاب المعاني للشيخ الصدوق، وعن تفسير العياشي، وعن تفسير الدر المنثور من كتب المخالفين لإمامهم السيوطي في حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ مُلقاةٍ في أرض فلات وفضلُ العرش على الكرسي كفضل الفلات على تلك الحلقة. وهم أمناءُ الرحمن والرحمن على العرش استوى، ولا يقفُ الكلام عند هذا المعنى.

الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه حين سأله السائل عن الكرسي أهو أعظم أم العرش؟! فقال عليه السلام: كلُّ شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي - يعني أن الكرسي محيطٌ به - ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ كلُّ شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي خلا عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي.

هناك روايةٌ ينقلها الشيخ المجلسي عن إمامنا الزاكي العسكري عن النبي الأعظم، ماذا يقول نبينا صلى الله عليه وآله؟ إن الله لَمَّا خلق العرش خلق له ثلاث مئة وستين ألف ركن - ثلاث مئة وستين ألف ركن، طبعاً هذه الروايات روايات رمزية، والأعداد والأرقام والأحداث كلها رموز، نحن هنا لا نتحدث عن واقعه تأريخية، عن شخصٍ بنى بناية أو بنى عمارة فنقول جاء بكذا من الحديد وبكذا من الخشب وبكذا من الأسمنت وجاء بكذا من المهندسين وبكذا من العمال، لكن النبي يريد أن يقرب المعنى إلى الأذهان، القضية ليس قضية الحديث عن واقعة تأريخية، هذه قضايا في عمق الوجود وفي أرقى مراتب الوجود عن العرش - إن الله لَمَّا خلق العرش خلق له ثلاث مئة وستين ألف ركن وخلق عند كل ركن ثلاث مئة وستين ألف ملك لو أذن الله تعالى لأصغرهم - تلاحظون العرش له ثلاث مئة وستين ألف ركن، وعند كل ركن خلق الله ثلاث مئة وستين ألف ملك، لو أذن الله تعالى لأصغرهم لواحد من هؤلاء الملائكة - لأصغرهم فالتقم السموات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته - بين لهواته يعني في فضاء الفم - إلا كالرمل في المفازة الفضفاضة - المفازة الفضفاضة يعني الصحراء الواسعة جداً جداً جداً، كالرمل يعني حبة الرمل، أنتم تصوروا، تتصورون هذا المعنى!؟

العرش له ثلاث مئة وستين ألف ركن، عند كل ركن ثلاث مئة وستين ألف ملك، أصغر هؤلاء الملائكة لو أراد أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته يعني في فضاء الفم - إلا كالرمل - مثل حبة الرمل - في المفازة الفضفاضة - في الصحراء الواسعة جداً التي لا ترى بدايتها من نهايتها - فقال لهم الله: يا عبادي احتملوا عرشي هذا - احمولوه لهذه الأعداد الهائلة، عندنا ثلاث مئة وستين ألف ركن، وعند كل ركن ثلاث مئة وستين ألف من الملائكة، فأنت أضرب هذا العدد بهذا العدد كم يخرج

عندك من الأعداد؟

فقال لهم الله: يا عبادي احتملوا عرشي هذا فتعاطوه - يعني جاءوا لحمله - فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه - أنا قلت الكلام ليس في أبعاد مادية، ليس كبنية بانية، حديث هذا كله إشارات عن حقائق عميقة جداً - فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه فخلق الله عزَّ وجلَّ مع كل واحدٍ منهم واحداً - يعني الأعداد تضاعفت - فلم يقدرُوا أن يزعموه - أن يحركوه - فخلق الله مع كل واحدٍ منهم عشرة - يعني الآن الأعداد تضاعفت ثم ضاعفها مع كل واحد عشرة يعني أضاف عشرين، يعني مع الثلاث مئة وستين ألف المجموعة الأولى ضاعفهم فثلاث مئة وستين مع ثلاث مئة وستين عند كل ركن من الأركان الثلاث مئة وستين ألف، نجتمع ثلاث مئة وستين مع ثلاث مئة وستين سبع مئة وعشرين ألف، فهؤلاء ضاعفهم إلى عشر مرات - فخلق الله مع كل واحدٍ منهم عشرة فلم يقدرُوا أن يحركوه، فخلق الله بعدد كل واحدٍ منهم مثل جماعتهم - يعني صارت مليارات من الأعداد، صارت ملايين من المضاعفات - فخلق الله بعدد كل واحدٍ منهم مثل جماعتهم فلم يقدرُوا أن يحركوه، فقال الله عزَّ وجلَّ لجميعهم: خلوه عليّ امسكه بقدرتي، فخلوه فامسكه الله عزَّ وجلَّ بقدرته، ثم قال لثمانيةٍ منهم: احملوه أنتم، فقالوا: يا ربنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجُم الغفير فكيف نطقه الآن دونهم، فقال الله عزَّ وجلَّ: لأنني أنا الله المُقَرَّبُ للبعيد والمُذَلِّلُ للبعيد والمُخَفِّفُ للشديد والمُسَهِّلُ للعسير أفعُلُ ما أشاء وأحكمُ ما أريد، أعلمكم كلماتٍ تقولونها يخف بها عليكم، قالوا: وما هي؟! قال: تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله الطيبين، فقالوها فحملوه وخف على كواهلهم كشعرةٍ نابتةٍ على كاهل رجلٍ جلدٍ قوي - شعرة على كاهل على متن رجل جلدٍ قوي، هل يحس بها؟ لا يحسُّ بها، إلى آخر الرواية.

موطن الشاهد هنا: الرواية تتحدث عن عظمة العرش، وتتحدث عن أن الذين رفعوا العرش رفعوه بذكر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - بسم الله الرحمن الرحيم - والبسملَةُ هي في سرها في النقطة والنقطة عليّ - ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم - وهذي هي عنوانُ لأسماء الله الحسنَى وأسماء الله الحسنَى هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ، وهذي مظاهر هذي تجليات، البسملَةُ مظهر لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، والحوقة التي هي عنوان الأسماء الحسنَى هي مظهرٌ لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله الطيبين - هذا ظهورٌ واضح، أنا إلى أين أريد أن أذهب؟ أريد أن أذهب إلى رواية أخرى.

الرواية يرويها الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمسُ جزءٌ من سبعين جزءً من نور الكرسي - طبعاً هذي معاني تقريبية لأن أقوى نور هو نور

الشمس، فالإمام يريد أن يقرب المعاني - الشمسُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءٌ من سبعين جزء من نور العرش، والعرشُ - الآن العرش بهذه العظمة، ماذا تقول عنه هذه الرواية؟ - والعرشُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجابُ جزءٌ من سبعين جزء من نور الستر، وما الستر إلا مجلى الحقيقة المُحمّدية - فهذا هو العرش وهذي هي الاستوائية والرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وهؤلاء هم أمناء الرحمن، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَبْوَابَ الْإِيمَانِ يَا أَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ، فكما أنهم هم الأبواب التي يأتينا منها الإيمان ويدخل من خلالها إيماننا وأعمالنا هم الأمناء علينا تكويناً وتشريعاً، هم الأمناء على ديننا، هم الأمان لأهل الأرض والسماء، وهم الأمناء على هذا الأمان أيضاً، هم أمناء الرحمن، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، فهم أمناءه على العرش وما دون العرش وحتى ما فوق العرش، فما بعد العرش الحجاب وما بعد الحجاب الستر وهناك السرادقات على مراتبها التي فصلتها الروايات، وهم نوره الأول نوره النافذ.

اللهم إني أسألك من نورك بأنوره، هم النور النافذ في كل تلك العوالم، إن كان في عالم الستر، في عالم السرادقات، في عالم الحجاب، في عالم العرش، في عالم الكرسي، وهكذا في كل عالم إلى عالمنا الدنيوي، فالشمس والقمر هي من نور إمامنا الحسن كما في الروايات، هي من مجالي النور الحسيني، وكل نور في الأرض مرده إلى الشمس، وأما نور القلوب ونور الهداية فهو نورهم هو نور عليّ ولولاك يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي هكذا قال صلى الله عليه وآله وسلم.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ

وإنما أقرأ هذه العناوين كي أتذكر نعمة الله علينا أن وقفنا عند هذه العناوين تدبرنا فيها تصفحنا كتاب الله تصفحنا كتب العترة بحثاً عن معنى، عن حقيقة، عن نورية، مشعة في طوايا كلامهم وفي صفحات حديثهم الشريف.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهِيظَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزَانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءَ النَّعَمِ، وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ ...

وسلامٌ عليكم يا أشياعهم يا أولياءهم وفقني الله وإياكم لخدمة أبواب الإيمان وأمناء الرحمن وألقاكم على مودة عليّ وعليّ وعليّ وعليّ حتى ينقطع النَّفْسُ أسألكم الدعاء جميعاً في أمان الله.

الحلقة الخامسة عشرة

معنى وسُلالَةِ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةِ الْمُرْسَلِينَ وَعِثْرَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ جميعاً أحباب مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً لنا ولكم ولجميع المؤمنين والمؤمنات، هذه الحلقة الخامسة بعد العاشرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، لازلنا نعيش في أجواء هذه الزيارة وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه، في الحلقة الماضية كنا قد وقفنا عند قول الزيارة الشريفة: وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ. اليوم نقفُ عند هذه العبارات: وَسُلالَةِ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةِ الْمُرْسَلِينَ، وَعِثْرَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وبذلك إذا ما تم الحديث في هذه العبائر نكون قد أتمنا الكلام في المقطع الأول من المقاطع الخمسة التي تفتتح بها الزيارة الجامعة الكبيرة.

هذه المقاطع الخمسة كل مقطع ينتهي بقول الزيارة - وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - وهذا هو المقطع الأول الذي أحاول أن أتم الكلام فيه في هذه الحلقة إن شاء الله تعالى، فعندنا إذاً في فاتحة الزيارة في بداية الزيارة هناك خمسة مقاطع، كل مقطع يشتمل على مجموعة من الصفات ومن المقامات ومن الشؤون المُحمَّدية والعلوية، المقطع الأول يكاد يكون هو المقطع الأساس فيأتي المقطع الثاني متفرعاً عليه وهكذا الثالث يتفرع على ما قبله والرابع فالخامس، هذه المقاطع الخمسة التي ينتهي كل مقطع منها بقول الزيارة - وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - هذه هي قلب الزيارة الجامعة، لذلك أنا سأطيل نوعاً ما الوقوف عند هذه المقاطع الخمسة، إذا ما تم الكلام في هذه المقاطع الخمسة فإننا سنسير سيراً حثيثاً في بيان معاني ما بقي من عبارات ومما جاء مذكوراً في الزيارة الجامعة الكبيرة، لأن المتبقي وهو القسم الأكبر من الزيارة الجامعة الكبيرة إنما هو في الحقيقة متفرعٌ عن هذه المقاطع الخمسة التي هي في أول الزيارة، فهذه المقاطع الخمسة بمثابة قلب الزيارة الجامعة الكبيرة بمثابة الأساس والأصل الذي تتفرع على مضامينه وعلى فحاويه بقية المعاني التي تأتينا في سطور الزيارة الجامعة الكبيرة، فكأن الخزانة الأصلية هي في هذه المقاطع الخمسة وما بقي في الزيارة الجامعة الكبيرة إنما هو تفرعات وتطبيقات وإنما هو ذكرٌ للأمثلة والنماذج والمصاديق، الزيارة في أصلها إذاً في هذه المقاطع الخمسة وما بقي في الزيارة إنما هو تحليلاتٌ لهذه المقاطع الخمسة، وأهم هذه المقاطع الخمسة هو المقطع

الأول فهو الأساس لها إذ أن المقطع الثاني يتفرع على الأول وهكذا بقية المقاطع. نحن اليوم في آخر العباثر من المقطع الأول من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ** - هذه تُقرأ بالحركات الثلاثة تُقرأ **وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ** وتُقرأ **وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ** وتُقرأ **وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ**، كل هذه القراءات صحيحة - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ وَعِترَةَ خَيْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ**.

إذا نظرنا نظرة سريعة إلى هذه العبارات نجد إنها قد تدرجت بحسب الرتب: فالعبارة الأولى: **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ**. العبارة الثانية: **وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ**، والمرسلون أعلى رتبةً من النبيين وصفوة المرسلين أخص هذه مرتبة أخص. **وَعِترَةَ خَيْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ**، وخيرة رب العالمين مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ الْأَعْلَى وَهُوَ الْأَنْقَى وَهُوَ الْأَصْفَى، فنلاحظ أنّ هذه العبارات جاءت مترتبة، النبيون والمرسلون فَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ - السلالة ماذا تعني؟ السلالة تعني الخُلَاصَة، الخُلَاصَة النقية، والسلالة مأخوذة من معنى الاستلال، مثلاً حينما تكون عندنا فاكهة من الفواكه فليكن عندنا التفاح مثلاً، حينما نريد أن نستخلص خُلَاصَة التفاح وذلك أن نستل شراب التفاح، أن نستل عصير التفاح، السلالة هي الخُلَاصَة النقية، الخُلَاصَة النظيفَة البعيدة عن الشوائب، خُلَاصَة التفاح أين؟ في مائه النقي البعيد عن القشور، والبعيد كذلك عن سائر محتويات جسم التفاحة، من قشور، من عيدان، من بذور، من مادة متخثرة من أجزاء جسم التفاحة، هذه الخُلَاصَة التي نستلها استلالاً من جميع أجزاء التفاحة يمكن أن أقول عنها سلالة التفاحة، ومن هنا عبّر عن النطفة بالسلالة لماذا؟

لأن النطفة تُستَل من جميع أجزاء البدن، فجميع أوصاف البدن موجودة في هذه النطفة فليل لها سلالة، السلالة إذاً هي الخُلَاصَة الخُلَاصَة النقية المشتملة على أتم الأوصاف - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - الحديث هنا ليس عن نسبة وانتسابٍ عائلي أو عشائري، صحيح إن أجداد النبي أنبياء وهذا موضوع الآن خارج عن بحثنا لكن الزيارة تقول - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - هذا موجود في رواياتنا من أن أجداد النبي أنبياء من آدم إلى آخر أجداده إلى آخر آبائه، النبي تنقل في أصلاب الأنبياء، هذا موجود في الروايات وأنا لا أريد الحديث عن هذا المطلب، نحن والزيارة - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - الكلام هنا عن كل النبيين ليس عن مجموعة، حتى لو قلنا بأن أجداد النبي كلهم أنبياء وهو الحق فذلك لا يعني أن كل الأنبياء قد وقعوا في سلسلة أجداده صلى الله عليه وآله، الحديث هنا عن كل سلسلة النبيين، إذاً القضية خارجة عن قضية الانتساب الرحمي أو الانتساب العشائري - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - إذاً ما المقصود من ذلك؟ إذاً المسألة ليس الحديث عن نُطْفٍ وعن أصلاب وعن آباء وعن أجداد، لأن النبيين قطعاً لم يقعوا كلهم في سلالة أجداد رسول الله، فإذا لم يكن قد وقع

النبيون كلهم في سلالة أجداد رسول الله إذاً الكلام هنا في دائرةٍ أخرى، الحديث هنا - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - النبیین جمع مذكر سالم محلى بالألف واللام ذلك يعني الاستيعاب، الجمع المذكر السالم المُعرف بالألف واللام ذلك يعني أن المراد من قولنا النبیین يعني كل الأنبياء من أولهم إلى آخرهم - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - يعني من آدم إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فأهل البيت هم سلالة النبیین، فما المراد من السلالة هنا؟ هي الخُلاصة ونسبة هذه الخلاصة إلى النبیین لا يعني أن النبیین هم أشرف من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، قطعاً مُحَمَّدٌ داخلٌ في النبیین، فإذا دخل مُحَمَّدٌ في النبیین فحينئذٍ يكون مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أشرف من أهل بيته، لكن الحديث هنا عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - فالنبيون إنما هم في درجةٍ دون مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وهذه القضية واضحة في روايات أهل البيت وفي عقائد علمائنا الأجلاء الأعلام الذين عرفوا الحقائق من دين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، ربما هناك من يدعي أنه من أهل العلم أو يدعي أنه من أهل الفضل ولكن لا علم له ولا فضل له في علم مُحَمَّدٍ وآله مُحَمَّدٍ، ربما يعلم أشياء أخرى ذلك شأن آخر، قد يكون عالماً بأشياء أخرى لا تَمُتُّ إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ بصلة، نحن هنا نتحدث عن علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، الأحاديث والروايات الواردة عن النبي وعن الأئمة في هذا الشأن كثيرة جداً ونحن لسنا في مقام الاستقصاء لذا أنا سأقتطف نماذج من ذلك.

هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي، هذه رواية ينقلها الشيخ المجلسي عن كتاب عيون أخبار الرضا صلوات الله عليه لشيخنا الصدوق ينقل عن إمامنا الرضا عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إِنْ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا رَبِّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ** - هذا سؤال موسى، الله سبحانه وتعالى يخاطب موسى في القرآن لقد أوتيت سؤالك يا موسى، موسى أوتي سؤاله، فهل أوتي سؤاله في هذه القضية؟ - **يَا رَبِّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فَأُوحِيَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ** - المراد هنا من أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، الأئمة بالعنوان الخاص، الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإلا فالأنبياء طراً هم من أشياع مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ سؤال موسى هذا - **يَا رَبِّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فَأُوحِيَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ**.

هناك رواية تفصل هذا المعنى أكثر، الرواية منقولة عن إمامنا الزاكي العسكري صلوات الله وسلامه عليه وفيها شيء من تفصيل، الرواية طويلة أخذ منها موطن الحاجة حيث يحدثنا إمامنا العسكري عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ وَاصْطَفَاهُ نَجِيًّا وَفَلَقَ لَهُ الْبَحْرَ وَنَجَّى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ وَالْأَلْوَا حَ رَأَى مَكَانَهُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ - رَأَى مَكَانَهُ رَأَى أَنَّهُ لَهُ مَكَانًا عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ - فَقَالَ: يَا رَبِّي لَقَدْ أَكْرَمْتَنِي بِكَرَامَةٍ لَمْ تَكْرَمْ بِهَا أَحَدًا مِنْ قَبْلِي، فَقَالَ اللَّهُ**

جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أن مُحَمَّدًا أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي، قال موسى: يا ربي فإن كان مُحَمَّدًا أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل آل مُحَمَّدٍ على جميع آل النبيين كفضل مُحَمَّدٍ على جميع المرسلين؟ فقال موسى: يا ربي فإن كان آل مُحَمَّدٍ كذلك فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمّتي، ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى، وفلقت لهم البحر؟ فقال الله جلّ جلاله: يا موسى أما علمت أن فضل أمة مُحَمَّدٍ على جميع الأمم كفضله على جميع خلقه؟ فقال موسى: يا ربي ليتني كنت أراهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا موسى إنك لن تراهم فليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنان جنات عدن والفردوس بحضرة مُحَمَّدٍ في نعيمها يتقبلون وفي خيراته يتحبسون أفئحون أن أسمعك كلامهم؟ فقال: نعم إلهي، قال الله جلّ جلاله: قم بين يدي وأشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، ففعل ذلك موسى عليه السلام، فنادى ربنا عزّ وجلّ: يا أمة مُحَمَّدٍ فأجابوه كلهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، قال: فجعل الله عزّ وجلّ تلك الإجابة شعار الحج - الرواية واضحة صريحة في فضل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ على الأنبياء طراً، وإنما أخذت الحديث عن موسى عليه السلام مثال وغودج لأنه من الأنبياء ومن المرسلين ومن أولي العزم ومن أكثر الأنبياء الذين تحققت على أيديهم أعظم الآيات والبيّنات وأعظم المعاجز والكرامات، ومن أكثر الأنبياء الذين تحدث عنهم قرآنا الكريم - يا موسى أما علمت أن مُحَمَّدًا أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي - والرواية السابقة لما طلب موسى يا ربي اجعلني من أمة مُحَمَّدٍ، فماذا جاء الجواب - يا موسى إنك لا تصل إلى ذلك.

رواية ثالثة وأكتفي بهذه الروايات لأنقل إلى جهة أخرى من جهات البحث، الرواية ينقلها شيخنا المجلسي عن بصائر الدرجات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله - ما تكاملت النبوة لني في الأظلة - في عالم الأظلة - حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له ومثّلوا له في عالم الأمثلة - الرواية تتحدث عن النبوات في عالم الأظلة - ما تكاملت النبوة لني في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له في عالم الأمثلة والأظلة فأقروا بطاعتهم وولايتهم - الأنبياء إنما كملت نبواتهم بولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وإنما أخذ الميثاق على الأنبياء بالطاعة والإقرار والإتباع لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، والأحاديث عن النبي الأعظم وعن الأئمة المعصومين بهذا الشأن كثيرة جداً، لو أردنا أن نجمعها لجمعت في كتاب كبير، بالذات في هذا المضمون في فضل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ على الأنبياء والمرسلين وفي أن

النبوت وأن الرسائل ما تكاملت ولا كانت حتى أقرَّ الأنبياء والرسل بالولاية والطاعة والميثاق الصادق لمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، والمضامين واضحة لذلك الزيارة الشريفة هنا تقول - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - القضية ليس قضية تشريفية، القضية هنا ناظرة إلى معنى عميق سيأتي بيانه، فهنا حينما نخاطب الأئمة - **وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ** - لا يعني أنهم سلالة شُرِّفَتْ بانتسابها للنبيين، نعم شُرِّفَتْ بانتسابها لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، لكن الأنبياء شُرِّفُوا بانتسابهم في الولاية والطاعة والتشيع لمن؟ لمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هذه رواية، هذا هو الجزء الخامس والعشرون، رواية جميلة جداً يرويها جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، جابر يقول: **قلتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كُلَّ خير - خلق منه كل خير إشارة إلى الفيض، الفيض المُقَدَّس، إشارة إلى الفيض الأقدس، قل ما شئت من العبارات، إشارة إلى الرحمة الرحمانية، إشارة إلى الرحمة الرحيمية، إشارة إلى خيرية الوجود بكل مظاهرها بكل تجلياتها - نور نبيك يا جابر - هذا أول شيء خلقه الله - خلقه الله ثم خلق منه كُلَّ خير ثم أقامه بين يديه - خلق منه كل خير، خلق منه عناصر الوجود، وعناصر الأبرار، والأبرار ذكروا في الزيارة كمصادقٍ من مصاديق الوجود، الله سبحانه وتعالى خلق من نور نبينا كل خير، مادة الوجود، مادة الفيض - ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله - وهل هناك من يعرف هذا المقام؟**

هذا مقام لا يعرفه لا الأنبياء المرسلون ولا الملائكة المقربون هذا مقام مُحَمَّدٍ - ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم - الرواية عميقة جداً، أقامه في مقام القرب ثم اشتق منه العرش الكرسي وحملة العرش وخزنة الكرسي، ثم أقامه في مقام الحب، ومن يعرف هذا المقام؟ لا يعرفه إلا الحبيب والحبيب في هذا الوجود واحد مُحَمَّدٌ، مقام الحبيب مقام واحد يا أحمد خلقتك لأجلي - وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساماً فخلق القلم اللوح الجنة - وكل هذه من مظاهر الحب - وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاءً فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء - وكل هذا على سبيل المصاديق لا يعني أن الخلق منحصرٌ ومحصورٌ بهذه العناوين فقط، هذه مصاديق - وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاءً فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع

في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة - وهو في مقام الحياء - وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور - ذلك النور رشح تجلى - فرشح ذلك النور وقطرت منه قطرات - ما هي هذه القطرات؟

ذلك النور نور مُحَمَّدٍ ولكن في تجلٍ من تجلياته فنوره الأعلى أعلى من كل هذه الأنوار، حينما كان في عالم الحياء في مقام الحياء - ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مئة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة - عدد الأنبياء - فخلق الله من كل قطرة روح نبيٍّ ورسول - إذاً ما الأنبياء إلا رشحاً من رشحاتٍ من نورٍ لِمُحَمَّدٍ في مقامٍ من مقاماته، وهذه المقامات إنما هي في عالم الخلق الثاني، إذاً كيف يكون الحديث عن نور مُحَمَّدٍ في عالم الخلق الأول - ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مئة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبيٍّ ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين - وكل ذلك مرده إلى نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، هذه الرواية وأمثالها تبين لنا الفارق الكبير بين مقامات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وبين مقامات الأنبياء، ما الأنبياء إلا رشحاً من رشحات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في مقامٍ من مقاماتهم وليس من أعلى من مقاماتهم، في مقامٍ من مقاماتهم العلية، في مقامٍ من مقاماتهم القادسة، ما الأنبياء طراً إلا رشحاً من نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، والرشحة قطعاً لا تكون بمنزلة النور الذي رشحها، الرشحة فيها شيءٌ من ذلك النور، حين نقول رشحاً يعني لا تحمل مواصفات ذلك النور بتمامها وإنما تحمل شيئاً من مواصفاته من صفاته من خصاله تحمل شيئاً من معناه، فيها عبقٌ عطرٍ من عطره ليس فيها كل العطر فيها شيءٌ من عطر ذلك النور.

ولذلك نحن نقرأ في روايات وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مثلاً هذه الرواية عن أمير المؤمنين - أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله - ابن عباس ينقل الكلام عن سيد الأوصياء - أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال: - يعني ابن عباس - فقلت: يا أمير المؤمنين كيف ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ؟ قال صلوات الله عليه: لأننا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من شعاع نورنا فهم اصفياء أبرار أطهار متوسمون - متوسمون يعني يعرفون الحقائق - نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء - فشيعتهم من شعاع نورهم، والأنبياء من شيعتهم، رشحاً من رشحات نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

الرواية عن صفوان عن إمامنا الصادق إمامنا ماذا يقول؟ لَمَّا خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرة فقال عزَّ وجلَّ: هذان نوران لي مطيعان

فخلق الله من ذلك النور مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا والأصفياء من ولده وخلق من نورهم شيعتهم وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار - يعني هذا الضوء الذي نرى به ونرى به الأشياء ضوء الشمس وكل ضوءٍ آخر تقول الرواية - وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار - والروايات هنا هذه تتحدث بلسان الرمز، هذه تتحدث بلسان الإشارة، الكلام هنا ليس عن عوالم مادية، الحديث عن معاني عميقة وعميقة جداً.

رواية أخرى عن المفضل عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه وهو يسأل الإمام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟ فقال عليه السلام: كنا أنواراً حول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبحوا، فقالوا: يا ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبحوا، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، إلا إنا خُلِقْنَا من نور الله وَخُلِقَ شِيعَتُنَا من دون ذلك النور فإذا كان يوم القيامة ألتحقت السفلى بالعليا ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه السبابة والوسطى وقال: كهاتين كهاتين، ثم قال: يا مفضل أتدري لِمَا سميت الشيعة شيعة؟ يا مفضل شيعتنا منا ونحن من شيعتنا أما ترى هذه الشمس أين تبدو، قلت: من مشرق، وقال: إلى أين تعود قلت: إلى مغرب، قال عليه السلام: هكذا شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون - ما أجمل هذه العبارة - هكذا شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون - هذه الكلمات الشريفة تنبئنا تحدثنا عن حقيقتين:

الحقيقة الأولى: عظمة المقام المحمّدي.

والحقيقة الثانية: أن أشياعهم من الأنبياء والمرسلين ومن غيرهم منهم بدأوا وإلهم يعودون فهم رشحاً من أنوارهم، شعاعٌ يشع من نورهم الحقيقي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إذاً إلى أين سنصل بعد كل هذه البيانات المعصومية بعد كل هذه الكلمات المنيرة الطاهرة من أفواه المعصومين - وَسُلَالَةَ النَّبِيِّنَ - الحديثُ إذاً ليس عن أن هذه السلالة هي شريفةٌ وشرفت لانتسابها إلى النبيين، نعم هي شُرِّفَتْ لانتسابها إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لكن مُحَمَّدًا هو مقصودٌ أيضاً في هذه الزيارة، فحينما نقول عن مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأنه سلالة النبيين فهل يعني أن هذه السلالة قد شُرِّفَتْ بانتسابها للنبيين، أو حين نقول - وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ - والصفوة هي أخص من السلالة، السلالة كما قلت هي خلاصة، الصفوة هي خلاصة الخلاصة، هي الزبدة، هي الزبدة النقية، السلالة هي الخلاصة النقية، لكن الصفوة هي خلاصة الخلاصة، فلذلك السلالة نسبت إلى النبيين والصفوة نسبت إلى المرسلين، والمرسلون أعلى درجةً من النبيين، فالكلام هنا إذاً ليس عن نسبةٍ عشائرية عن نسبةٍ رحمية، الكلام هنا عن جهةٍ أخرى ستتضح لنا، نقرب نحوها شيئاً فشيئاً.

حين نقرأ في الكافي الشريف مثلاً، هذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، حين نقرأ هذه الرواية

مثلاً، الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: إن عيسى بن مريم أُعطي حرفين من أحرف الاسم الأعظم - الاسم الأعظم هو بجمع التجليات الأسمائية - إن عيسى بن مريم أُعطي حرفين - والمراد أُعطي حرفين لا يعني أنه أستلم شيئاً بيده وإنما الأنبياء في حقائقهم المعنوية هم مجالي مرآيا، قلوب الأنبياء، عقول الأنبياء، أرواح الأنبياء، عقول الأنبياء عقول واسعة، عقول كنهها يختلف عن كنه عقول غيرهم من البشر، عقولهم واسعة، قلوبهم واسعة، أرواحهم واسعة، جوهر الأنبياء جوهر له منزلة له خصوصية لا يعرفها إلا النبيون، حين الحديث عن عيسى وانه أُعطي حرفين من حروف الاسم الأعظم ذلك يعني ما تجلى في ذات عيسى، المعاني المتجلية، الأسماء الحسنى التي تجلت في عيسى، فعيسى كلمة الله، عيسى كلمة الله، هذه الكلمة الإلهية هي مجلى لأسماء الله الحسنى، فكم تجلى من المراتب في عيسى؟

الرواية هنا تتحدث عن مجالي الأسماء الحسنى في الأنبياء - إن عيسى بن مريم أُعطي حرفين كان يعمل بهما وأُعطي موسى أربعة أحرف وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً - الأنبياء الذين ذكروا هنا هم أولوا العزم وآدم أبو الأنبياء وأبو البشر - وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمُحمَّد - جمع ذلك ما كان عند الأنبياء، عيسى أُعطي حرفين، موسى أربعة أحرف، إبراهيم ثمانية أحرف، نوح خمسة عشر حرفاً، آدم خمسة وعشرين حرفاً - وإن الله تعالى جمع ذلك كله لمُحمَّد - يعني ما تجلى في الأنبياء تجلى في مُحمَّد صلى الله عليه وآله وتستمر الرواية - وإن اسم الله الأعظم ثلاث وسبعون حرفاً أُعطي مُحمَّد صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً وحُجب عنه حرف واحد - وقد تحدثنا في الحلقات الماضية حين وصلنا إلى قول الزيارة: وَخُزَّانَ الْعِلْمِ - بأن ذلك الحرف أُعطي لمُحمَّد وإنما هذه الرواية تتحدث عن مقام النبوة والرسالة بالمقايسة مع بقية الأنبياء والمرسلين، الحديث هنا عن النبوة والرسالة بالمقايسة مع جميع الأنبياء والمرسلين، الحديث عن مقام النبوة في عالم الأرض، أما النبوة المُحمَّدية فهي أوسع من كل تلك المعاني، النبوة المُحمَّدية هي نبوة الوجود ونبوة الكون ومرَّ الكلام في الحلقات الأولى من هذا البرنامج، وأشارت إلى الروايات وإلى النصوص التي تدور حول هذا المعنى وتدور حول هذا المضمون، وإلا فإن الحروف بتمامها عند مُحمَّد وآل مُحمَّد.

حين نقرأ مثلاً في دعاء علقمة وهو من الأدعية الكريمة جداً ومن الأدعية المهمة جداً، الدعاء الذي يستحب قراءته بعد زيارة أمير المؤمنين وزيارة سيد الشهداء بزيارة عاشوراء، ماذا نقرأ في هذا الدعاء؟ في دعاء علقمة نقرأ، وللفادة أقول إنه من الأدعية المُجرية لكشف الهموم والغموم ولإزاحة الضيق والهم والغم عن القلوب والصدور يُقرأ بعد زيارة سيد الأوصياء زيارة قصيرة لأمير المؤمنين وبعد زيارة عاشوراء، ماذا نقرأ في هذا الدعاء من جملة عبائره، الخطاب هنا دعاء التوجه إلى الله: أسألك بحق مُحمَّد خاتم النبيين وعليّ

أمير المؤمنين وبِحَقِّ فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَإِنِّي بِهِمْ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا وَبِهِمْ أَتَوَسَّلُ وَبِهِمْ أَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ وَبِحَقِّهِمْ أَسْأَلُكَ وَأُقْسِمُ وَأَعَزِّمُ عَلَيْكَ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَكَ وَبِالْقَدْرِ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَكَ وَبِالَّذِي فَضَلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ - عَلَى الْعَالَمِينَ طَرًّا - وَبِالَّذِي فَضَلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَبِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ - بِاسْمِكَ بِتَمَامِ الْاسْمِ بِالثَّلَاثَةِ وَالسَّبْعِينَ حَرْفًا لَوْ كَانَ بِالْاِثْنَيْنِ وَالسَّبْعِينَ حَرْفًا لَمَا جَاءَ هَذَا الْكَلَامُ - وَبِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ - وَلَمَّا جَاءَ هَذَا الْكَلَامُ - وَبِالَّذِي فَضَلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ - طَرًّا - وَبِالَّذِي فَضَلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ وَبِهِ خَصَصْتَهُمْ دُونَ الْعَالَمِينَ - ذَلِكَ هُوَ الْعِلْمُ الْمُسْتَأْتَرُ، ذَلِكَ هُوَ الْحَرْفُ الْمُسْتَأْتَرُ الَّذِي مَا تَجَلَّى وَلَا ظَهَرَ لِأَيِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، مَخْصُوصٌ بِهِمْ، الْعِبَارَاتُ وَاضِحَةٌ جَدًّا - وَبِالَّذِي فَضَلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَبِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ وَبِهِ خَصَصْتَهُمْ دُونَ الْعَالَمِينَ وَبِهِ أُبْنِتُهُمْ وَأَبْنَتُ فَضْلَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْعَالَمِينَ حَتَّى فَاقَ فَضْلَهُمْ فَضْلَ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا - الْعِبَارَاتُ تَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّمَعْنِ، شَيْءٍ مِنَ الْعِنَايَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَبِالْجَمْعِ مَعَ هَذِهِ النُّصُوصِ تَتَجَلَّى الصُّورَةُ وَاضِحَةً بَيْنَةً - وَبِالَّذِي فَضَلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَبِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ - عِنْدَهُمْ جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ - وَبِهِ خَصَصْتَهُمْ دُونَ الْعَالَمِينَ وَبِهِ أُبْنِتُهُمْ وَأَبْنَتُ فَضْلَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْعَالَمِينَ حَتَّى فَاقَ فَضْلَهُمْ فَضْلَ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا - الْكَلِمَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْعِبَارَاتُ بَيْنَةً وَالْعَطْرُ عَطْرُ مُحَمَّدٍ، وَالنَّفْسُ نَفْسُ مُحَمَّدٍ، وَالْكَلِمَاتُ كَلِمَاتُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي إِذَا تَصَبَّ فِي غَالِيَةِ مَسْكٍ، فِي نَافِجَةِ مَسْكٍ، تَصَبُّ فِي بَحْرِ مَوَاجٍ فَوَارٍ مِنَ الْعَطْرِ، فِي بَحْرِ الْوَالِيَةِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، إِذَا إِلَى أَيْنَ وَصَلْنَا؟

بعد كل هذه البيانات نصل إلى هذه النتيجة، السلالة هي الخلاصة النقية من الشوائب، والصفوة هي خلاصة الخلاصة، هي الزبدة النقية، والنبون في مراتبهم دون المرسلين - وَسُلَالَةُ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةُ الْمُرْسَلِينَ - المراد هنا ليس الانتساب العشائري وليس الانتساب الرحمي، المراد أن الأئمة مجمع مجالي الأنبياء، مجمع مجالي المرسلين، أنهم هم السلالة، يعني أنقى ما في الأنبياء وأرقى ما في الأنبياء وأجلى ما في الأنبياء هو ظاهر فيهم صلوات الله عليهم، ولماذا فيهم السلالة وفيهم الصفوة؟ لأن الأنبياء أساساً هم رشحاً من نورهم ومرت علينا الرواية، هذه الرشحاً أصلها سلالتها صفوتها حقيقتها أين؟ في ذلك النور الذي أقامه في مقام الحياء ونظر إليه بعين الهيبة، أليس هذا النور تجلى في مقام القرب ثم تنزل فتجلى في مقام الحب ثم تنزل فتجلى في مقام الخوف ثم تنزل فتجلى في مقام الحياء ونظر إليه الباري بعين الهيبة فرشح من ذلك النور قطرات، قطرات هي أرواح الأنبياء، رشحاً النور النبوية، رشحت من ذلك النور، هذه الرشحاً لها سلالة، لها خلاصة صافية، هذه الخلاصة الصافية من أين تتأتى إلى أين تعود؟!!

كما قال إمامنا صلوات الله وسلامه عليه، إمامنا الصادق - كذلك شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون - هي هذه السلالة، ألم يقل إمامنا هكذا في الرواية التي تلوتها على مسامعكم قبل قليل - كذلك شيعتنا - وهو يخاطب المُفضل - كذلك شيعتنا - لَمَّا قال له هذه الشمس من أين تأتي؟ قال: من مشرق، وإلى أين تذهب؟ قال إلى مغرب، قال: كذلك شيعتنا منا بدأوا وإلينا يعودون، فهم يترددون في فئتنا النوري هم يطوفون في هذا الفناء المُقدس، هذه الرشحة النورية لها سلالة لها صفوة لها خلاصة، خلاصة هذه الرشحة أين هي من أين جاءت؟ جاءت من ذلك النور فلو تجلت أين تتجلى؟ تتجلى في المظاهر البشرية لِ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في العالم الأرضي لذا نحن نخاطبهم - وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ - لا بعنوان الانتساب العشائري إذا كان الكلام هكذا فإن النبيين يتشرفون أن آل مُحَمَّدٍ يقعون في سلسلة أولادهم، لا أن آل مُحَمَّدٍ يتشرفون لأن الأنبياء في سلسلة أجدادهم، الكلام ليس عن الانتساب العشائري.

الكلام عن سلالة النبيين وهي الخلاصة النقية من الشوائب، وعن صفوة المرسلين وهي زبدة الزبد، النقاء الكامل، هذا المعنى إنما يتجلى في حقائقهم القدسية وهو الكلام الذي مرت الإشارة إليه في دعاء علقمة وباسمك الذي خصصتهم به بهذا الاسم، هذا الاسم الجامع الكامل، هذا الاسم تجلى في الأنبياء في عيسى بحرفين وفي موسى بأربعة أحرف وفي إبراهيم بثمانية أحرف، وهكذا في كل نبي في كل مرسل، أما فيهم فقد تجلى بكل المعاني بكل الحروف بالثلاثة والسبعين، فهم إذاً جَمَعُ مقامات الأنبياء، وإلى ذلك الإشارة فيما جاء في النصوص من أن جميع موارد الأنبياء موجودة عندهم، لأن هذه الموارد مردها الحقيقي إليهم، جميع موارد الأنبياء، جميع دلائل الأنبياء، جميع معاجز الأنبياء، جميع كتب وصحف الأنبياء، جميع آثار الأنبياء الإلهية، كلها مردها إليهم وهي عندهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، جميع علوم الأنبياء هي داخلَةٌ في تلكم الأحرف وتلكم الأحرف مجموعةٌ بكلها بتمامها إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذاً المراد من سلالة النبيين وصفوة المرسلين أنهم الحقيقة الجامعة لكل مجالي الأنبياء، بعبارةٍ أخرى لكل كمالات الأنبياء، لكل الآثار الظاهرة في الأنبياء بسبب ما تجلى فيهم من أسماء الله الحسنى، الأسماء الحسنى تجلت في الأنبياء فظهرت لذلك آثارٌ في الأنبياء، كل هذه المجالي كل هذه الآثار هي مجموعة عندهم وهي ظاهرةٌ فيهم لماذا؟ لأن أصل التجلي ولأن أصل هذه الآثار منشأه عائذٌ إلى تلكم الرشحة التي رشحت من ذلك النور الأحمدي وهو في مقام الحياء حين نظر إليه الباري بنظر الهيبة فرشحت تلكم الأنوار.

وَسَلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِثْرَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، العترة ما المراد منها؟ العترة في لغة العرب تأتي بمعنى أولاد الرجل، عترة الرجل أولاده، أولاده الذين من صلبه، والعترة أيضاً هي أصل الشجرة ولذلك

يقال للشجرة المقطوعة التي قُطِعَ ساقها وبقي جزءٌ من الساق متصلاً بجذوره في الأرض يقال لها عترة لأن العترة هي الشجرة، الشجرة النابتة التي امتدت جذورها كثيراً في الأرض، العترة هي الشجرة، والعترة الذرية، والعترة أيضاً في لغة العرب قطع المسك الكبيرة الموجودة في نافجة المسك، نافجة المسك هذه الغدة الجلدة التي تستخرج من غزال المسك والتي يتكون فيها المسك من دم الغزال المختزن في هذه النافجة، فحينما تستخرج القطع المتجمدة من المسك، القطع الكبيرة تسمى بالعترة، والقطع الصغيرة تسمى بالعتيرة، العترة هي القطعة الكبيرة من المسك، وأياً كان إن كان معنى العترة الأولاد فال مُحمَّد هم أولاد مُحمَّد، ولقد قال صلى الله عليه وآله: كل نبيٍ ذريته من صُلبه وذريتي من صُلب عليٍّ وفاطمة - فإذا كان معنى العترة هو الأولاد فهم أولاد مُحمَّد صلى الله عليه وآله، وإذا كان معنى العترة الشجرة فهم شجرة مُحمَّد وآل مُحمَّد كما قال صلى الله عليه وآله: أنا وعليٌّ من شجرةٍ واحدٍ وسائر الناس من شجرٍ شتى - وإذا كانت العترة هي قطع المسك الكبيرة في النافجة فهم نافجة مسك هذا الوجود، وهم قطع المسك الكبيرة في هذه النافجة، إذا كانت النافجة رمزاً للفيض الأقدس وللفيض المقدس، فإذا كانت النافجة هي وعاء الفيض فإن أكبر هذه القطع الموجودة في نافجة المسك والتي يقال لها العترة هم عترة المسك وهم عترة نافجة هذا الوجود.

وَعْتِرَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الخَيْرَةُ تأتي بمعنى المختار، المصطفى، يعني أن المراد هو عترة المصطفى عند رب العالمين، وعترة المختار من رب العالمين، خَيْرَةٌ رب العالمين يعني المخلوق الأول، المصطفى الأول، المختار الأول، المجتبي الأول، المنتجب الأول، وهو مُحمَّد صلى الله عليه وآله - وَعْتِرَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ - هذه العترة منسوبةٌ لخَيْرَةَ رب العالمين، والخَيْرَةُ هنا أضيفت إلى رب العالمين وربُّ العالمين هو المُدبر لشؤون العالمين، العالمون طراً جمعٌ لعالم لكل ما خلق الله سبحانه وتعالى، ربُّ العالمين هذا الاسم يتجلى أين؟ يتجلى في خيرته، يعني أن رب العالمين تجلى في خيرته ورب العالمين إنما تجلى في العالمين بكل أسمائه، رب العالمين إنما أفاض بجوده على العالمين، أفاض بكل جوده، رب العالمين وسعت رحمته كل العالمين وهذا هو الخيرة خيرة رب العالمين، يعني الذي اختاره من كل مجاليه، الذي اختاره من كل عوالمه فتجلى فيه بأعظم المراتب، خيرة رب العالمين هو عنوانٌ لكل المعاني التي جاءت في دعاء السحر الشريف، كل المعاني وكل الأوصاف التي جاءت في دعاء السحر الشريف، أبهى البهاء، أجمل الجمال:

اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه - أبهى البهاء، أجمل الجمال، أجملُّ الجلال، أعظم العظمة، أنور النور، أوسع الرحمة، أتم الكلمات، أكمل الكمال، أكبر الأسماء، أعز العزة، أمضى المشيئة، أقدر القدرة، أنفذ العلم، أرضى القول، أحب المسائل، أشرف الشرف، أديم السلطان، أفخر المُلك، أعلى العلو، أقدم المن، أكرم الآيات، مظاهر الشأن والجبروت، وكل ما يجمع هذه المجالي حين يقول الدعاء: وأسألك بكل شأنٍ

وحده وجبروتٍ وحدها اللهم إني أسألك بما تجيبني به حين أسألك فأجيني يا الله - واسم الله هو الاسم الجامع لكل الكمالات، خيرة رب العالمين، الكائن الموجود، الحقيقة، المجلى الذي تظهر فيه كل هذه المعاني، أبهى البهاء، أجمل الجمال، أجلُّ الجلال، أعظم العظمة، أنور النور، إلى بقية الأوصاف لأن هذا الدعاء لا يتحدث عن بهاء الله سبحانه وتعالى فبهاء الله فنور الله ليس فيه مراتب - اللهم إني أسألك من بهاءك بأبهاه - يعني هناك ما هو بهي وهناك ما هو أبهى - اللهم إني أسألك من علمك بأنفذه - هناك ما هو نافذ وهناك ما هو أنفذ، فعلم الله لا توجد فيه مراتب، علمه من صفاته الذاتية، علمه هو قدرته، وقدرته هي ذاته، وعلمه هو ذاته سبحانه وتعالى، لا توجد مراتب، هذه المراتب إنما هي في الحقيقة المُحمَّدية في تجليات الحقيقة المُحمَّدية، فإذا المراد من خيرة رب العالمين الحقيقة الجامعة لكل مجالي الأسماء لكل مجالي الصفات، وهذه العترة منتسبة إلى هذه الخيرة، إنتساب هذه العترة إلى هذه الخيرة يعني أنها تنتسبُ إلى كل صفات جمالها وكما لها - وَعِترَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ - هذه الخيرة فيها كل جمال وجلال، والعترة منسوبةٌ إلى كل هذا الجمال وإلى كل هذا الجلال.

وَسَلَالَةُ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَعِترَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وهذا الانتسابُ انتسابٌ في العالم الأرضي إلى مُحَمَّدٍ، هنا الانتساب يظهر في العالم الأرضي الانتساب الرحمي، والانتساب الإلهي أيضاً، قَالَ مُحَمَّدٌ يرثون مُحَمَّدٌ وراثته رحمية ويرثون مُحَمَّداً وراثته إلهية، ومن هنا يتجلى لك الكذب الفاضح في قول القائل بأننا معاصر الأنبياء لا نورث، أصلاً النبي صلى الله عليه وآله له وراثته إلهية وله وراثته بشرية رحمية، قَالَ مُحَمَّدٌ وراثته من الجهة الرحمية ووراثته من الجهة الإلهية - وَعِترَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ - فهم عترته من جهة اللحم والنسب وهم عترته من الجهة الإلهية من جهة الوراثة الربانية، لذلك حين نقرأ في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نقرأ في الزيارة لرسول الله من بعيد ماذا نقول له؟

أشهدُ يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةُ بأنجاسها - ذات مُحَمَّدٍ أبيةٌ على أن تنتجس، ذات مُحَمَّدٍ لو اقتربت منها النجاسةُ تتطهر، هذه ذواتُ أبيةٌ على النجاسة - أشهدُ يا رسول الله - الكلام هنا ليس عن انتسابٍ عشائري، الانتساب العشائري يأتي عرضاً، هذه مسألة عرضية، ذات مُحَمَّدٍ تتأبى لا يمكن أن تقترب منها النجاسة، ولو فرضنا وفرض المحال ليس بمُحال ولو فرضنا أن النجاسة تقترب من هذه الذات فإن النجاسة ستتطهر تتحول إلى طهارة، هذا الحديث ليس في الأفق الحسي المادي، هذا الحديث في العمق، في العمق الذي يقول عنه مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين، هذا في العمق البعيد لا في العمق الحسي - أشهدُ - يا رسول الله - أنك كنت نوراً - الحديث هنا ليس عن نُطف مادية، ليس الحديث عن انتساب عشائري،

الانتساب العشائري موجود وعلى العين والرأس ولكن الكلام عن حقيقة أبعده، عن معنى أعمق، الحديث هنا ليس مجازاً حينما تقول الزيارة: أشهد أنك كنت نوراً هو حقيقة النورية - أشهد يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةً بأنجاسها - وهذا ينبئك بأن أجداد الأنبياء أجداد نبينا أنبياء، هذا ينبئك بهذا المعنى، بأن أجداد نبينا أنبياء كما تقول الروايات، وأنا لا أريد البحث في هذه القضية الآن ربما نتناول هذا الموضوع في بحثٍ آخر لأن البحث هنا هو أرقى وأسمى من قضية الانتساب العشائري - أشهد يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةً بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها - المدلهمات الظلمات، الحديث هنا ليس عن جنبه مادية، الحديث عن الذات التي تتأبى أن تدنو منها النجاسة، هذه الذات المُطهرة للوجود ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ هذا الماء الطهور يعني هو طاهرٌ في نفسه مطهرٌ لغيره، هذا الماء الطهور هو الطهور الأصغر، الطهور الأعظم، هو الماء الأول، الماء الذي أشرقت به الحقيقة المُحمّدية، الماء الذي خلق الله منه كل شيءٍ حي هو ماء الوجود، ذلك الطهور الأعظم.

أشهد يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةً بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها - نفس هذه العبارات أين نقرأها؟

نقرأها في زيارة أبي السجاد في زيارة والد العترة الطاهرة ونحن نخاطبه - يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة - هذه زيارة وارث وفي زيارات عديدة أخرى وهذا الكلام ليس مختصاً بحسينٍ فقط، لكن هذا المعنى يتجلى بنفس العبارات، وفي ذلك إشارةً إلى قوله صلى الله عليه وآله - حسينٌ مني وأنا من حسين - وعندنا حديث آخر - أنا من حسين وحسينٌ مني - هناك حديثان عن رسول الله حديث مشهور تحفظه شيعة أهل البيت - حسينٌ مني وأنا من حسين - وهناك حديث آخر أيضاً - أنا من حسين وحسينٌ مني - والمعنى واحد فمُحمَّدٌ هو حسينٌ وحسينٌ هو مُحمَّدٌ إلا أن مُحمَّداً هو مُحمَّدٌ وأن حسيناً هو حسين - يا مولاي يا أبا عبد الله - نفس العبارات - أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المُطهرة لم تنجسك الجاهليةً بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها - نفس المعنى، هو نفس النقاء ونفس الطهارة ونفس المنزلة فهم سلالة النبيين وهم صفوة المرسلين وهم عترته خيرة رب العالمين.

روايةً في الجزء الخامس والعشرين من بحار الأنوار، الرواية فيها شيء من الطول لكنني أجد من الضرورة أن أتلوها على مسامعكم لِمَا فيها من غزير المطالب وعميق المضمون، الرواية عن حامل أسرار أهل البيت جابر بن يزيد الجعفي رضوان الله تعالى عليه، من أخص خواص الأئمة، ولقد نقل إلينا من حديثهم من

عميق أسرارهم، الرواية ينقلها عن إمامنا الباقر صلوات الله عليه، الإمام يقول له: يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول فأول ما ابتداء من خلق خلقه أن خلق مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه - هذا اللون، اللون الأخضر إشارة إلى لون الحياة ولون الحب ولون القرب، وقبل قليل مر علينا في المقامات التي تنزل فيها النور الأحدي في مقام القرب في مقام الحب النور الأخضر فيه إشارة إلى معاني الحياة والحب والقرب - فأول ما ابتداء من خلق خلقه أن خلق مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس - عبارة دقيقة جداً.

وأنا هنا لا أريد أن أشرح الرواية فإني أرى أن الوقت يجري سريعاً، أنا أقرأ الرواية وما يفهم منها فهو الذي سأكتفي به، لكن العبارة دقيقة جداً - يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس - وهو هذا معنى التحلي، أن الله تجلى في الحقيقة المُحمّدية بكل أسمائه - يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس نُسبِحُ الله تعالى ونقدسه ونحمده ونعبده حق عبادته ثم بدا لله تعالى عز وجل أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله عليّ أمير المؤمنين ووصيه به أيده ونصرته - فكل هذا رموز وإشارات - ثم خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك - يعني الله، مُحَمَّدٌ، عليّ - ثم خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثم خلق الجنة والنار فكتب عليها مثل ذلك، ثم خلق الملائكة وأسكنهم السماء ثم تراءى لهم تعالى وأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليّ عليه السلام بالولاية فاضطربت فرائض الملائكة فسخط الله على الملائكة واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرون بما أخذ عليهم ويسألونه الرضا فرضي عنهم بعدما أقروا بذلك وأسكنهم بذلك الإقرار السماء واختصهم لنفسه واختارهم لعبادته ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبح فسبحوا بتسبيحنا ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون الله ولا كيف يقصدونه - قطعاً الحديث هنا فاضطربت فرائض الملائكة فسخط الله على الملائكة هذه معاني تشابه نفس المعاني ونفس المضامين التي جاءت في قصة الاستخلاف في قصة آدم.

حين نقرأ في الكتاب الكريم في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴿﴾ أليس هذا نحو اعتراض؟! لكن هذا الاعتراض ليس اعتراضاً يخرجهم من حد الطاعة ﴿﴾ قَالُوا أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿﴾ إلى آخر الآيات وإلى آخر الكلام الذي كان بين الله وبين الملائكة، فهذا الشأن الذي ذكر في هذه الرواية كهذا الشأن الذي جاء في القرآن الكريم في قصة آدم وفي قصة استخلافه - ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تُسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون الله ولا كيف يقصدونه، ثم إن الله عزَّ وجلَّ خلق الهواء فكتب عليه لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله عليٌّ أمير المؤمنين ووصية به أيدته ونصرته، ثم خلق الله الجن وأسكنهم الهواء وأخذ الميثاق منهم بالربوبية ولمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية فأقر منهم بذلك من أقر وجحد منهم من جحد فأول من جحد إبليسُ لعنه الله فحتم له بالشقاوة وما صار إليه ثم أمر الله تعالى عزَّ وجلَّ أنوارنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا ولولا ذلك ما دروا كيف يسبحون الله، ثم خلق الله الأرض فكتب على أطرافها لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله عليٌّ أمير المؤمنين وصيه به أيدته ونصرته فبذلك يا جابر قامت السماوات بغير عمد وثبتت الأرض، ثم خلق الله تعالى آدم عليه السلام من أديم الأرض - من أديمها يعني من تراجمها - فسواه ونفخ فيه من روحه ثم أخرج ذريته من صلبه فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية، أقر منهم من أقر وجحد من جحد فكنا أول من أقر بذلك، ثم قال لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وعزتي وجلالي وعلو شأني لولاك ولولا عليٍّ وعترتكما الهادون المهديون الراشدون ما خلقت الجنة والنار ولا المكان ولا الأرض ولا السماء ولا الملائكة ولا خلقاً يعبدني، يا مُحَمَّدُ أنت خليلي وحببي ووصيي وخيرتي من خلقي (وعتره خيرة رب العالمين).

وخيرتي من خلقي أحب الخلق إلي وأول من ابتدأت إخراجهم من خلقي ثم من بعدك الصديق عليٌّ أمير المؤمنين وصيك به أيدتك ونصرتك وجعلته العروة الوثقى ونور أوليائي ومنار الهدى ثم هؤلاء الهداة المهتدون من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت وأنتم خيار خلقي فيما بيني وبين خلقي، خلقتكم من نور عظمتي واحتجبتُ بكم عن سواكم من خلقي وجعلتكم استقال بكم - استقال بكم أي أن العباد تطلب الإقالة من الله بهم، المغفرة والتوبة - وجعلتكم استقال بكم وأسأل بكم فكل شيء هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون ولا يبيد ولا يهلك من تولاكم ومن استقبلني بغيركم فقد ضل وهوى وأنتم خيارُ خلقي وحملَةٌ سري وخزانٌ علمي وسادةُ أهل السماوات وأهل الأرض، ثم إن الله تعالى هبط إلى الأرض في ظلِّ من الغمام والملائكة - الحديث هنا يشير إلى نفس المضمون.

الكلام هنا ليس عن تجسيم أو تجسيد، هذا التعبير هو نفس التعبير القرآني الذي جاء في سورة البقرة في

الآية العاشرة بعد المئتين: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ فهل يأتي الباري من مكان؟ هل هناك مكان خالٍ منه حتى يأتي من مكانٍ إلى مكان؟!!

وإنما المقصود كما شرحتُ هذه الآية في برنامج قرآنا ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ ﴾ إلا أن يأتيهم وليُّ الله، يأتيهم أمر الله، الكلام هنا في هذه الآية نفس الشيء هو الموجود في هذه الرواية - ثم إن الله تعالى هبط إلى الأرض في ظُللٍ من الغمام والملائكة ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ يأتيهم إلى أين؟

يأتيهم إلى عالم الأرض، يأتيهم إلى عالم القيامة يوم القيامة، الحديث هنا هكذا الخطاب مع الناس الذين كانوا يعيشون مع رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى الناس الذين يتعدون عن طريق الهدى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ هذا التعبير لأنه يتحدث عن مواقف يوم القيامة، والكلام هنا بنفس هذا التعبير بنفس هذا المضمون وبنفس هذا التحلي - ثم إن الله تعالى هبط إلى الأرض في ظُللٍ من الغمام والملائكة - الهبوط هنا هبوط أمره، هبوط فيضه، هبوط تجليه - واهبط أنوارنا أهل البيت معه وأوقفنا نوراً صفوفاً بين يديه نسبحه في أرضه كما سبحناه في سماواته ونقدسه في أرضه كما قدسناه في سمائه ونعبده في أرضه كما عبدناه في سمائه فلما أراد الله إخراج ذرية آدم عليه السلام لأخذ الميثاق سلك ذلك النور فيه - سلك يعني أدخل تجلى ذلك النور في آدم - سلك ذلك النور فيه ثم أخرج ذريته من صلبه - ثم أخرج ذريته أخرج ذرية آدم - من صلبه يلبون فسبحناه فسبحوا بتسبيحنا ولولا ذلك لا دروا كيف يسبحون الله عزَّ وجلَّ ثم تراءى لهم بأخذ الميثاق منهم له بالربوبية وكنا أول من قال بلى عند قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ - لأنهم هنا لهم تجلٍ في ذرية آدم باعتبار أنهم تنزلوا فظهروا في ذرية آدم - وكُنَّا أول من قال بلى عند قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ثم أخذ الميثاق منهم بالنبوة لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولعلي عليه السلام بالولاية فأقرَّ من أقرَّ وجحد من جحد، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فنحن أول خلق الله وأول خلق عبد الله وسبَّحه ونحن سببُ خلق الخلق وسببُ تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والادميين فبنا عُرف الله وبنا وُحِد الله وبنا عُبد الله وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه وبنا أثناب من أثناب وبنا عاقب من عاقب، ثم تلى قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمَسْبُوحُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا فَنَاءُ أَوْلِ الْعَابِدِينَ ﴾

فرسول الله صلى الله عليه وآله أول من عَبَدَ الله تعالى وأول من أنكر أن يكون له ولد أو شريك ثم نحن بعد رسول الله، ثم أودعنا بذلك النور صُلب آدم عليه الصلاة والسلام فمازال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام من صُلبٍ إلى صُلبٍ ولا أستقر في صلب إلا تبين عن الذي أنتقل منه انتقال وشرف الذي أستقر فيه حتى صار في صُلب عبد المطلب فوقع بأمر عبد الله فاطمة فافترق النور جزئين جزء في عبد الله وجزء في أبي طالب، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ يعني في أصلاب النبيين وأرحام نسائهم فعلى هذا أجرانا الله تعالى في الأصلاب والأرحام، وولّدنا الآباء والأمهات من لدن آدم عليه السلام - تمت الرواية الشريفة وفيها المضامين الوفيرة والغزيرة وهي تتحدث عن معنى الخيرة وعن معنى العترة وتتحدث عن مجالي أنوار مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ منذ التجلي الأول وهكذا في كل العوالم وفي كل طبقات الوجود وليست هذه الرواية حاصرة لكل المراتب وإنما روايات المعارف كل رواية من هذه الروايات تتحدث عن جهة من الجهات، تتحدث عن رُتَبٍ من مراتب التجليات، ما تجده من فوارق فيما بين هذه الروايات هذه الفوارق مردها إلى الجهات التي نظر إليها المتكلم وهو الإمام المعصوم، الإمام المعصوم في كل موقفٍ هو ناظر إلى حيثية من حيثيات، ولذلك مراراً أنا كررت وأكرر بأن المعارف الإلهية الآيات القرآنية والنصوص المعصومية الأحاديث التي تتحدث عن المعاني العميقة بلسان التصريح أو بلسان التلميح أو بلسان التلويح بلسان الإشارة بلسان الرمز بلسان الاصطلاح بأي لسان، هذه النصوص التي تتحدث عن عميق المعارف الإلهية حينما نريد أن نتعامل معها لا بد أن نتعامل على أساس هاتين القاعدتين الذهبيتين:

القاعدة الأولى: قاعدة حفظ المقامات.

والقاعدة الثانية: قاعدة تعدد حيثيات.

وقد مر الكلام في هذا الأمر مراراً وتكراراً، هذه المضامين كلها يمكن أن نجدتها في آية واحدة من آيات الكتاب الكريم، حين نذهب إلى قرآنا الكريم ونقرأ في سورة الضحى في الآية الخامسة، كلمات قليلة جملة مختصرة تُجمل كل هذه المعاني وأكثر من هذه المعاني بملايين المرات ﴿وَكَسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الخطاب هنا لمن؟ الخطاب هنا للمحمود الأحمد للمصطفى الأجدد، الخطاب لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿وَكَسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ هنا عطاءً من الله سبحانه وتعالى ﴿وَكَسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ رب مضافة إلى الضمير الذي يخاطب النبي ﴿وَكَسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ عطاءً من الله، من ربك، والآية قالت ربك، وما قالت مثلاً ولسوف يعطيك رب العالمين، الرب هو الذي له عناية، الرب هو المربي المدبر، فحين

تقول الآية ربك يعني الذي له عناية خاصة بك، الله وهو له عناية بمحمد، كيف ستكون هذه العناية؟ هذه العناية بينها الآية عطاء، لكن هنا الله سبحانه وتعالى يتوجه إلى محمد بعناية خاصة، هنا الله يتوجه إلى محمد على أنه رب محمد، التجلي هنا رب محمد يتجلى لمحمد، ليس رب العالمين يتجلى لمحمد ذلك تجلي آخر، رب محمد ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ مثل ما، وإن كان الأمثلة هذه الأمثلة تبعد أكثر مما تقرب ولكن ماذا نصنع؟ مثل ما يكون مثلاً أب عنده أولاد كثيرون فيوجه عنايته لكل الأولاد، ومرةً يوجه عنايته لولدٍ خاص، هناك عناية خاصة في منظور خاص منظور معين، حينما سألوها هذه الإعرابية سألوها أي أولادك تحبين أكثر؟ قالت كلهم سواء ولكن المريض حتى يشفى أحبه أكثر، والغائب حتى يعود أحبه أكثر، والصغير حتى يكبر، يعني هناك عناية معينة جهة معينة، الأولاد كلهم على السواء عند هذه الإعرابية لكنها تحب الغائب حتى يعود أكثر لماذا؟ هناك جهة معينة نظرت إليها بخصوصية بعناية، وتحب الصغير حتى يكبر هناك جهة نظرت إليها، وتحب المريض حتى يشفى.

فنقول رب العالمين رب لكل العوالم، لكن حين يكون الكلام رب محمد فهناك عناية من رب محمد لمحمد ومحمد هو الحبيب، محمد هو الأحب هو الأقرب هو الأرضى هو الأحمد هو المحمود هو المصطفى هو المختار هو المجتبي محمد هو محمد، أين أجد عبارات أتحدث فيها عن محمد، محمد هو محمد وكفى، الآية هنا تخاطب محمداً ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ ولسوف يعطيك رب محمد يا محمد، هناك عطاء، هل أستطيع أن أتصور هذا العطاء من رب محمد لمحمد بعناية لمحمد ﴿فَتَرْضَى﴾ عطاء من رب محمد لمحمد وهذا العطاء ما هو أثره؟ أن محمداً يرضى، ما المراد أن محمداً يرضى؟

مراد أن محمداً يرضى أن محمداً يتجلى فيه كل الجمال الإلهي كل الجلال الإلهي فيفنى في الله، فيكونون كما تقول هذه الكلمة التي ينقلها العرفاء في كتبهم عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - إن لنا مع الله حالات نكون فيها نحن هو وهو نحن إلا أننا نحن نحن وهو هو - إنما يرضى متى يرضى؟ محمد مرآة قابلة لأن يتجلى فيها كل الجمال وكل الجلال، وإنما ترضى هذه المرآة إذا تجلى فيها كل الجمال وكل الجلال، ورب محمد هو الذي يعطي، رب محمد لعناية لمحمد يعطي محمداً ومحمد يرضى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ كيف أُعبر عن هذا؟ لا أجد تعبيراً إلا تعبير القرآن، في سورة النور في الآية الخامسة

والثلاثين ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فقط، لا أجد عبارةً أخرى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فربك نور وعطاءه نور وأنت نور ورضاءك نور ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ لا أجد عبارةً أخرى، أنا قلت في حينها

حين تحدثت عن آية النور هذه الآية هي أعظم آية في الكتاب الكريم تتحدث عن أعظم المراتب والمقامات، أعظم مقامات مُحَمَّدٍ في القرآن هي في آية النور ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أجلي عبارة يمكن أن أجدها تناسب هذه الآية ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ خيرة رب العالمين، وهؤلاء عترته، هؤلاء عترة النور على النور هؤلاء هم النور على النور نحن نقرأ في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ماذا نخاطبه؟ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ - وَمُحَمَّدٌ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَوْصَافٍ، مُحَمَّدٌ تَكْفِي - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ - هذا الاسم الذي يعلو على القيود لا يحتاج إلى أوصاف - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ - هنا في مقام الإطلاق من دون أوصاف من دون قيود - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ - الذات التي تتأبى على القيود، فإني لا أحب القيود في معصميك، ذاتٌ تتأبى على القيود جمالها في عدم قيودها، فإني لا أحب القيود في معصميك - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ - هذه عناوين تنزه عن القيود، تنزه عن الإضافات، أجلي أجلي من أن توصف بأنها رسول الله، رسول الله من مقاماته لكن الخطاب هنا مع المقام الأسمى، نبي الله خاتم الأنبياء من مقاماته لكن مُحَمَّدًا هنا أسمى أسمى ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ السلام عليك يا مُحَمَّدٌ - الاسم المنزه عن القيود عن الإضافات في حالة الإطلاق في عالم الإطلاق - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ - وكلمة مُحَمَّدٌ وكلمة أحمد بحاجة إلى شرح، إن شاء الله في وقتٍ آخر أشرح هذين الاسمين الشريفين.

فلكل اسمٍ ولكل وصفٍ ولكل لفظةٍ من هاتين اللفظتين كلامٌ طويل في شرح معناه، إن شاء في وقتٍ آخر أتناول شرح هذين الاسمين الشريفين - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْأُولِينَ - هذه قيود، في البداية الخطاب على وجه الإطلاق، كما يقول الشاعر فإني لا أحب القيود في معصميك، هنا ذوات هنا أسماء مقامات مُنزه عن القيود - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ وَالسَّابِقَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْمَهِيْمَانَ عَلَى رُسُلِهِ - هذه مقاماته لنتبه إلى العبارات - السلام عليك يا مُحَمَّدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ وَالسَّابِقَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْمَهِيْمَانَ عَلَى رُسُلِهِ - له الهيمنة - والمهيمن على رُسُلِهِ - فهم رشحةٌ من نوره - والمهيمن على رُسُلِهِ وَالْخَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالشَّاهِدَ عَلَى خَلْقِهِ - شاهدٌ على الجميع - والشفيع إليه والمكين لديه والمطاع في ملكوته - الملكوت ما وراء ظاهر الوجود - الأحمد من الأوصاف المُحَمَّدَ لِسَائِرِ الْأَشْرَافِ - وهذه من مجالي معاني الاسمين الكريمين، ما عندي وقت أن أقف عند هذه العبائر - الأحمد من الأوصاف

المُحَمَّد لسائر الأشراف الكريم عند الرب والمُكَلَّم من وراء الحُجب الفائز بالسباق - هو الفائز الأول - والفائت على اللحاق - لا يُلحق، لا يُسبق، هذه أوصافه - الفائز بالسباق - هذه العترة التي نسلم عليها - وَعِترَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ - هي عترة هذا الأحمَد من الأوصاف المُحَمَّد لسائر الأشراف، هي عترة هذا الموصوف بهذه الأوصاف بكل هذه الأوصاف وبما هو أعظم من هذه الأوصاف وكل هذه الأوصاف تتجلى في عترته، وتظهر في عترته فحين نخطبهم - وَسُلَالَةٌ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةٌ الْمُرْسَلِينَ، وَعِترَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ - إنما نعني هذه المعاني ونقصد هذه الأبعاد، لخصته في هذه الكلمة القرآنية ﴿نورٌ على نورٍ﴾ السَّلَام عليكم يا نوراً على نور، السَّلَام عليكم يا نوراً على نور وينتهي الكلام.

هذه جولة وجولة سريعة النصوص كثيرة والكلمات المعنوية كثيرة والإشارات القرآنية كثيرة لكنني أحاول أن أقتضب المطالب بحسب ما يسنخ به المقام، بقيت بقية ووقت البرنامج ما بقيت منه إلا دقائق قارب على الانتهاء، ولا أريد أن أتعبكم أكثر بالإطالة، لكن بقيت بقية أريد أن أتمها حتى يكمل عندنا شرح المقطع الأول من المقاطع الخمسة، المقاطع الأصول من المقاطع الأسس في الزيارة الجامعة الكبيرة - وَسُلَالَةٌ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةٌ الْمُرْسَلِينَ، وَعِترَةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةٌ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - ورحمة الله وبركاته هذه واضحة لديكم معطوفة على السَّلَام لأننا في البداية قلنا - السَّلَام عَلَيْكُمْ يا أهل بيْتِ النَّبُوَّةِ - إلى آخر المقطع، بنهايته ينتهي الكلام تتم المعاني في المقطع الأول فنقول - وَرَحْمَةٌ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - فهي معطوفة على السَّلَام، وإذا تتذكرون حين تحدثنا عن السلام أشرتُ إلى جهات عديدة، ومن جملة الجهات التي أشرتُ إليها ذكرتُ هذه الرواية أعيدها على مسامعكم لأجل أن تترابط المعاني.

الرواية في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من الكافي الشريف، عن داوود بن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبد الله - الرقي يعني من مدينة الرقة - قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى السلام على رسول الله؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وأبنته وأبنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة - والحديث هنا عن سلام وعن رحمة وعن بركات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - ووعدهم أن يسلم لهم الأرض - سالمةً بالسلام مباركةً - ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الأمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوهم والأرض التي يبذلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لا شَيْءَ فِيهَا قال: لا خصومة فيها لعدوهم وأن يكون لهم فيها ما يحبون وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك

وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله لعله أن يعجله جلّ وعزّ ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه - إذاً قولنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هو تجديدٌ لميثاق الله ولميثاق رسوله بأنه سيمنحهم ويمنح شيعتهم السلام والرحمة والبركة، كما أشارت إلى هذا الرواية وقد شرحت هذه الرواية حين شرحنا وتبيننا معنى السلام في الحلقات الأولى من هذا البرنامج، يمكنكم أن تراجعوا الحلقات الأولى من هذا البرنامج فتذكرون الكلام السابق، هذه الرواية قرأناها في ذلك الوقت وشرحناها، خلاصة ما فيها من كلامٍ أن المراد من قولنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تجديدٌ للميثاق الإلهي وتجديدٌ للميثاق المُحمّدي في أن الله سبحانه وتعالى سيهبهم السّلام والرحمة والبركة متى يكون هذا؟

إنما يكون هذا بدايته في زمان ظهور إمامنا وفي زمان الرجعة بعد دولة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، وكل ذلك تجديدٌ ومعاهدةٌ وموathقةٌ لكل هذه المعاني التي جاءت في ذلك الميثاق وفي ذلك العهد المعهود الذي أخذ في العوالم العلوية مرةً من قبل الله ومرةً من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمرّد في ذلك إلى خاتم الأنبياء.

الرواية عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول - إمامنا الصادق صلوات الله عليه ماذا يقول؟ - اللهم صلّ على مُحَمَّدٍ صفيك وخليلك ونجيك المُدبّر لأمرك - فهو المدبّر للأمر، الأمر عائذٌ إليه لذلك الرواية هنا تحدثت عن أن الميثاق الإلهي تكرر وتجدد، من الذي أخذ الميثاق في المرة الثانية؟ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو المُدبّر للأمر، هو المدبّر للخلق وهو المدبّر للأمر، وما الخلق وما الأمر إلا من تجليات الحقيقة المُحمّدية، الله سبحانه وتعالى خلق النور الأول ومن النور الأول اشتق كل الأنوار، وتلكم هي الحقيقة الكاملة، ذلك المعنى هو المعنى الجلي والمعنى الواضح، لربما الرواية أيضاً في الكافي الشريف والتي أختتم بها الكلام.

الرواية عن إمامنا الصادق ومرت علينا هذه الرواية لكنني أعيدها مرة ثانية لمناسبتها للموضوع الذي بين أيدينا إمامنا الصادق يقول: إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه مُحَمَّدٌ وعلياً فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كُون قبلهما فلما يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى أفتراقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب - صلوات الله عليهما وعلى آلهما الأطيبين الأطهرين، بذاك تتضح لنا شيءٌ من معنى من قول الزيارة الجامعة الكبيرة - وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعتره خيرة رب العالمين ورحمة الله وبركاته.

أختتم الحديث بقراءة كلِّ المقطع وهو المقطع الأول من المقاطع الخمسة الأصول في الزيارة الجامعة الكبيرة،

وبهذا وبمحمدٍ من الله وتوفيقٍ من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ تم الكلامُ في هذا المقطع:
 السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهِيْطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ
 الرَّحْمَةِ، وَحُزْنِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكُرْمِ، وَقَادَةَ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ، وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ،
 وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانِ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءِ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ،
 وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعَتْرَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وأنتم يا أشياعهم يا أوليائهم السَّلَام عليكم موعداً يتجدد إن شاء الله، لقاءنا يتجدد في أيام شهر رمضان

بين يومٍ ويومٍ، ألقاكم على مودّة عليٍّ وعليٍّ وعليٍّ وعليٍّ حتى ينقطع النفس.

أسألکم الدعاء في أمان الله.

الحلقة السادسة عشر

معنى أئمة الهدى ومصايح الدُّجى وأعلامِ التُّقى

السلام عليكم جميعاً أحباب عليٍّ وآل عليٍّ ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة السادسة بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، لا زال الكلام متواصلاً في بيان ما يمكنني أن أبينه من مضامين هذا النص الشريف، وفي الحلقة الماضية تمَّ الكلام في المقطع الأول من المقاطع الخمسة التي تمثل قلب الزيارة الجامعة الكبيرة، هذه المقاطع الخمسة والتي تُختتمُّ بالقولة ورحمة الله وبركاته، كل مقطع يبتدئ بالسلام وينتهي بقول الزيارة ورحمة الله وبركاته، هذه المقاطع الخمسة تمثلُّ الأصول والأسس التي تنفرع عليها سائر المعاني المذكورة في بقية عبارات وسطور وجمل والمقاطع الأخرى من الزيارة الشريفة، هذا مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي وهذه هي الزيارة الجامعة الكبيرة وقد تمَّ الكلام بتوفيق الله في المقطع الأول ونشرع اليوم في المقطع الثاني من المقاطع الخمسة الأصول.

المقطع الثاني يبتدئ: **السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى** - هذه العناوين الثلاثة مرتبطة بعضها ببعض الآخر وسيوضح هذا المضمون من خلال الشرح والبيان، المقطع السابق ابتدأ السلام وانتهى ورحمة الله وبركاته، وحين تحدثت عن معنى السلام في الزيارة الشريفة في هذه وفي غيرها من الزيارات الأخرى، بينت جملة من المطالب ومن ضمنها أن السلام هو تجديدٌ للعهد والميثاق المأخوذ على المؤمنين، هناك ميثاقٌ إلهي، وهناك ميثاقٌ مُحَمَّدِي، ومرت الروايات مبيّنة معنى هذا الميثاق، الآن حينما نقول مرةً ثانية في هذا المقطع نُكرر فنقول: **السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى** - في المقطع السابق ابتدأ المقطع الأول: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبَوَّةِ** - إلى آخر المقطع، المقطع الثاني الآن ابتدأ - **السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى** - السلام هنا ما معناه؟ السلام هنا يشتمل على المعنى الأول، وهو تجديد العهد، تجديد الميثاق، وأيضاً يشتمل على تأكيد معنى التسليم والسلمية لأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، تأكيد التسليم وتأكيد السلمية باعتبار أن المقطع الأول تحدث عن كمالات أهل البيت، تحدث عن المراتب العالية وعن المقامات الشائخة السامقة لهم صلوات الله عليهم، تحدث المقطع الأول عن علمهم الكامل المحيط وتحدث المقطع الأول عن ولايتهم المحيطة، وتحدث المقطع الأول عن أن

النعم والفيوض الواصلة إلى المخلوقات إنما هي متأتية من أبوابهم الشريفة كل هذا مر، فمن البداهة أن العباد إذا ما عرفوا هذه المعاني واعتقدوها من البداهة بمكان أن العباد سيسيرون في هذا الطريق، في أي طريق؟ في طريق التسليم وبعد التسليم تأتي السالمية، وإلا لا يتحقق أي معنى من معاني الكمال في الإنسان إذا ما لم تكون، ما لم تكن مسيرته موافقة للفطرة أولاً، وللمنطق والعقل والحكمة ثانياً، فإذا كان العلم كله عندهم، وإذا كانت الحكمة كلها عندهم، وإذا كانت النعم والفيوضات من قبلهم فماذا يبقى للعبد إلا أن يكون مُسَلِّماً وسالماً، وذلك هو منطق الفطرة ومنطق العلم والعقل والحكمة، السلام هنا هو تجديد، تأكيد، ترسيخ، توثيق لهذه المعاني، لمعاني التسليم ولمعاني السالمية.

نحن حين نقرأ في الكتاب العزيز في الآية الخامسة والستين من سورة النساء ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الآية هنا تتحدث عن الأوضاع المتأزمة للإنسان، الإنسان ربما في الحالة الهادئة قد يدعي التسليم، وقد يدعي أكثر من التسليم وهو السالمية، إذا كانت الأحوال هادئة، إذا كانت الأمور باردة، لكن حينما تكون الأمور ساخنة، حينما تكون الأمور مشتدة، هنا تظهر حقيقة التسليم عند الإنسان، أمسلم هو أم لا؟ لذلك الآية تشير إلى هذه الحقيقة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني حينما تكون الأوضاع النفسية ساخنة، حينما تكون الظروف المحيطة بالإنسان الظروف الموضوعية المحيطة تكون هذه الظروف مشتدة شديدة قوية، فهنا يتبين ويظهر معدن الإنسان أهو مُسَلِّم أم لا؟

لأن التسليم هنا هو انسياق في طريق الفطرة، الفطرة والمنطق يدفعان بالإنسان إلى التسليم لأن الجهة التي نسلم لها ويسلم إليها جهة كاملة، كاملة في العلم، كاملة في الحكمة، كاملة في القول والفعل والعمل، كاملة في جميع الاتجاهات، فإذا كانت الجهة الموجهة، الجهة المشرفة جهة كاملة في جميع الاتجاهات فإن الفطرة والمنطق والعقل والحكمة كل ذلك يحكمون بضلالة من يخالف السير في الاتجاه الذي تريده تلكم الجهة

الكاملة، لذلك الآية تقول ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن الإيمان هو سيرٌ في مسار الفطرة المنطق والعقل والحكمة ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ في الظرف الساخن، في الظروف المشددة ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ﴿وهذا هو التسليم، التسليم هو الإخبات، يعني أن النفس البشرية إن الإنسان يُكَيِّفُ قناعاته وفقاً لِمَا يريدُه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فالمعصوم وجه الله، فما يريدُه المعصوم هو الذي يريدُه الله، والإنسان في مقام العبودية لا يمكن أن يكون عبداً إلا بهذه الصفة بصفة التسليم، لأن أول مرتبة من مراتب العبودية هي التسليم، نحن لا نستطيع أن ندخل إلى فناء العبودية إلا من باب التسليم، إذا لم ندخل من باب التسليم ولم نُقبَل عند باب التسليم لأننا لسنا مُسلمين فإننا لن نستطيع الولوج إلى فناء العبودية، وبعد ذلك الترقى في مراقبي العبودية، العبودية هي التسليم، والتسليم أول مرقاة في سلم العبودية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ نفوس مطمئنة، نفوس هادئة، نفوس ساكنة لِمَا يأتي به القضاء، لِمَا يأتي به الأمر لِمَا تأتي به الإرادة المعصومة ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

فنحن هنا حين نُسلم على الأئمة: أَلْسَلَامٌ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى، هذا السلام إعلانٌ وإشعارٌ وتأكيدٌ لمعنى التسليم، لأننا بعد أن اعتقدنا بأنهم صلوات الله عليهم بأنهم مهبط الوحي وبأنهم معدن الرحمة وبأنهم خُزَّانُ العلم وبأنهم قادة الأمم وبأنهم أولياء النعم وبأنهم والأوصاف والمقامات والمراتب التي تَمَّ الحديثُ عنها في المقطع الأول من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة، لَمَّا آمنا وأدعنا وجددنا العهد والميثاق على هذه المعاني على هذه المراتب على هذه المقامات فإن السلام هنا في المقطع الثاني وحتى في المقاطع الآتية إنما هو تجديدٌ واعترافٌ وإقرارٌ وإدعانٌ بالتسليم وبعدها السالمية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والتسليم في الحياة العملية وفي الحياة النفسية للإنسان إنما يتجلى متى؟ يتجلى حين تكون الظروف ساخنة، حين تكون الأوضاع مشددة، وإلا يمكن للإنسان وهو يعيش في بُهنية من الوقت وفي راحةٍ من الزمان والمكان وفي هدوءٍ بال فيدعي ما يدعي، لكن التسليم الحقيقي إنما يظهر عند الظروف الساخنة، وإلى هذا أشارت الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ما شجر بينهم من خلاف، من خلافٍ حول الدين أو حول الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ إنما هذه النفوس مطمئنة ساكنة ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

إذا نذهب إلى سورة الأحزاب في الآية الثانية والعشرين، هذا نوع آخر من الضيق ومن الشدة، الآية التي مرت علينا قبل قليل الآية الخامسة والستون من سورة النساء كانت تتحدث عن الشجار فيما شجر بينهم، وأنهم لا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً به، وتلك الآية تتحدث عن نوعٍ عن نحوٍ من الحدث النفسي الساخن وهو الشجار، إن كان ذلك الشجار في الدين أو في الدنيا، الآية الثانية والعشرون من سورة الأحزاب ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ والإيمان هو التسليم، إيماناً وتسليماً ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ هذا أيضاً نحو من أنحاء الشدة، نحو من أنحاء الأحداث الساخنة، الآية السابقة في سورة النساء تتحدث عن شجار بين أهل الإيمان، بين الدائرة الموالية، لا بد أن يُحْكَموك فيما شجر بينهم في دائرة الموالين، أما هنا الكلام في دائرة الأعداء، حينما يقف الأعداء في مواجهة الأولياء، وهذا الظرف يكون أكثر سخونة ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ .

في نفس سورة الأحزاب في الآية السادسة والخمسين ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ صلوا عليه، الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله هي صلةٍ وارتباطٌ وهي نحو تحية ونحو سلام ونحو تحديد عهدٍ معه صلى الله عليه وآله، ولكن هذه الصلاة القولية اللفظية القلبية تصاحبها عقيدة مهمة، هذه العقيدة المهمة ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

الآية في سورة النساء كانت تتحدث عن ظرفٍ ساخنٍ في شجارٍ فيما بين أصحاب الدائرة أصحاب دائرة الولاية، والآية الثانية والعشرون من سورة الأحزاب كانت تتحدث عن مجيء الأحزاب، عن صراعٍ فيما بين أهل الولاية وبين أعدائهم والظرف هنا سيكون أكثر سخونة، الآية السادسة والخمسون من سورة الأحزاب تتحدث وتأمّر لتعين لنا نوع العلاقة والرابطة فيما بيننا وبين المعصوم، فيما بيننا وبين النبي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الآية أمرٌ بنحوٍ واضحٍ وبنحوٍ صريحٍ بالتسليم للنبي الأعظم والتسليم هنا لمقام الولاية، الولاية في بُعديها في بُعدها النبوي وفي بُعدها الولوي.

في سورة الزمر في الآية التاسعة والعشرين ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ - متشاكسون مختلفون - وهذا الرجل لن يستطيع أن يفعل شيئاً، هذا عبداً اشتراه مجموعة من الناس وكل واحد يريد منه

أن يذهب إلى جهة فإنه حينئذ لا يستطيع أن يذهب إلى أي جهة، لأن المالك الأول الشريك الأول يريد منه أن يذهب مُشَرِّقاً، والثاني يريد منه أن يذهب مُعْرَباً، والثالث يريد منه أن يذهب باتجاه الجنوب، والآخر يريد منه باتجاه الشمال، والآخر يريد منه أن يبقى في مكانه، فهل يستطيع أن يفعل شيئاً؟ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ وهناك رجلٌ آخر سَلَمًا، سَلَمًا أي سَلَّمَ عقله وقلبه وروحه ونفسه وعواطفه وأحاسيسه ومشاعره، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ - بالكامل - ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لنقف قليلاً عند كلمات أهل البيت في بيان مضمون هذه الآية، الآية التاسعة والعشرون من سورة الزمر، هذا هو الجزء السادس من تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، والرواية عن محمد بن الحنفية عن أبيه سيد الأوصياء صلوات الله عليه - في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ - ماذا قال أمير المؤمنين؟ - قال: أنا ذلك الرجل السالم لرسول الله - قلبه مع رسول الله، عقله مع رسول الله، حواسه ومشاعره وعواطفه كله في كله لرسول الله، فما من شيء في عليّ إلا وهو لرسول الله، فأين هذا من رجلٍ تتقاذفه أمواج الشكوك وأمواج الفتن يتردد في ريبه، كما جاء في سورة التوبة وهي تتحدث عن العديد من هؤلاء الذين في ريبهم يترددون، من أولئك الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الآية الخامسة والأربعين وهي تصفهم هذا الوصف الدقيق ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني القلوب ثلثت بالشكوك ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والشكوك بطبيعة الحال لا تأتي من جهة واحدة، وإنما تأتي من جهات عديدة، وحين تهجم الشكوك على الإنسان فإن الإنسان تُفْتَحُ أمامه العشرات من الاحتمالات، فتتشاكس فيه هذه الاتجاهات، هذا هو الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون، تتشاكس فيه الاتجاهات والأفكار والنزعات فالدنيا بكل تفاصيلها كل جانبٍ منها يجره إلى جهة والناس الذين من حوله كل واحد يوسوس له بوسوسة معينة، وشياطين الجن والأبالسة والضعف الذي يهيمن عليه ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ رواحاً ومجئياً، غدواً ورواحاً، ذهاباً وجيئةً ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ولا يستطيعون الخروج من هذا.

كما جاء في موطنٍ آخر ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ﴾ هذا البنيان قد يكون بنياناً في الخارج على الأرض وقد يكون بنياناً في القلوب، وإنما يكون هذا البنيان في القلوب مما بنوه بأعمالهم وبنواياهم ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني سيبقى هذا البناء يزداد ريبَةً فوق ريبته، وتبقى هذه الحالة معهم حتى تتقطع القلوب؟ متى تتقطع القلوب؟ تتقطع عند الموت ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فهنا حين يقول سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه: أنا ذلك الرجل السالم لرسول الله صلى الله عليه وآله، سالم في عقله في قلبه في حبه لرسول الله في كل شيء في وجوده، عليٌّ بكل وجوده لرسول الله لذلك قال رسول الله: أنا عليٌّ وعليٌّ أنا، وهل السالمية إلا هذا؟! وقال سيد الأوصياء: أنا مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ أَنَا، إلى أن صرَّح القرآن في آية المباهلة وأنفسنا، التصريح واضح وجلي وهو اختصار واصطلاح للقولتين: أنا عليٌّ وعليٌّ أنا، أنا مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ أَنَا، هذه المعاني تختصر في هذا العنوان وأنفسنا فهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ذلك الرجل السالم لرسول الله.

حديثٌ آخر يرويه أبو خالد الكابلي عن إمامنا الباقر عليه السلام قال: سألتُهُ عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ قال: الرجل السالم لرجل عليٍّ عليه السلام وشيعته - قطعاً هذا المعنى يتجلى في شيعته باعتبار أن الشيعة متفرعةٌ عنه، باعتبار أن الشيعة تتجلى فيهم صور ومظاهر من معاني حقيقة عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، وذلك بإتباعه وبالافتداء به وبطاعة أمره وبالتسليم لعليٍّ، حين نسلم لعليٍّ فإننا نُسلم لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ونُسلم له أيضاً.

وروايةٌ أخرى أيضاً يرويها أبو خالد عن إمامنا الباقر: الرجل السالم حقاً - وحقاً هنا للتأكيد، الرواية السابقة الرجل السالم لرجل عليٍّ وشيعته، هذه الرواية فيها تأكيد أكثر - الرجل السالم حقاً عليٍّ وشيعته - والروايات والأحاديث عديدة في هذا المعنى وفي هذا المضمون عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الروايات تحدثنا عن سالمية سيد الأوصياء للنبي الأعظم ويتفرع على هذا سالمية الشيعة لعليٍّ وآل عليٍّ والتي هي بالضرورة تعني السالمية لِمُحَمَّدٍ والسالمية لله سبحانه وتعالى، كل هذه المعاني هي تسليمٌ لله وسالميةٌ لله، فإن ما هو بالعرض يعود إلى ما هو بالذات كما يقول الفلاسفة، فالسالمية لعليٍّ هي سالمية لرسول الله وهي سالمية لله سبحانه وتعالى، والتسليم لعليٍّ هو تسليمٌ لرسول الله وهو تسليمٌ لله سبحانه وتعالى، فنحن هنا حين نسلم على أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في بداية هذا المقطع وهو المقطع الثاني، وكذلك في بداية كل مقطعٍ من المقاطع المتبقية، إضافة لما مر في المقطع الأول من تجديد العهود والمواثيق التي

أخذت علينا في عالم الذر وما قبل عالم الذر، التسليم هنا تأكيداً وترسيخاً وتشديداً واعتراف وإقرار بمعاني التسليم والسلمية لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذلك أول عنوان يبدأ - **السَّلَامُ عَلَى أُمَّةِ الْهُدَى** - والتسليم إنما يكون لمن والسلمية؟ تكون لأئمة الهدى، هم أئمة الهدى، يعني هم يأخذوننا إلى الهدى، الذي يأخذك إلى الهدى المنطق والعقل والحكمة والفطرة والوجدان كل هذه تشهد بأنه يجب عليك أن تسلم له، لأنه هو الذي سيقودك في طريق الهدى، هؤلاء أئمة الهدى يعني أن الهدى بكامله عندهم، فإذا كان الهدى بكامله عندهم ماذا يلزم الإنسان ماذا يجب على الإنسان؟

يجب على الإنسان أن يسلم وأن يكون سالماً لهم، وفي ذلك فوزه ونجاحه، وفي ذلك نيته لكل ما يريد، لِمَا هو موجودٌ في مخيلته ولِمَا هو أفضل من كل ما موجودٌ في مخيلته، لذلك هذا السلام هنا هو ترسيخٌ لهذه المعاني، لذلك المقطع أول ما يبدأ - **السَّلَامُ عَلَى أُمَّةِ الْهُدَى** - أئمة الهدى يجب على الذي يرتبط بهم يتصل بهم أن يكون مُسَلِّماً، إذا لم يكن مُسَلِّماً فذلك يعني أنه سيسير في اتجاه هو غير الاتجاه الذي يسير فيه أئمة الهدى وذلك هو الضلال، هناك اتجاه يسير فيه أئمة الهدى وهناك اتجاهات أخرى، هذا الاتجاه الذي يسير فيه أئمة الهدى هو هذا الاتجاه الذي يوصلنا إلى الفوز وإلى النجاح، ولا نستطيع أن نسير في هذا الاتجاه إلا بالتسليم والسلمية، أن نجعل القلوب، أن نجعل العقول، أن نجعل المشاعر، أن نجعل الحواس والقناعات والعواطف، أن نجعل الوجود وجودنا بكلمة في أبعاده المادية، في أبعاده المعنوية، في أبعاده الإدراكية، في أبعاده العاطفية، في كل بعدٍ من أبعاد وجودنا، أن نجعله تحت أقدامهم، تحت أقدام هؤلاء الذين يقودونا في طريق الهدى، حينما أقول تحت أقدامهم إنما هو معنى التسليم ومعنى السلمية، فلا نرى لوجودنا وجوداً في جنبهم، ولا نرى لحقائقنا من حقيقةٍ في جنب حقائقهم لأنهم حقيقة الهدى وهم الذين يسرون ونحن نسير خلفهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، السلام إذاً هو تجديداً وإقراراً إذعاناً بالتسليم والسلمية، فنحن نسلم عليهم - **السَّلَامُ عَلَى أُمَّةِ الْهُدَى** - أئمة جمع لإمام، الإمام في لغة العرب له معانٍ عديدة، له معانٍ كثيرة، الإمام في لغة العرب هو المقصود، الجهة المقصودة، أُمَّ إِلَيْهِ: قصده، وفلانٌ أُمَّ البلد الفلاني أو أُمَّ إلى البلد الفلاني، أُمَّ البلد الفلاني، أُمَّ قصده، الأم هو القصد، الأم هو الحركة باتجاه جهة معينة، حين أقول الإمام، الإمام هو المقصود، الجهة التي يكون الأمام باتجاهها، يكون القصد باتجاهها، حين أقول أُمَّ إلى الإمام معنى ذلك في العربية أقصد إلى المقصود، الإمام إذاً هو المقصود هو الجهة التي تُقصد، الإمام ليست هو الجهة التي تُقصد وإنما هو الجهة التي تُقصد، الإمام أيضاً في لغة العرب تعني الأصل، ولذلك كلمة الأم من أين مأخوذة؟

مأخوذ من الأم، الأم هي الأصل، والإمام أيضاً تأتي بمعنى الجامع، ولذلك يقال مثلاً لإمام الجماعة أنه أُمَّ

الناس، أمَّهم يعني جمعهم في صلاته، الإمام هو الجامع، الإمام هو المقصود، الإمام هو الأصل، الإمام هو الجامع، الإمام كذلك هو الهادي، المراد من الهادي الذي يتبعه الناس يسرون خلفه، لذلك من جملة مصاديق الإمام في الحياة العملية ما كان يفعله العرب في الليالي المظلمة في القوافل في مسير الجيوش حين يرفعون مشعلاً كبيراً رحماً عالياً عموداً كبيراً عالياً ويضعون في رأسه النار، هذا إمامٌ يُقتدى به يُهتدى به، حيثما سار هذا المشعل الناس تسير خلفه، القافلة تسير باتجاه ذلك المشعل، فذلك هو الإمام، ولذلك في لغة العرب أيضاً الإمام هو الثر، الثر ما هو؟ الثر هو الشاقول أو هو الخيط الذي يستعمله البنائون لمعرفة الاستقامة في البناء، الإمام هذا موجودٌ في كتب اللغة، الإمام هو الثر، الثر هو الشاقول ما نسميه في زماننا بالشاقول كانت العرب تسميه بالثر، الثر هو الشاقول وهو الخيط الذي يستعمله البنائون لمعرفة استقامة البناء، الإمام، الإمام، الإمام، هناك معانٍ كثيرة لكلمة الإمام في لغة العرب.

السَّلامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى - الهدى المراد منه هو السير السليم، السير الصحيح في الطريق الصحيح الموصل إلى النتيجة الصحيحة، الهدى هو هذا، سيرٌ في الطريق الصحيح باتجاه الهدف الصحيح، وإلا إذا سار الإنسان في غير الطريق الصحيح ولم يصل إلى الهدف الصحيح فلا يقال لذلك هدى، ولو سار في الطريق الصحيح ولكنه ما وصل إلى الهدف الصحيح فلا يقال لذلك هدى، والهداية كما يقول أهل العلم على مرتبتين: الهداية إما أن تكون إرثية وإما أن تكون إيصال، الهادي الذي يهدي أيّاً كان هذا الهادي، الهادي الذي يهدي إما أن يُريك الطريق المهتدي فيقول لك هذا هو الطريق المهتدي، الطريق المهتدي هو الطريق الصحيح الذي يوصلك إلى الهدف الصحيح، إما أن يُريك الطريق ويخبرك بما في هذا الطريق، يعني يعطيك خريطة، يؤشر لك الطريق من هنا وتسير كذا وكذا، يريك الطريق، هذه إرثية، ومرّة الهادي يأخذ بيدك ويسير معك في الطريق ويوصلك إلى الهدف الصحيح وذلك هو الإيصال، فالهداية قد تكون في بعض الأحيان من أفق الإرثية وقد تكون في بعض الأحيان من أفق الإيصال، وأئمة الهدى في بعض الأحيان تكون الهداية الصادرة منهم في أفق الإرثية في أفق التعليم والتبليغ والإرشاد، وقد تكون الهداية في بعض الأحيان الصادرة منهم في أفق الإيصال وتلك هي الرعاية الخاصة وذلك هو التوفيق بمعانيه، التوفيق الجلي أو التوفيق الخفي، تلك هي الرعاية المعصومة من الإمام صلوات الله وسلامه عليه - **السَّلامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى** - الهداية هي الحالة التي يتلبس بها الإنسان، وحينما يتلبس بها الإنسان فإنه سيصر على المسير في ذلك الطريق الواضح وسيجد السير باتجاه الهدف الواضح.

في الكتاب الكريم هناك جهاتٌ عديدة تُحَدِّث عنها قرآنا الكريم في موضوع الهداية. في سورة العنكبوت الآية التاسعة والستون ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ كلمة حسنة، الحسنى،

الإحسان، المحسنون، بحسب روايات أهل البيت كلها تشير إلى ولاية عليٍّ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١ المحسنون هم أتباع عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، المحسنون هم المتلبسون بالحسنة، المتلبسون بالحسنى، والحسنة والحسنى في روايات أهل البيت في بيان معانيها في الكتاب الكريم هي ولاية عليٍّ وآل عليٍّ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٢ الذين جاهدوا فينا هذا الجهاد إنما يتفرع على هداية الإرادة، أهل البيت يعلمونا يرشدونا يعطونا التعاليم ونحن نسعى نجاهد نعمل نحث الخطى، هذا السعي الحثيث والعمل والجهاد والكفاح يقودنا إلى أي شيء؟ يقودنا للوصول إلى الهدف الصحيح ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٣ الهداية إلى سبل الله، نحن نقرأ في دعاء الندبة: **أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ - سَبَلِ اللَّهِ هُمُ الْأئِمَّةُ** صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٤ الحديث هنا عن أفق الهداية في مقام الإرادة، والإرادة هو التعليم هو التبليغ، الأئمة يُعلموننا يرشدوننا، الأئمة صلوات الله عليهم يكشفون لنا عن الحقائق، فحين نحث الخطى وفقاً للبرنامج الذي يرسمه الأئمة لنا هو هذا الجهاد الحقيقي، الجهاد في هذا الطريق هو الذي سيوصلنا إلى الهدف ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٥.

حينما نذهب إلى سورة القصص وفي الآية السادسة والخمسين ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^٦ الحديث هنا أيضاً عن الهداية في أفق الإرادة، النبي صلى الله عليه وآله يبين الحقائق للناس، الإمام المعصوم يبين الحقائق لكن ليس بالضرورة أن الذين تُبَيِّن لهم الحقائق أنهم يهتدون، هذه هداية الإرادة لو كانت هذه الهداية هداية إيصال حينئذٍ لا بد أن يصل الإنسان، كما قلت إن الهداية هداية إرادة وهداية إيصال، الآية التي مرت علينا عن الذين يجاهدون في سبلنا يجاهدون في الله سبحانه وتعالى سوف يهتدون إلى السبيل ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٧ الحديث هنا عن هداية الإرادة لقوم استجاب قلوبهم، والحديث في هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^٨ الحديث عن هداية الإرادة لقوم لم تستجب قلوبهم، فهذه صور، نماذج، أمثلة من هداية الإرادة.

حين نذهب إلى سورة الإسراء ونقرأ في الآية التاسعة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: في روايات أهل البيت يهدي للتي هي أقوم يهدي للإمام المعصوم، للتي هي أقوم للتي هي أكثر استقامة ﴿٢﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٣﴾ للحقيقة الأقوم، للحقيقة التي هي أكثر استقامة، أكثر كمالاً، هذا نحو من أنحاء هداية الإرادة، مرّ الكلام في هداية الإرادة والحديث كان في آية العنكبوت، والحديث كان أيضاً في آية القصص عن هداية الإرادة من النبي صلى الله عليه وآله من المعصوم صلوات الله عليه، الآية هنا في سورة الإسراء تتحدث عن هداية القرآن، أن القرآن يهدي هداية الإرادة ولكن إلى أي جهة؟ يهدي إلى الجهة الكاملة ﴿٤﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٥﴾ والجهة الأقوم كما في روايات أهل البيت هو الإمام المعصوم.

حين نذهب إلى سورة الشورى في الآيتين الثانية والخمسين والثالثة والخمسين ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿٧﴾ إلى أن تقول الآية ﴿٨﴾ وَإِنَّكَ لَخِطَابٌ لِّمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْأَصَالَةِ وَلِعَلِّيُّ وَالْأئِمَّةُ الْمُعْصَمِينَ بِالتَّبَعِيَّةِ ﴿٩﴾ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿١١﴾ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾ هذه الهداية تشير إلى هداية الإيصال، هذا التأكيد وإنك، إن المشددة مع ضمير الكاف المتصل، مع وصف الاستقامة في الصراط، هناك هداية جلية ﴿١٣﴾ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤﴾ هذه هداية الإيصال، قطعاً هداية الإيصال تكون مسبوقةً بهداية الإرادة، وحين تستجيب القلوب لهداية الإرادة يأتي التوفيق.

في سورة يوسف الآية الثامنة بعد المئة ﴿١٥﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿١٦﴾ هذه سبيلي هذا تشخيص، تشخيص دقيق جداً، سأقرأ بعضاً من الروايات ومن الأحاديث التي تبين معنى الصراط والسبيل ﴿١٧﴾ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨﴾ كما مرّ علينا في سورة الشورى ﴿١٩﴾ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ بتخصيص أكثر ﴿٢١﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴿٢٢﴾ إشارة إلى قريب ﴿٢٣﴾ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴿٢٤﴾ هذه سبيلي ومع البصيرة وضوح مضاعف ﴿٢٥﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿٢٦﴾ يعني

أن من اتبعني هو على بصيرةٍ وعلى وضوحٍ في السبيل، وفي ذلك إشارات إلى هداية الإيصال، كما قلت الإيصال يأتي بلطفٍ وبفيضٍ بعد الإرادة، المرحلة الأولى هي مرحلة الإرادة فإذا استجابت القلوب وهشت وبشت للهداية ولطريق الصواب وسعت وجاهدت، والذين جاهدوا فينا، هذا الجهاد سيقودهم إلى أي شيء؟ سيقودهم إلى هداية الإيصال، بالتوفيق، فلربما حتى الآية التي قرأناها في سورة العنكبوت هي أيضاً في وجهٍ من وجوهها تشير إلى هذا المعنى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني بعد أن استجابت قلوبهم لهداية الإرادة ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ هذه الهداية هنا هداية توفيقية وهي هداية الإيصال ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ .

في سورة مُحَمَّد الآية السابعة بعد العاشرة ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أنا قلت هذه العناوين في الزيارة الجامعة الكبيرة التي قرأتها في أول البرنامج مترابطة - السَّلَامُ عَلَىٰ أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى - هدى، تُقى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ هناك تلازم بين الهدى وبين التقوى، الذين اهتدوا ساروا في طريق الهداية بعد الإرادة، زادهم هدى، هذه هداية التوفيق، هذه هداية الإيصال، الإيصال بالتوفيق، الإيصال بالرحمة ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ .

هذه جولة سريعة في آيات الكتاب الكريم وهي نُحَدِّثُنا عن جهاتٍ من معاني الهداية إن كان ذلك في أفق الإرادة أو في أفق الإيصال - السَّلَامُ عَلَىٰ أئِمَّةِ الْهُدَى - أئمة الهدى هم الذين يأخذوننا في سبيل الهدى وفي صراط الهدى وفي طريق الهدى.

هذا هو الجزء الرابع والعشرون من بحار الأنوار أتلوا على مسامعكم نماذج من النصوص والروايات التي ترتبط بالموضوع الذي بين أيدينا: الرواية يرويها شيخنا الصدوق، عن المُفَضَّلِ قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ - الصراط هو الطريقُ إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ - وهما صراطان: صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم - الرواية هذه على قصرها اختصرت لنا المطالب كلها، أقرأ الرواية مرة ثانية، الرواية جداً مهمة، هذه من أمهات الروايات في المطالب العقائدية، المُفَضَّلِ يقول: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ، وهما صراطان: صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأما الصراط الذي في

الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم - فالإمام هو الصراط المستقيم، وهذا هو معنى إمام الهدى - السَّلامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى - هداية الإِراءة، هداية الإيصال كلها تقودنا إلى أين؟ تقودنا إلى الصراط المستقيم، إلى هذا الطريق الواضح.

روايةٌ أخرى: عن حماد بن عيسى عن إمامنا الصادق عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ - والذي نكرره يومياً في صلواتنا - قال: هو أمير المؤمنين ومعرفته - حماد بن عيسى عن أبي عبد الله في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ - قال: هو أمير المؤمنين ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين - السؤال هنا عن سورة الفاتحة، الكلام هنا إمامنا الصادق يتحدث عن سورة الفاتحة ويتحدث عن هذه الآية التي هي في قلب سورة الفاتحة ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فماذا قال؟ قال الصراط المستقيم في سورة الفاتحة هو أمير المؤمنين ومعرفته، ويستمر في حديثه فيقول - والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ - الآية الرابعة في سورة الزخرف - ﴿ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ - وسورة الفاتحة هي أم الكتاب، أليس من أسماء سورة الفاتحة أم الكتاب ﴿ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ والعلي الحكيم هو ذلك الصراط المستقيم - وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ - الإمام يقول - ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ هو أمير المؤمنين ومعرفته والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ وهو أمير المؤمنين في أم الكتاب في قوله: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

الرواية: عن الشمالي عن إمامنا السجاد صلوات الله قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب - فكيف يكون حجة إذا كان فيما بينه وبين الله حجاب، الحديث هنا عن الحجة المطلقة، والحجة المطلقة هم النبي وآل النبي، وإلا ليس الحديث عن الأنبياء، الأنبياء حجيتهم متفرعة عن حجة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فلذلك فيما بين الأنبياء وبين الله حجاب فهم أهل البيت، النبي وآله - ليس بين الله وبين حجته المطلقة حجاب فلا لله دون حجته ستر ثم يقول: نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن

عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيدهِ ونحن موضع سره - وهؤلاء هم أئمة الهدى، هذه هي أوصافهم.

عن جابرٍ عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، جابر الجعفي يسأل الإمام الباقر، قال: سألتُهُ عن هذه الآية في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ - سؤال جابر عن هذه الآية - ﴿وَلَنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ قال: - جابر يقول - فقال عليه السلام: أتدري ما سبيل الله؟ قلتُ: لا والله إلا أن أسمعهُ منك، قال: سبيل الله هو عليٌّ عليه السلام وذريته، وسبيل الله من قُتل في ولايته قُتل في سبيل الله ومن مات في ولايته - في ولاية عليٍّ - مات في سبيل الله - سبيل الله هو هذا عليٌّ وآل عليٍّ - فقال: أتدري ما سبيل الله؟ قلتُ: لا والله إلا أن أسمعهُ منك، قال: سبيل الله هو عليٌّ وذريته وسبيل الله من قُتل في ولايته قُتل في سبيل الله ومن مات في ولايته - في ولاية عليٍّ - مات في سبيل الله.

وأعتقد أن الروايات وأن النصوص هذه واضحة وجلية وبينة ولا تحتاج إلى كثير تأمل وإلى كثير عناية. عن حَنَّان بن سدير، تُقرأ حَنَّان وفي بعض القراءات حنان بن سدير الصيرفي من رواة الأئمة، عن جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام قال: قول الله عزَّ وجلَّ في الحمد - يعني في سورة الحمد - ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني مُحَمَّدًا وذريته صلوات الله عليهم - الإمام يتحدث عن سورة الفاتحة التي نقرأها يومياً - قول الله عزَّ وجلَّ في الحمد: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني مُحَمَّدًا وذريته صلوات الله عليهم.

الرواية عن أبي بصيرٍ عن أبي جعفر صلوات الله عليه في قوله: ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ - هناك صراطٌ واحد - ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ قال: نحن السبيل - هم السبيل، هم الصراط - قال: نحن السبيل فمن أبي فهذه السبيل - فليذهب في السبيل المختلفة - ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال: نحن السبيل - نحن الصراط المستقيم ومن أبي أن يسير في هذا السبيل فهذه السبيل بين يديه المختلفة، فليتبع السبيل لتتفرق به عن سبيل الله وعن طريق الله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

هناك سبيلٌ واحدٌ ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يعني عن سبيل الله - قال: نحن السبيل فمن أبى فهذه السبيل ثم قال: ﴿ذِكْرُكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني كي تتقوا - وهذا هو الترابط بين التقوى وبين الهداية كما قلت في عناوين الزيارة الجامعة الكبيرة هذا الترابط - السَّلَامُ عَلَى أُنْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى - هناك ارتباط بين التقى وبين الهداية - ثم قال: ﴿ذِكْرُكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني كي تتقوا - هذه الروايات والأحاديث واضحة جلية بينة في دلالاتها وفي معانيها ومضامينها، كلها تشير إلى أن الصراط المستقيم، إلى أن سبيل الله هم أئمتنا، إلى أن الهداية لا يمكن أن نصل إليها ولا يمكن أن تصل إلينا إلا من طريقهم، لذلك نحن نسلم عليهم:

السَّلَامُ عَلَى أُنْمَةِ الْهُدَى، هم أئمتنا وهم سادتنا وهم قادتنا وهم هدايتنا الحقيقي، هدايتنا منهم وهدايتنا إليهم، وهدايتنا بهم، هدايتنا منهم، منهم تأتينا الهداية، علماً فهماً أو توفيقاً، الهداية منهم تأتينا، إن كانت هذه الهداية هداية إرائه فمن علومهم من فهمهم من حديثهم، نأخذ الهداية وإن كانت هذه الهداية هداية إيصال فالتوفيق منهم هم يوفقوننا، الهداية منهم والهداية إليهم ونحن إنما نحتدي إليهم، لا نتحقق الهداية إلا بالتوجه بهم وإليهم، إذا أردنا أن نصل إلى الله لا بد أن نصل من خلالهم، هم الأبواب التي فتحتها الله لنا، نتوجه إليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نتوجه إليهم ونتوجه بهم، هم القادة لذلك نتوجه إليهم، وهم الحجاب فيما بيننا وبين الله لذلك نتوجه بهم إلى الله، هم قادتنا في الدنيا فتوجه لهم، وهم الحجاب فيما بيننا وبين الله فتوجه بهم إلى الله، ومن أراد الله توجه بكم، هكذا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة وتأتينا هذه العبارات التي نخاطب بها أئمتنا - مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنَّاكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - إلى غير ذلك من المعاني التي تصرح بها الزيارة الجامعة الكبيرة.

السَّلَامُ عَلَى أُنْمَةِ الْهُدَى، هذا شيءٌ من معنى، شيءٌ من بيان، شيءٌ من شرح، قولوا ما شئتم، حين وقفنا في فناء هذه العبارة، حين نقول: السَّلَامُ عَلَى أُنْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - مصابيح جمعٌ لمصباح، والمصباح هو الذي نستعمله للإنارة، قد يكون في الأزمنة القديمة بشكلٍ بتجسيمٍ بصناعةٍ معينة، وفي هذا الزمان قد يكون بشكلٍ وتجسيمٍ وصناعةٍ معينة، وقد تتغير الصناعات وتتغير الآلات لكن المراد من المصباح، المصباح هو وسيلة الإضاءة، المصباح هو الوسيلة التي يتوهج منها الضوء، يتوهج منها النور الذي بواسطته نحتدي الطريق الذي بواسطته نستطيع أن نصل إلى مراننا، المصابيح جمع مصباح، والمصباح وسيلة الإضاءة، وسيلة الإنارة والاستنارة، الدجى جمعٌ لدجيه والدجيه هي الظلام، هي الظلمة الحالكة، هي الليل الأليل - السَّلَامُ عَلَى أُنْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - وهذا التعبير هو قريبٌ من التعبير الأول، فأئمة الهدى هم

الذين يشخصون لنا طريق الهداية إن كان ذلك عبر الإراءة أو كان ذلك عبر الإيصال أو عبر الاثنين معاً، فهم أئمة الهدى، لكن هذا التعبير - وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - هو نفس المضمون الموجود في التعبير - أَلْسَلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى - لكن هنا مأخوذ بخصوصية بلحاظ، أئمة الهدى هم أئمة للهداية إن كان هناك من ظلمة أم لم تكن هناك من ظلمة، هم أئمة في وقت سطوع النور وفي وقت اشتداد الظلمات، أما هنا التعبير - وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - إنما المصاييح تستعمل حين الظلام، حين يشتد الظلام، فكأن الزيارة هنا تريد أن تؤكد على هذا المعنى على هذه الخصوصية على عمق معنى الهداية، أنهم أئمة الهدى ليس فقط حينما تكون الدنيا مشرقة ومنيرة، أقول حينما تكون الدنيا مشرقة ومنيرة ليس مقصودي من الإشراق والإنارة المعنى المادي، الحديث هنا عن الهداية، والهداية هي هداية القلوب وهداية العقول وهداية الضمائر، هداية العقول وهداية القلوب وهداية الضمائر ليست محتاجة إلى نور الشمس الحسي إنها تحتاج إلى نور الفطرة، إنها تحتاج إلى نور القبول والإخبارات في العقول وفي القلوب في الوجدان وفي الضمائر، الحديث عن الإشراق هنا وعن الإنارة، عن الإشراق والإنارة في النفوس في القلوب، فهناك قلوب مزهرة وهناك قلوب مظلمة قد انطمست فيها الهداية، هناك قلوب لا يصل إليها النور ولا يخرج منها النور، وهناك قلوب مشرقة عامرة بالنور تشع نوراً، هذا النور تهدي هي به وتهدي قلوب أخرى بنورها أيضاً، كما في أحاديث أهل البيت التي تتحدث عن القلوب التي تكون مفعمة بمعرفة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - والله يا أبا خالد - كما يقول إمامنا الباقر في الرواية التي يرويها شيخنا الكليني في الكافي الشريف، في الجزء الأول من الكافي - والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من هذه الشمس المضيئة - هذا هو النور الذي أقصده في كلامي من أن الهداية هي السير في الطريق المنير - وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - أن الأئمة هم مصاييح للهداية حتى لتلك القلوب التي فقدت النور وما وصل إليها النور، هم مصاييح الدجى، هذه القلوب المظلمة لو أرادت أن تهدي بهدى الأئمة فإنهم سيجدون الأئمة مصاييح متوهجة في وسط ذلك الظلام، لكن القضية تحتاج إلى عزم إلى نية تحتاج إلى همة.

أَلْسَلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى - هذا عنوان الهداية بنحو عام، إن كانت تلك الهداية في أجواء منيرة أو في أجواء مظلمة، أما هنا حينما تأتي الزيارة فتشخص هذا الوصف - أَلْسَلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - تشير إلى هذه الحيثية، تشير إلى هذه الجهة، أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم المصاييح التي يهتدي بها من يهتدي، حتى أولئك الذين يغطون في الظلام الدامس في ذلك الليل البهيم، سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، يحدثنا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في معراجه، ألم يكن قد رأى على ساق العرش مكتوباً: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، الحسين مصباح هدى، ذلك

المصباح الذي ينير الدجى، المصباح إذا كان في النهار فإنه لن يبين إلا إذا كان نوره أعلى من نور الشمس، المصباح إنما يبين وينير متى؟ ينير هذا المصباح وإن كان منيراً في النهار لكن ضوء المصباح يشرق يتألق يتوقد يتوهج، متى يتقد؟ يتقد حين يشتد الظلام، الحسين مصباح هدىً لذلك تلك الجموع المتكاثرة التي وقفت في وجه سيد الشهداء كانت تغط نوماً عميقاً في ظلماتٍ حالكة، لو كانت تملك أدنى همة لاهتدت بذلك المصباح المتوهج، ولذلك هناك منهم من اهتدى وإن كانوا قلائل ولكن هذه مصاديق واضحة لمعنى الاهتداء والوصول إلى الحقيقة عن طريق ذلك المصباح المتوهج في وسط ذلك الظلام الحالك، الحسين مصباح الهدى، حين توهج ذلك المصباح في وسط تلكم الجموع التي تغط نوماً عميقاً في غفلتها وفي ضلالها وفي انحرافها عن جادة الحق وعن سبيل الله، عن سبيل عليٍّ وآل عليٍّ، وكان ذلك المصباح متوهجاً، قلوب قليلة كانت تملك الهمة والعزيمة فاهتدت واقتدت وجاءت متوجهةً إلى ذلك المصباح كما تطير الفراشات، كما تعشق الفراشات ضوء الشمعة، حين تتوهج الشموع فإن الفراشات تنجذب إلى نار تلك الشموع وإن كانت تكتوي بجزارتها، ذلك المصباح المتوهج حين توهج في وسط ذلك الظلام استجابت له بعض تلك النفوس لأي أمرٍ؟ لأنها كانت تملك شيئاً من همة، كانت تملك شيئاً من عزيمة، تلك الهمة وتلك العزيمة هي التي دفعتها لتقترب شيئاً فشيئاً من ذلك المصباح المتوهج.

وما حسينٌ إلا مصداقٌ من مصاديق هذه الزيارة - السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - وأهل البيت هم مصباح الوجود أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم مصباح الوجود، وقد مر علينا في الحلقات الماضية من هذا البرنامج حين الحديث عن آية النور الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أقفُ وقفَةً قصيرة عند هذا المصباح المتألق في كل هذا الوجود، أهل البيت هم المصباح المتألق في كل هذا الوجود، الرواية عن شيخنا الصدوق، عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه حين سئل عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ - فماذا قال الإمام؟ - قال: هو مثلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا - هذا المثل مثلٌ لنا، وماذا في هذا المثل ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المصباح هنا هو الجوهر، المصباح هنا هو المركز في هذه الآية، لأن المصباح منه يشرق النور، صحيح أن المصباح يستمد زيته من الشجرة، ولكن

الشجرة أين تجلت؟ تجلت في هذا المصباح، الشجرة الزيتون المباركة التي لا هي شرقية ولا هي غربية يكاد زيتها يضيء، هذا الزيت يكاد يضيء أين يضيء؟ يضيء في ذلك المصباح، الآية حين تقول ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ هذا النور على النور أين يتجلى؟ يتجلى في ذلك المصباح، والمصباح هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ، المصباح هو قلب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، المصباح حقيقة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ هم مصباح الوجود لَمَّا سألوه عن هذه الآية، قال إمامنا الصادق: هو مثلُ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا - لنا لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ.

في هذه الرواية، الرواية: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه قال: دخلتُ إلى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يكتب بأصبعه ويبتسم، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما الذي يُضحكُك؟ فقال: عجت لمن يقرأ هذه الآية - جابر يقول - دخلتُ إلى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يكتب بأصبعه ويبتسم - يعني يكتب على الأرض بإصبعه، على أرض المسجد - فقلت له: يا أمير المؤمنين ما لذي يُضحكُك؟ فقال: عجت لمن يقرأ هذه الآية ولم يعرفها حق معرفتها، فقلت له: أي آية يا أمير المؤمنين؟ فقال: قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ المشكاة مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أنا المصباح ﴿فِي

زُجَاجَةٍ﴾ الزجاج الحسن والحسين ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: وهو عليُّ بن الحسين ﴿يُوقَدُ مِنْ

شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ مُحَمَّدٌ بن علي ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ جعفر بن مُحَمَّدٍ ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ﴾ موسى بن جعفر ﴿وَلَا

غَرْبِيَّةٍ﴾ عليُّ بن موسى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ مُحَمَّدٌ بن علي ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ علي بن مُحَمَّدٍ

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ الحسن بن علي ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ القائم المهدي ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ - الروايات عديدة في بيان مضامين هذه الآية الكريمة لكنني اخترت هذه

الرواية من بين كل تلكم الروايات الكثيرة لأنها جاءت تشير إليهم جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم، لأن

الإمام ماذا قال؟ قال: هو مثلُ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا - فكأن هذه الرواية المفصلة تشرح هذه الرواية

المُجملة، أنا أخذت روايةً بجملة وهي قول الإمام الصادق - هو مثلُ ضربه الله عزَّ وجلَّ لنا - أي

للأئمة المعصومين، وجئت بهذه الرواية اقتطفتها عن سيد الأوصياء وكأنها تفصل معنى تلكم الرواية

المُجملة، هذا في أفقهم وتتجلى معانيهم في أولياءهم.

لذلك عندنا رواية مروية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه هذه الرواية: عن طلحة بن زيد عن

جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه سلام الله عليهما في هذه الآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: بدأ بنور نفسه تعالى - حين قال - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: بدأ بنور نفسه تعالى ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ مثل هداه في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مُصْبِحُ الْمُصْبِحِ﴾ والمشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه - هذا القلب الذي قال عنه إمامنا الباقر كما ذكرت قبل قليل: لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من هذه الشمس المضئية في النهار - والمشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه - في قلب المؤمن - ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ قال: الشجرة المؤمن ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ على سواء الجبل - على سواء الجبل يعني في المكان الذي تشرق الشمس على الشجرة من أول ما تشرق حتى تغيب - على سواء الجبل لا غربية أي لا شرق لها ولا شرقية أي لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت غربت عليها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد النور الذي جعله الله في قلبه - في قلب المؤمن - يضيء ولو لم يتكلم ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فريضة على فريضة وسنة على سنة ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ فهذا مثل ضربه الله للمؤمن ثم قال: فالمؤمن يتقلب في خمسة من النور مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور - هذه المداخل النورية والمخارج النورية وهذا العلم النوري والكلام النوري والمصير النوري من أين يتأتى للمؤمن؟

يتأتى من قلبه الذي وصف بأنه قنديل، وكان قلبه قنديلاً لأي شيء؟ لأن المصباح قد توهج فيه، وهذا المصباح من أين أستقى ومن أين جاء زيته الذي توهج فيه؟ هذا التوهج جاء من تلكم الشجرة المباركة، ولذلك الروايات ربطت رباطاً وثيقاً بين شيعة أهل البيت وبين فاطمة، وهذا نجد واضحاً في الروايات التي تحدثنا عن يوم القيامة، وإنما الأمور بمآلها، إنما الأمور بخواتيمها، كيف تتحقق الأمور؟ تتحقق الأمور بتحقيق خواتيمها، وإنما الأمور بمآلها إلى أين تؤول؟ حينما نقرأ روايات المحشر ماذا نجد في روايات المحشر؟ إلى أين يؤول أمرنا نحن الذين ندعي بأننا من شيعة أهل البيت، إلى أين يؤول الأمر؟ ألا تقول الروايات حين تُقبِلُ فاطمة والمنادي ينادي أن يا أهل المحشر غضوا الأبصار، فحين تُقبِلُ فاطمة والروايات مفصلة بشكلٍ مجمل فتشفع في شيعتها، ثم ماذا؟ وتشفع في شيعة شيعتها، هناك شفاعَةٌ لشيعتها، وهناك شفاعَةٌ لشيعة شيعتها، وإنما تجمعهم جميعاً، تجمع شيعتها، تلتقطهم كما يلتقط الطيرُ الحب الجيد من الحب الرديء هكذا وصفت الروايات، فتلتقط شيعتها، ثم ماذا؟ وتلتقط شيعة شيعتها، تلتقط محبيها في الروايات، وتلتقط

بعد ذلك محي محبيها، المال إلى فاطمة فتجتمع هذه الجموع الكثيرة من شيعتها ومن شيعة شيعتها، أين يجتمعون؟ الروايات تقول يقفون على باب الجنة فتدخل ويدخلون معها، هذا الاجتماع الهائل هذا هو الاجتماع الفاطمي، ولذلك الروايات تمدح الفاطميين، التركيز على العقيدة الفاطمية، على النفس الفاطمي، على الروح الفاطمية، هذا المؤمن - يتقلب في خمسة من النور مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور - هذه الأنوار من أين تتأتى؟ من القنديل الذي في قلبه، وهذا القنديل من أين يأتيه النور؟ من المصباح، وهذا المصباح من أين يأتي نوره؟ من الزيت، وهذا الزيت من أين يأتي؟ هذا الزيت من تلكم الشجرة الزيتونة التي هي لا شرقية ولا غربية من تلكم الشجرة المباركة، هذا النور وهذا الزيت من تلكم الشجرة، من الرمزية الفاطمية، من الفيض الفاطمي.

السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - هذه المصابيح من أين تأخذ زيتها؟ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾
 هذا الزيت من أين يأتي؟ من تلكم الشجرة المباركة - السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - هذه المصابيح من أين تتألق؟ في دجى العقول، في دجى الأرواح، في ظلمات العوالم السفلية، في ظلمات المعاصي والذنوب، هناك مصابيح متوهج، مصابيح مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، علائم الهدى على الطريق، إنها أبواب النجاة المفتوحة لكل ضالٍ ولكل بعيدٍ عن الطريق، لكل إنسانٍ قعدت به الدنيا ومشاغلتها ومتاعبها، هناك شموع مضيئة مصابيح متوهجة، هناك أهلة قد أشرقت، شمس قد سطعت، بدور بزغت، كل ذلك مرده إلى تلكم الشجرة الزيتونة، وكأني حين أسلم على الأئمة - السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - كأني أقول لهم السلام عليكم يا أبناء فاطمة، مصابيح الدجى هم أبناء فاطمة، هذه المصابيح من أين توهجت؟ توهجت من زيت تلكم الشجرة المباركة، والشجرة المباركة فاطمة - السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - السلام عليكم يا أبناء فاطمة - السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى - أئمة الهدى هم بجالي مُحَمَّدٌ لأن حقيقة الهدى مُحَمَّدٌ، هذه الحقيقة الكاملة حقيقة الهدى أين تتجلى؟

تتجلى في أئمة الهدى وكأني أقول لهم السلام عليكم يا أبناء مُحَمَّدٍ - السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى - إذا أردت أن تختصر المضامين يعني السلام على أبناء مُحَمَّدٍ، فَمُحَمَّدٌ هو الهدى وبعده الضلال، الهدى عند مُحَمَّدٍ وما بعد مُحَمَّدٍ الضلال، من تجاوز مُحَمَّدٍ وقع في الضلال، ومن لم يدرك مُحَمَّدًا لازل يسير في الضلال، الهدى عند مُحَمَّدٍ - السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى - كأني أقول لهم السلام عليكم يا أبناء مُحَمَّدٍ، وحين أقول - وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - وكأني أقول لهم السلام عليكم يا أبناء فاطمة، هذه المصابيح مصابيح آل مُحَمَّدٍ تتوهج من زيت فاطمة، ولذا قالها إمامنا الزاكي العسكري - نحن حجج الله على العباد وفاطمة أمنا حجة الله علينا - فاطمة حجة عليهم، والحجة ما معناها؟ الحجة يعني البرهان، يعني الوضوح، يعني

السطوع، يعني الزيت الذي أشرق في هذه الذوات في هذه المصايح - السَّلَامُ عَلَى أُنْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى - ثم تقول الزيارة الشريفة - وَأَعْلَامِ التَّقَى.

السَّلَامُ عَلَى أُنْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى، أعلام جمع لعلم والعلم هو كل شيء عال، الجبل يقال له علم إذا كان الجبل عالياً جداً يقال للجبل علم، الشجرة العالية جداً المميزة فيما بين الأشجار يقال لها علم، الرمح العالي الذي توضع النار في رأسه يقال له علم، كان هناك من العرب من أجواد العرب من يضعون النار في رأس عمود عالٍ جداً أو في رأس رمح كي ينبهوا الناس الذين يسرون في الليل كي يأتوا إلى بيوتهم إلى بيوت هؤلاء الأجواد، هذا يقال له علم، الشاخص العالي، النور العالي، الجبل العالي، وكل ما هو عالي ومشخص، لذا يقال للببرق، الببرق الذي هو قطعة من قماش ذات لون معين رموز معينه ترفعها الدول، ترفعها الجيوش في الحروب، ترفعها الجماعات، الفرق، الجمعيات، المواكب يقال لهذه البيارق أعلام، لماذا أعلام؟ لأنها مشخصة واضحة مميزة، العلم هو الشيء الواضح هو الشيء البين لذا يقال للأشخاص المعروفين أعلام، فلان علم لأنه معروف مشهور مميز بين، ولذا يقال لأسماء البشر باعتبار أن هذه الأسماء مميزة ومميزة للأشخاص يقال هذه أسماء العلم، أسماء العلم لأنها أسماء مميزة ومميزة.

فالعلم هو كل شيء بين، هو كل شيء واضح، هو كل شيء مشخص - وَأَعْلَامِ التَّقَى - والتقوى والتقوى معنى واحد وهي مأخوذة من الوقاية، الوقاية أصل كلمة التقوى والتقوى هي مأخوذة من وقى، نحن لا نملك في لغة العرب أصلاً وجذراً لغوياً تقى، إنما نملك وقى ومن وقى جاءت التقوى وجاءت التقية وجاءت التقوى وهكذا، في لغة العرب المطلعون على علم اللغة يعرفون بأنه نحن لا نملك في لغة العرب جذراً لمادة تقى، وإنما نحن نملك جذراً لمادة وقى، ومن مادة وقى تنشأ هذه التفرعات فتأتي التقوى وتأتي التقية وتأتي التقى، فالأصل في هذه التفرعات يشتمل على معنى الجذر، وهذه قاعدة معروفة في علم اللغة، التفرعات التي تتشقق من الجذور اللغوية لا بد أن تكون مشتملة على معنى الجذر، لذلك التقوى تعني الوقاية، التقوى إن كان المراد منها الطاعة والورع فهي وقاية عن أي شيء؟

هي وقاية عن الوقوع في المعاصي، وقاية عن الوقوع في الذنوب، هي وقاية عن أن يقع الإنسان في دائرة غضب الله سبحانه وتعالى، وهي وقاية عن أن يذهب الإنسان إلى الجحيم، وهذه الأعمال هي مظاهر لحقيقة واضحة هي ولاية علي وآل علي - وَأَعْلَامِ التَّقَى - ما المراد من مخاطبتنا لأئمتنا صلوات الله عليهم بأنهم أعلام التقى؟ بأنهم أعلام التقى هم العلام الواضحة البينة التي من أراد أن يتوقى الضلال، يتوقى الشرك، يتوقى الكفر، يتوقى جهنم فعليه أن يلجأ إلى تلكم الأعلام، مثل ما يكون هناك طريق فيه مخاطر، طريق فيه وحوش كاسره، طريق فيه أعلام، طريق من المخاطر الكثيرة وتوضع علامات والناس يعرفون بأن

هذه العلامات حين يتجهون باتجاهها يتوجهون إليها سينجون، سينجون من المخاطر، هم أعلام التقى، هم العلامات، هم الأعلام التي نصبها الباري سبحانه وتعالى التي توصلنا إلى هذه المرتبة، إلى أي مرتبة؟ إلى مرتبة التقوى، لذلك نحن نقرأ مثلاً في زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في زيارة وارث:

يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا - وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى، تلاحظون الاقتران دائماً بين التقى والهدى، نحن الآن كنا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة في هذه الفقرات التي نحن بصدد شرحها - **السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى** - والزيارة هنا واضحة تخاطب سيد الشهداء - وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا - كلمة التقوى يعني هم الحقيقة الجامعة، كما نقول كلمة التوحيد، كلمة التوحيد ما هي؟ لا إله إلا الله، يعني أن هذه الكلمة جامعة لكل معاني التوحيد، حين نقول كلمة التقوى يعني الكلمة الجامعة لكل معاني التقوى - وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى - هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم كلمة التقوى، وهذا التعبير تعبير أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنهم كلمة التقوى هو نفس التعبير الموجود هنا في الزيارة الجامعة الكبيرة - **وَأَعْلَامِ التُّقَى** - غاية ما في الأمر أن الجهة التي أخذت في زيارة وارث كلمة التقوى الجهة الجمعية الجهة الموحدة، هنا أخذت المصاديق المتكثرة - **وَأَعْلَامِ التُّقَى** - وإلا المعنى واحد، هم كلمة التقوى وهم أعلام التقى - **السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى**.

نحن نقرأ في الكتاب الكريم في الآية الثانية بعد المئة من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هذه الآية لا يمكن أن تنطبق على أحدٍ بحقيقة المعنى إلا على مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ وإذا طُبِّقت على غيرهم فهي من باب التجوز.

هناك آية أخرى، الآية التي جاءت في سورة التغابن الآية السادسة بعد العاشرة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ هذه يمكن أن تنطبق علينا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ﴾ هذا المعنى يمكن أن ينطبق علينا، على أولياء أهل البيت صلوات الله عليهم، أما ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ فتلك هي

العصمة، الآية هنا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ولذلك هذا المعنى موجوداً في روايات وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مثلاً:

الرواية يرويها الشيخ الصدوق، عن أبي بصيرٍ قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال: يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر - هذه الأوصاف هل يمكن أن تنطبق علينا؟! هل يمكن أن تنطبق على عامة أولياء أهل البيت؟! الإمام يشرح لنا ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

رواية أخرى: عن عبد خير قال: سألت علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال - أمير المؤمنين يقول - والله - الأمير يقسم - والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله - لأن هذه هي العصمة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ كما قال إمامنا الصادق: يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. أمير المؤمنين ماذا يقول؟ يقول: والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله نحن ذكرنا الله فلا ننساه - معصومون لا يتطرق إليهم النسيان - نحن ذكرنا الله فلا ننساه ونحن شكرناه فلن نكفره ونحن أطعناه فلم نعصه - معصومون لا تصدر منهم المعصية - فلما نزلت هذه الآية قالت الصحابة: لا نطبق ذلك - لأن الصحابة في أفضلهم ما هم على العصمة، فما بالك بالأسوء، الأفضل منهم ما هو بمعصوم الأمير يقول - فلما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قالت الصحابة لا نطبق ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ - لذلك في روايات أهل البيت عن إمامنا الباقر عن إمامنا الصادق أن هذه الآية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ نسخت الآية السابقة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ هذا النسخ بخصوصنا نحن وإلا ذلك المعنى منطبقٌ على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في جميع الأحوال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ هذا المعنى منطبقٌ عليهم لكن بالنسبة لنا لا يمكن أن تتحقق هذه الآية في حياتنا أن نتقي الله حق تقاته، وإنما يمكن أن نتقي الله ما استطعنا.

لذلك الرواية: عن أبي بصيرٍ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال: منسوخة قلت: وما نسخها؟ قال: قول الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ - هذا النسخ بالنسبة لنا أما

بالنسبة للأئمة فالمعنى ذلك ثابت لهم كما قال سيد الأوصياء: والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله.

هناك رواية ينقلها العياشي، عن الحسين بن خالد قال: قال أبو الحسن الأول - يعني الإمام الكاظم - كيف تقرأ هذه الآية؟ - يسأل الحسين بن خالد - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الإمام يقول ماذا؟ - يبدو أن الإمام أشار إلى آية مكتوبة فقال له - كيف تقرأ هذه الآية؟ - إما كانت مكتوبة أو أن السائل سأها وقرأ الآية والإمام أعاد عليه فيبدأ يقرأ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الإمام يقول ماذا؟ - يعني ماذا قلت آخر كلمة - قلت: ﴿مُسْلِمُونَ﴾ فقال الإمام سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين - لأنه خاطبهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - فقال: سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين ثم يسألهم الإسلام والإيمان فوق الإسلام ثم يسألهم التقوى وبعد ذلك يطالبهم بالإسلام؟ الآية كما هي القراءة المشهورة المعروفة الآن المكتوبة في المصحف، كيف مكتوبة؟ مكتوبة هكذا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هذه هي قراءة رسم المصحف الموجودة في المصحف، الحسين بن خالد قرأ الآية كما هي مكتوبة في المصحف، الإمام قال له: سبحان الله إذا كانت الآية تقرأ بهذه القراءة فإن الله قد وصفهم بالإيمان وكذلك أمرهم بالتقوى، وبعد ذلك يطلب منهم الإسلام، فكيف يكون ذلك؟ فإن الإيمان أعلى من الإسلام، والإيمان يأتي بعد الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ يعني هؤلاء أسلموا وأمنوا واتقوا فكيف يطالبهم ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ تلاحظون الوجه إلى أن يشير الإمام؟ لأن الآية هكذا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لَمَّا خاطبت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني أن هؤلاء قد أسلموا وأمنوا فالإيمان بعد الإسلام يأتي، لأنه الآية صريحة في سورة الحجرات، الآية الرابعة بعد العاشرة ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أنتم لم تدخلوا ﴿وَلَمَّا﴾ يعني ولم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ يعني الإسلام قبل الإيمان، الإمام يشير إلى هذه الحقيقة، فيقول: سبحان الله أنت تقرأ بهذه القراءة، وهي القراءة المعروفة ونحن نقرأ بها، لكن الإمام يريد أن يشير إلى المعنى الدقيق في الآية، لأنه حينما نقرأ مُسْلِمُونَ ماذا

نفهم؟ مُسلمون يعني على الإسلام هكذا يفهمها الناس، فكيف يطالبهم الله بالإسلام وهم قد تجاوزوا الإسلام والإيمان إلى التقوى؟! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني أسلموا وآمنوا ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ وهدي أعلى مراتب التقوى، فتقول الآية ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فالإمام يقول: سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين ثم يسألهم الإسلام والإيمان فوق الإسلام؟ قلت: هكذا تقرأ في قراءة زيد، قال: إنما هي في قراءة عليّ - يعني في رواية زيد، هكذا تقرأ في قراءة زيد يعني في رواية زيد - قال: إنما هي في قراءة عليّ وهي التنزيل الذي نزل به جبرئيل على مُحَمَّدٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ التسليم هذا أعلى درجات الإيمان يأتي بعد الإسلام بعد الإيمان بعد التقوى.

قال: إنما هي في قراءة عليّ - وطبعاً هذه القراءة تنسجم المعاني نحن لا نقرأها بهذه القراءة وإنما نقرأها: مسلمون، كما أمرنا الأئمة أقرؤه كما يقرأه الناس ونفهم معنى مسلمون أنهم مُسَلَّمُونَ لأن الإسلام في أفق من معانيه هو التسليم - إنما هي في قراءة عليّ وهي التنزيل الذي نزل به جبرئيل على مُحَمَّدٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ - مسلمون لمن؟ كما يقول الإمام في نفس الرواية - إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ لرسول الله ثم للإمام من بعده - يعني يكون معنى الآية هكذا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وتلك هي التقوى الحقيقية، هذه هي التقوى الحقيقية، أعلى مراتب التقوى.

نحن قلنا هذه الآية نسخت، هذه الآية لها آفاق ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ هذه في أفق من آفاقها تعني العصمة وهذه خاصة بأهل البيت، وفي أفق من آفاقها تعني التقوى التي توقعنا في الحرج بحيث لا نستطيع أن نلتزم بها ولذلك نسخت فانسختها هذه الآية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وفي أفق آخر من آفاقها تعني الولاية لعليّ وآل عليّ، والإمام هنا يتحدث عن هذا الأفق عن هذه الحثية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، إذ الإسلام يقودنا إلى الإيمان والإيمان إلى التقوى إلى حق التقوى، وحق التقوى المراد منها التسليم لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، التسليم للإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لإمام زمانكم صلوات الله وسلامه عليه، والروايات في هذا المضمون وفيرة وكثيرة كلها تشير إلى هذه الحقيقة أن التقوى حقيقة هي ولاية عليّ

وآل عليّ، هي التسليم لعليّ وآل عليّ، وقبل قليل ونحن نتحدث عن السلام قلنا إن السلام في هذا المقطع والمقاطع الآتية هو ترسيخ وتأكيد وإقرار واعتراف منا بالتسليم لمُحمَّد وآل مُحمَّد وبالسلمية لهم، وهذا المعنى يتجلى ويظهر واضحاً وجلياً في هذه العبائر من الزيارة الشريفة - السَّلَامُ عَلَى أُمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى - وحقيقةً كان بودي أن أشير إلى مطالب أخرى لكن الوقت قد جاز وقد تعدى عن الوقت المخصص للبرنامج، بهذا القدر أكتفي وإن شاء أكون في خدمتكم في مناسباتٍ أخرى لتناولي ما بقي من مطالب لم يسنح الوقت بالتعرض لها وللدخول في تفاصيلها.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ سَادَتِي آلِ مُحَمَّدٍ، السَّلَامُ عَلَى أُمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى.
والسلام عليكم أنتم يا أشياعهم ويا أوليائهم أسألکم الدعاء جميعاً ولقاءنا يتجدد على قناة المودة الفضائية على مودّة عليّ وعليّ وعليّ وعليّ حتى ينقطع النفس أسألکم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة السابعة عشر

معنى وذوى النهى وأولى الحجى وكهف الورى

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، صياماً مقبولاً ودعاءً مستجاباً لنا ولكم ولكل محبي فاطمة وآل فاطمة، هذه الحلقة السابعة بعد العاشرة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، تمّ الكلام في الحلقات الماضية في المقطع الأول من المقاطع الرئيسة في الزيارة الجامعة الكبيرة وشرعنا في الحلقة الماضية في المقطع الثاني من مقاطع هذه الزيارة حيث ابتدأ المقطع الثاني:

السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى

ومر الكلام في هذه العناوين من هذا المقطع، أتناول اليوم عناوين أخرى جديدة ذكرتها الزيارة الجامعة الكبيرة، ونحن نخاطبهم صلوات الله عليهم: **وَذَوَى النَّهَى، وَأَوْلَى الْحَجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.**

هذه العناوين مترابطة يرتبط بعضها ببعض الآخر، أقف عليها لبيان ما أتمكن من بيانه بحسب ما يسنح به المقام، نحن سلّمنا عليهم فقلنا: **السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى**، اليوم نستمر في سلامنا فنقول: **وَذَوَى النَّهَى**، وذوي النهى أظن أن هذه التركيبة واضحة لديكم، ذوي النهى يعني أصحاب النهى، فكلمة ذوي هي جمعٌ لكلمة ذو، وذو في لغة العرب تأتي بمعنى صاحب، نقول ذو ثراءٍ أي صاحب ثراء، وذو علم أي صاحب علم، وذو جاهٍ أي صاحب جاه، وذوي النهى يعني أصحاب النهى، أما كلمة النهى، النهى قد تأتي جمعاً لنهيه، والنهية في لغة العرب هي العقل، وقيل للعقل نهيه لأنه ينهى عن المفاسد، لأنه ينهى عن المضار، وقد تكون النهى كما جاء في بعض روايات وكلمات أهل البيت صلوات الله عليهم جمعٌ لنهاية، نهاية تجمع على نهى - **وَذَوَى النَّهَى** - فهي تأتي بمعنى أصحاب العقول إذا كانت النهى جمعاً لنهيه، وتأتي بمعنى أصحاب النهايات إذا كانت النهى جمعاً لنهاية، والمعنيان ينطبقان على بعضهما أيضاً، فإن النهى وهي العقول جمعٌ لنهيه هي منتهى ما يصل إليه الإنسان، أين يذهب الإنسان؟ منتهى الإنسان أن يعود إلى عقله، منتهى الإنسان أن يعود إلى هذه الجوهرة وهي جوهرة العقل التي أودعها الله في باطن مكنون هذا الإنسان، النهى بمعنى العقول أو النهى بمعنى النهايات فإنهما ينطبقان على بعضهما فنهايات الإنسان أين تكون في مداه الإنساني، الإنسان في المدى الإنساني إلى أين ينتهي؟

ينتهي إلى عقله، ولذلك إمامنا الرضا صلوات الله عليه وهو يُحدِّث العالم اللغوي المعروف ابن السكيت عن حجج الله فيقول: حجج الله حججٌ ظاهرة وباطنة، الحجج الظاهرة هم الأنبياء والأوصياء، وأما الحجج الباطنة فهي العقول، والحجة هو منتهى الوضوح، منتهى البرهان، الحجة الظاهرة في منتهائها هم الأنبياء، والحجة الباطنة في منتهائها هي العقول، النهى بمعنى العقول أو النهى بمعنى النهايات ينطبق أحد المعنيين على الآخر، وكذلك لو أردنا أن نطبق المعنيين كلاهما على أهل البيت فإنهما ينطبقان ويُسَرِّ وسهولة نحن نخاطبهم - **وَذَوِي النَّهْيِ** - والقرآن الكريم أشار على ذوي النهى، أشار إلى ذوي النهى في موضعين من مواضع الكتاب: في سورة طه في الآية الرابعة والخمسين في سياق آيات **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾** . وكذلك جاء هذا التعبير في سورة طه أيضاً هذه هي الآية الرابعة والخمسون **﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾** بعد ذلك السياق الذي جاء **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾** الآيات هنا تتحدث عن لوحة في هذا العالم الذي نعيش فيه، ففي ذلك آياتٌ لأولي النهى.

في نفس سورة طه الآية الثامنة والعشرون بعد المئة **﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾** . في روايات أهل البيت، في حديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الرواية يرويها علي بن إبراهيم في تفسيره: عن علي بن رئاب عن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾** قال: نحن والله أولوا النهى - الإمام يؤكد هذا المعنى بِقَسَمِهِ - قال: نحن والله أولوا النهى فقلت: جعلت فداك وما معنى أولوا النهى؟ - فيبدأ الإمام يحدثه عن الوقائع وعن الأحداث التي تقع من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى أن يقول الإمام - **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾** الذي انتهى لنا علم ذلك كله - الرواية هنا تشير إلى أنهم هم جهة النهاية - الذي انتهى لنا علم ذلك كله - إلى آخر الرواية، أنا فقط أخذت منها موطن الحاجة، لا أريد أن أقرأ النصوص بكاملها لضيق الوقت، أخذت منها موطن الحاجة - **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾** الذي انتهى إلينا علم ذلك كله.

الرواية عن عيسى بن داود النجار عن إمامنا الكاظم عليه السلام في قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ - ماذا قال إمامنا الكاظم؟ - قال: هم الأئمة من آل مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم وما كان في القرآن مثلها - يعني إن هذا العنوان هو عنوانٌ خاصٌ بآل مُحَمَّدٍ فقد ورد في الكتاب الكريم في سورة طه ورد مرتين وكلا المرتين عنوانٌ خاص بنحو المعنى الحقيقي لا ينطبق إلا على آل مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم، إمامنا يقول، إمامنا الكاظم يقول - هم الأئمة من آل مُحَمَّدٍ وما كان في القرآن مثلها - مثل هذه الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ المراد ما كان في القرآن مثل هذه الآية أن ينطبق على غير أهل البيت على غير آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أولوا النهي هم أرباب العقول أو هم الجهة التي ينتهي إليها كل العلم، منتهى العلم، ومنتهى العلم يعني منتهى كل شيء، وأهل البيت هم مجالي أسماء الله الحسنى.

لو ذهبنا إلى سورة النجم في الآية الرابعة بعد العاشرة من سورة النجم ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ سدرة المنتهى هي عنوانٌ كما مر الحديث عن ذلك في الحلقات المتقدمة من هذا البرنامج سدرة المنتهى هي الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ في مقاماتها القادسة وفي تجلياتها الأسمائية بجمالها وبجلالها ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ والسدرَةُ حيث الخفاء والسدرَةُ هي الحجاب، وسَدَرَ الشيء غطاه حجبه أخفاه، هناك عند سدرة المنتهى كانت مقامات قوس الصعود الأحمدي حين صعد في معراجهِ صلى الله عليه وآله فكانت مراقي صعوده في قوس الصعود الأحمدي كانت عند سدرة المنتهى، وعند سدرة المنتهى تغيب الحقائق، لكن الحقيقة الأحمديّة ما غابت، ومر علينا هذا الكلام ومرت علينا هذه الإشارات التي جاءت في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا التعبير تعبير المُنتهى وتعبير الانتهاء منوطٌ بهذه الذوات المقدسة، ولذلك مرَّ علينا في كلام إمامنا الكاظم عليه السلام قال إن هذا الاستعمال في الكتاب الكريم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ قال: هي في الأئمة من آل مُحَمَّدٍ وما في القرآن مثلها، مثل هذا التعبير إلا هو في آل مُحَمَّدٍ، لأن النهاية عندهم ولأن الأمور تؤول إليهم صلوات الله وسلامه عليهم، سدرة المنتهى هي سدرتهم وهي حقيقتهم، فالمنتهى عندهم والمنتهى إليهم.

في نفس سورة النجم الآية الثانية والأربعين ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ المنتهى والنهاية إلى ربك وهذا الاسم معنى الربوبية إنما يتجلى في الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ لأن الربوبية تعني المدد، تعني الفيض، فهي مأخوذة من التربية، والتربية هي تواصل الفيض، والفيض الإلهي إنما يتواصل ويصل إلى هذا الوجود من خلال باب

الفيض، من خلال الحقيقة المحمّدية - فما من شيءٍ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل - ومرّ الكلام في هذه المعاني في بيان معنى وأولياء النعم ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ المنتهى عند الجهة التي يصدر منها الفيض، والنهايات عند الله سبحانه وتعالى.

في سورة النازعات في الآية الرابعة والأربعين ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ هذه الآيات التي تسبق الآية الرابعة والأربعين ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ وتستمر الآيات ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ أيضاً هنا جاء اسم الرب، لأن الرب هو الذي يتجلى برحمته بلطفه بفيضه، هو الذي يربي هذه الكائنات، أخرجها من العدم إلى الوجود، ثم أكمل وجودها، وأعطى لكل موجودٍ فاعليته وقدرته على الفعل، وأعطاه كذلك قدرته على الانفعال لترتبط هذه الموجودات بعضها ببعض الآخر فيحدث التكامل فيما بينها، فكما أن الفاعلية والفعالية كمالٌ في المخلوق كذلك الانفعال والتأثر والمعلولية هي جزءٌ من كمال هذا المخلوق ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ كل شيءٍ منتهاها عند أفق الربوبية، والربوبية تجلت بفيضها بصفاتها بأسمائها في الحقيقة المحمّدية التي صدر منها الفيض المقدّس على جميع الكائنات على جميع الموجودات ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ كل هذه الآيات فيها إشاراتٌ ودلالاتٌ إلى نفس المضمون الذي تكتنزه هذه العبارة من الزيارة الشريفة - **وَذَوِي النُّهَى** - وذوي النهى هم حقائق العقول والتي أشارت إليها الروايات أن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق، ماذا خلق؟ خلق العقل فقال له أقبل فأقبل، أدبر فأدبر، وقد شرحت شيئاً من معنى هذا الحديث في طوايا الحلقات الماضية، فكانت النتيجة أن خاطبه سبحانه وتعالى أما أي بك أثيب وبك أعاقب جعله هو الميزان، وكل هذه الكلمات إنما هي رموز، هذا العقل تجلّى في تلکم المظاهر الإلهية القادسة التي تجلت في عالم الخلق الأول وتجلت كذلك في مراتبها المختلفة في عالم الخلق الثاني، فهم العقول وهم النهايات، وأولي النهى أولي العقول وأولوا النهايات، والنهايات تتجلى فيهم، إن كان ذلك في العالم الدنيوي أو كان ذلك في العالم الآخروي.

هذا هو الجزء السابع والعشرون من بحار الأنوار وهذه الرواية: عن جابر عن أبي عبد الله - وجابراً هذا هو الجعفي حامل أسرار أهل البيت - عن جابر عن أبي عبد الله عن إمامنا الصادق أنه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين لفصل الخطاب دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حُلَّةً خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب، ويكسى عليّ عليه السلام مثلها، ويكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حُلَّةً وردية تضيء

ما بين المشرق والمغرب ويكسى علي عليه السلام مثلها، ثم يدعى بنا - أي بالأئمة المعصومين بالعترة الطاهرة - ثم يدعى بنا فيُدفع إلينا حساب الناس - وسيأتينا في عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة وحساب الخلق عليكم، إياب الخلق إليكم وحساب الخلق عليكم، الإياب إليكم والحساب عليكم - ثم يُدعى بنا فيُدفع إلينا حسابُ الناس أو حسابَ الناس - والقراءتان صحيحتان - فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وندخل أهل النار النار ثم يُدعى بالنبيين عليهم السلام فيقامون صفين عند عرش الله عز وجل حتى نقرغ من حساب الناس فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث الله تبارك وتعالى علياً فأنزلهم منازلهم في الجنة - منتهى أمور الجنان إلى علي ومنتهى أمور النيران إلى علي - بعث الله تبارك وتعالى علياً فأنزلهم منازلهم في الجنة وزوجهم، فعلي والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة وما ذلك إلى أحد - لأن الولاية العلوية ولاية مبسوطة في جميع آفاق هذه الوجود - فعلي والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة وما ذلك إلى أحد غيره وإنما هذه كرامة من الله عز ذكره له، وفضلاً فضله به ومن به عليه وهو والله يدخل أهل النار النار وهو الذي يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها ويغلق على أهل النار إذا دخلوا فيها أبواب الجنة إليه وأبواب النار إليه - ولاية مبسوطة في كل آفاق وطبقات هذا الوجود.

وذلك هو معنى منتهى الأمور إليه، إذاً المنتهى إليه، إذاً الرجعى إليه، وأولي النهى هم الحقائق العقلية التي كانت ميزاناً للشواب والعقاب، وهم الجهة التي تنتهي إليها الأمور، على الأقل إذا أردنا أن نتحدث عن أهل الجنان وأهل النيران فأنتهم الجهة التي ينتهي إليها مصير أهل الجنان ومصير أهل النيران كما بينت هذه الرواية وروايات كثيرة ووفيرة جداً جاءت عن النبي الأعظم وعن آله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

بهذه العجالة يتضح عندنا معنى قول الزيارة: **وَذَوِي النَّهْيِ**، فهم المظهر العقلي الأكمل الذي يتحلى في علمنا الدنيوي وهم صورة ذلك العقل الذي خلقه الله فقال له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر ثم قال أما أي بك أعاقب وأثيب فجعله الميزان، هناك ميزان، هذا الميزان جاء ذكره في الكتاب الكريم في سورة الرحمن

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ هناك ميزان والميزان هنا ليس ميزاناً مادياً، هذا الميزان هو ميزان الوجود

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ نحن نسلّم على سيد الأوصياء في زيارته، الذين يقرءون زيارات أمير

المؤمنين في مفاتيح الجنان وفي غير المفاتيح، في زيارته المطلقة وفي زيارته المخصوصة: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا**

مِيزَانَ الْأَعْمَالِ وَسَيْفَ ذِي الْجَلَالِ، - هذا مظهر من مظاهر هذه الميزانية في الوجود أنه صلوات الله عليه

ميزان الأعمال، وميزانيته للأعمال هي في الدنيا وهي في الآخرة أيضاً، وميزانيته في هذا الوجود هي التي

إليها الإشارة هنا ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ الآيات التي بعدها ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا
 الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ألا تطغوا في الميزان قولوا فينا ماشئتم ولكن نزهونا عن الربوبية، هذه
 الكلمة النورية من سيد الأوصياء هي تنهاننا عن الطغيان في الميزان ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ وفي روايات أهل
 البيت السماء في القرآن هي عنوانٌ واسمٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ كما أن
 النجوم أسمٌ للمعصومين من عترته الطاهرة التي رصعت السماء، فالسماء أسمٌ لرسول الله وهو الوجود
 الأوسع الوجود الفسيح ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ولولاك يا علي لم يُعرف المؤمنون بعدي، هكذا
 خاطبه ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ نزهونا عن الربوبية وقولوا في فضلنا ما شئتم
 ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ لا تبغضونا فإن الذي يخسر هذا الميزان
 من هو؟ هو مُبغضهم، فنحن ما بين طغيانٍ وما بين خسران، الطغيان مذموم والخسران مذموم ولكن
 ﴿وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ وإقامة الوزن بالقسط تحتاج إلى ذلك الذي يملأها قسطاً وعدلاً، ملكه للأرض
 قسطاً وعدلاً هو مظهرٌ لميزانيته.

نحن إذاً إذا أردنا أن نقيم الوزن بالقسط لا بد أن نرجع إلى الميزان، ميزاننا في هذا الوقت هو الحجة بن
 الحسن العسكري صلوات الله عليه ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ إذاً لنبحث عن هذا الميزان حتى لا
 نطغى في هذا الميزان ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ كما يريدون هم ﴿وَلَا تُخْسِرُوا
 الْمِيزَانَ﴾ فهم ميزان هذا الوجود، لَمَّا قال للعقل أقبل فأقبل وأدبر فأدبر، فماذا قال له؟ قال أما أي بك
 أثيب وبك أعاقب، فكانوا هم الميزان - السَّلامُ عليك يا ميزان الأعمال - هذه الميزانية المذكورة في هذه
 العبارة من الزيارة هي مرتبة من مراتب ميزانية علي لأن الميزانية الحقيقية هي ولاية علي، ولاية علي هي
 الميزان في الرابطة وفي العلاقة فيما بين المخلوقات وبين الله، الولاية العلوية في عمقها الوجودي هي موجودة
 حتى عند قاتله، لأننا لا نستطيع أن نتصور موجوداً من دون هذه الولاية، أما قضية الإيمان قضية الإسلام
 مرتبطة بالولاية العلوية في مظهرها الإنساني، هناك الولاية العلوية في مظهرها الوجودي وكل الكائنات مرتبطة
 بها وحتى النواصب لأن وجودهم قائمٌ بهذه الولاية، الولاية هنا هي مادة وجودهم فلا يمكن أن نتصور
 الموجود من دون مادة الوجود، مرادي من مادة الوجود الماء الأول، الفيض الأول، ليس القضية المادية

المحسوسة، هذه القضية المادية المحسوسة هي صورة، صورة للمادة الحقيقية، المادة الحقيقية ما وراء هذه المادة، هذه المادة المحسوسة التي لها أبعاد طول وعرض وارتفاع، هذه المادة المحسوسة المرئية بحاسة البصر الملموسة بحاسة اللمس هذه هي عبارة عن صورة للمادة الحقيقية التي وراء هذه المادة المحسوسة، فأنا أتحدث عن الولاية العلوية في عمقها الوجودي هي هذه المادة التي ما وراء المادة المحسوسة.

أما الولاية العلوية في أفقها الديني في العلاقة الإيمانية في البعد القرآني هذه الولاية العلوية في البعد الإنساني في قضية الارتباط بالله سبحانه وتعالى وتلك يمكن أن ينكرها البعض ويمكن أن يؤمن بها البعض، أما الولاية العلوية في عمقها الوجودي لا يمكن أن يتجرد منها موجود السبب في ذلك أنها هي مادة الوجود، هذه المادة المحسوسة متقومة بمادة حقيقية وراءها، المادة الحقيقية هي الولاية العلوية، والولاية العلوية هي الولاية الإلهية هذا مجرد عنوان، الكائنات قائمة بأي شيء؟ قائمة بولاية الله سبحانه وتعالى، الولاية العلوية هي الولاية الإلهية، وهذا هو الذي يجعلهم أن تكون النهايات إليهم، السلام عليكم سادتي أئمتي - **السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى، وَذَوَى النَّهَى** - هم العقول القادسة وهم النقطة التي تنتهي عندها النهايات وتتلاشى عندها النهايات، وسدرة المنتهى هم سدرة المنتهى هم جنة المأوى في بُعدٍ أعمق لمعاني هذه المصطلحات - **وَذَوَى النَّهَى، وَأُولَى الْحَجَى** - وأولى الحجى تعني أصحاب الحجى، تعني أرباب الحجى، تعني أولئك الذي يملكون الحجى، ما المراد من الحجى في لغة العرب؟

الحجى في لغة العرب المراد منها الحكمة، والحجى تأتي بمعنى العقل ولكن العقل في أفق الحكمة، صاحب الحجى هو صاحب الحكمة، وقطعاً حين يكون الإنسان صاحب حكمة فهو بالضرورة لا بد أن يكون صاحب عقلٍ متين حتى تأتي الحكمة فتستقر في ذلك العقل أو تتجلى في ذلك العقل أيّاً كان التعبير، الحجى هو الحكمة والحكمة هي أرقى مظاهر العقل، ومن كانت عنده الحكمة من الضرورة بمكانٍ وبوضوح أنه يملك العقل المتين وبعد ذلك تأتي الحكمة، وهذه الحكمة إما أن تكون آتية وإما أن تكون مشرقة من داخل ذلك العقل - **وَأُولَى الْحَجَى** - الحجى أيضاً تأتي بمعنى الذكاء، الذكاء الشديد المتوقع، وهي أيضاً أعلى درجات الإدراك في الحالة البشرية العادية، أعلى درجات الإدراك والتواصل مع العالم الخارجي إنما يكون بقدرة الذكاء، الحجى تأتي بمعنى الذكاء، والذكاء هو أيضاً من مظاهر ومن مراتب العقل البشري - **وَذَوَى النَّهَى، وَأُولَى الْحَجَى** - يعني أصحاب الحكمة، يعني أصحاب الذكاء، يعني أصحاب الفطنة، العبارة السابقة - **وَذَوَى النَّهَى، وَأُولَى الْحَجَى** - النهى أيضاً تأتي بمعنى العقول، والحجى بمعنى العقول، ما الفارق بين العبارتين؟ - **وَذَوَى النَّهَى، وَأُولَى الْحَجَى** - النهى كما قلنا يُنظر فيها إلى مرتبة العقل الذي هو نهاية النهايات، نحن في مثال أمورنا في مثال تفكيرنا إلى أين ننتهي؟ ننتهي عند العقل، العقل هو الميزان،

حتى في حياتنا الشخصية وفي جزئياتها البسيطة، مثال هذه الجزئيات، مثال هذه الحياة إلى العقل - وَدَوَى
 النَّهْي - أما حين نقول - وَأُولَى الْحِجَى - الْحِجَى هي العقول، والحجى هي الحكمة ولكن النظر هنا إلى
 مرتبةٍ أخص من المرتبة الأولى، المرتبة الأولى هي الميزان، والنهى نهي، والنهية هو العقل الذي ينهى، بك
 أثيب وبك أعاقب، هذه هي النهية وهذا هو معنى النهى، أما ما المراد من الحجى؟ الحجى هو جهة العقل
 التي تتجلى في خواصهم، ما يتجلى من المراتب الخاصة للعقل في خواص أهل البيت، وذلك إنما يتأتى
 منهم، ما من شيءٍ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل، الحجى هي المراتب الخاصة من العقل ولنعبّر عنها
 بالبصيرة مثلاً، البصيرة في معناها العميق هي الحجى.

وأولى الحجى يعني أصحاب البصائر، لذا نجد مثلاً في الجزء الخامس والعشرين في حديثٍ طويل وقد مرَّ
 علينا هذا الحديث، هناك عبارات قصيرة فيها إشارة واضحة إلى معنى الحجى، فالحجى كما قلت هي مرتبة
 العقل الخاصة، ومرتبة العقل الخاصة هي التي تكشف عن حقيقة الإنسان، الإنسانُ بشكلٍ عام، كل البشر
 يمتلكون في الجانب الفكري في الجانب العقلي يمتلكون نفس الوسائل نفس الآليات، يعني مثلاً البديهيات،
 البديهيات أو الضروريات في الفكر البشري أو الفطريات يعني نسبةً إلى الفطرة، الفطريات نسبةً إلى الفطرة،
 أو البديهيات نسبةً إلى البديهة، هذه القواعد الفكرية موجودة عند الجميع، وكل العقول تعمل بهذه
 الآليات، لكن هناك خصوصية في كل عقل، بالنتيجة العقول لها مراتب، من جهة البديهيات، من جهة
 القواعد العامة كل العقول تعمل في نفس الأفق ويمكن أن تصل إلى نفس النتائج ولكن يبقى لكل عقلٍ له
 الحالة الخاصة به وتلك هي الحقيقة التي تمثل وجه الإنسان، نحن حين نتحدث عن وجه الإنسان، وجه
 الإنسان المحسوس هو هذا الذي فيه عيناه وفيه جبهته وفيه فمه وبه يتميز الإنسان عن غيره، وقد تشابه
 التوائم فلا نجد ما يميز بين هذا التوأم وذاك التوأم، ولكن بالنسبة للعقول حتى التوائم كل توأم له خصوصيته
 الخاصة، لكل عقلٍ خاصيته التي تخصه وذلك هو الوجه الحقيقي للإنسان، خواص أهل البيت ينالون وجهاً
 خاصاً منهم صلوات الله عليهم، وهذا مرت الإشارة إليه في الأحاديث إن حديثنا إن أمرنا صَعِبٍ
 مستصعب لا يحتمله لا نبيٍّ مرسل ولا ملكٌ مقرب ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فمن يحتمله يا ابن رسول
 الله قال: من شئنا، من شئنا هؤلاء الذين تصدر إليهم هذه المراتب الخاصة من العقل، لا يحتمله لا نبيٍّ
 مرسل ولا ملك مقرب ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، إذاً من يحتمله؟ قال: من شئنا، الحجى المراد هو
 هذا المعنى، هذه الخاصية المرتبة الخاصة من العقل، أنا قلت فلنسمها البصيرة، وإن كان البصيرة فيها دلالة
 أخرى ولكن لأجل تقريب المعنى، المراد من الحجى هو هذا المعنى هو هذه المرتبة، وهذه المرتبة مرتبطة أين؟

مرتبطة بالحقيقة الثابتة بالعقل الثابت بالميزان، ولذلك في هذا الحديث، حديث طويل ومر ذكره في الحلقات
 السابقة، يرويه جابر الجعفي عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، فمن جملة ما جاء في هذا الحديث

قول الله سبحانه وتعالى وهو يخاطب النبي والأئمة: فكل شيء هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي. الله يخاطب النبي وآل النبي: فكل شيء هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون ولا يبيد ولا يهلك من تولاكم. الحديث هنا عن تلكم المرتبة الثابتة والتي تتجلى في مرتبة الميزان، الميزان الثابت الذي توزن به الأشياء، توزن به الحقائق، فهم وجه الله، ووجه الله سبحانه وتعالى هو الوجه الثابت الذي لا يهلك - فكل شيء هالكٌ إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون ولا يبيد ولا يهلك من تولاكم - هذا هو كلام الله سبحانه وتعالى للنبي وآل النبي كما في هذه الرواية التي ينقلها جابر الجعفي عن إمامنا أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه.

العقل هنا هو وجه الإنسان، العقل هنا هو حقيقة الإنسان، فحينما يقول في الحديث الذي مر علينا أن أولياءكم لا يبيدون ولا يهلكون إنما هم لا يبيدون ولا يهلكون من هذه الجهة، من جهة ما تجلى من مرتبة العقل الخاصة عند أولياءهم أمثال سلمان ومن كان في درجة سلمان، الذي جاء في وصفه بأن من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، لماذا؟ لأن سلمان قد صار في مرحلة الميزان، أُعطي تلكم الرتبة، أُعطي هذه الرتبة المُشار إليها في الزيارة - وأولى الحجى - الحجى هنا المراد منها هذه الرتبة هذه المرتبة الخاصة من العقل، فأولى الحجى يعني هم الذين يمنحون أولياءهم خواصهم هذه المرتبة، وهم كذلك هم الأصل في ذلك، حقيقة الحجى حقيقة العقل هي عندهم، وهم حقيقة العقل، والمعاني هنا متناسقة ما بين ذوي النهى وما بين أولى الحجى، فالنهي عقول والحجى عقول والنتيجة أنهم هم المنتهى، حينما مثلاً نقرأ في دعاء علقمة الذي يستحب قراءته بعد زيارة عاشوراء، ماذا نقول في هذا الدعاء؟

إلى الله انقلبتُ على ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله مفوضاً أمري إلى الله مُلجئاً ظهري إلى الله متوكلاً على الله وأقول حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس لي وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى - هذه المعاني المتقدمة كلها تجتمع في هذه العبارة - إلى الله انقلبتُ على ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله مفوضاً أمري إلى الله مُلجئاً ظهري إلى الله متوكلاً على الله وأقول حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا - كل هذه المعاني وهي من أعمق معاني التوحيد وهي من أعمق معاني التوكل واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى تجتمع في هذه العبارة - ليس لي وراء الله ووراءكم يا سادتي منتهى - المنتهى يكون عندهم، النهايات تكون عندهم صلوات الله عليهم، وهذه النهايات الإشارة إليها في هذه العبارات في الزيارة - ودوى النهى، وأولى الحجى - فالنهي هي العقول، هي النهايات، والحجى هي أرقى مراتب العقول التي لو تجلت وظهرت في إنسان ظهر وجهه الحقيقي، لذلك عندنا في الروايات إن أعداء أهل البيت يحشرون يوم القيامة على صور، على هيئات تحسن عندها القردة والخنازير لماذا؟ لأنهم لا يملكون هذه المرتبة

من العقل، لا يمتلكون مرتبة الحجى، زينة الإنسان أين تكمن؟ زينة الإنسان تكمن في عقله، جمال الإنسان يكمن في عقله، جمال المخلوق يكمن في عقله، وكلما ترقى هذا العقل كلما أزداد الإنسان جمالاً، إلى أن يكون هناك المرتبة الخاصة، فمن يحتمله قال من شئنا، هذه المرتبة تحتاج إلى عناية خاصة، إلى جوهرة خاصة، إلى أفق خاص من آفاق العقل وهو الحجى.

السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى، وَذَوَى النَّهْيِ، وَأَوْلَى الْحَجَى، هناك إذاً علاقة خاصة وهي هذه العلاقة التي يرتبط بها المؤمن بأئمة فيمنحونه هذه الصفة، يمنحونه هذه المرتبة: من شئنا، من يحتمله؟ من شئنا، لا بد من وجود إضافة تضاف على هذا الإنسان كي يصل إلى هذه المرتبة، وإلا الرواية قالت: لا يحتمله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، إذاً من يحتمله يا ابن رسول الله؟ قال: من شئنا، إذاً هناك مجموعة تحتاج إلى عناية خاصة إلى إضافة خاصة هذه العناية التي ظهرت في سلمان، سلمان منا أهل البيت، هناك عناية خاصة أضيفت إلى سلمان، سلمان أضيف إلى الرحم المُحَمَّدِي، ليس الرحم بمعنى اللحم النسبية أو النسبة العشائرية، الرحم بالمعنى الأعمق بالمعنى الحقيقي والذي تتحدث عنه كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية عن إمامنا الحسن العسكري، الرواية طويلة ولكنها تشتمل على مضامين مهمة لذا سأتلوها على مسامعكم، إمامنا العسكري صلوات الله عليه يحدثنا عن جده أمير المؤمنين وهذا هو الجزء الثالث والعشرون من بحار الأنوار: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته - سلمان أُدخِل في هذه الدائرة، هذه العناية الخاصة التي جعلت من سلمان أن قال عنه رسول الله سلمان منا أهل البيت، هذا هو سلمان المُحَمَّدِي، هذه النسبة ليست نسبة اللحم، هذه النسبة إلى الرحم الحقيقي - أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، ثم قال عليٌّ عليه السلام: أوتدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن ومن قطعها قطعته الرحمن؟ فقيل: يا أمير المؤمنين حثَّ بهذا كل قومٍ على أن يكرّموا أقربائهم ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: أيحَثُّهم على أن يصلوا أرحام الكافرين؟! - باعتبار أن الكلام عام - أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي من وصلها وصلته - يعني من وصل الرحم مطلقاً، والرحم قد يكون بين الكافرين وبين المؤمنين، وقد يكون بين المؤمنين والكافرين أيضاً، إذا كان المنظور والمراد من الرحم، الرحم العشائرية النسبية الأسرية - فقال لهم: أيحَثُّهم على أن يصلوا أرحام الكافرين وأن يُعَظِّمُوا من حَقَّرَهُ اللهُ وأوجب احتقاره من الكافرين؟ قالوا: لا ولكنه يحثهم على صلة أرحامهم المؤمنين، قال: فقال

أوجب حقوق أرحامه لاتصالهم بآبائهم وأمهاتهم؟ - الإمام هنا يسألهم يقول - أوجب حقوق أرحامه لاتصالهم بآبائهم وأمهاتهم؟ قلت: بلى يا أبا رسول الله، قال: فأبائهم وأمهاتهم إنما غدوهم في الدنيا ووقوهم مكارهاها وهي نعمة زائلة ومكروه ينقضي، ورسول ربهم ساقهم إلى نعمة دائمة لا تنقضي ووقاهم مكروهاً مؤبداً لا يبديد، فأبي النعمتين أعظم؟ قلت: نعمة رسول الله صلى الله عليه وآله أجل وأعظم وأكبر.

قال: فكيف يجوز أن يحث على قضاء حق من صغر الله حقه ولا يحث على قضاء حق من كبر الله حقه؟ قلت: لا يجوز ذلك، قال: فإذا حق رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم من حق الوالدين وحق رحمه أيضاً أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالصلة وأعظم في القطيعة، فالويل كل الويل لمن قطعها، والويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وأن الله أعظم حقاً من كل منعم سواه فإن كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيضه له ذلك ربه ووقفه، أما علمت ما قال الله لموسى بن عمران؟ قلت: بأبي أنت وأمي ما الذي قال له؟

قال عليه السلام: قال الله تعالى يا موسى أوتدري ما بلغت رحمتي إياك؟ فقال موسى: أنت أرحم بي من أمي، قال الله: يا موسى وإنما رحمتك أمك لفضل رحمتي أنا الذي رفقته عليك وطيب قلبها لتترك طيب وسنها لتربيتك ولو لم أفعل ذلك بها لكانت وسائر النساء سواء، يا موسى أتدري أن عبداً من عبادي تكون له ذنوب وخطايا تبلغ أعنان السماء فأغفرها له ولا أبالي، قلت: يا ربي وكيف لا تبالي؟ قال تعالى لخصلة شريفة تكون في عبدي أحبها يحب إخوانه المؤمنين ويتعاهدهم ويساوي نفسه بهم ولا يتكبر عليهم فإذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه ولا أبالي، يا موسى إن الفخر ردائي والكبرياء إزارى من نازعني في شيءٍ منهما عذبت بناري، يا موسى إن من إعظام جلالى إكرام عبدي الذي أنلته حظاً من حطام الدنيا عبداً من عبادي مؤمناً قصرت يده في الدنيا فإن تكبر عليه فقد استخف بعظيم جلالى.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الرحم التي أشتقها الله عز وجل بقوله أنا الرحمن هي رحم مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإن من إعظام الله إعظام مُحَمَّدٍ وإن من إعظام مُحَمَّدٍ إعظام رحم مُحَمَّدٍ وإن كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم مُحَمَّدٍ وإن إعظامهم من إعظام مُحَمَّدٍ فالويل لمن استخف بحرمة مُحَمَّدٍ وطوبى لمن عظم حرمته وأكرم رحمه ووصلها - الرواية واضحة صريحة تتحدث عن أن حقيقة التواصل مع الله سبحانه وتعالى في التواصل رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وأن الرحمن الذي على

العرش استوى، الحديث هكذا قال أنا الرحمن وقد اشتقت لها اسماً من اسمي، اشتق للرحم، الرحم هي الرابطة الصلة فيما بيننا وبين الله، قال أنا الرحمن واشتقت لها اسماً من اسمي لهذه الرابطة لهذه الصلة، الرحم الرحمن اشتق لها اسماً من اسمه، ثم قال من وصلها وصلته، من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعته، ومن قطعها قطعه الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ الرحمانية هي الرحمة التي تجلت وظهرت في كل جهة من جهات هذا الوجود وبها وجدنا، والرحم هي نوع العلاقة، نوع الرابطة فيما بيننا وبين الله، وهذا الرحم هو رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، هذا الرحم هو العنوان المُحَمَّدِي، العنوان العلوي، هذه الرواية التي قرأتها على مسامعكم رواية جاءت بنحو التقريب لتقريب المعاني، بنحو التفهيم وكأنها وسيلة إيضاح لتقريب المعنى، لأنها تشير إلى ذلك البعد إلى أن الرحم هو عنوان الصلة فيما بين المخلوقات وفيما بين الله، والرحم في معناه في صورته الحقيقية ولاية عليّ، الولاية العلوية بكل معانيها الولاية المُحَمَّدِيَّة الولاية العلوية، لكنني أركز على ذكر الولاية العلوية:

أولاً: لأن الولاية العلوية هي جهة الارتباط فيما بين الكائنات وبين الحقيقة المُحَمَّدِيَّة، أنا مدينة العلم وعليّ باهما، أنا مدينة الحكمة وعليّ باهما وهذا مجليّ من مجالي المعنى الحقيقي في الأفق الأول من هذا الوجود، مدينة الحكمة ومدينة العلم الحقيقية هي الحقيقة المُحَمَّدِيَّة التي خلقت قبل خلق الخلق، تلك هي مدينة العلم الحقيقية ومدينة الحكمة الحقيقية، فالولاية العلوية هي المجليّ هي الباب، هذا أولاً. وثانياً: إن كلمات أهل البيت تؤكد على هذه الحقيقة تركز على ارتباطنا في الظاهر وفي الباطن بالولاية العلوية، وأن المنحى وأن الهداية وأن الفوز وأن الفلاح وأن خير العمل وأن خير الدين وأن خير العقيدة في ولاية عليّ وآل عليّ، من هنا جاء التركيز في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على هذه القضية أو على هذا العنوان.

السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى، وَذَوَى النُّهَى، وَأَوْلَى الْحَجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ - كهف هو الغار الكبير في الجبل، في الجبال توجد هناك مداخل، توجد هناك فجوات، توجد هناك مساحات محفورة داخل الجبل، إذا كان هذا المكان صغير يسمى بالغار وإذا كان المكان كبير ومتسع يسمى بالكهف، والكهف يُلجأ إليه عادةً إما أن يكون الإنسان خائفاً من عدو أن من حيوانٍ مفترس أو يلجأ إلى الكهف حينما تشتد الرياح والعواصف والكوارث الطبيعية يلجأ الناس إلى الكهف - **وَكَهْفِ الْوَرَى** - الكهف إذاً هو المكان الكبير المفتوح في الجبل، ويكون ملجأً يجتمى فيه الناس، يلوذ إليه الناس، لسعته من جهة، وللأمان، هذا جبل من يستطيع أن يهدم الجبل، وعادةً الكهف يكون في مكانٍ عالٍ لا يكون بمستوى الأرض، فهو في منأى عن أن تصل إليه أيادي الأعداء، في منأى

عن أن تصل إليه الأضرار، في منأى عن أن تصل إليه أسباب الهلاك، فهو مكانٌ واسعٌ محفوظٌ في الجبل على ارتفاعٍ عالٍ من الأرض وهو ملجأٌ ومأمنٌ يلجأ إليه الخائف ويستقر فيه قراره، أما كلمة الورى، كلمة الورى في لغة العرب تأتي بمعنى الناس طراً كل الناس على اختلاف ألوانهم وأصنافهم وألسنتهم وشعوبهم وقبائلهم، وتأتي أيضاً في لغة العرب بمعنى كل الخلق، الورى إما هم كل الناس وإما هم كل الخلق، الإنسان، الجان، الجماد، النبات، الحيوان، كل ما خلق الله - **وَكَهْفِ الْوَرَى** - والمعنيان مقصودان في هذه العبارة، فال مُحَمَّد هم كهف الورى، إذا كان الورى بمعنى الناس فهم كهف للناس، وإذا كان الورى بمعنى الخلق طراً فهم أيضاً كهفٌ للخلق طراً، والنصوص والروايات والكلمات في هذا المعنى تتجلى جليةً واضحةً بيّنة.

هذا هو الجزء الثاني بعد المئة من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه، وهذه العبارة في زيارة الندبة لا في دعاء الندبة، زيارة الندبة التي يُزار بها إمام زماننا صلوات الله عليه - **فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم ولا مذهب عنكم** - إلى أين نذهب - **فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم** - حين تضطرم المضطرمات، وحين تزدهم المزدحمات، وحين تهجم علينا النوائب، وحين تترادف علينا الكوارث وتتعاقب علينا المصيبات، وحين يقف بنا الجهل في وسط الطريق فنبقى حيارى بل سكارى وما نحن بسكارى، وحين تحوطنا الأخطار، وحين تحفنا المدلهمات من عصائب الأمور، ومن شتات الحيرة، ومن ذهول الدهشة في تقلبات الأيام وفي دول السنين ونحن نتنقل ما بين شكٍ وخيالٍ وجهلٍ ووهم، إلى أين المنجى وقد أعيتنا المذاهب وضائق بنا السبل وبدأت هذه الدنيا تضيق علينا شيئاً فشيئاً بما رَحُبت، إلى أين نعطي وجوهنا؟ نعطي وجوهنا إلى كهف الورى، أليس هكذا نخطبهم - **وَذَوَى النَّهَى، وَأُولَى الْحَجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى** - فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم ولا مذهب عنكم، نحن مهما ابتعدنا نؤوب إليكم، مهما شرّقنا ومهما غرّبنا، إمامنا الباقر عليه السلام وهم يحدثوه عن الحسن البصري قال كذا قال كذا، قال فليشرّق الحسن البصري وليغرّب، الحسن البصري هنا مثال، فليشرّق الحسن البصري وليغرّب، وليشرّق من يريد أن يشرّق وليغرّب من يريد أن يغرّب فإن العلم لا يؤتى إلا من هنا وأشار إلى صدره الشريف، فإن العلم لا يؤتى إلا من هذا البيت وأشار إلى بيته المقدس إلى بيت عليّ وآل عليّ، فإن العلم لا يؤتى إلا من هذا البيت إلا من بيت عليّ.

في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة تأتينا إن شاء الله هذه الفقرات، نحن هكذا نخطبهم - **مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا - مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا** - النجاة عنكم أنتم كهف الورى - **مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ** - حينما تشتد العواصف وتشتد الريح العقيم إلى أين يلجأ الناس؟ إلى أين يلجأ المسافرون؟ نحن الآن في طريق سفر والدينا سفر، ما الدنيا إلا سفر، نحن نوهم أنفسنا بأننا ماكنون في هذه الدنيا، نحن على سفر، المنادي ينادي فينا تجهزوا للرحيل،

هذا النداء تخاطبنا به الدنيا كل صباح وكل مساء تجهزوا للرحيل

وفدثُ إلى الكريم بغير زادٍ

.....

حين أقبل عليّ من المدينة إلى المدائن، حين توفي سلمان الفارسي، سلمان المُحمّدي في المدائن فإن عليّاً أقبل في الساعة إلى المدائن وجهراً سلمان، كَفَنَهُ، جاءه بكفن، كُفِّنَ بكفن خاص سلمان، وكتب سيد الأوصياء على كفن سلمان ماذا كتب؟ كتب هذين البيتين:

من الحسنات والقلب السليم

وفدثُ إلى الكريم بغير زادٍ

إذا كان الوفود على الكريم

وحمل الزاد أقبح كل شيءٍ

نحن هنا نَقْدُ إلى كهف الوري، مسافرون، مسافرون، مسافرون والقافلة تسير، فاشتدت الريح العقيم، وقصفت بنا القواصف وعصفت بنا العواصف إلى أين الملاذ، فإن الأرض تنزل من حولنا، إلى أين الملاذ؟ الملاذ إلى ذلك الكهف الواسع إلى كهف الوري، هناك نخط الرحال، وهناك نلقي عصانا، أَلقت عصاها واستقرت بها النوى، هناك نلقي عصانا

كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

أَلقت عصاها واستقرَّ بها النوى

هناك نقر عيناً عند كهف الوري، وهذه المعاني تبينها لنا الزيارة الجامعة الكبيرة - مَنْ أَنَاكُمْ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكٌ، إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَإِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَيَقُولُ تَحْكُمُونَ، سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ - الذي يدخل إلى الكهف ماذا ينال؟ النتيجة ما هي؟ نحن جئنا فراراً من عواصف وقواصف وزلازل ورجوع - سَعَدَ مَنْ وَالَاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ، وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ، وَفَارَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ - الأمان هنا في هذا الكهف - وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ، مَنْ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ، وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ، أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى - لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَحَسَنِ وَحُسَيْنٍ - وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ - حُجَّةٍ، لِإِمَامٍ، لِإِمَامٍ زَمَانِنَا، لِلْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ - أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى، وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ - صلوات الله وسلامه عليكم ما أشرقت شمسُ وما بزغ قمر، صلوات الله وسلامه عليكم ما علا في صدري شهيقٌ أو زفير، صلوات الله عليكم تترا وتزيد آل مُحَمَّد - وَذَوِي النَّهْيِ، وَأُولَى الْحُجِيِّ، وَكَهْفِ الْوَرِيِّ، وَوَرِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ - العبارات يتصل بعضها ببعض الآخر - وَكَهْفِ الْوَرِيِّ، وَوَرِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ - أمرٌ مروراً بحسب ما يسنح به الوقت على مجموعة من كلمات وأحاديث أهل البيت.

وهذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار، الرواية: عن محمد بن زياد عن ابن محرز عن

الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى عَلَّمَ آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح - تجلت لهم الحقائق - إن الله تبارك وتعالى عَلَّمَ آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنكم أحق بالخلافة في الأرض لتسيحكم وتقديسكم من آدم، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال الله تبارك وتعالى: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته ثم غيَّبهم عن أبصارهم - غيَّب الحقائق الأولى عن أبصار الملائكة، فأبصار الملائكة لا يمكن أن تحيط بهم، هذا كان تجلي من تجلياتهم - ثم غيَّبهم عن أبصارهم وأستعبدهم - استعبد الملائكة - بولايتهم ومحبتهم وقال لهم: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون - تجلت لهم الحقائق ثم غيَّب عنهم، فالملائكة لا يستطيعون أن يحيطوا بتلك الحقائق - ثم غيَّبهم عن أبصارهم وأستعبدهم بولايتهم ومحبتهم - هذه الرواية وغيرها من الروايات ومن الأحاديث تحدثنا عن أي مضمون؟

عن مضمون كهف الوري، أنهم الكهف، المكان، الجهة التي يلجأ إليها كل الوري كل الخلق، الرواية هنا تحدثت عن الملائكة وهم أكثر خلق الله، الروايات تقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، فكل هؤلاء الملائكة لجأوا إليهم لذلك استعبدهم الله بولايتهم ومحبتهم، حين استعبدوا بالولاية والمحبة المستعبدون إلى أين يتجهون؟ يتجهون إلى الجهة التي استعبدتهم واستعبدوا لأجلها واستعبدوا فيها، فهم يلجئون إلى ذلك الكهف الواسع إلى كهف الوري.

الرواية: عن ابي الصباح الكناني عن جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام قال: أتى رجلٌ أمير المؤمنين وهو في مسجد الكوفة قد احتبى بسيفه - احتبى يعني جلس جلسة الاحتباء، كيف احتبى بسيفه؟ يعني أقام رجليه، أقام ركبتيه وأحاطهما بسيفه، هذه التي يقال لها جلسة الاحتباء - أتى رجلٌ أمير المؤمنين وهو في مسجد الكوفة قد احتبى بسيفه قال: يا أمير المؤمنين إن في القرآن آيةً قد أفسدت قلبي وشككتني في ديني، قال له عليه السلام: وما هي؟ قال: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ - وأسأل الخطاب لمن؟ للنبي هذه الآية هي الخامسة والأربعون في سورة الزخرف، الآيات التي

قبلها ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

فتأتي الآية الخامسة والأربعون ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ هذا السائل ما هو سؤاله؟ - هل كان في ذلك الزمان - يعني في زمان النبي - هل كان في ذلك الزمان غيره نبياً يسأله؟ - كيف القرآن

يخاطبه، يخاطب النبي ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ الآية تقول له أسأل، لا بد أن يكون الأنبياء موجودين حتى يسألهم، فذلك هذا السائل يقول: هذه الآية حيرتني - ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ هل كان في ذلك الزمان غيره نبياً يسأله؟ فقال له صلوات الله وسلامه عليه: أجلس - الإمام هنا يبين وجهاً من الوجوه وإلا الآية فيها أفق عديدة.

من جملة أفق هذه الآية الرؤية الإحاطية التي تحدثنا عنها سابقاً ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ الرؤية الإحاطية، الشهادة المطلقة، أليس هو الشاهد على كل الناس، الشاهد على كل الوجود، شاهد يرى في نفس اللحظة، نحن والرواية - فقال له عليّ صلوات الله عليه: أجلس أخبرك إن شاء الله، إن الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فكان من آيات الله عزّ وجلّ التي أراها مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ أَتَاهُ جَبْرَائِيلُ فَاحْتَمَلَهُ مِنْ مَكَّةَ فَوَافَى بِهِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَتَاهُ بِالْبَرَقِ فَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَتَوَضَّأَ جَبْرَائِيلُ وَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ كَوْضُوءَهُ وَأَذَنَ جَبْرَائِيلُ وَأَقَامَ مِثْنَى مِثْنَى - أقام مثنى مثنى يعني قال حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة لا كإقامة المخالفين واحدة واحدة - وأقام مثنى مثنى وقال للنبي صلى الله عليه وآله تقدم فصلي واجهر بصلاتك فإن خلفك أفقاً من الملائكة - أفقاً يعني أمماً من الملائكة - إن خلفك أفقاً من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله وفي الصف الأول أبوك آدم ونوح وهود وإبراهيم وموسى وكل نبي أرسله الله مُذْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى أَنْ بَعَثَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَصَلَّى بِهِمْ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُحْتَشِمٍ رَكَعَتَيْنِ فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ اسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ بِمَا تَشْهَدُونَ؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله وأن علياً أمير المؤمنين ووصيك وكل نبي مات وخلف وصياً من عصبته غير هذا وأشار إلى عيسى بن مريم فإنه لا عصبه له وكان وصيه شمعون الصفا، ونشهد أنك رسول الله سيد النبيين وأن علي بن أبي طالب سيد الوصيين أخذت على ذلك موثيقنا لكما بالشهادة، فقال الرجل: أحبيت قلبي وفرجت عني يا أمير المؤمنين.

كل هذه الروايات تتحدث عن هذه الحقيقة عن حقيقة أنهم المرجع وأنهم الكهف الذي تؤول إليه الخلائق يؤول إليه الأنبياء، فقط أقرأ هذا المقطع لتأكيد المعنى الذي جاء فيه - فقال: بما تشهدون؟ قالوا: نشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنتك رسول الله وأن علياً أمير المؤمنين ووصيك وكل نبي مات خَلَفَ وصياً - يشهدون بهذه الحقيقة - وكل نبي مات خَلَفَ وصياً من عصبته - يعني من أسرته من آله - غير هذا - غير هذا النبي، من هو؟ - وأشاروا إلى عيسى بن مريم فإنه لا عصبه له وكان وصيه شمعون الصفا - إلى آخر الرواية التي قرأتها على أسماعكم.

هناك حديث منقول عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه وهو يحدث عن آبائه عن رسول الله - قال: قال صلى الله عليه وآله: يا عباد الله إن آدم لَمَّا رأى النور ساطعاً من صُلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح - وإنما القلوب أوعية، وكل قلب يأخذ بمقدار وعائته - فقال: يا ربي ما هذه الأنوار؟ قال الله عزَّ وجلَّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم: يا ربي لو بينتها لي، فقال الله تعالى: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية فرأى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟

فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبرياتي هذا مُحَمَّدٌ وأنا الحميد المحمود في أفعالي شققت له أسماً من أسمي وهذا عليٌّ وأنا العلي العظيم شققت له أسماً من أسمي - شققت يعني تجليت فيه، هذه عبائر تقريبية - وهذا عليٌّ وأنا العلي العظيم شققت له أسماً من أسمي وهذه فاطمة وأنا فاطم السماوات والأرضين فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمًا يعتر بهم ويشينهم فشققت لها أسماً من أسمي وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما أسماً من أسمي هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أئيب - هم الميزان وذوي النهي وأولي الحجى وكهف الورى، هؤلاء هم - هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أئيب فتوسل إليَّ بهم يا آدم وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليَّ شفعاك فإني آليت على نفسي قسماً حقاً لا أُخَيَّبُ بهم آملاً ولا أرد بهم سائلاً، فلذلك حين زلت منه الخطيئة - من آدم - دعا الله عزَّ وجلَّ بهم فتاب عليه وغفر له - والمعاني في هذه القضية مبسوسة في روايات وأحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

حديث آخر، حديث جميل وهذا الحديث منقول في كتب العامة قبل أن يُنقل في كتب الخاصة، ومنقول بأسانيد من أسانيد المخالفين قبل أن يكون هذا الحديث موجوداً في كتبنا، الرواية: عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لَمَّا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يهلك قوم نوح أوحى إليَّ أن شُقَّ ألواح

الساج - يعني خشب الساج - فلمَّا شقها لم يدري ما يصنع بها فهبط جبرئيل فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت - تابوت يعني صندوق - فيه مئة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار فسَمَّرَ بالمسامير كلها السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير - هذه المسامير الخمسة لها خصوصية - فضرب بيده إلى مسمارٍ منها فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء فتحير من ذلك نوح فأنطق الله ذلك المسمار بلسانٍ طَلِقٍ ذَلِقٍ، فقال له: يا جبرئيل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟ قال: هذا باسم خير الأولين والآخريين مُحَمَّد بن عبد الله أَسْمَرُهُ في أولها على جانب السفينة اليمين - هذه المسامير هي التي كانت سبب نجاة السفينة، مسامير هذه مكتوبة مرموزة بأسمائهم صلوات الله عليهم - أَسْمَرُهُ في أولها على جانب السفينة اليمين، ثم ضرب بيده على مسمارٍ ثانٍ فأشرق وأنار فقال نوح وما هذا المسمار؟

فقال مسمار أخيه وابن عمه علي بن أبي طالب فأَسْمَرُهُ على جانب السفينة اليسار في أولها، ثم ضرب بيده إلى مسمارٍ ثالث فأزهر وأشرق وأنار فقال: هذا مسمار فاطمة فأَسْمَرُهُ إلى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيده إلى مسمارٍ رابع فزهر وأنار فقال هذا مسمار الحسن فأَسْمَرُهُ إلى جانب مسمار أبيه، ثم ضرب بيده إلى مسمارٍ خامس فأشرق وأنار وبكى فقال: يا جبرئيل ما هذه الندادة - في مصادر أخرى هذه الندادة كما قالت الروايات كانت في لونٍ كلون الدم، لَمَّا أخذ المسمار الخامس وطرقه خرجت منه ندادة، خرج منه سائل أحمر - فقال يا جبرئيل ما هذه الندادة - في هذه الرواية ما ذُكِرَ هذا الكلام لكن في روايات أخرى ذُكِرَ - فقال: هذا مسمار الحسين بن علي سيد الشهداء فأَسْمَرُهُ إلى جانب مسمار أخيه - انتبهوا إلى حالة نوح عليه السلام - ثم ضرب بيده إلى مسمارٍ خامس فأشرق وأنار وبكى - فانكسر قلبه كما في روايات أخرى، فانكسر قلبه وخرجت من المسمار ندادة كأنها الدم - ثم ضرب بيده إلى مسمارٍ خامس فأشرق وأنار وبكى فقال يا جبرئيل ما هذه الندادة؟ فقال: هذا مسمار الحسين بن علي سيد الشهداء فأَسْمَرُهُ إلى جانب مسمار أخيه، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَلْوَابِ وَدُسِّرِ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله: الألواح خشب السفينة ونحن الدُسُر - الدُسُر يعني المسامير، هذه المسامير الخمسة - ونحن الدُسُر ولولانا ما سارت السفينة بأهلها - هذا قول المصطفى الأعظم، هم سفينة نوح، هم كهف الوري، هم ملاذ الأنبياء وملاذ الخلق، هذه العبارات تكاد أن تتوحد في مضامينها تكاد أن تتفق - وَدَوِي النَّهْيِ، وَأُولَى الْحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرْتَةِ الْأَنْبِيَاءِ - وَوَرْتَةِ الْأَنْبِيَاءِ: تعطي معنى الوراثة ولكن بأي معنى؟ هناك أكثر من معنى في هذا المصطلح أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم ورثة الأنبياء، هم ورثة الأنبياء بالمعنى النَّسَبِيِّ فهم ورثة مُحَمَّد

صلى الله عليه وآله، هم ورثته بالمعنى النسبي والحسي، وهم ورثة الأنبياء في أجدادهم، هم ورثة إبراهيم، هم ورثة إسماعيل، هم ورثة عبد المطلب، هم ورثة أبي طالب، وكل الأنبياء في سلالة أجدادهم صلوات الله عليهم، هم ورثة الأنبياء، هم ورثة مُحَمَّدٍ وكفى، هم وَرَثَةٌ لِمُحَمَّدٍ من الجهة النَّسَبِيَّةِ والحسبية، وهم وَرَثَةٌ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالميراث الإلهي بميراث النبوت، وهم ورثة الأنبياء، وهناك من الأنبياء منهم في أجدادهم وتلك وراثه نسبية، وهم ورثة الأنبياء بالميراث النوري بالميراث الإلهي.

حين نقرأ في زيارة وارث وهذا المعنى يتكرر في زيارات سيد الأوصياء في زيارات سيد الشهداء في زيارات الأئمة: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَرَثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَرَثَ نُوحٍ نَبِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَرَثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَرَثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَرَثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَرَثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَرَثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيِّ اللَّهِ، هذه الوراثة وراثه الأنبياء، هناك أفق من هذه الوراثة وهي الوراثة النسبية، وهناك أفق آخر من هذه الوراثة وهي الوراثة النبوية الوراثة الإلهية، ما عند الأنبياء من نبوت من علوم من حكمة من كتاب فهو في موارث النبوة ودلائل الإمامة، هناك وراثه نسبية كوراثتهم لإبراهيم، هناك وراثه نبوية كوراثتهم لموارث النبوة ودلائل الإمامة وانتقال المعجزات والولايات والكتب وكل ما كان عند الأنبياء فإنه ينتقل إليهم، وفي الحقيقة هم أصحابه الحقيقيون، وهم أصحاب الوراثة الكاملة.

حينما نذهب إلى الكتاب الكريم ونقرأ مثلاً في سورة الحجر في الآية الثالثة والعشرين، هذه قبل الثالثة والعشرين ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْتَقْيْنَا كُومَهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَارِزِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ هذه وراثه مطلقة ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وهم مجالي أسماء الله سبحانه وتعالى، هم مجالي الأسماء الإلهية، مجالي الصفات الإلهية ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ أصلاً الوارث هنا صيغة فاعل، صحيح في أصل اللغة هو أنه هو الذي ينتقل إليه الميراث، ولكن يمكن بعناية أن يكون هو الذي يعطي الميراث، صحيح أن الميت في اللغة هو المورث والوارث هو الذي ينتقل إليه الميراث، فهم ورثة الأنبياء ينتقل إليهم الميراث باللحاظ النسبي وباللحاظ الثاني وهو انتقال النبوت موارث النبوة ودلائل الإمامة إليهم، وكل ما كان عند الأنبياء فهو عندهم، من الكتب والحقائق والعلائم والدلائل، ولكن لهم وراثه بمعنى أعم حين يكون الوارث بمعنى المالك ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الوارثون هنا المالكون، والوارثون هنا صفة لله سبحانه وتعالى، لكن هذه الصفة أين تتجلى؟ تتجلى في وجهه الذي لا يهلك، أما مرّ علينا قبل قليل ونحن نقرأ في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم هم

الوجه الذي لا يهلك، مرّ علينا قبل قليل في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الله سبحانه وتعالى يخاطبهم - فكل شيء هالك إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون - أليس هو هذا المعنى ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الوجه الذي لا يهلك، الوجه الذي لا يبید هو الوجه الوارث، ولذا جاءت هنا بصيغة الجمع المذكر السالم ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ هم مجالي ومظاهر الصفات الإلهية، طبعاً هنا قد يأتي من يستكثر هذا المعنى، لكن هذا المعنى لا يُستكثر على الملائكة الذين هم في الروايات خدامهم وخدام شيعتهم هكذا ورد في الروايات، الملائكة الذين استعبدهم الله كما مرّ علينا في الروايات، الملائكة هم الذين يقومون بدور الإمامة وكذلك بدور الإحياء، لو أن ميتاً أرادوا إحيائه الملائكة يقومون بإحيائه، هذا الدور حين يُنسب إلى الملائكة لا يُستكثر عليهم لكن إذا نُسب إلى أهل البيت يُستكثر عليهم، أهل البيت مجالي الصفات الإلهية - فكل شيء هالك إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون - الوارث هو المالك، قطعاً نحن نتحدث هنا في الأفق الأعمق لأهل البيت، في الأفق الذي تحدثت عنه الروايات فقالت أول ما خلق الله خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة، نحن نتحدث في هذا الأفق لا نتحدث في الأفق البشري الأرضي ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ أهل البيت مظاهر ومجالي لذلك الأفق، هم ورثة الأنبياء من الجهة النسبية والحسبية، من الجهة النبوية وأيضاً هم مجلى من مجالي هذه الوراثة ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾.

إذا نذهب إلى سورة القصص والآية الخامسة ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ هذا مصداق آخر من مصاديق الوراثة ولكن هذه الوراثة التي تشتمل على كل مراتب الوراثة التي أشرت إليها، الوراثة النسبية والحسبية لبعض من الأنبياء، الوراثة النبوية لكل الأنبياء، والوراثة التي هي بمعنى المالكية التي أشارت إليها هذه الآية الثالثة والعشرون في سورة الحجر ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ هذا مجلى من مجالها الواضحة ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وفي نفس سورة القصص الآية الثامنة والخمسون ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قُرْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلِكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ هذه مظاهر لنفس المعنى الذي مرّ في الآية الثالثة والعشرين من سورة الحجر.

وكذلك في سورة المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى أن تقول الآيات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ هنا نكتة مفيدة ومهمة جداً حسب ما جاء في روايات أهل البيت ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ في صلاتهم يعني في ولايتهم لعلي، لأننا إذا نستمر ستأتينا بعد ذلك الآية التاسعة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ هذه الصلوات هي الصلوات المفروضة، أما في أول السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ كما قال سيد الأوصياء: أنا صلاة المؤمنين وصيامهم.

نحن حين نقرأ في زيارة الندبة التي نزور بها إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ماذا نخاطبه؟ السلام عليكم أنتم نورنا - هذا الخطاب في زيارة الندبة، هذا هو الجزء الثاني بعد المئة من البحار - السلام عليكم أنتم نورنا وأنتم جاهنا وأوقات صلواتنا، وعصمتنا بكم لدعائنا وصلاتنا وصيامنا واستغفارنا وسائر أعمالنا - وأنتم جاهنا وأوقات صلواتنا: هم صلواتنا وهم أوقات صلواتنا وهم كذلك عصمتنا لدعائنا وصلاتنا وصيامنا هذه مظاهر، مرة يكون التجلي أنهم أوقات صلواتنا، ومرة يكون التجلي أنهم عصمة لصلواتنا - وعصمتنا بكم لدعائنا وصلاتنا وصيامنا - ومرة يكونون هم هم بأنفسهم يكونون صلاة لنا، والصلاة في عمقها هي ولاية علي صلوات الله وسلامه عليه، المعاني متعاقبة ومتسقة ومستوسقة ما بين الآيات ما بين الروايات ما بين الزيارات ما بين الكتاب والعترة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ونستمر في الآيات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الآية العاشرة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ قطعاً أهل البيت هم أصحاب الوراثة الحقيقية وإنما المؤمنون هنا أشياع أهل البيت هم ورثت بالفرع ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الوراثة كما قرأنا قبل قليل قرأنا في الروايات في الأحاديث من أن الذي يدخل أهل الجنان في جناتهم من هو؟ الذي يدخل أهل الجنان في جناتهم هو علي صلوات الله وسلامه عليه، وهو والله يدخل أهل النار النار، وهو الذي يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها، ويغلق على أهل النار إذا دخلوا فيها أبوابها، لأن أبواب الجنة إليه وأبواب النار إليه، فماذا تقول الرواية أيضاً - بعث الله تبارك وتعالى علياً فأنزلهم - يعني أنزل أهل الجنان في جناتهم وأنزل أهل النيران في نيرانهم - فأنزلهم منازلهم في الجنة وزوجهم فعلياً والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة - يعني أهل الجنة لا يتزوجون إلا بولاية من علي، هي هذه الولاية المطلقة، هو يدخل أهل الجنان

في جناهم، وروايات أخرى ثم يغلق الأبواب عليهم ويقول ينادي خلودُ خلود، يعني أن الأمر بالخلود يصدر أيضاً من هذه الجهة، ويدخل أهل النيران في نيرانهم وحين يُغلق الأبواب عليهم ينادي خلودُ خلود يا أهل النيران، الوراثة الحقيقية هنا، هذه وراثة متفرعة عن تلكم الوراثة الحقيقية، ولذلك عندنا في الروايات وحتى في الأدعية إن الله سبحانه وتعالى خلق الجنة لمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وخلق النار لأعداءِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، الروايات هكذا موجودة في كتبنا الحديثية في الأصول الأربعة، إن الله خلق الجنة لمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وأشياهم شيعتهم، وخلق النار لأعداءِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، روايات واضحة وصرحة عن النبي وآل النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

وهو نفس المضمون الذي جاء في سورة الشعراء في دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ والروايات تحدثنا في معنى هذه الآية وإن من شيعته من شيعة عليٍّ لإبراهيم، هنا في دعائه ماذا يقول؟ - **وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** - في سورة الشعراء ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ الآية الخامسة والثمانون ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ هذه الوراثة هي وراثة متفرعة عن وراثة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لأنه ما من نبي في يوم القيامة إلا وهو محتاجٌ لشفاعته مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فهم يرتون الجنان بشفاعته مُحَمَّدٍ، يرتون الجنان بوراثة بمالكية من مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، بقيت بقية للحديث إن شاء الله تعالى أتمها في الحلقة القادمة، وقت البرنامج انتهى ومرَّ شطرٌ من الوقت زيادة على وقت البرنامج، أكمل الحديث في معنى ورثة الأنبياء إن شاء الله في الحلقة القادمة وفي الحلقة القادمة سيتم الحديث في المقطع الثاني من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة إذ بقيت عندنا بقية: **وَوَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحَسَنَى، وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.**

أحاول إن شاء الله تعالى في الحلقة القادمة أن ألمم أطراف الحديث فيما بقي من المقطع الثاني علَّنا نستطيع أن نأخذ أكثر مقدار من عبارات ومن معاني الزيارة الجامعة الكبيرة في أيام هذا الشهر المبارك، بهذا القدر أكتفي أسألكم الدعاء جميعاً وملتقى إن شاء الله على مودة مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ في أمان الله.

الحلقة الثامنة عشر

معنى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة
والأولى ورحمة الله وبركاته

السلام عليكم جميعاً أحباب علي وآل علي ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الثامنة بعد العاشرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، بقيت عندنا بقية من الحديث الذي تقدم في الحلقة الماضية، نحن لا زلنا في أجواء المقطع الثاني من المقاطع الخمسة الأول التي تفتتح بها الزيارة الجامعة الكبيرة والتي قلت بأنها تمثل القواعد والأصول التي تتفرع منها سائر المطالب وسائر المعاني التي جاءت مذكورة في بقية هذه الزيارة.

المقطع الثاني: السَّلامُ على أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأعلام التقي، وذوى النهى، وأولى الحجى، وكهف القورى، تقريباً إلى هنا تقدّم الكلام في الحلقات الماضية، ثم تقول الزيارة: وورثة الأنبياء - وقد تحدثت بعض شيء عن هذا العنوان وبقيت بقية أحاول أن أشير إليها في هذه الحلقة وأستمر مع بقية المقطع - وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته - وورثة الأنبياء تقدم الكلام في أن هذه الوراثة في أفق من أفاقها هي وراثة نسبية، هي وراثة اللّحمة، وراثة الرحم، فهم آل محمد صلوات الله عليهم هم اسمهم آل محمد هم وورثة محمد هم يرثون محمداً وورثة نسبية لحمية رحمة، وهو سيد الأنبياء وأشرف الأنبياء بل هو سيد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم، وهم أيضاً فيما بينهم وبين الأنبياء الذين كانوا في سلسلة أجدادهم ففي ما بينهم وبين أجدادهم وراثة رحمة نسبية وهذا هو أفق من أفاق وراثتهم للأنبياء، الوراثة النسبية، الوراثة الرحمية، جدهم سيد الأنبياء أشرف الأنبياء وجدهم هو جَمعُ الأنبياء، جدهم هو الكتاب الجامع لكل النبوات، وكتابه هو الكتاب المهيمن على كل كتب النبوات، ورسالته هي الرسالة المهيمنة على كل الرسالات، فجدهم هو جَمع النبوات ومجمع الأنبياء والرسول وهو سيدهم، وراثتهم لمحمد الوراثة النسبية هي وراثة لأشرف النبوات لأشرف الرسالات، ومع ذلك ففي أجدادهم من الأنبياء الطاهرين وهم يمثلون قسماً قطعاً من كل أنبياء الأرض، أجدادهم أنبياء يمثلون قسماً هم وراثتهم وراثة نسبية، هذا المعنى الأول من الوراثة، المعنى الثاني وهو الوراثة الإلهية والذي تمت الإشارة إليه على سبيل المثال في زيارة وارث الحسينية حين نزور سيد الشهداء

بزيارة وارث، وفي غير زيارة وارث، وكذلك في زيارات أمير المؤمنين وفي زيارات سائر الأئمة، هناك تصريح، هناك كلام عن وراثتهم للأنبياء والمرسلين، هذه الوراثة المذكورة هنا هي وراثة إلهية، هذه وراثة النبوت، وهناك معنى آخر للوراثة وهي المالكية، هم الوارثون هم المالكون، هم الوارثون للنبوت يعني الذين لهم الولاية ولهم الحاكمية على سائر الديانات المتقدمة على سائر النبوت المتقدمة، فهم حاكميتهم وولايتهم متفرعة من حاكمية مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ومن ولاية مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإلى هذا يشير المعنى أن عيسى عليه السلام وهو نبيٌّ ورسولٌ ومن أولي العزم يكون تابعاً ومُشايحاً لإمام زماننا، والنصوص واضحة في أنه يُصلي خلفه وما الصلاة خلف إمام زماننا إلا رمز، القضية ليست كل القضية في مسألة الصلاة، ما الصلاة هنا خلف إمامنا إلا رمز، إنها رمز الإتيان رمز التشيع لإمام زماننا ورمز الطاعة والتسليم له، فهم لهم الحاكمية، إمامنا صلوات الله وسلامه عليه يرث الأنبياء بالوراثة النسبية ويرث الأنبياء الوراثة الإلهية ووراثة النبوت، وهناك وراثة ثالثة وهي المالكية وهي الولاية له الولاية على سائر الديانات، له الولاية على سائر الرسالات، له الولاية على الأنبياء والمرسلين، وما بُعث نبيٌّ من الأنبياء، ما بُعث نبيٌّ من الأنبياء، ما أرسل رسولٌ من الرسل إلا بولاية مُحَمَّدٍ وعليٍّ والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين وتلك هي معاني التابعة وتلك هي معاني التشيع.

في الآية الثالثة والعشرين من سورة الحجر: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ نحن الوارثون نحن المالكون نحن أصحاب الولاية ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ في آيات الكتاب الكريم هناك تأتي النسبة في الأفعال في بعض الأحيان إلى الله سبحانه وتعالى، وفي بعض الأحيان إلى خلقه، فكما تُنسب الإمامة إلى الله تُنسب كذلك الإمامة إلى ملك الموت، الله يتوفى الأنفس وملك الموت يتوفى الأنفس أيضاً، حينما نتدبر هذا المعنى وحينما نتبصر في هذه المضامين فذلك يعني أن ملك الموت الله سبحانه وتعالى قد وضع فيه هذه القدرة، قد أعطاه هذه الولاية بنحوٍ يشابه ما أعطانا من ولاية ومن قدرة على التصرف في هذه الحياة، الله سبحانه وتعالى أعطانا قدرةً وولايةً لأن ننام لأن نستيقظ لأن نعمل لأن نفكر لأن نحرك أيدينا أرجلنا لأن نلتفت يميناً شمالاً كل هذه الأمور نحن نفعلها بولايةٍ أعطيت لنا من الله ولا يوجد هناك من دعاء ندعو الله سبحانه وتعالى حينما نريد أن نحرك أيدينا فنَدعو الله حتى يعطينا القوة لتحريك أيدينا، أساساً الله سبحانه وتعالى قد أعطانا هذه القوة وأعطانا هذه الولاية، ملك الموت أيضاً الله سبحانه وتعالى أعطاه هذه القدرة على الإمامة وحتى على الإحياء، أعطاه القدرة على الإمامة وعلى الإحياء فبإمكانه أن يسلب الأرواح وبإمكانه أن يرد الأرواح، هذا الإعطاء لملك الموت لعزرائيل عليه السلام كإعطائنا القوة في التصرف في أمور حياتنا، فهو أعطاه هذه القدرة، فنسبة الإحياء والإمامة إليه كنسبة

تصرفاتنا في أمورنا وفي أفعالنا، وهذا المعنى من نسبة الإحياء والإماتة إلى ملك الموت إنما جاء متفرعاً عن معنى الولاية الكلية التي نعتقد بها والإمامة الكلية، فالروايات تحدثنا عن أن الملائكة إنما هم عاملون تحت إمرة إمام الكون وتحت إمرة قلب عالم الإمكان وهو الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، لا بعنوان الإمامة الأرضية لتسيير أمور الناس إن كان في الجانب الديني أو الدنيوي، القضية أبعد من هذا وأوسع وأعمق، وهذه الجموع المتكاثرة من النصوص التي تحدثنا عما وراء العالم الأرضي كلها تشير إلى هذه الحقيقة، نحن نملك في كتب الحديث كميات هائلة من النصوص من الروايات عن النبي وعن الأئمة تحدثنا عن عالم ما وراء العالم الأرضي، كلها تشير إلى هذه الحقيقة، تُشير إلى العالم الأوسع، إلى العالم الفسيح وإلى الإمامة الكلية المبسوطة على جميع ذرات هذا الوجود.

الآية في هذه الأجواء ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ من الذي يقوم بعملية الإحياء والإماتة؟ الآيات: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ الروايات ماذا تحدثنا؟ هناك ملائكة موكلون بالرياح ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهناك ملائكة موكلون بالأمطار، هذه المعاني واضحة في الروايات ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أيضاً الحديث عن إحياء وإماتة أيضاً الأمر راجع إلى الملائكة ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ الملائكة يقومون بهذا الأمر ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الملائكة يقومون بهذا الأمر ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أيضاً الملائكة يقومون بهذا الأمر ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وهناك جهة لها الورثة لها المالكية لها السلطة.

قطعاً الورثة الحقيقية والمالكية الحقيقية هي له سبحانه وتعالى، الملك لمن؟ المُلْكُ لله الواحد القهار، لا يوجد هناك من ينافسه في مُلكه سبحانه وتعالى، هذه القضية بديهية وواضحة ولا أحتاج إلى التأكيد عليها، الحديث إنما هو في الورثة في المالكية التي جعلها الله سبحانه وتعالى في خُلص أوليائه في أقرب المخلوقات إليه - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ مُلْكِكَ بِأَفْخَرِهِ - إذاً هناك مراتب في هذه المالكية - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ مُلْكِكَ بِأَفْخَرِهِ وَكُلُّ مُلْكِكَ فَآخِر - هذه المالكية هذه الورثة الله سبحانه وتعالى آتى آل إبراهيم مُلكاً عظيماً، وآل إبراهيم كما تقدم عندنا هو مصطلح خاص بآل مُحَمَّدٍ والعنوان هنا ليس عنواناً نسبياً أو قبائلياً أو أُسرياً هذا مصطلح قرآني خاص بآل مُحَمَّدٍ، الملك العظيم خاص بهم، هم الوارثون ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الملك العظيم الذي جاء مذكوراً في القرآن العظيم الذي آتاه الله آل إبراهيم هو طاعة المخلوقات، الطاعة كما ورد التعبير في روايات أهل البيت الطاعة للإمامة هو هذا الملك العظيم وتحت

هذا القيد تحت قيد الطاعة يدخل ملك الموت وسائر الملائكة وهناك أبوابٌ في كتب الحديث يحدثنا فيها أئمتنا صلوات الله عليهم عن طاعة الملائكة وعن خدمة الملائكة لهم صلوات الله عليهم، وأن الله استعبد ملائكته طراً بولاية أهل البيت ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ هذه صيغة الوارثون الموجودة هنا تتناسق مع صيغة العالون الخالدون العالمون الصادقون المُطَهَّرُونَ هذه الصيغة تتناسق وتتفق مع كل تلك الأوصاف وقد تحدثت في مناسباتٍ سابقة عن مثل هذا المضمون ولا أريد أن أعيد الكلام في هذا المطلب ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ الإحياء والإماتة منسوبة إلى الملائكة، ونحن الوارثون وهناك جهة مالكة لها الوراثة هذه الوراثة بمعنى المالكية.

هو الذي له الملك، الله سبحانه وتعالى هو الوارث لكن هذه المالكية وهذه الوراثة الله سبحانه وتعالى مثل ما أعطى ملك الموت القدرة على الإماتة والإحياء ومثل ما أعطى الملائكة القدرة على إرسال الرياح ودفع الرياح وإنزال المطر من السماء الله سبحانه وتعالى أعطى لهذه المجموعة الوارثون أعطاهم القدرة على المالكية، فصارت المالكية والولاية عندهم كما أن قدرة الإحياء والإماتة عند ملك الموت، كما أني عندي القدرة على أن أتحرك أنام أستيقظ أكل أشرب وهكذا فليست القضية تحتاج إلى دعاء أو تحتاج إلى صلاة الحاجة مثلاً لقضاء الحاجة، مثل ما أعطانا هذه الولاية في حياتنا أعطاهم ولاية أوسع والسبب في ذلك هو حكمتهم، نحن أعطانا ولاية بقدر حكمتنا، حكمتهم واسعة وهي حكمة الله فأعطاهم الولاية الواسعة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وهذه الوراثة لها مظاهر لها ظهورات تتناسب مع كل عالم بحسبه، هنا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الحديث عن الولاية العامة، الحديث عن الوراثة العامة وهي المالكية.

لكن حين نذهب إلى سورة القصص مثلاً، في الآية الخامسة ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ هذا مظهر من مظاهر الوراثة وهي الحاكمية والإمامة على الأرض ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ هذه هي الآية الثامنة والخمسون أيضاً في سورة القصص ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلِكَ مَسَاكِينُ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ هذا أيضاً مظهر آخر من مظاهر الوراثة ومن مظاهر الوارثية، ما مرَّ علينا في سورة الحجر ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ إشارة إلى مقام الوراثة في أوسع مراتبه، وما جاء في الآية الخامسة من سورة القصص

﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهُمْ أُتَمَّةً وَيجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ هذه مرتبة من مراتب الوراثة وهي مرتبة الحاكمية مرتبة بسط العدل، الإمام صلوات الله وسلامه عليه فهو ييسط القسط والعدل بملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وتلك هي الوراثة، الوراثة في العالم الأرضي في حاكمية الناس وهدايتهم وإرشادهم، أما في الآية الثامنة والخمسين من سورة القصص ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ هذا مظهر آخر من مظاهر الوراثة متفرع عن المقام الأوسع ونحن الوارثون في سورة الحجر، الوراثة على الأرض على السماوات على كل ما خلق الله، لكن في هذه الآية هنا الحديث عن الوراثة ليس الوراثة بمعنى الحاكمية وبمعنى الإمامة الأرضية وإنما هذه وراثة تكوينية ووراثة كونية لكنها في عالم الأرض في العالم الأرضي ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ هذه وراثة الإحاطة، هذه وراثة الشهادة، هذه الولاية، ما الوراثة وما الشهادة وما الإحاطة وما الإراءة وما الولاية إلا هي مظاهر ومصاديق للإمامة الكونية للإمامة الكلية للولاية الإلهية الكلية.

أما ما جاء في سورة المؤمنون في الآية العاشرة والتي جاءت في سياق ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى أن تقول الآية التاسعة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ * الحديث هنا عن مظهر آخر من مظاهر الوراثة المتفرعة عن الوراثة الأصلية، هذه وراثة المؤمنين لمن؟ للفردوس، هذه الوراثة الجنانية وهي مظهر من مظاهر الوراثة المتفرعة عن الوراثة الكلية ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وفي الروايات المؤمنون الذين جاء ذكرهم في هذه السورة هم الشيعة المسلمون لأهل البيت ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قد أفلح المسلمون لأئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولذلك هذا المعنى يتجلى في قصة إبراهيم، في قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء في الآية الخامسة والثمانين وهو يدعو ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ هذه الوراثة نفس معنى الوراثة التي مرت في سورة المؤمنون، المؤمنون هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، والفردوس هي أعلى مراتب الجنان، القمة العالية القمة الشاخنة، القمة الشاخنة والسامقة في الجنان هي التي عُبر عنها بالفردوس ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ هذه الوراثة كنتلك الوراثة التي ذكرتها سورة المؤمنون وأعتقد أنّ المعاني تتضح وتتجلى أكثر حينما نقرأ في

النصوص في الروايات عن إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد ظهوره الشريف البيانات الأولى، هذا هو الجزء الثاني والخمسون من بحار الأنوار، البيانات الأولى التي تصدر عن إمام زماننا، من البيانات الأولى هذا البيان يصدر من الإمام كما يرويه لنا أبو خالد الكابلي عن إمامنا الباقر عليه السلام: والله لكأني أنظر إلى القائم عليه السلام وقد أسند ظهره إلى الحجر - إلى الحجر الأسود - ثم يُنشد الله حقه ثم يقول: يا أيها الناس من يُحاجني في الله فأنا أولى بالله، أيها الناس من يُحاجني في آدم فأنا أولى بآدم، أيها الناس من يُحاجني في نوح فأنا أولى بنوح، أيها الناس من يُحاجني في إبراهيم فأنا أولى بإبراهيم، أيها الناس من يُحاجني في موسى فأنا أولى بموسى، أيها الناس من يُحاجني في عيسى فأنا أولى بعيسى، أيها الناس من يُحاجني في مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فأنا أولى بِمُحَمَّدٍ، أيها الناس من يُحاجني في كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله.

هذا هو البيان الأول من البيانات الأولى التي تصدر من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه في يوم ظهوره الشريف - من يُحاجني في الله فأنا أولى بالله - ثم ذكر أسماء الأنبياء وهذه نماذج ذكر أبانا آدم فهو عنوان الخلافة على الأرض ثم ذكر نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، هذه عناوين لأولي العزم لأصحاب الرسالات لأصحاب الديانات لأشرف الأنبياء والمرسلين فهو أولى بهم، هذه الأولوية وهذه الولاية هي وراثته النبوات الالهية فضلاً عن ما بينه وبين بعضهم من وراثته نسبية كالعلاقة فيما بينه وبين مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، كالعلاقة فيما بينه وبين إبراهيم عليه السلام، لكن بالدرجة الأولى المنظور في هذا الكلام هو الوراثة النبوية الالهية وأيضاً فيها إشارة وفيها دلالة على معنى الوارثية وهي الحاكمية المعنى الثالث للوارثية فهو أولى بآدم وأولى بنوح وحين يصل الكلام هو أولى بِمُحَمَّدٍ هو نائبٌ عن مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هو وصيه، فولايته وأولويته بِمُحَمَّدٍ وَلِ مُحَمَّدٍ هي وصايته هو خاتم أوصياء مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

هناك رواية أخرى لربما فيها شيء من تفصيل أكثر من هذه الرواية، الرواية أيضاً منقولة عن إمامنا الباقر عليه السلام، هذا الخطاب وهذا البيان يصدر بعد حادثة الخسف حين يخسف بجيش السفيناني الذي جاء يقصد المدينة المنورة بحثاً عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، فيُخسف بهذا الجيش في البداء وهذه القضية المذكورة بشكل واضح وصريح في الكثير من رواياتنا، إمامنا الباقر يقول صلوات الله عليه: إذا خسف بجيش السفيناني - إلى أن قال: - والقائم يومئذ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول أنا وليُّ الله أولى بالله وبمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم ومن حاجني في مُحَمَّدٍ فأنا أولى

الناس بِمُحَمَّدٍ وَمَنْ حَاجَنِي فِي النَّبِيِّينَ - فِي كُلِّ النَّبِيِّينَ - فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّبِيِّينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فَأَنَا بَقِيَّةُ آدَمَ وَخَيْرَةُ نُوحٍ وَمُصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ وَصِفْوَةُ مُحَمَّدٍ أَلَا وَمَنْ حَاجَنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِكِتَابِ اللَّهِ أَلَا وَمَنْ حَاجَنِي فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَسِيرَتِهِ وَأَنْشُدُ اللَّهَ مِنْ سَمْعٍ كَلَامِي لَمَّا يَبْلُغُ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ - هَذَا الْبَيَانُ فِيهِ الْحَدِيثُ بِالتَّصْرِيحِ عَنْ كُلِّ النَّبِيِّينَ، فَهَذَا الْوَلَايَةُ وَالْعَلَاقَةُ وَالرَّابِطَةُ مَعَ كُلِّ النَّبِيِّينَ بِنَفْسِ الْمَعْنَى الَّذِي بَيَّنَّهُ قَبْلَ قَلِيلٍ.

هناك بيان لا علاقة له بما نحن فيه بشكل مباشر لكن من المفيد أن أورد ما جاء في هذا البيان، هذا البيان الإمام صلوات الله وسلامه عليه حين يُرسل أحد أصحابه إلى أهل مكة إلى المسجد الحرام قبل خروجه بأيام قلائل فينقل لهم بيان الإمام وكلمة الإمام، فماذا جاء في هذا البيان؟ - فيدعو رجلاً من أصحابه - الإمام صلوات الله عليه - فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: أمضي إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم - أنا رسول الحجة بن الحسن إليكم - وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين - ونحن الآن نتحدث - وَوَرِثَةَ الْأَنْبِيَاءِ - والعبارات واضحة تشير إلى هذا المعنى - وَنَحْنُ ذُرِّيَّةُ مُحَمَّدٍ وَسَلَالَةُ النَّبِيِّينَ وَأَنَا قَدْ ظَلَمْنَا وَاضْطَهَدْنَا وَقَهَرْنَا وَابْتَزَّرْنَا حَقَّنَا مِنْذُ قُبُضِ نَبِيِّنَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فَنَحْنُ نَسْتَنْصِرُكُمْ فَانصُرُونَا فَإِذَا تَكَلَّمْتَ هَذَا الْفَتَى بِهَذَا الْكَلَامِ أَتَوْا إِلَيْهِ فَذَبَحُوهُ أَهْلُ مَكَّةَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَهِيَ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ - التي تُذبح في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة يعني فيما بين هذا اليوم وبين ظهور الإمام ما يقرب من خمسة عشر يوم نصف شهر يعني، ذكرت هذا الكلام لتتميم الفائدة وإلا فموطن الشاهد في البيان الأول وفي البيان الثاني - أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يُحَاجِنِي فِي آدَمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِآدَمَ، أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ حَاجَنِي فِي إِبْرَاهِيمَ فَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ - كل هذا يشير إلى هذا المضمون الذي أشارت إليه الزيارة الجامعة الكبيرة - وَوَرِثَةَ الْأَنْبِيَاءِ - هذه الوراثة تتجلى في بعدها الدنيوي في بعدها الديني وفي بعدها الرسالي بظهور حاكمية إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وكذلك بوراثة للأرض وبوراثة على الأرض فهو سيرت الأرض وله الوراثة على الأرض، الوراثة بالمعنى الأوسع وهي الحاكمية.

السَّلَامُ عَلَى أَيْمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى، وَذَوَى النَّهْيِ، وَأَوْلَى الْحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى - هذا عنوانٌ جديد في الزيارة الجامعة الكبيرة - وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى - نَخَاطِبُهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَالزِّيَارَةُ هُنَا تَرِيدُ أَنْ تُشِيرَ إِلَى الْمَثَلِ الْأَعْلَى الَّذِي جَاءَ مَذْكُورًا فِي الْكِتَابِ

الكريم في سورة الروم، في الآية السابعة والعشرين ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الحديث عن بداية الخلق ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَكَهَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحديث هنا عن بداية الخلق عن بداية الفيض ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَكَهَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ طبعاً الآية عند المفسرين لها أكثر من وجه ونحن هنا لا نريد أن نورد آراء المفسرين، هذه الزيارة هي تفسر هذه الآية، حينما يقول إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه هذا الكلام ويأمرنا أن نزور الأئمة بهذه المصطلحات قطعاً حينما يتكلم هو يتكلم بلسان القرآن فهو لا يريد أن يوقعنا في الشبهة فيأتي بمصطلحات وبعناوين توقعنا في الشبهة، فحينما يستعمل هذه العناوين إنما هو يقصد بالدرجة الأولى العنوان القرآني وهذا هو الشيء الطبيعي.

السائل سأل الإمام الهادي علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرتُ واحداً منكم، القول البليغ الكامل أين يكون؟ أليس في القرآن بالدرجة الأولى، علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً، القول البليغ الكامل هو في القرآن، فحينما يريد الإمام أن يُعلِّمنا زيارة وهذه الزيارة مشتملة على عناوين مشتملة على مصطلحات مشتملة على مقامات على مراتب لا بد أن تكون هذه المعاني مُستقاة إما باللفظ وبالمصطلح وبالحروف، وإما بالمضمون من آيات الكتاب الكريم، ولذلك حين أشرح الزيارة الجامعة الكبيرة المراد الأول والأخير إلى كتاب الله وهذا ما لاحظتموه من أول حلقة من حلقات هذا البرنامج وإلى هذا اليوم، لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه وهو يعلمنا نصاً بليغاً كاملاً هل يُعقل أن الإمام يعلمنا نصاً بليغاً كاملاً وهو بعيد عن القرآن لا يُعقل هذا أبداً، إذاً الزيارة هنا هي تشرح لنا المعنى الموجود في الآية فنحن نسلم على أئمتنا - وَوَرِثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى - المثل الأعلى هو هذا الذي جاء مذكوراً كما قلت قبل قليل في الآية السابعة والعشرين من سورة الروم ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَكَهَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المثل الأعلى في البيت، المثل الأعلى مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، المثل الأعلى في عمق المعنى الحقيقة المُحمَّدية، النور الأول، هو هذا المثل الأعلى.

هنا سؤال: هل لله مثل؟ هذا الجواب يقع في أفقين: يمكن أن نقول نعم لله مثل ويمكن أن نقول كلا ليس لله مثل فإن من يعتقد بأن لله مثل فذلك هو الشرك، ما المراد من هذا الكلام؟ نحن نُنزِّه الباري عن الشريك عن الأنداد عن الشبيه وكذلك عن المثل عن المثل، الله سبحانه وتعالى ليس له مثل، ليس له مثل المثل الذي بمعنى النظير، المثل الذي بمعنى الشبيه، ما المراد أن يكون لله شريك؟ ما المراد أن يكون لله ند؟ ما

المُرَاد أن يكون لله شبيهه؟ ما المُرَاد أن يكون لله مثل؟ القضية هنا في أفق الغنى، الذات الغنية المُغنية الله سبحانه وتعالى من أسمائه هو الغني وهو المغني، الله هو الغني وهو المغني، هو عني في ذاته وهو مُغني لكل ما خلق، فهو عني وهو مُغني، متى ما افترضنا أن يكون هناك شيء في عالم الوهم في عالم الخيال في الواقع الخارجي متى ما افترض الإنسان أن يكون هناك موجود هذا الموجود مستغنٍ عن الله سبحانه وتعالى هذا هو الشرك، الشرك هنا، حقيقة الشرك هي هذه حين نتصور نتوهم نعتقد نظن أن موجوداً هناك وهذا الموجود مستغنٍ عن الله إذاً هذا هو الشرك، إذا كان هناك موجود وهذا الموجود يستغني عن الله يعني قائمٌ بنفسه يعني فيه عني ذاتي أيّاً كان هذا الموجود، نسميه شريكاً لله، نسميه ندأً، نسميه مثلاً لله مثل، نقول عنه مثل، مثال، مثلٌ لله، نقول عنه شبيهه، نظير، قل ما شئت من العبارات ليس مهماً العناوين، إذا افترضنا وجود موجود وهذا الموجود مستغنٍ عن الله فقد وقعنا في الشرك وهذا هو الشرك الصريح، لأن الله سبحانه وتعالى الذاتُ الغنية المستغنية المغنية، الله ذاتٌ غنية ومُستغنية عن غيرها وهي مُغنية لغيرها، فإذا تصورنا أن هناك موجوداً يحمل هذه المواصفات أن موجوداً غنيٌ في ذاته مستغنٍ عن الله ومُغنٍ لغيره عنده القدرة على إغناء غيره هذا هو الشرك، ليس مهماً أن نسمي هذا الموجود شريكاً لله أن نسمي هذا الموجود نظيراً ندأً شبيهاً مثلاً مثلاً قل ما شئت من العبارات.

وكذلك الإنسان حتى لو كان يعتقد بالله سبحانه وتعالى وبالتوحيد لكن الذي يخطر في قلبه بأنه يستطيع أن يستغني عن الله فهذا هو الشرك وهذا هو الكفر، الكفر على مراتب وهذا كفرٌ صريح فحين يعتقد الإنسان بأنه يمكن أن يستغني عن الله أو أنه يملك غنيٌ ذاتياً أو يتصور أن موجوداً آخر يملك الغنى الذاتي، مثلاً إذا تصورنا بأن الحقيقة المُحمّدية حقيقة غنية في ذاتها مستغنية في ذاتها مغنية لغيرها وهي مستغنية عن الله سبحانه وتعالى فقد وقعنا في الشرك الصريح، شرك، هذا شركٌ لا مفر منه، فإذا حين نقول بأن الله مثل إذا كان المراد هذا المثل لله سبحانه وتعالى أن يكون غنياً بذاته مُستغنياً عن الله قادراً على إغناء غيره فهذا هو الشرك وهذا هو المثل أو المماثل أو الشبيه الذي ننزه الباري سبحانه وتعالى عنه، نحن حين ننزه الباري عن كل ندٍ وعن كل مماثلٍ وعن كل شبيهٍ إنما ننزهه عن كل موجودٍ يمكن أن يقال عنه بأنه غنيٌ في ذاته، إذ كل الموجودات، الموجودات القائمة الآن أو التي ستأتي هي موجودات مفتقرة وفقيرة إلى الله، الوجود الغني والمستغني والمغني هو وجود الله سبحانه وتعالى فقط.

فحين نقول بأن الله سبحانه وتعالى ليس له مثل، ليس مثل هذا المثل يكون غنياً في ذاته يكون مُستغنياً عن غيره يكون قادراً على الإغناء مُغنياً لغيره، أيُّ موجودٍ سميناه بمثل أو غير ذلك، إن كان نعتقد بأنه موجود في الواقع الخارجي أو في أذهاننا في أوهامنا أي صورة تحمل هذه المعاني فذلك هو الشرك ونحن ننفي وجود المماثل بهذا المعنى، أما إذا كان الله سبحانه وتعالى خلق مخلوقاً وهذا المخلوق الله سبحانه وتعالى تجلت

صفاته في هذا المخلوق وأعطى لهذا المخلوق من فيضه وجوده فكان هذا المخلوق حجاباً فيما بين الله وبين الخلق وباباً يدخل الخلق من خلاله وسبباً يتصل بين الأرض والسماء ووجهاً يتوجه إليه الأولياء إذا كان هذا المخلوق هو الذي تتحدث عنه الزيارة هو المثل الأعلى.

في الآيات القرآنية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نحن إذا أردنا أن نتبصر في هذا التعبير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقفة قصيرة على هذا المقطع القرآني ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الآية ما قالت ليس مثله شيء قالت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يعني هناك لله مثل ولكن ليس هذه النافية تنفي أن يكون هناك شيء مُشابه لمثل الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لماذا هذا التركيب في العبارة؟ قلت بأن الله لا مثل له، المثل الذي هو مستغن عن غيره غني في ذاته وقادرٌ على إغناء غيره، هذا المثل نحن ننزه الله منه لا يوجد هكذا مثل ومن يعتقد بذلك فهو مُشرك لكن يوجد لله مثل بهذا المعنى الذي أشرتُ إليه قبل قليل والآية تشير إلى هذه القضية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إذا ندقق النظر في الآية هناك لله مثل والآية ما نفت المثلية وإنما نفت المُشابهة للمثل قالت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ما قالت ليس مثله شيء، قالت ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أدنى تبصر في الآية يظهر هذا المعنى واضحاً يظهر هذا المعنى جلياً.

أقرأ على مسامعكم هذه الرواية، هذا هو الجزء الرابع من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي الرواية عن إبراهيم بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام، هذه الرواية من روايات الأسرار في حديث أهل البيت، هذه الرواية من الروايات العميقة جداً، أنا أورها وإِنْ شاء الله في مناسبات أخرى أتحدّث عن بعض من معانيها لأننا سنحتاج إليها في طوايا الحديث في مواقف أخرى في منازل أخرى من منازل الزيارة الجامعة الكبيرة، إمامنا صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟ يقول: **إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً - الله خلق هذا مخلوق - إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً - وضعوا تحت كلمة خلق خطوط حمراء حتى تلتفتوا إليها - إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت - منعوت يعني موصوف، الله سبحانه وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت يعني هذا الاسم ليس هو لفظ لا يوصف بالألفاظ - إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت - إذاً هذا الاسم الله خلقه هو غير الله هذا - إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت - أنا أكرر هذه العبارات حتى تثبت في أذهانكم - إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق - يعني إذاً هو ليس من جنس الكلمات لو كان من جنس الكلمات لثُعت بالحروف ولنطقته الألسنة، إذاً هذا الكلام في أفق آخر، اسم ليس كأسماء البشر**

ليس من الألفاظ - إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق وبالشخص غير مُجَسَّد - يعني لا يوجد هناك تجسيد جسماني، الجسم ما هو؟ الجسم الذي يقبل القسمة في أبعاده الثلاث، يعني في الطول والعرض والارتفاع، يعني الجسم هو الذي يملك أبعاداً ثلاثة - وبالشخص غير مُجَسَّد وبالتشبيه غير موصوف - ولا تستطيع أن تصفه بالعبارات وبالتشبيهات وأن تقول هناك شيء يشبه هذا الاسم - وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ - وليس له لون اللون هنا ليس اللون الحسي جميع مراتب اللون يعني الخيال الوهم الفكر لا يستطيع أن يتصوره في أي أفق من الأفاق - وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار - منفي عنه الأقطار يعني ليس له مكان الأقطار هي الجهات الممكنة - منفي عنه الأقطار - يعني هو أسمى أعلى الممكنة - مُبَعَّدُ عَنْهُ الحدود مَحجوبٌ عَنْهُ حَسُّ كل متوهم مستترٌ غير مستور - مستترٌ بذاته ولكن غيرٌ مستور يعني قريبٌ من الأشياء وبعيدٌ في نفس الوقت - مُسْتَتِرٌ غير مستور فجعله كلمةً تامة - جعل هذا الاسم - على أربعة أجزاء - إلى آخر الرواية.

الرواية فيها تفاصيل، فلنقرأ الرواية لا بأس - فجعله كلمةً تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها - لفاقة الخلق الثاني، لأن الحديث هنا عن الخلق الأول، إن الله سبحانه وتعالى خلق اسماً هذا الاسم الذي له هذه الأوصاف أين يكون؟ هذا الاسم هو في عالم الخلق الأول - إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق وبالشخص غير مُجَسَّد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار مُبَعَّدُ عَنْهُ الحدود مَحجوبٌ عَنْهُ حَسُّ كل متوهم مستترٌ غير مستور فجعله كلمةً تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر - هذه الأجزاء تكشف عن البساطة - ليس منها واحد قبل الآخر - يعني ليس مركباً وإنما هذه هي التحليلات - ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وَحَجَبَ واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أُظهِرت فالظاهر هو الله تبارك وتعالى - الله عنوان جَمَعَ أسماء الصفات الجمالية والجلالية، الله الذات المستكملة - فالظاهر هو الله تبارك وتعالى لكل اسمٍ من هذه أربعة أركان - يعني كل اسمٍ من هذه الاسماء - أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكل ركنٍ منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارئ المصور الحي القيوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم العليم الخبير السميع البصير الحكيم العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارئ المنشئ البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيي المميت الباعث الوارث فهذه الاسماء وما كان من

الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمئة وستين اسماً فهي نسبةٌ لهذه الاسماء الثلاثة وهذه الاسماء الثلاثة أركان وحُجْب للاسم الواحد المكون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة وذلك قوله عزَّ وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ - وفي روايات أهل البيت نحن الاسماء الحسنى والمعاني واضحة ومَرَّ الكلام في ذلك، الحديث هنا عن هذا الاسم الذي خلقه الله وأعطاه هذه المواصفات - بالحروف غير منعوت وباللفظ غير مُنطق وبالشخص غير مُجسَّد - إلى آخر ما مرَّ في هذا الحديث، وهذه الخاتمة تذكرها سنحتاج إليها بعد قليل - وذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ هذا هو المثل الأعلى.

المثل الأعلى هو هذا الذي جاءت الإشارةُ إليه في أدعية شهر رجب، في دعاء ليلة المبعث الليلة السابعة والعشرين: فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته - هذا اسم مخلوق كما مر في هذه الرواية، ولذلك الدعاء ماذا وصفه؟ - الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم - لأننا لا نملك ألفاظاً ولا تصوراً ولا خيالاً كما تحدَّث إمامنا الصادق في هذه الرواية التي قلت عنها قبل قليل إنها من روايات الأسرار في حديث أهل البيت - فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته - هذا اسم مخلوق هو غير الله - فاستقر في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك - مخلوق يعني ليس مستغنياً ليس غنياً، مخلوق يعني هو مفتقر، مهما أوتي من فضلٍ فهو مفتقر، فحينئذٍ حين نقول هذا مثلُ الله، هذا مثل وهذا المثل ليس مستغنياً، المثل والمثل بمعنى واحد وإن فَرَّق اللغويون ولا أريد أن أدخل في التفصيلات اللغوية لكن المثل والمثل هما بمعنى واحد، قد تكون هناك حيثيات، قد تكون هناك جهات يختلف فيها المثل عن المثل ولكن بالنتيجة الدلالة واحدة والحقيقة واحدة، فأترك المثل فنقل المثل إذا كانت هناك حساسية من اللفظ، في الحقيقة لا يوجد هناك أي حساسية لكن لو وجدت الحساسية فأترك القضية قضية اللفظ، المهم الدلالة والمضمون والمعنى - فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك - ونفس هذا الكلام نحن نقرأه أيضاً في دعاء اليوم السابع والعشرين: فنسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته - هذا اسم مخلوق - فاستقر في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك - هذا التأكيد بصيغة أفعال التفضيل المُعرِّفة بالألف واللام الأعظم يعني لا يوجد في الخلق ما هو أعظم منه إلا الله - اللَّهُمَّ إني أسألك من عظمتك بأعظمتها - هي هذه، أنت تقرأ في دعاء البهاء - اللَّهُمَّ إني أسألك من عظمتك بأعظمتها - هي هذه، هو هذا الاسم الذي هو ليس بالحروف منعوت ولا بالألفاظ

مُنْطَق، هذا الاسم الذي قرأت الحديث قبل قليل في الجزء الرابع من بحار الأنوار والمروي عن إمامنا الصادق - اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا وَكُلِّ عَظَمَتِكَ عَظِيمَةً - اللهُ سبحانه وتعالى العَظْمَةَ عَظَمَتِهِ الذاتية ليست فيها أجزاء فهناك في ذاته ما هو أعظم وما هو غير أعظم - من عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا - في هذا المخلوق في هذا الاسم الذي خلقه اللهُ وهو المَثَلُ الأَعْلَى، فنحن حين نقرأ في سورة الروم في الآية السابعة والعشرين: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ الحديث عن بداية الخلق وعن إعادة الوجود عن كل الوجود ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَكَهَ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ المثل الأعلى أعظم من بدئ الخلق ومن إعادة الخلق، أدنى تبصر في الآية يظهر هذا المعنى جلياً ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ يعني هذا الخلق ما سميناه بعالم الخلق الثاني من الحُجُب من السرادقات من الأستار فالعرش فالكرسي فالسماوات فكل هذه العوالم، هذا كله يدخل في الخلق ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ لكن هناك ما هو أعلى رتبة ﴿ وَكَهَ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ المثل الأعلى المتجلي أين؟

﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ﴿ وَكَهَ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ الآية واضحة تُشير إلى وجود هذا الوجود اسمه المَثَلُ الأَعْلَى، أنا قلت المفسرون لهم كلام وتأويلات لغوية وبلاغية في الآية ولكن أولئك يذهبون في طريق ونحن ذاهبون في طريق آخر، لأننا شرحنا الآية بنفس الزيارة - وَوَرِثَةَ الأنبياءِ، وَالمَثَلِ الأَعْلَى - وهذا المعنى لهذه المَثَلِ مر علينا الحديث عنه وقرأت عليكم في الحلقات الماضية ما جاء في دعاء الاستئذان لزيارة النبي والأئمة - الحَمْدُ اللهُ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكَّامٍ - ماذا يفعلون هؤلاء - يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان - هذا نوع ورتبة من مراتب المَثَلِ الأَعْلَى ولكن في العالم الأرضي - الحَمْدُ اللهُ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكَّامٍ يقومون مقامه - يعني تجلي الإلوهية والربوبية هذه المعاني أين تتجلى؟ تتجلى في الولاية، الولاية أين تظهر؟ تظهر في النبوة والإمامة - الحَمْدُ اللهُ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكَّامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان.

تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهُ - هذا الكلام بالنسبة لنا فنحن نبحث عن خصالٍ كالحكمة والعلم والصدق وغير ذلك لكن حين يكون الكلام في مقامات الولاية - تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهُ - التخلق بأخلاق الله بالنسبة لتلك المقامات يعني أن تلك المقامات تتجلى فيها الأسماء الحسنى، التخلق بأخلاق الله يعني اسم العليم يتجلى فيهم، يعني اسم القادر يتجلى فيهم وتلك هي الإمامة الكونية - تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهُ - بالنسبة لنا نحن نبحث عن خصال وصفات ما يُدرس في علم الأخلاق، أما بالنسبة لتلك المقامات العالية كيف يكون

التخلق بأخلاق الله؟ التخلق بأخلاق الله يعني أن الأسماء الحسنى تتجلى فيهم، يعني أن اسم العليم اسم القادر اسم القاهر يتجلى فيهم، اسم الرحيم وهكذا - **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِحُكْمٍ يَقُومُونَ مَقَامَهُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَكَانِ** - هذه معاني عميقة جداً وتحتاج إلى تبصر وتحتاج إلى تدبر وتحتاج إلى تأني خصوصاً الاستماع برعاية وبدقة إلى نصوص وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا الموضوع من الموضوعات العميقة جداً.

حين نخطب الأئمة: **وَوَرِثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى** - هذا معنى عميق جداً، وهذا المعنى له مظاهر ومصاديق كثيرة، ما قرأته الآن في دعاء الاستئذان هذي صورة من صور هذا المقام مقام المثل الأعلى - **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا** - بأي شيء - **بِحُكْمٍ يَقُومُونَ مَقَامَهُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَكَانِ** - يقومون مقامه هذا تجلي صورة ظهور لهذا المقام الواسع وهو مقام المثل الأعلى، وما قرأته في الحديث قبل قليل عن هذا الاسم الذي خلقه الله وأشار إليه دعاء ليلة المبعث - **فَاسْتَقِرْ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ** - لا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ: يعني هو ليس من عالم الخلق الثاني حتى يكون ممازجاً لعالم الخلق الثاني وإنما هو الخلق الأول هذا معنى - **لَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ** - يعني ليس هناك من ممازجة فيما بينه وبين عالم الخلق الثاني، هناك عالم الخلق الأول هذا - **الاسم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** - لا يخرج منك إلى غيرك يعني لا يوجد هناك ممازجة فيما بينه وبين عالم الخلق الثاني، فعالم الخلق الثاني هو من تجلياته وهذا هو المثل الذي أشارت إليه الآية - **لَيْسَ كَمِثْلِهِ** - يعني أن الخلق الثاني لا يكون مماثلاً لمثل الله وهو في عالم الخلق الأول، في دعاء الصباح الدعاء المروي عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ماذا نقرأ في هذا الدعاء - **يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنِ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ** - مجانسة يعني ماثلة يعني ممازجة، الله سبحانه وتعالى متنزه عن مجانسة هذا الاسم وهذا الاسم أيضاً متنزه عن مجانسة عالم الخلق الثاني من السرادقات والستر الأعظم والحُجُب والعرش.

هذا الاسم الذي هو المثل الأعلى والذي إذا تجلى في عالم الأرض تجلى في مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، يعني الصورة الظاهرة في العالم الطبيعي لهذا المثل الأعلى مُحَمَّدٌ وَآلِ مُحَمَّدٍ، لذلك نسلم عليهم في زيارتهم وهذا هو معنى القول البليغ الكامل، القول البليغ الكامل يعني هذه الكلمات خزانة للأسرار خزانة للمعاني، وما أبينه من هذه المعاني لا تتصورون أن القضية تنتهي عند هذا الحد، معارف أهل البيت أعمق من هذا بكثير جداً وهناك الكثير من الروايات التي لا يسع الوقت لإيرادها والكثير من النصوص والكثير من الحقائق الوقت لا يسع لإيرادها وفي بعض الأحيان لو أردت أن أوردتها ذلك يؤدي إلى إساءة الفهم لأنني لا أستطيع أن أصرف إساءة الفهم إلا أن أتحدث عن مقدمات لتوضيح المعنى وبالتالي سوف أشد عن المقصود وهو شرح

الزيارة، أنا مقصودي من هذه الحلقات أن أشرح الزيارة لا أن أتشعب في كل المطالب - يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَن مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ وَجَلَّ عَن مُلَائِمَةِ كَيْفِيَاتِهِ - هذا هو دعاء الصباح تنزه عن مجانسة مخلوقاته، الله سبحانه وتعالى أجل وأعز وأكرم من أن يُجانس هذا الاسم، وهذا الاسم أجل وأعز وأكرم من أن يجانس المخلوقات التي خُلقت في عالم الخلق الثاني، لذلك خلقت فاستقر في ظلك، استقر في ظلك العبارة هنا تشير إلى افتقاره المطلق ولذلك هو مستقر في ظله، حتى في التعبير اللغوي العرفي حين يقال فلان يعيش في ظل فلان يعني أنه مُحتاج إليه غاية الاحتياج، هذا الاسم أكثر افتقاراً منا من أي جهة؟ لأن فضل الله عليه أوسع من كل فضلٍ على كل مخلوق، فحينما يكون الفضل أوسع يكون الافتقار أكبر وأعظم، حينما يكون الفضل فضل الله علينا محدوداً بالقياس إلى فضله على ذلك الاسم فإن افتقارنا يكون أقل من افتقار ذلك الاسم، افتقارنا يكون بحدود الفضل، الفضل النازل إلينا محدود بحدودنا، نحن كائنات محدودة وجودات مقيدة الافتقار يكون بقدر وجودنا، وجودنا كله افتقارٌ إلى الله، وجودنا هو حقيقة الفقر إلى الله ولكن لو أردنا وجه مقايسة لتقريب المعنى فذلك الاسم أكثر افتقاراً بل ذلك الاسم هو الافتقار وهو حقيقة الفقر المطلقة لأن الله قد مَنَّ عليه بكل فضله فكان مفتقراً إلى الله بكل الفقر فلذلك استقر في ظله، استقراره في ظله هو افتقاره.

ذلك الاسم هو ذاتٌ غنية ومغنية ولكن بإغناءٍ من الله، الله سبحانه وتعالى غني ومغني ومستغني أما هذا الاسم فهو غني ومغني وليس مستغني، إذا كان مستغنياً فهو مستغنٍ عن عالم الخلق الثاني بهذا اللحاظ، لكنه ليس مستغنياً عن الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى غني مغني مستغنٍ عن كل شيء، هذا الاسم الذي خلقه الله فاستقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ليس هناك من مازجة فيما بينه وبين عالم الخلق الثاني، ومن هنا يظهر لك الفارق الكبير في مراتب مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ على الأرض مع غيرهم من المخلوقات، ويظهر لك معنى إن لأنبياء إنما هم رشحةٌ من رشحاتهم والأنبياء من أشياعهم، ومع ذلك المعاني أعمق وأعمق وأعمق، والله المعاني أعمق، والروايات كثيرة جداً، وهناك من المطالب ما يُذهل العقول في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذا المقام له مظاهر له تجليات، من جملة هذه المظاهر من جملة هذه التجليات ما يمكن أن نجد في عالم الذكر في عالم الكتاب الكريم، فحين نقرأ هذه الرواية وقد مرّت علينا هذه الرواية وأمثالها الرواية - عن داوود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عز وجل وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟! - هذه مراتب تجليات من أنَّهُم المثل الأعلى، المثل الأعلى في كل طبقةٍ من طبقات الوجود، هم المثل الأعلى وذلك هو المقام الأسمى في عالم الخلق الأول حيث استقر الاسم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم استقر في ظل الله وما خرج منه إلى

غيره ذلك هو مقام المثل الأعلى، ذلك هو التجلي الأعظم الذي أشارت إليه الأدعية الشريفة مقام التجلي الأعظم هو ذلك المقام، ولكن لهم تجليات كما جاء في دعاء الاستئذان - يقومون مقامه كما لو كان حاضراً في المكان - وهناك تجليات لهذا المثل الأعلى في عوالم الذكر الحكيم وفي العوالم المعنوية، داوود بن كثير يسأل الإمام الصادق - أنتم الصلاة في كتاب الله عز وجل وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟! فقال: يا داوود نحن الصلاة في كتاب الله عز وجل ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله قال الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوهُ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ونحن الآيات ونحن البيئات، وعدونا في كتاب الله عز وجل الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير، يا داوود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمنائه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض وجعل لنا أصدقاءً وأعداءً فسمانا في كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه وسمى أصدادنا وأعدائنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين - والروايات كثيرة في هذا المعنى وفي هذا المضمون، هذه رواية مهمة وسنأتي على شرحها إن شاء الله في الحلقات القادمة.

الرواية: عن الهيثم التميمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا هيثم التميمي إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء - هذه الرواية قانون قاعدة يمكن أن نستفيد منها في فهم الزيارة الجامعة الكبيرة وفي فهم القرآن وفي فهم العقيدة - إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قومٌ من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ولا إيمان بظاهرٍ إلا بباطنٍ ولا بباطنٍ إلا بظاهرٍ - إني مؤمن بظاهركم وباطنكم بسرکم وعلانيتكم - فهذا الحديث الموجود في هذا البرنامج إنما يتمسك بهذه القاعدة: فلا إيمان بظاهرٍ من دون باطنٍ ولا إيمان بباطنٍ من دون ظاهر الإيمان إيماناً بالظاهر وبالباطن هكذا نخطبهم في زيارتهم - إني مؤمنٌ موقنٌ بظاهركم وباطنكم بسرکم وعلانيتكم - هناك الأفق المعلن لأهل البيت وهناك الأفق السري السري لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ما أذكره من معانٍ مُستلّة من آيات الكتاب ومن الروايات فيها شيء فيها إشمامة من هذا المعنى الباطني، فيها اشمامة من هذا المعنى السري وإلا ليس هذي هي البواطن، البواطن أعمق من ذلك بكثير، وأهل البيت أعمق وأعلى وأعلى، مراتبهم أعلى، هذا شيء أنا أقنصه بوعاء ضيق هو وعائي، قال سيد الأوصياء - يا كميل القلوب أوعية - هذه القلوب أوعية مثل الأواني ما أقتنص من هذه المعاني

إنما بهذا الوعاء الصغير بوعائي الصغير، أهل البيت يحتاجون إلى أوعية كبيرة، إلى قلوب كبيرة جداً، إلى قلوب تستطيع أن تتلمس معانيهم ولو من بعيد، لا توجد قلوب تتلمس معانيهم - إِنَّ أَمْرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، مَنْ يَحْتَمِلُهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟! قَالَ: نَحْنُ نَحْتَمِلُهُ - مثل هذه المقامات لا تستطيع هذه القلوب وهذه الأوعية مهما كانت كبيرة أن تتلمس معاني أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الرواية وأمثالها من الروايات التي تتحدث عن أن الصلاة هم وأن الزكاة هم هذه تجليات من المثل الأعلى الدين القرآن من تجليات المثل الأعلى، حين يقول النبي الأعظم القرآن هو الكتاب الصامت وعليّ هو الكتاب الناطق، الكتاب الناطق هو من تجليات المثل الأعلى والكتاب الصامت هو من تجليات المثل الأعلى، وهذه التجليات كلها يرتبط بعضها ببعض الآخر كلها تجمّع في هذا المقام في أي مقام؟

في مقام الاسم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته هو مخلوق فاستقر في ذلك استقر لحاجته إليك فلا يخرج منك إلى غيرك ليس له من ممازجة مع عوالم الخلق الثاني، لأن عوالم الخلق الثاني دونه لا توجد مقايسة، دونه في المرتبة، هي من فتات موائده، عالم الخلق الثاني بكل مراتبه هي من فتات من تجليات فتات موائده الكريمة، هذا هو المثل الأعلى وهؤلاء أهل البيت الذين نزرهم ونخاطبهم هم مظهر ذلك المثل الأعلى، المثل الأعلى ليس في الدنيا المثل الأعلى محيطٌ بكل تلك العوالم، ذلك الاسم الذي لا يُنَعَثُ بالحروف ولا يُنطق بالألفاظ ولا يُشَبَّه بالأوصاف ذلك الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، وأهل البيت مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ هُم مَظَاهِرُ لِدَٰلِكَ اَلْاِسْمِ - اَلْاِسْلَامُ عَلٰى اَنْبِيَاةِ اَلْهُدٰى - هؤلاء أئمتنا - وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى، وَذَوَى النُّهَى، وَأَوْلَى الْحَجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى - وهذا العنوان عنوان فسيح ووسيع والمطالب كثيرة التي ترتبط بهذا العنوان لكنني أكتفي بما ذكرته وبما أشرت إليه فالوقت يجري سريعاً وبقيت عندنا بقية نحتاج إلى بيانها فيما بقي من عبارات المقطع الثاني.

وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحَسَنَى، أهل البيت هم الدعوة الحسنى، ما المراد من أن أهل البيت هم الدعوة الحسنى؟ في الأفق الأرضي أهل البيت هم الدعوة الحسنى هم دعوة إبراهيم دعوة الأنبياء طراً من لدن آدم، آدم أول دعاء دعا به ما هو؟ أول دعاء توسل إلى الله بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ وَبِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالْمَعْنَى وَاضِحٌ لِدَيْكُمْ وَلرَبِّمَا الْكَثِيرُ مِنْكُمْ يَحْفَظُ الدَّعَاءَ الْمَنْقُولَ فِي الرِّوَايَاتِ الَّذِي دَعَا بِهِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُحَمَّدُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ أَوْ بِحَقِّ أَحْمَدَ، يَا عَالِيَّ بِحَقِّ عَلِيٍّ، الدَّعَاءَ الْمَعْرُوفَ الَّذِي يَتَوَسَّلُ بِهِ شِيعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ، الدَّعْوَةُ الْحَسَنَى هُوَ دَعْوَةُ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ طَرّاً مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى لَدُنِ إِبْرَاهِيمَ وَمَا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ وَلَكِنْ صَارَ إِبْرَاهِيمَ عِنْوَاناً لِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَصَارَ عِنْوَاناً لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فِي آيَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهَنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ لا أقف عند هذه الآيات فقد وقفت عندها في برنامج قرآنا ويمكن لمن يريد أن يراجع حلقات البرامج السابقة كل البرامج موجودة على موقعنا الإلكتروني موقع قناة الموّدة الفضائية ﴿١١﴾ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهَنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي ﴿١٢﴾ هنا بدأت الدعوة ﴿١٣﴾ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَإِذِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴿١٥﴾ إمامنا الصادق قال هي ثمرات القلوب هذه الثمرات ﴿١٦﴾ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٧﴾ هذه ثمرات القلوب التي جاء ذكرها في موطنٍ آخر في سورة إبراهيم ﴿١٨﴾ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴿١٩﴾ هذي هي ثمرات القلوب التي يتحدث عنها إمامنا الصادق عليه السلام.

هذه الآية السادسة والعشرون بعد المئة من سورة البقرة ﴿٢٠﴾ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢١﴾ إمامنا الصادق قال: هي ثمرات القلوب وهو يشير إلى ما جاء في سورة إبراهيم في الآية السابعة والثلاثين ﴿٢٢﴾ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴿٢٣﴾ في روايات أهل البيت يقولون نحن الذين تهوي إلينا وهوت إلينا أفئدة الناس ﴿٢٤﴾ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴿٢٥﴾ إليهم مجموعة مشخصة ﴿٢٦﴾ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴿٢٧﴾ في سورة البقرة حين يقول ﴿٢٨﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ ﴿٢٩﴾ ثم تقول الآية ﴿٣٠﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴿٣١﴾ روايات عن أهل البيت تقول منهم يعني من أهل البيت وأبعث فيهم في أهل البيت ﴿٣٢﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴿٣٣﴾ هذه المعاني لا تنطبق حقيقةً إلا على أهل البيت ونفس الكلام في سورة إبراهيم في الآية الخامسة والثلاثين ﴿٣٤﴾ وَإِذِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ فمن الذين جنبوا عبادة الأصنام هل هناك غير مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ جنبوا عبادة الأصنام؟

﴿٣٦﴾ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٧﴾ إلى أن يقول: ﴿٣٨﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴿٣٩﴾

هذه الثمرات ثمرات القلوب كما يقول إمامنا الصادق، قطعاً في أفق من آفاق معاني هذه الآيات.

في سورة الشعراء في الآية الرابعة والثمانين والتي قبلها إبراهيم يدعوا ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ هذا الدعاء في أول أمره في أول دعوته للتوحيد ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ هذا في أول الدعوة ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ متى كانت الاستجابة؟ في سورة مريم في الآية الخمسين الآيات التي قبلها تتحدث عن إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ اعتزل قومه عشيرته ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ يعني لإبراهيم وللأنبياء من ولده ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ والروايات واضحة عليّ هنا علّينا صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ وهذا المعنى أنت تقرأه في دعاء الندبة، في زيارات أمير المؤمنين هذه المعاني واضحة وجلية ولا أجد وقتاً أن أشير إليها، الروايات كثيرة في هذا المطلب.

﴿وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحَسَنَى﴾ فأهل البيت هم دعوة الأنبياء التي تجلت في دعوة إبراهيم ولذلك القرآن مراراً وتكراراً كما لاحظنا في الآيات وهو يُحدّثنا عن دعوة إبراهيم، هذه الدعوة التي تجلت في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم الدعوة الحسنى بمعنى أبعد وبمعنى أعمق هم الأسماء الحسنى، مر علينا قبل قليل في الحديث الذي تلوته في الجزء الرابع أنه خلق اسماً بالألفاظ غير منعوت، بالحروف غير منعوت وبالألفاظ غير منطلق المثل الأعلى في الكتاب الكريم في سورة الأعراف في الآية مية وثمانين من سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ونفس المضمون في سورة الإسراء في الآية العاشرة وهذه الآية ذكرت في الحديث الذي قرأته على أسماعكم ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لنذهب إلى روايات أهل البيت هذا هو الجزء الثالث من تفسير البرهان، لنقرأ في كلمات أهل البيت ماذا قالوا؟

الرواية يرويها شيخنا الكليني، عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنی، والمثل الأعلى، والدَّعْوَةُ الحُسْنَى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الدعوة الحسنى هي الدعوة بالأسماء الحسنی ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا.

الرواية أيضاً عن إمامنا الرضا هذه الرواية عن إمامنا الصادق الرواية ينقلها العياشي في تفسيره عن إمامنا الرضا: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ - الإمام يقول: - إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا - يا شمس الشموس ويا أنيس النفوس سيدي يا غريب الغرباء يا مُغيث الشيعة والزوار في يوم الجزاء نستعين بك أن تُنيرَ قلوبنا بمعرفتك بمعرفة إمام زماننا معرفة مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، نستعين بك على أن نكون في ليلنا وفي نهارنا في فنائكم الطاهر، نستعين بك ونعوذ بك يا ابن رسول الله أن تأتي علينا ساعة من الساعات فنكون في الصف الذي يعاديكم، نلجأ إليك يا ابن رسول الله - إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله عزَّ وجلَّ وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ثم يقول: قال أبو عبد الله: -

يعني الإمام الصادق - نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحدٍ إلا بمعرفتنا.

رواية جميلة ينقلها المُحدِّث البحراني عن الشيخ المفيد، رواها في كتابه الاختصاص، عن أبي جعفر، عن إمامنا الباقر، قال: سمعتُ جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلتُ يا رسول الله ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ فقال: ذاك نفسي، قلت: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال: هما روحي وفاطمة أمهما أبنتي يسوؤني ما أساءها ويسرني ما سرها، أشهدُ الله أني حربٌ لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم يا جابر إذا أردت أن تدعوا الله فيستجيب لك فأدعه بأسمائهم فإنها أحب الأسماء إلى الله عزَّ وجلَّ - هذه أسمائهم التي هي من مظاهر الأسماء الحسنی هم الأسماء الحسنی أما أسمائهم فهي أسماء مظاهر الأسماء الحسنی - يا جابر إذا أردت أن تدعوا الله فيستجيب لك فأدعه بأسمائهم فإنها أحب الأسماء إلى الله عزَّ وجلَّ - هم الأسماء الحسنی كما يقول إمامنا الصادق: نحن والله الأسماء الحسنی - السلام عليكم سادتي أئمتي، السلام على المثل الأعلى والدعوة الحسنی، الدعوة الحسنی هي دعوة إبراهيم والدعوة الحسنی هي ما يتجلى فيهم من أسماء الله الحسنی والآية أشارت إلى ذلك ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهكذا قال إمامنا الصادق: نحن والله الأسماء الحسنی - السلام عليكم سادتي السلام على المثل الأعلى والدعوة الحسنی.

أصلاً في الكتاب الكريم هذا العنوان عنوان الحسنى عنواناً خاصاً بأهل البيت، الدعوة الحسنى دعوة إبراهيم، الأسماء الحسنى هم الأسماء الحسنى كما قال الصادق عليه السلام وهم الحقيقة الحسنى، الدعوة الحسنى يعني الديانة الحسنى، يعني دين الإسلام، دعوة إبراهيم الدعوة الحسنى التي تجلت فيهم، الأسماء الحسنى هم الأسماء الحسنى كما قال صادقهم وهم الحقيقة الحسنى هم حقيقة الولاية حقيقة الدين، حين نقرأ في الكتاب الكريم ونحن إلى أين نذهب؟ نحن من الكتاب إلى العترة ومن العترة إلى الكتاب ولا أبقانا الله ليوم لا نعيش فيه هكذا ونأخذ ديننا من الكتاب والعترة، لا أبقانا الله ليوم مثل هذا اليوم.

في سورة الليل ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغُشَىٰ * وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ سعي الناس شتى ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغُشَىٰ * وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ كما هناك ليل وهناك نهار فسعيكم شتى يا بني البشر ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغُشَىٰ * وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ: اتقى والتقوى ولاية علي ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ اليسرى ولاية علي والحسنى ولاية علي ولكنها مراتب، مراتب المعرفة، هناك معرفة هي مرتبة الحسنى وهناك معرفة هي مرتبة اليسرى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ وهناك مرتبة هي التقوى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ التقوى ولاية علي ﴿ فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ اليسرى ولاية علي ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ كذب بالحسنى هناك شيء اسمه الحسنى يكذبون به ﴿ فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ هناك شيء اسمه الحسنى، والدعوة الحسنى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ هناك دعوى اسمها الدعوة الحسنى فهناك من يصدق بها وهناك من يكذب بها - والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ كذب بالدعوة الحسنى ما هي هذه الحسنى التي يكذب بها؟ أليس هي دعوة أليس فكرة عقيدة: ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ ماذا يقول أئمتكم في ذلك؟ أئمتكم يقولون ويقولون ويقولون.

الرواية عن إمامنا الصادق في تفسير علي بن إبراهيم القمي رضوان الله تعالى عليه، في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ﴾

مَنْ أَعْطَى وَآتَى * وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِيِّ * قَالَ: بِالْوَلَايَةِ * فَسَنَيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى * - لأرقى المراتب - * وَأَمَّا مَنْ
بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِيِّ * قَالَ: بِالْوَلَايَةِ - كَذَبَ بِالْوَلَايَةِ - * فَسَنَيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى * وإلا بالله
عليك ما معنى الحسنى هنا؟ أقرأ السورة أنت، أنتم الآن في شهر رمضان وهذا هو شهر القرآن، هذا هو
ربيع القرآن أقرأه لا تهتموا بالمد وبالقلقلة وبالوقف وبمثل هذه الأشياء التي يشغل بها الآن الكثيرون، أبحثوا
عن عليّ في القرآن، فهذا قرآنكم الصامت فابحثوا عن قرآنكم الناطق بين هذه الآيات الصامتة، ابحثوا عن
عليّ، أقرأوا سورة الليل وحكّموا وجدانكم ما معنى وصدق بالحسنى؟ ما هي هذه الحسنى التي يصدق بها
الناس ويكذبون بها * وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِيِّ * * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * هناك من يصدقون بالحسنى وهناك من
يكذبون بالحسنى ما هي هذه الحسنى؟ حتى لو لم نرجع إلى الروايات: الحسنى هي ولاية عليّ، الحسنى هي
حقيقة الدين، فمن صدق بالحسنى من صدق بحقيقة الدين فذلك هو الإيمان، ومن كذب بالحسنى، فمن
صدق بالحسنى أين عاقبته؟ * وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِيِّ * فَسَنَيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى * * وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِيِّ * فَسَنَيْسِرُهُ
لِلْعُسْرَى * وهل العسرى إلا الابتعاد عن جادة الصواب عن جادة عليّ وآل عليّ، فهناك اليسرى وهناك
العسرى، اليسرى مع عليّ والعسرى مع غيره.

الرواية عن أبي عبد الله الجدلي قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: ألا أخبرك بالحسنة التي من
جاء بها آمن من فزع يوم القيامة والسيئة التي من جاء بها كُوب على وجهه في نار جهنم؟ قال بلى يا
أمير المؤمنين، قال: الحسنه حينا أهل البيت والسيئة بغضنا أهل البيت - والروايات كثيرة أنا اخترت
مجموعة من الروايات لكنني لا أجد وقتاً لقراءتها أو أن أتلوها على مسامعكم لكنها كلها تدور في هذا
المضمون هم الدعوة الحسنى * وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِيِّ * صدق بعليّ وآل عليّ، صدق بهذه الدعوة، صدق
ب هؤلاء الذين نسلم عليهم: وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحَسَنِيِّ.

السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى، وَذَوَى النَّهْيِ، وَأَوْلَى الْحَجَى، وَكَهْفِ
النُّورِ، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحَسَنِيِّ وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى
وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ - بقيت هذه العبارات وهي بحاجة إلى شرح كثير لكنني سأوجز الكلام فيها - وَحُجَجِ
اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا - الحُجَجِ جمعُ الحُجَّةِ والحُجَّةُ هو البرهان، وما تقدم من كل المعاني هو تفسيرٌ وشرحٌ
لمعنى الحُجَّةِ لذا لن أقف هنا لأن اشرح معنى الحُجَّةِ ما تقدم من أول الزيارة كل العبارات أقرأ عليكم ما مر
من الزيارة فذلك هو تفسير الحجة:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخَزَانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأَمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعَمِ، وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِثْرَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتَهُ، السَّلَامُ عَلَى أَيْمَةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التَّقَى، وَذَوَى النَّهْيِ، وَأَوْلَى الْحُجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحَسَنَى...

كل هذه المعاني كل هذه العناوين وكل الشرح الذي تقدم تلخصه هذه العبارة: وَحُجَّجِ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى. الدنيا واضح معناها هذه التي نحن نعيش فيها، ما نسميها بعوالم الشهادة العوالم الحسية العوالم الطبيعية، ليس فقط الكرة الأرضية، الدنيا هو هذا الأفق الواسع من العالم الطبيعي، هذه المجرات والسموات كل هذا هو عالم الدنيا، عالم الدنيا هو العالم الذي دون السماء الأولى دون السماء الدنيا، ما دون السماء الدنيا هو عالم الدنيا، وإلا ليس المراد من عالم الدنيا الأرض فقط، ما الأرض إلا ذرة صغيرة في هذا العالم، عالم الدنيا هو العالم الذي هو دون السماء الدنيا، فهم حجج الله على أهل الدنيا، أهل الدنيا في الأرض وفي كل المجرات في كل هذا العالم الواسع، ونحن من خلال الروايات نجد أن الله الكثير الكثير من المخلوقات في هذا العالم في العالم الدنيوي، ليس في الأرض وإنما في هذا العالم الفسيح، الروايات تحدثنا عن ذلك، تحدثنا عن كثير من المخلوقات عن أعداد هائلة جداً من المخلوقات موجودة في هذا العالم الفسيح في العالم الدنيوي وهو العالم الذي دون السماء الدنيا.

هم حُجَّجِ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي نَعْرِفُهَا، الَّتِي لَا نَعْرِفُهَا، الَّتِي نَسْمَعُ أَصْوَاتَهَا وَالَّتِي لَا نَسْمَعُ أَصْوَاتَهَا، الَّتِي نَتِمَكَّنُ مِنْ رُؤْيَيْهَا إِنْ كَانَ ذَلِكَ بِالْبَصْرِ أَوْ بِالْعَقْلِ وَالَّتِي لَا نَتِمَكَّنُ مِنْ رُؤْيَيْهَا لَا بِالْبَصْرِ وَلَا بِالْعَقْلِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْحُجَّةِ الْإِطْلَاقِيَّةِ، الْآنَ الزِّيَارَةُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْحُجَّةِ الْإِطْلَاقِيَّةِ مِثْلَ مَا تَقْدَمُ الْكَلَامُ عَنِ الْإِرَاءَةِ الْإِطْلَاقِيَّةِ الشَّهَادَةِ الْإِطْلَاقِيَّةِ الْوَلَايَةِ الْإِطْلَاقِيَّةِ هَذِهِ الْحُجَّةُ الْإِطْلَاقِيَّةُ مَطْلُوقَةٌ مِنْ دُونَ قِيُودِ مَنْ دُونَ حُدُودِ - وَحُجَّجِ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا - حُجَّجِ مَطْلُوقَةٌ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا عَلَى كُلِّ مَا فِي الْعَوَالِمِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَا دُونَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا - عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - الْآخِرَةُ هِيَ الْعَالَمُ الْآخِرِيُّ أَوْ الْمَرَادُ هُوَ مَا يُقَابَلُ الْعَالَمُ الدُّنْيَوِيُّ مَا يُقَابَلُ الْعَالَمُ الدُّنْيَوِيُّ يَعْنِي السَّمَاوَاتِ الْعَوَالِمِ الْآخِرِيِّ أَوْ الْمَرَادُ الْعَالَمُ الْآخِرِيُّ - وَحُجَّجِ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى - مَا الْمَرَادُ مِنَ الْأُولَى؟ إِذَا هُنَاكَ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ: الْأُولَى هِيَ الْمَرَاتِبُ الْعَالِيَةُ يَعْنِي أَوَّلَ الْخَلْقِ الثَّانِي، أَيْسَ هُنَاكَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَمِنْ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ تَجَلَّى الْخَلْقِ الثَّانِي وَأَوَّلُ مَا تَجَلَّى مِنَ الْخَلْقِ الثَّانِي السُّرَادِقَاتِ وَالْحُجُبِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ، الْأُولَى هِيَ تَلَكُمُ الْمَرَاتِبُ الْعَالِيَةُ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ الثَّانِي يَعْنِي الْعَوَالِمِ

العلوية ما قد يصطلح عليه بالملكوت الجبروت اللاهوت ما يقع في هذه العناوين، ما يقع تحت عنوان الملكوت في مصطلحات العرفاء في مصطلحات الصوفية الفلاسفة ملكوت جبروت لاهوت هذا العالم الذي نحن فيه يسمى بعالم الناسوت بحسب اصطلاحهم نسبةً إلى الناس، يعني عالم ما دون السماء الدنيا سمي هكذا بعالم الناسوت اصطلاحاً، والعالم الأخرى التي فوق هذا العالم سميت أيضاً على مراتب منها ما سمي بمراتب الملكوت مراتب الجبروت مراتب اللاهوت.

الأولى هي هذه العوالم - وَحُجِّجِ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأُولَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - مر الكلام فيها وإن كان هنا يمكن أن ننظر إلى حيثية أخرى إلى عناية أخرى، يعني حينما نقول في كل مقطع السلام عليكم يمكن أن نجد عناية أخرى في معنى السلام وعناية أخرى في معنى قول الزيارة - وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - لكن ذلك يحتاج إلى تطويل في الكلام وأنا أحاول أن اختصر المطالب حتى لا تتشعب على المشاهدين أكثر والمتابعين خصوصاً وإني أعلم هناك الكثير من الأخوة والأخوات ممن يكتبون ويتابعون ويتباحثون في هذه المعاني فلا أريد أن أشتت أذهانهم بكثرة التفاصيل - وَحُجِّجِ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا - هذه الدنيا - وَالْآخِرَةِ - عوالم الآخرة - وَالْأُولَى - العوالم العلوية ما بعد عالم الناسوت من طبقات عوالم الملكوت والجبروت واللاهوت.

هناك رواية يرويها شيخنا المجلسي في الجزء الثامن من بحار الأنوار ينقلها عن كتاب الخصال لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، عن جابر بن يزيد - جابر الجعفي حامل أسرار أهل البيت - قال: سألت أبا جعفر - إمامنا الباقر صلوات الله عليه - عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ - أنتم تلاحظون إما أن نذهب إلى القرآن وإما أن نرجع للروايات فنجد أن الروايات مفعمة بآيات القرآن، فنحن ما بين قرآن وبين عليٍّ وآل عليٍّ وتلك نعمة لا نستطيع أن نشكرها - عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فقال: يا جابر تأويل ذلك أن الله عزَّ وجلَّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم - يعني العالم الدنيوي ما دون السماء الدنيا - أن الله عزَّ وجلَّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عزَّ وجلَّ عالماً غير هذا العالم - مرت علينا الروايات من الذي يُسكِنُ أهل الجنة في جناتهم في الحلقة الماضية إن الله ينادي عليّاً يأمر عليّاً أن يُسكِنَ أهل الجنان في جناتهم وأهل النيران في نيرانهم وهنا الإمام يشير إلى تلك الحقيقة - أن الله عزَّ وجلَّ إذا افنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عزَّ وجلَّ عالماً غير هذا العالم - ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ

هُمُ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٠٠﴾ - جدد الله عزَّ وجلَّ عالماً غير هذا العالم - بعد إفناء هذا العالم - ووجد خلقاً من غير فحولةٍ ولا إناثٍ يعبدونه ويوحدونه - الملائكة هذه أوصافهم الملائكة ليس فيهم لا ذكران ولا إناث لا يوجد تزواج بين الملائكة لا يوجد توالد وتناسل، فلربما من الملائكة أو ربما من خلقٍ يشبه الملائكة - ووجد خلقاً من غير فحولةٍ ولا إناثٍ يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماءً غير هذه السماء تظلمهم لعلك ترى أن الله عزَّ وجلَّ إنما خلق هذا العالم الواحد؟ - هذي رؤيا محدودة للبشر - وترى أن الله عزَّ وجلَّ لم يخلق بشراً غيركم؟! بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف عالم وألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين - الإشارة هنا ليس للقضية الزمانية، الإشارة لكل العوالم في كل عالم هناك آدم، آدم لا بالمعنى البشري بمعنى الاستخلاف والرواية عميقة أنا لا أريد الآن الدخول في شرح الرواية ولكن هذه الرواية تشير إلى هذا المعنى، تشير إلى هذه العوالم الممتدة العوالم الأولى العوالم الآخرة العوالم الدنيا العوالم التي ستتغير.

أهل البيت هم حُجَّةٌ مطلقة على العوالم الآن والعوالم التي ستأتي، وهناك روايات كثيرة تشير إلى هذا المعنى. أنا أكتفي بهذا القدر أسألكم الدعاء جميعاً وإن شاء الله ألتقيكم في حلقة قادمة على مودة عليٍّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، في أمان الله.

الحلقة التاسعة عشر

معنى السَّلَامِ على محالِّ معرفةِ اللهِ ومساكنِ بركةِ اللهِ ومعادنِ حكمةِ اللهِ

السلام عليكم جميعاً أولياءِ عليٍّ وآلِ عليٍّ ورحمةِ اللهِ وبركاته هذه الحلقة التاسعة بعد العاشرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، عَظَّمَ اللهُ أجوركم فهذه أيامُ سيد الأوصياءِ وتَقَبَّلَ اللهُ طاعاتكم كلامنا متواصلٌ في زيارتنا الجامعة الكبيرة في هذا القول البليغ الكامل الذي فاضت به شفاه إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات اللهُ وسلامه عليه، في الحلقة الماضية تم الكلام في المقطع الثاني من المقاطع الرئيسة في هذه الزيارة الشريفة، الزيارة كما تعلمون وذكرت ذلك مراراً في الحلقات الماضية تبتدئُ بخمسة مقاطع هذه المقاطع هي الأصول هي القواعد هي الأسس في فهم بقية ما جاء مذكوراً في هذه الزيارة وحتى في فهم بقية الزيارات، مرَّ علينا الكلام في مقطعين.

المقطع الأول:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ التُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهِيْطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخِزَانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولِ الْكَرَمِ، وَقَادَةَ الْأَمَمِ، وَأَوْلِيَاءِ النَّعْمِ، وَعَنَاصِرِ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمِ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانِ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابِ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءِ الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِثْرَةَ خَيْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

المقطع الثاني:

السَّلَامُ عَلَى أئِمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، وَأَعْلَامِ التُّقَى، وَذَوِي النُّهَى، وَأَوْلَى الْحِجَى، وَكَهْفِ الْوَرَى، وَوَرِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، وَالِدَعْوَةِ الْحُسْنَى، وَحُجَجِ اللهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

تمَّ الكلام في هذين المقطعين في الحلقات الماضية وأشرع اليوم في المقطع الثالث من المقاطع الخمسة الأول من هذه الزيارة الكريمة ماذا يقول مقطعنا الثالث؟ السَّلَامُ عَلَى محالِّ معرفةِ اللهِ، ومساكنِ بركةِ اللهِ، ومعادنِ حكمةِ اللهِ، وحفظَةِ سرِّ اللهِ - هذه العناوين الأربعة تتعاقب فيما بينها في الدلالة والمضمون والفحوى والمعاني - السَّلَامُ عَلَى محالِّ معرفةِ اللهِ، ومساكنِ بركةِ اللهِ، ومعادنِ حكمةِ اللهِ، وحفظَةِ سرِّ

الله - أقف عند هذه العناوين من عناوين آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، أبيتُ ما أستطيع بيانه بحسب ما يسنح به المجال.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، أعتقد أن الكلمات من الجهة اللغوية واضحة ولكن بشكلٍ موجز أقول مَحَالَّ جَمْعٌ لِحَلٍّ ومحل هو اسمٌ مكانٍ للحلول، حينما يكون هذا المكان محلاً لي فإني قد حللت فيه، هذا إذا كان الحديث عن الأشياء التي لها أبعاد مادية التي لها أجسام، وأما إذا كان الحديث عن معنىٍ أعمق من ذلك خصوصاً حين يكون الكلام ما وراء الأجسام ما وراء الحدود المادية فإن الحديث سينتقل إلى جهةٍ أخرى، البحث يتوجه باتجاهٍ آخر وهو التجلي تقول المحال يعني المجالي، المجالي يعني الوجودات الموجودة التي هي في حقيقتها كالمرائي تتجلى فيها آيات الله سبحانه وتعالى، مرآيا تتجلى فيها الأسماء الحسنى والصفات العليا - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - المعرفة في لغة العرب قد تأتي بمعنى العلم وقد تأتي بمعنى الخبرة، المعرفة في اللغة هذا، المعرفة هي العلم والمعرفة قد تأتي بمعنى الخبرة، لكن الكلام هنا عن المعرفة في بُعدٍ أعمق من المعنى اللغوي - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - وفقاً للبعد اللغوي وللتركيب اللغوي حين نقول: السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - نحن نسلّم على الجهات على الأماكن على الموجودات التي هي محلّ لمعرفة الله سبحانه وتعالى، هذا في المعنى اللغوي بشكلٍ مجمل لكننا لا نقف عند هذا المعنى، المعاني اللغوية في ساحة المعارف الإلهية ليست بشيء، هذه قشور وقشور القشور، الكلام عن المعرفة في بعده الأول في بعده الإنساني المعرفة في الأفق الذي نحن نعيش فيه، المعرفة في الأفق الإنساني في الأفق الإنساني الاعتيادي لأمثالنا، المعرفة هي غير العلم.

العلمُ صورٌ تنطبع في الذهن معلوماتٌ تُخْتَزَنُ في ذاكرة الذهن، صورٌ وإشاراتٌ تتمازج ما بين المخ والدماع وما بين العقل باعتبار أن المخ إنما هو يمثل الجانب الجسدي للعقل، العقل ليس في البدن، العقل إشعاعٌ في الروح، العقل قدرةٌ نوريةٌ مودعة في الروح، الروح فيها من القدرات المعنوية ومن القدرات النورية من جملتها قدرة العقل كما أن الروح فيها قدرة القلب والقلب يتجلى يتجسد جسدياً في هذا الموجود الذي نخزنه بين أضلاعنا، القلب ذلك الذي يُعَرِّفُهُ الأحيائيون بأنه ذلك الجسمُ الصنوبري الشكل الذي تكون قاعدته إلى الأعلى ورأسه إلى الأسفل وهو مضخة الدم التي نحتفظ بها في صدورنا بين الأضلاع، نحتفظ بها تحت شغافٍ هذا القلب هو الذي يتمازج مع الروح ليشرق منه معنى الوجدان ومعنى العاطفة ولتأجج فيه المشاعرُ والأحاسيسُ والمحبةُ والبغضُ إلى كل ذلك من هذه المعاني، وهناك يختبئ الضمير هناك يختبئ الضمير الإنساني ذلك الذي قالوا عنه بأنه صوتُ الحق في أعماق الإنسان يختبئ في طوايا القلب، هذا القلب الذي هو جسدٌ لحقيقة القلب المعنوي في الروح، قلب الإنسان في بعده الحقيقي في روحه وعقل

الإنسان كذلك، لكن كما أن الإنسان يتجلى جسدياً بهذا الجسد بهذا الجسم وحقيقته في روحه ما وراء الجسم فقلبه كذلك وعقله أيضاً يتجسد في المخ، العلم صورة تنطبع في الأذهان وتوجد لها إشارات كيميائية وأمواج مرسله إلى المخ وبالتعاون ما بين القوة الروحية القادرة على التمييز وهي قدرة العقل وما بين طوايا وصفحات المخ هناك تكون الصورة العلمية، أما المعرفة فهي أبعد من ذلك، المعرفة صور تنطبع في الذهن، صور تنطبع في العقل في أعلى درجات الوضوح، وفي نفس الوقت تنطبع في القلوب في الوجدان، هذه هي المعرفة صور واضحة جداً في العقل مع صور واضحة جداً في القلب، حينما تتعانق هذه الصور بنفس الدرجة بنفس المرتبة تلکم هي المعرفة لأن الصور العقلية صور جامدة خالية من البعد الوجداني، المعرفة هي علم ووجدان وتلك هي حقيقة الإيمان الإيمان معرفة والمعرفة إيمان، الإيمان ليس عقلياً وليس قلبياً، الإيمان سرٌ عجيبٌ وخلطة لا تماثلها خلطة، إنها مزيجٌ ما بين العقل والوجدان حيث تنطبع الصور والحقائق في عالم العقل تتجسد بإشاراتٍ ذهنية وتنتقل هذه الصور وهذه الإشارات إلى عالمٍ فسيحٍ عجيب لا تمتلك عباراتٍ لوصفه إنه عالم الوجدان ذلك العالم الذي يتواصل مع الله هناك تنطبع الصور، حيثما تعمقت هذه الصور واضحة جلية وتعانقت مع صورها مع النسخة الأخرى في العالم العقلي هناك المعرفة وهناك الإيمان ولذلك فالإيمان قدرة إدراكٍ تختلف عن قدرة الإدراك العقلي وعن قدرة الإدراك الوجداني.

إذا أردنا أن نكون منصفين في البحث، الإنسان يمتلك قدرة العقل ويمتلك قدرة الوجدان ويمتلك قدرة الإيمان، وبقدر ما يتم التواصل بين العقل وبين الوجدان ينشأ الإيمان يتعرع الإيمان وينمو إلى الدرجة التي ينظمس فيها العقل في الوجدان والوجدان في العقل فذلك هو اليقين وهذا المعنى يمكن أن يبلغ إليه من كان في مرتبة سلمان، سلمان الذي أوتي العلم الأول والعلم الآخر هكذا وصفته كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا هو الكلام عن المعرفة في الأفق الإنساني الاعتيادي في أفق الأشياء والأتباع لا في أفق أهل البيت، فما أدراني بعقل أهل البيت وما أدراني بقلوبهم، هنا أتحدث عن عقلٍ كعقلي وعن قلبٍ كقلبي أتحدث عن عقولنا وعن قلوبنا أما حين يكون الحديث عن عقلٍ كعقل عليٍّ أو عن قلبٍ كقلب عليٍّ فما أدراني بذلك، أنا عاجزٌ عن أن أعرف ما يدور في كُنه عقل الذي بجاني لأن لكل عقلٍ نحو من الممازجة ونحو من المعاملة مع ما فيه من المعلومات ليست العقول كلها تتفاعل مع معلوماتها بنفس الدرجة وبنفس الكيفية، العقول متباينة، إني أجهل أن أعرف كيف يتمازج أو يتفاعل عقل هذا الذي بجاني من أمثالي فأني لي أن أعرف كيف يتمازج أو يتفاعل عقلٍ عليٍّ ذلك العقل الإحاطي، ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه، ذلك العقل الإحاطي هو العقل الذي تمازجت فيه حقائق الروح مع حقائق الوجدان فكان عليٍّ حقيقة واحدة فكان مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآل حقيقةً واحدة في بعدها في جوهرها العميق لا أريد أن أذهب بعيداً في هذه المعاني إنما أردت أن أعطيكم صورة مجملة عن معنى المعرفة -

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - هذا هو المعنى المجمل لمعنى المعرفة، حين نخاطبهم فنقول: السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - هناك أكثر من أفق وهناك أكثر من اتجاه في هذه المخاطبة معهم صلوات الله عليهم - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - في أفقٍ يتناسب معنا نحن، فهم الجهة التي نأخذُ منها معرفة الله، هم الجهة التي تمدنا تفيض علينا بمعرفة الله سبحانه وتعالى، والزيارة الجامعة الكبيرة تفيضُ بهذه المعاني، ماذا تقول الزيارة الجامعة الكبيرة ونحن نخاطبهم: فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ - وهنا موطن الشاهد - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ - وهل هذا إلا معنى أنهم محال معرفة الله، أنهم محل معرفة الله في بعض نسخ الزيارة الجامعة الكبيرة: السلام على محل معرفة الله، والمعنى واحد لا نريد الدخول في التفاصيل اللغوية - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ - وهل الحقُّ إلا معرفة الله؟!!

فهم محال معرفة الله، غاية ما في الأمر هذه العبارة تفسرُ هذا العنوان: السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - ما المراد من محال معرفة الله؟ أن الحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم وهم أهله ومعنده، محل المكان الذي حلت فيه المعرفة فكيف كانت المعرفة؟ كانت معهم - وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ - ولذلك الزيارة الجامعة الكبيرة في مقطعٍ آخر ونحن نخاطبهم: بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي - الخطاب مع آل مُحَمَّد - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - هذه العبارة هي أيضاً تشرح معنى محال معرفة الله في الأفق الأول أنهم الجهة التي نأخذُ منها المعرفة، معرفتنا بالله منهم تأتي إذا لم تأتي منهم فتلك ضلال وما تلك بمعرفة - مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - يعني الذي لا يبدأ بكم فإنه لا يريد الله - مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ - الذي لا يبدأ بكم فإنه لا يريد الله - وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنْكُمْ - يعني الذي لا يقبل عنكم فما وحد الله - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - يعني من لم يتوجه بكم ما قصد الله، إذاً البداية والتوحيد والقصد والحق والمعرفة من أين تأتي؟! من محال المعرفة، أنت تريد أن تنال المعرفة؟ هناك جهة هذه الجهة هذه أوصافها الحقُّ معها وفيها ومنها وإليها وهي أهله ومعنده، وهذه الجهة هكذا نتعامل معها من أرد الله يبدأ بها لا بد أن يبدأ بها ومن وحد الله لا بد أن يقبل عنها أن يأخذ منها ومن أراد القصد إلى الله لا بد أن يتوجه بها، المعنى أوضح وأدق حين تقول الزيارة: بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - نقطة وانتهى الكلام، أصلاً إذا وقفنا عند هذه العبارة وتشبعت بها القلوب لا حاجة إلى أن أستمِر في الحديث - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - نقطة انتهى الكلام لا حاجة أن أبدأ بسطرٍ جديد لا كما يُقال نقطة فلنذهب إلى رأس السطر إلى سطرٍ جديد لنفتتح الكلام من جديد - بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - نقطة انتهينا رُفِعَتْ

الأقلام وجفت الصحف كما كان يقول صلى الله عليه وآله وسلم حين يذكر كلاماً يتم فيه المعنى فماذا يقول؟ يقول رُفعت الأقلام وجفت الصحف.

بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ - رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ، ولذلك حين يتمازج العقل مع القلب في معرفة الوجدان والإيمان عبارات هنا عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة هي ممازجة بين عالم العقل وبين عالم الوجدان ممازجة غريبة وعجيبة، خلطة سرية، خلطة سحرية لا يتمكن الواصف من أن يصفها، ممازجة غريبة في هذه الزيارة ما بين عوالم العقل وما بين عوالم الوجدان تغوص بعيداً في أغوار خلجات النفس البشرية لذلك تتسامى المعاني إلى أن يقول الزائر وهو في حيرة بين سطوع البرهان العقلي وبين عدوبة المعنى الوجداني، فحين تتعاقب الحجج العقلية مع المعاني النقية الطاهرة التي تنفتحها القلوب يذهب الإنسان بعيداً في حيرته ولكن في حيرة لذيذة، في حيرة أحلى من طعم العسل وهو يقول: بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ - الحديث هنا يتجاوز البحث العقلي والبحث الوجداني، هذا هو حديث المعرفة، هذا هو حديث الممازجة بين العقل والقلب - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ وَأَثَارُكُمْ فِي الْأَثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحَلَى أَسْمَاءُكُمْ - هنا يقف العقل البشري مع الوجدان البشري يطوف في هذه المعاني.

هذه العبارات لا على نحو التحديد هذه العبارات بسبب طواف العقل والقلب في تلكم الحقائق المقدسة، اللغة هنا تقف عاجزة لكن هذه العبارات هي أبلغ ما تكون فهذا هو القول البليغ الكامل، العقل والقلب هنا يطوف في هذه الدائرة المقدسة - بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الدَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النَّفُوسِ وَأَثَارُكُمْ فِي الْأَثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحَلَى أَسْمَاءُكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسُكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَّ خَطْرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ كَلَامُكُمْ نُورٌ - وهذا هو كلامهم - كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمْ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمْ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمْ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمْ الْكِرَمُ وَشَأْنُكُمْ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحُتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ إِنَّ ذِكْرَ الْخَيْرِ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلَهُ وَفِرْعَهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ - ولو كانت هناك عبارات أخرى لجيء بها - إِنَّ ذِكْرَ الْخَيْرِ كُنْتُمْ أَوْلَهُ وَأَصْلَهُ وَفِرْعَهُ وَمَعْدِنُهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمَّيْ وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُمْ - ليس هناك من طريق إلا الإيمان، والإيمان الممازج بين العقل والوجدان وتلكم هي المعرفة، وهذا في أفق المعرفة التي نحن نعيشها، وإلا في أفق معرفة أهل البيت المعاني مختلفة.

هذا هو الجزء الرابع والعشرون من كتاب بحار الأنوار أقتطف بعضاً من كلمات الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن الاحتجاج لشيخنا الطبرسي رحمة الله عليه، عن الأصبع بن نباته قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين قول الله عز وجل: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ - يسأله عن معنى هذه الآية - فقال سيد الأوصياء: نحن البيوت التي أمر الله أن تأتي من أبوابها نحن باب الله وبيوته التي تأتي منها - بيوت، محال المعرفة، هم بيوت الله، هم محال معرفة الله - نحن البيوت التي أمر الله أن تأتي من أبوابها نحن باب الله وبيوته التي تأتي منها فمن بايعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، فقال يا أمير المؤمنين: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ - سؤال عن آية ثانية والآيات مترابطة في الدلالة - فقال علي عليه السلام: فنحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا - موطن الشاهد هنا - ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار - هذه مظاهر، هذه آفاق لمعنى الأعراف - ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه وذلك بأن الله عز وجل لو شاء عرف الناس نفسه حتى يعرفوه ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يأتي منه قال فمن عدل عن ولايتنا وفضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون - الرواية واضحة في الدلالة والمعنى.

هم بيوت الله، بيوت محال، هم بيوت الله وهم أبواب الله، البيوت لها أبواب هذا في العالم الدنيوي في العالم الحسي في عالم الحقيقة هم بيوت الله وهم أبواب الله وهم معرفة الله، في المعنى الدقيق في المعنى العميق إذا أردنا أن نسلم على الأئمة فنقول: السلام على معرفة الله - هذا التعبير تعبير تقريبي - السَّلامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - فوجود أهل البيت وجودهم هو معرفة الله ومعرفة الله هو وجودهم ولكن ما يظهر لأمثالنا إنما هو بحسب عقولنا بحسب قدرات الإدراك الموجودة عندنا وإلا فهم بيوت الله وهم أبواب الله، أليس الأبواب هي غير البيوت؟ لكن هذا في الجانب الحسي فهم أبواب الله وهم بيوت الله والأبواب هي البيوت والبيوت هي الأبواب، وهذه البيوت بيوت المعرفة فالمعرفة هي البيوت والمعرفة هي الأبواب فالمعرفة هي الأبواب وهي البيوت والبيوت هي المعرفة وهي الأبواب والحقيقة هي هي، السلام على معرفة الله، هم معرفة الله سبحانه وتعالى وما المراد: السلام على معرفة الله، السلام على نور الله، هذا النور الساطع فيهم صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين والذي الإشارةُ إليه في دعاء الجوشن الكبير، ماذا نقرأ في دعاء الجوشن في المقطع السابع والأربعين وهذه ليالي دعاء الجوشن، دعاء الجوشن الكبير في المقطع السابع والأربعين: يَا نُورَ النَّوْرِ يَا مُنَوَّرَ النَّوْرِ يَا خَالِقَ النَّوْرِ يَا مُدَبِّرَ النَّوْرِ - هذه تجليات، هذه مراتب من التجليات - يَا نُورَ النَّوْرِ يَا مُنَوَّرَ النَّوْرِ يَا خَالِقَ النَّوْرِ يَا مُدَبِّرَ النَّوْرِ يَا مُقَدِّرَ النَّوْرِ يَا نُورَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا قَبْلَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا بَعْدَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا فَوْقَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُورٌ - هذه معرفة أهل البيت أنا لا أعرف أسرار هذه المعرفة لكنها إشاراتٌ تشير إلى معرفة أهل البيت، هذه معرفة أهل البيت، هذا المقام مقام أهل البيت في معرفة الله سبحانه وتعالى - يَا نُورَ النَّوْرِ يَا مُنَوَّرَ النَّوْرِ يَا خَالِقَ النَّوْرِ يَا مُدَبِّرَ النَّوْرِ يَا مُقَدِّرَ النَّوْرِ يَا نُورَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا قَبْلَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا بَعْدَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا فَوْقَ كُلِّ نُورٍ يَا نُورًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُورٌ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ هو هذا النور ﴿كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مُصْبِحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يَا نُورَ النَّوْرِ يَا مُنَوَّرَ النَّوْرِ يَا نُورًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُورٌ - هذه هي معرفة أهل البيت.

إشاراتٌ فقط الحقيقة ما هي؟ ذلك شيءٌ محجوبٌ عنا، هذا المعنى يتجلى في نَسَقٍ آخر في المقطع السابع والثلاثين، المقطع الذي مر علينا هو المقطع السابع والأربعون وحتى ترتيب هذه المقاطع هذا الترتيب ليس ترتيباً جزافياً هكذا، أدعية أهل البيت نظام دقيق وفيها شفرات فيها أسرار، هناك فيها شفرة خاصة، هذا في المقطع السابع والثلاثين فيما بين هذا المقطع وذلك المقطع عشرة - يا من كل شيءٍ خاضعٌ له يا من كل شيءٍ خاضعٌ له يا من كل شيءٍ كائنٌ له يا من كل شيءٍ موجودٌ به يا من كل شيءٍ منيبٌ إليه يا من كل شيءٍ خائفٌ منه يا من كل شيءٍ قائمٌ به يا من كل شيءٍ صائرٌ إليه يا من كل شيءٍ يسبح بحمده يا من كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه - كل هذه المعاني تتجلى في وجهه - يا من كل شيءٍ خاضعٌ له - كل شيءٍ خاضعٌ لوجهه - يا من كل شيءٍ خاشعٌ له - كل شيءٍ خاشعٌ لوجهه - يا من كل شيءٍ كائنٌ له يا من كل شيءٍ موجودٌ به يا من كل شيءٍ منيبٌ إليه يا من كل شيءٍ خائفٌ منه يا من كل شيءٍ قائمٌ به - هذه الأشياء كل شيءٍ خاضعٌ له أين تتوجه الأشياء بالخضوع؟ - يا من كل شيءٍ خاشعٌ له - أين تتوجه الأشياء بالخشوع؟ - يا من كل شيءٍ كائنٌ له - أين تتوجه الأشياء بكيونيتها؟ - يا من كل شيءٍ موجودٌ به - كيف تتقدم وتتقوم هذه الأشياء بوجودها؟ - يا من كل شيءٍ منيبٌ إليه يا من كل شيءٍ خائفٌ منه يا من كل شيءٍ قائمٌ به يا من كل شيءٍ صائرٌ إليه يا من كل شيءٍ يسبح بحمده يا من كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه - كل ذلك سيهلك ويهلك ولكن قبل هلاكه أين كان متوجهاً في خشوعه في

خضوعه في وجوده في كينونته في إنابته في خوفه وفي سائر المعاني، متوجهة إلى الجهة التي لا تهلك - يا من كل شيء هالكٌ إلا وجهه - هذا الوجه الذي جاء مذكوراً في المقطع السابع والثلاثين هو نفس هذه المعاني التي جاءت في المقطع السابع والأربعين - يا نور النور - هذا الوجه هو نور النور، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معرفتهم تختلف عن معرفتنا وسيتبين هذا من خلال ما سأأتي على بيانه في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أعود إلى الأفق الذي كنت أتكلم فيه وهو معرفتنا - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - السلام على الجهة التي تأتينا معرفة الله منها، الكلام عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في تفسير علي بن إبراهيم القمي - فمن عدل عن ولايتنا وفضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون فلا سواء من اعتصمت به المعتصمون لا سواء من اعتصم به الناس ولا سواء حيث ذهب من ذهب فإنما ذهب الناس إلى عيون كدرية يفرغ بعضها في بعض - عيون كدرية، العيون التي لا يأتيها الفيض ولا يأتيها النبع من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ من معدن الطهارة فإنها عيون كدرية في علمها في معرفتها - فإنما ذهب الناس إلى عيون كدرية يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية - هناك فرق بين هذه العيون وبين تلكم العيون - فإنما ذهب الناس إلى عيون كدرية يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري عليهم بإذن الله تعالى لا انقطاع لها ولا نفاذ.

عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمَاتٍ بِسِيمَاهُمْ﴾ قال يا سعد آل مُحَمَّدٍ - هؤلاء آل مُحَمَّدٍ - لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه وأعراف - هم أعراف - لا يُعَرَفُ اللهُ إلا بسبيل معرفتهم - وَمَنْ فَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، بسبيل معرفتهم، وأعراف هم آل مُحَمَّدٍ - لا يُعَرَفُ اللهُ إلا بسبيل معرفتهم.

الرواية في بصائر الدرجات، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي ثلاث أقسم أنهن حق - رسول الله يُقَسِّم - ثلاث أقسم أنهن حق إنك والأوصياء - الأوصياء من ولدك يا أبا الحسن - إنك والأوصياء عرفاء لا يُعَرَفُ اللهُ إلا بسبيل معرفتكم - هذه القضية الأولى والثانية رسول الله قال - يا علي ثلاث أقسم أنهن حق - الأولى - إنك والأوصياء عرفاء لا يُعَرَفُ اللهُ إلا بسبيل معرفتكم - الثانية - وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه - الثالثة - وعرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه.

عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله، عن قوله تعالى:

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيْمَاهُمْ﴾ قال: نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منا - هناك رابطٌ هذه المعرفة كيف يعرفونه، هناك رابط، هناك ارتباط، هناك جاذبٌ يجذبهم إليهم وهناك جاذبٌ يجذبهم إليه - نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه - بأي شيء يعرفونه؟ يعرفونه بهذه المعرفة التي نتحدث عنها الآن، حين تتمازج العقول مع القلوب في معرفة أهل البيت يسطع نور الإيمان - نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منا ومن كان منا كان في الجنة - وأنتم الجنة والله يا آل مُحَمَّد أنتم جنتنا في الدنيا والآخرة - نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منا ومن كان منا كان في الجنة ومن أنكرناه كان في النار - وأنتم جنتنا وبعدهم هو نارنا، كلمات أهل البيت تتوالى كثيرةً وفيرةً ولكن الوقت لا يكفي لإيرادها أقتطفُ منها شيئاً من هذه الكلمات على نفس هذا النسق.

عن أبان بن عمر ختنُ آلِ مِيثَم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام - ختنهم يعني صهرهم - كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي فقال: جعلني الله فداك ما تقول في قوله تعالى ذكره: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ قال: هم الأوصياء من آل مُحَمَّد الأثنا عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه - كلمة واضحة صريحة جلية - قال: هم الأوصياء من آل مُحَمَّد الأثنا عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه قال فما الأعراف - وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ - فما الأعراف جعلتُ فداك قال: كئائب من مسك - كئائب جمعٌ كئيب والكئيب هو التلة، تل - قال: كئائب من مسك - هذه مجرد معاني تقريبية - قال: كئائب من مسك عليها رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء يعرفون كلاً بسيماهم فقال سفيان: فلا أقول في ذلك شيئاً من شعر - لأنه كان شاعراً فقال أبياتاً من جملة ما قال فيها

وأنتم على الأعراف وهي كئائبٌ من المسك رِيَّاهَا بكم يتضوعُ

ريهاها عطرها، الريا العطر، يتضوع يعني ينتشر طيباً وطيباً وطيباً، الرواية هنا تتكلم بلسان الرمز كئائب من مسك، تلال من المسك، الحديث هنا عن مقامٍ من مقاماتهم عن المكان الذي ثبتت فيه أقدامهم، هم على الأعراف والأعراف كئائب من مسك والمسك هو عطرُ رسول الله صلى الله عليه وآله، المسك هو عطرُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، الروايات تترا في ذلك وهنا ينقل شيخنا المجلسي كلاماً عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ينقله من نهج البلاغة الشريف قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاءه على عبادته لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه -

الكلمة واضحة لسيد الأوصياء - إنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاءه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه - الروايات كثيرة في هذا الجلد وفي مجلدات أخرى عديدة وفي كتب أخرى كثيرة، روايات أهل البيت أحاديث أهل البيت بالمئات بل بالآلاف كلها تصب في هذه الساقية، كلها تنبع من عين هذا النبع، كلها تدل على هذه الحقائق لكن أولئك الذين أعمت الدنيا بصائرهم أولئك لا كلام لنا معهم ونحن هنا لسنا في مقام الجدل أو النقاش مع هذا الجاهل أو مع ذلك الضال أو مع ذلك الذي في ربه يتردد أو مع ذلك الذي لا يعلم شيئاً من حديث أهل البيت وإن وضعت له أسماء ومسميات وألقاب، حديثنا هنا هو حديث الحب، حديثنا هنا هو حديث الهيام، حديثنا هنا حديث المعرفة مع أولئك الذين تنقطع قلوبهم شوقاً لمعرفة آل مُحَمَّد، حديثنا مع أولياء أهل البيت مع تلك القلوب التي سكن فيها عليٌّ وتتأبى تلك القلوب أن يخرج عليٌّ منها صلوات الله وسلامه عليه، تلك القلوب التي حبست علياً في محبسها، تلك القلوب التي ما فارقت علياً ولا فارقتها عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، حديثنا مع هذه القلوب لا مع أولئك الذين انتكس وجدانهم والذين عشر حظهم عشره لا أعتقد أن يُقالوا بعدها لا إقالة بعدها إلا برحمة من الله سبحانه وتعالى إلا بشفاعه من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه فالأمر إليه ويده والحق معه وفيه ومنه وإليه وهو صاحبه وهو معدنه ومرد الأمر إليه.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، المعنى الأول هم الجهة التي نأخذ منها معرفة الله سبحانه وتعالى وأعتقد أن في هذه البيانات ما أوضح الصورة من أن معرفة الله على النحو العلمي نأخذها منهم وعلى النحو القانوني الله سبحانه وتعالى وضع قانون وضع سنن وضع قانون فإنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه هذا قانون، هم محال معرفة الله، هم مصدرنا العلمي مصدرنا المعرفي مصدرنا اليقيني وهم مصدرنا التربوي - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - هم مصدر المعرفة والعلم - مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَّهُ قَبْلَ عَنكُمْ - توحيد معرفته تأتي من قبلهم - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - الحركة باتجاه الله سبحانه وتعالى لا بد أن تكون بواسطتهم - وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ - هذه الباء باء الواسطة باء السببية بسببهم يكون التوجه المعرفة منهم وإليهم وبهم صلوات الله عليهم، وقانون المعرفة أنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، فهم من هذه الجهة محال معرفة الله ومن كل تلك الجهات التي مرت الإشارة إليها هم محال معرفة الله وهذا بالنسبة لنا في أفق المعرفة الإنسانية، أما حينما يكون المعنى أعمق من ذلك حين يكون المعنى معنى أن البيوت هي الأبواب والأبواب هي البيوت وأن المعرفة هي محال المعرفة ومحال المعرفة هي المعرفة فحينئذ يكون الكلام بنحو آخر، ذلك شيء خاص بهم صلوات الله عليهم فنحن هنا نسلم عليهم - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - في أفق معرفتنا كما بينت قبل قليل وأيضاً نسلم عليهم على أنهم هم معرفة الله، هم المعنى الأجلى لمعرفة الله

فمعرفة الله ليست صوراً ذهنية وليست عواطف ومشاعر وأحاسيس، معرفة الله هي حقيقة الوجود، هذا الوجود هو معرفة الله وهم معرفة الله.

حين نقرأ مثلاً في المناجاة الشعبانية وهي من كنوز الأدعية التي وردت عن أهل البيت، حين نقرأ: إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بِكَ غيرُ مَجْهولٍ ومن لا ذَبَّكَ غيرُ مَخْذولٍ ومن أقبلت عليه غير مملول إلهي إنَّ من انتهج بك لمستنير وإن من اعتصم بك لمستجير - موطن الشاهد هنا: إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بِكَ غير مَجْهولٍ - غير مجهول يعني أصبح ذاتاً معروفة - إنَّ من تَعَرَّفَ بِكَ غير مَجْهولٍ - أنا قلت قبل قليل مناجيات الأئمة أدعية الأئمة زياراتهم توجد فيها رموز وشفرات خاصة من اهتدى إليها يستطيع أن يفكك معاني الأدعية ومعاني الزيارات - إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بِكَ غير مَجْهولٍ - الذي يتعرف به هو غير مَجْهولٍ، العبارة هنا لا تشير إلى معنى عُرْفِي ولا تشير إلى معنى لغوي في حاق اللغة فقط، إن من تَعَرَّفَ بِكَ من حلت فيه المعرفة فهو غير مجهول، كيف يكون غير مجهول؟ لأنه سيتمازج مع المعرفة فيعود معرفة، وهذه المنزلة منزلة خاصة بهم صلوات الله عليهم - إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بِكَ - يعني من حَلَّت فيه معرفتك - غير مَجْهولٍ - كيف صار غير مجهول؟ لأنه امتزج بالمعرفة والمعرفة امتزجت به فصار معرفةً لربما هناك إشارة أوضح من ذلك ما جاء في دعاء سيد الشهداء في يوم عرفة، ماذا يقول سيد الشهداء؟

ها أنا أتوسل إليك بفقرتي إليك وكيف أتوسل إليك بما هو مَحَالٌّ أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك أم كيف أترجم بِمَقَالِي وهو مِنْكَ بَرَزَ إليك - هناك قراءتان - وهو مِنْكَ بَرَزَ إليك، وهو مِنْكَ بَرَزَ إليك - والقراءتان صحيحتان والمعنى واحد - أم كيف أترجم بِمَقَالِي وهو مِنْكَ بَرَزَ إليك - الذي يتدبر في هذه العبارة يجد المعنى واضحاً - (إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بِكَ غير مَجْهولٍ) أم كيف أترجم بِمَقَالِي وهو مِنْكَ - هو مقالي وهو مِنْكَ - أم كيف أترجم بِمَقَالِي - هذا مقالي - وهو مِنْكَ بَرَزَ إليك - التدقيق عند هذه العبارة، أنا قلت قبل قليل الأدعية والزيارات فيها شفرات مفاتيح خاصة تُفْتَح من خلالها الأسرار الكامنة والمودعة في هذه الأدعية وفي هذه الزيارات - أم كيف أترجم بِمَقَالِي وهو مِنْكَ - مقالي وهو مِنْكَ، هو مقالي وهو مِنْكَ، مِنْكَ وبرز إليك - ها أنا أتوسل إليك بفقرتي إليك وكيف أتوسل إليك بما هو مَحَالٌّ أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك أم كيف أترجم بِمَقَالِي - الذي هو مقالي - وهو مِنْكَ بَرَزَ إليك - فهو برز مني وهو برز مِنْكَ وهو برز إليك - أم كيف أترجم بِمَقَالِي وهو مِنْكَ بَرَزَ إليك - لا أذهب بعيداً ربما يتقرب المعنى شيئاً فشيئاً كما جاء في سورة الأنفال وهي تحاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ما رميت إذ رميت نفي وإثبات ونسبة إلى الله ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾

رَمِيَتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴿١﴾ أم كيف أترجم بمقالي وهو منك بَرَزَ إِلَيْكَ - هذه منزلة أهل البيت هذه العبارات لا تنطبق علينا أبداً هذه معرفة أهل البيت - أم كيف أترجم بمقالي - مقالي أنا - وهو منك - هو مني ومنك - وهو منك بَرَزَ إِلَيْكَ - هذه المنزلة التي تتمازج فيها المعرفة مع الذات فتعود الذات هي المعرفة والمعرفة هي الذات وهذه منزلة ومرتبته خاصة بأهل البيت.

حين نقول: أَلَسَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - السلام على معرفة الله، ومعرفة الله كما قلت في هذا المقام ليست صوراً ليست أوهاماً، معرفة الله هناك حقيقة، الحقيقة هذه المعنى الذي مررنا عليه في كثير من الأدعية في كثير من النصوص كما مررنا عليه في دعاء ليلة المبعث الشريف وفي دعاء يوم المبعث الشريف وهو من أهم الأدعية التي تحدثت عن أعماق الحقائق - فَأَسْأَلُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ - معرفة أهل البيت هي هذه، القضية ليست صوراً أو خطرات، مثلاً نحن نقرأ في أدعية شهر رجب: يَا مَنْ سَمَا فِي الْعِزِّ فَفَاتَ نَوَاطِرَ الْأَبْصَارِ - الحديث هنا عن المعرفة الإنسانية، الحديث حتى عن معرفة الأنبياء، الحديث في هذا الأفق حين قال صلى الله عليه وآله: ما عرفناك حق معرفتك - هذه الكلمة منقولة عن النبي الأعظم - ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك - هذا الأفق الإنساني هذا أفق النبوات الأرضية - يَا مَنْ سَمَا فِي الْعِزِّ فَفَاتَ نَوَاطِرَ الْأَبْصَارِ وَدَنَا فِي اللَّطْفِ.

هذا في أدعية شهر رجب التي يستحب قراءتها في كل يوم: يَا مَنْ سَمَا فِي الْعِزِّ فَفَاتَ نَوَاطِرَ الْأَبْصَارِ وَدَنَا فِي اللَّطْفِ فَجَازَ هَوَاجِسَ الْأَفْكَارِ يَا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْمُلْكِ فَلَا نَدَّ لَهُ فِي مَكْلُوتِ سُلْطَانِهِ وَتَفَرَّدَ بِالْآلَاءِ وَالْكَبْرِيَاءِ فَلَا ضِدَّ لَهُ فِي جَبْرُوتِ شَأْنِهِ يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاءِ هَيْبَتِهِ دَقَائِقُ لَطَائِفِ الْأَوْهَامِ وَانْحَسَرَتْ دُونَ إِدْرَاكِ عَظَمَتِهِ خَطَائِفُ أَبْصَارِ الْآنَامِ يَا مَنْ عَنَّتِ الْوُجُوهُ لَهَيْبَتِهِ وَخَضَعَتْ الرِّقَابُ لِعَظَمَتِهِ وَوَجَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنْ خِيفَتِهِ أَسْأَلُكَ بِهَذِهِ الْمَدْحَةِ الَّتِي لَا تَبْغِي إِلَّا لَكَ - إلى آخر الدعاء الشريف، حين نردد هذه الكلمات: يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاءِ هَيْبَتِهِ دَقَائِقُ لَطَائِفِ الْأَوْهَامِ وَانْحَسَرَتْ دُونَ إِدْرَاكِ عَظَمَتِهِ خَطَائِفُ أَبْصَارِ الْآنَامِ، الحديث في أفق المعرفة الإنسانية في أعلاها في أفق المعارف النبوية في عالم الأرض، أما هنا حين تكون الإشارة إلى هذا المضمون في سلامنا على الأئمة - أَلَسَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - السلام على معرفة الله فمعرفة الله ليست صوراً وليست خيالات، معرفة الله حقيقة خُلِقَتْ فَاسْتَقَرَّتْ فِي ظِلِّهِ فَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، معرفة الله في أتم مجلالها هو ذلك الاسم الْأَعْظَمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ، هذا هو محل معرفة الله والمحل هنا هو المعرفة والمعرفة هو المحل - أَلَسَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - أنتم سادتي وأوليائي كما يقول حسيننا صلوات الله عليه: أم كيف أترجم

بمقالِي وهو منك بَرَزَ إِلَيْكَ وهو منك بَرَزَ إِلَيْكَ - بَرَزَ هنا اسم أما بَرَزَ فهو فعل - أم كيف أترجم بمقالِي وهو منك بَرَزَ إِلَيْكَ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أولئك هم مُحَمَّدٌ وَأَلُّ مُحَمَّدٍ - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - هم الذين بسبيلهم وبسببهم نعرف الله سبحانه وتعالى وهم حقيقة معرفة الله في هذا الوجود.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَةِ اللَّهِ. مساكن جمع لمسكن والمسكن هو المكان الذي يُسكن فيه يُستقر فيه، مسكن من السكون والسكون هو الاستقرار هو عدم الحركة، مساكن جمع مسكن والمسكن المكان الذي تنتهي فيه الحركة، هناك استقرار لذلك يقال لبيت الإنسان مسكنه لماذا؟ لأنه في خارج البيت يسافر يذهب يعمل ينتقل في أجواء الحياة حين يعود إلى بيته فإنه يسكن، كل تلك الحركات قد انقطعت حينما وصل إلى بيته فهو محل السكون محل الاستقرار - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَةِ اللَّهِ - المساكن بنفس الكلام الذي مر أما البركة فالمراد من البركة في لغة العرب الزيادة بارك فيه أضاف إليه أزد إليه، البركة هي الزيادة وهي النماء في لغة العرب، وشيءٌ مبارك شيءٌ يزداد يوماً فيوماً فيوم - وَمَسَاكِينِ بَرَكَةِ اللَّهِ - هذا العنوان إذا أردنا أن نترجمه يعني أنهم الجهة أنهم المحل أنهم المسكن الذي حلت فيه بركة الباري سبحانه وتعالى وبركة الباري تفيض وتفيض، بركة الباري تزداد وتزداد، بركة الباري لا انقطاع لها فمن أراد البركة فعليه بهذه المساكن - وَمَسَاكِينِ بَرَكَةِ اللَّهِ - البركة من هناك تفيض تنمو وتزداد هو هذا المعنى المُجمل لبركة الله سبحانه وتعالى - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - فحيثما حلت المعرفة حلت معها البركة - وَمَسَاكِينِ بَرَكَةِ اللَّهِ - إذا كانت هذه المعرفة في الأفق الإنساني فإن هذه المعرفة إذا ما حلت في قلوبنا تطهرت هذه القلوب.

إذا حلت معرفة الله في عقل الإنسان في قلب الإنسان فإن ذلك العقل فإن ذلك القلب قد تطهر وقد بدأ ينمو بدأ يزداد نوراً لأن المعرفة الحقيقية تتوالد منها معرفة ومعرفة، أنا قلت المعرفة حين يتعاقب المعنى العقلي مع المعنى القلبي أما حين تكون المعلومات العقلية على حِدا والمعلومات القلبية على حِدا فليست هناك من معرفة، هناك إحساس وجداني في القلب وهناك معلومات في العقل هذا الإنسان لا يقال له عنده معرفة هذا الذي يملك علماً في عقله ويملك صوراً في وجدانه من دون أن تتعاقب هذه المعلومات، كيف تتعاقب هذه المعلومات؟ على سبيل المثال من استعان بغير الله ذل، الاستعانة بغير الله مذلة هذه الحقيقة عقلاً نحن المؤمنون نعتقد بها ويمكن أن تأتي بأدلة كثيرة على اثباتها ويمكن للإنسان أن يرى حوادث في الحياة في التاريخ وفي الواقع المُعاش تُدلل على هذه القضية ويمكن أن يتلمس هذه الأمور في حياته في بعض الأحيان وفي القلب نحس هذا المعنى لكننا في الحياة العملية في كثيرٍ من الأحيان لا نستطيع أن نعمل بهذه القاعدة

فنستعين بغير الله، في أمور كثيرة يجب علينا أن نستعين بالله فقط لكننا لا نستعين بالله لماذا؟ العقل يقر بذلك والقلب يستشعر بذلك لكن القضية ما وصلت إلى الحد الذي تعانق القلب والعقل فحركا الإنسان بذلك الاتجاه، لأن العقل يقول من استعان بغير الله ذل لكن القلب متردد، الذي يحرك الإنسان هو القلب النية، القلب متردد لا يستشعر هذا المعنى بشكل عملي يردده في اللسان والعقل يقره لكن حين يواجه الإنسان الحياة العملية يستعين بغير الله، هذا هو خلاف المعرفة لا تسمى معرفة هذه، المعرفة حين يمتزج العقل مع القلب في نفس الوقت العقل يقول من استعان بغير الله ذل والقلب يدفع الإنسان لأن القلب أيضاً عنده هذه القضية واضحة وقد مُلئ القلب بها، هذه هي المعرفة تعانق بين الفكر العقلي والفكر القلبي، من لم يملك هذه المرتبة لا يقال عنده معرفة حتى لو كانت عنده معلومات كثيرة، لو ملك كل المعلومات في الأرض ما لم يكن هناك تعانق فيما بين الفكر القلبي والعقلي وبأفق واحد متقارب بحيث أن العقل والقلب يعملان في آنٍ واحد في نفس الاتجاه لا أن العقل يقول شيء والقلب يقول شيء، العقل يقول من استعان بغير الله ذل والقلب يقول له لا هذه مخاطرة لا بد أن تستعين بفلان وفلان.

هذا مثال أنا لا أقصد المعرفة هي هذه فقط، هذا مثال يقرب المعنى، المعرفة إذاً هي هذه، فحينما تحل المعرفة في قلب فإن البركة تحل في ذلك القلب قطعاً هذا في الأفق الأول إذا كان الحديث عن المعرفة الإنسانية التي هي في الأفق الذي نعيش فيه، أما إذا كان الحديث عن أهل بيت العصمة في مقام الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الأعز الأجل الأكرم تلك قضية أخرى في تلك المرتبة يكونون هم معرفة الله - **السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ اللَّهِ** - مساكن بركة الله حينما تتجسد معاني المعرفة تتجسد معاني البركة ونحن قطعاً لا نُدرِك شيئاً من هذه الحقائق.

في الجزء السادس والعشرين من بحار الأنوار هذه الكلمة ينقلها جابر بن يزيد الجعفي عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، هذه الكلمة ينقلها جابر عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه ويمسح من الإمام الباقر الإمام يقول: يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني - يحدثه عن الحقيقة بكل معناها، يحدثه عن المعرفة وعن البركة: **السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ اللَّهِ** - يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني أما إثبات التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدركه كما وصف به نفسه - ستدركه في أي مقام؟ بعد أن تتحلى لك المراتب الأخرى من المعرفة - يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني أما إثبات التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدركه كما وصف به نفسه وأما المعاني - كيف يتم الإدراك؟ من خلال المعاني - قال: ستدركه

وهو غيبٌ باطن ستدركه كما وصف به نفسه - فكيف ندرك الحقيقة؟ أليس من خلال معناها - وأما المعاني فنحن معانيه - نحن معاني الله - وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم - أهل البيت هم معاني الله - وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا أمور عبادته - فهم مساكن بركة الله، البركة الفيض أمور العباد مفوضة إليهم هذه البركة مرتبطة بالمعرفة أنا قلت هذه العبارات يرتبط بعضها ببعض الآخر - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكََةِ اللَّهِ - البركة مرتبطة بهذه المعرفة، هذه المساكن هي التي تفيض بفيض الله - وأما المعاني - وهي المعرفة - فنحن معانيه ومظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا أمور عبادته فنحن نفعل بأذنه ما نشاء - هذا هو مقام مساكن بركة الله - فنحن نفعل بأذنه ما نشاء ونَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللَّهِ وَإِذَا أَرَدْنَا أَرَادَ اللَّهُ وَنَحْنُ أَحْلَنَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْمَحَلَّ - محل المعرفة ومسكن البركة، المسكن هو محل - وَنَحْنُ أَحْلَنَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْمَحَلَّ وَاصْطَفَانَا مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ وَجَعَلْنَا حُجَّتَهُ فِي بِلَادِهِ - فهم محال معرفة الله وهم مساكن بركة الله.

الفيض قادمٌ إلينا منهم والفيض قادمٌ إلينا بهم فهم السبب وهم السبيل - فما شيءٌ منا - كما في زيارة الناحية المقدسة في زيارة الندبة حين نزور الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه، الناحية المقدسة هو عنوانٌ لإمام زماننا، الناحية المقدسة ليست عنواناً لزيارة واحدة، الناحية المقدسة هو اسمٌ للإمام الحجة، حينما نقول قد ورد هذا من الناحية المقدسة يعني من الجهة المقدسة، هذا اسمٌ تستعمله الشيعة منذ الأزمنة القديمة فحينما نقول زيارة الناحية المقدسة إما أن تكون هذه الزيارة وردت من الناحية المقدسة أو زيارة نزور بها الناحية المقدسة - فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل - وَمَسَاكِينِ بَرَكََةِ اللَّهِ، قد يقول قائل وهذا كلامٌ كثيرٌ وكبيرٌ في منازل أهل البيت أقول لا والله ما هو بكثيرٍ ولا هو كبير، وما معرفتي أنا ومعرفة أمثالي وما كلامي وكلام أمثالي ما هو إلا شيءٌ في منازل أهل البيت لأننا لا نعرف شيئاً.

هناك رواية وهذه الرواية جميلة جداً السائل يسأل الإمام صلوات الله وسلامه عليه والرواية موجودة في الكافي أيضاً أحد الأصحاب وهو يونس بن رباط - قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله - وكامل التمار هذا من خواص أهل البيت رواياته تكشف عن هذه الحقيقة، الحقيقة هذه الرواية تحتاج إلى تمعن تحتاج إلى تبصّر تدبّر، رواية جميلة جداً يونس بن رباط - قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله عليه السلام فقال له كامل: - كامل التمار يسأل الإمام - جُعِلْتُ فِدَاكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ فُلَانٌ، فقال: أذكره، فقال: حدثني أن النبي صلى الله عليه وآله حَدَّثَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَلْفِ بَابٍ يَوْمَ تُوْفِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلَّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفِ بَابٍ، فقال: لقد كان ذلك -

الحديث معروف - علمني رسول الله ألف بابٍ من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب - وفي بعض الروايات يفتح لي من كل باب ألف ألف فإذا كان كامل التمار يستكثر المليون في هذا الحديث حدثني رسول الله ألف باب يفتح لي من كل باب ألف الف يعني يكون مليار، وهناك في نصوص أخرى حدثني علمني ألف ألف باب يفتح لي من كل باب ألف ألف باب يعني القضية تتجاوز المليار إلى التريليون، الأرقام ليست مهمة هذه الأرقام مسائل تقريبية، الأرقام هنا تشير إلى الغاية النهائية باعتبار أعلى الأرقام في لغة العرب هو الألف فإذا قيل ألف ألف فلا يوجد بعد هذا رقم بحسب التعبير العربي - أن النبي صلى الله عليه وآله حَدَّثَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَلْفِ بَابِ يَوْمِ تَوَفَّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلِّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفِ بَابٍ - وقلت الأعداد ليست مهمة هناك حديث أنه حَدَّثَنِي بِالْأَلْفِ بَابٍ وَكفَى، بعض الأحاديث نقلت هكذا فلا يعني الأرقام هنا أن هذا الحديث حدثني بألف باب لا يعني أن القضية وقفت عند الف أو كما في هذا الحديث وقفت عند المليون هذه الأرقام تشير إلى المالا نهايات.

الإمام قال - لقد كان ذلك، قال: جُعِلْتُ فِدَاكَ ذَلِكَ يَظْهَرُ لَشِيعَتِكُمْ وَمَوَالِيكُمْ؟ - يعني هذا ألف باب يفتح من كل باب ألف باب هل هذه الأبواب تظهر لشيعتكم ومواليكم، هذه الأبواب من أبواب المعارف والعلوم - جُعِلْتُ فِدَاكَ ذَلِكَ يَظْهَرُ لَشِيعَتِكُمْ وَمَوَالِيكُمْ؟ - الإمام ماذا قال؟ - فقال: بابٌ أو بابان باختلاف مراتب الشيعة - يعني هذه المليون باب بحسب هذا الحديث بابٌ أو بابان بحسب مراتب الشيعة - فقلت له: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا يُرَوَى مِنْ فَضْلِكُمْ مِنْ أَلْفِ بَابٍ إِلَّا بَابٌ أَوْ بَابَانِ - هذا ما يروى وليس كل الروايات وصلت إلينا ولا نحن نذكر هنا في هذا البرنامج كل الروايات.

انتبهوا شيئاً فشيئاً لم تكمل الرواية أنا قلت هذه الرواية بحاجة إلى تبصر - فقلت له: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا يُرَوَى مِنْ فَضْلِكُمْ مِنْ أَلْفِ بَابٍ إِلَّا بَابٌ أَوْ بَابَانِ - فماذا قال الإمام - وما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلا ألفاً غير معقوفة - يعني كامل التمار تعجب قال يا ابن رسول الله ما يروى من فضلكم إلا باب أو بابان! الإمام ماذا قال له؟ حتى الباب والبابان نفاهما، ماذا قال الإمام قال - وما عسيتم - أنتم ما تبلغون من المنزلة أو من المقدرة أو من المعرفة حتى تعرفوا فضلنا - وما عسيتم أن ترووا من فضلنا - أنتم ماذا تبلغون حتى تعرفون مقاماتنا ومنازلنا - وما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلا ألفاً غير معقوفة - يعني حتى أقل من نصف باء، ما هو مقصود الإمام أنه ما تروون إلا ألفاً غير معقوفة؟ العلماء اختلفوا في معنى هذا الحديث أنكم ما تروون من فضلنا إلا ألفاً غير معقوفة لربما من أفضل من شرح هذا الحديث هو الشيخ البهائي رضوان الله تعالى عليه حين قال بأنه في الخط الكوفي القديم الألف ترسم مثل حرف الذال شبيهة بحرف الذال، فحينما قال الإمام صلوات الله وسلامه عليه إنكم ما

رويتهم إلا ألفاً غير معقوفة يعني كأنه قال ألف غير كاملة يعني هذه الجهة المعقوفة تحذف يعني يبقى نصف ألف هذا من أفضل التوجيهات التي وجهها الشيخ البهائي أن أعتقد غير ذلك، أعتقد أن مراد الإمام من الألف غير المعقوفة لأنه في الخط الكوفي القديم وحتى في الخط الكوفي الحديث الألف ترسم بأكثر من صورة، الآن حتى في الخط الكوفي الموجود وإن كان الآن الخط الكوفي تشعب، في الخط الكوفي الألف هكذا ترسم، ترسم بشكل مستقيم ثم تعقف، إما تعقف يميناً أو تعقف شمالاً مثل ما قال الشيخ البهائي وكأنها شبيهة بحرف الذال، الألف هي هذه تعقف يميناً أو شمالاً، فالألف هي ألف حينما يقول الإمام ألف غير معقوفة لا بد أن تكون ألف أخرى الألف غير المعقوفة هي الألف الصغير التي توضع على حرف الألف لتمييزه عن الهمزة، هذي الألف الصغير أنا أعتقد ذلك بأن المراد من الألف غير المعقوفة لأن الألف في الخط الكوفي لا بد أن تكون معقوفة، فالإمام هنا يتحدث عن ألف كاملة ولكن هذه الألف الكاملة تسمى بأنها غير معقوفة فالألف الكاملة في الخط الكوفي التي هي غير معقوفة هي هذه الألف الصغيرة التي توضع على رأس الحروف على رأس الكلمات لتمييز الألف عن الهمزة.

وفي بعض الأحيان قد تستعمل في بعض المصاحف كعلامة للمد، علامة للمد أو علامة مثلاً للألف خصوصاً في رسم المصحف لأنه نحن عندنا نوعان من الرسم هناك ما يسمى برسم القلم وهي الكتابة وقواعد الإملاء المعروفة التي نكتب بها وهناك ما يسمى برسم المصحف حيث كتب بطريقة ما واتفق المسلمون على عدم تغييرها مثل ما تكتب: الصلاة، فتوضع ألف قصيرة صغيرة على الواو لتشير بأن هذه الواو لا تلفظ واو إنما تلفظ ألف فتقرأ: الصلاة، هذه هي الألف غير المعقوفة وإلا فالألف في الخط القديم تعقف إما يميناً وإما شمالاً في زمان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يعني ما رويناها ما جاءنا من الروايات هو بمقدار هذه الألف الصغيرة وبالله عليكم ليس كل الروايات وصلت إلينا رغم أننا نملك أعداد هائلة من الروايات ثم إنني في هذا البرنامج أصلاً لا الوقت يكفي ولا يمكن أن نقرأ كل الروايات أو أن نورد كل الروايات، الإمام هنا في هذه الرواية يتحدث عن كل الروايات بأنها ألف غير معقوفة إذاً أين نحن وأين معرفة أهل البيت؟! إذاً أين نحن وأين هي حقيقة منازل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟! لا غرابة في ذلك إمامنا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟

فإن الله عز وجل قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم - حتى في عالم الخطرات لا توجد خطرات، هل هناك أقوى وأوسع من دائرة الخيال والخطرات؟! حتى في عالم الخطرات أساساً لأننا لا نملك المفردات على التصور نحن نستطيع أن نتصور في عالم الخيال لكن كيف نتصور في عالم الخيال ما لم نملك مفردات، يعني الآن مثلاً حينما يكون الإنسان لم يكن قد سافر إلى مدينة طوكيو مثلاً ويأتي شخص يحدثه فيقول إن مدينة طوكيو مثلاً فيها بنايات عالية مثلاً تشبه هذه

البنائيات العالية كالبنائيات الموجودة مثلاً في هونغ كونغ وهذا الشخص قد سافر إلى هونغ كونغ أو تشبه مثلاً بنايات موجودة مثلاً في مدينة سديني في أستراليا أو تشبه كذا كذا من البنائيات أو تشبه مثلاً في بعض محالها مثلاً بكين في الصين، فيأتي بصور يمكن للمتخيل لأنه يملك هذه المفردات يجمع بين هذه الصور يصنع صورة من خياله لمدينة طوكيو وهو لم يكن قد رآها لكنه استطاع أن يصنع لها صورة في الخيال معتمداً على بعض المفردات التي يملكها في خزين ذاكرته لأنه رأى هذه المدن، أما إذا لم يكن أصلاً لم يكن قد رأى هونغ كونغ ولم يكن قد رأى سديني أو بكين أو أي مدينة أخرى وهذا الذي يحدثه يقول بأن مدينة طوكيو كذا وكذا تشبه هذه المدن كيف يستطيع أن يرسم صورة في الخيال وهو أساساً لم يكن قد رأى هذه المدن؟ لا يستطيع لأننا في عالم الخيال إذا أردنا أن نتخيل شيئاً لا بد أن نملك مفردات بهذه المفردات نستطيع أن نتصور شيئاً في عالم الخيال.

حينما لا نملك مفردات ما عندنا إلا ألف غير معقوفة كما يقول إمامنا الصادق عليه السلام - وما عسيتم أن تروا من فضلنا - الإمام يقول له بالنهر هكذا - وما عسيتم - أنت ماذا تتوقع؟ تتوقع أنك تعرف، ما هي معرفتك؟! - وما عسيتم أن ترووا من فضلنا - كل ما عندنا ما هو إلا ألف غير معقوفة - فإن الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون - وما هذا إلا قبسٌ من حديث أهل البيت، وما هذه إلا نقطة من بحار معارف أهل البيت التي جاءت في رواياتهم والتي يعدها إمامنا الصادق عليه السلام إنها ألفٌ غير معقوفة، إذاً أين نحن نقف وأين أهل البيت يقفون؟ يقفون على كئيب من مسك هم الأعراف كما مرت علينا الروايات، نحن نقف على كئيب من تراب وهم يقفون على كئيب من مسك فبالله عليك كيف نتصور هذه الكئيب من مسك؟! نحن في عالم التراب وهم في عالم المسك وأي مسك؟ في عالم مسك الله سبحانه وتعالى.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ اللَّهِ - البركة كما قلت هي الفيض والفيض إنما يفيض إليهم من الله ويفيض منهم إلينا الله سبحانه وتعالى فتح لهم أبواب الفيض الإشارات في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى فتح لهم باب الفيض من دون حدود. حينما نقرأ مثلاً في سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ صحيح ربما يُراد من الفتح النصر، النصر العسكري وهذا موجود في التفاسير لكن القرآن آياته لا تقف عند أفق واحد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح المبين الفتح الذي لا نهاية له ليس فيه مغالقة الآية هنا تشير إلى الفتح المطلق الذي فتحه الله للحقيقة المحمّدية، أفاض عليها فتح لها فيضه وجعل فيه القدرة على أن تفتح الفيض على الوجود ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ المعنى هذا يتجلى في سورة الضحى

في الآية الخامسة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ هناك عطاء لا حدود له وأنا شرحت هذه الآية فيما مر لا أعيد الكلام ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وحتى في آية الشرح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ صحيح هناك معانٍ ظاهرية للآية وأنا هنا لست بصدد تفسير هذه الآيات لكن في هذه الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا الصدر هو قلب مُحَمَّد، الصدر المراد من الصدر حين نقول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الصدر ليس هو الرئتين، الصدر هو القلب وليس هو القفص الصدري ألم نشرح لك قلبك ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نشرح لك قلبك، قلب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله هو ذلك القلب الذي يسع العرش ويسع الكرسي أليس العرش من نوره ونوري أفضل من نور العرش.

قلب المؤمن عرش الرحمن هذا المعنى ينطبق حقيقة على من؟ على قلب مُحَمَّد على قلب عليّ على قلب صاحب الأمر، البركة النازلة والتي فتح الله أبوابها على الحقيقة المُحَمَّدية فيضه هو تجلي أسمائه الحسنی حين يتجلى اسم الرزاق أو الرزاق فإن كل الأرزاق ستفيض من الحقيقة المُحَمَّدية، الحقيقة المُحَمَّدية مرآة أسماء الله الحسنی الحقيقة المُحَمَّدية ذلك الاسم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك وإنما يخرج منه الفيض، فحين يتجلى اسم الرزاق أو الرزاق في الحقيقة المُحَمَّدية فإن الحقيقة المُحَمَّدية هذه المرآة المقدسة تفيض تعكس هذا الرزق يتجلى منها هذا الرزق بكل معانيه يتجلى هذا الفيض وهكذا كل اسم من الأسماء الحسنی حين تتجلى في الحقيقة المُحَمَّدية فإنها تفيض تفيض بركة فهم مساكن بركة الله، بركة الله أسمائه الحسنی لأن النماء ولأن الفيض ولأن الزيادة ولأن الخير منابعها من أسمائه الحسنی وهذه الأسماء الحسنی تجلت في الحقيقة المُحَمَّدية ومن الحقيقة المُحَمَّدية فاض الفيض ولذلك كل الكائنات تعيش في هذا الفيض، بركتها من تلکم البركة وهذا معنى:

﴿وَمَسَاكِنِ بَرَكَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ هو هذا الفتح، الفتح الحقيقي أن الله فتح للحقيقة المُحَمَّدية كل البركة وكل الرحمة والحقيقة المُحَمَّدية هي الرحمة التي وسعت كل شيء، رحمته التي وسعت كل شيء، لأن كل شيئاً تلبسته الرحمة وفاضت عليه الرحمة فمرد هذه الرحمة إلى مرآة أسمائه الحسنی أسمائه الحسنی تجلت أين؟ في الحقيقة المُحَمَّدية وباب هذه الحقيقة مجلى هذه الحقيقة في الأرض مُحَمَّد وآل مُحَمَّد على الأرض، باب هذه الحقيقة السبب الذي يوصلنا بالبركة باب هذه الحقيقة مجلى هذه الحقيقة في الأرض مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، حين يقول صلى الله عليه وآله - ما عرفناك حق معرفتك - هذا في الأفق البشري هذا في الأفق الإنساني وإلا

كل أسماء الله قد تجلت في الحقيقة المُحَمَّدِيَّة وحتى الاسم المستأثر تجلى فيها وذلك هو معنى مساكن بركة الله - **السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكََةِ اللَّهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ** - فهناك المعرفة وهناك البركة ويأتينا هنا - **وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ** - معادن جمع لمعدن والمعدن هو المكان أو الجهة التي يعدن فيها الشيء، يعدن يعني يثبت يقيم - **وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ** - يعني هم الأمكنة هم الجهات هم المحال التي تعدن فيها حكمة الله، معادن الحكمة هنا تستقر حكمة الله، وحكمة الله هي مجمع معرفته وبركته.

كلمة الحكمة في أصلها في لغة العرب الحكمة أو الحكمة هي قطعة قد تصنع من حديد أو من شيء آخر أو من جلد أو قد تنسج من الوبر توضع على مقدمة رأس الحصان عند أنفه وفمه عند مقدمة رأسه عند بوزه عند بوز الحصان توضع حتى يربط بها اللجام ومن طريقته وبواسطتها يستطيع الفارس أن يتحكم بحركة الفرس بحركة الجواد، فهو شيء يوضع على مقدم رأس الفرس على مقدم رأس الجواد رأس أي دابة من الدواب ثم تربط بمنظومة خيوط أو سيور من الجلد إلى اللجام فحين يمسك الفارس الراكب باللجام أو الزمام يستطيع أن يحرك رأس الدابة بأي اتجاه يريد وذلك إنما هو بواسطة الحكمة أو الحكمة، الحكمة إذاً في لغة العرب هي الوسيلة أو الآلة لأي شيء؟ لتوجيه الأمر بالاتجاه الصحيح، هذا المعنى اللغوي في أصله في لغة العرب، الحكمة كما يقال هي وضع الشيء في محله المناسب الحكمة هي هذه.

الحكمة بالنسبة لنا هي أعلى درجات العقل أعلى تجليات العقل هي الحكمة، الحكمة عقل ولكنها أعلى تجليات العقل، فهنا معرفة وهنا بركة، معرفة وبركة تتكامل بالحكمة - **وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ** - وحكمة الله المراد هنا والمذكورة هنا في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي ولايتهم يعني هم القائمون في مقام المعرفة المتصرفون في مقام البركة في مقام الفيض وإنما أعطيت لهم الولاية بقدر ما عندهم من الحكمة وإنما ما عندهم الحكمة بقدر ما عندهم من المعرفة فهم معرفة الله وهم بركة الله وهم حكمة الله.

نحن حين نقرأ في الكتاب الكريم مثلاً في سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إذاً جوهر الحكمة في الأفق الإنساني هو الشكر لله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ما هو جوهر هذه الحكمة؟ الآية الثانية بعد العاشرة من سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ إذاً الحكمة هي الشكر وما المراد من الشكر؟ الشكر هو الثناء، الثناء قد يكون بمعنى المدح، قد يكون بمعنى الحمد ولا أريد الخوض في هذه التفاصيل للحديث عن الجمال الاضطراري والجمال غير الاضطراري مباحث معروفة في كتب الفلسفة لا أريد الخوض في هذه القضية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴿﴾ الحكمة هي الشكر والشكر هنا هو نفسه الذي إليه الإشارة في الحديث من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق هذي هي الحكمة ﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴿﴾ حكمة لقمان هي هذه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، وفي سورة البقرة حين نقرأ في الآية التاسعة والستين بعد المتين ﴿﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿﴾ والحكمة هنا كما في روايات أهل البيت معرفة الإمام ﴿﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿﴾ هذا هو الخير الكثير، الخير الكثير ألا يستلزم الشكر، الشكر الموجود في سورة لقمان؟! ﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴿﴾ ما هي حكمة لقمان؟ ﴿﴾ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴿﴾ . يعني حينما نقوم بقضية مقارنة بين هذه الآية في سورة لقمان وبين

هذه الآية في سورة البقرة، الآية في سورة لقمان الآية الثانية بعد العاشرة ﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴿﴾ والآية التاسعة والستون بعد المتين في سورة البقرة ﴿﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿﴾ هذا الخير الكثير يستلزم الشكر لذلك هنا في آية سورة لقمان ﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴿﴾ الشكر على ماذا؟ هنا الآية تفسر ﴿﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿﴾ وروايات أهل البيت تفسر لنا هذه الحكمة، الحكمة معرفة الإمام.

في سورة الجمعة ﴿﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿﴾ الحكمة هي هذه نفسها هي عمق الرسالة مُحَمَّدِيَّة، عمق الرسالة مُحَمَّدِيَّة معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، عمق الرسالة مُحَمَّدِيَّة معرفة عَلِيِّ وآل عَلِيِّ، عمق الرسالة مُحَمَّدِيَّة معرفة أَمَامِ زَمَانِنَا وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً، عمق الرسالة مُحَمَّدِيَّة هو هذا.

﴿﴾ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴿﴾ يعني قبل أن يعرفوا الحكمة ﴿﴾ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿﴾ ونفس المعنى: من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ﴿﴾ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴿﴾ هي معرفة الإمام وهذه الحكمة التي يدعوا لها مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، من دونها ﴿﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿﴾ في ضلال الجاهلية، هذا الحديث: من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، يتعاقب مع هذه الآيات

بشكل واضح ﴿ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ ﴾ كما مر علينا في الآية التاسعة والستين بعد المئتين ﴿ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ والروايات قالت في الكافي وفي غير الكافي أن الحكمة هنا هي معرفة الإمام وهنا ﴿ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ والحكمة هنا آخر مرتبة أعمق شيء في ديانة مُحَمَّدٍ وهي معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني قبل هذه المعرفة ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية - الحكمة في أفق المعرفة الإنسانية هي بهذا المعنى.

وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ - أن حكمة الله أن معرفة الله معدنها أين؟ أهل البيت هذا هو المعدن الذي تصدر منه الحكمة الإلهية إلينا، أما هم في مقامهم هم معادن حكمة الله فحكمة الله المتجلية فيهم هي ولايتهم، فما من شيء في هذا الوجود إلا وهو تحت إدارتهم وتحت قدرتهم - اللهم إني أسألك من قدرتك بالقدرة التي استطلت بها على كل شيء - هذا مظهر من مظاهر القدرة - وكل قدرتك مستطيلة - فهذه ليس القدرة الذاتية هذه القدرة المتجلية في الحقيقة المُحَمَّدِيَّة وإلا القدرة الذاتية لا توجد فيها مراتب، لو وجدت فيها مراتب لحدث خللٌ في التوحيد، المراتب في مجالي القدرة المراتب في مجالي الأسماء - اللهم إني أسألك من قدرتك - من هذه تبعض الحديث عن بعض القدرة - التي استطلت بها على كل شيء وكل - باقي مراتب القدرة - وكل قدرتك مستطيلة - إشارة إلى مجالي القدرة وليس إلى القدرة الذاتية، القدرة الذاتية لا يوجد فيها تبعض ولا يوجد فيها مراتب.

هذه هي الحكمة ومعادن الحكمة يعني الذات التي منحها الله القدرة المستطيلة - السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَةِ اللَّهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ - كان بودي أن استمر في بيان العنوان الرابع - وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ - لكن وقت البرنامج انتهى إن شاء الله في الحلقة القادمة أتم الكلام من حيث انتهيت.

عظم الله أجوركم أحباب عليٍّ وآل علي رزقنا الله وإياكم زيارته في الدنيا ومعرفته في ليلنا ونهارنا وانقطاعنا بقلوبنا وعقولنا إليه وفقنا الله وإياكم لخدمة محبيه وأوليائه والمخلصين له وهم المخلصون للإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ووفقنا أن نُدْفِنَ في تربته ورزقنا أن نرى وجهه عند ساعات الموت وهو يبشرنا برضوانه وبغفوه وبمحبتته لنا، اللهم عَرَّفْنَا وجه عليٍّ عند الممات وأرنا وجهه ليلة الوحشة في قبورنا، اللهم وفقنا أن نأخذ بحجزه عليٍّ وآل عليٍّ في مواقف يوم القيامة، اللهم وارزقنا أن نشرب من كوثر عليٍّ ومن كأس عليٍّ الأوفى ومن يد عليٍّ وهو يسقي أوليائه وأحباءه على حوض مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله على كوثرهم، اللهم وارزقنا شفاعته بحق عليٍّ، اللهم ارزقنا شفاعته بحق عليٍّ وجوار عليٍّ في الجنان بحق عليٍّ، أسألكم الدعاء جميعاً أحباب عليٍّ في أمان الله.

الحلقة العشرون

معنى وحفظه سرّ الله وحمله كتاب الله وأوصياء نبيّ الله وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله
ورحمة الله وبركاته

السلام عليكم جميعاً أحباب عليّ وآل عليّ، السلام عليكم يا أولياء فاطمة وآل فاطمة ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة العشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة من عمق حديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه الحلقة هي آخر حلقة من حلقات هذا البرنامج في أيام هذا الشهر المبارك وإن شاء الله لقاءنا يتجدد على قناة المودة الفضائية بعد تصرم وانقضاء أيام شهر رمضان حيث نتواصل معكم في حديث مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في ذلك القول البليغ الكامل الذي فاضت به شفاه إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه الزيارة الجامعة الكبيرة النص المعرفي الخالص والعقيدة المُحمّدية العلوية الصافية، كلامنا متواصلٌ في هذه الأفاق النورية في أفاق نورية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ نحن قد وصلنا إلى المقطع الثالث من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة وأكرر القول بأن هذه المقاطع الخمسة يجب الالتفات إليها ويجب النظر إليها بتمعن وتأمل لأن هذه المقاطع الخمسة تمثل الأصول التي تتفرع عليها سائر المعاني في الزيارة الجامعة الكبيرة وحتى في الزيارات الأخرى.

المقطع الثالث نخطب به آل مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم: السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِنِ بَرَكَاتِهِ اللَّهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ، آخر الحديث كان عند هذا العنوان - وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ - بقية المقطع أحاول أن أتم الحديث فيه وأن ألملم أطراف الحديث حتى تتم الكلام في هذا المقطع وإن شاء الله تعالى إذا شرعنا في فصلٍ جديدٍ من فصول هذا البرنامج أن تكون البداية من المقطع الرابع من بداية المقطع الرابع، بقية المقطع الثالث: وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ، وَحَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ - ومن غيركم.

وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ، أعتقد أن البنية اللغوية لهذا العنوان واضحة لا تحتاج إلى طويل مكوث عند جوانبها لبيان المعاني اللغوية، حَفَظَةَ جمعٌ لحافظ والحافظ هو المُراقِب والراعي والحاوي للشيء، حافظ السر هو الذي يحوي السر بين جوانبه فيرعاه ويراقبه ويخاف عليه أن يتبدى، والسر هو شيءٌ خفي، السرُّ هو السر، السر

هو الذي لا يخرج من السريرة والسريرة هي باطن النفس الإنسانية التي لا تتبدى لناظرٍ أو لسامع، السريرة ما خَفِيَ عن الحواس، السرائر ما خفي عن النظر عن السمع عن اللمس عن الشم عن الذوق وما خفي حتى الخيال فإن الخيال سيكون بعيداً عن السريرة وإنما الوهم قد يتوهم، الخيال لا يكون خيلاً إلا أن يكون مستنداً إلى مفرداتٍ واقعية يتركب الخيال منها أما الوهم فهو الذي لا يستند إلى مفرداتٍ واقعية، الوهم هو الذي يصنع المفردات، الإنسان في قوة الوهم مفردات الوهم حينما يركب الوهم صوراً الوهم هو الذي يصنع هذه المفردات ولذا لا قيمة للوهم أما الخيال فله قيمة وما قيمة الآداب والفنون إلا أن منشأها من الخيال، لو كانت الآداب والفنون تنشأ من الوهم لَمَا كان لها قيمة، قيمة الآداب وقيمة الفنون أنها تنشأ من الخيال والخيال يعتمد على مفردات واقعية لكنه يستطيع أن يتلاعب فيها أن يضيف إليها أن يُضخّمها أن يُصعّرَها إلى غير ذلك، قيمة الأدب والفن من هنا نشأت، وعلى أي حال لسنا في صدد الحديث عن هذا المطلب.

السُّرُّ هو ما مزج السريرة ما كان في السريرة والسريرة باطن النفس والسريرة كل شيءٍ يبعد عن الحواس وحتى عن عالم الخيال - وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ - فهم حافظون لسر الله، أما ما هو سر الله؟ سر الله شيءٌ لا نستطيع أن ندركه، هو ما هو سري وما هو سرك؟! أنا لا أستطيع أن أدرك سرك وأنت لا تستطيع أن تُدرك سري فأني لي ولك أن ندرك سر الله، لكن هناك من يُدرك هذا السر وهم الحَفَظَةُ، حَفَظَةُ سر الله نحن هكذا نخطبهم: حفظة سر الله، بل هم سر الله كما مر في العناوين السابقة هم محال معرفة الله وقلنا كما جاء في رواياتهم هم البيوت وهم الأبواب فالبيوت هي الأبواب والأبواب هي البيوت، محال معرفة الله فالمحال هي المعرفة والمعرفة هي المحال - وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ - فالحَفَظَةُ هم سرُّ الله وسر الله هنا هم الحَفَظَةُ، ما هو هذا السر؟ أنا قلت قبل قليل هو سرُّ نحن لا ندركه والكلام هنا في هذا العنوان:

وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ - ليس الحديث عن سر عقائدي وليس الحديث عن سرٍ تكويني هناك شيءٌ فيما بينهم وبين الله، العقول تصل إلى حدٍ وتقف، تقدم في الحلقات الماضية كلامٌ عن الأسرار وأوردت رواياتٍ عديدة وقرأتها من مصادرها: إِنَّ حَدِيثَنَا إِنَّ أَمْرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصَعَبٌ ذَكْوَانٌ أَجْرَدٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيُّ مُرْسَلٍ أَوْ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ.

وهناك أفقٌ آخر: إِنَّ حَدِيثَنَا إِنَّ أَمْرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصَعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيُّ مُرْسَلٍ وَلَا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ قُلْنَا فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ شِئْنَا.

وهناك أفقٌ أعمق من هذا: إِنَّ أَمْرَنَا إِنَّ حَدِيثَنَا صَعِبٌ مُسْتَصَعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيُّ مُرْسَلٍ وَلَا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، فَمَنْ يَحْتَمِلُهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَحْنُ نَحْتَمِلُهُ.

هو خاصٌ بهم، الحديث هنا حينما تقول الزيارة الشريفة: وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ. ليس الحديث في هذه الأفاق،

الحديث في معنى أعمق وأبعد ولا حتى في حديث مقامات سريرتهم: إني مؤمن بظاهرهم وباطنكم بسرهم وعلانيتكم. ومرّ الحديث أيضاً: إن أمرنا سرٌّ في سرٍّ، سرٌّ على سرٍّ، سرٌّ مستسر، سرٌّ مقنع بالسر، سرٌّ لا يفيد إلا سر. مرت هذه الروايات وقرأتها من مصادرها وتحدثت عنها وأنا لا أريد أن أعود إلى هذه المطالب فقد مرّ الحديث في هذه المطالب في الحلقات الماضية، القضية هنا أعمق وأعمق لكننا لا نملك إلا الإشارة، الحديث هنا ليس عن عقائد وعن مطالب علمية وعن معارف، العقائد والمطالب العلمية والمعارف يمكن للعقول أن تُدركها وكل عقلٍ بحسبه وكل عقلٍ بحسب الأفق الذي هو فيه.

على سبيل المثال ما جاء في الرواية التي يرويها شيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه عن اليقطيني عن بعض أهل المدائن - قال: كتبتُ إلى أبي مُحَمَّد - والمراد هنا إمامنا الزاكي العسكري صلوات الله عليه - قال: كتبتُ إلى أبي مُحَمَّدٍ عليه السلام رُويَ لنا عن آبائكم أن حديثكم صعبٌ مستصعبٌ لا يحتمله مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسلٌ ولا مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان - ذكرت قبل قليل بأنّه في أفقٍ من الأفاق فمن يحتمله؟ قال من شئنا، وفي أفقٍ من الأفاق قال نحن نحتمله ذلك هو السر المستسر، الإمام هنا يعطي للحديث وجهاً آخر، الحديث هنا عن البُعد العقائدي وعن البُعد المعرفي عن البُعد النوراني في معرفة أهل البيت - قال: فجاءهُ الجواب إنما ما معناه إن المَلَك لا يحتمله في جوفه حتى يُخرجهُ إلى مَلَكٍ مثله ولا يحتمله نبيٌّ حتى يُخرجهُ إلى نبيٍّ مثله ولا يحتمله مؤمنٌ حتى يُخرجهُ إلى مؤمنٍ مثله إنما معناه أن لا يحتمله في قلبه من حلاوة ما هو في صدره حتى يُخرجهُ إلى غيره - الرواية هنا تتحدث عن بُعد معرفي عن بُعد عقائدي يمكن أن يُنقل بالكلام، هذا سرٌّ من الأسرار في الأفق الإنساني في الأفق البشري الاعتيادي.

حين نتحدث عن السر في الزيارة هنا - وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ - نتحدث عن شيءٍ أعمق وأعمق وأعمق ربما تصل الإشارة به إلى خاصة أولياء أهل البيت كما جاء في وصف سلمان في وصف سلمان المُحمّدي، الروايات تقول عن أئمتنا كان سلمان مُحَدَّثاً مُحَدَّثٌ هو الذي له جهة تواصل واتصال بعالم الغيب بعوالم ما بعد الظاهر، إني مؤمن بظاهرهم وباطنكم، المُحدَّث الذي له صلة بعالم باطن أهل البيت، إني مؤمن بظاهرهم وباطنكم بما وراء الظاهر، إني مؤمنٌ بسرهم وعلانيتكم في أفق السر وحين أتحدّث عن أن سلمان وأمثال سلمان لهم صلة بباطن أهل البيت بسر أهل البيت لا بالمعنى الموجود في الزيارة، المعنى الموجود في الزيارة، الزيارة هنا تشير إلى ذلك المقام - إِنَّ لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٍ لَا يَسْعُنَا فِيهَا لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ - الزيارة تتحدث عن هذا المقام - إِنَّ لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٍ لَا يَسْعُنَا فِيهَا لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ - لكن حين أتحدث فأقول إن سلمان له صلةٌ بعالم باطن أهل البيت بعالم سر أهل البيت فذلك

فيما يتناسب ومقام سلمان، كان سلمان مُحَدَّثًا قِيلَ يا ابن رسول الله كيف كان مُحَدَّثًا؟ قال: كان مُحَدَّثًا عن إمامه، هناك صلةٌ في باطن أهل البيت، القضية ليس قضية تحديث كلامي، الرواية هذه التي قرأتها تتحدث عن شيء يُنقل بالكلام، أما هناك شيء لا يُنقل بالكلام كما في حالة سلمان، كان سلمان مُحَدَّثًا، كيف كان مُحَدَّثًا؟ قال: كان مُحَدَّثًا عن إمامه.

ربما في هذه الرواية التي يرويها المفضل بن عمر عن ابي عبد الله صلوات الله عليه لربما فيها شيء من إشارة إلى مثل هذا المضمون، إمامنا ماذا قال؟ - إِنَّ أَمْرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا صُدُورٌ مُشْرِقَةٌ وَقُلُوبٌ مُنِيرَةٌ وَأَفِيدَةٌ سَلِيمَةٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ - فأنى لنا بهذه المعاني - إِنَّ أَمْرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا صُدُورٌ مُشْرِقَةٌ - صدور مشرقة أشرقت بنور الطهارة وإنما أشرقت بنور الطهارة لاندكاكها في معدن الطهارة في معدن القدس، لاندكاكها في ذلك الأفق الأبعد، إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم نحن نؤمن بظاهر أهل البيت الإيمان بباطنهم فقط في اللسان لا نملك اندكاكاً قلبياً أو روحياً في باطن أهل البيت تلكم مراتب عالية الحديث هنا عن الصدور المشرقة الصدور التي تندك في ذلك الجانب - إِنَّ أَمْرَنَا صَعِبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا صُدُورٌ مُشْرِقَةٌ وَقُلُوبٌ مُنِيرَةٌ وَأَفِيدَةٌ سَلِيمَةٌ وَأَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ عَلَيَّ شَيْعَتَنَا الْمِيثَاقَ فَمَنْ وَفَى لَنَا وَفَى اللَّهُ لَهُ بِالْجَنَّةِ وَمَنْ أَبْغَضَنَا وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْنَا حَقَّنَا فَهَوَ فِي النَّارِ - فهناك جنةٌ في الدنيا وهناك نارٌ في الدنيا، كما أن هناك جنةٌ في الآخرة وناراً في الآخرة، هناك جنةٌ في الدنيا وهناك نارٌ في الدنيا لكنها تتصور بصورة هذا العالم بما يناسب هذا العالم - لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ عَلَيَّ شَيْعَتَنَا الْمِيثَاقَ فَمَنْ وَفَى لَنَا وَفَى اللَّهُ لَهُ بِالْجَنَّةِ وَمَنْ أَبْغَضَنَا وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْنَا حَقَّنَا فَهَوَ فِي النَّارِ وَإِنَّ عِنْدَنَا سِرًّا مِنَ اللَّهِ مَا كَلَّفَ اللَّهُ بِهِ أَحَدًا غَيْرَنَا ثُمَّ أَمَرْنَا بِتَبْلِيغِهِ فَبَلَّغْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ أَهْلًا وَلَا مَوْضِعًا - هذا التبليغ ليس تبليغاً بالألفاظ وبالكلام.

كان سلمان مُحَدَّثًا - إِنَّا لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَقِيهًا حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثًا قِيلَ يا ابن رسول الله أَوَيْكُونُ الْمُؤْمِنَ مُحَدَّثًا؟ - المؤمن من أمثالنا يكون مُحَدَّثًا - قال: نعم يكون مُفَهِّمًا - التفهيم مُفَهِّمٌ يأتي من خارج لا من داخل لا قضية تَفَهُّمٌ أنا أتفهم، مُفَهِّمٌ تفهيم من الخارج - قال: نعم يكون مُفَهِّمًا وَالْمُفَهِّمُ مُحَدَّثٌ - هذه مقامات كمقامات سلمان رضوان الله تعالى عليه نحن لا ندركها ولا نستطيع أن نتصورها كما أنَّ الجاهل لا يعرف معنى العالم، كما أن الصبي لا يعرف معنى البلوغ لو حَدَّثت الصبي الطفل الصغير عن البلوغ عن بلوغ الرجال لا يعرف معنى البلوغ لو حدثته عن شؤونات البلوغ وتفرعات البلوغ لا يتصورها حتى يصل إلى مرحلة البلوغ ويُدرك تلك التفرعات بنفسه، حين نتحدث عن هذه المقامات نحن فقط نتحدث عنها كحال الذي يوصف بأنه يجب الصالحين وليس منهم، هذا الذي يجب الصالحين يمدح

الصالحين يُعدد أوصافهم، أنا قد أمتلك قدرةً وطلاقةً لسانية، القدرة اللسانية والطلاقة اللسانية على الوصف هذه الذلاقة في الكلام لا تعني أنني أدرك هذه المعاني على حقيقتها مجرد أن الإنسان يكون طَلِقَ اللسان ذلق اللسان قادراً على الكلام قادراً على التسطير والوصف لا يعني ذلك أنه يُدرك الحقائق، هذه قضايا بعيدة المنال ينالها الإنسان بالتوفيق بتوفيقٍ من أهل البيت كما نالها سلمان، كان سلمان مُحَدَّثاً كيف كان مُحَدَّثاً، ولذلك الروايات تقول أوتي سلمان ماذا أوتي؟ أوتي العلم الأول والعلم الآخر، أوتي العلم الأول والعلم الآخر لمن أوتي؟ أعطي سلمان العلم الأول والعلم الآخر ولذا في بعض الروايات من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، هذا الكلام لا لجهة سلمان بما هو سلمان هذا الكلام لجهة اندكك سلمان في أهل البيت، من هذه الجهة من عرفه كان مؤمناً وإلا سلمان ليس ميزاناً للإيمان وللکفر.

عليّ كان ميزاناً للإيمان وللکفر، حسينٌ كان ميزاناً للإيمان وللکفر، اندكك سلمان في عليٍّ من هذه الجهة أكسبه هذا المعنى فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، ومعرفة أولياء أهل البيت التي نشكر الله عليها في زيارة عاشوراء وفي غيرها من الزيارات، معرفة أولياء أهل البيت بهذا اللحاظ، أولياء أهل البيت الذين اندكوا ولذلك في زيارة عاشوراء لماذا هذا التأكيد على معرفة أولياء أهل البيت؟ لأن أصحاب الحسين كانوا في هذه المنزلة اندكوا في حسين وآل حسين، فلذلك هذا التأكيد الواضح على معرفة أولياء أهل البيت في زيارة عاشوراء ولو كان المقام يسنح بذلك لقرأنا هذه المقاطع ووقفنا عندها لكن الوقت لا يكفي للدخول في هذه التفاصيل ربما أتناولها في وقتٍ آخر، إماننا ماذا يقول؟

وإن عندنا سرّاً من الله ما كلف الله به أحداً غيرنا ثم أمرنا بتبليغه فبلغناه فلم نجد له أهلاً ولا موضعاً ولا حَمَلَةً يَحْمِلُونَهُ حَتَّى خَلَقَ اللهُ لِدَلِكِ قَوْمًا خُلِقُوا مِنْ طِينَةِ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَمِنْ نُورِهِمْ صَنَعَهُمُ اللهُ بِفَضْلِ صُنْعِ رَحْمَتِهِ فَبَلَّغْنَاهُمْ عَنِ اللهِ مَا أَمَرْنَا فَبَلَّغْنَاهُ وَاحْتَمَلُوا ذَلِكَ وَلَمْ تَضْطَرْبْ قُلُوبَهُمْ وَمَالَتْ أَرْوَاحَهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِنَا وَسَرْنَا وَابْحَثْ عَنِ أَمْرِنَا وَإِنَّ اللهُ خَلَقَ أَقْوَاماً لِلنَّارِ وَأَمَرْنَا أَنْ نَبْلِغَهُمْ ذَلِكَ فَبَلَّغْنَاهُ فَاشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْهُ وَنَفَرُوا عَنْهُ وَرَدَّوهُ عَلَيْنَا وَلَمْ يَحْتَمِلُوهُ وَكَذَبُوا بِهِ - قطعاً هذا التبليغ لأهل النار بحسبهم التبليغ المناسب لهم، أما التبليغ عن المرتبة الأولى مثل سلمان وأمثال سلمان فالتبليغ ليس باللفظ - ولم يَحْتَمِلُوهُ وَكَذَبُوا بِهِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ أَطْلَقَ أَلْسِنَتَهُمْ بِبَعْضِ الْحَقِّ فَهُمْ يَنْطِقُونَ بِهِ لَفْظاً وَقُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ لَهُ ثُمَّ بَكَى - والحديث هنا ليس عن الأعداء، الحديث هنا عن طبقة تؤمن بألسنتها تلاحظون - وإنَّ اللهُ خَلَقَ أَقْوَاماً لِلنَّارِ وَأَمَرْنَا أَنْ نَبْلِغَهُمْ ذَلِكَ فَبَلَّغْنَاهُ فَاشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْهُ وَنَفَرُوا عَنْهُ وَرَدَّوهُ عَلَيْنَا وَلَمْ يَحْتَمِلُوهُ وَكَذَبُوا بِهِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ - هذا التبليغ ليس في مرحلة الألفاظ هذا في مرحلة خارج مرحلة الألفاظ - ثُمَّ أَطْلَقَ أَلْسِنَتَهُمْ - هذا في مرحلة الألفاظ - ثُمَّ أَطْلَقَ

أَسَنَّتْهُمْ بَعْضَ الْحَقِّ فَهُمْ يَنْطِقُونَ بِهِ لَفْظًا وَقُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ لَهُ ثُمَّ بَكَى عَلَيْهِ السَّلَامَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ الشَّرْذِمَةُ الْمُطِيعِينَ لِأَمْرِكَ قَلِيلُونَ اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ مَحْيَاهُمْ مَحْيَانًا وَمَمَاتَهُمْ مَمَاتِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا فَإِنَّكَ إِنْ سَلَّطْتَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا لَنْ تُعْبَدَ - الحديث هنا فيه جهات عديدة أنا أوردته فقط من هذه الجهة وهو قول الإمام الصادق عليه السلام: وَإِنَّ عِنْدَنَا سِرًّا مِنَ اللَّهِ مَا كَلَّفَ اللَّهُ بِهِ أَحَدًا غَيْرَنَا - أنا أوردته من هذه الجهة.

هناك رواية قريبة من هذه الألفاظ أقرأها للفائدة لوجود شيء من الاختلاف فيما بين هذه الرواية، الرواية في الكافي هذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف، الرواية منقولة عن مُحَمَّد بن عبد الخالق وأبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا أبا مُحَمَّد - أبو مُحَمَّد هي كنية أبي بصير، أبو بصير يُكنى بكنيتين يكنى بأبي مُحَمَّد فهذه كنيته كنية باسم ولده ويكنى بأبي بصير لأنه كان ضريراً كان بصيراً - عن مُحَمَّد بن عبد الخالق وأبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا أبا مُحَمَّد إن عندنا والله سرّاً من سر الله وعِلماً من علم الله والله ما يحتمله مَلَكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان والله ما كَلَّفَ الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا وإن عندنا سرّاً من سرّ الله وعِلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغِهِ - يعني هناك سر هذا خاصٌّ بهم السر الأول - إن عندنا والله سرّاً من سر الله وعِلماً من علم الله والله ما يحتمله مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان والله ما كَلَّفَ الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا - هذا خاصٌّ بهم - وإن عندنا سرّاً - هذا نوعٌ آخر - وإن عندنا سرّاً من سرّ الله وعِلماً من علم الله - وهو الذي تحدثت عنه الرواية قبل قليل - وإن عندنا سرّاً من سرّ الله وعِلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغِهِ فبلغنا عن الله عزّ وجلّ ما أمرنا بتبليغِهِ فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حَمَالَةً يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً خُلِقُوا من طينةٍ خُلِقَ منها مُحَمَّدٌ وآله وذريته، ومن نورٍ خلق الله منه مُحَمَّدٌ وذريته وصنعهم بفضل رحمته التي صنع منها مُحَمَّدٌ وذريته فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغِهِ فقبلوه واحتملوا ذلك، فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه - أيضاً في نصٍ آخر - وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا فلولا أنهم خُلِقُوا من هذا لَمَا كانوا كذلك لا والله ما احتملوه ثم قال: إن الله خلق أقواماً لجهنم والنار فأمرنا أن نبلغهم منا ذلك بلغناهم واشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه وكذبوا به وقالوا ساحرٌ كذاب فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق فهم ينطقون به وقلوبهم مُنْكَرَةٌ ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته ولولا ذلك ما عبَدَ الله في أرضه فأمرنا بالكفّ عنهم والستر والكتمان فاكتموا عمن أمر الله بالكفّ عنه واستروا عمن أمر الله

بالستر والكتمان عنه - يعني استروا حقيقته لا تكشفوا حقيقته - قال: ثم رفع يده وبكى وقال: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرْدَمَةٌ قَلِيلُونَ فَاجْعَلْ مَحِيَانَا مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتَنَا مَمَاتَهُمْ وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا لَكَ فَتَفْجَعَنَا بِهِمْ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْجَعْتَنَا بِهِمْ لَمْ تُعْبِدْ أَبَدًا فِي أَرْضِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا - الحديث فيه حقائق كثيرة، الحديث هذا بحاجة إلى حلقة أو أكثر من حلقة لشرحه أنا أوردته فقط لأجل السطور الأولى - إِنَّ عِنْدَنَا وَاللَّهِ سِرًّا مِنْ سِرِّ اللَّهِ وَعِلْمًا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَاللَّهُ مَا كَلَّفَ اللَّهُ ذَلِكَ أَحَدًا غَيْرِنَا وَلَا اسْتَعْبَدَ بِذَلِكَ أَحَدًا غَيْرِنَا - هذا هو سر الله الذي لا يُبْلَغُ بالكلام لا يُنْقَلُ بالحديث.

هذا هو سر الله الذي إليه الإشارة هنا في هذه الزيارة: وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ - وإلا لو خرج منهم إلى غيرهم لَمَا كَانَ سِرُّ اللَّهِ، سِرُّ اللَّهِ الذي لا يخرج منهم إلى غيرهم، وهم سر الله كما جاء في دعاء يوم المبعث وَنَحْنُ نَقْرَأُ فِي دَعَاءِ يَوْمِ الْمَبْعَثِ عَنِ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ، أليس هو هذا السِّرُّ - فَأَسْأَلُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ - فَأَسْأَلُكَ بِهِ: أسألك بشهر رجب وهذا له دلالة فشهر رجب هو مظهرٌ من مظاهر الولاية العلوية - فَأَسْأَلُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِ الْأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ - لماذا؟ لأنه هذا هو سر الله، السر الذي لا يخرج إلى غير صاحب السر، وهذا هو السر الذي تحدثت عنه روايات البحار وروايات الكافي وأحاديث كثيرة جداً، وهو السر الذي قال عنه أئمتنا فمن يحتمله قالوا نحن، نحن نحتمله، هذه طبقات وأفاق من السر وهم حَفَظَةُ سر الله، هم حَفَظَةُ سر الله في الأفق الذي أشارت إليه رواية الكافي قبل قليل وهم سر الله في الأفق الذي أشار إليه دعاء يوم المبعث: خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ اللَّهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ - وما عساني أتحدث عن سر الله إني لا أعرفه ولا يعرفه غيري فهل يتمكن المرء أن يتحدث عن شيء لا يعرفه؟! أوليس ذلك من الحمق، أوليس ذلك من الحمق أن نتحدث عن شيء لا نعرفه، نحن نملك فقط الإشارات إليه من بعيد كقائل يقول هذه السماء من هذه الجهة فماذا نعرف عن السماء هل نعرف شيئاً؟ هناك من دلنا فقال هذه هي السماء، لو لم يرشدنا أحد إلى أن هذه هي السماء لَمَا عَرَفْنَا أَنَّ هَذِهِ هِيَ السَّمَاءُ، فنقول هذه هي السماء، هم أرشدونا قالوا نحن سر الله، نحن حفظة سر الله، نقول هؤُلاءِ هم حَفَظَةُ سر الله كيف يحفظونه؟ ما هو سر الله؟ ذلك شيء لا نعرفه، لو كنا نعرفه لَمَا كَانَ سِرًّا، فهل نعرف الله حتى نعرف سره؟ - وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ - ولكننا نشير إليهم بما أشاروا به إلى أنفسهم فهذه إشارة من إشارات هذا القول البليغ

الكامل قالت الزيارة: **وَحَفَظَةَ سِرِّ اللَّهِ** - فإني أقولها وأقول بأن القول مني ما قاله آل مُحَمَّد ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، يقولونه سواء بلغني أم لم يبلغني، ما أسروا وما أعلنوا، هم يقولون هكذا: من أراد أن يستكمل الإيمان كل الإيمان فليقل القول مني ما قاله آل مُحَمَّد ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، أنا مُصَدِّقُ به مُدْعِنٌ به مُقَرَّرٌ به، ما بلغني عنهم وما لم يبلغني وأي افتراضٍ من القول يُفترض أنهم قالوه أو سيقولونه فإني مُصَدِّقٌ به، القول مني ما قاله آل مُحَمَّد ما بلغني عنهم وما لم يبلغني، القول مني قول آل مُحَمَّد فيما أسروا وما أعلنوا.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكََةِ اللَّهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ - هذا عنوان جديد وعنوان واسع أنا سأحدث عن جانبٍ منه وجوانبٍ أخرى أتناولها في مقاماتٍ أخرى إن شاء الله، لأن هذا العنوان عنوان كتاب الله عنوانٌ وسيعٌ جداً في فكر أهل البيت وعنوانٌ عميقٌ جداً في فكر أهل البيت، كتاب الله من أوسع العناوين التي تحدث عنها أهل البيت ومن أعمق العناوين التي جاءت الإشارات والرموز والتلويحات في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لذا أنا سأحدث عن جانب حتى أتمكن أن أتي بالحديث عن بقية العناوين حتى تتم هذه الحلقة فتكون يعني بنهايتها قد أتممت الحديث في المقطع الثالث من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة.

وَحَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ، الكتاب في لغة العرب يعني المجموع ولذلك يقال كتيبة، كتيبة هي المجموعة من الجنود، ويقال كتابة الكتابة هي جمعٌ للحروف ولل كلمات كتب في لغة العرب جمع والكتاب هو الحقيقة الجامعة - **وَحَمَلَةَ كِتَابِ اللَّهِ** - فلننظر إلى هذا المضمون، لننظر إلى كتاب الله إلى القرآن وإلا كتاب الله هنا له دلالات كثيرة، أنا هنا أتناول فقط هذه الدلالة أن المراد من كتاب الله هو القرآن الكتاب الصامت، فهم حَمَلَةٌ لهذا الكتاب حَمَلَةٌ كتاب الله، ماذا في كتاب الله؟ هذا الكتاب الصامت هو عبارة عن مفاتيح هذه المفاتيح تفتح أبواباً من المعارف والحقائق لا يفتحها إلا هم ولا يدخل من خلالها إلا هم وإنما يخرج إلينا ما يخرج من خلال هذه الأبواب، إن كان ذلك في أفق الألفاظ، في أفق العبارة، في أفق الإشارة أو كان ذلك في أفق اللطائف لأهل اللطائف من أمثال سلمان، كان سلمان مُحَدَّثاً، اللطائف لا تأتي بالكلام مُحَدَّثاً عن إمامه، اللطائف هي التي تنتقل من الإمام إلى سلمان عبر الوصال المعنوي عبر الاندكاك في باطن أهل البيت وفي المقام السري لأهل البيت، إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم، إني مؤمنٌ بسرركم وعلايتكم حين أقول هكذا وأقول مؤمنٌ يعني هناك مجالٌ للإنسان أن يصل إلى هذا الباطن أن يصل إلى هذا السر ولكن من يصل إلى ذلك؟ هل نحن الذين نغط في هذه الحُجُب وفي هذه الظلمات من الجهل من الابتعاد ومن الهجران لأهل البيت، الذين يستطيعون أن يصلوا إلى تلك المقامات سلمان وأمثال سلمان رضوان الله تعالى

عليهم، الحديث في أفق هذا الكتاب، أفق هذا الكتاب الذي هو مجمع الأسرار، أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حَدَّثونا عن هذا الكتاب، على سبيل المثال لنأخذ مثلاً مما حَدَّثَ به أهل البيت: مثلاً هذه الرواية هذا هو الجزء الثالث من بحار الأنوار الرواية، عن وهب بن وهب القرشي سَمِعْتُ الصادق عليه السلام يقول: قَدِمَ وَفَدَّ مِنْ فِلَسْطِينَ عَلَى الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهذا يُشعر بأن من شيعة أهل البيت كانوا في فلسطين في تلكم الأعصار في زمن الإمام الباقر عليه السلام - قَدِمَ وَفَدَّ مِنْ فِلَسْطِينَ عَلَى الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلُوهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الصَّمَدِ فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ فِيهِ - مِنْ جُمْلَةِ التَّفْسِيرِ - الصَّمَدُ خَمْسَةُ أَحْرَفٍ - ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أنا أوردت هذه الرواية لا للاستدلال بعمقها وهي عميقة فعلاً لكنني أوردت هذه الرواية لأشير إلى جهة من جهات التفسير وإلى ناحية من نواحي التفسير عند أهل البيت.

الصَّمَدُ خَمْسَةُ أَحْرَفٍ فَالْأَلْفُ دَلِيلٌ عَلَى إِنْجِيتهِ - عَلَى أُنْيَةِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فَالْأَلْفُ دَلِيلٌ عَلَى إِنْجِيتهِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ - وَالْإِنْجِيَةُ هُنَا هِيَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الضَّمِيرُ هُوَ، الْإِشَارَةُ إِلَى الْهُويَّةِ وَهِيَ مَعَانٍ عَمِيقَةٌ جَدًّا - فَالْأَلْفُ دَلِيلٌ عَلَى إِنْجِيتهِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ - الْإِنْجِيَةُ هُنَا هِيَ الْهُويَّةُ - وَذَلِكَ تَنْبِيهُ وَإِشَارَةٌ إِلَى الْغَائِبِ عَنِ دَرَكِ الْحَوَاسِ وَاللَّامِ دَلِيلٌ عَلَى إِلَهِيَّتِهِ بِأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ مَدْغَمَانِ لَا يَظْهَرَانِ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَقْعَانِ فِي السَّمْعِ - بِاعْتِبَارِ الصَّادِ هُنَا مِنَ الْأَحْرَفِ الشَّمْسِيَّةِ وَالْأَحْرَفِ الشَّمْسِيَّةِ تَدْغَمُ اللَّامَ - وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ مَدْغَمَانِ لَا يَظْهَرَانِ عَلَى اللِّسَانِ وَلَا يَقْعَانِ فِي السَّمْعِ وَيَظْهَرَانِ فِي الْكِتَابَةِ دَلِيلَانِ عَلَى أَنَّ إِلَهِيَّتَهُ لَطِيفَةٌ خَافِيَةٌ لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ وَلَا يَقَعُ فِي لِسَانٍ وَاصِفٍ وَلَا أُذُنٍ سَامِعٍ لِأَنَّ تَفْسِيرَ الْإِلَهِ هُوَ الَّذِي أَلَّهُ الْخَلْقَ عَنِ دَرَكِ مَائِيَّتِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ بَحْسٍ أَوْ بُوْهِمٍ لَا بَلَّ هُوَ مُبْدِعُ الْأَوْهَامِ وَخَالِقُ الْحَوَاسِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْكِتَابَةِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَظْهَرَ رَبُوبِيَّتَهُ فِي إِبْدَاعِ الْخَلْقِ وَتَرْكِيبِ أَرْوَاحِهِمُ اللَّطِيفَةَ فِي أَجْسَادِهِمُ الْكَثِيفَةَ فَإِذَا نَظَرَ عَبْدٌ إِلَى نَفْسِهِ لَمْ يَرِ رُوحَهُ كَمَا أَنَّ لَامَ الصَّمَدِ لَا تَتَبَيَّنُ وَلَا تَدْخُلُ فِي حَاسَةٍ مِنْ حَوَاسِهِ الْخَمْسِ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْكِتَابَةِ ظَهَرَ لَهُ مَا خَفِيَ وَلَطُفَ فَمَتَى تَفَكَّرَ الْعَبْدُ فِي مَائِيَّةِ الْبَارِي وَكَيْفِيَّتِهِ أَلَّهُ فِيهِ وَتَحْيِيرِهِ وَلَمْ تَحْطِ فِكْرَتُهُ بِشَيْءٍ يُتَصَوَّرُ لَهُ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُ الصُّورِ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى خَلْقِهِ ثَبَتَ لَهُ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُمْ وَمُرَكَّبُ أَرْوَاحِهِمْ فِي أَجْسَادِهِمْ وَأَمَّا الصَّادُ فَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَادِقٌ وَقَوْلُهُ صَدَقَ وَكَلَامُهُ صَدَقَ وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى إِتْبَاعِ الصَّدَقِ بِالصَّدَقِ وَوَعَدَ بِالصَّدَقِ دَارَ الصَّدَقِ وَأَمَّا الْمِيمُ فَدَلِيلٌ عَلَى مُلْكِهِ وَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ وَأَمَّا الدَّالُ فَدَلِيلٌ عَلَى

دوام مُلكه وأنه عَزَّ وَجَلَّ دائمٌ تعالی عن الكون والزوال بل هو الله عَزَّ وَجَلَّ مكون الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن - هذه الرواية لا تتحدث عن مناسبات لفظية بين مثلاً الميم مع المُلْك والِدال مع الدوام، هذه الحروف لها دلالات عميقة جداً، هذه الحروف قبل أن تكون في القرآن لها دلالات فلماً جاءت في القرآن صارت لها دلالات أعمق سيأتي بيان ذلك - ثم قال عليه السلام: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد - فقط من كلمة الصمد- لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَةً لنشرت التوحيد - وقد قالها عليٌّ: وكل القرآن في النقطة وأنا النقطة.

وما عجبٌ في ذلك نورهم واحد ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حَمَلَةً لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علماً جَمًّا هاه هاه ألا لا أجد من يَحمله ألا وأناي عليكم من الله الحُجَّة البالغة فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، ثم قال الباقر: الحمد لله الذي منَّ علينا ووقفنا لعبادته، الحمد لله الذي منَّ علينا ووقفنا لعبادته الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وجنبا عبادة الأوثان حمداً سرمداً وشكراً واصباً وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه ولم يولد فيكون له والد يُشركه في ربوبيته ومُلكه ولم يكن له كفواً أحد فيُعازره في سلطانه - يُعازره يعني يشاركه في عزته في سلطانه.

هذه الرواية نموذج من عشرات بل مئات من كلمات أهل البيت التي جاءت في بيان حقائق معاني القرآن وتلاحظون الجهات والنواحي التي ذهب إليها الإمام آخِذاً من حروف القرآن وكأن هذه الحروف كل حرف من هذه الحروف خُزَّنة، وفعلاً هي خُزَّنة، خُزَّنة الأسرار أنا قلت قبل قليل بأن القرآن مفاتيح وهذه المفاتيح تؤدي إلى أبواب وهذه الأبواب تؤدي إلى خزائن والخزائن هم أهل البيت صلوات الله عليهم، هم المفاتيح وهم الأبواب وهم الخزائن وهم القرآن هم القرآن الناطق هؤلاء هم حَمَلَة كتاب الله كما قلت بأن هذه الحروف حينما يتحدث الإمام عن الميم والملك، عن الدال والدوام ليست مناسبة لغوية للتشابه بين حرف الميم وبين حرف الميم الموجود في أول كلمة المُلْك وبين حرف الدال وبين حرف الدال الموجود في كلمة الدوام، هذه الحروف أساساً لها دلالات لها معاني قبل أن تكون في القرآن، كل القضايا لها إشارات ولها

دلائل وإلى هذا إمامنا يشير، إمامنا أمير المؤمنين حين يقول: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه. هناك إشارات نحن لا ندركها لكن الأئمة فقط من بعيد قالوا لنا يا هؤلاء يا من تحبوننا هناك أشياء في هذا الوجود أشاروا إلينا من بعيد كما يشير الأب إلى طفله.

على سبيل المثال مثلاً هذه الرواية، الرواية جاءت في معاني الحروف وروايات عديدة كثيرة هذه الرواية منقولة عن الأصمغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سأل عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وآله - هذا هو الجزء الثاني من بحار الأنوار والرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن معاني الأخبار للشيخ الصدوق وعن مصادر أخرى أوردت هذه الرواية - سأل عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله: ما تفسير أبجد؟ - أبجد هوز حطي كلمن - ما تفسير أبجد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا تفسير أبجد فإن فيه الأعاجيب كلها، ويلٌ لعالمٍ جهل تفسيره - أي تفسير، ليس تفسير في الحدود اللفظية هناك دلالات عميقة جداً.

هناك ترابط بين هذه الموجودات الكلام ليس في حدود قواميس اللغة - ويلٌ لعالمٍ جهل تفسيره، فقيل يا رسول الله ما تفسير أبجد؟ قال: أما الألف فألاء الله حرفٌ من أسمائه وأما الباء فهجة الله وأما الجيم فجنة الله وجلال الله وجماله وأما الدال فدين الله وأما هوز فالهاء هاء الهاوية فويلٌ لمن هوى في النار وأما الواو فويلٌ لأهل النار وأما الزاي فزاوية في النار فنعود بالله ممّا في الزاوية يعني زوايا جهنم وأما حُطي فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرئيل مع الملائكة إلى مطلع الفجر وأما الطاء فطوبى لهم وحسن مئاب وهي شجرة غرسها الله عزّ وجلّ ونفخ فيها من روحه - شجرة طوبى منبتها في بيت عليّ صلوات الله عليه هكذا تقول الروايات - وأما الطاء فطوبى لهم وحسن مئاب وهي شجرة غرسها الله عزّ وجلّ ونفخ فيها من روحه وأن أغصانها كثرى من وراء سور الجنة تُنبت بالحلي والحل متدلّية على أفواههم - أي شجرة هذه؟

هذه شجرة عليّ كلها رموز، هذه الأحاديث كل حديث بحاجة إلى ساعات وساعات في الشرح والبيان - وأما الياء فيد الله فوق خلقه سبحانه وتعالى عمّا يشركون وأما كلمن فالكاف كلام الله لا تبديل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحداً وأما اللام فالمام أهل الجنة بينهم في الزيارة والتحية والسلام وتلاوم أهل النار فيما بينهم وأما الميم فملك الله الذي لا يزول ودوام الله الذي لا يفنى وأما النون فنون والقلم وما يسطرون فالقلم قلمٌ من نور وكتابٌ من نور في لوح محفوظ يشهده المقربون وكفى بالله شهيداً وأما صغفص فالصاع صاعٌ بضاع وفضٌ بفض يعني الجزاء بالجزاء وكما تدين تُدان إن الله لا يريد ظلاماً للعباد وأما قرشت يعني قرشهم فحشرهم - قرشهم جمعهم - يعني قرشهم فحشرهم

ونشرهم إلى يوم القيامة ففضى بينهم بالحق وهم لا يُظلمون - هناك روايات تفصل أكثر في بقية الحروف أنا هنا فقط أورد نماذج وأمثلة لست في مقام الاستقصاء لأنني لو كنت في مقام الاستقصاء فهذا يعني أقف عند زاوية واحدة وبالتالي ينتهي وقت البرنامج وما تمكنت من الحديث عن تلكم الزاوية أو عن تلكم الجهة، ليس فقط الحروف لها دلالات حتى النغمات الموسيقية حتى النوتات حتى الأصوات، هذه النوتة الموسيقية لها معانٍ هذه الأصوات لها معانٍ، كل شيءٍ في هذا الوجود له دلالة - ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه - حين أتحدث عن النوتة الموسيقية لا أعني النوتة الموسيقية الشيطانية التي منشأها من إبليس حتى هذه لها دلالات وإنما أتحدث عن موسيقى الوجود، الوجود كله نغمٌ موسيقي.

هذه رواية على سبيل المثال الرواية أيضاً يرويها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار، الرواية منقولة هنا عن سيد الشهداء بسندٍ مفصل عن الأئمة عن سيد الشهداء - جاء يهودي إلى النبي - الحقيقة الرواية طويلة أنا أتركها إن شاء الله لوقتٍ آخر الرواية هذه فيها تفصيل وتفرع لكل الحروف من الألف إلى الياء أنا أشير إلى مصدرها يمكنكم أن تراجعوها لأن الوقت قد انقضى منه شطرٌ كبير، الرواية صفحة: 319 من الجزء الثاني من بحار الأنوار وهو قد نقلها عن معاني الأخبار في معاني حروف الهجاء من الألف إلى الياء، أنا أورد رواية أخرى.

الرواية أيضاً ينقلها عن معاني الأخبار ينقلها الشيخ المجلسي، عن الحارث بن الأعور قال: بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة - الحيرة بجانب الكوفة - إذا نحنُ بديراني - لأن الحيرة كان فيها سكانها من النصارى ولا زالت إلى اليوم آثار الأديرة والكنائس القديمة موجودة في منطقة الحيرة - بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة إذا نحنُ بديراني يضرب بالناقوس قال: فقال علي بن أبي طالب يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس؟ - الناقوس صوتٌ نغمٌ موسيقي - قلت: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم قال: إنه يضربُ مثل الدنيا وخرابها ويقول - ماذا يقول هذا الناقوس في هذه النغمة الموسيقية؟ عليّ هذا الذي يتحدث ما رأيتُ شيئاً، حين يقول ما رأيت شيئاً ليس مقصود الرؤية البصرية يتحدث بالرؤية المحيطة، الرؤية المحيطة هي العلم، الرؤية المحيطة في نفس الوقت يسمع ويرى ويشم ويدوق، الرؤية الإحاطية هذه ليس رؤية البصر يعني الإمام حين يقول ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه يعني إذا شم شيئاً لا يكون هذا المعنى أيضاً فقط الأشياء التي يراها بعينه؟! قطعاً الحديث ليس عن رؤية بصرية هذا رؤيا إحاطية هذه رؤية عليّ المعنى عميق وواسع جداً، فماذا يقول عليّ؟ قال هذا الناقوس هكذا يقول:

لا إله إلا الله حقاً حقاً صدقاً صدقاً إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا - تلاحظون هناك

إيقاع في الكلمات - لا إله إلا الله حَقًّا حَقًّا صِدْقًا صِدْقًا إِنَّ الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً، يا ابن الدنيا دَقًّا دَقًّا، يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً تُفني الدنيا قرناً قرناً ما من يوم يمضي عنا إلا وهي أوهى منا ركننا، قد ضيعنا داراً تبقى واستوطننا داراً تفنى، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا - يعني بعد الموت تنكشف الحقائق - قال الحارث يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو يعلمون ذلك لَمَا اتَّخَذُوا المسيح إلهاً من دون الله عزَّ وجلَّ قال: فذهبت إلى الديراني فقلت له بِحق المسيح عليك لَمَا ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها - يعني دُق لي الناقوس كما كنت تدقه - قال: فأخذ يضرب وأنا أقولها حرفاً حرفاً مع النغمات حتى بلغ إلى قوله إلا لو لقد متنا - إلى قول الأمير - فقال: بِحق نبيكم من أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس - يبدو أن الديراني لأن حتماً يصعد إلى مكان عالي حتى يجرك الناقوس بواسطة الحبل فيبدو أنه قد رآه مع الأمير - فقال: بِحق نبيكم من أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس قال: وهل بينه وبين النبي من قرابة؟ قلت: هو ابن عمه قال: بِحق نبيكم أَسْمَع هذا من نبيكم؟ قال: قلتُ نعم فأسلم ثم قال: والله إني وجدت في التوراة أنه يكون في آخر الأنبياء نبيٌّ وهو يفسر ما يقول الناقوس - وهذا مثال أنا قلت لست في مقام الاستقصاء والله لو أردت أن استقصي الروايات الواردة في تفسير الأصوات الموجودة في الوجود لاحتجنا إلى ساعات وساعات.

روايات كثيرة عن الأئمة في تفسير الأصوات في تفسير الحروف في تفسير كل ظاهرة من ظواهر الوجود وهذا كله عبثٌ من الكتاب، الكتاب تبيانٌ لكل شيء وهؤلاء هم حَمَلَة كتاب الله، لو سألتهم من أين جئتم بهذا؟ لقالوا جئنا بها واضحةً من كتاب الله هكذا هم يقولون حينما يتحدثون عن الحقائق يقولون نحن نُجيء بها من عينٍ صافية من كتاب الله وهم كتاب الله الناطق، وهذه مظاهر مظاهر فقط من معاني كتاب الله وإلا القضية أعمق بكثير، نحن نسلّم عليهم هكذا: السَّلَامُ عَلَى حَمَلَة كتاب الله، ماذا يقول أئمتنا صلوات الله عليهم؟ نحن في شهر القرآن في شهر كتاب الله، هذا الشهر شهر كتاب الله لا لأجل المد والإدغام ولا لأجل القراءات المختلفة التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا لأجل الانشغال بالقلقلة والترقيق وأمثال هذه الأمور، هذا القرآن أنزله الله للتدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ما قال أفلا يمدون القرآن مداً بحركتين أو بأربع حركات ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ لكننا كيف نتدبر القرآن؟ لا بد أن نذهب إلى الذين عندهم المفاتيح وهم الأبواب وهم الخزائن إمامنا السجاد يقول آيات الكتاب خزائن، الخزائن قطعاً تكون

مقفلة، أين نجد المفاتيح؟ أين نجد الشفرة التي نفتح بها هذه الخزائن؟ الشفرة عند علي وآل علي الشفرة هناك.

عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه: يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن ظهراً، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه إن الآية لينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه.

عن إمامنا الباقر: من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر - أصاب من قبيل هكذا يعني أصاب كالذي يصيب ويخيب - من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر - لماذا؟ لأنه أصاب هكذا جزافاً - وإن أخطأ كان إثمهُ عليه - أين هذه المدرسة من تلكم المدرسة التي تقول من اجتهد فأصاب له أجران وأخطأ فله أجر هذه مدرسة معاوية وأسلاف معاوية - من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر وإن أخطأ كان إثمهُ عليه - إمامنا الباقر يقول: ما علمتم فقولوا - ما علمتم يعني ما أخذتم من مصدر العلم الحقيقي هو هذا العلم - ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم - إذا علمتم بشيء فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم - فإن الرجل ينزع بالآية - يعني يذهب بها بعيداً - فيخرُ بها أبعد ما بين السماء والأرض - يعني يذهبُ بها بعيداً في بيان معناها - فيخرُ بها - يخرُ إلى أين يخرُ إلى هاوية الجهل - فيخرُ بها أبعد ما بين السماء والأرض.

عن صادق الآل: من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ فهو أبعد من السماء.

عن صادق الآل: ليس أبعدُ أو ليس أبعدَ من عقول الرجال من القرآن.

عن صادق العترة يقول: قال أبي - يعني الباقر صلوات الله عليه - ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعضٍ إلا كفر - ضرب بعضه ببعض هكذا بحسب آراءه وأخذ يفسر هذه الآية بتلكم الآية من دون أن يكون عالماً بالمُحكّم والمُتشابه بالناسخ والمنسوخ بالمجمل والمبين بكل هذه التفاصيل التي علمها خاصٌ فقط بمن خوطب به.

رواية جميلة عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، هذا مقطع من رسالة الإمام هذه الرواية يرويها البرقي رحمة الله عليه في المحاسن، من رسالة، مقطع من رسالة يكتبها الإمام الصادق - وإن القرآن أمثالٌ لقومٍ يعلمون دون غيرهم - أمثال ما المراد من الأمثال؟ الأمثال يعني شفرات المثل ما هو؟ المثل هو عبارة هذه العبارة تتحدث عن حقيقة ووراء هذه الحقيقة قصة وأحداث ووقائع هذا معنى المثل، يعني القرآن عبارة عن شفرات، شفرات تكشف عن الحقيقة ليس الكلام في الدلالة العربية والفظ العربي هذا وجهٌ من وجوه القرآن وقطعاً هذا نحن لا ننكره هذه قضايا بديهية نحن نتحدث فيما وراء اللفظ - وإن القرآن

أمثالٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلِقَوْمٍ يَتْلُونَهُ حَقُّ تِلَاوَتِهِ - حَقُّ التَّلَاوَةِ لَا بِالِادْغَامِ وَبِالسَّكْتِ وَبِالْوَصْلِ وَبِإِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنْ مَخَارِجِهَا وَذَلِكَ شَيْءٌ جَيِّدٌ وَحَسَنٌ أَنْ نَخْرُجَ الْحُرُوفَ مِنْ مَخَارِجِهَا وَأَنْ نَقِفَ عِنْدَ مَوَاضِعِ الْوَقْفِ لَكِنْ لَا أَنْ تَكُونَ الْغَايَةَ الْقَصْوَى مِنَ الْقُرْآنِ هِيَ هَذِهِ الْأُمُورُ، هَذِهِ أُمُورٌ سَطْحِيَّةٌ وَالْعَجِيبُ أَنَّ النَّاسَ مَنشَغَلَةٌ بِهَذِهِ الْأُمُورِ السَطْحِيَّةِ، حَقُّ التَّلَاوَةِ هُوَ مَعْرِفَةُ مَعَانِي الْقُرْآنِ - وَإِنَّ الْقُرْآنَ أَمْثَالٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلِقَوْمٍ يَتْلُونَهُ حَقُّ تِلَاوَتِهِ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْرِفُونَهُ فَأَمَّا غَيْرِهِمْ - الَّذِينَ يَتْلُونَهُ حَقُّ تِلَاوَتِهِ هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ هَكَذَا بَيَّنَّتِ الرِّوَايَاتُ وَهِيَ الْحَقِيقَةُ الْوَاضِحَةُ - فَأَمَّا غَيْرِهِمْ فَمَا أَشَدَّ إِشْكَالَهُ عَلَيْهِمْ مَا أَشَدَّ الْإِشْكَالَ وَأَبْعَدَهُ مِنْ مَذَاهِبِ قُلُوبِهِمْ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنَ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ - لِمَاذَا جَعَلَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ بَعِيداً - وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَنْتَهَوْا إِلَى بَابِهِ وَصِرَاطِهِ وَأَنْ يَعِيدُوهُمْ وَيَنْتَهَوْا فِي قَوْلِهِ إِلَى طَاعَتِهِ بِكِتَابِهِ وَالنَّاطِقِينَ عَنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَسْتَنْبِطُوا مَا أَحْتَاجُوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُمْ لَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ من الذي يستنبطونه منهم؟ ذلك

الذي لا يعرف معنى إبا يعني الحشيش من الذين يستنبطونه منهم؟

فأما غيرهم فليس يعلم ذلك أبداً فإياك وتلاوة القرآن برأيك فإن الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور ولا قادرين عليه ولا على تأويله إلا من حده وبابه الذي جعله الله له - له باب واحد فقط، الرواية بحاجة إلى أن أقرأها مئة مرة على مسامعكم وبحاجة إلى شرح ولكن ماذا نصنع للوقت الوقت يجري سريعاً، هذه الرواية بحاجة إلى أن نقف عندها طويلاً، هذه الرواية أنا أنقلها من تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمحدث الجليل أبي الحسن النباطي العملي رضوان الله تعالى عليه هو ينقلها عن محاسن البرقي وهي موجودة في البحار أيضاً.

رواية هنا ينقلها السيد هاشم البحراني ينقلها عن الشيخ الصدوق أوردها في الغيبة في غيبة الصدوق، الرواية: عن جابر بن يزيد الجعفي عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرّة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لعن الله المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبياً ومن جادل في آيات الله فقد كفر قال الله عز وجل: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ - المجادلة

تأتي من الجهل ولذلك أنا مراراً أكرر بأن المجادلات لا تنفع الناس، المجادلات هذه الموجودة على الفضائيات المجادلات الموجودة على الإنترنت إن كان فيها منفعة في بعض الحالات فمنفعتها قليلة جداً، المنفعة أن نتدبر في القرآن وأن نتعلم ما يقول أهل البيت، المناقشات والمجادلات لا تعود بكثير فائدة على

الناس، الفائدة هو في التدبر في التبصر، ويستمر رسول الله في الحديث بعد أن يورد الآية:

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ ومن فسر القرآن برأيه فقد أفتى على الله الكذب ومن أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض - بغير علم من آل مُحَمَّد - من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار، قال عبد الرحمن بن سُمرة فقلت: يا رسول الله أرشدني إلى النجاة - إذا كانت القضية بهذه الخطورة - أرشدني إلى النجاة، فقال: يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي وهو الفاروق الذي يتميز به بين الحق والباطل من سأله أجابه ومن استرشده أرشده ومن طلب الحق عنده وجدته ومن التمس الهدى لديه صادفه ومن لجأ إليه أمنه - ونحن نلجأ إليك يا أمير المؤمنين، أمن من لجأ إليك يا أبا الحسن - ومن لجأ إليه أمنه ومن استمسك به أنجاه ومن اقتدى به هدى يا ابن سمرة سلّم منكم من سلّم ووالاه - هنا البحث عن السلامة الحقيقية هذه السلامة الحقيقية الباحث عن التأمين، التأمين هنا التأمين عند علي، الباحث عن الضمان الصحي الضمان الصحي صحة الدين وصحة العقول وصحة العقيدة هنا، هذه مؤسسة الضمان الصحي، ضمان صحة الأديان، ضمان صحة المعارف، ضمان صحة العقول.

إذا كانت هناك دعايات وإعلانات على القنوات الفضائية أو على شبكات الإنترنت لمؤسسات التأمين مؤسسات الضمان الصحي نحن هنا إعلاننا ودعايتنا فقط لهذه المؤسسة هذه القناة قناة محتكرة لهذه المؤسسة لمؤسسة الضمان الصحي أي مؤسسة؟ مؤسسة علي في ضمان صحة العقول وفي ضمان صحة المعتقدات وفي ضمان صحة الأديان - يا ابن سمرة سلّم منكم من سلّم ووالاه وهلك من رد عليه وعاداه، يا ابن سمرة إن علياً مني روحه من روحي وطينته من طينتي وهو أخي وأنا أخوه وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وإن منه إمامي أمتي وأبني وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائم أمتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً - والله لو عندنا فقط هذه الرواية لكفى بها خريطة كاملة لمسيرة الحياة، لو عندنا فقط هذه الرواية، هذه الرواية بينت لنا كيف نتعامل مع الكتاب ومع العترة، ما هي وديعة رسول الله؟ وديعة رسول الله الكتاب والعترة، هذه الرواية وحدها لو كنا نملك فقط هذه الرواية، هذه الرواية خريطة كاملة، خريطة مفصلة لكيفية التعامل مع وديعة رسول الله.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِنِ بَرَكَاتِهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ - وصف آخر عنوان آخر وإن كان الحديث عن العنوان السابق يحتاج إلى تطويل

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله كما يقول سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، فهم حَمَلَةُ كتاب الله بل هم كتاب الله وكفى بذلك كلاماً - وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ - وبعد كل هذا أفلا يكونون أوصياءً لنبي الله؟! وأنا هنا لا أريد أن أتحدث عن معنى الوصية فذلك موضوعٌ واسع أنا أحاول أن ألملم أطراف الحديث، هم أوصياءُ نبي الله الوصية هي سر مُحَمَّد وسر مُحَمَّد انتقل إليهم بل هو فيهم بل هم مُحَمَّد أولهم مُحَمَّد وأوسطهم مُحَمَّد وآخرهم مُحَمَّد كلهم مُحَمَّد، الوصيةُ هي هذه وهذا معنيٌ واسع وعميق، هم أوصياء نبي الله هم أوصياء مُحَمَّد هم مُحَمَّد، الوصيةُ في عمقها في بعدها العميق هي هذه لكننا نتحدث في الأفق الظاهر من الوصية وهي الخلافة، الخلافة خلافة الدين والدنيا، خلافتهم على الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا أشير إلى جهتين:

الجهة الأولى هل نحن بحاجة إلى نثبت بالأدلة أنهم هم أوصياء مُحَمَّد صلى الله عليه وآله؟! أنا لست في هذا المقام وإني لا أريد أن أصرف شيئاً من وقتي في مثل هذه المسائل الجانبية، ولذلك نحن في هذه القناة نحاول قدر الإمكان أن نبتعد عن مسألة النقاشات والجدالات بقدر ما نتمكن وحتى في موقعنا الإلكتروني سنحاول الابتعاد قدر ما نتمكن لأن هذا مضيعة ويعود بالقسوة على القلوب، القلوب التي تريد أن تعرف مُحَمَّدًا وآل مُحَمَّد أن تبتعد عن كل ما يقسيها، الجدال والمرء والنقاش لا يعود بالنورانية والروحانية على القلوب، القلوب التي تفعم بالحب كيف تفعم القلوب بالحب ونحن نغذيها بالجدل والنقاش؟ نعم قد يكون الجدل والنقاش وفي حالات نادرة جداً جداً فيه فائدة، الجدل والنقاش لا فائدة فيه، المعرفة، السعي إلى المعرفة عمر الإنسان قصير، سنوات وإنسان ما يدري ربما يصاب بمرض ربما يصاب بعوق ربما يصاب ويصاب بأمور كثيرة تطراً عليه في الحياة فتحول فيما بينه وبين الوصول إلى معرفة أهل البيت، إذا كان هناك من فرصة في حياتنا فلنملاً هذه الفرصة في معرفة أهل البيت، نحاول قدر الإمكان أن نحصل ما نتمكن من تحصيله من معرفة أهل البيت ولندع الأمور الأخرى جانباً وليقل فلان وعلان وليقولوا ما يقولوا.

الإنسان حينما يُمدد على فراش الموت، هل ينفعه فلان أو علان ما الذي ينفعه؟ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ والقلب السليم ذلك القلبُ المفعم بمعرفة أهل البيت، لنبحث عن القلب السليم، سواء رضيت الجهة الفلانية أم لم ترضى (يطبهم طوب) القضية قضية الإنسان يبحث عن مصلحته كل الناس يبحثون عن مصالحهم العاقل ﴿أُولُوا الْأَبَابِ﴾ هذا الخطاب الذي يصدعُ به القرآن ﴿أُولُوا الْأَبَابِ﴾ أولوا الأبواب من هم؟ أصحاب العقول صاحب العقل هو الذي يبحث عن مصلحته ومصلحة الإنسان في عاقبة أمره وعاقبة أمر الإنسان عند أهل البيت ومع أهل البيت، والرباط الوثيق الذي يربطنا بأهل البيت هي

هذه القلوب، هذه القلوب إذا حُشيت بالجهالات وحشيت بالكلام وبالشكوك والريب والكلام الذي لا نفع فيه ولا فائدة فيه، هذه القلوب ستكون مظلمة أجعلوا هذه القلوب مشرقة بمعرفة أهل البيت، قطعاً أنا أتحدث مع أولئك الذين تهش قلوبهم إلى حديث أهل البيت أما أولئك الذين في ريبهم يترددون لا شأن لنا بهم هم في طريق ونحن في طريق ولا نريد أن نلتقي بهم لا في نقاش ولا في جدل ولا في حديث ذلك مضيعة للوقت.

فحينما نتحدث عن أنهم أوصياء أنا فقط أشير إلى هذه الجهة فقط أشير إلى هذا المطلب، هناك قضايا واضحة لا تحتاج إلى أدلة ولا تحتاج إلى إثباتات قضايا بيّنة صريحة جليّة يعني هل من المعقول هل من المنطقي أن يأتي إنسان فيناقش بأن الشمس تخرج في النهار أو لا تخرج أصلاً هو النهار آتي من الشمس يعني الآن إذا يأتينا إنسان ويناقشنا بأن الشمس تخرج في النهار أو لا تخرج؟ هذا مجنون، النهار هو يأتي من الشمس لو لم تكن الشمس ما كان هناك نهار، هناك قضايا بديهية واضحة لكن ماذا تفعل للقلوب التي لا تفقه وللبصائر التي يعشعش فيها الحسد والعناد والحقد، ماذا تفعل للذوات المريضة للضمائر المنتكسة للفطر المشوهة، هناك قضية واضحة مثلاً الآن على سبيل المثال الملاحدة الدهريون الطبيعيون سمي ما شئت الذين ينكرون وجود الله هناك قصة طريفة وربما الكثير منكم سمع بها، أحد الزنادقة من المعروفين بكثرة الجدل وقوة النقاش في بغداد كان في بغداد، فقيل له إن فلان من أصحاب جعفر بن مُحَمَّد الصادق هذا رجل له علم وله كلام من أهل الكلام من أهل الجدل والنقاش والبحث في العقائد، صار الاتفاق أن يلتقوا في مكان معين للنقاش في هذه القضية في قضية وجود الله لأن هذا الزنديق ينكر وجود الله ويقول بأن العالم نشأ هكذا من دون خالق، هؤلاء الذين يُسمون بالطبيعيين بالدهرين بالزنادقة لهم أسماء عديدة، الذين يقولون بأن الكون نشأ من وحده من دون خالق، نشأ بحكم الطبيعة.

فاتفقوا على وقت مثلاً في اليوم الفلاني في الساعة العاشرة هذا الرجل الذي هو من أصحاب إمامنا الصادق تأخر وصل مثلاً بعد ساعة أو ساعتين فهو ماذا تصور؟ تصور بأن صاحب الإمام الصادق كأنه قرّ من النقاش، فلمّا دخل فقالوا له ما أحرك؟ قال رأيت شيئاً عجيباً حينما جئتُ في طريقي إليكم أردت أن أعبّر النهر كانت هناك شجرة على شاطئ النهر وإذا بها فُجأةً من دون سبب اقتلعت من الأرض ثم تقطعت أُزيلت الأغصان تقطعت العروق والسيقان وتقسمت إلى أجزاء ثم هذه الأجزاء نُشرت لوحدها ورتبت ثم صُفّت بحيث تحولت إلى أي شيء؟ تحولت إلى زورق وجاءت المسامير فربطت الأخشاب وتحولت الشجرة لوحدها قطعت فتحولت إلى زورق ثم جاء القير فطلى الزورق ثم الزورق ذهب دخل إلى النهر إلى نهر دجلة ثم بدأ الناس يركبون والزورق يأخذ الناس إلى الجانب الثاني ينزلون، لوحده يسير لا يسيره أحد ويركبون ناس يأتون إلى الجانب الثاني فقال هذا الزنديق قال: ما لك أنت مجنون قال من هو المجنون أنا أم أنت، إذا

أنت زورق من أحشاب رفضت أن يكون لوحده، هذا الكون بعظمته كيف تقبل أن يكون من دون خالق؟! من هو المحنون من هو أولى بوصف الجنون أنا أم أنت؟!!

هذي قضية واضحة أن هذا الكون له خالق الذي يريد أن ينكر فلينكر هذي قضية راجعة إليه، هو نفسه الآن بكلامه هذا أثبت وجود الله، مثل هؤلاء نحن الآن لا نملك الوقت لأن ندخل معهم في نقاش نحن بحاجة إلى أن نتنور بمعارف أهل البيت لسنا بحاجة إلى أن ندخل في النقاش مع هؤلاء، هؤلاء هم يخصمون أنفسهم بأنفسهم، قضية الوصية نفس الشيء، قضية الوصية واضحة مثل هذه القضية، يعني الآن أنت حينما تأتي إلى شخص فتقول له مثلاً مدير مدرسة يعني أنت الآن أطفالك تضعهم في مدرسة أهلية مثلاً، واحد يضع أطفاله في مدرسة أهلية ويدفع أموال شهرياً لهذه المدرسة ويأخذون منه مبالغ ويومياً المدرسة ترسل له رسالة أدفع كذا من المال ويومياً تريد المدرسة ويريد مدير المدرسة من أرباب الأطفال من أولياء أمور الأطفال أن يأتوا فيساهموا في إنجاز مشاريع المدرسة وهؤلاء أولياء الأمور يدفعون الأموال فحجأة يسمعون بأن مدير المدرسة ترك المدرسة وذهب سافر إلى البندقية يريد يروح يتونس فسافر إلى فينيسيا يقضي أيامه هناك وترك المدرسة فيأتون يسألون يقولون يعني المدرسة المدير لَمَّا سافر ترك شخصاً ينوب عنه أو لا؟ يقولون لهم لا ماذا يفعلون؟ ألا تنور ثائرة أولياء الأمور؟ ألا يخرجون أطفالهم من المدرسة ويطالبون بإسترجاع أموالهم؟ أي مدير مدرسة هذا؟ هذا مدير المدرسة لص قد يكون يريد أن يسرق أموال الناس أحمق غبي سمي ما شئت، هذا لص نصاب محتمل غبي ما عنده مسؤولية، كيف يترك المدرسة هكذا من دون شخص ينوب عنه مع أنه يوجد معلمون وفراشون وناس يخدمون في المدرسة لكنه ما ترك مسؤول.

الآن مثلاً يدخل الزوج الرجل إلى بيته فيشم وقت الدخول رائحة شيء يحترق شيء محترق داخل البيت، البيت مليء بالدخان يسرع إلى أين يذهب؟ إلى المطبخ يجد قدرًا من المرق موضوع على الطباخ تركته زوجته ذهبت نامت، خرجت إلى الجيران، ذهبت إلى السوق إلى أي مكان جلست في الحديقة، تركت القدر من دون مراقبة خرجت إلى خارج البيت ذهبت لتجلب أحد أطفالها من المدرسة أحترق القدر بما فيه وأمثلة البيت بالدخان ولو لم يأتي في اللحظة المناسبة ربما أدى هذا الحريق إلى احتراق البيت بكامله، حينما تعود زوجته ماذا يقول لها؟ ألا يقول لها كيف تركت القدر هكذا إما أن تطفئي النار وإما أن تتركي أحداً يراقب لماذا لم تكلفي مثلاً واحدة من نساء الجيران؟ لماذا لم تكلفي بنتك الغلانية أن تأتي؟ لماذا لم تحابريني تلفونياً تتصلي بي فأأتي حتى أراقب القدر؟ يطالبها بوجود الخليفة على قدرٍ من المرق على قدرٍ فيه عدة طماطات وقطع من البطاطا وشيء من لحمٍ وعظم.

قضية بديهية واضحة لا تحتاج إلى بحث، هذه الخليفة تترك بدون وصي كيف يمكن هذا؟ هذي مسائل

بديهية موجودة في حياتنا من الوضوح لا تحتاج إلى جدل، الذي يجادل مع هؤلاء يقضي وقته في فراغ، يقضي وقته في شيء لا فائدة فيه، أنا ادعوا جميع إخواني من المتكلمين من المحدثين أن ضُخوا في الناس حديث أهل البيت لا علاقة لنا هؤلاء هؤلاء ناس عميان هؤلاء عوران حولان ما الفائدة من الجدل والنقاش معهم؟ الناس بحاجة إلى أن تعرف أهل البيت، شيعة أهل البيت زمان طويل وقرون وحديثهم بعيد، الآن في هذه الزمان تهيأت لنا تهيأت وسائل النشر والحديث والبث والنشر والانتشار، أحيوا أمر أهل البيت رحم الله من أحيوا أمرنا، إحياء أمر أهل البيت لا بالنقاش والجدل الفارغ والبحث في طوايا الصحاح الستة أو غيرها كي نجد هنا رواية وهناك رواية ونقتنص هناك حديث وهنا حديث، ما فائدة ذلك، أرجعوا إلى الكافي إلى الكتب الأربعة إلى البحار إلى حديث آل مُحَمَّد، إلى كتب الشيخ الصدوق واسبحوا في هذا البحر الخضم في بحر خضم في بحر أهل البيت، غوصوا في هذه البحار وأخرجوا للناس اللآلئ أخرجوا للناس اليواقيت والمرجان من بحر آل مُحَمَّد، الناس بحاجة إلى هذا التوجه لسنا بحاجة إلى أن نثبت أن آل مُحَمَّد أوصياء بصحة حديث وأتي بحديث فأناقش في سنده وقال الرجالي فلان كذا وقال إعلان كذا، من هم هؤلاء الرجاليون؟!

هؤلاء آل مُحَمَّد يدلون على أنفسهم بأنفسهم، القضية واضحة وبديهية جداً جداً الآن توجد مراحيض في مختلف البلدان في البلدان المتطورة مراحيض بالأجرة يدخلون لها بالأجرة، في البلدان المتطورة مثلاً هنا في بريطانيا هناك مراحيض بالأجرة تدفع وتدخل، موجود أجهزة من خلال الجهاز موجود كومبيوتر تدفع للكومبيوتر يفتح لك الباب ما تدفع لا يفتح لك الباب في البلدان غير المتطورة لا بد أن يوجد هناك شخص يتابع هذه المراحيض الداخل والخارج، لو أن هذا صاحب المراحيض وضع أبنه على المراحيض هل يترك المراحيض؟ يضع أبنه في مكانه إذا ذهب في شأنٍ من شؤونه، إذا رجع ووجد أبنه ترك المراحيض ألا يعاتب أو يعاقب أبنه لأنه لم يترك أحداً مكانه حتى لو قال له بأن أمني اتصلت بجهاز الموبايل وقالت قضية مهمة في البيت أحتك فلانة صار فيها ما صار، لا يقبل أبوه منه هذا العذر، يقول لماذا لم تترك أحداً وهي مراحيض. أمة كاملة ليس فقط أمة الناس، الناس ليس فقط الذين كانوا يعيشون في المدينة دين مُحَمَّد وآل مُحَمَّد دين لكل البشرية رحمة للعاملين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني أن مُحَمَّد يتيه العالمين هكذا من دون أوصياء، هل يُقبل هذا؟ هل هناك منطلق؟ أبسط الأمور في الحياة لَمَّا قتل الرئيس الأمريكي كندي نائب الرئيس الأمريكي وهو في الطائرة وهذي قضية معروفة وهو في الطائرة أدى القسم، أدى القسم على أن يكون رئيس هذا بحسب قوانين الولايات المتحدة، نائب الرئيس في حال يموت الرئيس أو يحدث حادث نائب الرئيس يصبح رئيساً أدى القسم وهو في الطائرة لماذا؟ هل هناك مشكلة؟ لئلا يحدث فراغ دستوري

لمدة ساعة أو ساعتين، والآن هذه الخلافات الموجودة في كل دول العالم خصوصاً مثلاً في دولنا العربية في الدول الإسلامية من الذي يخلف الملك من الذي يخلف الرئيس وهذي قضية معقدة لماذا حينما يكون الحديث عن دين الله عن حكم الله عن شريعة الله لا بد أن مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يترك الأُمَّة هكذا هدرًا من دون وصي؟! أبو بكر نفسه نَصَّ على عمر وعمر نفسه نصب مجلساً سماه بمجلس الشورى، فلماذا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ترك الأُمَّة هكذا هدرًا، القضية واضحة والمسائل بينة لذلك أنا ما أريد أن أطيل أكثر أورد لكم هذه الرواية فقط كان بودي أن أورد روايات عديدة فقط أذكر مصادرها، هناك رواية طويلة جداً لكن الوقت ما يكفي أن أورها.

الرواية موجود في الجزء الثالث والعشرين من بحار الأنوار الحديث الثاني منقول عن تفسير العياشي في صفحة: 59 صفحة: 60، صفحة: 61، صفحة: 62، صفحة: 63، الرواية طويلة وما عندي وقت أن أقرأها على مسامعكم، أقرأ رواية أقصر منها وهناك روايات أخرى أيضاً، رواية أقصر منها، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه وكذلك ينقلها الشيخ الطوسي، الشيخ الصدوق نقلها في الإكمال والشيخ الطوسي نقلها في الأمالي: عن مقاتل بن سليمان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد النبيين ووصي سيد الوصيين وأوصيائي سادة الأوصياء إن آدم سأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل له وصياً صالحاً فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه إليه إني أكرمت الأنبياء بالنبوة ثم اخترتُ خلقي وجعلتُ خيارهم الأوصياء ثم أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا آدم أوصي إلى شيث فأوصى آدم إلى شيث وهو هبة الله بن آدم وأوصى شيث أو شيث إلى ابنه شبَّان وهو ابنُ نرلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثاً وأوصى شبَّان إلى مَحَلث وأوصى مَحَلث إلى مَحوق وأوصى مَحوق إلى عميشا وأوصى عميشا إلى أخنوخ وهو أدريس النبي وأوصى إدريس إلى ناحور ودفعتها ناحور إلى نوح النبي وأوصى نوح إلى سام وأوصى سام إلى عثامر وأوصى عثامر إلى برعي ثاشا وأوصى برعي ثاشا إلى يافث وأوصى يافث إلى بره وأوصى بره إلى جفيسا وأوصى جفيسا إلى عمران ودفعتها عمران إلى إبراهيم الخليل وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل - وإسماعيل كان له خطان من الأوصياء خط في بني إسرائيل وخط في آل إبراهيم.

الآن الرواية تتحدث عن خط أوصيائه في بني إسرائيل - وأوصى جفيسا إلى عمران ودفعتها عمران إلى إبراهيم الخليل وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل وأوصى إسماعيل إلى إسحاق وأوصى إسحاق إلى يعقوب وأوصى يعقوب إلى يوسف وأوصى يوسف إلى يثربا وأوصى يثربا إلى شعيب ودفعتها شعيب إلى موسى بن عمران وأوصى موسى بن عمران إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى داوود

وأوصى داوود إلى سليمان وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريا ودفعها زكريا إلى عيسى بن مريم وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر وأوصى منذر إلى سليمة وأوصى سليمة إلى بردة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إليّ برده وأنا أدفعها إليك يا عليّ وأنت تدفعها إلى وصيك ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحد بعد واحد حتى يدفع - تدفع الوصية - إلى خير أهل الأرض بعدك ولتكفرن بك الأمة - إلى خير أهل الأرض بعدك يعني إلى صاحب الأمر حتى تصل إلى خير أهل الأرض إلى الحجة بن الحسن - ولتكفرن بك الأمة يا عليّ ولتختلفن عليك اختلافاً شديداً الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار والنار مثوى للكافرين - طبعاً الرواية هنا ما ذكرت كل الأوصياء لكل نبيِّ إثنا عشر وصي، الآن ذكرت الوصي الأول، الروايات التي ذكرت الأوصياء ذكرت جانباً من ذلك، يعني مثلاً الآن أوصياء إسماعيل الرواية هنا ذكرت أوصى إسماعيل إلى إسحاق وهو خطُّ الوصاية في بني إسرائيل، هناك خطُّ الوصاية في آل إبراهيم في الديانة الحنيفية لأن الديانة اليهودية ما نسخت الديانة الحنيفية، فهناك أوصياء من إسماعيل وصلوا إلى الديانة اليهودية، وهناك أوصياء من إسماعيل وصلوا بالديانة الحنيفية إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وخاتمة الأوصياء أبو طالب وأبو طالب أخذ الوصاية عن عبد المطلب وعبد المطلب أخذ الوصاية عن أجداده من أجداد النبي وإلى هذا تشير الروايات إلى أن أجداده كانوا من الأنبياء لأن أجداد النبي كانوا من أوصياء إبراهيم والروايات تقول بأن أوصياء إبراهيم أنبياء وأبو طالب كان آخر وصي من أوصياء إبراهيم لكنه كان محجوجاً بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

وإن شاء الله يأتينا يوم من الأيام ونتحدث عن نبوة أبي طالب وعن وصية أبي طالب ودعني من قول أولئك الذين يريدون أن يثبتوا إسلامه هو متى كفر حتى نأتي لنثبت إسلامه؟ كان وصياً كما يقول أئمتنا من أوصياء إبراهيم، وهم قالوا لنا بأن أوصياء إبراهيم أنبياء، الوصية ممتدة من لدن آدم إلى يومنا هذا، في يومنا هذا الذي يحمل الوصية هو إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وبعد ذلك تريدُ مني أن أدخل في جدلٍ أو في نقاشٍ عقيمٍ لا فائدة فيه أن أثبت لقوم ضلوا وأضلوا عن طريق آل مُحَمَّدٍ، فأن نقضي وقتاً أطولاً في إثبات أن عليّاً كان هو الوصي ما قيمة هذا الكلام؟ عليّ وصي وعليّ دالٌّ على نفسه بنفسه وليس محتاجاً لي ولا لغيري لأدافع عنه إنما نحن نتوسلُ بجديثهم وبمعارفهم نريد أن نقرب منهم، أنا هنا أبحث عن مصلحتي وأنتم أبحثوا عن مصالحكم، العاقل الذي يبحث عن مصلحته أبحثوا عن مصالحكم، مصلحتنا أن نقرب من أهل البيت، الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر فيها آخرون، أبحثوا عن التجارة المربحة، أنا هنا أعمل تاجراً في هذه الدنيا، فلنبحث في سوق الدنيا في تجارة الدنيا لنبحث عن التجارة المربحة حتى لو لم

تعجب الآخرين، أليس هناك من التجار من يعمل في بضائع معينة ربما الآخرون لا تعجبهم لا يروق لهم أن يعملوا بهذه التجارة لكن هو يعلم بأن التجارة المربحة هنا، نحن نعلم علم اليقين التجارة المربحة هنا، الأرباح العظيمة هنا، من أراد أن يربح وينال الأرباح والفوائد العظيمة هنا عند مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

هنا في الزيارة الجامعة علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرت واحداً منكم الأرباح والتجارات والأموال الحقيقية هنا: **السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.** هم أوصيائه وهم ذريته، هل في ذلك شك أنهم ذرية رسول الله؟! لكنني لا بد أن أقف عند هذه العبارة، هل هناك من شك في أن جعفر بن مُحَمَّدٍ الصادق من ذرية رسول الله؟! هل هناك شك من أن الإمام العسكري من ذرية رسول الله؟! هل هناك شك في أن الحجة بن الحسن صلوات الله عليهما من ذرية رسول الله؟! هذي قضايا واضحة لا تحتاج إلى بحث ولا تحتاج إلى شرح ولكن مع ذلك نحن نوردُ بعضاً من كلماتهم صلوات الله عليهم، نوردُ بعضاً من المعاني التي جاءت في هذا السياق.

هذا هو الجزء الثالث والأربعون من بحار الأنوار من بحار أنوارهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذه رواية تنقل لنا مناقشة بين سعيد بن جبير والحجاج، وسعيد بن جبير علمه من علمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، سعيد بن جبير من أصحاب إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه هو يأخذ من تلکم العين الطاهرة، الخبر منقول عن عامر الشعبي وهو من علماء الأمويين معروف من هو عامر الشعبي أنه قال: **بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيتُ - هذا هو منهم ويخاف من الحجاج - بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيتُ فقمْتُ فتوضأتُ وأوصيتُ - هذا يوصي، هذا يجوز له أن يوصي أما مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله لا يوصي بالأئمة - بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة - هذا هو الاندفاع الفطري توقع أن يموت فيوصي لا بد أن يوصي - بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيتُ فقمْتُ فتوضأتُ وأوصيتُ ثم دخلتُ عليه فنظرت فإذا نطعٌ منشور - نطع هذي قطعة من الجلد، الحجاج النطع موجود عنده دائماً لأنه من الصباح إلى المساء يذبح بالناس النطع هذي قطعة من الجلد يضعون عليه الشخص الذي يذبح فيذبحونه حتى لا يتسخ المكان المجلس بدماء المذبوح - فنظرت فإذا نطعٌ منشور والسيف مسلول فسلمت فرد عليَّ السلام وقال: لا تخف فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر وأجلستني عنده ثم أشار فأوتي برجل مقيد بالكبول والأغلال فوضعه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول إن الحسن والحسين كانا أبنَي رسول الله صلى الله عليه وآله ليأتيني بحجةٍ من القرآن وإلا لأضربن عنقه - هذا الشيخ هو سعدي بن جبير - فقلت: يجب أن تحل قيده فإنه إذا احتج فإنه لا محالة يذهب وإن لم يحتج فإن السيف لا يقطع**

هذا الحديد - هذا يدل ماذا؟ يدل على أن السلاسل والأغلال والكبول كانت حتى على رقبته - فحلوا قيوده وكبوله فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير فحزنتُ بذلك وقلت كيف يجدُ حجةً على ذلك من القرآن، فقال له الحجاج: أأنتي بحجةٍ من القرآن على ما أدعيت وإلا أضرب عنقك فقال له: أنتظر فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك فقال: أنتظر فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحيم ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ثم سكت وقال للحجاج اقرأ ما بعده فقرأ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ فقال سعيد كيف يلحقها هنا عيسى؟! قال: إنه كان من ذريته، قال: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن أخته فنُسب إليه مع بعده فالحسن والحسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مع قربهما منه - إلى آخر الكلام القصة فيها تفصيل أنا أكتفي بهذا الموطن، القرآن صريح وواضح وهذا الكلام موجود في الروايات وإنما سعيد بن جبير أخذ هذا الكلام من الأئمة من إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه.

هنا رواية جميلة ينقلها علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، هو هذا القرآن وهؤلاء آل مُحَمَّد وهم الذين يعرفون قرآنهم، تلاحظون هذا عامر الشعبي ماذا قال؟ عامر الشعبي لَمَّا الحجاج طلب من سعيد بن جبير حجة ودليل من القرآن على أن الحسن والحسين هم أولاد رسول الله فعامر الشعبي لأن علمه مأخوذ من جهة بني أمية ماذا قال؟ - فحزنتُ بذلك وقلتُ كيف يجدُ حجةً على ذلك من القرآن - من أين يأتي بحجة؟ فجاء بالحجة سعيد لأنه جاء بها من أهل القرآن لم يأتي بها من عنده، جاء بها من أهل القرآن واضحةً صريحةً، أعود إلى رواية علي بن إبراهيم - عن أبي الجارود عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال لي أبو جعفر: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهما السلام؟! قلتُ: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله - باعتبار أبو الجارود من الشيعة، هو في مقطع من حياته أبو الجارود أنحرف عن أهل البيت، النتيجة الآن الحديث ليس عن أبي الجارود - قال لي أبو جعفر: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليهم السلام؟! قلتُ: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله قال: فبأي شيءٍ احتججتُم عليهم؟! قلتُ: بقول الله عزَّ وجلَّ في عيسى بن مريم:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وجعل عيسى من ذرية إبراهيم، قال: فأبي شيئاً قالوا لكم؟ قلتُ: قالوا: قد يكون ولدُ الابنة من الولد ولا يكون من الصلب - لاحظوا الشيطنة في الجدل، هذا الذي نحن نقول عنه لا فائدة من الجدل، القرآن صريح أن عيسى من ذرية

إبراهيم فماذا قالوا؟ قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد أو من الولد ولا يكون من الصلب، يمكن أن يسمى ابن الابنة ابن ولكن لا يكون من الصلب، ليس ولداً صليباً لأن الولد الصليبي يختلف - قال: فبأي شيء احتججتم عليهم؟! قال: قلت احتججنا عليهم بقول الله تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ قال: فأي شيء قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون

في كلام العرب أبنِّي رجل واحد فيقول أبنائنا وإنما هما ابن واحد - يعني كون عنده ولدان مرة يقول ولدي مرة يقول أولادي أبنائنا - قال: قد يكون في كلام العرب أبنِّي رجل واحد فيقول أبنائنا وإنما هما ابن واحد - يعني أبناء علي - قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: والله يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله تُسَمِّي لصلب رسول الله - لأعطيك دليلاً أن الحسن والحسين أولاد صليبين لمُحمَّد، هو هذا قرآنهم هم يعرفونه - والله يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله تُسَمِّي لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردها إلا كافر قلتُ: جُعِلْتُ فداك وأين؟! قال: حيث قال الله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ ﴾ إلى أن ينتهي إلى قوله: ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ - حلائل أبنائكم

يعني حلائل أبنائكم الذين من أصلابكم - فسلمهم يا أبا الجارود هل حل لرسول الله نكاح حليلتهما؟! - حلائل أبنائكم من أصلابكم، يعني الرجل لا يجوز له أن يتزوج زوجة ابنه الذي من صلبه، الآية هنا ماذا تقصد؟ تقصد أبناء الابن فقط أو أبناء الابن وأبناء البنت بإجماع المسلمين؟ الآية تقصد أبناء الأبناء وأبناء

البنات ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ يعني أبناء البنات أيضاً هم أولاد صليبين، الآية صريحة

واضحة، أنا قلت هو قرآنهم هم يعرفون به، نحن لا نستغرب ذلك، نحن نستغرب من ذلك الذي يدعُ آل مُحمَّد ويذهب إلى غيرهم يتعلم القرآن من غيرهم، نستغرب من الذين يتعلمون قراءة القرآن عند غير آل مُحمَّد ويتعلمون تفسير القرآن عند غير آل مُحمَّد ويكتبون في القرآن عن غير آل مُحمَّد ويتحدثون على المنابر وهم من شيعة أهل البيت عن غير آل مُحمَّد، الاستغراب من هؤلاء، نحن لا نستغرب القرآن قرآنهم

والآيات آياتهم وهم أعرف به ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ ﴾ ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾

يعني حلائل أبناء الابن وحلائل أبناء البنت من أصلابكم - فسلمهم يا أبا الجارود هل حل لرسول الله نكاح حليلتهما؟! - يعني حليلة الحسن والحسين؟ - فإن قالوا نعم فكذبوا والله وفجروا وإن قالوا لا

فهما والله أبنائه لصلبه وما حُرِّمَتْما عليه - يعني ما حرمت حليلتنا الحسن والحسين على رسول الله - إلا

للصلب - إلا لأنهما من أبناءه الصليبين، لا أعتقد أن المطلب بحاجة إلى تطويل أكثر من ذلك.

لكن فقط هذي رواية جميلة أختتم بها الحديث وإن كان بودي أن أورد روايات عديدة، هذي الرواية هدية لكم يا شيعة أهل البيت، أنا أختتم بها حديثي باعتبار أن هذه الحلقة آخر حلقة من حلقات برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة في شهر رمضان المبارك إن شاء الله نعود نلتقي على مودّة أوصياء رسول الله على مودّة ذرية رسول الله على مودّة سيد الأوصياء نلتقيكم إن شاء الله بعد شهر رمضان وفي أيام شهر رمضان لقاءاتنا متواصلة معكم في برامج أخرى إن شاء الله.

هذي رواية ينقلها الشيخ المجلسي من تفسير فرات بن إبراهيم هو الحديث فيها عن أهل الكوفة وإنما الحديث عن أهل الكوفة لأن شيعة أهل البيت حين الحديث كانوا من أهل الكوفة وإلا شيعة أهل البيت الآن موجودون، هذه الرواية لا تخص أهل الكوفة الحديث عن أهل الكوفة لأنه في الزمان الذي قيل فيه هذا الكلام كان شيعة أهل البيت في الكوفة، هذه الرواية لشيعة أهل البيت، أنتم في فلسطين إخواننا أحياناً في فلسطين إخواننا أحياناً في مصر في موريتانيا في المغرب في كل بقعة من البقاع في إيران في الحجاز في الخليج في العراق في النجف الشريف في كل مكان في شرق الأرض في غربها في أوروبا في الولايات المتحدة في أستراليا في كل مكان من هذا العالم أني وجدتم هذه الرواية وهذا الحديث لكم يا شيعة أهل البيت.

عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: ممن أنتم؟ - الإمام يسألهم ممن أنتم؟ وهذا السؤال يوجه لنا نحن هنا في لندن، لو قدمنا على أبي عبد الله فيقول لنا ممن أنتم نقول نحن من شيعتكم هنا في لندن وأنتم في غزة تقولون ذلك وأنتم هناك في القاهرة تقولون ذلك وأنتم في طهران تقولون ذلك وأنتم في كربلاء تقولون ذلك وأنتم في دمشق في جوار السيدة تقولون ذلك وفي كل مكان - فقال لنا: ممن أنتم؟ فقلنا له: من أهل الكوفة، فقال لنا: إنه ليس بلدٌ من البلدان ولا مصر من الأمصار أكثر مُحبّاً لنا من أهل الكوفة - وهنيئاً لكم يا أهل الكوفة هنيئاً لكم يا أهل النجف يا أهل العراق - إنه ليس بلدٌ من البلدان ولا مصر من الأمصار أكثر مُحبّاً لنا من أهل الكوفة إن الله هداكم لأمرٍ - يا شيعة أهل البيت في كل مكان يا شيعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - إن الله هداكم لأمرٍ جهلَهُ الناس - هذه نعمة لا يمكن أن تُشكر - إن الله هداكم لأمرٍ جهلَهُ الناس فأحبتمونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس وأتبعتمونا وخالفنا الناس - هذا الخطاب ليس لأهل الكوفة فقط، أهل الكوفة أعلى عيناً به، أهل العراق أعلى عيناً به، هذا الخطاب لكل الشيعة في كل مكان في مشرق الأرض وفي غربها في فرنسا في أوكرانيا في أي مكان في لتوانيا في أي مكان أينما تواجد شيعة أهل البيت في الكويت في الإمارات في أي مكان في عمان وفي اليمن في أي بقعة من بقاع العالم - إن الله هداكم لأمرٍ جهلَهُ الناس فأحبتمونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس وأتبعتمونا وخالفنا الناس -

الإمام يدعوا يقول: - فجعل الله مَحِيَاكُمْ مَحِيَانَا وَمَمَاتِكُمْ مَمَاتِنَا فَأَشْهَدُ عَلَى أَبِي - الإمام الصادق يقول: - فَأَشْهَدُ عَلَى أَبِي أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ - يا شيعة أهل البيت - وبين أن يغتبط - يعني أن تصيبه السعادة - ما بين أحدكم وبين أن يغتبط - تصيبه السعادة - ويرى ما تقرُّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه ها هنا - يعني حين الاحتضار - ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما تقرُّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه ها هنا وأوماً بيده إلى حلقه وقد قال الله في كتابه:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ فيقول: فنحن ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله - ونحن هنا نخاطبهم: وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وها هم يدعون لنا أن يجعل الله محيانا محياهم ومماتنا مماتهم، نحن معكم سادتي آل مُحَمَّد، معكم في كل نفس ومعكم صلوات الله عليكم مع كل طرفية تطرف بها عيوننا، مَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مع غيركم، آخر الحديث أقرأ على مسامعكم فقرات من الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، هذه غير الزيارة الجامعة الكبيرة موجودة في المفاتيح صفحات يمكن أن تقلب مفاتيح الجنان فتجد العنوان الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين، أقرأ منها هذي السطور وأنا هنا أخاطبهم، أخاطب أئمتي يا أوصياء نبي الله يا ذرية رسول الله هم ذريته هم أولاده الصليبين هم أولاده من صلبه، كل نبي ذريته من صلبه وولدي من صلب علي وفاطمة، سادتي آل مُحَمَّد نحن قرأنا في المقطع الثالث وقد تم المقطع الثالث لنعيد قرأته للتبرك به، وأسألکم الدعاء هذه الليلة ليلة القدر من أفضل أوقات الدعاء نحن إن شاء الله ما ننساكم من الدعاء وأنتم لا تنسون أيضاً من الدعاء ومن الزيارة خصوصاً للذين يطوفون عند الحسين عليه السلام أو لأولئك الغرباء من شيعة أهل البيت في شرق الأرض أو في غربها أولئك الذين تملأ قلوبهم اللهفة والشوق إلى زيارة الحسين لكن هناك من العوائق التي تعوق فيما بينهم وبين ذلك، نلتمسهم الدعاء والزيارة من قريبٍ ومن بعيد.

السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَسَاكِينِ بَرَكَاتِهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

نخاطبهم نخاطب هؤلاء الذين خاطبتهم الزيارة الجامعة الكبيرة:

يَا مَوَالِيَّ فُلُو عَايِنِكُمُ الْمَصْطَفَى وَسَهَامِ الْأُمَّةِ مُعْرِقَةً فِي أَكْبَادِكُمْ وَرِمَاحِهِمْ مَشْرَعَةً فِي نُحُورِكُمْ وَسُيُوفُهَا مُوَلَّغَةً فِي دِمَائِكُمْ يَشْفِي أَبْنَاءَ الْعَوَاهِرِ غَلِيلِ الْفِسْقِ مِنْ وَرَعِكُمْ وَغَيْضَ الْكُفْرِ مِنْ إِيْمَانِكُمْ وَأَنْتُمْ بَيْنَ صَرِيحٍ فِي الْمِحْرَابِ قَدْ فَلَقَ السَّيْفُ هَامَتَهُ ...

الحقيقة لا أستطيع أن أكمل العبارات، يمكنكم أن تراجعوا العبارات أسألکم الدعاء وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرايون.

مع التحيات

المُتَابَعَة

زهرايون

1433 هـ

الفهرست

- 1 شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : القسم الثاني
- 3 يا زهراء
- 5 الحلقة الحادية عشر : معنى وَقَادَةَ الْأُمَمِ وَأَوْلِيَاءَ النَّعَمِ
- 26 الحلقة الثانية عشر : معنى وَعَنَاصِرَ الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمَ الْأَخْيَارِ
- 47 الحلقة الثالثة عشر : معنى وَسَاسَةَ الْعِبَادِ، وَأَرْكَانَ الْبِلَادِ
- 70 الحلقة الرابعة عشر : معنى وَأَبْوَابَ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءَ الرَّحْمَنِ
- الحلقة الخامسة عشرة : معنى وَسُلَالَةَ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ
- 91 وَعِترَةَ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
- 113 الحلقة السادسة عشر : معنى أُمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التَّقَى
- 138 الحلقة السابعة عشر : معنى وَذَوَى النَّهْيِ وَأَوْلَى الْحِجَى وَكَهْفِ الْوَرَى
- الحلقة الثامنة عشر : معنى وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالِدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ
- 160 اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
- الحلقة التاسعة عشر : معنى السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ
- 185 وَمَسَاكِنِ بَرَكَاتِ اللَّهِ وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللَّهِ
- الحلقة العشرون : معنى وَحِفْظَةِ سِرِّ اللَّهِ وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ
- 207 وَذُرِّيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
- 234 الختام
- 235 الفهرست